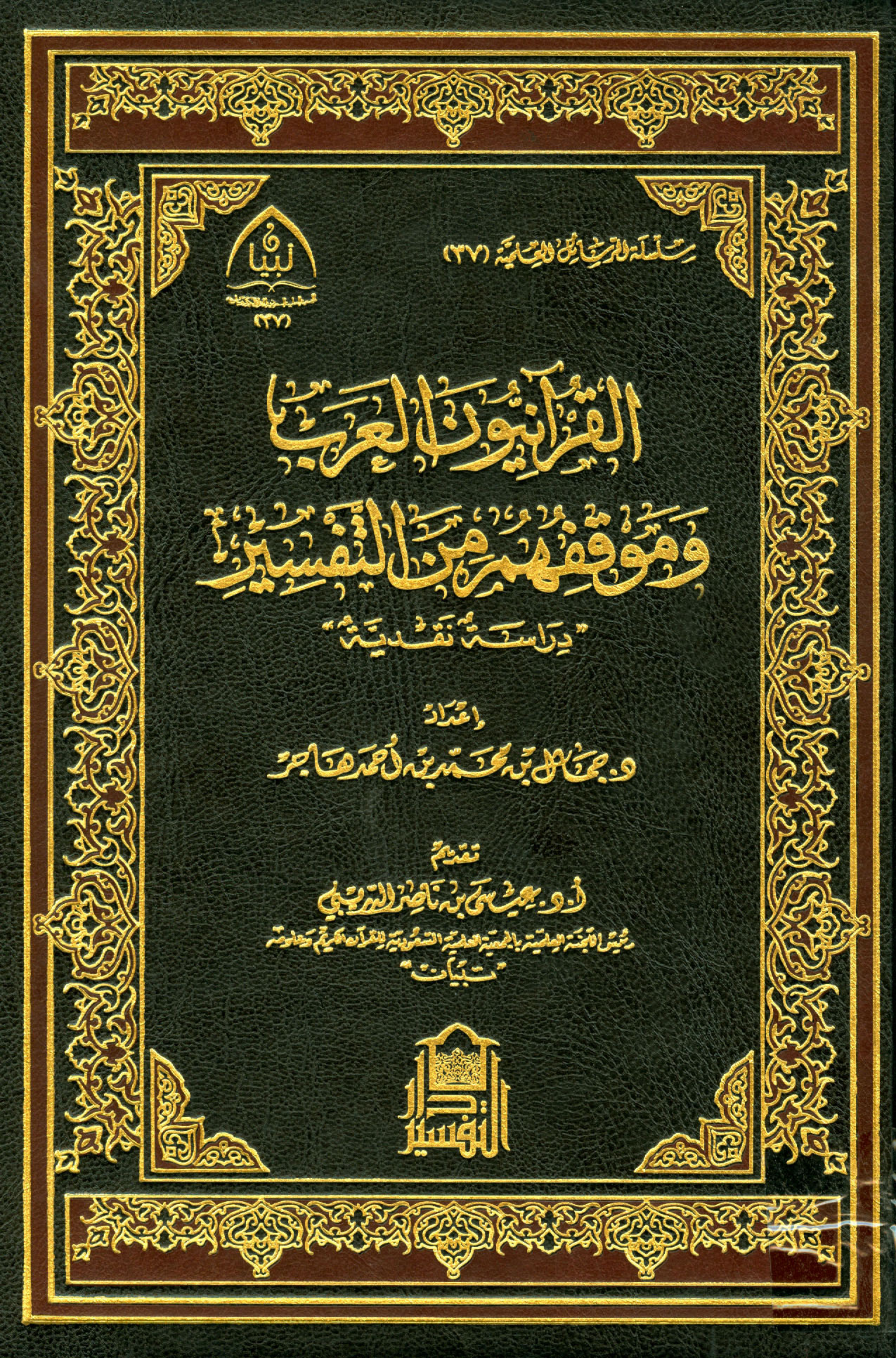

سلسلة الرسائل العلمية (٣٧)
تبيان
(٣٧)
القرآنيون العرب
وموقفهم من التفسير
"دراسة نقدية"
إعداد
د. جمال بن محمد بن أحمد هاجر
تقديم
أ.د. عيسى بن ناصر الدريبي
رئيس اللجنة العلمية بالجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه
"تبيان"
دار التفسير

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م



المملكة العربية السعودية _ جدة
حي الأندلس (١) شارع محمود نصيف / رقم ٥٧ / فيلا رقم ٢٧
ص.ب ١٢٢٤٩٧ _ الرمز البريدي: جدة ٢١٣٣٢
هاتف وفاكس: ٠٠٩٦٦١٢٦٦٨٨٨٢٣

تقديم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، وآتاه القرآن ومثله معه، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد أقدمت طوائف وأفكار منحرفة على الطعن في هذا الدين وأصوله، ومن هؤلاء طائفة ضالة حاربت هذا الدين عبر فكر منحرف في تفسير القرآن، يقوم على إنكار الأصل الثاني الذي يقوم عليه هذا الدين "السنة النبوية" التي جاءت كلها لتفسير القرآن، كما نصت على ذلك آيات القرآن العظيم: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

فالسنة قرينة القرآن في بيان شرع الله، والمفسِّرة له. ويضل قوم عن هذا الحق الأبلج ممن يسمون القرآنيون أو أهل القرآن، فينكرون هذا الهدى، ويحطمون هذا الأصل العظيم في التفسير، ويقيض الله من يدافع عن كتابه وينتصر له، فيكشف زيفهم، ويرد باطلهم، ويدافع عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك هذه الرسالة العلمية التي تتبعت أصولهم الباطلة بدارسة علمية رصينة بعنوان: (القرآنيون العرب، وموقفهم من التفسير دراسة نقدية).

بينت هذه الرسالة موقف منكري السنة النبوية (القرآنيون) من التفسير، وكيف قاموا بتفسير القرآن الكريم بعد أن أنكروا أصلاً عظيماً من أصوله، ومصدراً من مصادر بيانه.

وكشفت عن حقيقة ما قام به القرآنيون من جناية على تفسير القرآن الكريم، من خلال النظر في تفسيرهم للآيات القرآنية، وبيان انحرافهم، وتفنيد شبههم والرد عليها، بطريقة علمية موضوعية في ضوء الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.

هذه الرسالة أنجزها الباحث الأخ الكريم الدكتور: جمال بن محمد هاجَر، ويعلو شأن هذه الرسالة بإشراف مباشر من عَلَم من أعلام الدراسات القرآنية المعاصرة، هو شيخنا الأستاذ الدكتور: محمد بن عبدالرحمن الشايع، الأستاذ بقسم القرآن بجامعة الإمام.

ومن هنا؛ فإن الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه " تبيان " تتبنى طباعة هذه الرسالة العلمية في هذا الموضوع انتصاراً للقرآن، وتمكيناً للمتخصصين من الافادة منها، وهو جزء من رسالتها العلمية في خدمة الدراسات القرآنية وخدمة القرآن وخدمة العلم.

وكتبه

أ . د. عيسى بن ناصر الدريبي

أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود

رئيس اللجنة العلمية بالجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه "تبيان"

المقدمة

وتشتمل على:

- أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.
- أهداف البحث.
- حدود البحث.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن علم التفسير من أشرف العلوم وأعظمها، بل هو رأس العلوم ورئيسها، وذلك لشدة تعلقه بأفضل كتاب، وأشرف منزَّل، القرآن الكريم، بل هو سبيل علمه ومنهج فهمه، وكل العلوم الشرعية متوقفة عليه وراجعة إليه، وكل كمال ديني أو دنيوي إنما يكون بتحصيله ومعرفة مراد الله منه.

ولما كانت مهمة علم التفسير بيان معاني كلام الله-تعالى-فقد صار غرضاً توجه إليه سهام أعداء الإسلام، ومن هذه الهجمات تلك الدعوات التي ظهرت في الأفق تدعو إلى أمر غريب، وفكر نشاز، مضمونه الاكتفاء بالقرآن وحده، وترك ما سواه من مصادر الشريعة، أرادوا بهذه الدعاوى الخبيثة التفريق بين مصادر الشريعة والنيل منها، بحجج واهية، أوهن من بيت العنكبوت؛ إذ لا أساس لها من الصحة، فكانوا بدعواهم تلك جُناة على القرآن وتفسيره، إذ ألغوا أهم مصادره، وجانبوا الصواب في التأويل لآياته، التي لا تكون صواباً إلا من خلال النظر في مصادره، فأدى بهم هذا الطريق إلى سلوك طريق غير مستقيمة، فبرزت آثارها في كتبهم، وبدت واضحة في أبحاثهم؛ حيث بدأوا يتخبطون في تفسير كتاب الله خبط عشواء، وكانوا كالسائر في ليلة ظلماء، هدفاً منهم لتكدير هذا النبع الصافي على شاربيه، وإدخال الشكوك والشبهات على متلقيه، والصد عن الحق وأهله.

ويطلق أتباع هذه الطائفة على أنفسهم (القرآنيون) أو أهل القرآن، نسبة إلى أغلى كتاب عند المسلمين، القرآن الكريم، زوراً وبهتاناً، يريدون بذلك التلبيس على الناس وإيهامهم أنهم متمسكون بالقرآن الكريم، حتى لا يعترض عليهم معترض بالتسمي بهذا الاسم.

فكان لزاماً على من يهتم بتفسير كتاب الله -تعالى- الدفاع عنه، ورد الشبهات التي تثار حوله، والاعتراضات التي قد يوردها بعضهم في نصوصه، فمن هنا ظهرت شدة الرغبة في أن أتناول في بحثي هذا بيان فكر هذه الطائفة الخبيثة، وكشف الزيف والتحريف الواقع في تفسيرهم لكتاب الله، وبيان ضرره على الأمة الإسلامية عموماً، وعلى علم التفسير خصوصاً، فسميت هذا البحث: **(القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير - دراسة نقدية).**

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية هذا الموضوع من خلال أمور عديدة، أهمها الآتي:

١- إن هذا النوع من الدراسة تبرز مدى العلاقة القوية بين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ حتى إنها وقفت منه موقف المفسِّر من المفسَّر، والمبيِّن من المبيَّن، ومن ثم فهي أصل أصيل من أصول التفسير، لا يمكن تجاوزه، وإلا وقع الخلل في التفسير، وهذا عين ما وقع فيه القرآنيون.

٢- الإسهام في الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه وأصول تفسيره من خلال دحض أقوال هذه الطائفة وأفكارها، المسماة بالقرآنيين، المنحرفة عن منهج سلف الأمة في التفسير وعلوم القرآن؛ حيث سلك القرآنيون منهجاً في تفسير القرآن غير مستقيم؛ إذ لم تعتمد جماعتهم على أصوله المعتمدة عند علماء سلف الأمة، وانتهجوا طريقاً حذَّر منه العلماء، وفي مقدمتهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث قال: "من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك، بل مبتدعاً؛ لأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ". مجموع الفتاوى، (١٣/ ٣٦١).

٣- الحاجة الماسة لدراسة موقفهم من التفسير وما جنوه في تفسيرهم لآيات الكتاب العزيز، والوقوف عليها، وبيان ما فيها من تحريف وزيغ وضلال، وبعد عن المنهج الحق؛ ليستفيد منه الباحثون، وتنور الطريق للمسلمين؛ لكي لا يقعوا في شبهاتهم، وتأويلاتهم المنحرفة.

٤- قيمة هذا الموضوع العلمية؛ حيث يعالج مشكلة معاصرة ومستمرة، حاد أصحابها عن الصواب، وابتعدوا عن طريق أئمة الإسلام، وساروا في كتبهم سيراً غريباً، زعموا أنما قاموا به هو إعادة الأمة إلى نهجها الأقوم وطريقها الأسلم في التعامل مع كتاب الله، ومقتوا على السلف الصالح-رحمهم الله تعالى- ما عملوا وما أنتجوا للأمة من الكتب والمؤلفات التي فيها الهدى والنور، فكان من نتاج هذه الطائفة-القرآنيين- كتب مليئة بالأوهام والأباطيل.

أهداف البحث:

١- بيان موقف القرآنيين من تفسير القرآن الكريم.

٢- الكشف عن حقيقة ما قام به القرآنيون من جناية على تفسير القرآن الكريم، من خلال النظر في تفسيرهم للآيات القرآنية، وبيان انحرافهم، وتفنيد شبههم والرد عليها، بطريقة علمية موضوعية في ضوء الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.

٣- بيان جوانب العلاقة بين أتباع هذه الطائفة والفرق المنحرفة، وأثر ذلك في كتاباتهم.

٤- إبراز أهمية الاهتمام بأصول التفسير ومصادره، ومدى أهميتها في فهم القرآن فهماً صحيحًا، وخاصة السنة النبوية التي تعد أهم تلك الأصول.

حدود البحث :

تتناول هذه الدراسة –بعون الله وتوفيقه– طائفة من الطوائف المنحرفة التي ظهرت في جسد الأمة الإسلامية في البلاد العربية، وهي: طائفة القرآنيين(منكري السنة النبوية) وبيان موقفهم من تفسير القرآن وأصوله، وما تولد عنها من أفكار شاذة وآراء منحرفة في التفسير، من خلال كتبهم، ومؤلفاتهم التي كتبت باللغة العربية دون اللغات الأجنبية.

الدراسات السابقة :

من خلال البحث في قوائم الرسائل الجامعية للجامعات، وقواعد المعلومات في المراكز المتخصصة، والمكتبات العامة، والبحث في الشبكة العالمية (الإنترنت)، وسؤال أهل الاختصاص، تبين لي أنه لا توجد رسالة علمية أو دراسة متخصصة تفردت بالموضوع من جانب التفسير.

وأقرب الدراسات إلى هذا البحث، دراسة بعنوان: فرقة أهل القرآن بباكستان، وموقف الإسلام منها، للباحث: خادم حسين إلهي بخش، رسالة ماجستير، تقدم بها الباحث إلى جامعة أم القرى، عام (١٤٠١هـ)، والتي طبعت تحت عنوان: (القرآنيون وشبهاتهم حول السنة).

ويظهر الفرق بين هذه الدراسة، وما أنوي القيام به من وجوه، أهمها:

أن الباحث حصر الحديث في رسالته عن طائفة القرآنيين في باكستان، وهذا البحث سيتناول الحديث عن طائفة القرآنيين في البلاد العربية.

تناول الباحث جملة من شبهات هذه الطائفة حول السنة النبوية، وهذا البحث

سيتناول الحديث عن موقفهم من التفسير ومصادره .

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وحدود البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه .

التمهيد: وفيه التعريف بمفردات العنوان، وهي:

- القرآنيون.
- التفسير.

الباب الأول: طائفة القرآنيين، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الجذور التاريخية لطائفة القرآنيين، وأبرز رجالها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بداية الظهور.

المبحث الثاني: القرآنيون في العصر الحاضر.

المبحث الثالث: أشهر القرآنيين الذين خاضوا في التفسير وأبرز مؤلفاتهم.

الفصل الثاني: أسباب ظهور طائفة القرآنيين وأفكارهم وأهدافهم، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب ظهور هذه الطائفة.

المبحث الثاني: أفكار هذه الطائفة وأهدافها.

المبحث الثالث: الفرق المشابهة لطائفة القرآنيين.

الفصل الثالث: علاقة القرآنيين بالمستشرقين والعلمانيين، وأثر ذلك في كتاباتهم، وفيه مبحثان.

المبحث الأول: علاقتهم بالمستشرقين.

المبحث الثاني: علاقتهم بالعلمانيين.

الباب الثاني: القرآنيون والتفسير، وفيه ثلاثة فصول.

الفصل الأول: العلاقة بين القرآن والسنة، وموقف العلماء ممن يفرق بينهما، وفيه أربعة مباحث .

المبحث الأول: الصلة بين الأصلين الشريفين (القرآن والسنة).

المبحث الثاني: كون السنة النبوية أصلاً في تفسير القرآن الكريم وفهمه.

المبحث الثالث: أسباب طعن القرآنيين في السنة النبوية.

المبحث الرابع: موقف العلماء ممن يفرق بينهما.

الفصل الثاني: أصول التفسير وقواعده التي بنى عليها القرآنيون منهجهم في التفسير، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أصول التفسير وقواعده عند القرآنيين.

المبحث الثاني: منهج القرآنيين في التفسير.

الفصل الثالث: موقف القرآنيين من تفاسير المسلمين وأصولهم، وفيه ثلاثة

مباحث:

المبحث الأول: موقف القرآنيين من التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي .

المبحث الثاني: موقف القرآنيين من التفاسير المعتبرة.

المبحث الثالث: موقف القرآنيين من أصول التفسير عند علماء التفسير.

الباب الثالث: جناية القرآنيين على التفسير، وفيه فصلان.

الفصل الأول: المخالفات المنهجية العلمية في تفسيرهم للقرآن الكريم، وفيه ستة مباحث.

المبحث الأول: إنكارهم كون السنة أصلاً في تفسير القرآن الكريم.

المبحث الثاني: إهمال الأدلة الصحيحة في تفسير الآيات القرآنية.

المبحث الثالث: الانتقائية في اختيار المصادر والمراجع.

المبحث الرابع: التفسير المتعسف والتأويل المتكلف للنصوص القرآنية.

المبحث الخامس: البعد عن المنهج العلمي في تناول الموضوعات القرآنية والخضوع للهوى.

المبحث السادس: التشكيك في الأمور المعلومة من الدين بالضرورة.

الفصل الثاني: جناية القرآنيين على التفسير والرد عليها، وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول: الآيات المتعلقة بالعقائد.

المبحث الثاني: الآيات المتعلقة بالعبادات.

المبحث الثالث: الآيات المتعلقة بالمعاملات.

المبحث الرابع: الآيات المتعلقة بالجنايات.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

منهج البحث:

سأسلك في هذا البحث -بمشيئة الله وعونه- المنهج التحليلي النقدي، وذلك وفق ما يلي:

١- استخرجت أقوالهم وآراءهم في التفسير وأصوله من خلال النقل من كتبهم، نقلاً مباشراً ما وجدت إلى ذلك سبيلاً.

٢- عرض تفاسيرهم للآيات القرآنية، وبيان بُعد هذه التفسيرات عن نهج علماء الأمة من السلف الصالح في تفسير القرآن، وذلك من خلال عرض الأقوال والآراء، ومن ثم القيام بتحليلها ومناقشتها، معتمداً في ذلك على أقوال العلماء والمفسرين.

٣- الاستدلال بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال السلف في بيان بطلان منهجهم، وانحراف أفكارهم في تفسير الآيات.

٤- الحرص على عرض أقوال سلف الأمة في الآيات المعروضة بشكل مختصر يبين التفسير الصحيح للآية.

٥- النقد العلمي لتأويلاتهم الباطلة لنصوص الآيات القرآنية، بطرق علمية موضوعية مختصرة غير مخلة بالمطلوب.

٦-سوف تقتصر الدراسة على ذكر نماذج من جناياتهم في التفسير.

٧-عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وجعل ذلك في صلب البحث، حتى لا يثقل الهامش بالحواشي .

٨-تخريج الأحاديث مِنْ مَظَانِّهَا، من كتب السنة، فإن كان الحديث في الصحيحين، اكتفيت بالعزو إليهما أو أحدهما، وإن كان في غير الصحيحين عزوته إلى مَظَانِّه من كتب السنن والمسانيد والمصنفات ما أمكن، مع ذكر من حكم عليه بصحة، أو حسن، أو ضعف من أقوال العلماء المتخصصين من المتقدمين أو المتأخرين ما أمكن .

٩-عند عزو الحديث أذكر رقم الحديث، ثم الجزء والصفحة، وإن وجد الحديث بأرقام متعددة اكتفيت بأحدها.

١٠-التعريف بالفرق والقبائل والبلدان الوارد ذكرها بقدر الإمكان .

١١-الترجمة للأعلام غير المشهورين عند أول موطن ورد ذكرهم فيه.

١٢-توضيح الكلمات الغريبة من كتب اللغة، ومن كتب غريب الحديث.

١٣-ضبط ما يحتاج إلى ضبط.

١٤-عزو الأبيات الشعرية والشواهد لقائليها، من خلال الرجوع إلى دواوين الشعراء، أو إلى كتب الأدب.

الفهارس الفنية للبحث، وهي :

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الآثار.

- فهرس الأعلام .
- فهرس الفرق والمذاهب.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

شكر وتقدير :

هذا، وإن أحق من يستحق الشكر في هذا المقام هو الله ﷻ على ما منَّ به عليَّ وتفضل من إتمام هذه الرسالة، ويسر لي السبل، وذلل الصعاب، فله الحمد أولاً وآخراً.

ثم أثني بجزيل الشكر لوالدي العزيزين؛ على عظيم دعمهما، وكثير دعائهما، فجزاهما الله عني خير ما جزى والداً عن ولده، ومتعهما بالصحة والعافية، ودوام العمل الصالح.

كما أشكر زوجتي وأولادي الذين هيأوا لي الجو العلمي المناسب لإتمام هذه الرسالة، وصبروا على غربتي وبعدي عنهم أيام دراستي، فجزاهم الله خير الجزاء، وأقر عيني بصلاحهم.

كما أتقدم بالشكر الجزيل العطر إلى راعي هذه الرسالة، فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور: محمد بن عبد الرحمن الشايع –حفظه الله– الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة، وتفضّل –مشكوراً– بمتابعتها قراءةً، وتصحيحاً،

وتوجيهاً، فجزاه الله خير الجزاء وأوفاه، وشكر الله جميل عنايته، وحسن اهتمامه، وجعل ذلك له ذخراً صالحاً يوم يلقاه.

ثم أتقدم بالشكر والتقدير لهذا الصرح العلمي الشامخ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي رعت العلم وطلابه، ويسرت سبل البحث للباحثين، كما أتقدم بالشكر الجزيل لكلية أصول الدين، وأخص منها قسم القرآن وعلومه، وجميع أعضائه؛ جزاء ما قدموه لي ولطلاب الدراسات العليا من خدمات جليلة؛ تسهيلاً لطلب العلم، وترغيباً في البحث والتحصيل العلمي.

والشكر موصول لرئاسة جامعة البيضاء بالجمهورية اليمنية؛ لموافقتها على ابتعاث منسوبيها، وحرصهم على مواصلتهم لدراساتهم العليا.

وأشكر -أيضًا- كل من أعانني على إنجاز هذه الرسالة بإعارة كتاب، أو تقديم مشورة، وأسأل الله -تعالى- أن يجزيهم خير الجزاء.

وأخيراً، فهذا جهد المقل، وهذه بضاعته، فإن أصبت فذلك محض فضل الله، وإن كانت الأخرى فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله، وهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

التمهيد

يهدف الباحث من خلال هذا المدخل التمهيدي التعريف بأهم مصطلحات الدراسة، وهي: مصطلح (**القرآنيون**)، ومصطلح (**التفسير**).

أولاً: القرآنيون.

تعريف المصطلح عند أتباع طائفة القرآنيين.

قال شريف هادي[١]: "القرآني: هو كل من اكتفى بالقرآن وحده مصدرًا للتشريع، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، فالقرآني لما سمع هذا الاستفهام الاستنكاري، قال: بلى. ثم قال: كفانا يا رب الكتاب الذي أنزلته على عبدك ورسولك محمدﷺيتلى علينا"[٢].

ويقول د. عثمان أحمد[٣]: "هم الذين يعتمدون على القرآن فقط في مرجعيتهم الإسلامية؛ لأن الرسول- ﷺ- لم يبلغ إلا القرآن فقط، وأن الأوامر

---

(١) أحد أعضاء موقع القرآنيين، أو أهل القرآن، قال عند بداية التعريف: "تعالوا جميعًا نبحث عن تعريف لأهل القرآن يكون تعريفًا جامعًا مانعًا، أي: يجمع كل أهل القرآن داخله، ويمنع غيرهم من الدخول فيه أو بعبارة أخرى تعريف يستطيع كل منّا أن يطبقه على نفسه، فإن كان اعتقاده ظاهرًا وباطنًا موافقاً لهذا التعريف فهو من القرآنيين أو من أهل القرآن". تعريف القرآنيين، شريف هادي، موقع أهل القرآن(القرآنيين)،www. ahl-alquran. com/.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أحد منكري السنة في مصر.

بالإيمان لم تأت إلا بالقرآن فقط"[١].

تعريف المصطلح عند علماء الإسلام.

تجتمع كلمة علماء الإسلام على تعريف القرآنيين: بأنهم تلك الطائفة الضالة التي تدعو لرفض السنة النبوية، وعدم الاحتجاج بها في الأحكام والشرائع، ورفض الرجوع إليها عند التفسير، وفيما يلي عرض لبعض أقوال علماء الإسلام:

قال الشيخ ابن باز[٢]: "ونبغت نابغة بعد ذلك تسمى هذه النابغة الأخيرة القرآنية، ويزعمون أنهم أهل القرآن، وأنهم يحتجون بالقرآن فقط، وأن السنة لا يحتج بها؛ لأنها إنما كتبت بعد النبيﷺ بمدة طويلة. . . ، وزعموا أنهم بذلك يحتاطون لدينهم، فلا يأخذون إلا بالقرآن فقط، وقد ضلوا عن سواء السبيل،

(١) صحيفة الأهرام، السبت، (١٤/ جمادي الآخرة/١٤٢٤هـ)، الموافق (٣/يوليو/٢٠٠٤م)، السنة ١٢٣، العدد ٣٨٤.

(٢) عبد العزيز بن عبد الله آل باز، الشيخ العلّامة، العالم الفقيه، أبو عبد الله، ولد بالرياض سنة، (١٣٣٠هـ)، كان بصيرًا، ثم أصابه مرض في عينيه، عام (١٣٤٦ هـ)، وضعف بصره، ثم فقده، عام (١٣٥٥ هـ)، طلب العلم على علماء الرياض، وبرز فيه، تولى القضاء، ومناصب أخرى، كان آخرها مفتي عام المملكة العربية السعودية إلى أن توفي، عام (١٤٢٠هـ). صدرت له مجموعة من المؤلفات، منها: فتاوى عن صلاة الفجر، اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، لا جديد عن دعاة الاختلاط، وغيرها، حاز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، عام (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م). ينظر: الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، عبد الرحمن الرحمة، ص٢٦، معجم المؤلفين المعاصرين، خير الدين يوسف، (٢/ ٣٥٧)، ترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عبد العزيز بن قاسم، ص١٣.

وكفروا بذلك كفرًا أكبر بواحًا"[١].

قال الشيخ الألباني[٢]: "إننا-بمثل هذا التخريج والتصفية-نسد الطريق على بعض المبتدعة الضالة الجهلة، الذين يحاربون الأحاديث النبوية وينكرون حجية السنة، ويزعمون أن الإسلام ليس هو إلا القرآن! ويسمون في بعض البلاد (القرآنيين). وليسوا من القرآن في شيء"[٣].

وقال الشيخ الألباني أيضًا: "طائفة يسمون أنفسهم بالقرآنيين، والقرآن منهم بريء، يزعمون أن لا حاجة بهم لفهم القرآن إلى سنة النبي-عليه الصلاة والسلام-ويكفي في ذلك المعرفة باللغة وآدابها"[٤].

وقال خادم حسين بخش: "وسموا أنفسهم(أهل القرآن)؛ لاكتفائهم بأخذ

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز، جمع: محمد بن سعد الشويعر، (١٧٧/٩)، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (٥٢/ ٩).

(٢) محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الأرنـؤوطي، الشيخ العلامة، محدث العصر، كان مولده في أشقو درة بألبانيا، سنة (١٣٣٢هـ)، هاجر والده إلى بلاد الشام، تلقى الشيخ تعليمه في دمشق على يد عدد من الشيوخ، وكبار رجال العلم. حبب الله تعالى إليه علم الحديث النبوي فأقبل عليه، وبرز فيه حتى أصبح محدث العصر، له مصنفات من أبرزها: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة؛ سلسلة الأحاديث الضعيفة، حاز جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية، عام (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، مات بعمان، عام (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م). ينظر: ترجمة موجزة لفضيلة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، د.عاصم القريوتي، ص٣، علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، (٢٨٧/١)، معجم المؤلفين المعاصرين، (٧٣٠/٢).

(٣) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، (١٠/١).

(٤) حجة النبيﷺ، محمد ناصر الدين الألباني، ص٥٣.

الأحكام من القرآن وحده دون السنة"[١].

وقال د. محمود الطحان: "يدعون أهل القرآن أو (القرآنيون) الذين لا يأخذون إلا بالقرآن الكريم، ولا يحتجون بالسنة ولا يعملون بالأحاديث"[٢].

وعرف د. عادل الغرياني هذه الفرقة، بقوله: "إنها فرقة تتخذ من نصوص الأحاديث النبوية موقف الرفض، أقلهم تشددًا يرفض بعضها، والغلاة منهم يرفضونها جملة وتفصيلاً، وبين الفريقين درجات، وجميعهم يدعو إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم مصدرًا متفردًا للتشريع، ويطلقون على أنفسهم (القرآنيون)، ونقول: بل هم منكرو السنة، والقرآن الكريم منهم براء"[٣].

وعرفهم د. عمر الأشقر: بأنهم: "من نادى بالاقتصار على القرآن وحده ونبذ السنة النبوية، وسمى هؤلاء أنفسهم-زورا وبهتانًا- بالقرآنيين، وكذبوا فلو كانوا قرآنيين لأخذوا بالسنة التي يلزمهم القرآن بالأخذ بها"[٤].

وقال د. محمد سليمان الأشقر: "وقد نبغ بين المسلمين قوم سموا أنفسهم (القرآنيين)، ادّعوا أن الشريعة لا تؤخذ إلاّ من القرآن، وأن المسلمين ليسوا بحاجة إلى السنة"[٥].

قال د. أحمد عمر هاشم: "وسموا أنفسهم بالقرآنيين لأنهم دعوا إلى الاكتفاء

---

(١) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، خادم حسين بخش، ص٩.

(٢) حجية السنة ودحض الشبهات التي تثار حولها، د. الطحان، ص٤٠

(٣) بحث: الجذور التاريخية لمنكري السنة، د. عادل الغرياني، ص١٣٥.

(٤) مجلة مجمع الفقه الإسلامي، لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، (٤/٢٠١٩).

(٥) أفعال الرسول ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر، (٢١/١).

بالقرآن الكريم وحده"[١].

وبعد العرض لطائفة من التعاريف لهذا المصطلح (القرآنيون)، تجدر الإشارة إلى أمور:

الأول: أن الدراسة استعملت هذا المصطلح (القرآنيون) باعتبار شيوعه في الآونة الأخيرة،

ومحاولة منكري السنة النبوية الانتساب إليه[٢]، وإن كان انتسابهم إلى القرآن-في الحقيقة- ظلمًا وزورًا؛ وذلك لما يحمله فكرهم من عداء للقرآن الكريم أولاً، وللسنة النبوية وبقية مصادر الشريعة ثانيًا.

ثانيًا: أن استعمال هذا المصطلح وتبنيه من قبل أتباع هذه الطائفة ليس المراد منه الانتصار للقرآن والدفاع عنه، وإنما يريدون السعي إلى تحقيق أهداف يريدونها، من أهمها:

١-التعمية والتضليل المتعمد لأبناء المسلمين، بحيث يخفون تحت هذا المصطلح ما تنطوي عليه أفكارهم من تآمر على الإسلام ومصادره.

٢-انقياد فئام من المسلمين وراء فكر هذه الطائفة؛ وذلك لما يصوره هذا المصطلح من كون أتباع هذه الطائفة ينتسبون إلى القرآن الذي له المكانة السامية في نفوس المسلمين، فيولد ذلك المصطلح تصورًا حسنًا عن فكر هذه الطائفة،

---

(١) منهج الدفاع عن السنة النبوية، ص١٤٤.

(٢) في الإنترنت يوجد لديهم موقع خاص بهم وأتباعهم، سموه: أهل القرآن (القرآنيين)، عنوانه على الشبكة العنكبوتية: Www. ahl-alquran. com/.

ومن المعلوم أن الحكم على الأفكار والاتجاهات عائد إلى التصور، وفي ذلك قال العلماء: "الحكم على الشيء فرع عن تصوره"[(١)].

٣-أنهم بأخذهم لهذا المصطلح يريدون تنفير المسلمين عن علماء الأمة بشكل خاص، وعن كل مسلم متمسك بالكتاب والسنة بشكل عام، وذلك من خلال إيهام الناس بأنهم ملتزمون بالقرآن، هذا من جانب، ومن جانب آخر يشيرون من طرف خفي إلى أن من عداهم من المسلمين الذين يؤمنون بسنة رسول الله ﷺ ليسوا قرآنيين، وأنهم اشتغلوا بالسنة وتركوا القرآن[(٢)].

٤-أنهم يرون في هذا المصطلح ملاذاً لهم؛ يقطعون من خلاله سبل الاعتراض عليهم من قبل المسلمين؛ لأنه من ذا الذي يعترض على طائفة أعلنت أنها تنتسب إلى القرآن وتستمسك به؟ [(٣)].

ثالثًا: أن مصطلح (القرآنيون) صناعة أعداء الإسلام أوحوا به إلى أذنابهم في البلاد العربية ففرحوا به، وجعلوا منه حيلة يحتالون به على أبناء المسلمين؛ لينشروا أفكارهم-الصادة عن القرآن والإسلام- في أوساطهم.

رابعًا: ومع أن هذه المصطلحات التي دأب أعداء الإسلام على استخدامها كشعار في كثير من دعواته[(٤)]، وما تحمله من أسماء براقة إلا أنها لن تغير شيئًا من

---

(١) ينظر: الأشباه والنظائر، عبد الوهاب السبكي، (٢/٣٨٥)، الأصول من علم الأصول، محمد بن عثيمين، ص٨٣.

(٢) ينظر: التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها، د. محمود مزروعة، ص٢٤٥، ٢٤٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٢٤٦.

(٤) مثل: التنويريون، والعلمانيون، نسبة إلى العلم، والعصريون، والعقلانيون. . ، وغيرها.

الحقائق، قال ابن القيم(١) رحمه الله: "وَلَوْ أَوْجَبَ تَبْدِيلُ الْأَسْمَاءِ وَالصُّوَرِ تَبَدُّلَ الْأَحْكَامِ وَالْحَقَائِقِ لَفَسَدَتْ الدِّيَانَاتُ، وَبُدِّلَتْ الشَّرَائِعُ، وَاضْمَحَلَّ الْإِسْلَامُ، وَأَيُّ شَيْءٌ نَفَعَ الْمُشْرِكِينَ تَسْمِيَتُهُمْ أَصْنَامَهُمْ آلِهَةً، وَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَحَقِيقَتِهَا؟ وَأَيُّ شَيْءٍ نَفَعَهُمْ تَسْمِيَةُ الْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ تَقَرُّبًا إلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ نَفَعَ الْمُعَطِّلِينَ لِحَقَائِقِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ تَسْمِيَةُ ذَلِكَ تَنْزِيهًا؟ "(٢).

خامسًا: ويرى عثمان بن معلم محمود أن هذا الاسم في حقيقته قدح، لا مدح لهم فيه، حيث قال: "ولا يفهمن أحدٌ من تسمية هذه الفرقة بالقرآنيين أنه مدح لهم أو تعبير عن شدّة تمسكهم بالقرآن، كلاّ، بل الواقع أن هذه التسمية آتية لهم من حيث إنهم تنكروا للقرآن ورفضوا ما ثبت فيه من اتباع الرسول ﷺ وطاعته مما نشأ عنه ضلال كبير في تطبيق الأوامر القرآنية فخرجوا بذلك عن جماعة المسلمين، فسمّوا قرآنيين من ذلك الجانب. وهذا له نظير في تسمية فرقة القدرية(٣) إذ سُموا بذلك لا لأنهم أثبتوا القدر وسلّموا له، ولكن من حيث إنهم

---

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: الحنبلي، العلامة الكبير، المجتهد المطلق، المصنف المشهور، ولد بدمشق، سنة (٦٩١هـ)، وتوفي فيها، سنة (٧٥١هـ)، تتلمذ علي يد شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، ألف التصانيف الكثيرة، منها: إعلام الموقعين، أمثال القرآن، التبيان في أقسام القرآن، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، وغيرها. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (١/ ٤٨٠)، ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، (٥/ ١٧٠)، البدر الطالع، (٢/ ١٣٧).

(٢) إعلام الموقعين، (٣/ ٩٦).

(٣) الْقَدَرِيَّة: هم نفاة القدر؛ فإن القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه، كما سميت المرجئة لنفيهم =

أنكروه ونفوه"[١].

وأخيرًا، وبعد هذه الوقفات مع هذا المصطلح، يمكن تعريفهم بأنهم: عبارة عن مذهب فكري معادٍ للإسلام، يسعون إلى حمل الناس على رفض السنة النبوية، وإبعادها عن حياتهم، كخطوة أولى تمكنهم من الوصول إلى القرآن والعبث في تفسيره والأحكام الشرعية الواردة فيه.

ثانيًا: تعريف التفسير[٢].

في اللغة: التفسير: تفعيل من الفسر، "الْفَاءُ وَالسِّينُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى بَيَانِ شَيْءٍ وَإِيضَاحِهِ. مِنْ ذَلِكَ الْفَسْرُ، يُقَالُ: فَسَرْتُ الشَّيْءَ وَفَسَّرْتُهُ. وَالْفَسْرُ وَالتَّفْسِرَةُ: نَظَرُ الطَّبِيبِ إِلَى الْمَاءِ وَحُكْمُهُ فِيهِ"[٣].

=

الإرجاء، وقد جاء في الحديث: (لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الّذين يَقُولُونَ لَا قــدر)، وَقــد ظَهرت بِدعَة الْقدر بشكل وَاضح فِي أَوَاخِر زمن الصَّحَابَة، قال الأوزاعي: "أول من تكلم بالقدر في البصرة رجل من أهل العراق، يقال له: سوسن، كان نصرانيًا فأسلم، ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد"، وَحَاصِل قَوْلهم فِي الْقدر: هُوَ إِنْكَار علم الله السَّابِق بالحوادث، وَأَن العَبْد هُوَ الَّذِي يخلق فعل نَفسه، فأثبتوا بذلك مَعَ الله خَالِقًا آخر، وهم ضد الجبرية، وَيــرى الشهر ستاني: أَن الْقَدَرِيَّة من أَلقاب الْمُعْتَزلَة. ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ص٥٢٤، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، ابن أبي الخير العمــراني، (٢/ ٤٩٦)، بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، (٢/ ٥٨٨)، الملل والنحل، الشهر ستاني، (١/ ٤٢).

(١) شبهات القرآنيين، عثمان بن معلم محمود بن شيخ علي، ص٤.

(٢) تعريف التفسير تناوله كثير من العلماء والباحثين في الدراسات القرآنية؛ لذلك سيتناوله الباحث بإيجاز.

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤/٥٠٤).

وقيل: هو مأخوذ من قولهم: فسَرْت الحديث، أفسُرُهُ فسرًا، إذا بينته وأوضحته، وفسَّرتُهُ تفسيرًا: كذلك(١).

"والأشهر في الاستعمال: فسَّرَ تفسيرًا، بتشديد حرف السين في الماضي، وبه جاء القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣]"(٢).

وفي الاصطلاح: عرف العلماء التفسير تعريفات متعددة، منها:

تعريف ابن جُزَيّ الكلبي(٣)، قال: "معنى التفسير: شرحُ القرآنِ، وبيانُ معناه، والإفصاحُ بما يقتضيه بنصِّه أو إشارته أو نجواه"(٤).

وعرفه أبو حيان(٥)، فقال:"التفسير: علمٌ يُبحثُ فيه عن كيفية النطق بألفاظ

---

(١) جمهرة اللغة، ابن دريد، (٧١٨/٢).

(٢) التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د. مساعد الطيار، ص٢٠.

(٣) محمد بن أحمد بن محمد، ابن جُزَيّ الكلبي، أبو القاسم، من أهل غرناطة، ولد سنة (٦٩٣هـ)، وتوفي سنة (٧٤١هـ). كان فقيهًا مالكيًا حافظًا، ألف عدة كتب، منها: التسهيل لعلوم التنزيل، البارع في قراءة نافع، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، وغيرها. ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، (٣/ ١٠)، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لسان الدين بن الخطيب، ص٤٦، تاريخ قضاة الأندلس، للمالقي الأندلسي، ص١٧٧، الديباج المذهب، ابن فرحون، ص٢٩٥.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، (١٥/١).

(٥) محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الغرناطي، الأندلسي، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة، سنة (٦٥٤هـ)، ورحل إلى مالقة. وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفى فيها، سنة (٧٤٥هـ)، له تصانيف كثيرة، منها: البحر المحيط في تفسير القرآن، تحفة الأريب في غريب القرآن، ومنهج السالك في الكلام =

القرآن، ومدلولاتِها، وأحكامِها الإفراديّة، والتركيبيّة، ومعانيها التي تُحملُ عليها حال التركيب، وتتماتُ ذلك"[١].

وعرفه الزركشي[٢]، بقوله: "علم يُعرف به فهم كتاب الله المتزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامِه وحِكَمِهِ"[٣].

وقال في موضع آخر: "هو علم نزول الآية وسورها وأقاصيصها، والإشاراتِ النازلةِ فيها، ثم ترتيب مكيّها ومدنيّها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها، ومطلقها ومقيّدها، ومجملها ومفسرها"[٤].

وعرفه محمد الطاهر بن عاشور[٥]، بقوله: "هو اسم للعلم الباحث عن بيان

=

على ألفية ابن مالك. ينظر: المعجم المختص بالمحدثين، الذهبي، ص٣٦٧، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الذهبي، ٣٨٧، فوات الوفيات، محمد بن شاكر، (٤/٧١)، الإحاطة في أخبار غرناطة، مرجع سابق، (٣/٢٨).

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، (١/٢٦).

(٢) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: العلامة المصنف المحرر. ولد بمصر، سنة (٧٤٥هـ)، وتوفي بها، سنة (٧٩٤هـ). له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها: البرهان في علوم القرآن، التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح، البحر المحيط في أصول الفقه، وغيرها. ينظر: طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، (٣/ ١٦٧)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر، (٥/ ١٣٣)، شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، (٦/ ٣٣٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (١/١٣).

(٤) المرجع السابق، (٢/١٤٨).

(٥) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. ولد

=

معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع"[١].

وعرفه الشيخ ابن عثيمين[٢]، بقوله: "بيان معاني القرآن الكريم"[٣].

وبعد العرض للمعنى اللغوي والاصطلاحي للتفسير، يكون تعريف الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله- أوضحها وأوجزها؛ لكونه واردًا في التعاريف السابقة نصًا أو لزومًا[٤].

=

سنة (١٢٩٦ه)، وتوفي سنة (١٣٩٣ه). عين عام (١٩٣٢م) شيخًا للإسلام مالكيًا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات، منها: التحرير والتنوير (في التفسير)، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، وغيرها. ينظر: الأعلام، الزركلي، (٦/ ١٧٤)، معجم المؤلفين المعاصرين، (٦٢٨/٢)، الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات، رسالة ماجستير، محمد القرني، ص١٠، أثر الدلالات اللغوية عند الطاهر بن عاشور، رسالة دكتوراه، مشرف الزهراني، ص١٣.

(١) التحرير والتنوير، (١١/١).

(٢) محمد بن صالح بن محمد عثيمين الوهيبي التميمي، فقيه حنبلي مجتهد، ولد في عنيزة بمنطقة القصيم، سنة (١٣٤٧ه)، حفظ القرآن الكريم في صغره، ثم اتجه إلى طلب العلوم الشرعية والعربية على أيدي كثير من العلماء المتخصصين، حتى أصبح من مشاهير العالم الإسلامي، امتاز الشيخ بالعلم الغزير، والفهم الواضح للدين، عقيدة وشريعة، والأسلوب الجيد في العرض واتباع الحكمة في أسلوب الدعوة، ترك الشيخ آثارًا علمية كثيرة، منها: تفسير القرآن الكريم، أصول في التفسير، شرح رياض الصالحين، وغيرها. حاز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، عام (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، توفي سنة (١٤٢١ه/ ٢٠٠١م). ينظر: معجم المؤلفين المعاصرين، (٦١٨/٢)، الموسوعة العربية العالمي www. mawsoah. net، وترجمة الشيخ على موقعه على الإنترنت: www. binothaimeen. com

(٣) أصول في التفسير، محمد بن صالح العثيمين، ص٢٣.

(٤) ينظر: معجم مصطلحات علوم القرآن، د. محمد بن عبد الرحمن الشايع، ص٦٠، استدراكات السلف في التفسير في القرون الثلاثة الأولى، نايف الزهراني، ص٢٧.

الباب الأول
طائفة القرآنيين

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الجذور التاريخية لطائفة القرآنيين، وأبرز رجالها.

الفصل الثاني: أسباب ظهور طائفة القرآنيين وأفكارهم وأهدافهم.

الفصل الثالث: علاقة القرآنيين بالمستشرقين والعلمانيين، وأثر ذلك في كتاباتهم.

الفصل الأول

الجذور التاريخية لطائفة القرآنيين، وأبرز رجالها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بداية الظهور.

المبحث الثاني: القرآنيون في العصر الحاضر.

المبحث الثالث: أشهر القرآنيين الذين خاضوا في التفسير وأبرز مؤلفاتهم.

المبحث الأول: بداية الظهور

أولاً: القرن الأول الهجري.

زمن الرسول ﷺ:

إن القارئ لتاريخ الإسلام يدرك أنه منذ بزوغ شمسه قد تعرض إلى حملات شرسة من قبل أعدائه، فتعرض للكيد والتشكيك والمصادمة والتشويه؛ وذلك لتغيير مساره، وعرقلة طريقه، والانحراف به عن الوجهة الربانية المراد منه بلوغها.

ففي زمن رسول الله ﷺ ظهرت أطياف مختلفة من أعدائه، فمنهم: المشرك، واليهودي(١)، والنصراني(٢)، والمنافق-وكان أشدهم ضررًا، وأخبثهم كيدًا على

---

(١) اليهود: وهم أمة موسى عليه السلام وسموا يهودًا لميلهم، وهو رجوعهم من شيء إلى شيء، والهود الميل، وقيل: لأنهم من ولد يهوذا بن يعقوب عليه السلام وقد ذكر الله-تعالى-في القرآن من اعتقادهم ما دل على كفرهم، كقولهم: عزير ابن الله، وقولهم هم والنصارى: (نحن أبناء الله وأحباؤه)، وغير ذلك مما نزل به القرآن. ينظر: البرهان في عقائد أهل الأديان، السكسكي، ص٧٥، الموجز في الأديان، ناصر القفاري، ناصر العقل، ص١٨.

(٢) النصارى: ينسبون إلى قرية بالأردن تسمى ناصرة؛ لأنها كانت بدء خروجهم منها، ويقال: إلى قرية بالشام اسمها نصرويه، وهم من قوم عيسى عليه السلام وهم فرق عظيمة، منهم خمس: الملكانية، وهم يقولون: إن اتحاد الله-تعالى-بعيسى كان باقيا حالة صلبه، الثانية: النسطورية، الثالثة: اليعقوبية، وهم يقولون: إن روح الباري اختلط ببدن عيسى عليه السلام اختلاط الماء باللبن، الرابعة: الفرفوريوسية: وهم أتباع فوفوريوس الفيلسوف، وقد أخرج أكثر دين النصارى على قواعد الفلسفة، الخامسة الأرمنوسية، يقولون: إن الله-تعالى-دعا عيسى ابنًا على سبيل التشريف. ينظر: اعتقادات فرق المسلمين، الرازي، ص ٨٦، البرهان في عقائد أهل الأديان، مرجع سابق، ص =

الإسلام- فكانوا يبذلون الجهود الكبيرة، ويطرحون الشبهات الكثيرة؛ لعرقلة مسيره، وإطفاء نوره، فكانت تلك الشبهات والاعتراضات التي طرحت هي البذور الأولى لما جاء بعدها من الفرق والضلالات، كما قرره الشهرستاني[(١)]، حيث قال: "وكما قررنا أن الشبهات التي وقعت في آخر الزمان هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في أول الزمان، كذلك يمكن أن نقرر في زمان كل نبي ودور صاحب كل ملة وشريعة: أن شبهات أمته في آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والملحدين، وأكثرها من المنافقين، وإن خفي علينا ذلك في الأمم السالفة؛ لتمادي الزمان، فلم يخف في هذه الأمة أن شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقي زمن النبي-عليه الصلاة والسلام؛ إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى، وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى، وسألوا عما منعوا من الخوض فيه، والسؤال عنه، وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه"[(٢)].

من خلال ما سبق ذكره، يمكن استنتاج أن تاريخ إنكار السنة النبوية يكاد

=

٧٨، الموجز في الأديان، مرجع سابق، ص٦٣.

(١) محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني: الفيلسوف المتكلم، ولد في شهرستان، سنة (٤٧٩هـ)، وتوفي بها، سنة (٥٤٨هـ)، كان يتهم بالإلحاد والتشيع الغالي، له تصانيف، منها: الملل والنحل، ونهاية الإقدام في علم الكلام، والإرشاد إلى عقائد العباد، وغيرها. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٢٠/٢٨٦)، طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، (١/٣٢٣)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، (٤/١٤٩).

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني، (١/٢٠).

يواكب إنكار الرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، "فالكفر بسنته -عليه الصلاة والسلام- هو قرين الكفر برسالته، فهما أمران متقاربان زمانًا متساويان مترلة، ويكادان يكونان متماثلين حكمًا، ولا يختلفان إلا باعتبار أن ثمة كفرًا دون كفر، وإلا فإنكار سنة رسول الله ﷺ وجحدها كفر، كما أن إنكار رسالته كفر"[١].

وقد ابتلي الإسلام في مصدره الثاني(السنة النبوية) منذ عهد النبيﷺفظهر من ينكر السنة أو يعارضها أو يردها بمحض رأيه، واتباعًا لنفسه وهواه، ومن حاول التزهيد فيها، وصد الناس عن كتابتها، بدافع من الجهل عن مكانتها ومترلتها، فكان من أعلام نبوته ﷺ، ودلائل صدق رسالته أن حذر أمته من سلوك طريق هذه الفتنة، وبين لهم ما يحتويه هذا الفكر من الزيغ والضلال، والبعد عن منهج الإسلام، فقد جاء عنه ﷺ أنه قال: (لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي! مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ)[٢]. قال البيهقي[٣]رحمه الله: "وهذا خبر من رسول الله ﷺ عما يكون

(١) التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها، د. محمود مزروعة، ص٢٤٣. بحث: الجذور التاريخية لمنكري السنة النبوية وأماكن انتشارهم، د. عادل بن محمد الغرياني، ص١٣٧.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود، برقم، (٤٦٠٧)، (٣٢٩/٤)، والترمذي، برقم، (٢٦٦٣)، (٣٧/٥)، ابن ماجة، برقم، (١٣)، (٩/١)، مسند الإمام أحمد، برقم، (٢٣٨٧٦)، (٣٠٢/٣٩). قال الشيخ الألباني: الحديث صحيح. ينظر: مشكاة المصابيح، برقم، (١٦٢)،(٥٧/١).

(٣) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، الفقيه الشافعي، كان من أئمة الحديث. ولد، سنة (٣٨٤ ه)، وتوفي، سنة(٤٥٨هـ)، قال الذهبي: "صنف زهاء ألف جزء، منها: السنن الكبرى، والأسماء والصفات، ودلائل النبوة، وغيرها. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، =

بعده من رد المبتدعة حديثه، فوجد تصديقه فيما بعد"[١]. إذ ظهر في الأمة طوائف تنكر السنة النبوية كلها أو بعضها بدعوى الاستغناء عنها بالقرآن الكريم.

بيد أن هذا الفكر في زمن النبي ﷺ لم يكن منهجًا يسير عليه جماعة من الناس في ذلك الوقت، بل كان عبارة عن مواقف فردية نادرة لا تشكل منهجًا عامًا يُسار عليه، فهي حالات شاذة ونادرة لا عبرة بها، فقد بقي الوضع صافيًا في زمن النبي ﷺ حيث كان جميع الصحابة ﷺ منقادين لرسول الله ﷺ طائعين ومسلِمين لسنته، ولكن يمكن اعتبار تلك المواقف النادرة قد مثَّلت البداية الأولى لفكر طائفة منكري السنة التي أصبحت في عصرنا الحاضر مدرسة لها فكر وقواعد تسير عليه.

ومن تلك المواقف التي يمكن اعتبارها البداية في عهد المصطفى ﷺ: ما روي أن أعرابيًا جاهلاً وقف بين يدي رسول الله ﷺ معترضًا على حكمه في قسمة مال جاءه من اليمن، وقد بين الصحابة وصف ذلك الرجل، فقالوا: (رَجُلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، قَالَ: (وَيْلَكَ، أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الأَرْضِ أَنْ

=

(٨/٤)، وفيات الأعيان، ابن خلكان، (١/٧٥)، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (١٨/١٦٣)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ابن نقطة الحنبلي، ص١٣٧.

(١) دلائل النبوة، البيهقي، (١/٢٥).

يَتَّقِيَ اللَّهَ)[١].

وفي لفظ: (فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عَدَلْتَ؟ فَقَالَ: وَيْلَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟)[٢].

وفي هذا الرد خروج صريح واعتراض لحكمه وسنته-عليه الصلاة والسلام، فهذا حكم بالهوى في مقابلة النص النبوي، واستكبار على الأمر بقياس العقل البشري، فكانت آفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ، ولا حكم إلا ما حكم به، ومضت عليه سنته ﷺ[٣].

فيكون ذلك الرد لقضائه ﷺ رد لسنته ﷺ، فإنه من رد قضاءه فقد رد سنته؛ لأن هذا القضاء سنة من رسول الله ﷺ لا حكم منصوص في القرآن[٤].

ومن ذلك ما روي في سبب نزول الآية الكريمة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. فعن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ[٥]، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بن الزُّبَيْرِ[٦]، حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلاً مِنَ

---

(١) رواه البخاري، برقم (٤٠٩٤)، (١٥٨١/٤)، ومسلم، برقم(١٠٦٤)، (٧٤١/٢).

(٢) رواه البخاري، برقم (٥٨١١)، (٢٢٨١/٥).

(٣) ينظر: الملل والنحل، مرجع سابق، (٢٠/١)، تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص٨٢.

(٤) ينظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، السيوطي، ص١٧.

(٥) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، أبو عبد الله: أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، ولد سنة (٢٢ه)، كان عالمًا، صالحًا، متفقهًا في الدين، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، لم يدخل في شيء من الفتن. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين، وعاد إلى المدينة، فتوفي فيها، سنة (٩٣ه). ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، (١٣٦/٥)، التاريخ الكبير، ابن أبي خيثمة، (١٤١/٢)، الثقات، ابن حبان، (١٩٤/٥)، طبقات الفقهاء، الشيرازي، ص٥٨.

(٦) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، يكنى أبا عبد الله، حواري رسول الله ﷺ، أمه =

الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: سَرِّحِ الْمَاءَ يَمُرُّ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ، فَاخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: (يَا زُبَيْرُ اسْقِ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ)، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥][1] فكما هو معلوم أن رد حكم النبي ﷺ هو رد للسنة النبوية؛ إذ إن هذا "القضاء سُنَّة من رسول الله، لا حكم منصوص في القرآن"[2]، فأقضيته ﷺ جزء من سنته، ولكن الرسول ﷺ قد تجاوز عن ذلك الأنصاري، وعفا عنه زلته لما يعلم منه ﷺ من صحة يقينه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية[3]: "ومن هذا

=

صفية بنت عبد المطلب، هاجر الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة، وشهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها، استشهد سنة(٥٣٦). ينظر: معجم الصحابة، ابن قانع، (٢٢٣/١)، الاستيعاب، ابن عبد البر، (٥١٠/٢)، الطبقات الكبرى، (٧٤/٣)، طبقات خليفة بن خياط، (٤٣/١).

(١) صحيح البخاري، برقم، (٢٢٣١)، (٨٣٢/٢)، صحيح مسلم، برقم، (٢٣٥٧)، (١٨٢٩/٤).

(٢) الرسالة، الإمام الشافعي، ص٨٢، أحكام القرآن للشافعي، جمع أبي بكر البيهقي، (٣٠/١)، معرفة السنن والآثار، أبو بكر البيهقي، (١٠٦/١).

(٣) شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي، تقي الدين، أبو العباس، الإمام المحقق، الحافظ المفسر، الأصولي، الأديب، النحوي، المعروف بابن تيمية، ولد، سنة (٦٦١ ٥)، وتوفي وهو سجين في قلعة دمشق، سنة(٥٧٢٨)، من كبار أئمة السلف، امتحن وأوذي مرات عديدة، له تصانيف كثيرة نافعة، منها: الفتاوى، الفرقان بين أولياء الله وأولياء

=

الباب قول القائل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، وقول الآخر: اعدل فإنك لم تعدل، وقول ذلك الأنصاري: أن كان ابن عمتك، فإن هذا كفر محض، حيث زعم أن النبي ﷺ إنما حكم للزبير؛ لأنه ابن عمته، ولذلك أنزل الله-تعالى- هذه الآية، وأقسم أهم لا يؤمنون حتى لا يجدوا في أنفسهم حرجًا من حكمه، وإنما عفا عنه النبي ﷺ كما عفا عن الذي قال: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، وعن الذي قال: اعدل فإنك لم تعدل، وقد ذكرنا عن عمر ﷺ أنه قتل رجلاً لم يرضَ بحكم النبي ﷺ فترل القرآن بموافقته، فكيف بمن طعن في حكمه"[1].

وقال النووي[2] رحمه الله: "قال العلماء: ولو صدر مثل هذا الكلام الذي تكلم به الأنصاري اليوم من إنسان من نسبته ﷺ إلى هوى كان كفرًا، وجرت

=

الشيطان، الصارم المسلول على شاتم الرسول، وغيرها. ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (٣٠٣/١٣)، شذرات الذهب، عبد الحي الحنبلي، (٨٠/٦)، معجم المحدثين، الذهبي، ص١١، العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ابن عبد الهادي الحنبلي، ص٢٤.

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص٥٢٨.

(٢) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، علامة بالفقه والحديث. ولد بنوى (من قرى حوران، بسورية)، وإليها نسبته، سنة(٥٦٣١) ووفاته بها سنة (٥٦٧٦). له مصنفات كثيرة، منها: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ورياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تهذيب الأسماء واللغات، وغيرها. ينظر: المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي، السخاوي، ص١٠، طبقات الشافعية الكبرى، (٣٩٦/٨)، طبقات الشافعيين، ابن كثير، ص٩٠٩، المعين في طبقات المحدثين، الذهبي، ص٢١٥، المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي، السيوطي، ص٢٥.

على قائله أحكام المرتدين، فيجب قتله بشرطه، قالوا: وإنما تركه النبي ﷺ لأنه كان في أول الإسلام يتألف الناس، ويدفع بالتي هي أحسن، ويصبر على أذى المنافقين، ومن في قلبه مرض"(١).

وقال ابن العربي(٢): "كل من اتهم رسول الله ﷺ في الحكم فهو كافر، لكن الأنصاري زل زلة فأعرض عنه النبي ﷺ- وأقال عثرته لعلمه بصحة يقينه، وأنها كانت فلتة، وليست لأحدٍ بعد النبي ﷺ"(٣).

فمن خلال النصوص-السابقة- يتبين أهمية الاحتكام إلى رسول الله ﷺ والرضى بحكمه، فيما أمر وشرع، سواء كان هذا الحكم في حياته، أم كان موجودًا في سنته بعد وفاته، وأن الرفض والرد له أمرٌ عظيم، فقد حكم عليه علماء المسلمين بالكفر، فهو أمر لا يخرج من مسلم، وهذه الحالات النادرة التي بدرت من بعض الصحابة كان أمرها مرجوعاً إلى الرسول ﷺ فعفا عن

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، (١٥٨/١٥).

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي: القاضي، المفسر، كان من حفاظ الحديث، ولد في إشبيلية، سنة(٤٦٨)، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وصنف كتبًا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ، منها: أحكام القرآن، العواصم من القواصم، عارضة الأحوذي في شرح الترمذي، وغيرها، ولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، سنة(٥٤٣). ينظر: تاريخ قضاة الأندلس، أبو الحسن المالقي الأندلسي، ص١٠٥، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، مرجع سابق، (٢٥٢/٢)، طبقات المفسرين، السيوطي، ص٤٦٨.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي، (٥٧٨/١).

بعضهم وتجاوز؛ لعلمه أنها زلة لسان منهم[١]، وأما ما وقع فيه ذو الخويصرة[٢]، فقد أخبر الرسول ﷺ بمآل فكره وشطط رأيه، بأن قال ﷺ: (دَعْهُ فَإِنَّ هَذَا مَعَ أَصْحَابٍ لَهُ-أَوْ فِي أَصْحَابٍ لَهُ-يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ)[٣].

زمن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين:

وقد بدأت بذور هذا الرأي[٤] في عصر الصحابة رضي الله عنهم وذلك من خلال مواقف بعض الأفراد، ولم يكتب له الانتشار والظهور-كما حصل فيما بعد- وهذا بفضل الله، ثم بفضل جهود السلف من الصحابة والتابعين الذين هيأهم الله لحفظ السنة وتبليغها للأمة، فكانوا لأقوالهم بالمرصاد، يبددون ظلماتها بنور

---

(١) اختلف العلماء في الرجل الذي خاصم الزبير -رضي الله عنه-، هل هو من مؤمني الأنصار أم كان منافقاً على أقوال، أقواها-من وجهة نظر الباحث- ما حكم عليه الدَّاوُدِيُّ: بأنه كان منافقًا، وقد وافقه على رأيه هذا عدة من أهل العلم، ينظر في بيان ذلك: إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، القاضي عياض، (١٦٢/٧)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، (١٠٧/٨)، شرح سنن ابن ماجة، السيوطي، ص٤.

(٢) حرقوص بن زهير السعدي، كان مع الخوارج لما قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب-رضي الله عنه، فقتل يومئذ سنة (٣٧ه)، قال ابن حجر: "وذكر بعض من جمع المعجزات: أنّ النبي ﷺ قال: (لا يدخل النّار أحد شهد الحديبيّة إلّا واحد). فكان هو حرقوص بن زهير. فاللّه أعلم". ينظر: غوامض الأسماء المبهمة، ابن بشكول، (٥٤٥/٢)، أسد الغابة في تمييز الصحابة، (٧١٤/١)، الإصابة في تمييز الصحابة، (٤٤/٢).

(٣) رواه البخاري، برقم (٣٤١٤)، (١٣٢١/٣)، ومسلم، برقم (١٠٦٤)، (٧٤٤/٢).

(٤) الاعتراض على السنة أو ردها.

الحق(١)، وقد دل على ظهور بوادر هذا الفكر في زمن الصحابة دلائل، مع التنبيه، أنها لم تأخذ المنحى الفكري الموجه، بل كانت عبارة عن شبهات عارضة، سرعان ما رجع أصحابها، منها:

- عن عبد الله بن مسعود(٢) ﷺ، قال: "لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ» فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ، قَالَ: فَاذْهَبِي فَانْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ، فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا، فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا"(٣).

(١) ينظر: السنة في مواجهة الأباطيل، محمد طاهر الحكيم، ص٢٦، بحث: أضواء على مذاهب الذين رفضوا السنة، د. الأشقر، ص٢١، تدوين السنة النبوية، د. محمد بن مطر الزهراني، ص٤٨، ٥٥.

(٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: الصحابي الجليل، الإمام الحبر، كان من أكابر الصحابة، فضلاً، وعقلاً، وعلمًا، ومن أوائل السابقين إلى الإسلام، وكان خادم رسول الله الأمين، توفي سنة(٣٢هـ). ينظر: الطبقات الكبرى، (١١١/٣)، المحبر، محمد بن حبيب البغدادي، ص٢٧٨، سير أعلام النبلاء، (٤٦١/١)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (٩٨٧/٣).

(٣) صحيح البخاري، برقم (٤٦٠٤)، (١٨٥٣/٤)، صحيح مسلم، برقم (٢١٢٥)، (١٦٧٨/٣)، وهذا لفظ الإمام مسلم.

- وعن الحسن البصري[١] -رحمه الله تعالى- أن عمران بن حصين[٢] رضي الله عنه كان جالسًا ومعه أصحابه يحدثهم، فقال: رجل من القوم لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال له عمران بن حصين: ادنه، فدنا، فقال: أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعًا، وصلاة العصر أربعًا، والمغرب ثلاثًا، تقرأ في اثنتين، أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد الطواف بالبيت سبعًا، والطواف بالصفا والمروة، ثم قال: أي قوم، خذوا عنا؛ فإنكم والله إن لا تفعلوا لتضلن[٣].

وفي رواية أخرى: أن رجلاً قال لعمران بن حصين: مَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تُحَدِّثُونَاهَا وَتَرَكْتُمُ الْقُرْآنَ؟ قال: أرأيت لو أبيت أنت وأصحابك إلا القرآن، من أين كنت تعلم أن صلاة الظهر عدها كذا وكذا، وصلاة العصر عدها كذا، وحين وقتها كذا، وصلاة المغرب كذا؟ والموقف بعرفة، ورمي الجمار كذا؟ واليد من أين تقطع؟ أمن هنا أم هاهنا أم من هاهنا؟ ووضع يده على مفصل

(١) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: الفقيه الزاهد العابد، سيد التابعين، ولد بالمدينة، سنة(٢١هـ)، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. توفي بالبصرة، سنة(١١٠هـ). ينظر: تسمية فقهاء الأمصار، أحمد بن شعيب النسائي، ص١٢٩، ميزان الاعتدال، الذهبي، (٥٢٧/١)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، الجندي، (١٢٥/١).

(٢) عمران بن حصين بن عبيد، أبو نجيد الخزاعي: القدوة الإمام، صاحب رسول الله ﷺ كان من علماء الصحابة. أسلم قديمًا، وبعثه عمر -رضي الله عنه- إلى أهل البصرة ليفقههم، توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه، سنة(٥٢هـ). ينظر: المعارف، ابن قتيبة، ص٣٠٩، طبقات خليفة بن خياط، ص١٧٩، التاريخ الكبير، البخاري، (٤٠٨/٦).

(٣) الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، ص١٥.

الكف، ووضع يده عند المرفق، ووضع يده عند المنكب. اتبعوا حديثنا ما حدثناكم، وإلا والله ضللتم[١].

– وعن أيوب السختياني[٢] أن رجلاً قال لمطرف بن عبد الله بن الشخير[٣]: لا تحدثونا إلا بالقرآن. فقال له مطرف: والله ما نريد بالقرآن بدلاً؛ ولكنا نريد من هو أعلم بالقرآن منا[٤].

– وعن الأوزاعي[٥]، قال: قال أيوب السختياني[٦]: إذا حدثت الرجل

(١) المرجع السابق، ص١٥، جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، (٢/٣٦٨).

(٢) أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري، أبو بكر: سيد فقهاء عصره. تابعي، كان ثقة ثبتًا ورعًا يستر حاله، من حفاظ الحديث. ولد سنة(٦٦هـ)، وتوفي سنة(١٣١هـ). ينظر: الثقات، ابن حبان، (٦/٥٣)، المنتظم في أخبار الملوك والأمم، مرجع سابق، (٧/٢٨٨)، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، ابن حبان، ص٢٣٧.

(٣) مطرف بن عبد الله بن الشخير العمرى، أبو عبد الله، من كبار التابعين، ثقة، عابد، فاضل، قال العجلي: لم ينج بالبصرة من فتنة ابن الأشعث إلا رجلان: مطرف وابن سيرين، مات سنة (٩٥هـ). ينظر: معرفة الثقات، العجلي، (٢/٢٨٢)، طبقات خليفة بن خياط، ص٣٣٧، الكنى والأسماء، الإمام مسلم، (١/٤٦٨).

(٤) جامع بيان العلم وفضله، مرجع سابق، (٢/٣٦٨).

(٥) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، أبو عمرو: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، قال عبد الرحمن بن مهدي: ما كان أحد بالشام أعلم بالسنة من الأوزاعي. ولد سنة(٨٨هـ)، وتوفي سنة(١٥٧هـ). ينظر: طبقات الفقهاء، ابن منظور، ص٧٦، رجال صحيح مسلم، ابن منجويه، (١/٤١٢)، وفيات الأعيان، ابن خلكان، (٣/١٢٧).

(٦) سبق التعريف به.

بالسُّنَّة، فقال: دعنا من هذا، وحدثنا من القرآن، فاعلم أنه ضالٌّ مضلٌّ[١]. وفي لفظ: (فقال: دعنا من هذا، حسبنا القرآن)[٢].

- وعن زيد بن أرقم[٣] ﷺ قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ عُبَيد اللَّهِ بن زِيَادٍ[٤]، فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ: مَا أَحَادِيثُ تُحَدِّثُ بِهَا وَتَرْوِيهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا نَجِدُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ تُحَدِّثُ أَنَّ لَهُ حَوْضًا فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: قَدْ حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوَعَدَنَاهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ شَيْخٌ قَدْ خَرِفْتَ. قَالَ: إِنِّي قَدْ سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)، وَمَا كَذَبْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)[٥].

---

(١) الكفاية في علم الرواية، ص١٦، معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري، ص٦٥.

(٢) ذم الكلام وأهله، الهروي، (١٤٣/٢).

(٣) زيد بن أرقم بن قيس الخزرجي الأنصاري: صحابي جليل، غزى مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة، مات بالكوفة، سنة(٥٦٨). ينظر: معرفة الصحابة، أبو نعيم، (١١٦٦/٣)، تهذيب الكمال، المزي، (٩/١٠)، العبر في خبر من غبر، الذهبي، (٥٤/١)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (٥٣٥/٢).

(٤) عبيد الله بن زياد بن أبيه، أبو حَفْص، أمير العراق، ولي البصرة سنة(٥٥٥)، وقال الذهبي في وصفه: "كان جميل الصورة قبيح السريرة"، وقال أيضًا: "الشيعي لا يطيب عيشه حتى يلعن هذا ودونه، ونحن نبغضهم في الله، ونبرأ منهم، ولا نلعنهم، وأمرهم إلى الله"، قتل سنة(٥٦٦). ينظر: سير أعلام النبلاء، (٥٤٥/٣)، الوافي بالوفيات، (٢٤٥/١٩).

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، برقم(١٩٢٨٥)، (٣٦٦/٤)، مسند البزار، برقم (٤٣٣٥)، (٢٣٩/١٠)، المعجم الكبير، الطبراني، برقم (٤٨٨١)، (١٠٩/٥)، المستدرك على الصحيحين، برقم (٢٥٨)، (١٤٩/١)، قال الهيثمي: رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْبَزَّارُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، برقم (٦٢٧)، (١٤٤/١).

ومن ذلك ما قَالَه أُمَيَّةُ بن خَالِدٍ(١) لِعَبْدِ الله بن عُمَرَ(٢): إِنَّا نَجدُ صَلَاةَ الْحَضَرِ، وَصَلَاةَ الْخَوْفِ فِي الْقُرْآنِ، وَلَا نَجدُ صَلَاةَ السَّفَرِ فِي الْقُرْآنِ، يَعْنِي صَلَاةَ الرُّبَاعِيَّةَ رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: يَا أَخِي إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ وَلَا نَعْلَمُ شَيْئًا فَإِنَّمَا نَفْعَلُ كَمَا رَأَيْنَا مُحَمَّدًا ﷺ يَفْعَلُ)(٣).

ومن خلال النصوص السابقة يتبين لنا أمور، منها:

١- في حديث ابن مسعود ﷺ قد يكون الدافع للمرأة الأسدية إلى ذلك الاعتراض ليس نتيجة فكر تحمله، أو آراء تؤمن بها، ولكن لعله نتيجة لكثرة قراءها للقرآن والجهل بآياته وأحكامه، ولم تتنبه لأهمية السنة النبوية في تبيين القرآن الكريم، فأدى بها الأمر إلى ما كان منها، وهذه نتيجة طبيعية لمن فصل

---

(١) أمية بن عَبْدِ اللَّهِ بن خَالِدِ بن أُسَيْدٍ بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس. كان قليل الحديث، روى عن ابن عمر، استعمله عبد الملك بن مروان على خراسان، توفي سنة (٨٦هـ). ينظر: الطبقات الكبرى، (٢٨/٦)، التاريخ الكبير، (٧/٢)، الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، (١٨/٥).

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن: الصحابي الجليل، العالم، الفقيه، القدوة، كان من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ ولد بمكة سنة(١٠ ق. هـ)، نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، كان آخر من توفي بمكة من الصحابة، سنة (٧٣هـ)، وقيل: ٧٤هـ. ينظر: التاريخ الكبير، الإمام البخاري، (٢/٥)، تاريخ الإسلام، الذهبي، (٢٦٨/٥)، الاستيعاب، (٩٥٠/٣).

(٣) مسند الإمام أحمد، برقم، (٥٦٨٣)، (٤٩٥/٩)، صحيح ابن خزيمة، برقم (٩٤٦)، (٧٢/٢)، صحيح ابن حبان، (١٤٥)، (٣٠١/٤)، قال الأعظمي في تعليقه على صحيح ابن خزيمة: إسناده صحيح.

بين الأصلين، وفرق بين المتلازمين.

٢- وأما الرجل الذي اعترض على عمران بن الحصين، فكان يحمل هذا الفكر(إنكار السنة)، ويلتقي معه فيه آخرون، بدليل أن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال له: (أنت وأصحابك)، فكأن عمران بن حصين سمع ما يردده هو وأصحابه ممن حمل هذا الفكر فرد عليهم، وأبان عن ضلالهم إن سلكوا هذ المنهج في إقصاء السنة النبوية عن بيان معاني الأحكام القرآنية.

٣- ومن أثر عمران بن حصين يمكن استنباط أمر آخر، وهو أن هذا الفكر كان في طوره الأول، طور النشأة، حيث إنه لم يكن له تأثير على صاحبه، و لم تتوغل شبهاته في قلبه، وبرهان ذلك أن صاحبه سرعان ما آب إلى رشده، وعاد إلى صوابه، وقال لعمران -معترفًا بفضله-: "أحييتني، أحياك الله. قال الحسن: فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين"[(١)].

٤- وأما ما كان من عبيد الله بن زياد فقد اشتهر بالسفه، وسفك الدماء، وقلة الدين، وعدم توقير صحابة رسول الله ﷺ فقد وصف بعضهم بالحثالة، وأنكر-كذلك- الحوض[(٢)].

---

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، برقم(٣٧٢)، (١٩٢/١)، ذم الكلام وأهله، مرجع سابق، (٨٠/٢)، الثقات، لابن حبان، (٢٤٨/٧).

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء، (٥٠٨/٤)، تاريخ دمشق، ابن عساكر، (٩٧/٦٢)، سير أعلام النبلاء، (١٨٥/٩)، منهاج السنة، (٥٥٦/٤)، ساق الذهبي بسنده إلى الحَسَنِ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عُبَيْدُ اللهِ، أَمَّره مُعَاوِيَةُ، غُلاَمًا سَفِيْهًا، سَفَكَ الدِّمَاءَ سَفْكًا شَدِيْدًا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بن مُغَفَّلٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: انْتَهِ عمَّا أَرَاكَ تَصْنَعُ، فَإِنَّ شرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ. قَالَ: مَا أَنْتَ وَذَاكَ؟ إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ حُثَالَةِ أَصْحَابِ =

وأما سؤال أمية بن خالد لعبد الله بن عمر ﷺ الذي يظهر منه أنه سؤال استفسار، لا سؤال استنكار، حيث أراد من خلاله أن يعرف مصدر تشريع تقصير الصلاة الرباعية في السفر، حيث لم يجدها في القرآن الكريم، أو أنه "حاول أن يبحث كافة المسائل في القرآن وحده"(١) فأعلمه ابن عمر أن ذلك التشريع جاء من السنة النبوية، فانصاع لقوله.

وقد عرف الصحابة ﷺ أن الحاجة ملحة لأخذ السنة النبوية والاهتمام بها؛ لما كانوا يعلمون من أهميتها في تبيين القرآن الكريم وتوضيحه، كما أحسوا –أيضًا– بالحاجة الملحة لتبليغها وصيانتها ممن كان يحاول معارضتها أو ردها، فإنه كما رأينا –في النصوص السابقة– قد وجد في زمنهم ﷺ من تعرض لرد السنة أو التشكيك فيها، فما كان من صحابة رسول الله ﷺ إلا أن خاصموه وأبانوا له الحجة، ووضحوا العلاقة بين الأصلين العظيمين، فهذا –على سبيل المثال– الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ في الأثر السابق يبين للمرأة أن لعنه لهذه الأعمال كان من خلال كتاب الله، وعرفها بمراده من قوله: (وهو في كتاب الله)، أي: أن الله ﷻ قد أمر المسلمين في كتابه بأخذ ما وردنا عن رسول الله ﷺ، وهو في طريقته هذه يعطي لمن جاء بعده من أبناء المسلمين درسًا تطبيقيًا في كيفية التعامل مع هذا الفكر، وأسلوبًا حكيمًا في دفعه، وإزالة الغشاوة عمن تأثر به، وهكذا –أيضًا– دأب صحابة رسول الله ﷺ في التعامل

=

مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ: وَهَلْ كَانَ فِيْهِم حُثَالَةٌ، لاَ أَمَّ لَكَ!.

(١) دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، محمد مصطفى الأعظمي، (٢١/١).

مع كل من وجدوه متأثرًا بذلك الفكر الضال، في زمنهم-على ندرته وقلته، وإن وجد فمن قبل أفراد قلائل، فيبين لهم الحق ويوضح لهم الصواب، وأن هذا التفريق بين الأصلين الشريفين قد حذر منه الرسولﷺ، وأنه أصل الضلال، ومنبع الزيغ عن شريعة الإسلام، فسرعان ما يعود أولئك إلى رشدهم، وتنقطع دابر الفتنة، وتعلوا السنة.

حذر الصحابة من وجد في زمنهم من أبناء المسلمين من هذا الفكر النشاز الذي قد يظهر فيما بعد؛ خوفًا أن يقع فيه أحد من المسلمين، فهذا حافظ السنة وراوية الإسلام الصحابي الجليل أبو هريرة[١] ﵁ يحذر من هذه الفتنة، وأنها ستظهر بين أبناء أمة الإسلام، فكان يقول لأصحابه: (والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان يحدثون بأحاديث رسول الله ﷺ فيقوم أحدهم فينفض ثوبه، يقول: لا إلا القرآن، وما يعمل من القرآن بحرف)[٢]. وكذلك ابن مسعود﵁ يحذر الأمة من شر هذه الفئة الضالة، ويحذر الأمة منها لمعرفته أن دعواهم لا تمد إلى العلم والحق بصلة، فقد روي عنه﵁ أنه قال: (يا أيها الناس، عليكم بالعلم قبل أن يرفع؛ فإن من رفعه أن يقبض أصحابه، وإياكم والتبدع والتنطع، وعليكم بالعتيق، فإنه سيكون في آخر هذه الأمة أقوام يزعمون أنهم يدعون إلى

(١) اختلف في تعيين اسمه على أقوال، من أشهرها، أن اسمه: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الصحابي الجليل، راوية الإسلام، وأكثر من طعن فيه أعداء الإسلام، كان إسلامه سنة خيبر(٥٧)، وكان من الحفاظ المواظبين على صحبة رسول الله ﷺ- في كل وقت على ملء بطنه، توفي سنة (٥٥٩). ينظر: مشاهير علماء الأمصار، ابن حبان، ص٣٥، أسماء من يعرف بكنيته، أبو الفتح الموصلي، ص٦١، معرفة الصحابة، أبو نعيم، (١٨٤٦/٤)، الاستيعاب، (١٧٦٨/٤).

(٢) الحجة في بيان المحجة، قوام السنة الأصفهاني، (٥٣١/٢).

كتاب الله، وقد تركوه وراء ظهورهم)(١).

وما إن مرت الأيام والسنون حتى حدثت الفتنة الكبرى، تلك الفتنة التي أودت بحياة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي قتل فيها -مظلومًا- من قبل الخوارج(٢)، تلك الفرقة المارقة من الدين التي أخبر المصطفى -عليه الصلاة والسلام- في الحديث أنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية(٣)،فكفرت الصحابة رضي الله عنهم وردت أحاديثهم التي رووها عن رسول الله ﷺ(٤) فكان الطعن فيهم رضي الله عنهم طعنًا مباشرًا في المكانة التشريعية للسنة، ومحاولة خبيثة لإبطال أهمية أحد المصدرين الأساسيين للإسلام؛ وذلك لأنهم الحملة الأولون لها(٥)، فكانت بدعتهم تلك أول البدع ظهورًا في الإسلام وأظهرها ذمًّا في السنة والآثار(٦)،

(١) المدخل إلى السنن الكبرى، البيهقي، برقم (٣٨٨)، ص٢٧٢.

(٢) ينظر: الشريعة، الآجري، (١/٣٢٧)، النبوات، ابن تيمية، (١/٥٦٤)، مجموع الفتاوى، (١٣/٣٢)، منهاج السنة، (١/٣٠٦)، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، أبو عبد الله المالقي الأندلسي، ص١٠٩.

(٣) روي الحديث بألفاظ عدة، منها: ما رواه البخاري، برقم، (٥٠٥٨)، (٦/١٩٧)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، ويقرؤون القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي القِدْحِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَتَمَارَى فِي الفُوقِ). ورواه بلفظ قريب منه مسلم، برقم، (١٠٦٤)، (٢/٧٤٢).

(٤) ينظر: منهاج السنة النبوية، (١/٥٤٣)، الاعتصام، الشاطبي، (٢/٥٩١)،.

(٥) ينظر: زوابع في وجه السنة قديمًا وحديثًا، صلاح الدين مقبول، ص٣٥.

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى، (١٩/٧١).

حيث قالوا: "لا حجه إلا القرآن، وأن السنة الصادرة عن الرسول الله ﷺ ليس حجة"[١] وكان عند هذه الفرقة من الغلظة والجرأة في رد الآثار النبوية، والتعالي على الأحكام المصطفوية، ما ليس عند غيرهم من الفرق، فأولهم قال للرسول ﷺ: (اعدل فإنك لم تعدل)[٢]. وسار على منهجه أتباعه فردوا الأحاديث، وكذبوا السنن مدعين أنها تخالف القرآن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٣] رحمه الله تعالى: "فهم لا يرون اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن، كالرجم، ونصاب السرقة، وغير ذلك فضلوا"[٤]. وما إن ظهرت الفرق والمذاهب كالرافضة[٥] والمعتزلة[٦] والجهمية[٧]، وغيرها من أهل البدع، حتى ساروا على

---

(١) الصارم المسلول، ص١٨٤.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق التعريف به.

(٤) مجموع الفتاوى، (١٣/٢٠٨).

(٥) سيأتي -إن شاء الله- التعريف بها، والحديث عنها في مبحث الفرق المشابهة للقرآنيين.

(٦) سيأتي -إن شاء الله- التعريف بها، والحديث عنها في مبحث الفرق المشابهة للقرآنيين.

(٧) الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان، تلميذ الجعد بن درهم، أول من قال بتعطيل الصفات، وأخذها عنه الجهم، وأظهرها فنسبت إليه، كان يقول: بخلق القرآن، ويزعم أن الله ليس على العرش بل في كل مكان، وقيل: إنه كان يبطن الزندقة. فَقَتَلَهُ سَلْمُ بن أَحْوَزَ أَمِيرُ خرسان، عام (١٢٨هـ)، وقيل: إن الجعد بن درهم أخذ عن أبان بن سمعان، وأبان أخذها عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وهو اليهودي الذي سحر النبي ﷺ، فهي ترجع في أصلها إلى اليهود، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "اتَّفَقَ السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ عَلَى أَنَّهُمْ مِنْ شَرِّ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ، حَتَّى أَخْرَجَهُمْ كَثِيرٌ مِنْ الْأَئِمَّةِ عَنْ الِاثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً". ينظر: الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، (٥/٢٩)، مجموع الفتاوى، (١٢/٥٠٢)، أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات، مرعي المقدسي =

طريقهم، واقتفوا أثرهم في التكذيب بالسنن ورد الآثار المتواترة، فإن"غالب أهل البدع غير الخوارج يتابعوهم على هذا، فإنهم يرون أن الرسولﷺلو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه، كما يحكى عمرو بن عبيد[(١)] في حديث الصادق المصدوق[(٢)]، وإنما يدفعون عن أنفسهم التهمة إما: برد النقل، وإما: بتأويل المنقول، فيطعنون تارة في الاسناد، وتارة في المتن، وإلا فهم ليسوا متبعين، ولا مؤتمنين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول ﷺ بل ولا بحقيقة القرآن"[(٣)].

وفي زمن التابعين –رحمهم الله تعالى– أتى من يحاول رد السنة النبوية بحجة أن في القرآن الكريم ما يخالفها، فقد روى الدارمي[(٤)] –رحمه الله– بسنده، عن

=

الحنبلي، ص٢٣٠، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب العواجي، (١١٣١/٣).

(١) عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري: شيخ المعتزلة في عصره، ومفتيها، قال بالقدر، واعتزل مجلس الحسن البصري، ولد سنة(٨٠هـ)، كان أئمة الحديث لا يروون عنه في الحديث شيء، فقد كان يشتم الصحابة، له رسائل وخطب وكتب، منها: التفسير، والرد على القدرية. توفي سنة(١٤٤هـ). ينظر: الكامل في الضعفاء، ابن عدي، (١٧٤/٦)، الضعفاء، أبو نعيم، ص١١٨، تاريخ بغداد، (١٦٤/١٢)، الضعفاء والمتروكون، ابن الجوزي، (٢٢٩/٢)، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، أبو القاسم البلخي، القاضي عبد الجبار، الحاكم الجشمي، ص٩٠.

(٢) سيأتي تخريجه قريبًا إن شاء الله.

(٣) مجموع الفتاوى، (٧٣/١٩).

(٤) عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي، السجستاني، أبو سعيد: الإمام، العلامة، الحافظ، الناقد، شيخ هراة، ومحدثها. ولد سنة(٢٠٠هـ)، وتوفي سنة(٢٨٠هـ)، له تصانيف في الرد على الجهمية، منها: النقض على بشر المريسي، وله المسند. ينظر: سير أعلام النبلاء، (٣١٩/١٣)، إكمال تهذيب

=

سعيد بن جبير[١]، أنه حدث يومًا بحديث عن النبي ﷺ فقال له رجل: في كتاب الله ما يخالف هذا. فقال: لا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعرض فيه بكتاب الله! كان رسول الله ﷺ أعلم بكتاب الله منك[٢].

وفي أواخر القرن الأول، ناظر عمر بن عبد العزيز[٣]-رحمه الله تعالى- الخوارج في إنكارهم للسنة النبوية، وإعراضهم عن الأحكام الشرعية الواردة فيها، فرجعوا عن ذلك، وأقروا بما ألزمهم به عمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى-، قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو يتحدث عن الخوارج: "كذلك عمر بن عبد العزيز لما ناظرهم وأقروا بوجوب الرجوع إلى ما نقله الصحابة عن الرسول ﷺ من فرائض الصلاة بين لهم عمر أنه كذلك يجب الرجوع إلى ما

=

الكمال في أسماء الرجال، مغلطاي، (٩/١٤٩)، طبقات الشافعية الكبرى، (٢/٣٠٢).

(١) سعيد بن جبير بن هشام، الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي، مولاهم الكوفي، أحد الأعلام، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، ولد بعد سنة (٥٤٥)، قتله الحجاج سنة(٥٩٥)، قال الإمام أحمد بن حنبل: "قتل الحجاج سعيدًا، وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه". ينظر: معرفة الثقات، العجلي، ص١٨١، التعديل والجرح، الباجي، (٣/١٠٧٥)، طبقات الفقهاء، الشيرازي، ص٨٢، الأعلام، مرجع سابق، (٣/٩٣).

(٢) مسند الدارمي، عَبْدِ اللهِ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن الفضل الدَّارِمِيُّ، برقم، (٦١٠)، (١/٤٧٥).

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان، الأموي القرشي، أبو حفص: الخليفة الصالح، والملك العادل، ولد بالمدينة، سنة (٥٦١)، ونشأ بها، وولي إمارتها للوليد. ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام. وولي الخلافة بعهد من سليمان سنة(٩٩ هـ)، توفي سنة (٥١٠١). كانت مدة خلافته سنتان ونصف. ينظر: سيرة عمر بن عبد العزيز، ابن الجوزي، ص٥، سيرة عمر بن عبد العزيز، ابن عبد الحكم، ص١٥١، أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز، أبو بكر الآجُرِّيُّ، ص٥٥.

نقلوه عنه ﷺ من فريضة الرجم، ونصاب الزكاة، وأن الفرق بينهما فرق بين المتماثلين، فرجعوا إلى ذلك"[١].

ثانيًا: ظهورهم في القرن الثاني والثالث:

نتيجة لظهور الفرق في القرن الأول الهجري، كالخوارج والرافضة والمعتزلة وأهل الكلام، وانتشار مقالاتهم، وتداول شبهاتهم في أوساط المسلمين، فما إن بدأ القرن الثاني الهجري حتى كان لآرائهم وأقوالهم في السنة النبوية الأثر الأكبر على أتباع نحلتهم ومعتنقي فكرهم، والجهلة من أبناء المسلمين، فبدأوا يرددون كلامهم ويثيرون شبهاتهم، وتكفل بنشرها بعض زعمائهم الذين عرفوا برقة الدين، والاتصاف بالإلحاد والزندقة، وبغض سنة سيد المرسلينﷺ، رغبة منهم في الصد عنها، وإبعاد الناس عن قبولها، والرجوع إليها، وكان على رأسهم عمرو بن عبيد[٢]، وثمامة بن أشرس[٣]، والنظام[٤] والجاحظ[٥]، وجماعة آخرون

(١) مجموع الفتاوى، (١٩/٩٠).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) ثمامة بن أشرس النميري، البصري، أبو معن: من كبار المعتزلة، ومن رؤوس الضلالة، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين. قال الصفدي: كَانَ جَامعًا بَين سخافة الدّين، والخلاعة، له أتباع يسمون (الثمامية) نسبة إليه. ينظر: سير أعلام النبلاء، (١٠/٢٠٣)، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (٨/٢٠)، ميزان الاعتدال، (١/٣٧١)، الوافي بالوفيات، الصفدي، (١١/١٦).

(٤) إبراهيم بن سيّار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظّام: من أئمة المعتزلة، كان شاعرًا بليغا متهمًا بالزندقة، توفي سنة(٢٣١ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، (١٠/٥٤١)، الوافي بالوفيات، (٦/١٢)، لسان الميزان، (١/٦٧).

(٥) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كان عالمًا بالأدب =

كانوا يتعاطون الرأي والكلام.

فهذا عمرو بن عبيد(ت٤٤ ١هـ)، كان رأسًا في القدرية[١] والاعتزال، يكذب على رسول الله ﷺ، وينكر الشفاعة، ويطعن في صحابة رسول الله ﷺ[٢]، روي له حديث عن عبد الله بن مسعود قال: (حدثنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: (إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يومًا نطفة...الحديث الخ)[٣]، فقال: لو سمعت الأَعْمَشَ[٤] يقول هذا لقلت له: كذبت، ولو سمعت زَيْد بن وَهْبٍ[٥] يقول ذلك لقلت له: كذبت، ولو سمعت ابنَ مَسعُودٍ يقول

=

فصيحًا بليغًا، مصنفًا في فنون العلوم، وكان من أئمة المعتزلة، مولده سنة (١٦٣هـ) ووفاته في البصرة، سنة (٢٥٥ هـ). قال الذهبي: "كَانَ مَاجِنًا، قَلِيْلَ الدِّيْنِ"، له تصانيف كثيرة، منها: الحيوان، والبيان والتبيين والبخلاء. ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، ص١٤٨، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، (٢١٠١/٥)، سير أعلام النبلاء، (٥٢٧/١١).

(١) سبق التعريف بها.

(٢) ينظر: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبد الرحمن المعلمي، (٢٠٨/١).

(٣) الحديث متفق عليه، رواه الإمام البخاري في صحيحه، برقم، (٣٠٣٦)، (١١٧٤/٣)، والإمام مسلم في صحيحه، برقم، (٢٦٤٣)، (٢٠٣٦/٤).

(٤) سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، أبو محمد، الملقب بالأعمش: تابعي، مشهور، ولد سنة (٦١هـ) بالكوفة، ومات بها سنة (١٤٨هـ). كان شيخ المقرئين والمحدثين، قال الذهبي: "كان رأسًا في العلم النافع، والعمل الصالح". ينظر: سير أعلام النبلاء، (٢٣٠/٦)، طبقات خليفة بن خياط، ص٢٧٨، غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، (٣١٥/١).

(٥) زيد بن وهب، أبو سليمان الجهني الكوفي، الإمام الحجة، مخضرم قديم، ارتحل للقاء النبي ﷺ وصحبته، فقبض ﷺ وزيد في الطريق، سمع عمر، وعليًا، وابن مسعود، وأبا ذر الغفاري،
=

ذلك ما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك لرددته، ولو سمعت الله يقول ذلك لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا(١).

وكان ثمامة بن أشرس(٢) من أئمة الاعتزال، ورؤوس الضلال، كثير السُكْرِ(٣)، وكان من الرقة في الدين(٤)، والتنقص من الإسلام والاستهزاء بأهله، حيث "إنه رأى قومًا يتعادون يوم الجمعة إلى المسجد؛ لخوفهم فوت الصلاة، فقال: انظروا إلى البقر، انظروا إلى الحمير.

ثم قال لرجل من إخوانه: ما صنع هذا العربي[يعني: رسول الله ﷺ] بالناس؟ (٥).

قال الإمام الذهبي(٦)رحمه الله تعالى: "وكان ثمامة بن أشرس، وبشر

=

وحذيفة بن اليمان وطائفة. وقرأ القرآن على ابن مسعود، كانت وفاته بعد وقعة الجماجم في حدود سنة (٨٣هـ). ينظر: صفة الصفوة، (٣/٣٠)، سير أعلام النبلاء، (٤/١٩٦)، إكمال تهذيب الكمال، مرجع سابق، (٥/١٧٢).

(١) تاريخ الإسلام، (٩/٢٣٩)، تهذيب الكمال في معرفة الرجال، المزي، (٢٢/١٢٩)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، (٨/٦١).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، (١٥/٩٦)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، (١٠/٢٥٤)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، بن تغري بردي، (٢/٢٠٦)، لسان الميزان، ابن حجر، (٢/٨٢).

(٤) ودليل ذلك: أن خادمه قال له يومًا: قم صل فتغافل، فقال له: قد ضاق الوقت فقم وصل واسترح، فقال أنا مستريح إن تركتني. الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ص١٥٩.

(٥) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، ص٩٩.

(٦) محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، التُركماني الأصل، ثم الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله المقرئ. الإمام الحافظ، محدِّث العصر وخاتمة الحفَّاظ، ومؤرخ الإسلام. ولد بدمشق سنة

=

المريسي[١] آفة على السنة وأهلها"[٢].

وكذلك النظام[٣] الذي كان "شاطرًا من الشطار، يغدو على سكر، ويروح على سكر، ويبيت على جرائرها، ويدخل في الأدناس، ويرتكب الفواحش والشائنات، وهو القائل:

ما زلتُ آخُذُ رُوحَ الزِّقِّ في لُطُـفٍ   وأستبيحُ دمًـا مِـن غـيرِ مجـروحِ
حتى انثنيتُ ولي رُوحانِ في جسـدِي   والزِّقُّ مُطَّرَحٌ جِسـمٌ بِـلا رُوحِ[٤]

وقال ابن قتيبة[٥]: "وحكوا عنه أنه قال: قد يجوز أن يجمع المسلمون جميعا

=

(٦٧٣هـ)، وتوفي بها سنة (٧٤٨هـ)، قال السيوطي: "إن المحدثين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المزيّ، والذهبي، والعراقي، وابن حجر". له مصنفات كثيرة، منـها: تاريخ الإسلام، سير أعلام النبلاء طبقات الحفاظ، طبقات القراء، وغيرها. ينظر: المعجم المختص بالمحدثين، للمترجم له، ص٩٧، أعيان العصر، الصفدي، (٤/٢٨٨)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر، (٥/٦٦)، ذيل تذكرة الحفاظ، السيوطي، ص٢٣١، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني، (٢/١١٠).

(١) بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي، فقيه معتزلي، اشتغل بالكلام، وجرد القول بخلق القرآن، وحكي عنه أقوال شنيعة، ومذاهب مستنكرة، فرمي بالزندقة. تـوفي سـنة، (٢١٨هـ). ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (٧/٦١)، وفيات الأعيان، (١/٢٧٧)، المغني في الضعفاء، الذهبي، (١/١٠٧).

(٢) تاريخ الإسلام، (١٥/٩٦).

(٣) سبق التعريف به.

(٤) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، ص٦٦، ٦٧.

(٥) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوري، أبو محمد. العلامة الكبير، ذو الفنون، ولد بالكوفة، سـنة (٢١٣هـ)، وتوفي ببغداد، سنة (٢٧٦هـ). له مؤلفات متعددة، من أشهرها: تأويل مشكل القرآن؛

=

على الخطأ؛ قال: ومن ذلك إجماعهم على أن النبي ﷺ بعث إلى الناس كافة دون جميع الأنبياء، وليس كذلك. وكل نبي في الأرض-بعثه الله تعالى-فإلى جميع الخلق بعثه؛ لأن آيات الأنبياء-لشهرتها-تبلغ آفاق الأرض، وعلى كل من بلغه ذلك أن يصدقه ويتبعه.

فخالف الرواية عن النبي ﷺ أنه قال: (بعثت إلى الناس كافة، وبعثت إلى الأحمر والأسود وكان النبي يبعث إلى قومه)[١]. وأوّل الحديث.

وفي مخالفة الرواية وحشة، فكيف بمخالفة الرواية والإجماع لما استحسن"[٢].

ومن فضائحه: زعمه أن راوية الإسلام أبا هريرة كذاب، وانتقد كل من أخذ أو روى عنه، قال البغدادي[٣]، وهو يعدد فضائح النظام، الفضيحة الحادية

=

تأويل مختلف الحديث؛ كتاب المعارف، أدب الكاتب. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، (٤٢/٣)، طبقات المفسرين، الأدنه وي، ص٤٤، الإرشاد في معرفة المحدثين، أبو يعلى الخليلي، (٢٢٦/٢)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، مرجع سابق، ص١٥٩.

(١) لفظه كما في صحيح البخاري، برقم، (٤١٩)، (٢١٨/٢)، وصحيح مسلم، برقم، (٥٢١)، (٣١٧/١). عن جَابِر بن عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ).

(٢) تأويل مختلف الحديث، ص٦٧، ٦٨.

(٣) عبد القاهر بن طاهر بن محمد، أبو منصور البغدادي، الأسفراييني،: عالم متفنن، من أئمة الأصول، كان متكلمًا من فقهاء الشافعية، ولد ونشأ في بغداد، ورحل إلى خراسان فاستقر في نيسابور. ومات في اسفرائين، سنة(٤٢٩ه). من تصانيفه: أصول الدين، وفضائح المعتزلة، الملل والنحل،
=

والعشرون من فضائحه، ثم قال: "ثم إن النظام -مع ضلالاته التي حكيناها عنه- طعن في أخيار الصحابة والتابعين من أجل فتاويهم بالاجتهاد، فذكر الجاحظ[١] عنه في كتاب (المعارف) وفي كتابه المعروف بـ (الفتيا) أنه عاب أصحاب الحديث ورواياتهم أحاديث أبي هريرة -رضي الله عنهم، وزعم أن أبا هريرة كان أكذب الناس"[٢]. فكان هذا الأمر الذي جعل ابن قتيبة الدينوري[٣] -رحمه الله تعالى- يؤلف كتابه (تأويل مختلف الحديث)، ويرد على دعوى من ذكرنا من أئمة الزندقة الاعتزال، وما أوردوه من الشبهات على بعض الأحاديث النبوية، وجمع بين ما يظهر من الاختلاف بين بعض الأحاديث لمن قصر نظره عن معرفة ذلك، وعرّف -رحمه الله- المسلمين بأصحاب هذه المقالات، وماهم عليه من الزيغ والضلال.

وقد خيب الله ﷻ آمالهم، وكسر شوكتهم، فظهر في هذين القرنين أئمة الدين، وحماة السنة الذين قاموا بجهد كبير في توثيقها، وحفظها، والذب عن حملتها، كالأئمة الأربعة، أبي حنيفة النعمان[٤]، ومالك بن

=

الفرق بين الفرق، وغيرها. ينظر: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، أَبُو إِسْحَاقَ العِرَاقِيُّ الصَّرِيْفِيْنِيُّ، ص٣٩٤، طبقات الفقهاء الشافعية، ابن الصلاح، (٢/٥٥٢)، المعين في طبقات المحدثين، الذهبي، ص١٢٦.

(١) سبق التعريف به.

(٢) الفرق بين الفرق، ص١٣٣.

(٣) سبق التعريف به.

(٤) النعمان بن ثابت بن زُوْطي، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة: إمام الحنفية، الفقيه المجتهد، مفتي =

أنس(١)، ومحمد بن إدريس الشافعي(٢)، وأحمد بن حنبل(٣)، وغيرهم.

=

أهل الكوفة، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. قيل: أصله من أبناء فارس. ولد بالكوفة، سنة (٨٠هـ) ونشأ بها، توفي ببغداد، سنة (١٥٠هـ). ينظر: أخبار أبي حنيفة وأصحابه، حسين الصميري، ص١٥، مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، الذهبي، ص١٣، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محيي الدين الحنفي، (١/٣٦).

(١) مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، الإمام العالم، نجم السنن، إمام دار الهجرة، من التابعين، ولد مالك بن أنس بالمدينة المنورة، سنة (٩٣هـ)، وعاش كل حياته بها إلى أن توفي بها سنة، (١٧٩هـ)، ودفن بالبقيع. تلقى الإمام مالك علومه على علماء المدينة، من أشهرهم: نافع بن عبد الرحمن، ابن شهاب الزهري، ربيعة بن عبد الرحمن، وغيرهم، له مؤلفات، منها: الموطأ، والمدونة. ينظر: ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم، الدار قطني، (١/ ٣٥٤)، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، ص٩، تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، السيوطي، ص٢٤.

(٢) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية، ولد سنة (١٥٠هـ)، كان فقيهًا أصوليًا مفسرًا شاعرًا، له تصانيف ذائعة منها، الرسالة في أصول الفقه، والأم في الفقه، وأحكام القرآن، توفي سنة (٢٠٤هـ). ينظر: توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، ابن حجر، ص٢٤، مناقب الإمام الشافعي، الرازي، ص٢٣، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، ابن عبد البر، ص٦٥، طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، (٢/ ٧١).

(٣) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، أبو عبد الله، إمام أهل السنة، وشيخ الإسلام، ولد سنة، (١٦٤هـ)، كان من كبار الأئمة الحفاظ، ومن أخيار هذه الأمة، مجمع على جلالته وزهده، وحفظه ووفور علمه، له العديد من المصنفات منها: المسند، فضائل الصحابة، المسائل، وغيرها. توفي ببغداد سنة، (٢٤١هـ). ينظر: سيرة الإمام أحمد بن حنبل، صالح بن الإمام أحمد، ص٣٠، منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، أبو بكر بن أبي طاهر، ص٢٣٢، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ابن الجوزي، ص٢٥، مجمل الرغائب فيما للإمام أحمد بن حنبل من المناقب، زكي الدين الخزرجي الحنبلي، ص٥١.

فهؤلاء الأئمة الأربعة كانوا ذوي شأن عظيم، وعلو مقام في مرتبة الدين؛ لما قاموا به من جهود عظيمة في خدمة الشريعة الإسلامية، والدفاع عنها، ولما اشتهروا به من الخير والصلاح، فكانوا "هم المقتدى بهم، والمرجوع شرقًا وغربًا إلى مذهبهم، ولأنهم أجمع لشرائط القدوة والإمامة من غيرهم، وأكثر لتحصيل أسبابها وأدواتها من جودة الحفظ والبصيرة والفطنة والمعرفة بالكتاب والسنة"(١).

وكانوا –رحمهم الله تعالى- يجعلون السنة النبوية إلى جوار القرآن الكريم، لتبين آياته، وتوضح أحكامه، وتخصص عمومه، وتقيد مطلقه. . ..، وتجد في كتبهم، وما صدر عنهم من فتاوى في كل باب من أبواب الفقه مجموعة من الأحاديث النبوية إلى جوار الآيات القرآنية، فكان اهتمامهم بالمصدرين الأساسين منقطع النظير، وتحذيرهم من مخالفتهما كثيرة في أقوالهم، ومع ذلك فقد قال السيوطي(٢): "كان أهل هذا الرأي[إنكار السنة]موجودين بكثرة في زمن الأئمة الأربعة، وتصدى الأئمة وأصحابهم للرد عليهم في دروسهم ومناظراتهم وتصانيفهم للرد عليهم"(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٤/١٦٧).

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي، جلال الدين: الحافظ، المؤرخ، الأديب، الشافعي. صاحب المؤلفات الجامعة، والمصنفات النافعة، ولد سنة (٨٤٩ هـ)، وتوفي سنة (٩١١هـ)، له مصنفات زادت عن خمسمائة مصنف في فنون العلم المختلفة، ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، (٤/٦٥)، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين الغزي، (١/٢٢٧)، ديوان الإسلام، شمس الدين الغزي، (٣/٥١).

(٣) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ص ١٥.

ففي زمن الإمام أبي حنيفة-رحمه الله- دخل عليه رجل من أهل الكوفة "والحديث يقرأ عنده، فقال الرجل: دعونا من هذه الأحاديث! فزجره الإمامُ أشدَ الزجر، وقال له: لولا السنة ما فهم أحدٌ منَّا القرآن. ثم قال للرجل: ما تقولُ في لحم القردِ، وأين دليله من القرآن؟ فأفحم الرجل، فقال للإمام: فما تقول أنت فيه؟ فقال: ليس هو من بهيمة الأنعام"(١).

فهذا موقف الإمام أبي حنيفة ممن اعترض على السنة النبوية، الزجر والتوبيخ والتعريف بالحجة والبرهان، للمنزلة العالية التي تحتلها السنة النبوية، التي -كما قال الإمام أبو حنيفة- لولاها ما فهم أحد من المسلمين القرآن، وعندما رأى الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- هذا الرأي المبتدع يظهر عند بعض الناس، فما كان منه إلا أن سارع إلى حثّ أصحابه على اتباع السنة النبوية، والتمسك بها، والتنفير من القول في الشريعة بالرأي والهوى، ومخالفة ما جرى عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين، والتحذير لهم بأن كل من خالف ذلك أو تركه فقد ضل، فكان يقول رحمه الله تعالى: "إياكم والقول في دين الله -تعالى- بالرأي، وعليكم باتباع السنة، فمن خرج عنها ضلّ"(٢).

وفي زمن الإمام الشافعي-رحمه الله تعالى-وجد من يحمل هذا الفكر ويناظر عنه، ونقل الإمام الشافعي-رحمه الله- ما دار في تلك المناظرة التي دارت بينه

---

(١) المستخرج على المستدرك، العراقي، ص١٥، قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث، القاسمي، ص٥٢، كما روي هذا القول عن مجاهد بن جبر، ينظر: ذم الكلام وأهله، الهروي، (١٥٨/٢).

(٢) قواعد التحديث، مرجع سابق، ص٥٢.

وبين من ينسب إلى العلم بمذهب أصحابه[(١)]، ممن رفضوا السنة النبوية، واكتفوا بالقرآن الكريم فقط، قال الإمام الشافعي: "باب حكاية قول الطائفة التي ردت الأخبار كلها"[(٢)] ثم بدأ الإمام -رحمه الله-يعرض ما دار بينهما، وعرض فكر الرجل القائم على التنكر للسنة النبوية، قال الإمام الشافعي: "فقال لي [منكر السنة]: فاذكر الحجة فيما وصفت من كتاب الله. . . ، فإني لا أقبل غير ذلك، ولا أرضى إلا به، ولا تذكر الحديث؛ فإني لا أقبله، ولا أنهاك عن قبوله"[(٣)]. فما كان من الإمام الشافعي إلا أن ناظره وألقمه حجرًا[(٤)]، وتنقل لنا كتب الأئمة الأعلام مناظرة أخرى بين الإمام الشافعي ورجل آخر ممن أنكر أحاديث الآحاد، قال ابن عساكر[(٥)]، وساق بسنده إلى الحارث بن سريج النقال[(٦)]، قال: دخلت على الشافعي يومًا وعنده أحمد بن حنبل، والحسين

(١) جماع العلم، الملحق بكتاب الأم، الشافعي، (٥/٩).

(٢) المرجع السابق، (٥/٩).

(٣) المرجع السابق، (٧/٩).

(٤) للاطلاع على المناظرة التي حصلت بينهما، يراجع: جماع العلم، الملحق بكتاب الأم، للإمام الشافعي، (٥/٩، وما بعدها).

(٥) عليّ بن الْحَسَن بن هبة اللَّه بن عَبْد اللَّه بن الْحُسَيْن، أَبُو القاسم بن عساكر، الحافظ الدمشقي، المحدث الشافعي، أحد من اشتهر ذكره، وشاع علمه، وعرف حفظه وإتقانه، كان مولده بدمشق، سنة (٤٩٩ﻫ)، وتوفي بها سنة (٥٧١ﻫ)، له مصنفات، منها: تاريخ دمشق، وتبيين كذب المفتري، الإشراف على معرفة الأطراف، وغيرها. ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (٢٩٥/١٥)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ابن نقطة الحنبلي، ص٤٠٥، تذكرة الحفاظ، الذهبي، (٨٢/٤)، طبقات الشافعية الكبرى، (٢١٥/٧).

(٦) الحارث بن سريج النقال، أبو عمرو الخوارزمي ثم البغدادي، وإنما قيل له النقال: لأنه نقل رسالة الشافعي إلى عبد الرحمن بن مهدى وحملها إليه، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، (١١٢/٢)، =

القلاس[(١)]- وكان الحسين أحد تلاميذ الشافعي المقدمين في حفظ الحديث- وعنده جماعة من أهل الحديث، والبيت غاص بالناس وبين يديه إبراهيم بن إسماعيل بن عُلَيَّةَ[(٢)]، وهو يكلمه في خبر الواحد. فقلت يا أبا عبد الله: عندك وجوه الناس، وقد أقبلت على هذا المبتدع تكلمه؟ فقال لي، وهو يبتسم: كلامي لهذا بحضرتهم أنفع لهم من كلامي لهم، قال: فقالوا: صدق. قال فأقبل عليه الشافعي، فقال: ألست تزعم أن الحجة هي الإجماع؟ قال: فقال: نعم. فقال له الشافعي: خبرني عن خبر الواحد العدل أبإجماع دفعته أم بغير إجماع؟ قال: فانقطع إبراهيم، ولم يجب وسر القوم بذلك[(٣)].

قال الإمام الشافعي عن ابن عُلَيَّةَ: "إِنَّ ابْنَ عُلَيَّةَ ضَالٌّ، قَدْ جَلَسَ بِبَابِ

=

لسان الميزان، ابن حجر، (٢/٥١٤)، الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، (٣/٧٦).

(١) الحسين القَلاَّس، بفتح القاف وتشديد اللام وفى آخرها السين المهملة، الفقيه البغدادي، ويقال: اسمه الحسن، كان من علية أصحاب الحديث، وحفاظ مذهب الشافعي. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، (٢/١٢٧)، طبقات الفقهاء، ابن منظور، ص١٠٣، تاريخ بغداد، (٨/٦٤٧)، المؤتلف والمختلف، الدار قطني، (٤/١٨٦٠).

(٢) إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَيَّةَ البصري: يكنى أبا إسحاق. قدم مصر، وسكنها. وله مصنفات في الفقه تشبه الجدل، كَانَ من كبار الجهمية، وأحد المتكلمين وممن يقول بخلق القرآن، وجرت له مع أَبِي عَبْد اللَّهِ مُحَمَّد بن إدريس الشافعي مناظرات في بغداد ومصر. توفى بمصر سنة (٢١٨هـ). ينظر: تاريخ ابن يونس المصري، (٢/٧)، تاريخ بغداد، (٦/٢٠)، المغني في الضعفاء، الذهبي، (١/٤٢)، لسان الميزان، (١/٣٤).

(٣) تبيين كذب المفتري، ص٣٤٠، ٣٤١، تاريخ بغداد، (٦/٢٠).

الضَّوَالّ يُضِلّ النَّاس"[١].

وفي زمن إمام أهل السنة، الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله تعالى- كان للمبتدعة صولة وجولة، فامتحن في مسألة خلق القرآن، فصبر[٢]، وكان في ذات يوم في مناظرة مع رجل من الجهمية، كما حكاها صالح بن الإمام أحمد[٣]، فقال الجهمي مستنكرًا على الإمام أحمد عندما كان يرد عليه في مناظرته بالكتاب والسنة النبوية: "أَرَاكَ تَذْكُرُ الْحَدِيثَ وَتَنْتَحِلُهُ، فَقَالَ لَهُ [الإمام أحمد]: مَا تَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ [النساء: ١١]، فَقَالَ: خَصَّ اللَّهُ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: مَا تَقُولُ إِنْ كَانَ قَاتِلاً أَوْ عَبْدًا أَوْ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا؟ فَسَكَتَ، قَالَ أَبِي: وَإِنَّمَا احْتَجَجْتُ عَلَيْهِمْ بِهَذَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَحْتَجُّونَ عَلَيَّ بِظَاهِرِ الْقُرْآنِ، وَلِقَوْلِهِ أَرَاكَ تَنْتَحِلُ الْحَدِيثَ"[٤]. فكان الرجل يريد

(١) سير أعلام النبلاء، (٢٤/١٠).

(٢) ينظر: في تفصيل فتنة خلق القرآن وما حصل للإمام أحمد: كتاب: سيرة الإمام أحمد، صالح بن الإمام أحمد، وكتاب: ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل، حنبل بن إسحاق بن حنبل، ومنازل الأئمة الأربعة، أبو زكريا السلماسي، ص٢٥٣، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وَلَمْ تَكُنِ الْمُنَاظَرَةُ مَعَ الْمُعْتَزِلَةِ فَقَطْ، بَلْ كَانَتْ مَعَ جِنْسِ الْجَهْمِيَّةِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ [وَالنَّجَّارِيَّةِ] وَالضِّرَارِيَّةِ، وَأَنْوَاعِ الْمُرْجِئَةِ، فَكُلُّ مُعْتَزِلِيٍّ جَهْمِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ جَهْمِيٍّ مُعْتَزِلِيًّا، لَكِنْ جَهْمٌ أَشَدُّ تَعْطِيلاً؛ لِأَنَّهُ نَفَى الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ، وَالْمُعْتَزِلَةُ تَنْفِي الصِّفَاتِ دُونَ الْأَسْمَاءِ. منهاج السنة النبوية، (٢٠٥/٢).

(٣) صالح بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، أبو الفضل: قاض. ولد ببغداد سنة (٢٠٣هـ)، ونشأ بين يدي أبيه الإمام أحمد، وأخذ عنه. كان أكبر أولاده، ثم ولي القضاء بأصبهان، وتوفي فيها سنة (٢٦٥هـ). ينظر: تاريخ بغداد، (٣١٨/٩)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، ابن مفلح، (٤٤٤/١)، سير أعلام النبلاء، (٥٣٠/١٢).

(٤) سيرة الإمام أحمد بن حنبل، صالح بن أحمد بن حنبل، ص٥٩، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني، (٢٠١/٩)، سير أعلام النبلاء، (٢٤٩/١١)، جلاء العينين في محاكمة =

من الإمام أحمد -رحمه الله- أن يناظره بالقرآن الكريم، ولا يذكر السنة التي كان منكرًا لها، فسلك الإمام مسلك أهل العلم -من السلف الصالح- في بيان الحق الذي لا مرية فيه، وهو أن أحكام القرآن الكريم لا يمكن أن تستغني عن بيان السنة وإيضاحها، فذكر له هذه الآية العامة التي يدخل تحتها كل الأصناف الذين ذكرهم الإمام، ومعلوم مما بينته السُّنة أن الكافر لا يرث المسلم، وكذا القاتل والعبد(١)، فأسكت الجهمي، ولم يستطع جوابًا.

ولم يقف الإمام أحمد-رحمه الله- عند هذا الأمر، بل قام بتأليف كتاب في طاعة الرسول ﷺ(٢)، قال ابن القيم(٣) رحمه الله: "وقد صنف الإمام أحمد رضي الله عنه

=

الأحمدين، نعمان الآلوسي، ص٢٣٣.

(١) ينظر في بيان موانع الإرث: المغني، لابن قدامة المقدسي، (١٤٩/٦)، المحرر في الفقه، عبد السلام بن تيمية، (٤١٢/١).

(٢) ذكر هذا المصنف للإمام أحمد رحمه الله، كثير من العلماء، ولعل الكتاب مفقود، قال د. عبد الله التركي: "وقد صنف الإمام أحمد-رحمه الله-كتابًا في طاعة الرسول ﷺ بين فيه أنه يجب على الأمة اتباعه، وتنفيذ ما جاء به، وإن لم يكن في القرآن، وذكر فيه أن السنة ضرورية للكتاب في تفسيره، وبيان مجمله، وتخصيص عامة، وتقييد مطلقه. وأصحابه -رحمهم الله- يتناقلون عنه من هذا الكتاب كثيرًا من الروايات والتخريجات والأقوال عند كلامهم على هذه المسائل في أبوابها ". ينظر: أصول مذهب الإمام أحمد، د. عبد الله التركي، وممن ذكر هذا الكتاب: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، (٢٠٧/٢)، مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٢٢٣/٢٠)، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، (٩٧/٥)، الفهرست، ابن النديم، ص٣٢٠، هدية العارفين، إسماعيل البابي، (٤٨/١).

(٣) سبق التعريف به.

كتابًا في طاعة الرسول ﷺ ردَّ فيه على من احتج بظاهر القرآن في معارضة سنن رسول الله ﷺ وترك الاحتجاج بها"[١].

ويأتي في زمن عثمان بن سعيد الدارمي[٢] من أثار شبهات حول السنة النبوية، بغرض الطعن فيها وصد الناس عنها، فتصدى للردِّ عليه أبو سعيد الدارمي، فقال: "باب في الحث على طلب الحديث، والرد على من زعم أنه لم يكتب على عهد النبي ﷺ وأصحابه الحديث، والذب عن النبي ﷺ وأصحاب الحديث وأهل السنة، وفضلهم على غيرهم"[٣].

وبيَّن الشبهات التي أدت به إلى رد السنة، فقال رحمه الله: " فكان مما تأول في ردها أن روى عن النبي ﷺ أنه قال: (سيفشو الحديث عني، فما وافق منها القرآن فهو عني، وما خالفه فليس عني)[٤]"[٥].

ومما احتج به المنكر للسنة في إنكاره لها، كما حكاه عنه الإمام الدارمي: "واحتججت –أيضًا– في رد آثار رسول الله ﷺ التي رويت عن أبي يوسف[٦]

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، (٢/٢٠٧)، وينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٢٠/٢٢٣)، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، (٥/٩٧).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد، عثمان الدارمي، (٢/٥٩٩).

(٤) الحديث موضوع. ينظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس، العجلوني، (١/٩٩).

(٥) نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد ، (٢/٦٠٠).

(٦) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، الكوفي البغدادي، أبو يوسف: صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه،كان فقيهًا عالمًا حافظًا، يعرف بحفظ الحديث، ولد بالكوفة، سنة (١١٣هـ)، وتوفي ببغداد، سنة (١٨٢هـ)، وولي القضاء ببغداد لثلاثة من الخلفاء =

أنها رأس الآثار وألزمها للناس، بكذب ادَّعيته، زعمت أنه صح عندك أنه لم تكتب الآثار، وأحاديث النبي ﷺ في زمن النبي ﷺوالخلفاء بعده إلى أن قتل عثمانﷺفكثرت الأحاديث، وكثر الطعن على من رواها"(١).

وقد نقض أبو سعيد الدارمي قوله، وأبان عن عوار مذهبه، فقال رحمه الله تعالى: "فيقال لهذا المعارض: دعواك هذه كذب لا يشوبه شيء من الصدق، فمن أين صح عندك أن الأحاديث لم تكن تكتب عن رسول الله ﷺ والخلفاء بعده إلى أن قتل عثمان؟ ومن أنبأك بهذا؟ فَهَلُمَّ إسناده، وإلا فإنَّك من المسرفين على نفسك، القائلين فيما لا يعلم، فقد صح عندنا أنها كتبت في عهد رسول اللهﷺ والخلفاء بعده...."(٢). فأظهر الدارمي شبهته التي بنى عليها مذهبه، وأوضح عن مينها وبعدها عن الحق.

ثالثًا: ظهورهم في القرن الرابع الهجري، وما بعده:

ومع مرور الأيام يأتي من شغب على السنة، وحاول الصد عنها، والتشكيك في حجيتها وصدقها، ففي القرن الرابع الهجري ظهر من يحمل العداء للسنة النبوية، ويحاول أن يظهر بين الناس أن هناك تعارضاً بين القرآن الكريم والسنة

=

المهدي والهادي والرشيد. وهو أول من دعي قاضي القضاة، له كتب، منها: الخراج، والآثار، واختلاف الأمصار. ينظر: الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، ابن عبد البر، ص١٧٢، تاج التراجم في طبقات الحنفية، قطلوبغا، ص٣١٥، أخبار القضاة، محمد بن حيان الضبي، (٣/٢٥٤).

(١) نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد، (٢/٦٠٤).

(٢) المرجع السابق، (٢/٦٠٥).

النبوية، فكان ممن أشار إلى هذه الفرقة الضالة وذمها وبيّنَ خطرها الآجري[١](ت: ٣٦٠هـ) في كتابه الشريعة، حيث عقد بابًا في هذا الكتاب محذرًا منهم، فقال رحمه الله تعالى: (باب التحذير من طوائف يعارضون سنن النبي ﷺ بكتاب الله تعالى، وشدة الإنكار على هذه الطبقة)[٢]، فنبه العلماء على خطر فكرهم، وأن من حمله فإنه رجل سوء، يحذر منه الناس؛ كما حذر منه الرسول ﷺ، فقال رحمه الله: "ينبغي لأهل العلم والعقل إذا سمعوا قائلاً يقول: قال رسول الله ﷺ في شيء قد ثبت عند العلماء، فعارض إنسان جاهل، فقال: لا أقبل إلا ما كان في كتاب الله تعالى، قيل له: أنت رجل سوء، وأنت ممن يحذرناك النبي ﷺ، وحذر منك العلماء، وقيل له: يا جاهل، إن الله أنزل فرائضه جملة، وأمر نبيه ﷺ أن يبين للناس ما أنزل إليهم، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤] فأقام الله -تعالى- نبيه عليه السلام مقام البيان عنه، وأمر الخلق بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وأمرهم بالانتهاء عما نهاهم عنه، فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ الحشر: ٧"[٣].

---

(١) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري: فقيه شافعي محدث. نسبته إلى آجر (من قرى بغداد)، ولد فيها، وحدث ببغداد، قبل سنة ٣٣٠ ثم انتقل إلى مكة، فتنسك، وتوفي فيها، سنة (٣٦٠هـ) له تصانيف كثيرة، منها: أخلاق حملة القرآن، الشريعة، وأخلاق العلماء، وغيرها. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، (١٤٩/٣)، سير أعلام النبلاء، (١٣٣/١٦)، وفيات الأعيان، (٢٩٢/٤).

(٢) الشريعة، الآجري، (٤١٠/١).

(٣) المرجع السابق، (٤١٠/١).

وفي زمن ابن بطة[١](ت: ٣٨٧هـ) ظهر من يحمل هذا الفكر، مما دعا ابن بطة إلى الرد عليه في كتابه: (الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة)، المشهور: بـــ(الإبانة الكبرى)، حيث بوب بابًا في من يعارض السنة بالقرآن الكريم، فقال: (بَابُ ذِكْرِ مَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنْ طَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ طَوَائِفَ يُعَارِضُونَ سُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْقُرْآنِ)[٢]، ثم بدأ العلامة ابن بَطة-رحمه الله- البيان لما حملته هذه الدعوة من فكر خطير، وشر مستطير، يهدفون من ورائها هدم الدين، فقد كانوا يدعون الناس إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم، ونبذ السنة النبوية، فقال: "وَلْيَعْلَمِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ أَنَّ قَوْمًا يُرِيدُونَ إِبْطَالَ الشَّرِيعَةِ وَدُرُوسَ آثَارِ الْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ، فَهُمْ يُمَوِّهُونَ عَلَى مَنْ قَلَّ عِلْمُهُ وَضَعُفَ قَلْبُهُ بِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَيَعْمَلُونَ بِهِ، وَهُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ يَهْرُبُونَ وَعَنْهُ يُدْبِرُونَ، وَلَهُ يُخَالِفُونَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا سُنَّةً رُوِيَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَوَاهَا الْأَكَابِرُ عَنِ الْأَكَابِرِ، وَنَقَلَهَا أَهْلُ الْعَدَالَةِ وَالْأَمَانَةِ، وَمَنْ كَانَ مَوْضِعَ الْقُدْوَةِ وَالْأَمَانَةِ، وَأَجْمَعَ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صِحَّتِهَا أَوْ حَكَمَ فُقَهَاؤُهُمْ

(١) عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله ابن بَطَّةَ الْعُكْبَرِيُّ: العالم، المحدث، الفقيه الحنبلي. من أهل عكبرا ولد، سنة (٣٠٤هـ)، ووفاة سنة، (٣٨٧هـ) رحل إلى مكة والثغور والبصرة وغيرها في طلب الحديث، قيل: له مصنفات تزيد عن المائة مصنف، منها: الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، ويسمى بالإبانة الكبرى، الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، ويسمى بالإبانة الصغرى، والسنن، وغيرها. ينظر: طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، (١٤٤/٢)، تاريخ بغداد، (٣٧٠/١٠)، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ابن ماكولا، (٣٣٠/١).

(٢) الإبانة الكبرى، (٢٢٣/١).

بِهَا، عَارَضُوا تِلْكَ السُّنَّةَ بِالْخِلَافِ عَلَيْهَا وَتَلَقَّوْهَا بِالرَّدِّ لَهَا، وَقَالُوا لِمَنْ رَوَاهَا عِنْدَهُمْ: تَجِدُ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ وَهَلْ نَزَلَ هَذَا فِي الْقُرْآنِ؟ وَأْتُونِي بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ حَتَّى أُصَدِّقَ بِهَذَا"(١).

ثم ما كان منه-رحمه الله تعالى- إلا أن عرف الناس حقيقة أمرهم، وأنهم يتدثرون بالإسلام، لتحقيق أهدافهم، والوصول عن طريقه لنيل مأربهم، التي كان على رأسها هدم صرح الإسلام، فقال رحمه الله تعالى: "فَاعْلَمُوا-رَحِمَكُمُ اللَّهُ-أَنَّ قَائِلَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ إِنَّمَا تَرَقَّقَ عَنْ صَبُوحٍ وَيُسْرٍ خَبِيئًا فِي إِرْبِغَاءٍ يَتَحَلَّى بِحِلْيَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَيُضْمِرُ عَلَى طَوِيَّةِ الْمُلْحِدِينَ، يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ بِدَعْوَاهُ وَيَجْحَدُهُ بِسِرِّهِ وَهَوَاهُ"(٢).

وبدأ يبين-رحمه الله-كيف يتعامل المسلم مع هذا الفكر، وكيف يرد على أصحابه، ويعرفه بأهمية السنة النبوية من الدين، ومكانتها من شريعة رب العالمين، فقال: "فَسَبِيلُ الْعَاقِلِ الْعَالِمِ إِذَا سَمِعَ قَائِلَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَا جَاهِلاً فِي الْحَقِّ، خَبِيثًا فِي الْبَاطِنِ، يَا مَنْ خُطِّئَ بِهِ طَرِيقُ الرَّشَادِ وَسَبِيلُ أَهْلِ السَّدَادِ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ وَمَا نَهَاكَ عَنْهُ فَرْضٌ عَلَيْكَ قَبُولُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ وَقَبُولِ سُنَّتِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- إِنَّمَا ذَكَرَ فَرَائِضَهُ وَأَوَامِرَهُ بِخِطَابٍ أَجْمَلَهُ، وَكَلَامٍ اخْتَصَرَهُ وَأَدْرَجَهُ، دَعَا خَلْقَهُ إِلَى فَرَائِضَ ذَكَرَ أَسْمَاءَهَا، وَأَمَرَ نَبِيَّهُ بِأَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ

(١) المرجع السابق، الجزء والصفحة نفسها.

(٢) المرجع السابق، (٢٢٣/١).

مَعَانِيَهَا، وَيُوقِفَ الْأُمَّةَ عَلَى حُدُودِ شَرَائِعِهَا وَمَرَاتِبِهَا، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]"[١].

وفي القرن الخامس ظهر من ينكر الأحاديث النبوية، فيذكر البزدوي[٢] رحمه الله، (ت: ٤٨٢هـ) في أصوله، وهو يتحدث في باب بيان أقسام السنة، بيان المتواتر، أنه وجد من الناس من ينكر الأخبار، فقال: "وهذا القسم[أي المتواتر] يوجب علم اليقين بمترلة العيان علمًا ضروريًا، ومن الناس من أنكر العلم بطريق الخبر أصلاً، وهذا رجل سفيه لم يعرف نفسه، ولا دينه، ولا دنياه، ولا أمه، ولا أباه مثل من أنكر العيان"[٣]. ثم بين-رحمه الله-بطلان هذا القول، فقال: "وهذا قول باطل، نعوذ بالله من الزيغ بعد الهدى، بل المتواتر يوجب علم اليقين ضرورة بمترلة العيان بالبصر، والسمع بالأذن، وضعًا وتحقيقًا"[٤].

وقال مرشدًا صاحب هذا القول إلى طريق الصواب: "وَلَوْ تَأَمَّلَ حَقَّ تَأَمُّلِهِ لَوَضَحَ لَهُ الْحَقُّ مِنْ الْبَاطِلِ، فَأَمَّا الْعِلْمُ بِالْمُتَوَاتِرِ قَلَّمَا يَجِبُ عَنْ دَلِيلٍ أَوْجَبَ عِلْمًا بِصِدْقِ الْمُخْبِرِ بِهِ لِمَعْنًى فِي الدَّلِيلِ لَا لِغَفْلَةٍ مِنْ الْمُتَأَمِّلِ، وَصَحَابَةُ رَسُولِ

(١) المرجع السابق، (١/٢٢٣-٢٢٤).

(٢) علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم، أبو الحسن، شيخ الحنفية، البزدوي: فقيه أصولي، ولد في حدود سنة (٤٠٠ه)، وتوفي سنة (٤٨٢ه) من سكان سمرقند، له التصانيف الجليلة، منها: المبسوط، كتر الوصول في أصول الفقه. ينظر: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ابن أبي الوفاء الحنفي، (١/٣٧٢)، تاج التراجم في طبقات الحنفية، ص٢٠٥، سير أعلام النبلاء، (١٨/١٧٧).

(٣) أصول البزدوي، المسمى (كتر الوصول الى معرفة الأصول)، ص١٥٠.

(٤) المرجع السابق، ص١٥٠.

اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-كَانُوا قَوْمًا عُدُولاً أَئِمَّةً لَا يُحْصَى عَدَدُهُمْ، وَلَا يَتَّفِقُ أَمَاكِنُهُمْ طَالَتْ صُحْبَتُهُمْ وَاتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ بَعْدَمَا تَفَرَّقُوا شَرْقًا وَغَرْبًا، وَهَذَا يَقْطَعُ الِاخْتِرَاعَ"(١).وبعد ذلك بدأ يبدد شبهاهم التي سرت في أوساط مجتمعاهم، وينسف تأويلاهم، ويظهر قبح فكرهم، وسوء معتقدهم، فرحمه الله رحمة واسعة.

وفي القرن الثامن، ظهر من يدعو إلى الاقتصار على القرآن وترك السنة، فأدرك الإمام الشاطبي(٢) خطر هذا المنهج في فهم القرآن ومعرفة شرائع الإسلام، فرد عليهم مقالهم، وبين بطلان منهجهم، وانحراف طريقهم؛ حيث فارقوا السنة، وما عليه إجماع الأمة من الاعتماد عليها في بيان القرآن، وأوضح–رحمه الله– أن هذا المنهج القائم على"الِاقْتِصَار عَلَى الْكِتَابِ رَأْيُ قَوْمٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ، خَارِجِينَ عَنِ السُّنَّةِ؛ إِذْ عَوَّلُوا عَلَى مَا بَنَيْتَ عَلَيْهِ من أن الكتاب فيه بيان كل شيء، فَاطَّرَحُوا أَحْكَامَ السُّنَّةِ فَأَدَّاهُمْ ذَلِكَ إِلَى الِانْخِلَاعِ عَنِ الْجَمَاعَةِ، وَتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ عَلَى غَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ"(٣).

وبعد أن أورد الشاطبي أقوال الأئمة من السلف في التحذير من أقوال هذه

---

(١) المرجع السابق، ص١٥١.

(٢) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، أبو إسحاق، المشهور بالشاطبي: محدث، فقيه أصولي، لغوي، مفسر. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. له مؤلفات منها: الموافقات في أصول الفقه، الاعتصام في أصول الفقه، وغيرهما، توفي (٧٩٠ه). ينظر: الأعلام، (٧٥/١)، معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، (١١٨/١).

(٣) الموافقات، أبو إسحاق الشاطبي، (٣٢٥/٤، ٣٢٦).

الطائفة الضالة[١]، أوضح عن هدفهم الذي يريدون من خلاله إنكار السنة النبوية، فقال رحمه الله تعالى: "إِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ هَكَذَا فَعَلُوا، اطَّرَحُوا الْأَحَادِيثَ، وَتَأَوَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"[٢].

وفي القرن التاسع، ظهر في اليمن من طعن في السنة النبوية، ومقت أهلها، وشنع على حامليها وأئمتها، فقام من يذب عن ساحتها، ويدافع عن حياضها، ألا وهو محمد بن إبراهيم الوزير[٣]، (ت: ٨٤٠هـ)،

حيث قام شيخه علي بن محمد بن أبي القاسم[٤]، الذي كان من علماء الزيدية[٥] في عصره، بتأليف كتابٍ شكك فيه على السنة وحامليها، وعاب فيه

---

(١) ينظر: المرجع سابق، (٤/ ٣٢٦ – ٣٢٩).

(٢) المرجع السابق، (٤/٣٢٩).

(٣) محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى، المشهور بابن الوزير اليمني، ولد سنة(٧٧٥هـ)، وتوفي سنة(٨٤٠هـ)، كان إمامًا من أئمة السنة، الذابين عنها، المدافعين عن حياضها، صنف مصنفات عدة، منها: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ومختصره الروض الباسم، وترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، وغيرها. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (٦/٢٧٢)، مطلع البدور ومجمع البحور، (٤/١٣٨)، ابن أبي الرجال، طبقات صلحاء اليمن، ص١٩، البريهي، طبقات الزيدية الكبرى، (٢/٨٩٦)، يحيى بن الحسين بن القاسم.

(٤) علي بن محمد بن أبي القاسم، كان من علماء الزيدية المشهورين، مفسّر، ولد سنة (٧٦٩ هـ)، وتوفي سنة (٨٣٧هـ)، له مصنفات، منها: تجريد الكشاف في التفسير، وله في النحو شرح على كافية ابن الحاجب موسوم بالبرود الصافية. ينظر: طبقات الزيدية الكبرى، إبراهيم بن القاسم، (٢/٧٧٨)، البدر الطالع، (١/٤٨٥)، خُلاصة المتون، محمد زبارة، (٢/٩٤).

(٥) الزيدية: تعتبر الزيدية أقرب الفرق الإسلامية إلى أهل السنة والجماعة؛ إذ كانت في بداية ظهورها، وعصر نشأتها على ما كان عليه السلف الصالح، ويتصف مذهبهم بالابتعاد عن غلو الشيعة الاثني =

على أئمتها وأهلها، وقال بمعتقدات مخالفة لما عليه الأمة من توقير أحاديث نبيها ﷺ فرد عليه ابن الوزير -رحمه الله تعالى- في كتابه (العواصم والقواصم، في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ)، واختصره في كتاب سماه، (الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ)، فبين سبب تأليفه للكتاب، حيث قال: "وقد قصدت وجه الله-تعالى-في الذب عن السنن النبوية، والقواعد الدينية"[(١)]، وسبب ذلك الذب ما وجده في رسالة شيخه علي بن أبي القاسم من الهجوم على السنة النبوية وعلى أهلها، فقال -رحمه الله- مبينًا ما حوته رسالة شيخه: "والسيِّد-أيَّده الله-بالغ في التشكيك على مَنْ أراد الرجوع إلى الكتاب والسُّنَّة، بحيث لو تصدَّى بعضُ الفلاسفة للتَّشكيكِ على المسلمين في الرجوع إلى كتاب

=

عشرية، وباقي فرق الشيعة، بيد أن الوضع قد اختلف في الآونة الأخيرة؛ حيث أصبح أكثر الزيدية على مذهب الاثنى عشرية، وأما سبب تسميتهم بهذا الاسم، قال عبد الله بن حمزة-أحد علماء الزيدية في اليمن-(ت: ٥٨٣هـ): "أعلم أيدك الله أنها سميت زيدية لاتباعها زيد بن علي"، وأما عن مبادئهم، فيقول ابن حمزة: "فاعلم أن الظاهر من مذهبهم تقديم علي في الإمامة على أبي بكر وعمر وعثمان، واعتقادهم النص الاستدلالي دون الضروري خلافًا للإمامية، وهم لا يسبون الصحابة ولا يفسقونهم"، وهم ثلاث فرق: الجارودية، السليمانية، البترية، وهم يرجعون في الأصول إلى الاعتزال، وفي الفروع إلى مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل قليلة. ينظر في مذهبهم: مقالات الإسلاميين، الأشعري، ص٦٥، التنبيه والرد، الملطي، ص٣٢، الفرق بين الفرق، ص١٦، المجموع المنصوري، عبد الله بن حمزة، (٢/٣٨٤-٣٩٠)، المواقف، (٣/٦٩٠)، المنية والأمل في شرح الملل والنحل، ابن المرتضى، ص٩٦، تاريخ الفرق الإسلامية، محمد خليل، ص١٦٥، الزيدية، الأكوع، ص١٤.

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير اليمني، (١/٢٢٣).

ربِّهم الذي أُنزِل عليهم، والاعتمادِ على سُنَّة نبيهم الذي أُرْسِل إليهم، ما زاد على ما ذكر السَّيِّدُ؛ فإنه شكك في صحة الأخبار النبوية، وطعن في جميع طُرُقِها، وطرَّقَ الشك في إسلام رُواها، وفي إسلام من استطاعَ أن يُشكِّكَ في إسلامه، حتى شَكَّكَ في إسلامِ الإمامين الكبيرين مالكٍ والشافعيِّ، فمنع من معرفة حديثِ الفقهاء، وأوجب معرفةَ رجال الأسانيد، ومعرفةَ عدالتهم وعدالة مَن عدَّلهم، وعدالة من عدَّل المعدل"[١].

وفي أيام السيوطي[٢](ت: ٩١١هـ)، نجد أن لفكر هذه الطائفة ظهورًا، فهيأ الله، من ذاد عن مكانتها، وجرد قلمه للرد على أعدائها، ودحض شبهات خصومها، وهو الحافظ السيوطي–رحمه الله– حيث ألف كتابًا سماه: (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة)، وبين في مقدمته سبب تأليفه لهذا الكتاب، فقال: "اعلموا–يرحمكم الله–أن من العلم كهيئة الدواء، ومن الآراء كهيئة الخلاء، لا تذكر إلا عند داعية الضرورة، وإن مما فاح ريحه في هذا الزمان، وكان دارسًا– بحمد الله تعالى– منذ أزمان، وهو أن قائلاً رافضيًا زنديقًا أكثر في كلامه أن السنة النبوية والأحاديث المروية – زادها الله علوًا وشرفًا –لا يحتج بها، وأن الحجة في القرآن خاصة...."[٣]، ثم قال السيوطي–رحمه الله تعالى– بعد ذلك:

(١) المرجع السابق، (٣٢٧/١)، وينظر قريبًا من هذا الكلام في مختصر الكتاب المسمى، بـ (الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير اليمني، (٦١/١).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ص٥.

"وهذه آراء ما كنت أستحل حكايتها، لولا ما دعت إليه الضرورة من بيان أصل هذا المذهب الفاسد الذى كان الناس في راحة منه من أعصار"[١].

ثم بين -رحمه الله- أصلَ هذه الفرقة الضالة التي أنكرت الاحتجاج بالسنة، فقال: "وأصل هذا الرأي الفاسد أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة والاقتصار على القرآن "[٢].

(١) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، مرجع سابق، ص٥.

(٢) المرجع السابق، ص٦.

المبحث الثاني: القرآنيون في العصر الحاضر

ما إن هدأت فتنة إنكار السنة بعد أيام السيوطي حتى جاء المستشرقون فأحيوها جذعة؛ يريدون من خلال ما درسوه من كتب الفرق الضالة أن يهدموا الإسلام، وذلك بنقض أسسه، وإقصاء مصدره الثاني، السنة النبوية.

فبدأوا ينشرون تلك الأفكار في أوساط أبناء المسلمين ممن تلقوا التعليم على أيديهم في جامعاتهم، أو تلقوها من خلال كتبهم ومؤلفاتهم المتعلقة بالإسلام، فكان لتلك الأفكار الأثر الكبير في نفوسهم، فبدأوا ينشرون تلك الأفكار الهدامة عبر وسائل الاتصال المتاحة من صحف ومجلات وكتب ومؤلفات، وعبر المحاضرات في الجامعات، وفي هذا المبحث يحاول الباحث ذكر من كان له دور في نشر أفكار منكري السنة في البلاد العربية من خلال كتاباته أو مؤلفاته، ولابد قبل الشروع في الكلام عن البلاد العربية من ذكر لمحة عن ظهور هذه الفرقة في بلاد الهند؛ حيث إن الارتباط قائم بين الهند والبلاد العربية، برباط الدين والعقيدة، ولما كان لتلك الدعوة التي ظهرت في الهند من أثر في البلاد العربية.

أولاً: القرآنيون في شبه القارة الهندية (بلاد الهند وباكستان).

بعد أن استولى الإنجليز على الهند[1]، وحل حكمهم فيها محل الحكم

---

(١) سقطت بلاد الهند تحت الاحتلال الانجليزي اقتصاديًا في سنة (١٧٠٥م) باسم شركة الهند الشرقية، ثم أقدم الانجليز ثانيًا على احتلالها عسكريًا عام (١٨٥٧م). ينظر: القاديانية وموقف الإسلام منها، سامية سمباوه، ص٤.

الإسلامي الذي وهن السلطان فيه عن أن يسيطر على كل الأرض الهندية، دخلت الحضارة الأوربية المسيحية في البلاد، وأخذت تغزو قلوب أولئك الذين دخلوا في الإسلام، ولكنهم وجدوا صعوبات في إقناعهم وإخضاعهم لما أرادوا لشدة ارتباط المسلمين بدينهم، وما دام القرآن يتلى بينهم، فمحال أن يخلصوا في الخضوع لسلطة أجنبي عنهم، فعند ذلك عرف الإنجليز أن طبيعة المسلمين طبيعة دينية، فالدين يثيرها، والدين هو الذي يخدرها، وأن المسلمين لا يؤتون إلا من قبل العقيدة والإقناع الديني ما يكون له طابع ديني، فسعت محاولة إفساد المسلمين من خلال أمرين:

الأول: إحياء ما اندثر من البدع والآراء المنحرفة والفرق والطوائف المعادية للإسلام، والتي كان قد غرسها من قَبْلَهم أسلافهم من أعداء الإسلام من يهود ونصارى، ورافضة، وكان من تلك البدع والآراء المنحرفة التي أحياها الانجليز - عن طريق من باعوا ذممهم من جهلة المسلمين للإنجليز؛ نظير حفنة من الجنيهات - تلك المقولة التي تنادى برفض السُّنَّة والاكتفاء بالقرآن وحده، فهو كافٍ بزعمهم لمتطلبات الشريعة وأحكامها.

الثاني: أخذ الإنجليز يصطفون من أبناء المسلمين الذين تأثروا بالحضارة الغربية ويدنوهم إليهم، ويرون فيهم قبولاً لبيع دينهم وأمتهم مقابل السلطة والمال، فيجندوهم للعمل ضد الإسلام والمسلمين، وكانت الخطة التي رسموها لذلك، أن يبدأ العملاء بالتظاهر بالإسلام، والحرص عليه، والدعوة إليه، والكتابة فيه، حتى إذا اشتهر أمرهم، والتف الناس حولهم، بدؤوا ينفذون خطة الانجليز، فبذلوا جهودهم ببذر الشك في عقيدة الإسلام، ثم في شريعته، وفي

مصادره؛ لصرف المسلمين عن دينهم والتشكيك في عقيدتهم.

وكان من بين هؤلاء الكتاب أحمد خان، والمولوي جراغ علي، وعبد الله جكرالوي، وغيرهم ممن استطاع الإنجليز أن يستغلهم في بث أفكارهم، ونشر سمومهم بين المسلمين(١).

وفيما يلي عرض لفكر أهم رجالات القرآنيين في شبه القارة الهندية، وموقفهم من السنة النبوية، وهم:

١- أحمد خان، (ت: ١٨٩٧م)(٢):

(١) ينظر: ثلاث رسائل في القاديانية، الندوي، المودودي، الخضر، ص٦، تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، (١/٢٤٩- ٢٥٠)، وجهة العالم الإسلامي نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي، لعدة مستشرقين، ص٩، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، د. محمد البهي، ص٢٨، المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية، بحث: السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع، أ. مقتد أحسن محمد ياسين، (١/٢١٢)، بحث: الجذور التاريخية لمنكري السنة النبوية، د. عادل الغرياني، ص١٤٥، تدوين السنة النبوية، د. محمد الزهراني، ص٥٠، ٥١.

(٢) أحمد خان بن المتقي بن الهادي الحسيني التقوي الدهلوي. ولد في (٥/ ذي الحجة / ١٢٣٢ھ)، (١٨١٧م)، بدهلي، وتربى في حجر أمه وجده لأمه خواجه فريد الدين، قرأ في فنون مختلفة، مثل: النحو، والمنطق، والهيئة، والهندسة، عرف في زمانه بالدهاء، والفصاحة، حتى أصبح من مشاهير الهند، له مصنفات، منها: تفسير الإنجيل، الذي سماه تبيين الكلام، ولم يتمه، وصنف الخطبات الأحمدية في السيرة النبوية، شرح للعقيدة الإسلامية، وشرع في تصنيف تفسير القرآن كان في بداية أمره على مذهب النقشبندية من الصوفية؛ لأنه نشأ فيهم، ثم تقرب إلى بعض متوسلي الحكومة الإنكليزية، وولي التحرير في ديوان الحاكم لأقطاع آكره، وبعد مدة ولي القضاء لفتحبور سيكري، فصار صدر أمين، وكان في بجنور إذ ثارت الفتنة العظيمة ببلاد الهند، وثارت العساكر الإنكليزية على الحكومة سنة(١٢٧٣ھ)، فقام على ساق لنصرة الحكومة الإنكليزية، فلما
=

لعب أحمد خان دورًا خطيرًا ضد الإسلام والمسلمين لا في الهند وحدها، بل إن فساده وإفساده سرى إلى بلاد أخرى خارج نطاق الهند، فقد نجح أحمد خان في تحطيم الموانع لدى المسلمين، فأقبلوا لا على التعليم الأوروبي فحسب، بل أقبلوا على الحضارة الغربية بما فيها من خير وشر، واقتباس العلوم العصرية بحذافيرها وعلى علّاتها، وتفسير الإسلام والقرآن تفسيرًا يطابقان به ما وصلت إليه المدنية والمعلومات الحديثة في آخر القرن التاسع عشر المسيحي، ويطابقان

=

رجعت الحكومة مرة ثانية رتبت له مائتي روبية شهرية مدة حياته، ولولده الكبير حامد بن أحمد من بعده مدة حياته، وجعلته صدر الصدور ببلدة مراد آباد، وهو عبارة عن نيابة القاضي في إحدى المتصرفيات، له آراء فكرية شذ فيها عن جماعة المسلمين، منها، قوله: ١- إجماع الأمة ليس بحجة ٢- الإيمان تصديق بالقلب، فإن أذعن أحد بالشهادتين في القلب فهو مؤمن، ولو تشابه بقوم في خصوصيات الدين، وشعار الكفر كالزنار والصليب والأعياد. ٣- معجزات الأنبياء ليست من دلائل النبوة. ٤- الملائكة والشياطين ليست بأشخاص متحيزة بالذات، المراد بالملائكة القوى الملكية، والمراد بالشياطين القوى البهيمية. ٥- سعى للتقريب بين الأديان، وأنشأ مجمعًا علميًا لنقل الكتب العلمية والتاريخية من اللغة الإنجليزية إلى لغة أردو. ٦- ويقوم بالدعوة إلى التعليم العصري، واقتباس الحضارة الغربية، وعادات الغربيين. ٧- وكان على رقة في الدين وشذوذ في العقيدة، وفي العبادة كان قليلَ العمل، لا يصلي ولا يصوم غالبًا. توفي أحمد خان، في(٤/ذي القعدة/ ١٣٥١ه، الموافق (٢٧/ مارس/ ١٨٩٧م). ينظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي الحسني الطالبي، (٨/١١٧٥-١١٧٨)، زعماء الاصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، ص١٢١، وجهة الإسلام نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي، لعدة من المستشرقين: جب، ماسينيون، كامبقماير، لفتنانت كولونل، ترجمة محمد عبد الهادي، ص١١٩، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، الندوي، ص٨٣، حاشية، فيض الخاطر، أحمد أمين، (٥/٣٠١).

هوى الغربيين وآراءهم وأذواقهم، فكان بها من المفتونين، ولم يقف دور أحمد خان عند هذا الحد بل تطاول على الإسلام نفسه، وأفسد في مجال العقيدة أيما إفساد[1]. فهذه الخطوة التي خطاها أحمد خان تعتبر الخطوة الأولى؛ فلم يسبق إلى مثلها لما كان لها آثار بعيدة المدى في الإسلام، ولم ينسج على منوالها مباشرة في أي مكان، فأفكاره أخذت تدب في نفوس المسلمين في الهند وغيرها من البلاد الإسلامية خاصة مصر، حيث هدفت إلى محاولة تأويل العقائد الإسلامية من جديد وصوغها بما يتلاءم مع الفكر الغربي الحديث، وهذا ما صرح به كبار المستشرقين[2]، فقد كانت البداية الأولى لإنكار السنة النبوية في شبه القارة الهندية راجعة إلى تلك الأفكار التي بثها أحمد خان وأعضاء حركته، فقد كان لتلك الحركة تأثير قوي، وانتشار واسع النطاق في المجتمع الهندي، حيث سرى مفعولها بشكل واضح وعميق في الهند الموحدة[3] فقد كانوا السبب المباشر

---

(١) كقوله: الإيمان تصديق بالقلب، فإن أذعن أحد بالشهادتين في القلب فهو مؤمن، ولو تشابه بقوم في خصوصيات الدين، وشعار الكفر كالزنار والصليب والأعياد. وقوله: معجزات الأنبياء ليست من دلائل النبوة. وقوله: الملائكة والشياطين ليست بأشخاص متحيزة بالذات، المراد بالملائكة القوى الملكية، والمراد بالشياطين القوى البهيمية. ومنها: سعيه للتقريب بين الأديان، وأنشأ مجمعًا علميًا لنقل الكتب العلمية والتاريخية من اللغة الإنجليزية إلى لغة أردو، وغيرها. ينظر: وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص٤٨، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص٨٢، أوروبا في مواجهة الإسلام الوسائل والأهداف، ص١٩٢، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، ص٣١.

(٢) ينظر: وجهة الإسلام، نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص٤٨، ١١٩.

(٣) ينظر: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مرجع سابق، ص٩١، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة النبوية، مرجع سابق، ص١٩.

لظهور فكر القرآنيين وخروجهم إلى حيز الوجود، وقد تحدث ثناء الله[١] فقال ما نصه: "ما أشأم ذلك اليوم الذي خرج فيه صوت عليكره المخالف لجميع الأمة الإسلامية، الداعي إلى الاعتماد على القرآن وحده في الدين، وأن السنة لا تكون دليلاً شرعيًا"[٢].

فإنه الواضع الأول للبنة التشكيك في السنة النبوية، والمهيئ الأول لجو إنكار السنة النبوية، والاكتفاء بالقرآن، وذلك من خلال ما كان يقوم به من إثارة الشبهات حول حجية السنة ومصداقيتها[٣]، حيث قال: "بعد وفاة النبي ﷺ ظلت الروايات تتناقل على الألسنة إلى عهد التصنيف في الكتب المعتمدة، غير أننا لا نستطيع أن نغض الطرف عن الهيئة التي دونت بها كتب الأحاديث تلك التي كانت مبناها روايات الذاكرة، بينما البعد الزمني كفيل بمزج الزائد بها وإضافة الجديد إليها، وكل ما دون في الكتب من الأحاديث إنما هي ألفاظ الرواة.... وليس من العجيب أن يخطئ أحد الرواة في فهم الحديث ما يكون سببًا في ضياع المفهوم الصحيح، وبناء على هذا التوجيه جعل الأحكام المستنبطة من السنة أحكامًا لا يجب على المسلمين اتباعها"[٤]. وما قصد بهذا الكلام إلا توهين المسلمين عن الأخذ بالأحاديث النبوية، والتشكيك في صحتها، وأمانة

(١) ثناء الله مدير مجلة أهل حديث الأمر تسرية الملقب بأسد بنجاب؛ لجرأته في إظهار الحق، تـوفي ١٥/ مارس/ ١٩٤٨م. ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة النبوية، ص٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٢.

(٣) ينظر: الأستاذ المودودي ومنهجه في تفسير القرآن، أليف الدين ترابي، ص٧٥.

(٤) الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية، عبد الوهاب خليل الرحمن، ص١٧٩.

نقلتها، وأنها لا تصح أن تكون مصدرًا يستنبط منه الأحكام الشرعية، التي يجب على المسلمين الأخذ بها، وجعلها مصدرًا من مصادر الشريعة.

وقد حاول أحمد خان أن يضع عقبات كؤود وشروط تعجيزية لقبول الأحاديث النبوية، فمن تلك الشروط: أن يكون الحديث المروي هو قول الرسول ﷺ بالجزم واليقين.

أن توجد شهادة تثبت أن الكلمات التي أتى بها الراوي هي الكلمات النبوية بعينها.

ألا يكون للكلمات التي أتى بها الرواة معان سوى ما ذكرها الشراح، فإن تخلف أحد هذه الشروط الثلاثة لم يصح نسبة القول إلى الرسول-ﷺ-أو أنه حديث من أحاديثه(١).

وهذه الشروط لا تتوافر إلا في المتواتر اللفظي، دون سائر السنة، فهدفه من وراء قوله هذا هو إلغاء كثير من الأحاديث النبوية، التي لا تنطبق عليها هذه الشروط التي وضعها، فيلغي بذلك كثيرًا من الأحكام الشرعية، ويكون ما استنبطه العلماء والفقهاء من الأحكام من الأحاديث النبوية، لا عمل لها، فيضع كثيرًا من التكاليف الدينية(٢).

٢- المولوي جراغ علي، (ت: ١٨٩٥م)(٣)

(١) ينظر: القرآنيون وشبهاهم حول السنة، ص١٠٦، الدعوة السلفية في القارة الهندية، ص١٨٠.

(٢) ينظر: القرآنيون وشبهاهم حول السنة، ص١٠٦، الدعوة السلفية في القارة الهندية، ص١٨٠.

(٣) جراغ عَلِي بن محمد، ولد سَنَةَ (١٨٤٤م) في أسرة علمية، وقد اكتفى بالمتوسطة في الدراسة المنتظمة، غير أنَّ شغفه بالمطالعة وَحُبَّهُ للاطلاع وذكاءه النادر أوصلاه إلى مكان مرموق، ففي(١٨٧٣ م) أخذ الرجل يتأثر بما كانت تنشره مجلة (تهذيب الأخلاق) التي كانت تصدرها حركة =

يعد جراغ علي من أبرز أتباع أحمد خان، بل يعتبره البعض الرجل الثاني في التنظيم بعد أحمد خان؛ حيث حمل فكره، ودافع عنه، وقام بنشره في أوساط المسلمين، فسار على منواله، واقتفى آثاره في عدائه للسنة النبوية، وصدّ أهل الإسلام عنها، فاستعان به المستعمرون حين انتبهوا إلى خطورة الجهاد، فسار سيرة أستاذه أحمد خان في الخيانة لدينه وأمته، فطعن في أحاديث الجهاد وتأولها، كما أول نصوص الإسلام بما يوافق الحياة الأوروبية، وقد حقق مكانة مرموقة من خلال كتاباته المستمرة في مجلة أستاذه أحمد خان-تهذيب الأخلاق- حتى أصبح أحد أعضاء حركة عليكره البارزين، وبالتعاون مع غلام برويز، أسسا جمعية أهل القرآن التي تعتبر إعلاناً مباشراً لتأسيس(جماعة أهل القرآن) الرافضة للسنة. وقد حاول جراغ علي صبغ الإسلام بالحضارة الغربية سيرًا على درب أستاذه أحمد خان، فاشتهر بآرائه الشاذة(١).

أما موقفه من السنة النبوية، فقد بناه على أساسين:

الأول: استمداد الشريعة والأحكام من القرآن الكريم فقط، ونبذ السنة؛

=

أحمد خان، وبعد مُضِيٍّ بضع سنوات أخذ هو الآخر يكتب في تلك المجلة على منوال أحمد خان نفسه، إلى أنْ أصبح أحد أعضاء حركة عليكره البارزين. توفي سَنَةَ (١٨٩٥م). ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص١٠٦.

(١) ينظر: دراسات في الحديث النبوي، مرجع سابق، ص٢٨، السنة في مواجهة الأباطيل، محمد طاهر بن حكيم غلام رسول، ص٨٩، الجذور التاريخية لمنكري السنة، ص١٤٩-١٥٠، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البداية، سعد رستم، ص٣٧٧، وجهة الإسلام نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي، ص١٢٧.

بحجة أن القرآن كامل من كل الوجوه، وأما السنة فلم يصح منها إلا القليل، والسنة النبوية-أيضًا- تحجز المسلمين عن الرقي ومواكبة التطورات، ومسايرة ظروف الحياة(١).

الثاني: نبذ السنة النبوية نهائيًا؛ لأنه لا يمكن الاعتماد عليها، ولا عبرة بها، فـ"إن المحققين الذين جمعوا الأحاديث، وميزوا بين سقيمها وصحيحها، خرجوا بأن الحديث مهما قوي سنده لا يمكن الاعتماد عليه، وما ذكر فيه غير حتمي قطعًا"(٢)، وقال أيضًا مشككًا في الأحاديث وأمهات الكتب الصحاح: "إن الحديث النبوي ليس قطعيًا كما يظنه المسلمون، بل صحته وحجيته محل نظر وشك، وهو لا يصلح لأن تعتمد عليه في معرفة الأحكام، وأن الجامع الصحيح للإمام البخاري(٣) -رحمه الله- يتضمن أحاديث موضوعة كثيرة، ولكن المسلمين يظنونه أصح الكتب بعد كتاب الله، بناءً على مغالاتهم في الاعتقاد، وتقليدهم الأعمى للمحدِّثين"(٤).

---

(١) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص١٠٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٩.

(٣) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، أبو عبد الله. الإمام الحافظ صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري. ولد في بخارى، سنة (١٩٤هـ) ونشأ يتيمًا. قام برحلة طويلة في طلب العلم. وكان آية في الحفظ وسعة العلم والذكاء. جمع البخاري كتابه الجامع الصحيح، وهو أول من وضع في الإسلام كتابًا على هذا النحو. وهو أوثق كتب الحديث الستَّة. وللبخاري مصنفات أخرى، منها: الأدب المفرد، الضعفاء في رجال الحديث، خلق أفعال العباد، توفي سنة، (٢٥٦هـ). ينظر: الثقات، ابن حبان، (٩/١١٣)،طبقات الحنابلة،ابن أبي يعلى، (١/٢٧١)، حياة البخاري، جمال القاسمي، ص١٣.

(٤) المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية، بحث: السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع، أ. مقتد أحسن =

"هذا، وإنَّ نظرة جراغ عَلِي العامة للإسلام نظرة مُشَوَّهَةٌ محفوفة بالمطاعن، ومن اطَّلع على آرائه المختلفة في الشريعة وشعائرها أدرك أنه لا يهدف إلى هدم السُنَّة فحسب، بل يَتَّخِذُ من هدمها سبيلاً إلى تحريف القرآن والشريعة؛ ليصل في نهاية المطاف إلى إبطال الدين والشرائع"(١).

٣- المولوي عبد الله الجكر الوي، (ت: ١٩١٤م) (٢):

=

محمد ياسين، (١/٢١٢)، السنة والتشريع، موسى لاشين شاهين، ص١٠.

(١) السنة في مواجهة الأباطيل، مرجع سابق، ص٩٠.

(٢) عبد الله بن عبد الله الجكرالوي نزيل لاهور، ولد في جكرالة بمقاطعة «ميانوالي» ببنجاب بالباكستان في نهاية العقد الثالث من القرن التاسع عشر الميلادي في أسرة علم ودين. وتلقى علومه الأولية علي يد والده ثم في المدارس الأهلية المجاورة لبلدته وأخيرًا سافر إلى دهلي لدراسة الحديث الشريف على يد ميان نذير حسين، المُحَدِّثُ الشهير، وبعد العودة من دهلي أصبح شيخًا من شيوخ (أهل الحديث)، ودخل في مجال التأليف والنشر، ولعل أول انحرافه عن جادة الحق يعود تاريخه إلى العقد الأخير من القرن التاسع عشر عندما ناظره ابن عمه (القاضي قمر الدين) في أوائل هذا العقد بطرح معضلات أمام عبد الله في الحديث الشريف ما أوقعته في اللّبْسِ، فقال قولته المشهورة: "هذا هو القرآن المُوحَى به وحده من عند الله إلى محمد- ﷺ- وأنَّ ما عداه فليس بوحي". ثم شرع في تصنيف تفسيره للقرآن الكريم، واتخذ لاهور مقرًا دائمًا لنشر دعوته الجديدة، وكان يجيد اللغة الأردية والعربية، وله باع طويل في علومهما المختلفة، وكان مُنَاظِرًا جَيِّدًا وَجَدَلِيًا بارعًا خَلَّفَ مؤلفات عديدة، منها: تفسير القرآن بآيات الفرقان، ترجمة القرآن بآيات الفرقان، صلاة القرآن ما علم الرحمن بآيات القرآن. مرض في بدلية(١٩١٢م)، فنصحه الأطباء بمغادرة لاهور واختيار موضع آخر لسكناه حرصًا على صحته فانتقل إلى (ملتان) ثم إلى (ميانوالي) القريبة من جكراله، وظل طريح الفراش إلى أنْ توفي سَنَةَ (١٩١٤م). ينظر: نزهة الخواطر، مرجع سابق، (٨/١٢٩٤)، القرآنيون وشبهاتهم، ص٢٥ - ٣٢.

بعد أن غرس أحمد خان شجرته الملعونة القائمة على إنكار السنة النبوية[١]،

قام عبد الله الجكر الوي، بسقي تلك الشجرة الملعونة، فنمت وازدهرت، فأسس في لاهور عام (١٩٠٢م) حركة رفض السنة النبوية، وسماها (أهل الذكر والقرآن)، ودعا أتباعه إلى إنكار الحديث النبوي، والاكتفاء بالقرآن، فكانت تلك الحركة تلبس الحق بالباطل وتدعو الناس إليه، وتجادل من يعارضها، وتصنف بما تدين به؛ لإثارة البلبلة الفكرية بين المسلمين حول السنة النبوية[٢]. فقال الجكر الوي: "إن الكتاب المجيد ذكر كل شيء يحتاج إليه في الدين مفصلاً ومشروحًا من كل وجه، فما الداعي إلى الوحي الخفي؟ وما الداعي إلى السنة؟"[٣]. "وكان يظن أن القرآن الكريم يكفي لجميع الشؤون الدينية، وليس في حاجة إلى الحديث النبوي، وبناء على هذا الزعم ألف كتابًا باسم (الصلاة القرآنية) حاول أن يثبت أركان الصلاة وأفعالها من القرآن"[٤].

ومن شبهاته التي وضعها حول السنة النبوية، هو أن السنة النبوية قد تأخر تدوينها، ثم اختلقها أشخاص ونسبوها إلى رسول الله ﷺ، وهو منها براء، وسمى

(١) ينظر: وجهة الإسلام نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص١٢٤.

(٢) ينظر: الدعوة السلفية في القارة الهندية، ص١٨٠، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البداية، مرجع سابق، ص٣٧٧، المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية، بحث: السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع، أ. مقتد أحسن محمد ياسين(الهند)، (٢١٢/١)، السنة النبوية في مواجهة الأباطيل، ص٧٨.

(٣) مجلة مجمع الفقه الإسلامي، بحث: بحوث مجمعية حول السنة النبوية، العدد (٨)، ص١٥٠١.

(٤) المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية، بحث: السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع، أ. مقتد أحسن محمد ياسين(الهند)، (٢١٢/١).

هذه الأحاديث بالهزليات[١].

وسعى جاهدًا لثني المسلمين عن اتباع السنة من خلال وضع الشبهات حولها، ومن تلك الشبهات قوله: إن السنة سبب الفرقة والتشتت الحاصل بين المسلمين، وأنها لن ترتفع عن المسلمين، "ولن يجمعهم لواء ولا يضمهم مكتب فكر موحد، ما بقوا متمسكين بروايات زيد وعمرو"[٢].

٤-الخواجة أحمد الدين الأمرتسري، (ت: ١٩٣٦م)[٣]:

استفاد الخواجة أحمد الدين من نظريات أحمد خان، وإن لم يجعلها أساسًا ومركزًا لأفكاره، لشده نقد العلماء لها والنكير على قائلها آنذاك، فاتخذ الخواجة جانب الحذر والحيطة فلم يجهر بما جهر به أحمد خان، وإنما كنَّى واستعار وواري، ومع ذلك فهي منبع أفكاره يستفيد منها، وكان لها تأثير بالغ في موقفه من السنة النبوية.

---

(١) ينظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي، بحث: بحوث مجمعية حول السنة النبوية، العدد (٨)، ص١٥٠٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٥٠٣.

(٣) الخواجة أحمد الدين بن الخواجة ميان محمد بن محمد إبراهيم، ولد في عام ١٨٦١م بمدينة أمرتسر بالهند، تلقى علومه الدينية في أمرتسر، وغاية ما وصل إليه من التعليم المنتظم هو الثانوية الإسلامية في أمرتسر بالهند، غير أنَّ جِدَّهُ وشغفه بالمطالعة أكسباه شهرة واسعة فَعُيِّنَ عضوًا لهيئة التدريس في المدرسة الإسلامية بأمرتسر. وفي(١٩١٧م) أحيل إلى التقاعد ثم دَرَّسَ مُدَّةً في مدرسة البنات، وكان يجيد اللغة العربية والفارسية والأردية والإنجليزية، وقد نبغ في كل علوم الاقتصاد والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والفلك والمنطق والعلوم الإسلامية، كما كان يعرف علم النبات وطبقات الأرض وغيرها من العلوم الشائعة آنذاك، توفي سنة(١٩٣٦م). ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص٣٣، ٣٩.

وقد اتصل بعبد الله الجكر الوي في(١٩٠٢م) وكثيرًا ما كان الخواجة يزوره في العطل الصيفية، لتبادل الآراء والمناقشة حول العديد من المسائل العلمية فيقتنع عبد الله الخواجة أحيانًا، كما كان يقتنع هو بآراء الخواجة أحيانًا أخرى.

وقد قام الخواجة أحمد الدين عام (١٩٢٦م) بتأسيس طائفته المنفصلة بأمرتسر، والتي اختار لها اسم (أمة مسلمة)، وأصدر مجلة(بلاغ) تحمل فكره، وتنشر نظرياته الخاصة، وأخذ يطبع مع أتباعه الكتب المختلفة المحتوية على أفكاره، ويرسل بها إلى كل من عرفه ومن لم يعرفه، ومن مؤلفاته: معجزة القرآن، تفسير بيان للناس، برهان الفرقان، وغيرها[(١)].

وكان الخواجة أحمد لا يرى طاعة الرسولﷺ ولا اتباعه في تعاليمه وأحكامه، فهو يرى أن امتثالها كان متعلقًا بحياته، فلما ماتﷺ فلا سمع ولا طاعة، قال الخواجة: "اعلم أن طاعة الرسول ﷺ كانت طاعة مقيدة بزمنه، وامتثال أحكامه لا تتجاوز حياته، وقد أوصد هذا الباب منذ وفاته عليه السلام"[(٢)].

٥- الحافظ أسلم جراجبوري، (ت: ١٩٥٥م)[(٣)]:

---

(١) ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص٣٣ – ٣٩.

(٢) مجلة مجمع الفقه الإسلامي، بحث: بحوث مجمعية حول السنة النبوية، العدد (٨)، ص١٥٠٢.

(٣) محمد أسلم بن سلامة الله البهوبالي، ولد في جراجبور عام (١٢٩٩ه)، (١٨٨٠م)، بمقاطعة أعظم كره بالهند في أسرة أهل الحديث، وحفظ القرآن قبل أنْ يناهز التاسعة من عمره، ولذلك لُقِّبَ بالحافظ. ثم درس اللغة الفارسية والإنجليزية، فتعلم العلوم الدينية آنذاك، ثم الرياضيات، ودرس العربية على أحد علماء عصره. كان شديد الشغف بالعلم والمطالعة مما جعله يصل إلى مكان مرموق، كتب في عدة صحف، وذاع صيته في شبه القارة الهندية، ثم أصبح مدرسًا في ثانوية عليكره للعربية والفارسية، له مصنفات، منها: الوراثة في الإسلام، بالعربية، تاريخ القرآن، مقام =

اتصل الحافظ أسلم بالقرآنيين وتأثر بفكرهم، وكان من أكثر القرآنيين تأثيرًا فيه هو الخواجة أحمد الدين، حيث طالع كثيرًا من كتبه، وترجم بعضها إلى العربية، من أمثال كتابه (معجزة قرآن)، ونشره في البلاد العربية باسم (الوراثة في الإسلام)، ولعل سبب اتصاله بهم كما يرى ذلك د. خادم حسين إلهي بخش راجع إلى قلقه النفسي من جراء مسألة حجب ابن الابن بعد وفاة أبيه مع عمه، حيث قال: أثناء دراستي للسراجي(١)، وقفت في مسألة حجب ابن الابن مع عمه، ولم تلق في نفسي قبولاً فبحثت في علم الفرائض فلم أجد لي موافقًا، وأخيرًا وجدت القرآن يوافق ذلك.

وبعد ذلك أخرج كتابًا، سماه (محجوب الإرث) نقد فيه قواعد الميراث المجمع عليها بين المسلمين(٢).

وكان الحافظ أسلم يمتاز-من بين منكري السنة- باطّلاعه الواسع على العلوم الإسلامية، وأيضًا، كثرت مصنفاته وتأليفه التي قام من خلالها بنشر أفكار منكري السنة (أهل القرآن)، وكذلك سلط قلمه لنقد السنة النبوية والعلوم المتصلة بها، فنجده وجه النقد للسنة سندًا ومتنًا، وحاول أن ينفي الالتزام والتدين بها، فقال: "إن الأحاديث قد انتقدت علميًا بما أفقدها صفة التدين؛ لأن

=

حديث، أي: مكانة السنة في الإسلام بالأوردية، وغيرها. توفي في (٢٨/ ديسمبر ١٩٥٥م). ينظر: القرآنيون وشبهاتهم، ص٤١ – ٤٥.

(١) السراجي في علم الميراث، لسراج الدين الحنفي.

(٢) ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة النبوية، ص٤٢ – ٤٣.

الأمور الدينية لا يدخلها النقد وآراء الرجال، ولأن الاعتراضات الموجهة للإسلام من غير أهله لا تأتي إلا من الأحاديث التي أقر المسلمون بصحتها، وهي موضوعة الأصل لا صلة لها بالدين"(١).

وشكك في تصحيح الأحاديث وتضعيفها؛ حيث رد تلك الأمور إلى سيطرة العواطف البشرية، فقال: "قد كان للعواطف البشرية يد في تصحيح السنة وتضعيفها، وإنا لنرى توثيق الرواة لم ينحصر في الصدق فحسب بل تجاوزه إلى التلمذة والتشيخ، والمشاركة الفكرية، والعواطف والميول الوجدانية"(٢).

٦- غلام أحمد برويز، (ت: ١٩٨٥م)(٣):

اتصل غلام أحمد برويز بالمنظرين لفكر القرآنيين في زمنه، ومن أشهرهم الحافظ محمد أسلم فتلقى أفكاره، وتتلمذ عليه، واستطاع من خلال جده واجتهاده أن يأخذ كل أفكار أستاذه محمد أسلم الشاذة، وكذلك فكر الخواجة أحمد حول السنة النبوية، ولم يقف عند هذا الحد بل طور تلك المعلومات وزاد

---

(١) القرآنيون وشبهاهم حول السنة النبوية، ص٢٣٣، السنة في مواجهة الأباطيل، ص١١٥.

(٢) شبهات القرآنيين، عثمان بن معلم محمود، ص٣٨.

(٣) غلام أحمد برويز بن فضل دين بن رحيم بخش، ولد في عام(١٩٠٣م)، في بلدة بتالة القريبة من قاديان بالبنجاب الشرقية في الهند في أسرة علمية، وتلقى علومه الدينية الأولى في كنف جده، ولم يتجاوز في دراسته الثانوية، ثم انتقل إلى المحيط العملي فتوظف في المطبعة الحكومية، كان أكثر من صنف لمنكري السنة الكتب، والتي منها: تبويب القرآن، قرآني قوانين، (الأصول القرآنية)، مقام حديث، (مكانة السنة)، وغيرها، توفي سنة (١٩٨٥م). ينظر: القرآنيون وشبهاهم حول السنة، ص ٤٧ — ٥٣، شبهات القرآنيين، ص٣.

فيها، وسعى جاهدًا إلى نشرها، وقد كان شديد التعظيم لكبار منكري السنة، مثل: أحمد خان، عبد الله جكرالوي، فقد اعتبر أن أحمد خان أشهر مفكري عصره[١].

ونتيجة لتلك المساعي التي قام بها في نشر تلك الدعوة الهدامة لأصول الإسلام اعتبر غلام أحمد برويز من أشهر من أنكر السنة في شبه القارة الهندية، وذلك من خلال أمرين:

الأول: كثرة مؤلفاته التي استطاع من خلالها بث فكر القرآنيين ومعتقداتهم حول الشريعة ومصادرها.

ثانيًا: توفر الجو المناسب له لنشر دعوته بين الناس، وقد ساعده في ذلك عاملان:

الأول: إصداره مجلة (طلوع إسلام) التي كان الإقبال عليها من قبل المسلمين شديداً، فاستطاع من خلالها نشر الأفكار التي يريدها.

الثاني: بعد انتقاله من الهند إلى كراتشي نشط في دعوته نشاطًا بالغًا لخلو الجو من المعارضة القوية، فبدأ يضع لمؤيديه أسساً واضحة، وجعل لهم مكاتب فكر تحت إدارته، وأطلق عليها اسم(نوادي طلوع إسلام)، فلم يلبث مدة من الزمن حتى ذاع صيته في أرجاء باكستان، وانضم إلى صفوفه كثير من المثقفين المحامين والمحاضرين والطلاب والمهندسين.

كان برويز قوي الاطلاع على الثقافة الغربية، فسعى جاهدًا إلى صبغ

(١) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص٢٢٣.

الإسلام بها، وزاد من غلوه وتفريطه وإعجابه بالنظريات الغربية الحديثة أن اعتبرها حقائق لا تقبل الجدل والمناقشة بل يجب تفسير القرآن بمقتضاها[١].

وكان شديد العداء للسنة النبوية؛ وذلك أنه زعم أن السنة النبوية ليست من دين الله-تعالى، وأنها لو كانت جزءاً من الدين لوضع لها الرسول ﷺ منهجًا كمنهج القرآن، من الكتابة والحفظ والمذاكرة، ولا يفارق الدنيا إلا بعد راحة بال على هذا الجزء من الدين، ولكنه لم يفعل شيئًا لسنته، بل نهى عن كتابتها[٢].

وقد غاض برويز شدة اهتمام المسلمين بالسنة فاعتبره نوعًا من التقديس الذي لا داعي له؛ حيث إن السنة-في نظره- في أصلها مؤامرة أعجمية تستهدف النيل من الإسلام وأهله[٣]، ويعلل صواب مقولته تلك من وجهة نظره، بقوله: "فما أصحاب الصحاح الستة إلا جزء من تلك المؤامرة، لذا نجدهم إيرانيين جميعًا، لا وجود لساكن الجزيرة بينهم، والشيء المحير للعقول أن العرب لم يسهموا في هذا العمل البناء، بل أسندوا جمع الأحاديث وتدوينها إلى العجم، حتى تم بناء هذا الصرح الـمُؤَامر"[٤].

ومن خلال ما سبق، يظهر أن طائفة القرآنيين في الهند هي من أحيت فتنة إنكار السنة من جديد بعد أن غابت عن البلاد الإسلامية واندثر أتباعها، وهم

---

(١) ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص٤٧ – ٥٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٢٢٣.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٢٣٨، ٢٣٩.

(٤) المرجع السابق، ص٢٣٨، ٢٣٩.

من حاولوا تصدير هذا الفكر إلى البلاد العربية كمصر.

ثانيًا: القرآنيون في البلاد العربية.

بدأت تعود فكرة إنكار السنة النبوية-جملة وتفصيلاً- إلى البلاد العربية مع مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وذلك من خلال الالتقاء بين الحضارتين الغربية المسيحية، والعربية الإسلامية، سواء كان ذلك الالتقاء عن طريق العلم والبحث، وحب الاطلاع على حضارة الآخر-من قبل الغرب-الذي أرسل طلائعه من المستشرقين للتعرف على البلاد الإسلامية بشكل عام، والعربية بشكل خاص، أو عن طريق الصدام العسكري الذي حاول الغرب من خلاله السيطرة على البلاد العربية، وبعد الدراسات والأبحاث المستمرة والمثمرة التي قام بها المستشرقون في ثنايا التراث العربي والإسلامي، تعرفوا من خلال ذلك على مكامن القوة والضعف في الجسد الإسلامي، وتعرفوا على الأفكار والحركات والمذاهب والفرق التي ظهرت في الساحة الإسلامية، والتي سعت جاهدة لهدم الدين الإسلامي من أساسه، أو النيل من عقيدته، والتشويش على أتباعه، فتعرفوا على أفكار الخوارج، والمعتزلة، والشيعة، والباطنية(١)، وغيرها من الفرق،

(١) الباطنية: لقب من ألقاب الشيعة الغالية، لقبوا بِهَا لدعواهم أَن لظواهر الْقُرْآن وَالْأَخْبَار بواطن تجرى فِي الظَّوَاهِر مجْرى اللب من القشر، وهم دعاة ضلالة أرادوا هدم الإسلام فتستروا بالتشيع لآل البيت، وغرضهم الْأَقْصَى إِبطَال الشَّرَائِع، وقد حصل منهم الضرر بالمسلمين قديماً وحديثاً، بل إن ضَرَرهم بِالْمُسلمين أعظم من ضَرَر الْيَهُود وَالنَّصَارَى والمجوس عَلَيْهِم، وَسَائِر أَصْنَاف الْكَفَرَة عَلَيْهِم، فما ظهروا في بلد من بلدان المسلمين إلا سفكوا دماءهم، ونشروا الكفر والفجور والإباحية في أوساطهم. ينظر: فضائح الباطنية، الغزالي، ص١١، الفرق بين الفرق، ص٢٦٥، =

فبدأوا يحيون تراثهم، ويبثون أفكارهم، ويعرفون الناس بأبرز أعلامهم[١]، هذا من جهة.

ومن الجهة الثانية قام بعض المتأثرين بالحضارة الغربية، والمتطلعين للّحاق بهم إلى إرسال مجموعة من أبناء المسلمين ليتلقوا تعاليمهم في البلاد الغربية[٢]، ولينهلوا من جامعاتهم العالمية، فتلقف أبناءَ المسلمين أكابر المستشرقين الذين درسوا الحضارة الإسلامية، وعرفوا ما فيها، فبدأوا ينقلون تلك الأفكار المسمومة إلي عقول أبناء المسلمين، ويناقشونها على أنها أفكار صائبة، وكان لها دور بارز في الحضارة الإسلامية، فتغذت بها عقول أبناء المسلمين، وامتلكت قلوبهم تلك الشبهات التي تلقوها من أساتذتهم المستشرقين، وحملوا تلك الأفكار

=

كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، محمد بن مالك المعافري، ص٦٤ وما بعدها، الحركات الباطنية في الإسلام، د. محمد أحمد الخطيب، ص١٩.

(١) من تلك الدراسات: ما قام به إيفانوف ولويس في دراستهما عن الإسماعيلية، وكما فعل أربري مع الصوفية، وما سينون مع الحلاج ومذهبه، وديسان مع النصيرية، وكان من أبرز من تصدى لقضية الفرق الإسلامية وناقشها وأقدمهم هما المستشرقان فان فلوتن في كتابه (السيادة العربية والشيعة)، وولها وزن في كتابه (أحزاب المعارضة: الشيعة والخوارج)، وتتابعت البحوث والكتابات عن الفرق الإسلامية، وفي سنة (١٨٨٤م) نشر جولد تسيهر دراسة عن الظاهرية، ثم (دراسات إسلامية) سنة (١٨٨٩م)، ثم محاضرات في الإسلام. ينظر: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، د. فاروق فوزي، ص٧٦.

(٢) كان أول من قام بتلك البعثات هو محمد علي باشا، والي مصر، وذلك في عام (١٨١٣م)، وكانت أول بعثة إلى إيطاليا. ينظر: البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهد عباس الأول وسعيد، الأمير عمر طوسون، ص١٠.

إلى بلدانهم، وتكفلوا بنشرها في أوساط مجتمعاتهم، واقتحموا الخطوط الحمراء، وشككوا في مسلَّمات الدين، ومصادره الأساسية، وعلى رأسها السنة النبوية، وساعدهم على نشر تلك الأفكار الصحف والجرائد السيارة التي هيأها لهم أعداء الدين، ومنهم من ألف كتبًا ضمنها أفكار أساتذته من المستشرقين، مصرحًا بنسبتها إليهم تارةً، وناسبًا لها إلى نفسه تارةً أخرى، ومرروا الكثير من شبههم وافتراءاتهم على الإسلام ورسوله ﷺ، وتسابقوا في الظهور بتلك الأفكار الباطلة على الساحة العربية، واحدًا تلو الآخر. وكان أغلب هؤلاء من الأدباء وممن له اهتمام بالتخصصات العلمية، وليس لهم أي اهتمام بالعلوم الشرعية(١).

وفيما يأتي عرض لأبرز من ظهر في الساحة العربية من حملة هذا الفكر.

---

(١) ينظر: أخطاء وأوهام في أكبر مشروع تعسفي لهدم السنة النبوية، د. عبد العظيم المطعني، ص٤، تدوين السنة النبوية، د. الزهراني، ص٥٠-٥٣، بحث: السنة النبوية وتحديات العصر، نور الدين عتر، ص١٥٧، آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، د. جابر قميحة، ص٤٣، وما بعدها، تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ص٥١٢، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود زقزوق، ص٨٦، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، فاطمة نجا، ص٧٩، العصرانيون، محمد الناصر، ص٥٩، المدرسة العصرانية، محمد الناصر، ص١٠١، فكر طه حسين في ضوء العقيدة الإسلامية، فاطمة الحسني، ص٩٧.

القرآنيون في مصر:

١- الطبيب محمد توفيق صدقي(ت: ١٩٢٠م)[(١)]:

المنار المجلة المصرية[(٢)] التي أشرف عليها الشيخ محمد رشيد رضا[(٣)]، كان لها

---

(١) محمد توفيق صدقي، طبيب مصري، تخرج في مدرسة الطب المصرية، كان مولده في (٢٤/ شوال /١٢٩٨ﻫ) الموافق(١٨٨١م)، تنقل في الوظائف الطبية إلى أن كان طبيب مصلحة السجون في القاهرة. وكان الطبيب الخاص لأسرة الشيخ رشيد رضا، أولع بالأبحاث الدينية وتطبيقها على العلوم العصرية، فنشر مقالات كثيرة في المجلات والجرائد كالمنار والمؤيد واللواء والشعب والعلم بمصر. له مؤلفات، منها: دين الله في كتب أنبيائه، و دروس سنن الكائنات، والدين في نظر العقل الصحيح، وغيرها، توفي في أوائل شعبان من سنة (١٣٣٨ ﻫ)، (١٩٢٠م). ينظر: الأعلام، (٦/٦٥)، معجم المؤلفين، كحالة، (٩/١٤٠)، حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، ترجمة بقلم محمد رشيد رضا، ص٢٥، الإسلام والتجديد في مصر، تشارلز آدمس، ص٢٣٢، معجم العلماء العرب، باقر الورد، (٢/١٣٧).

(٢) قال سعد رستم: "تواصل صدورها لمدة أربعين عامًا ونيف، بدءًا من سنة (١٣١٥ﻫ/ ١٨٩٧م)، ولغاية سنة (١٣٥٨ﻫ/ ١٩٣٩م)" بيد أن الدكتور فهد الرومي يقول: "وآخر ما طبع من المنار الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين في ٢٩ ربيع الثاني ١٣٥٤ﻫ/ ١٩٣٥م"، ولا تعارض في كلامهما، فالدكتور فهد يذكر آخر عدد صدر في حياة مؤسسها الشيخ رشيد رضا، وسعد رستم باعتبار صدور بعض الأعداد بعد وفاة الشيخ رشيد رضا. الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البداية، سعد رستم، ص٣٨٣، منهج المدرسة العقلية في التفسير، (١/١٧٧).

(٣) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين، ولد(١٢٨٢ﻫ–١٨٦٥م)، يعتبر من أبرز رجال المدرسة العقلية الحديثة، ذاع صيته في العالم الإسلامي، عن طريق مجلة المنار التي كان صاحبها، له مؤلفات منها: تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار، تاريخ الأستاذ الإمام، تفسير الفاتحة ومشكلات القرآن، ترجمة القرآن، وغيرها. توفي سنة(١٣٥٤ﻫ). ينظر: الأعلام، (٦/١٢٦)، معجم المؤلفين، (٩/٣١٠)، رشيد رضا الإمام المجاهد، إبراهيم العدوى، ص١٩، السيد رشيد =

قصب السبق في التبرع بنشر أفكار منكري السنة في العالم الإسلامي[١]، وشبهاتهم التي يثيرونها حول السنة النبوية[٢]، وذلك من خلال ما نشرته للطبيب محمد توفيق صدقي في عدديها التاسع والثاني عشر من السنة التاسعة عام(١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م) في مقالين تحت عنوان (الإسلام هو القرآن وحده)، ويعتبر هو أول من شغب على السنة ودعا إلى الاكتفاء بالقرآن، وترك السنة النبوية، وبين سبب دعوته إلى هذه الفكرة، بقوله: "لا خلاف بين أحد من المسلمين في أن متن القرآن الشريف مقطوع به؛ لأنه منقول عن النبي ﷺ باللفظ دون زيادة ولا نقصان، ومكتوب في عصره بأمر منه عليه السلام، بخلاف الأحاديث النبوية؛ فلم يكتب منها شيء مطلقًا إلا بعد عهده بمدة تكفي لأن يحصل فيها من التلاعب والفساد ما قد حصل، ومن ذلك نعلم أن النبي ﷺ لم يرد أن يُبَلَّغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن الشريف الذي تكفل الله -تعالى- بحفظه في قوله جل شأنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ (الحجر: ٩). فلو كان غير القرآن ضروريًا في الدين لأمر النبي بتقييده كتابة، ولتكفل الله -تعالى- بحفظه، ولما جاز لأحد روايته أحيانًا على حسب ما أدّاه إليه فهمه"[٣]. وفي كلامه هذا

=

رضا وإخاء أربعين سنة، شكيب أرسلان، ص٢٣.

(١) حيث كانت سفيرة لتلك الأفكار إلى بلاد العرب، كما حملتها إلى بلاد الترك، والهند، والصين، وأرخبيل الملايو، وإندونيسيا. ينظر: الاتجاهات الحديثة في الإسلام، محمد بهجت الأثري، ص٣١.

(٢) ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص١٥٣.

(٣) مجلة المنار، محمد رشيد رضا، (٥١٧/٩)، غرة رجب ١٣٢٤ه، حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، محمد توفيق صدقي، جمع وتحقيق: هشام عبد العزيز، ص٥٧، ٥٨.

شبهٌ كثيرة، حاول أن يثيرها حول السنة النبوية، منها: أن القرآن الكريم محفوظ والسنة ليست محفوظة، والقرآن مقطوع به، والسنة ليست كذلك، أي: ظنية، وكتب القرآن في زمن النبي ﷺ، والسنة لم تكتب كذلك، بل نهى الرسول ﷺ عن تدوينها، القرآن لم يتغير منه حرف واحد، بخلاف السنة التي دخل فيها الضعف والوضع،....، وغيرها، وهي في الحقيقة شبه منكري السنة نفسها قديمًا من الخوارج والمعتزلة والرافضة، وغيرهم، وحديثًا سواء كانوا في الهند أم مصر أم غيرهما من البلاد.

ومن خلال بحثي–بقدر الاستطاعة–في كتب من أنكر السنة حديثًا في البلاد العربية، فإن الطبيب محمد توفيق صدقي يعتبر أولَ من أطلق لفظ (القرآنيين) لقبًا على من اكتفى بالقرآن الكريم، وأنكر السنة النبوية في البلاد العربية، حيث قال: "ولكننا نحن القرآنيين، نقول: إن طاعة الرسول لا نزاع فيها، ولكن النزاع في مسألة أخرى، وهي: هل يفرض علينا الرسول فرضًا لم يفرضه كتاب الله؟"[(١)].

ويرى الدكتور محمد توفيق صدقي ألا حاجة إلى السنة ولا إلى غيرها في تفسير القرآن؛ حيث إن القرآن مستغن عن بيانها، لأن "القرآن بينٌ ومفصلٌ تفصيلاً يفي بحاجة البشر بدون احتياج إلى شيء سواه، ولذلك لم يصفه الله –تعالى– بالإجمال في موضع واحد، ووصفه بضده في مواضع كثيرة"[(٢)]. وقال

(١) مجلة المنار، محمد رشيد رضا، (٥١٧/٩)، حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، ص ٦٠، ٦١.
(٢) مجلة المنار، مرجع سابق، (٩٠٧/٩)، حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، ص١٣٨.

تحت عنوان(الاستنباط من الكتاب وحده): "قد أنزل الله—تعالى— القرآن الشريف بلسان العرب، وخاطبهم فيه بما يعرفون وبما يفهمون. فهو وحي الله إليهم مباشرة وإلى العالمين بواسطتهم. وجميع ما فيه مفهوم لهم بدون احتياج إلى تفسير مفسر أو تأويل مؤول"[١].

كما أنكر أن تكون السنة النبوية هي المصدر الثاني للشريعة، فقال: "الحق أقول: لو كانت السنة واجبة، وكانت الشطر الثاني للدين، لحافظ النبي عليها هو وأصحابه حتى تصل إلينا كما وصل إلينا القرآن بدون نزاع ولا خلاف"[٢].

ثم أورد شبهات—سماها دلائل— كثيرة يدلل بها على أن السنة كانت خاصة بعصر الرسول، قال: "ولنجمع هنا أعظم الدلائل التي نعتمد عليها في إثبات دعوانا أن السنة كانت خاصة بمن كان في عصر الرسول ﷺ"[٣]، ويعتبر أن السنة النبوية "لم تكن دينًا لجميع البشر في كل زمان ومكان، بل هي خاصة بمن وجهت إليهم لأحوال خاصة وظروف مخصوصة، أو أنها كانت للإرشاد والندب لا للوجوب، ولذلك لم يكن اتباعها عامًا بينهم"[٤].

وكان يرى أن سبب تأخر المسلمين هو تمسكهم بالمصدر الثاني السنة النبوية التي يصفها بأنها ممتلئة بالأكاذيب والأوهام والترهات، فيقول: "الحق أقول: لا يمكن للمسلمين أن يرتقوا ما داموا جامدين على الأحاديث، (وقد انقضى

---

(١) المرجع السابق، (٩/ ٩١٤)، حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، ص١٥١.

(٢) المرجع السابق، (٩/ ٩١٢)، حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، ص١٤٧.

(٣) المرجع السابق، (٩/ ٩١٣)، حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، ص١٤٧.

(٤) المرجع السابق، (١١/ ٧٧٤)، دين الله في كتب أنبيائه، محمد توفيق صدقي، ص١٩١.

زمنها) كلفين بالروايات، وهي ممتلئة بالأكاذيب والأوهام والخرافات.وهي أعظم سبب ضلال كل أمة في عملها واعتقادها"(١).

وتعتبر الأفكار التي نادى بها محمد توفيق صدقي في أغلبها هي من الأفكار التي تشربها من رجال المدرسة العقلية، من أمثال محمد عبده(٢)، فالشيخ محمد رشيد رضا يقول: "إن أغلب آرائه في الدين والنبوة والقرآن مستمدة مما كتبه الشيخ محمد عبده"(٣).

وقد أيَّد الشيخ رشيد رضا هذه المقالات إلا أنه زاد الطين بلة حين قسم السنة إلى دين عام-السنة العلمية- يجب قبوله، ودين خاص- وهو ما عدا ذلك- لسنا ملزمين بالأخذ به(٤).

---

(١) المرجع السابق، (١٠/٦٨٨)، دين الله في كتب أنبيائه، مرجع سابق، ص١٧٧.

(٢) محمد بن عبده بن حسن خير الله المصري، ولد في أواخر عام (١٢٦٥هـ- ١٨٤٩م)، وتوفي سنة(١٩٠٥ م)، كان أحد أبرز رجال المدرسة العقلية الحديثة، نال الشهادة العالمية من الأزهر، عام(١٢٩٤هـ)، له مصنفات منها: تفسير جزء عم، رسالة التوحيد ، شرح نهج البلاغة، تاريخ إسماعيل باشا، وغيرها. ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رشيد رضا، (١/١٦)، المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد الرومي، (١/١٢٤)، موقف المدرسة العقلية من السنة، دراسة تطبيقة على تفسير المنار، شفيق شقير ،ص ٤٩، الشيخ محمد عبده وآراؤه في العقيدة، حافظ الجعبري، ص٣٢.

(٣) الإسلام والتجديد في مصر، تشارلز آدمس، ص٢٣٣.

(٤) ينظر: دراسات في الحديث النبوي، محمد الأعظمي، (١/٢٦، ٢٧)، تدوين السنة النبوية، د. محمد الزهراني، ص٤٨، وذكر الدكتور مصطفى السباعي أن الشيخ رشيد رضا رجع عن هذا في آخر حياته. ينظر: السنة ومكانتها، ص٣٠.

٢- إسماعيل أدهم، (ت: ١٩٤٠م)[١]:

كان إسماعيل أدهم أحد أدعياء العلم المغرورين الذين عكفوا على قراءة كتب المستشرقين القائمة على الشك في التاريخ الإسلامي، ومصادر الشريعة الإسلامية[٢]، فألف رسالة سماها (من مصادر التاريخ الإسلامي)، صدرت عام (١٩٣٦م)، طعن في الأحاديث النبوية، والصحابة، وعلم الحديث، وكل ما يتصل بالحديث من علوم ورجال، ووصل إلى خلاصة، قال فيها: "وظهر لي من خلال بحثي أن الحديث مختلق جله إن لم يكن كله على الرسول، وأن السيرة معظمها أقاصيص، وأن القرآن هو المصدر الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه والاستدلال بآياته"[٣].

---

(١) إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم باشا أدهم: عارف بالرياضيات، له اشتغال بالتأريخ، شعوبيّ، تركي الأصل، أمه ألمانية، ولد بالإسكندرية، سنة(١٣٢٩هـ-١٩١١م)، وتعلم بها وبالآستانة، حصل على الدكتوراه في العلوم من جامعة موسكو، سنة(١٩٣١م)، انتقل إلى تركيا فكان مدرسًا للرياضيات في معهد أتاتورك بأنقرة، وبها نشر كتابه (إسلام تاريخي) بالتركية. وعاد إلى مصر سنة (١٩٣٦م)، فنشر رسالة بالعربية، سماها (من مصادر التاريخ الإسلامي) صادرتها الحكومة، و(الزهاوي الشاعر) وكتابًا وضعه في الإلحاد، سماه: (لماذا أنا ملحد)، وكتب في مجلات مصر والشام مقالات بالعربية، وكان يعيش من ريع ملك صغير له في الإسكندرية. وأصيب بالسلّ، فتعجل الموت، فأغرق نفسه بالإسكندرية منتحرًا، سنة (١٣٥٩هـ-١٩٤٠م). ينظر: الأعلام الشرقية، زكي محمد مجاهد، ص٨٥٨، معجم العلماء العرب، باقر أمين الورد، (٢٣/٢)، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، سيد حسين العفاني، (١٣٩/١)، انتحار إسماعيل أدهم، سليمان الخراشي، ص٢٧.

(٢) ينظر: من مصادر التاريخ الإسلامي، إسماعيل أدهم، ص٤.

(٣) المرجع السابق، ص٥.

قال الدكتور السباعي: "وقد قوبلت هذه الرسالة بنقمة الأوساط الإسلامية، حتى اضطرت الحكومة المصرية بناء على طلب مشيخة الأزهر إلى مصادرة الرسالة من الأيدي، وقد اضطر إلى أن يدافع عن نفسه في كتاب أرسله إلى إحدى المجلات الإسلامية[١]، زعم فيه أن ما ذهب إليه من الشك في صحة السُّنَّة لم ينفرد به، بل قد وافقه عليه جماعة من كبار الأدباء والعلماء، وذكر منهم الأستاذ أحمد أمين[٢] بكتاب أرسله إليه، وانتظرنا أن يُكَذِّبَ الأستاذ هذا الزعم فلم يفعل، بل كتب في بعض المجلات الأسبوعية الأدبية ما يفيد تَأَلُّمَهُ مِمَّا حصل لصاحبه، واعتبار ذلك محاربة لحرية الرأي، وحجر عثرة في سبيل البحوث العِلْمِيَّةِ"[٣].

هكذا حاول إسماعيل أدهم وغيره هدم السنة، متسترًا بالدراسة والتحقيق،

(١) هي مجلة الفتح، لمحب الدين الخطيب.

(٢) أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ: عالم بالأدب، غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب. ولد بالقاهرة، سنة(١٢٩٥ه) وتوفي بها، سنة (١٣٧٣ه/ ١٩٥٤م). قرأ مدة قصيرة في الأزهر. وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي، وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية. ثم عيّن مدرسًا بكلية الآداب بالجامعة المصرية. له مصنفات، منها: فجر الإسلام، وضحى الإسلام، وظهر الإسلام، ويوم الإسلام، وغيرها، ومع أن أحمد أمين معروف لدى الأوساط العلمية بغزارة العلم ودقة البحث وحب التأليف، إلا أنه قد وقع في بعض كتبه في أخطاء كبيرة فيما يتعلق بالحديث وتدوينه، رد عليه فيها بعض العلماء وبينوا خطأه فيها. ينظر: الأعلام، (١/١٠١)، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، (١/١٦٤).

(٣) السنة ومكانتها، ص٢٣٧، ٢٣٨.

وبدعوى حرية الفكر، معتمدًا على كتابات أعداء الإسلام من المستشرقين، ومن حذا حذوهم من الكتاب المسلمين.

٣- الدكتور أحمد زكي أبو شادي(ت: ١٩٥٥م)[١]:

كان أحمد زكي أبو شادي ممن خاض في التشكيك بالسنة النبوية، واستهزأ بجامعيها، وطعن في أشهر دواوينها، ودعا إلى الاكتفاء بالقرآن، ونبذ الأحاديث النبوية التي وصفها بأنها ملفقة، ولا تنسجم وتعاليم القرآن الكريم[٢]، بحجة أنه لا يمكن أن يقبل صحتها العقل؛ لأن أغلبها يدعو إلى السخرية بالإسلام والمسلمين والنبي ﷺ، قال: "هذه سنن ابن ماجة[٣]، والبخاري، وجميع كتب

---

(١) أحمد زكي بن محمد بن مصطفى أبي شادي: دكتور في الطب، أديب، شاعر، ولد بالقاهرة (١٣٠٩هـ - ١٨٩٢م)، وتعلم بها وبجامعة لندن. عمل وكيلاً لكلية الطب بجامعة القاهرة. كان هواه موزعًا بين أغراض عديدة، كالطب، والشعر، والمسرحيات، والعلوم الدينية، له مؤلفات، منها: عقيدة الألوهية، ثورة الإسلام، شعر الوجدان، وأشعة وظلال، وفوق العباب، وغيرها. توفي سنة (١٣٧٤هـ) (١٢/إبريل/١٩٥٥م). ينظر: ترجمته في مقدمة كتابه ثورة الإسلام، بقلم: طه عبد الباقي سرور، محمد خفاجي، ص٤-٦، رائد الشعر الحديث أحمد زكي أبو شادي، محمد عبد المنعم خفاجي، ص٢١، الأعلام، (١/١٢٧)، معجم المؤلفين، (١/٢٢٦)، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، مرجع سابق، (١/٢٨٦)، الأدب العربي المعاصر في مصر، شوقي ضيف، ص١٤٥.

(٢) ثورة الإسلام، د. أحمد زكي أبو شادي، ص٢٥.

(٣) محمد بن يزيد القزويني، أبو عبد الله، وماجة اسم أبيه يزيد. حافظ كبير ومحدث شهير، متَّفَق على جلالته وإتقانه.ولد سنة (٢٠٩هـ)، وتوفي سنة، (٢٧٣هـ). وصنف مصنفات نافعة منها: تفسير القرآن، تاريخ قزوين، سنن ابن ماجة، وهو أحد كتب الحديث السِّتة المعتمدة، وسادس الأصول الستة التي تلقتها الأمة بالقبول. ينظر: إكمال الإكمال، ابن نقطة، (٤/٥٩٢)، وفيات الأعيان، =

الحديث والسنة طافحة بأحاديث وأخبار لا يمكن أن يقبل صحتها العقل، ولا نرضى نسبتها إلى الرسول ﷺ وأغلبها يدعو إلى السخرية بالإسلام والمسلمين والنبي الأعظم، والعياذ بالله"[١].

ويتجرأ الدكتور أحمد أبو شادي فينادي بجواز تبدل الأحكام الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وفق الظروف والأسباب، فيقول: "إن القرآن الشريف والأحاديث النبوية، إنما هي مجموعة مبادئ خُلقية وسلوكية، أحكامها عُرضة للتبدل بتبدل الأحوال والأسباب، ففيه شواهد هادئة على ضوئها وأسبابها وظروفها، لا أحكام ثابتة ترفض التعديل وفقًا لتبدل الأسباب والظروف"[٢].

ويطعن في السنة النبوية، ويصفها بالاختلاف، وأنها مجرد سخافات حقيرة، تدلل على سخافة الإسلام، حيث قال: إن "الجمهرة من الأحاديث النبوية مختلفة اختلاف الإسناد نفسه، الذي لم يكن معروفًا في فجر الإسلام، فإن حظهم هو التعلق بكل سخيف حقير منها، للتدليل على سخافة الإسلام وحقارته، يساندهم في ذلك من طريق غير مباشر جهلة الكتاب المسلمين"[٣].

ومن العجيب أنه كان من المتأثرين بآراء المدرسة العقلية، مدرسة محمد عبده

=

(٢٧٩/٤)، طبقات المفسرين، الأدنه وي، ص٢٥.

(١) ثورة الإسلام، ص٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص٥٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٧.

ومحمد رشيد رضا، وقد حصل بينه وبين الشيخ محمد رشيد رضا مراسلات، وكان الشيخ محمد رشيد رضا يشجعه على المضي قدمًا في مساره، حسب قوله: "وكنت أجد تشجيعًا غير قليل من أستاذي المرحوم محمد رشيد رضا الذي كنتُ أكاتبه، وأكاتب مجلته(المنار) حتى إبّان إقامتي في انجلترا. وكان هذا الإمام الجليل يشجعني دائمًا، وإن خالف آرائي مرات، ولكنه كان يُعْنَىَ بجوهر سعيي للتوفيق الصحيح بين العلم والدين في شجاعةٍ لا تنافي الرشدَ والاتزان"(١).

٤- محمود أبو رية، (١٩٧٠)(٢):

وما إن هدأت فتنة إنكار السنة قليلاً حتى استلم رايتها محمود أبو رية، الذي كان صدره يغلي بالحقد والبغضاء على السنة وحامليها، من الصحابة ومن بعدهم، فأخرج للأمة خفي فكره، وعصارة ما تلقاه من كتب المستشرقين، ومن سار على طريقهم ممن أنكر السنة النبوية أو شكك فيها، كمحمد عبده، وتوفيق

(١) عقيدة الألوهية، أحمد زكي أبو شادي، ص٥، ٦.

(٢) محمود أبو رية، ولد في كفر المندرة، محافظة الدقهلية، (في ١٥/١٢/ ١٨٨٩م)، (٢١/ربيع الثاني/ ١٣٠٧ه)، اشتهر عنه فشله في الدراسة الأولية بالأزهر، ولم يكمل دراسته بالمرحلة الإعدادية، وتردده الدائم على بعض الأديرة والكنائس، والتقاؤه فيها أعداء الإسلام، فتفرغ للتهجم على السنة النبوية، وعلى الصحابة ﷺ بأقذع السباب. له مؤلفات منها: أضواء على السنة المحمدية، أبو هريرة شيخ المضيرة، دين الله واحد، قضى أكثر أيام عمره في مدينة المنصورة حتى وفد إلى الجيزة، عام(١٩٥٧م)، وبقي فيها إلى حين وفاته في (١١/١٢/١٩٧٠م). ينظر: شبهات وشطحات منكري السنة النبوية، أبو إسلام أحمد عبد الله، ص٣٣، ص٨٩، مع رجال الفكر في القاهرة، مرتضي الرضوي، (١/١٢٣٢)، أعداء الإسلام ووسائل التضليل، د. جابر قميحة، ص١٨١.

صدقي، وإسماعيل أدهم، وغيرهم. في كتاب سماه (أضواء على السنة المحمدية)، وكتابه هذا أوعى من جمع الشبهات المبعثرة، التي نشرت أو سمعت أو رويت حول السنة في لغة الضاد، وزاد عليها سوء الفهم، وسوء الظن، والجهل بما يقول في نقده للسنة، ويضاف إلى ذلك بأنه"رجل كذاب ومحرف للكلام عن مواضعه"(١)، يقول الأستاذ محمد طاهر الحكيم: "وأيم الله إنني قرأت فيه مجردًا من كل عاطفة فوجدت أنه لم يقل شيئًا لم يكن عند أسلافه، وإنما الذي فاقهم فيه أنه أكثر خبثًا ودناءة، وأسوأ أدبًا مع الصحابة الأمناء، وأجرأ على الكذب والخيانات العلمية"(٢).

وقد تكفّلَتْ مجلة الرسالة منذ إبريل(١٩٥١م) بنشر أبحاث أبي رية عن السنة تحت عنوان (في الحديث النبوي)، ثم جمعت في كتاب عنون له (أضواء على السنة المحمدية) وظهر في الأسواق لأول مرة في ديسمبر (١٩٥٧م)(٣)، ولم يقف أبو رية عند هذا الكتاب حتى بدأ يطعن في نقلة السنة النبوية، فسود وجهه بكتاب سماه(شيخ المضيرة(٤) أبو هريرة)، فنال فيه من شخص الصحابي الجليل

---

(١) كما قال ذلك الشيخ عبد الحليم محمود، السنة المفترى عليها، ص٢٨٤.

(٢) السنة في مواجهة الأباطيل، محمد طاهر الحكيم، ص٦٤.

(٣) ينظر: أضواء على السنة المحمدية، المقدمة، ص١٦، ص٣٥، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة النبوية، ص١٦٥.

(٤) قال أبو منصور الأزهري: "المضِيرةُ عِنْد الْعَرَب: أَن يُطبَخ اللحمُ باللّبن البَحْت الصَّريح، الَّذِي قد حَذَى اللسانَ حَتَّى يَنضَج اللحمُ وتَخْثُر المَضيرة، وربّما خَلَطُوا الحليبَ بالحَقِين للمَضِيرة، وَهِي حِينَئِذٍ أطيبُ مَا تكون". تهذيب اللغة، (١٢/٢٧).

أبي هريرة ﷺ وبالغ فيه من الفحش، والبذاءة والفسق، قال عنه: إنه كان شخصية وهمية لم يقف أحد على اسمه، فكان حريًا عدم الثقة في شخصه والتشكيك في كل ما يروى على لسانه، وشكك في سبب إسلامه، وأنه كان ساقطًا من عين رسول الله ﷺ لا وزن له عنده، ولا مكان له بين الصحابة ﷺ[١].

والمتأمل في كتابيه يتبين له مدى ما اعترى صاحبهما من الجهل بالشريعة الإسلامية، ومصادرها، وضعف صلته بالتاريخ الإسلامي، وما فيه، وأنه وقع في فخ أعداء الدين من المستشرقين والرافضة، وغيرهما، فنهل من معينهم، وارتوى من كدر مشاربهم، وابتعد عن العلم والأمانة العلمية في كتابته، وسعى إلى الظهور والشهرة، على حساب دينه، ولـــما في الكتاب الأول (أضواء على السنة) من غي وضلال، وطعن في دين الإسلام، صادف ذلك الأمر"رغبةَ أعداءِ الإسلامِ، حتى اشترت إحدى السفارات الأجنبية بالقاهرة أكثر نُسَخِه، وأرسلتها إلى مكتبات الجامعات الغربية؛ لتكون بين يدي الحاقدين على الإسلام ورسوله، وصحابته، ويستندون إليها فيما أورده من أكاذيب وأباطيل"[٢].

ومن أعجب الأمور أن ترى أبا رية في كتابه (شيخ المضيرة أبو هريرة) قد اعتمد فيه على كتابٍ لمؤلف رافضي، نقل محتواه، وأفاد من كلامه، و لم ينسب

(١) ينظر: شيخ المضيرة أبو هريرة، محمود أبو رية، ص٤٨- ٥٢. وسائر كتابه مليئ بالسب واللمــز لراوية الإسلام ﷺ.

(٢) موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي، صلاح مقبول أحمد، ص٥.

إليه من ذلك شيئًا، وهو كتاب عبد الحسين الموسوي[١]، الذي سماه(أبو هريرة)[٢]، حتى لا يثير عليه غضب المسلمين، وليشعر غيره أنه من جمعه وتأليفه، فقام ابن عبد الحسين الموسوي، صدر الدين شرف الدين[٣]، مباركًا ذلك العمل الذي أوعز إليه–في ظني– ليقوم به، وقدم له تقديمًا يثني فيه على مؤلفه، بقوله: "فعرفت عالمًا متبحرًا يلين بيده الموضوع الصعب، ويرتفع بناؤه منهجيًا، يوازن شكله محتواه وينهض به، وفي الحق أنه من أنفس ما أنتجته الدراسات الإسلامية الحديثة، وأهداها في فن الوصول إلى الحقيقة"[٤].

وأما عن كتاب عبد الحسين الموسوي (أبو هريرة) فإنه قد حشاه بالطعن والتفسيق والتشكيك في نسبه، وفي صحة إسلامه[٥]، وافترى عليه افتراءات، وطعن فيه طعونات يندى لها الجبين، وحشاه بحقد لا نظير له، وختمه بخاتمة

---

(١) عبد الحسين بن يوسف شرف الدين العاملي الموسوي: ولد في شحور(بجبل عامل)،سنة(١٢٩٠هـ/١٨٧٣م)، وتوفي سنة(١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)، فقيه إمامي، تعلم بالنجف واشتغل بالحديث، له مؤلفات، منها: المراجعات، أبو هريرة، والنص والاجتهاد. ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آغا بزرك الطهراني، (٣/٣٢٣)، الأعلام، (٣/٢٧٩)، معجم المؤلفين، (٥/٨٧).

(٢) الكتاب مطبوع، صادر عن دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

(٣) صدر الدين بن عبد الحسين شرف الدين، ولد في النجف، سنة(١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م)، وتوفي سنة (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، له كتب، منها: حليف مخزوم، وزيارة الأربعين، وهاشم وأمية في الجاهلية، وغيرها. ينظر: الأعلام، (٣/٢٠٢).

(٤) شيخ المضيرة أبو هريرة، مرجع سابق، ص٧.

(٥) ينظر: أبو هريرة، عبد الحسين الموسوي، ص١٩، ٢١، وما بعدها.

السوء، فحكم على أبي هريرةﷺ بالكفر، وأنه من أهل النار ببشارة رسول الله ﷺ [(١)]. وعلى نهجه سار تلميذه، وناقل أفكاره محمود أبو رية، فكان كتابه نسخة أخرى مع اختلاف في مواضع.

ونتيجة لذلك الإنجاز العظيم-من وجهة نظر الرافضة- قاموا فرحين مستبشرين بما قام به أبو رية، في كتابه(شيخ المضيرة أبو هريرة)، فترجم إلى اللغة الفارسية مع تقديم جديد له، وترجمت هذه المقدمة إلى العربية، وهي الآن مطبوعة في آخر كتاب(شيخ المضيرة أبو هريرة)[(٢)].

٥- محمد أبو زيد الدمنهوري[(٣)]:

بدأ محمد أبو زيد الدمنهوري يطعن في مصدر الشريعة الإسلامية الثاني، ويحرف تحريفًا بشعًا آيات المصدر الأول للشريعة، فكان يرى في السنة النبوية "أنها نكبة على المسلمين، وعلى دين الله ﷻ، ويتمنى إحراقها وإعدامها من الوجود، وتكون نقطة بداية التحريق من صحيح البخاري فمسلم[(٤)] ليرتاح

---

(١) أبو هريرة، مرجع سابق، ص٢٢١.

(٢) ينظر: شيخ المضيرة أبو هريرة، ص ٣٣١.

(٣) سيتم الحديث عنه-إن شاء الله- في مبحث أشهر القرآنيين الذين خاضوا في التفسير.

(٤) مسلم بن الحجاج بن مسلم، أبو الحسين القشيري النيسابوري. الإمام الحافظ الحجة، المصنف الشهير في الحديث وعلومه، صاحب الجامع الصحيح، وهو أحد الصحيحين المعول عليهما في حديث الرسول ﷺ. ولد بنيسابور، سنة (٢٠٤هـ)، وتوفي بها سنة، (٢٦١هـ)، له مصنفات كثيرة، أشهرها الجامع الصحيح، ومنها: المسند الكبير على الرجال، التمييز، العلل والأسماء، وغيرها. ينظر: طبقات الحنابلة، (٣٣٧/١)، وفيات الأعيان، (١٩٤/٥)، تهذيب الكمال، (٤٩٩/٢٧).

الناس من شر ما فيهما"[١]. فأبدى ما يكنه قلبه، ويختلج به ضميره من عداء لسنة رسول الله ﷺ، وهو لا يرى مانعًا من مخالفة أوامر الرسول ﷺ إذا كانت للرأي والمصلحة، واعتبرها من الشورى[٢]، وطاعة الرسول ﷺ لا تفيد صاحبها، ولا تقربه إلى الله تعالى[٣]، وألف كتابًا آخر سماه (الزواج والطلاق المدني في القرآن)، وأظهر فيه من المنكرات، فأنكر نبوة آدم عليه السلام وقال: بتعدد الأصول البشرية، وفسر معجزات القرآن تفسيرًا غير ما فهمه المسلمون طوال القرون الماضية[٤].

٦- السيد صالح أبو بكر[٥]:

هو صاحب كتاب (الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية، وتطهير البخاري منها)، والذي نشر لمرة واحدة في القاهرة، في عام (١٩٧٤م)، ثم أمرت لجنة البحوث الأزهرية بمنعه ومصادرته حيث تعرض فيه لأصح كتب الحديث بتشكيكات باطلة واقتباسات تفسر على غير مراد أصحابها[٦].

---

(١) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة النبوية، ص١٨١.

(٢) الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد أبو زيد، ص٢٨١.

(٣) المرجع السابق، ص٢٩٥.

(٤) ينظر: مجلة الفتح، (٣/ ٦٣٦)، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص١٨١.

(٥) كاتب مصري، كان ينتمي إلى جماعة أنصار السنة بالإسكندرية، وعندما أصدر كتابه الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها، والذى تابع فيه محمود أبو رية، قررت جماعة أنصار السنة فصله من الجماعة. ينظر: السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، د. عماد السيد الشربيني، (١/٤٢٦).

(٦) ينظر: الرد القويم على المجرم الأثيم، حمود التويجري، ص١، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البداية،
=

يزعم واضع هذا الكتاب أن عمدة المراجع للأحاديث النبوية هي صحيح البخاري، وقد اشتمل على مائة حديث مكذوب دسها اليهود على النبي ﷺ ثم جاء البخاري وحكم بصحتها، ونسبها إلى النبي ﷺ[(١)]. وقد سعى صالح أبو بكر جاهدًا إلى إلغاء السنة النبوية، والاكتفاء بالقرآن الكريم، فقال: "إن دين الله هو القرآن بداية ونهاية، وأن رسول الله قد بلغ ذروة الأمانة وقمة الوفاء في بلاغه للناس نصًا كاملاً، والتأكيد القوي على أن كل ما يأتينا من أخبار منسوبة إلى النبي ﷺ وليس لها سند قرآني، إنما هي من وحي الخيال الخرافي الشارد أو الكيد الإسرائيلي اللعين"[(٢)].

والذي يظهر من كتاب المؤلف، هو أن المؤلف لم يرد تصفية صحيح البخاري فقط، بل أراد تصفية السنة من الوجود التشريعي الإسلامي، والاكتفاء بالقرآن الكريم، وهذا أمر يرى أنه لا حرج عليه في إعلانه أمام الملأ، حيث صرح بذلك، فقال: "ولكن لا علينا من حرج أن نؤمن بالقرآن، ونرفض هذا الحديث كما رفضنا غيره"[(٣)].

ويمكن تلخيص القول حول كتاب السيد صالح أبو بكر(الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية، وتطهير البخاري منها). إن من تأمل كتابه لم

=

ص٣٨٤.

(١) السنة المفترى عليها، البهنساوي، ص٢٨٣.

(٢) الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية، السيد صالح أبو بكر، ص٥.

(٣) المرجع سابق، ص٢٠٦.

يشك أنه محارب للإسلام والمسلمين، وأنه إنما أراد بكتابه الطعن في الإسلام وأهل الإسلام، وهو-أيضًا-محاولة ثانية لتتبع خطى أبي رية، والكتاب يكشف عن ضعف معلومات مؤلفه في علم مصطلح الحديث، كما يكشف كتابه عن عدم إحاطته بالمرويات الحديثية، وقد اعتمد المؤلف كثيرًا على أبي رية في كتابه أضواء على السنة المحمدية، واقتبس منه، واعتقد صحة ما ورد فيه متجاهلاً الردود الكثيرة عليه، فضلاً عن الأبحاث العلمية التي أعقبته، والتي تفند ما ورد فيه(١).

٧- المهندس الزراعي رشاد خليفة (ت: ١٩٩٠م)(٢):

---

(١) ينظر: الرد القويم على المجرم الأثيم، ص٢، مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحدثين وروايات الأخباريين، أكرم ضياء العمري، ص٣٨ – ٤٠.

(٢) رشاد عبد الحليم محمد خليفة، ولد في مدينة كفر الزيات، بمحافظة الغربية، بمصر، في (١٨/نوفمبر/١٩٣٥م)، تخرج في كلية الزراعة، جامعة عين شمس، عام(١٩٥٧م)، حصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة كاليفورنيا الأمريكية، عام (١٩٦٤م)، تخصّص كيمياء حيوية، هاجر إلى أمريكا، عمل خبيرًا للتنمية الصناعية بالأمم المتحدة، تزوج بأمريكية، ومن ثم حصل على الجنسية الأمريكية، بدأ ارتباطه بالقرآن، فأدخل حروف القرآن على الحاسب الآلي؛ لكي يسمح له الله-حسب قوله-باكتشاف أعظم معجزات القرآن الكريم، ألا وهي المعجزة العددية التي بنيت على الرقم ١٩. بعد اكتشافه "للمُعجزة الحسابية في القرآن المبنية على الرقم ١٩" أثبت-بحسب زعمه- أن القرآن الكريم هو رسالة الله الوحيدة إلى العالم، وأن الإعجاز العددي يثبت ذلك، ترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية، واتخذ له مسجدًا في مدينة توسان بولاية أريزونا الأمريكيه. وفي (٣١/يناير/١٩٩٠م)، قُتل الدكتور رشاد خليفة مطعونًا في مترله قبل صلاة الفجر في مسجده بمدينة توسان من ولاية أريزونا. ينظر: قراءة في وثائق البهائية، د. عائشة عبد الرحمن، ص٢١٥، مسيلمة في مسجد توسان، د. طه حبيشي، ص٦٩، ٧٠، شبهات وشطحات منكري =

وفي الثمانينات من القرن المنصرم بدأ رشاد خليفة يعيد ماضي الفتنة، التي كلما انخمدت نارها، ظهر من أعداء الإسلام من يشعلها من جديد، حيث طالع بعض كتب أعداء الإسلام من المستشرقين والعلمانيين، ومن الذين يظهرون التدين بالإسلام من منكري السنة، فأخرج للأمة ما تشرَّبه فكره من الأفكار الفاسدة التي تشكك في الإسلام وأصوله، فأخرج كتابًا سماه: (القرآن والحديث والإسلام)[١]، فجاء فيه بما لا يتجاسر على الجهر به عدو من المجرمين[٢]، أظهر فيه مكتشفًا خطيرًا لم يسبقه إليه أحد[٣]، وهو أن الحديث والسنة بدعة شيطانية يمحقها القرآن الكريم[٤]، ويبين أنه لم يستنتج هذا الحكم من تلقاء نفسه، بل جاء بعد بحث دؤوب وعمل مستمر، فقال: "وكشف البحث المستمر الدائب

=

السنة النبوية، ص٦٠، الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، http: //ar. wikipedia. org/ /.

(١) قال د. طه الدسوقي حبيشي: "صدر هذا الكتاب باللغة الانجليزية في عام (١٩٨٢م)، والكتاب لم يقع في يدي ولا في يد الكثير من المهتمين برشاد خليفة وقضيته، ولكنه قد وقع في يد بعض الباحثين، ومنهم أ. د عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، وقد هيأ الله لها قراءة الكتاب في لغته التي صدر بها. ولخصت الكاتبة الكتاب في اللغة العربية تلخيصًا وافيًا، وترجمت منه فقرات مطولة، تبين عن الكتاب من حيث أسلوبه وموضوعه ومنهج بحثه". مسيلمة في مسجد توسان، طه الدسوقي حبيشي، ص٦٧.

(٢) ينظر: قراءة في وثائق البهائية، مرجع سابق، ص٣٣٩.

(٣) حسب قوله، وإلا فإنه قد علم مصدر مشربه، ومنبع فكره، فإن أسياده من أعداء الدين قد سبقوه لذلك، وزعموا ذلك الزعم الباطل.

(٤) ينظر: قراءة في وثائق البهائية، ص٣٢٤، ٣٤٣.

عن حقيقة مذهلة"[١]، وهي: "أن الحديث والسنة، بما لهما من شعبية هائلة ومكانة عالية، لا علاقة لهما بالنبي محمدﷺوأن التمسك والالتزام بهما يمثل عصيانًا صارخًا لله ولخاتم النبيين....وهذا الاكتشاف يتناقض مع معتقدات الجماهير المسلمة في كل مكان"[٢]. وهو يكفر بالسنة كفرًا بواحًا، ولا يماري في ذلك[٣]، ويبين سبب ذلك الكفر، أن المسلم لا يحتاج إلا إلى كتاب الله وحده، وأما السنة فهي عبارة عن افتراءات ألصقت بالدين، وتم تدوينها بعد ثمانية أجيال من الموتى مما يقطع ببطلانها[٤]، وفيها يوجد عشرات الألوف من الأحاديث المزيفة[٥]، وبناء على هذه المعطيات التي طرحها لنفسه، يرى: "أن المؤمنين مأمورون من الله بأن لا يأخذوا من دينهم عن الرسول شيئًا غير القرآن، ولا أن يطيعوه في كلمة غير ما يبلغ من القرآن"[٦].

ويحذر المسلمين من الدخول في حيل السنة التي سماها بالشيطانية التي أضلت المسلمين منذ بدأ الإسلام، وأنَّ التمسك بها مع القرآن الكريم يؤدي بالمسلم إلى الشرك بالله، وهي أيضًا، معصية لله ورسوله[٧].

---

(١) المرجع السابق، ص٣٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص٣٤٣.

(٣) ينظر: قراءة في وثائق البهائية، د. عائشة عبد الرحمن، ص٤٣.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص٥١.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص٣٣٩، ٣٤٦.

(٦) المرجع السابق، ص٣٤٩.

(٧) ينظر: المرجع السابق، ص٣٢٥، ٣٤٦، ٣٥٠.

وأما موقفه من أئمة الحديث، فهو يقول عن إمام الأئمة، ومحدث الأمة، الإمام البخاري" أما البخاري راوي أحاديث السنة، فهو رجل كافر مجرم مدلس"[(١)]، وكل الذين اتبعوا البخاري ليسوا بمسلمين؛ لأنهم يعصون الله ﷻ فإذا كان البخاري لا يتبع قول الله ﷻ فكيف يكون مسلمًا[(٢)].

واستمر في غيه وعدائه للسنة النبوية وأهلها، وتنقل في درج الكفر من درجة إلى أخرى، فبعد إنكاره للسنة انتقل إلى الانتقاص من رسول الله ﷺ ومن ثم إلى تحريف القرآن الكريم؛ ليوافق مذهبه الباطل في العدد (١٩)[(٣)]، وبعد ذلك بلغ به الأمر أنه في آخر عام (١٩٨٨م) ادعى النبوة، وأعلن أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه(رسول الله رسول الميثاق)[(٤)].

٨- الدكتور إسماعيل منصور[(٥)]:

---

(١) شبهات وشطحات منكري السنة، ص١٥.

(٢) ينظر: شبهات وشطحات منكري السنة، ص٦٣.

(٣) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء، الرياض، العدد (٩)، ص٣٩.

(٤) ينظر: مسيلمة في مسجد توسان، ص١٠٩، شبهات وشطحات منكري السنة، ص١٥.

(٥) إسماعيل منصور جودة، تخرج في كلية الطب البيطري، وواصل دراسته حتى حصل على الدكتوراه، وعين مدرسًا تخصص طب شرعي وسموم، كان خطيبًا مفوهًا في مسجده بمنطقة الإمام الشافعي، ثم انقلب رأسًا على عقب فتنكر للسنة النبوية وأهلها، فطرد من مسجده، صدرت له عدة مؤلفات منها: شفاء الصدر بنفي عذاب القبر، تبصير الأمة بحقيقة السنة، تذكير الأصحاب بتحريم النقاب. ينظر: السنة ودورها في الفقه الجديد، جمال البنا، ص٣٧، ٣٨، شبهات وشطحات منكري السنة النبوية، ص١٨٢.

أكد على ضرورة الاكتفاء بالقرآن وحده(قولاً واحدًا)، وأن وجود السنة بالصورة التي وضعت بها افتيات على القرآن[(١)]، وأن" القرآن وحده يكفي!! ولسنا في حاجة إلى أي شيء غيره لا في عقائد، ولا في عبادات، ولا في معاملات، ولا في أي شيء كان"[(٢)]. فالأحاديث قد وضعها أقوامٌ ونسبوها إلى النبي ﷺ[(٣)]؛ لأن السنة لم يتكفل الله–تعالى–بحفظها كما حفظ كتابه الكريم[(٤)]، وأما مسألة تدوين السنة التي يرى د. إسماعيل منصور أنها كانت متأخرة عن زمن النبي ﷺ [(٥)]، إلا أنها في نظره "بدعة ضالة أحلت أمة الإسلام دار البوار"[(٦)]، وهو يعتبر أن الأصل في رواية الحديث كان الكذب والخيانة، وأن الاستثناء من ذلك كان الصدق والأمانة[(٧)]، واستشهد على ذلك أن الإمام البخاري–رحمه الله تعالى–استخرج كتابه الصحيح من ستمائة ألف حديث رويت له، فيخلص إلى نتيجة مفادها تحتم على كل منصف عدم كتابة الحديث على الإطلاق، أو عدم الاعتداد بكتابة من كتب[(٨)]، ورد كثيرًا من الأحاديث النبوية، بحجج

(١) ينظر: تبصير الأمة بحقيقة السنة، إسماعيل منصور، ص٧، ٨.

(٢) المرجع السابق، ص٤٤.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٢٩٤.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٣، ص ٢٥٦.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص١٣، ص١١١، ص٢٨٨.

(٦) شبهات وشطحات منكري السنة النبوية، ص١٨٢.

(٧) ينظر: تبصير الأمة بحقيقة السنة، ص٣٦٠.

(٨) ينظر: المرجع السابق، ص٧، ٨، السنة ودورها في الفقه الجديد، ص٤٠.

واهية، معتبرًا إياها مخالفة للعقل والمنطق[(١)]، ويهدف من وراء ذلك إلى أن ترفع الأمة سنة خاتم المرسلين، وتحرق كتب الحديث النبوي كلها؛ لأنها كتبت بغير إذن من الشارع، ولأن الذين كتبوها غاب عنهم المنهج العلمي الصحيح، فكذبوا على رسول الله ﷺ واستخفوا عقول الأمة[(٢)].

٩- الدكتور أحمد صبحي منصور[(٣)]:

زعيم القرآنيين، أصدر كتابه المسمى (القرآن وكفى مصدرًا للتشريع الإسلامي)[(٤)]، في عام (١٩٩١م)، الذي ألفه بطلب من معمر القذافي، كما يقول[(٥)]، أنكر فيه السنة النبوية جملة وتفصيلاً، وأثار حولها شبهات كثيرة، وأهال ألفاظًا من الجرح والشتم على جملة من الصحابة[(٦)]، ودعا فيه إلى قوله: (حسبنا كتاب الله)، (القرآن وكفى)[(٧)]، بدعوى أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي يجب على المسلم أن يتمسك به؛ فهو محتو على الأمور الدينية

---

(١) ينظر: تبصير الأمة بحقيقة السنة، ص٧، ٨،

(٢) ينظر: أخطاء وأوهام في أضخم مشروع تعسفي لهدم السنة النبوية، د. عبد العظيم المطعني، ص٥.

(٣) إن شاء الله سيتم التعريف به في المبحث التالي: أشهر القرآنيين الذين خاضوا في التفسير.

(٤) نشر الكتاب أولاً تحت عنوان: (لماذا القرآن؟)، والمؤلف باسم مستعار: د. عبد الله الخليفة، عام (١٩٩١م)، وأما تحت مسماه الحالي فلم يصدر إلا في عام (٢٠٠٥م)، كما صرح بذلك مؤلفه. ينظر: القرآن وكفى، د. أحمد صبحي منصور، ص٤، ٥.

(٥) ينظر: القرآن وكفى، د. أحمد صبحي منصور، ص٤.

(٦) ينظر: القرآن وكفى، مرجع سابق، ص٨٧.

(٧) ينظر: المرجع السابق، ص٧، ص٩، ص٢٧.

والدنيوية[١]، فلا يبق للمسلمين حاجة في النظر في غيره من المصادر، فهو شامل لا يحتاج إلى بيان السنة له حيث إن الله ذكر أنه مفصل[٢].

ويبرر ما ذهب إليه من إنكار السنة إلى أن الله نهانا عن اتباع السنة[٣]، فهي ليست من الوحي الإلهي، وليست من الدين[٤]، بل هي أحاديث ضالة وتدعو إلى الضلال[٥]، وهي في مجملها تناقض القرآن الكريم وتعارضه[٦]، والسنة -من وجهة نظره- لا تجتمع مع القرآن[٧]، بل السنة الحقة هي ما كانت موجودة في القرآن الكريم، فالاتباع للقرآن هو سنته الحقيقية، أي: التطبيق العملي لكتاب الله تعالى[٨]، ودعا في كتابه هذا إلى التبرؤ من الإمام البخاري والإمام مسلم وأئمة الحديث، نصرة للحق -بحسب زعمه-[٩]، ويزيد من جرمه وخفة عقله،

---

(١) ينظر: القرآن وكفى، ص٦، ص٧، مقال: الاسناد في الحديث، د. أحمد صبحي منصور، ص٥، حد الردة المزعوم، د. أحمد صبحي منصور، ص٩، الحسبة، ص٥٣.

(٢) ينظر: القرآن وكفى، ص٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٢٧، ص٦٩، ٧٠، مقال: الاسناد في الحديث، ص٥.

(٤) ينظر: القرآن وكفى، ص٤٠، مقال: الاسناد في الحديث، د. أحمد صبحي منصور، ص٤.

(٥) ينظر: القرآن وكفى، ص٥٣، مقال: الاسناد في الحديث، ص٥.

(٦) ينظر: القرآن وكفى، ص٥٩، ص٦٠، ص٨٠، مقال: الاسناد في الحديث، ص٩، حد الردة المزعوم، ص٩، الحسبة، دراسة أصولية تاريخية، د. أحمد صبحي منصور، ص٥٣.

(٧) ينظر: القرآن وكفى، ص٩، ص١٥.

(٨) ينظر: المرجع السابق، ص٣٧، ص٦٥، الحسبة، ص٥٣.

(٩) ينظر: القرآن وكفى، ص٤.

أن وصف السنة النبوية بأنها عمل شيطاني، ورواتها مجرمون خونة [(١)]، وهو لا يقيم حرمة للأنبياء والمرسلين، فالأنبياء عنده أناس يخطئون كما يخطئ عامة الناس، بل إن الله قد يتوب على عامة الناس ولا يتوب على الأنبياء[(٢)].

١٠- جمال البنا[(٣)]:

كاتب عمالي، أصابته لوثة فكرية أدت به إلى الخوض في غمار بحر ليس له به معرفة ولا دراية، يهرف في كتبه بما لا يعرف، ينال من مسلمات الدين، ويطعن في كثير من أحكام الشريعة الإسلامية؛ محاولاً من خلال تلك الآراء الشاذة إلى مخالفة جهابذة علماء الشريعة الإسلامية، فحينًا، يبيح إمامة المرأة للرجال في الصلاة[(٤)]، والجمع بين الصلاتين في الحضر مستمرًا على مر الأيام[(٥)]، وأنكر حد الردة[(٦)]، ويصف الإسلام بالعلماني[(٧)]، ومن ذلك: تجويزه للمرأة المسلمة أن تكون سافرة عن شعر رأسها، واعتبر شعر رأس المرأة ليس من الزينة

---

(١) ينظر: مسيلمة في مسجد توسان، مرجع سابق، ص٦١.

(٢) ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) إن شاء الله سيتم التعريف به في المبحث التالي(أشهر القرآنيين الذين خاضوا في التفسير).

(٤) ألف كتاباً في جواز ذلك، سماه: إمامة المرأة.

(٥) ألف كتابًا في جواز ذلك، سماه: الجمع بين الصلاتين في الحضر، وينظر كتابه: لا حرج قضية التيسير في الإسلام، ص٤٨.

(٦) ينظر: كلا ثم كلا، جمال البنا، ص٦٢، الإسلام والعقلانية، ص٢٨، ٨٣، الإسلام والحرية والعلمانية، جمال البنا، ص٨، موقفنا من العلمانية القومية الاشتراكية، ص٢٦، ص٤١، جناية قبيلة حدثنا، ص١٠٢، وألف كتابًا في ذلك سماه: تفنيد حد الردة.

(٧) ينظر: الإسلام والحرية والعلمانية، ص٢٦، موقفنا من العلمانية القومية الاشتراكية، ص١٥،

المأمور بتغطيتها، ولهذا فإنَّه يرى أنَّ شعر المرأة ليس عورة، حيث قال: "القرآن الكريم لم يأمر صراحة إلاَّ بستر الجيوب أي فتحت الصدور وإدناء الأزياء"(١) بل يمكنها برأي (جمال) أن تؤدي صلاتها بمفردها، وهي كاشفة لشعرها(٢). وغيرها من الأقوال الشاذة.

وأما موقفه من السنة النبوية فإنه ينكرها ويدعو إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم، ونبذ السنة النبوية(٣)، واعتبار القرآن الكريم هو المصدر الوحيد للشريعة الإسلامية، وهو الممثل الحق والأصيل للإسلام (٤).

وسعى إلى التشكيك في الأحاديث النبوية، بحجة أنها ليست وحياً، وأن الله لم يتعهد بحفظها، وأنها إنما كتبت في عصور متأخرة عن زمن النبي ﷺ(٥)، وكان ذلك من عمل السلاطين(٦)، حيث قاموا بنشر القصاصين في المساجد لوضع

---

(١) ينظر: المرأة المسلمة، جمال البنا، ص٣٤.

(٢) العربية نت، على هذا الرابط:
http: //www. alarabiya. net/articles/2006/03/09/21816. html

(٣) كلا ثم كلا، جمال البنا، ص١٧، موقفنا من العلمانية القومية الاشتراكية، جمال البنا، ص٨، ص١٤، الإسلام والحرية والعلمانية، ص٢٦.

(٤) ينظر: موقفنا من العلمانية، القومية، الاشتراكية، جمال البنا، ص٨، ص١٤، البرنامج الإسلامي، جمال البنا، ص١٦، الإسلام والحرية والعلمانية، ص١٥.

(٥) ينظر: السنة ودورها في الفقه الجديد، ص٦، تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، جمال البنا، ص١٥١، موقفنا من العلمانية القومية الاشتراكية، ص٨، الإسلام والحرية والعلمانية، جمال البنا، ص١٤، جناية قبيلة حدثنا، ص٧.

(٦) يعني بهم: معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

الأحاديث النبوية التي تخدم سلطانهم وتدعم سياستهم(١).

ويتهم أئمة الحديث بأنهم اعتنوا بسند الحديث دون متنه(٢)، ولم يعرفوا كثيرًا من الأحاديث الضعيفة التي شاعت وانتشرت؛ لما اتصفوا به من السذاجة والغفلة، فسمحوا بوضعها في كتب الصحاح(٣)، ووصف مسيرة المحدثين بأنها كانت في النهاية تنحو نحو الترخص والتساهل الذي سمح بوجود الألوف من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة في المسانيد، وكتب الصحاح نفسها(٤)، من أجل ذلك قام بتأليف كتاب سماه(تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تُلزم)، سعى فيه للتخلص من كثير من أحاديث الصحيحين، التي زعم أنها أثقلت كاهل الأمة، وحالت بينها وبين النهضة، قال جمال البنا: "لقد انزوى العالم القديم-عالم المحدثين- وانكفأ على نفسه عندما حكمته عوامل التدهور، ولم تعد دواعي إلى حشد أحاديث جديدة، ولكن ظل ما كان موجوداً وظلت آثاره قائمة عميقة، وغرست أصولها في أذهان الأجيال التي احتفظت بها حتى لاح أخيراً بوادر النهضة الإسلامية مع مشارف العصر، وآن الأوان للتخلص منها بعد أن أثقلت كاهل المجتمع الإسلامي قروناً، بل إن دواعي العصر كانت تقضي بالإجهاز عليها لينفسح الطريق للتقدم. وهذا العمل هو أول خطوة على الطريق"(٥).

---

(١) ينظر: السنة ودورها في الفقه الجديد، جمال البنا، ص١١- ١٣، البرنامج الإسلامي، ص١٧.

(٢) ينظر: الإسلام والعقلانية، جمال البنا، ص٣٧.

(٣) ينظر: السنة ودورها في الفقه الجديد، ص١٤، جناية قبيلة حدثنا، ص٥٦.

(٤) ينظر: السنة ودورها في الفقه الجديد، ص٩٥، ص١٨.

(٥) تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تُلزم، جمال البنا، ص١٦.

القرآنيون في سوريا:

١- المهندس محمد شحرور[١]:

ظهر في سوريا المهندس محمد شحرور، وصدرت له عدة مؤلفات لاقت رواجًا بين أعداء الدين من الماركسيين والعلمانيين ومنكري السنة النبوية، وقد حاول في كثير من كتبه الطعن في أصول الإسلام ومصادره، ففي كتاباته حرَّف معاني الآيات القرآنية، وعادى السنة النبوية، وشن عليها حملة شديدة في كل كتبه، مشككًا وطاعنًا في مصدريتها وحجيتها وثبوت العمل بها[٢]، ودعا إلى الاكتفاء بالقرآن[٣]، ونبذ السنة؛ كونها ليست وحيًا، قال المهندس شحرور: "لنلاحظ أن النبي ﷺ -والصحابة-رضوان الله عليهم- لم يعتبروا في وقت من الأوقات أن الأحاديث النبوية هي وحي، فهو عليه السلام من جهته لم يأمر بجمعها كما فعل مع الوحي (الكتاب)، وكذلك الأمر مع الخلفاء الراشدين فقد فهموا أنها كانت نتيجة تعامل مع واقع معين في ظروف معينة عاشها النبي ﷺ وجابه فيها عالم الحقيقة المكاني والزماني، فهي بهذا تشكل منبعًا ثريًا يستفيد منه المؤمنون عامة والعلماء المشرعون خاصة"[٤].

ويحاول المهندس شحرور أن يبدي سبب إنكاره للسنة النبوية، فهو يزعم أن

---

(١) إن شاء الله سيتم التعريف به في مبحث أشهر القرآنيين الذين خاضوا في التفسير.

(٢) ينظر: الكتاب والقرآن، د. محمد شحرور، ص٣٩، الدولة والمجتمع، د. محمد شحرور، ص٢٥، القصص القرآني(١)، د. محمد شحرور، ص٤٥.

(٣) ينظر: الإسلام والإيمان، د. محمد شحرور، ص٥١.

(٤) الكتاب والقرآن، ص٥٤٦. وينظر: القصص القرآني(١)، مرجع سابق، ص٤١.

الأحاديث النبوية نقلت لنا صورة مشوهة تختلف عما كان عليه المجتمع النبوي[١]، فرأى أنه من اللّازم فهم الدين من خلال القرآن الكريم، ونبذ السنة النبوية؛ فهي تعارض القرآن من جهة، وتتعارض فيما بينها من جهة أخرى، بل هي -من وجهة نظره- صناعة بشرية، قال: " إن صورة الدين التي قدمتها لنا الأحاديث والمرويات المنسوبة إلى الرسول صورة تختلف تمامًا عن تلك التي جاء بها الرسول (ص)[٢] من خلال التنزيل الحكيم. وهذا ما يجعلنا مصرين على ضرورة إعادة الأمور إلى نصابها، وإعادة فهم الدين فهمًا صحيحًا انطلاقًا من التنزيل الحكيم، بإعادة دراسة الأحاديث وتنقيحها بناءً عليه، بجعلها خاضعة لرقابته وليست ناسخة له، بسبب وجود التناقض الكبير بين كتاب الله والأحاديث من جهة، وبين الأحاديث بعضها مع بعض من جهة ثانية، ما يبين أنها صناعة بشرية لا غير"[٣].

٢- سامر إسلامبولي[٤]:

نادى سامر إسلامبولي في كثير من كتبه إلى نبذ السنة النبوية، والاكتفاء بالقرآن الكريم[٥]، "كونه المصدر التشريعي الوحيد، ولا يلتفت إلى فهم أو

(١) ينظر: الكتاب والقرآن، ص٥٤٧، الدولة والمجتمع، مرجع سابق، ص٢٦.

(٢) هكذا كتبها المؤلف؟

(٣) السنة الرسولية والسنة النبوية، د. محمد شحرور، ص ٢٩.

(٤) إن شاء الله تعالى، سيتم التعريف به في مبحث أشهر القرآنيين الذين خاضوا في التفسير.

(٥) ينظر: الألوهية والحاكمية، سامر إسلامبولي، ص٦٠، علم الله وحرية الإنسان، سامر إسلامبولي، ص٩، السنة غير الحديث، سامر إسلامبولي، ص٢٦.

تطبيق مجتمع ما في زمن معين للشرع الإلهي؛ لأن الحجة كامنة بالنص الإلهي فقط، فالنص حجة بنفسه، وما يثبته النص هو الصواب، أما فهم المسلمين سابقًا ولاحقًا للشرع فهو فهم نسبي، ولا يصح جعله برهانًا يقضي على ما يستجد من فهم للنص"[١]. والقرآن الكريم هو المصدر الشرعي الإلهي للحرام والحلال، والواجب يجب حصره في الكتاب فقط، وذلك من حيث إنه وحي من الله ورسالته إلى الناس جميعًا. وأما مادة الحديث النبوي فليست مصدرًا شرعيًا للحرام والحلال والواجب، وإنما هي تفاعل النبي مع الشرع الإلهي بأحكامه الكلية ومقاصده من منطلق الحكمة التي علمه الله إياها[٢]، وهو يرفض السنة النبوية، ولا يقبل أن تكون من الوحي، ويرى أنها غير ملزمة، حتى –بحسب قوله– وإن وصلت إلينا كلها دون زيادة أو نقصان، أو تحريف، وتم التأكد من صواب نسبتها إلى النبي بصورة موثوقة إلى درجة اليقين[٣].

ويصف السنة النبوية بأنها موروث ثقافي جاهلي، فيقول: "اعتقاد الذكور حسب الموروث الثقافي الجاهلي أن جنس الإناث متأخر في عقله وفهمه للأمور. [ناقصات عقل ودين][٤][٥].

(١) المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، سامر إسلامبولي، ص٩٧، ٩٨، وينظر: ص١٤٣.

(٢)ينظر: المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص١٤٣، وينظر من الكتاب نفسه: ص١٤٥، ص١٥٠.

(٣) ينظر: السنة غير الحديث، مرجع سابق، ص٣٠.

(٤) يشير إلى الحديث المتفق عليه عند الإمام البخاري، برقم، (٣٠٤)، (١/٦٨)، والإمام مسلم، برقم، (١٣٢)، (١/٨٦)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، أنه قال للنساء: (مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ).

(٥) المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، مرجع سابق، ص١١٤.

ويصف الأحاديث النبوية بأنها عنصرية تميل إلى الذكور، وتهمل حق الإناث، وهذا مفهوم جاهلي، قال: "والأحاديث المزعومة تدين جنس النساء بشدة، وكأن جنس الذكور يمثل الصلاح والتقى والطهارة، وهذا شيء لازم لذكوريتهم، والنساء يمثلن الدنس والنجاسة، وهذا شيء لازم لأنوثتهن. وهذا المفهوم واضح لمن يقرأ مثل هذه الأحاديث، وهذا مفهوم جاهلي دخل إلى الإسلام ولبس لبوسه وأصبح من الموروث الإسلامي المسّلم به لدى الأجيال"(١). وعند تعليقه على حديث: (يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكنَّ أكثرَ أهل النار.....)(٢)يصف الرسول ﷺ بأنه متحامل على النساء، فيقول: "والمدقق في الأحاديث المذكورة يجد أنها من وضع رجل متحامل على جنس النساء"(٣). وهو يقول هذا الكلام، وهو يعي ما يقول، أن المقصود به هو الرسول ﷺ فهو ينظر إلى الأحاديث النبوية على أنها من "تأليف النبي، وفهمه للرسالة، وليست وحيًا أبدًا، ولم يتعهد الله بحفظها؛ لأنها مرتبطة بشخص النبي، وبزمانه ومكانه"(٤).

٣- نيازي عز الدين(٥):

ونأتي إلى رجل آخر ممن أشهر قلمه المسموم في الطعن بالسنة النبوية،

(١) المرجع السابق، ص١٣٦.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص١٣٥.

(٤) السنة غير الحديث، مرجع سابق، ص٢٨.

(٥) إن شاء الله، سيتم التعريف به في مبحث أشهر القرآنيين الذين خاضوا في التفسير.

والعبث والتحريف، والتلصص على علم لا دراية له به ولا رواية، ذلك هو نيازي عز الدين، الذي أظهر في كتبه ما يكنه للسنة النبوية من غل وحقد، فبدأ بقذف ذلك الزبد النتن موجهًا له إلى السنة النبوية عمومًا، وإلى أصح كتابين بعد كتاب الله-تعالى، (صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم، رحمهما الله تعالى) خصوصًا، فنادى الأمة إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم[١]، ونبذ السنة النبوية؛ باعتبار أنه ليس هناك حديث رسمي للرسول ﷺ أو سنة رسمية لها مفعولها في الإسلام والعقيدة الإسلامية[٢]، فهي ليست وحيًا من الله تعالى[٣]، ولأن كثيرًا من الأحاديث الموجودة في طياتها قد جمعها ووضعها كثير من المنافقين[٤]، وكانوا يشعرون في أعماقهم بتأنيب الضمير والخوف من الله لعلمهم أنهم يقومون بشيء حرم عليهم[٥]، وهو يتهم أئمة الحديث بأنهم جعلوا الحديث وسيلة يقتاتون بها، ويترزقون من خلالها[٦]، والسنة تناقض الآيات القرآنية الصريحة[٧]، ويرى أن السنة الصحيحة هي الموجودة في القرآن الكريم؛ إذ" عِلْمُ محمدٍ ﷺ مقصور على ما في القرآن الذي هو رسالة رب العالمين، وهو أصلاً

(١) ينظر: دين السلطان (البرهان)، نيازي عز الدين، ص١١٧، ٧٠٩.

(٢) ينظر: إنذار من السماء، نيازي عز الدين، ص١٠٩.

(٣) ينظر: دين السلطان (البرهان)، ص١٠٦، ١٠٧.

(٤) يقصد بهم الصحابة وأئمة الحديث.

(٥) ينظر: إنذار من السماء، ص١١٠، ١١١.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ص٧٠٥.

(٧) ينظر: دين السلطان (البرهان)، ص ٣٥، ٧١٣.

مكلف بتبليغ تلك الرسالة وحدها للناس دون أي كتاب آخر"[١].

وسلط شبهاته في كتابه هذا على الصحيحين، وأثار حولهما الشكوك والشبهات، وسعى جاهدًا إلى طمس محاسنهم، والزعم الباطل بتناقضهما مع القرآن الكريم، وأنه لا يوجد فيهما من النور، سوى تلك الآيات القرآنية المكتوبة فيها[٢]، فقال: "وإنما مقصدي من الدراسة إظهار وتوضيح حقيقية تغاضى عنها أغلب المسلمين إلى اليوم، وتلك الحقيقة هي تناقض أغلب الأحاديث المروية في الصحيحين مع صريح آيات الله في القرآن الكريم"[٣].

وسبب ذلك التناقض والتعارض بين القرآن والسنة، من وجهة نظره، زعمه أن البخاري ومسلم كتبا صحيحيهما تحت تأثير السلطان، فأدى ذلك إلى دخول كثير من الأحاديث الموضوعة في صحيحيهما[٤].

ويرى أن أغلب أحاديث الصحيحين مصدرها التوراة، يقول: "فقد لاحظت أثناء دراستي للأحاديث في الصحيحين، أن أغلب الأحاديث التي مصدرها من التوراة المحرفة منسوبة لأبي هريرة"[٥].

وكثيرًا ما نجد منكري السنة النبوية يثيرون عواطف كثير من المسلمين، ويعرضون عليهم مشروعًا جبارًا، في تصورهم، هو باطل في مضمونه وأهدافه،

---

(١) المرجع السابق، ص٧١٣.

(٢) ينظر: إنذار من السماء، ص٤٢١.

(٣) دين السلطان (البرهان)، ص٣٨.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص١٠٤، ٧١٥.

(٥) المرجع السابق، ص٧١٣.

إنه مشروع عرض السنة النبوية على القرآن الكريم، بقولهم: "لماذا لا يجتمع علماء المسلمين ليدرسوا أحاديث البخاري ومسلم من جديد، ويعرضوها على آيات الله في القرآن الكريم، فما طابق منها كتاب الله أخذوه، وما ناقضَ صريح آياته محوه من الكتاب"(١). إنه –في الحقيقة– غطاء يودون من خلاله العبور إلى غاياتهم.

أما هو فكان موقفه الرفض التام لهذا المشروع، مسوغًا لذلك الرفض بمبررات، منها: أن ذلك سيجعلنا ملازمين للشرك بالله، وأن القرآن كتاب الله حي يتجدد مع كل زمان ومكان، وهي لا تنسجم مع روح العصر ومتطلباته، وهي ضارة على فكر كثير من شباب الأمة(٢).

والهدف والغاية التي يريد نيازي عز الدين من المسلمين أن يفعلوها بالأحاديث النبوية، هو ما أصدره حكمًا ظلم فيه نفسه، حيث طلب من المسلمين محو جميع الأحاديث النبوية، فقال: "لابُدَّ أن نفعل ما فعله الرسول الكريم وصحابته منذ البداية، وهو أن نطيع أمر الرسول الدائم(!!!) الذي برهنت على صحته من خلال التزام صحابته، وإطاعة الرسول واجب على كل المسلمين المؤمنين برسالته، (من كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ(٣))"(٤).

---

(١) دين السلطان (البرهان)، ص٧١٥، ٧١٦.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٧١٦.

(٣) الحديث مروي عن أبي سعيد الخدري، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، برقم، (٣٠٠٤)، (٢٢٩٨/٤).

(٤) دين السلطان (البرهان)، ص٧١٦، ٧١٧.

٤- المهندس عدنان الرفاعي[١]:

ظهر في العقد الأخير من القرن العشرين المهندس عدنان الرفاعي، وألف كُتُبًا تحدث فيها عن السنة النبوية، وقد خلط في جميع كتاباته السم بالدسم، وأثار كثيراً من الشكوك والشبهات حول الأحاديث النبوية، وهو يردد في كتاباته تلك الشبهات التي وضعها أسياده من المستشرقين، ومن منكري السنة النبوية قديمًا وحديثًا.

وفي كتبه دعا إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم، ونبذ السنة النبوية[٢]، بحجج واهية يزعم فيها، أن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد للشريعة الإسلامية لا يشاركه فيها أحد[٣]، والسنة النبوية لا تعتبر تشريعًا يستمد منه الأحكام الشرعية[٤]؛ لأنها لم تكن وحيًا من الله إلى رسوله ﷺ، قال: والقول بأن الله- تعالى- أوحى إلى نبيه ﷺ وحيين اثنين، هما: القرآن والسنة الشريفة، هو قول ينقضه القرآن الكريم جملةً وتفصيلاً، بل هو خروج فاضح على دلالات كتاب الله-تعالى، فالوحي في الرسالة الخاتمة هو وحي القرآن الكريم[٥]، ولم يتعهد الله

---

(١) إن شاء الله، سيتم التعريف به في مبحث أشهر القرآنيين الذين خاضوا في التفسير.

(٢) ينظر: محطات في سبيل الحكمة، عدنان الرفاعي، ص٤٦، النظرية الثالثة (الحق المطلق)، عدنان الرفاعي، ص٣٣٦.

(٣) ينظر: محطات في سبيل الحكمة، ص١٤.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص١٣، ص٣١.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص٣٧، ص٤٣، ص٦٧، ص٧٤.

بحفظها كما تعهد بحفظ القرآن الكريم[١]، وقد تطرق إليها التحريف والوضع على مر القرون السالفة، فكثير من كتب السنة امتلأت بالأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ وذلك لأنها لم تكتب في زمن النبي ﷺ بل إنما جمعت بعد قرون متأخرة من أفواه الرجال[٢]، فاشتملت على أحاديث كثيرة متناقضة فيما بينها، متعارضة مع الآيات القرآنية[٣]، تدعو في طياتها إلى الفرقة والتناحر بين المسلمين[٤]، وهي أيضًا، تسيئ إلى النبي ﷺ[٥]، فكان لزامًا على المسلمين لمعرفة صحيح السنة من ضعيفها عرضها على الميزان القرآني، لنعرف من خلاله هل هي سنة أم لا، ونعرف مصداقية ثبوت نقلها، أم هي لفقت على النبي ﷺ[٦].

ويزيد من شطط فكره، فزعم أن السنة النبوية تعتبر حاجزًا أمام تدبر القرآن الكريم، واعتبر القول القائل بأن السنة النبوية مكملة للقرآن الكريم اتهاماً لكتاب

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٨٣، ص٣٠٨.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٨٣، ص١٠٨، ص٢٦٠، ص٣٠٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص١١، ص٨٣، ص٢٩٧، ص٣٦١، المعجزة الكبرى (معجزة إحدى الكبر)، عدنان الرفاعي، ص٢٥٠، جريدة آخر ساعة، مقال بعنوان: القول بأن السنة النبوية مكملة للقرآن الكريم اتهامٌ لكتاب الله بالنقص، حوار مديحة عزب، ص٣٨، بتاريخ ٢٦/ ٥/ ٢٠١٠م.

(٤) ينظر: محطات في سبيل الحكمة، ص١٣.

(٥) ينظر: محطات في سبيل الحكمة، ص٣٤٣، ٣٤٤، ص٣٥٦، ص٣٦١، ص٣٧٢.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ص٨٠، ص٢٤٢، المعجزة الكبرى(إحدى الكبر)، عدنان الرفاعي، ص٢٥٠.

الله بالنقص[١].

والسنة من وجهة نظره موجودة في القرآن الكريم، وهي تلك الاستنباطات التي يستنبطها النبي ﷺ من القرآن الكريم، للدلالات الكامنة في أعماق النص القرآني، مثل جزئيات شعائر العبادة[٢]، قال: "فالسنة الشريفة محتواه في كتاب الله-تعالى؛ لأن كتاب الله-تعالى-تبيان لكلّ شيء، وكل زعم بأن السنة تضيف أحكامًا إلى كتاب الله-تعالى-هو زعم باطل، وخروج عن حقيقة منهج الله تعالى"[٣].

ويصل في خاتمة رأيه إلى إنكار السنة كليًا حتى ما وافق فيها القرآن الكريم، حتى لو نقلت إلينا نقلاً تلفزيونيًا، حسب تعبيره[٤].

القرآنيون في ليبيا:

١- معمر القذافي[٥]:

---

(١) ينظر: محطات في سبيل الحكمة، ص١١، ص٣٧، المعجزة الكبرى (معجزة إحدى الكبر)، ص٢٤٩، جريدة آخر ساعة، مقال بعنوان: القول بأن السنة النبوية مكملة للقرآن الكريم اتهامٌ لكتاب الله بالنقص، حوار مديحة عزب، ص٣٩.

(٢) ينظر: محطات في سبيل الحكمة، ص٥١، ص٦٣، ص١١١.

(٣) المرجع السابق، ص١١١، المعجزة الكبرى (معجزة إحدى الكبر)، عدنان الرفاعي، ص٢٥٢، ٢٥٣.

(٤) ينظر: محطات في سبيل الحكمة، ص١١٢.

(٥) معمر محمد القذافي، صاحب الكتاب الأخضر، ولد سنة، (١٩٤٢م)، تخرج في الكلية الحربية، عام (١٩٦٥م)، حكم ليبيا فترة من الزمن ابتداءً من عام(١٩٦٩م) حتى قتل في(٢٠/١٠/ ٢٠١١م)، له مجموعات قصصية، منها: الفرار إلى جهنم، الموت، القرية القرية، انتحار رائد الفضاء، وغيرها.
=

وأما ليبيا فتختلف عن غيرها من البلاد الإسلامية، ففيها قامت حملة شرسة ضد السنة النبوية، يتقدم تلك الحملة، ويرفع لواءها[١]زعيم البلاد في تلك الفترة، ألا وهو العقيد معمر القذافي، الذي أعلن إنكاره للسنة، واكتفاءه بالقرآن وحده، أمام الملأ بمسجد مولاي محمد بطرابلس، عام (٣/٧/ ١٩٧٨م)، بمناسبة مولد النبي ﷺ، قال: إن القرآن فقط شريعة المجتمع[٢]، وقال: "إن في البخاري ومسلم أحاديث منسوبة إلى النبي ﷺ لا تتفق مع القرآن، وقد دونت بعده بأكثر من مائتي سنة، يرتفع فوقها علامة استفهام"[٣]. وقال: "هل تأكد أحد من صحة البخاري ومسلم بأنه لم يدخل الناس فيهما أحاديث مكذوبة"[٤].

وطالب القذافي بعرض السنة على القرآن، فما وافق قبلناه وما لم يوافق رددناه، فقال: "إذن لنجمع كل ما قيل من حديث ونقارنه بالقرآن، فالذي يتفق معه نعمل به، والذي لا يتفق معه لا نعمل به، ولا نقول: قال البخاري وقال مسلم، فالقرآن محفوظ ولا يختلف فيه المسلمون من جاكرتا[٥]

=

ينظر: شبهات وشطحات منكري السنة، ص١٣٨، ١٤٠، الموسوعة العربية العالمية، (١٨/٩٥)، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، http: //ar. wikipedia. org.

(١) القرآن وكفى، أحمد صبحي منصور، ص٣.

(٢) ينظر: الرد الشافي على مفتريات القذافي، رابطة العالم الإسلامي، ص٦، شبهات وشطحات منكري السنة، أبو إسلام، ص١١٦، ١١٨.

(٣) شبهات وشطحات منكري السنة، مرجع سابق، ص١١٨.

(٤) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة النبوية، ص١٩٩.

(٥) جاكرتا: عاصمة إندونيسيا، وأكبر مدنها. وتعد جاكرتا المركز الاقتصادي الرئيسي في البلاد، تقع

=

إلى طنجة[١]"[٢].

والسنة عند القذافي، هي: "كل أفعال الرسول التي نقلت إلينا عمليًا، مثل: الصلاة، وعدد ركعاتها، والذبح، وتحديد القبلة، وألوان ملابسه في أيام الجمعة، وفي أيام الحرب، وهذه نعتقد أنها صحيحة، أما الأحاديث، وهي الكلام المنقول عن الرسول، لو تأكدت أن الرسول قاله مائة بالمائة لحفظته عن ظهر قلب (إذا كان يناسبني)[٣].

والقذافي يستنكر اتباع الأحاديث النبوية؛ لأن الرسول ﷺ لم يأمر[حسب زعمه] باتباع أحاديثه، ولا يوجد في القرآن نص يدعو إلى اتباع الأحاديث، ويثير الشبهات والشكوك حول الأحاديث النبوية، مما تلقفه ممن قبله من منكري السنن النبوية، قال القذافي[٤]: "الصحابة كانوا باستمرار يقولون له: يا نبي الله، يا رسول الله، وعمره هو قال لهم اتبعوا حديثي أو كلامي اتبعوا؟ أين هذه موجودة؟ هل فيه نص في القرآن كله، ستين حزب؟ هل فيه ما ينص على النبي قال لكم الكلام الذي أنا قلته لازم تتبعوه؟ طيب. . أربعين عامًا قبل البعثة. أين الكلام الذي كان يقول

=

جاكرتا على الساحل الشمالي الغربي من جاوة، على خليج جاكرتا حيث يجري نهر سيليونج إلى بحر جاوة. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، (١١٧/٨).

(١) طنجة: مدينة تقع على الساحل الشمالي للمغرب العربي على طول مضيق جبل طارق الذي يربط المحيط الأطلسي بالبحر المتوسط. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، (٦٣٠/١٥).

(٢) شبهات وشطحات منكري السنة، ص١١٨.

(٣) المرجع السابق، ص٩٧، ٩٨.

(٤) باللهجة العامية الليبية.

فيه؟ هل كان لا يتكلم؟ كان يتكلم وأين الكلام الذي قاله؟ لما جاء في إحدى الغزوات، وقال لهم: خلي نزلوا في هذا المكان، قالوا له هذا وحي واجتهاد أو كلامك أنت؟ قال لهم: كلامي أنا. قالوا له: لا إن الحرب مكيدة، ما نتزل في هذا المكان لكن هو باستمرار، باستمرار يؤكد التمسك بالقرآن فقط، لو كان هو قدّس حديثه، وجعل لحديثه أهمية مثل القرآن أو قريبة منها، معناه هو يخلق كتابًا آخر يحلّ محل القرآن. . الذي أتى لنا، وقال حديث النبي هذا لا بد تمشوا به وتقدسوه مثل القرآن، هذا شرك طبعًا، لا تعد تقل لي البخاري ومسلم هو الصحيح؛ لأن البخاري ومسلم فيهما أشياء لا تتفق مع أصول القرآن. إذن لنجمع كل ما قيل أنه حديث، ونقارنه بالقرآن، والذي يتفق معه زين، نقبله، والذي لا يتفق معه نشطبه ولا نعد نقول البخاري ومسلم"[١].

٢- مصطفى كمال المهدوي[٢]:

نادى مصطفى كمال المهدوي في طيات كتابه المسمى، (البيان بالقرآن) إلى إنكار السنة النبوية، والاكتفاء بالقرآن، بحجة أنه الكتاب المجيد، الذي تعهد الله-تعالى-بحفظه وصونه من التحريف والتبديل، قولاً، وفعلاً، وترتيبًا، وتشكيلاً، وتفسيرًا، وجعل دينه مفصلاً فيه، يستلهم منه المسلمون أحكامهم، ويرجعون فيه لحل معضلاتهم، وتبيين شريعة ربهم[٣]، "فالقرآن آيات بينات،

(١) العصريون معتزلة اليوم، يوسف كمال، ص١٥.

(٢) إن شاء الله-تعالى- سيتم الترجمة له في مبحث أشهر القرآنيين الذين خاضوا في التفسير.

(٣) ينظر: البيان بالقرآن، مصطفى كمال المهدوي، (١/ ٢٤، ٥٩).

وآيات مبينات، الواحدة تكشف عن الأخرى، وتفسرها أحسن تفسير، وعدًا من عند الله صدقًا وعدلاً، ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣]"(١).

ويحاول أن يرد على من اعترض عليه كيف سنأخذ الأحكام التفصيلية للشريعة الإسلامية، من عبادات وغيرها، بأن المرجع فيها هو القرآن، فيقول: "سيقولون: وكيف نصلى لله، وكيف نصوم رمضان، وكيف نحج البيت الحرام، وكيف ننفق من أموالنا، نقول: حسبنا ما وجدناه في كتاب ربنا، لا مبدل لكلماته، هو الحق الذي آمن به النبي ﷺ واتبعه هو وصحابته الراشدون من المهاجرين والأنصار"(٢).

وأما عن السنة[عند مصطفى المهدوي] فهي الآيات القرآنية التي تصف خُلقَ الرسول الكريم، وأفعاله وأقواله، فيجب أن نكتفي بذلك، ونهجر ما سواه، نزولاً عند قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١] (٣). وأما ما يسميه المسلمون بالأحاديث النبوية، فيقول: وكيف لنا أن نعتمد شيئًا نهى عنه رسول الله أصحابَه عن أن يدونوه، ولم يأمر إلا بكتابه القرآن، وهو أمرٌ لا خلاف عليه إذ إن الثابت أن الأحاديث لم تدون إلا بعد زمن بعيد من وفاته ﷺ وعلى رأس

---

(١) المرجع السابق، (١/ ٢٥).

(٢) المرجع السابق، (١/ ٦٦، ٦٧).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (١/ ١١).

المائة الثالثة من الهجرة، بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز[١].

والسنة في نظره ليست وحيًا من الله مثل القرآن، فهي ليست طريق هداية ولا سبيل رشاد، وعند ذلك فالمسلم لا يهتدي" إلا بما أوحي إليه من ربه، ولقد أوحي هذا القرآن إلى رسول الله ﷺ ولم يوح إليه بشيء غير القرآن الذي يقذف الله بآياته كل باطل، ويمحو بها كل زيف. . . . . فمن أراد أن يهتدي فإنما اهتدى رسول الله بالقرآن"[٢].

ووصف من اتبع السنة النبوية بأنه مشرك؛ بقوله: "وعلم الله سبحانه وتعالى أن المشركين رجس سواء من أشرك به آلهة أخرى، أو أشرك في حكمه حكمًا لم يرضه لهم، أو أشرك بكتبه كتبًا لم ينزل الله بها عليهم من سلطان"[٣].

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (١/٢٥).

(٢) المرجع السابق، (١/٤٨).

(٣) المرجع السابق، (١/٧٩).

المبحث الثالث
أشهر القرآنيين الذي خاضوا في التفسير، وأبرز مؤلفاتهم

أولاً: محمد أبو زيد.

اسمه: محمد أبو زيد، رجل من دمنهور البحيرة[١].

مولده: ولد بدمنهور البحيرة، عام (١٣٠٩هـ) تقريباً[٢].

تعلمه: نشأ بعيداً عن العلم والعلماء إلا ما كان من حفظ للقرآن في صباه، ثم التحق مدة بالأزهر، ومدة بدار الدعوة والإرشاد بالقاهرة التي أسسها الشيخ محمد رشيد رضا، لمدة عامين[٣].

عمله: سافر في طلب الرزق من خلال القيام بالتدريس في بعض الأقطار الإسلامية كالحجاز وجاوة، ونتيجة لعدم تكوينه العلمي تكويناً صحيحاً يؤهله للتعليم والتدريس، ولما وجد فيه من نزعة إلحادية، فإنه عاد من تلك البلاد مطروداً [٤].

---

(١) هذا ما وجدته بعد البحث عن تعريف بالمؤلف، ينظر: تنوير الأذهان وتبصير أهل الإيمان في الرد على أبي زيد في تفسيره المسمى الهداية والعرفان، جمعية حياة الإسلام، بدمنهور، ص ٢، الأصلان العظيمان، جمال البنا، ص٩١، تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، جمال البنا، ص١٥١، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي، (١٠٧٦/٣).

(٢) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مرجع سابق، (١٠٧٦/٣).

(٣) المرجع السابق، (١٠٧٦/٣)، الأصلان العظيمان، مرجع سابق، ص٩١.

(٤) ينظر: تنوير الأذهان وتبصير أهل الإيمان، ص ٣.

مؤلفاته: بعد عودة الرجل من البلاد التي طرد منها أخذ يشتغل بعدة أبحاث علمية، سعى في بعضها لمخالفة الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة، فألف كتيباً سماه:

هدي الرسول ﷺ، وهو مختصر من زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم رحمه الله تعالى.

-الزواج والطلاق المدني في القرآن.

-الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن.

تفسيره: المسمى بـــ(الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن)(١).

تاريخ تأليفه: وكان تأليفه ما بين(١٣٤٧هـ- ١٣٤٩هـ)، (١٩٣٠م-١٩٣١م)(٢).

وصفه: الكتاب يقع في مجلد، ضمنه صاحبه القرآن كاملاً، وعدد صفحاته مع المقدمة (٤٩٨) صفحة تقريباً.

-الكتاب عبارة عن هوامش جعلها المؤلف تفسيراً لبعض الآيات.

-تفسيره لم يشمل جميع الآيات وإنما كان يكتفي في كثير من الأحيان عند تفسيره لآية بالإحالة على أرقام بعض الآيات في السور الأخرى.

---

(١) تمكن الباحث من الاطلاع على هذا الكتاب من خلال نسخة الشيخ الدكتور: فهد بن عبد الرحمن الرومي-حفظه الله تعالى، وبارك فيه، حيث قام بإعارتي إيَّاها، فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء.

(٢) ينظر: تنوير الأذهان وتبصير أهل الإيمان، ص٣، ٤، الأصلان العظيمان، ص٩١، تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص١٥١.

-طبع الكتاب بمطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، في شهر رجب، سنة (١٣٤٩هـ).

موقف علماء الأمة من هذا التفسير:

قال الدكتور محمد حسين الذهبي[١]: "أحدث هذا التفسير ضجة كبرى في المحيط العلمي، وقام رجال الأزهر وقعدوا من أجله، ثم أُلِّفت لجنة من بعض العلماء لتنظر في هذا الكتاب، ثم لتحكم عليه بما ترى فيه، ثم رفعت اللّجنة تقريرها لشيخ الأزهر إذ ذاك، وفيه تفنيد لآراء الرجل وحكم عليه بأنه (أفَّاك خرَّاص)، اشتهى أن يُعرف فلم ير وسيلة أهون عليه وأوفى بغرضه من الإلحاد في الدين بتحريف كلام الله عن مواضعه، ليستفز الكثير من الناس إلى الحديث في شأنه وترديد سيرته"[٢].

وقال الدكتور الذهبي: "وجدنا غير هؤلاء جميعاً رجلاً نُكِس على رأسه، فطوَّعت له نفسه أن يخوض في تفسير كتاب الله على ما به من غواية وعماية، وأخيراً طلع على الناس بكتاب مختصر في تفسير القرآن الكريم، تفسيراً جمع فيه الكثير من وساوسه وأوهامه، ثم سوَّل له الغرور أن يسميه "الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن"[٣].

---

(١) محمد حسين الذهبي، عالم أزهري كبير، عُرف ببحوثه القيمة في مناهج التفسير، اغتيل في شهر رجب، سنة (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م). من مؤلفاته: الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، التفسير والمفسرون. تكملة معجم المؤلفين، محمد خير يوسف، ص٤٧٤.

(٢) التفسير والمفسرون، (٢/ ٣٩٠).

(٣) المرجع السابق، (٢/ ٣٩٠).

قامت جمعية حياة الإسلام، بدمنهور بكتابة رد على هذا التفسير، أسمته: (تنوير الأذهان وتبصير أهل الإيمان في الرد على كتاب أبي زيد المسمى بالهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن)، قالت عن هذا الكتاب: "عمد فيه إلى إنكار كثير من مبادئ الدين الأساسية ومسائله الضرورية مع جحد للسنة، وإبطال لإجماع الأمة، وشذوذ في فهم آيات الكتاب الحكيم، وتخبط في تأويله إلى درجة دفعته جاهلاً أو مرغماً أن ينكر حقائق اللغة، ووقائع التاريخ، وأن يتصدى بموقفه الغريب ما أجمع الناس على أنه من بديهيات العقل وبسائط العلم"[(١)].

وقام الشيخ محمد رشيد رضا بالرد على صاحب الكتاب بأربع مقالات في مجلة المنار، سماها: (إلحاد في القرآن ودين جديد بين الباطنية والإسلام)[(٢)]، قال عنه: "طبع القرآن المجيد في خاتمة هذا العام، طبعة جديدة مشوهة حواشيها بتحريف سخيف لآياته في العقائد والأحكام، وُصف كذبًا وزورًا بأنه تفسير للقرآن بالقرآن، وبهذا الوصف بِيعت نسخ كثيرة منه قبل طبعه باسم الاشتراك، لَمن صدقوا أنه ليس فيه إلا تفسير كل آية بالدلالة على كل ما في معناها أو موضوعها من الآيات"[(٣)].

وقال عنه أيضاً: "إن هذه الحواشي (الهوامش) القليلة المبهمة لا يصح أن تسمى تفسيرًا بوجه من الوجوه وخاصة ما سماه (تفسير القرآن بالقرآن)؛ فإنه

---

(١) تنوير الأذهان وتبصير أهل الإيمان، ص٤.

(٢) ينظر: مجلة المنار، (٦٧٣/٣١)، (٧٥٣/٣١)، (٣٣/٣٢).

(٣) مجلة المنار، (٦٧٣/٣١).

على اعتماده فيه على فهمه الشاذ المخالف للغة والشرع-وهما مادة كل تفسير- يحيل فيه عند أكثر الآيات التي يكتب شيئًا بإزائها على آيات متعددة وعلى سور كثيرة، لا يمكن أن تكون بمعنى الآيات أو الآية التي جعلها مفسرة لها، وقصاراه أن يكون في بعضها مسألة منها، وأكثر الآيات لا يفسرها بشيء"(١).

مصير الكتاب: صدر الحكم من قبل الأزهر عن الكتاب بمخالفته ما أجمع عليه المسلمون من دين الله تعالى، فصادرت الحكومة ما كان في مطبعة الحاج مصطفى البابي الحلبي وأولاده منه، وما وجد في إدارة البريد أو سكة الحديد مهيئًا لنقله، فقاموا بإتلافه، وتحذير المسلمين من شره(٢).

ثانياً: مصطفى كمال المهدوي.

اسمه: مصطفى كمال أحمد المهدوي(٣).

مولده: ولد بالإسكندرية في (١٠/ نوفمبر/ ١٩٣٤م)، حيث كان يعيش والده الليبي، الذي تعلم بالأزهر، واحترف التجارة(٤).

تعليمه: تلقى تعليمه الأول بمدرسة "فيكتوريا" الشهيرة بمدينة الإسكندرية، ودرس على يد بعض شيوخ الأزهر(٥).

(١) مجلة المنار، (٦٧٣/٣١).

(٢) ينظر: مجلة المنار، (٦٧٣/٣١)، تنوير الأذهان وتبصير أهل الإيمان، ص ٤، ٥.

(٣) ينظر: البرهان من السنة والقرآن في الرد على صاحب البيان، رمضان البركي، ص٧، شبهات وشطحات منكري السنة، مرجع سابق، ص٨٠.

(٤) ينظر: شبهات وشطحات منكري السنة، مرجع سابق، ص٨٠.

(٥) ينظر: المرجع سابق، ص٨١.

عمله: عمل في القضاء الليبي منذ عام (١٩٦٠م)، حتى أحيل إلى التقاعد على وظيفة مستشار عام (١٩٩٤م)[١].

مؤلفاته: له مؤلف واحد، هو تفسيره، المسمى:(البيان بالقرآن).

تفسيره: المسمى (البيان بالقرآن).

وصف الكتاب: صدر تفسيره عام (١٩٩٠م) في مجلدين، يحتوي على (٨٥٦) صفحة، صادر بالتعاون بين داري نشر، ليبية، وهي الدار الجماهيرية بمصراته، ومغربية، وهي دار الآفاق الجديدة، بالدار البيضاء.

كانت الكمية المطبوعة منه، هي(٥٠٠٠) نسخة.

والكتاب لم يطبع إلا مرة واحدة فقط.

قصة تأليف: الكتاب عبارة عن سلسلة مقالات نشرها المؤلف في إحدى الصحف الليبية، تحت عنوان: (أفلا يتدبرون القرآن)، وظلت هذه المقالات تنشر لمدة طويلة، ابتداءً من شهر رمضان (١٩٦٥م)، وحتى عام (١٩٨٠م) ، ثم عرض على المؤلف أحد أصحاب دور النشر أن يقوم بطبع هذه المقالات في كتاب، فتم الاتفاق بينهما على طبعها، فقام المؤلف بترتيبها، وكان انتهاؤه من جمعها وترتيبها في مدينة بنغازي، يوم الأحد (٢٤/ربيع الأول/١٤٠٣هـ)، (٩/يناير/ ١٩٨٣م)، وخرج الكتاب تحت عنوان(**البيان بالقرآن**)[٢].

موقف الناس من الكتاب: صدر الكتاب فأحدث ضجة كبيرة، جعلته مثار

---

(١) ينظر: المرجع سابق، ص٨٠.

(٢) ينظر: البيان بالقرآن، (٢/٨٥٣)، شبهات وشطحات منكري السنة، مرجع سابق، ص٨١.

نقاش من ذوي الاختصاص، سواء على صفحات الصحف والمجلات المحلية والعربية، أو من فوق المنابر في خطب الجمع، وصل هذا النقاش والحوار لدى البعض إلى درجة الطعن في معتقد المؤلف، ولم يقف عند هذا الحد، بل تعدى الأمر إلى رفع الموضوع إلى القضاء الليبي، حيث صدر حكم قضائي بإيقاف الكتاب، ومنعه من النشر والتداول(١).

وقد قام بالرد عليه جمعة رمضان البركي في كتاب سماه: (البرهان من السنة والقرآن في الرد على صاحب البيان)، يقع في مجلدين، صادر عن دار الحكمة، طرابلس، ليبيا، سنة(١٩٩٨م).

وممن قام بالرد عليه-أيضاً- عبد الكريم الوثّاق، بعنوان:(محاكمة البيان بالقرآن)، جَمَع فيه ما نُشِر في الصحافةِ من هجومٍ ونَقدٍ ضدَّ الكتاب(٢).

قال عنه رئيس مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: "إن هذا الكتاب فيه أفكار تخالف السنة والإجماع، وأرى ألا ينشر أو يوزع"(٣).

وقال عن الكتاب الدكتور عادل الغرياني: "يعده منكرو السنة بمصر وليبيا، البديل الشرعي (عندهم) لكتب الفقه والصحاح (عند المسلمين)، والكتاب يعج بالمغالطات، وسوء الفهم للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة"(٤).

---

(١) ينظر: البرهان من السنة والقرآن في الرد على صاحب البيان، (١/٢٢، ٢٣).

(٢) شبهات وشطحات منكري السنة، ص٨١.

(٣) المرجع السابق، ص٨١.

(٤) بحث الجذور التاريخية لمنكري السنة، عادل الغرياني، ص١٦٤.

ثالثاً: الدكتور: أحمد صبحي منصور.

التعريف به[(١)].

اسمه: أحمد صبحي منصور.

مولده: ولد أحمد صبحي منصور في قرية أبو حريز، مركز كفر صقر، بمحافظة الشرقية، بمصر، في (١/مارس/ ١٩٤٩م).

دراسته: بعد حصول أحمد صبحي منصور على الثانوية العامة، التحق بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية، بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، عام (١٩٦٩م)، وتخرج فيها، حاصلاً على درجة الليسانس، عام (١٩٧٣م).

حصل على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، عام (١٩٧٥م).

حصل على درجة الدكتوراه من شعبة التاريخ والحضارة، بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، عام (١٩٨٠م).

عقيدته: ينتمي د. أحمد صبحي منصور إلى الطريقة الرفاعية[(٢)] من طائفة

---

(١) مصادر التعريف بالدكتور أحمد صبحي منصور: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، http: //ar. wikipedia. org. مقال: ماهي جريمة القرآنيين، د. أحمد صبحي منصور، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، (٢٨/٣٠٦)، مقال: منكرو السنة، تاريخ حافل بالزندقة والضلال، أحمد أبو زيد، رياض الجنة في الرد على المدرسة العقلية ومنكري السنة، سيد بن حسين العفاني، ص٥١.

(٢) الرفاعية: تنسب إلى أحمد الرفاعي، (٥١٢-٥٨٠هـ) من بني رفاعة أحد قبائل العرب، وجماعته يستخدمون السيوف ودخول النيران في إثبات الكرامات. قال عنهم الشيخ الآلوسي في غاية =

الصوفية[١][٢].

عمله: عين معيداً بقسم التاريخ، بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، في (١١/١٢/١٩٧٣م).

ثم مدرساً مساعداً بنفس القسم في(٦/ ١٢/ ١٩٧٥م).

بعد حصوله على الدكتوراه في التاريخ، عين مدرساً بنفس القسم، بتاريخ(٨/ ٤/ ١٩٨١م).

مع الأزهر:

بدأ الصراع بين د. أحمد صبحي منصور والأزهر ابتداءً من عام (١٩٧٧م)،

=

الأماني في الرد على النبهاني: "وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين والدولة: مبتدعة الرفاعية، فلا تجد بدعة إلا ومنهم مصدرها وعنهم موردها ومأخذها، فذكرهم عبارة عن رقص وغناء والتجاء إلى غير الله وعبادة مشايخهم، وتتفق الرفاعية مع الشيعة في أمور عدة منها: إيمانهم بكتاب الجفر، واعتقادهم في الأئمة الاثني عشر، وأن أحمد الرفاعي هو الإمام الثالث عشر، بالإضافة إلى مشاركتهم الحزن يوم عاشوراء. وغير ذلك. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، (١/٢٦٦).

(١) الصوفية: التصوُّف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة؛ كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرق مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخّى المتصوفة تربية النفس، والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله -تعالى-بالكشف والمشاهدة لا عن طريق إتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية: الهندية والفارسية واليونانية المختلفة. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، (١/٢٤٩).

(٢) ينظر: شبهات وشطحات منكري السنة، ص٥٣.

حيث قام بنشر أفكار يخالف ما عليه جمهور المسلمين، منها: إنكاره للسنة النبوية، والنيل من عصمة الأنبياء–عليهم السلام، والإساءة إلى الصحابة رضي الله عنهم[١] فما كان من علماء الأزهر إلا أن تناولوه بالنقد، والبيان لما يحمله من أفكار، قال د. أحمد صبحي منصور:" ومنذ (١٩٧٧م) انهالت عليّ السهام وحتى الآن، كلها تعزف على وتيرة واحدة ذات ملامح محددة، قالها الشيوخ الكبار، أو رددها بعض العوام من القراء"[٢].

ظل أحمد صبحي منصور يعمل في صمت عندما كان مدرساً مساعداً بقسم التاريخ داخل جامعة الأزهر، يعبث بعقول شباب الأمة وزاد المستقبل، ينكر السنة، وينال من عصمة الأنبياء، ويسيء إلى الصحابة، ويُحقِّر من شأن رواة الأحاديث النبوية، حتى فُضِحَ الأمر عام (١٩٨٢م)، وشكى الطلاب إلى أساتذتهم، وتم جمع كتبه، والوقوف على أصل ضلاله، فأصدر الأزهر قراراً بفصله، وذلك بتاريخ، (٥/٥/١٩٨٥م)؛ بسبب إنكاره للسنة النبوية، وتطاوله على علماء الحديث النبوي، مثل البخاري، الذي يتهمه بالعداوة للإسلام والقرآن، وقيامه بتأسيس مذهب الاكتفاء بالقرآن كمصدر للتشريع الإسلامي[٣].

(١) ينظر: رياض الجنة في الرد على المدرسة العقلية ومنكري السنة، ص٥١.

(٢) شبهات وشطحات منكري السنة، ص٢٢٧.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٥٣.

في السجن:

ألقي القبض على د. أحمد صبحي منصور بتهمة إنكاره للسنة والترويج لهذا الفكر الخبيث عام (١٩٨٧م)[١] لأول مرة، ثم أفرج عنه، ثم سجن مرة أخرى في عام، (١٩٨٨م)[٢].

إلى أمريكا:

بعد أن فُصل الدكتور صبحي منصور من جامعة الأزهر، تفرغ للعمل في مركز ابن خلدون[٣] مع مديره، د. سعد الدين إبراهيم لمدة خمس سنوات، وفي

(١) ينظر: مقدمة كتابه حد الردة، ص٧.

(٢) ينظر: القرآن وكفى، ص٢.

(٣) مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، بالقاهرة، الذي يترأسه الدكتور سعد الدين إبراهيم. لهذا المركز دور مشبوه تقف وراءه دون مواربة الولايات المتحدة الأمريكية؛ فهو يقوم بتكليف منها بتنظيم ملتقيات تهدف إلى إرساء ما أسموه (الإسلام التنويري)، يشارك فيها مفكرون متهمون في دينهم، ويطلقون على أنفسهم وصف (الإسلاميين التنويريين) من أمثال: سيد القمني، وجمال البنا، ومحمد شحرور، ومحمد عبد الكريم، وغيرهم؛ حيث تتركز طروحاتهم حول العديد من أفكار الزندقة الواضحة، كاللمز في الرسالة، والتشكيك في الوحي، والطعن في الصحابة، وتجهيل علماء الأمة، وتشويه التاريخ، ويطالب هؤلاء بوضع أطر جديدة لما يوصف بـ(تجديد الفكر الديني)، و(مراجعة التراث الإسلامي)؛ ليكون ذلك فتحاً لباب«الاجتهاد حسب المتغيرات». وتمخضت لقاءاتهم عن دعوات جريئة لـ «تغيير الإسلام» من الداخل، تطبيقاً لما جاء في تقرير(دولارات وعقول وقلوب)، فصدرت عنهم دعوات مباشرة لإيقاف الجهاد، وإلغاء الحجاب، وحد الردة بدعوى(مناقضتها للشريعة). ومن المشروعات الفكرية لسعد الدين إبراهيم إيجاد تيار إسلامي يقتصر على القرآن فقط دون السنة، وهو ما دعا إليه تقرير معهد(راند عن الإسلام المدني الديمقراطي). مجلة البيان، (٢١٥/٦٠)، باختصار.

عام (٢٠٠٠م)، تعرض المركز للمداهمة من قبل الأمن المصري، وقبض على مديره بتهمة خيانة الوطن، وتم إغلاق المركز، حينها قرر د. أحمد صبحي منصور السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية؛ ليعمل فيها، واستطاع بمعونه أستاذ فكره د. محمد رشاد خليفة الحصول على حق اللجوء السياسي في (يونيه/ ٢٠٠٢م).

وفي أمريكا عمل ثلاثة أشهر أستاذًا زائراً في (الوقفية الأمريكية للديمقراطية) في العاصمة واشنطن (أكتوبر ٢٠٠٢ إلى نهاية العام).

وعمل أستاذًا زائراً لمدة عام (يونيه ٢٠٠٣ : مايو ٢٠٠٤) في جامعة هارفارد، كلية القانون في بوسطن حيث أعد مجموعات من أبحاث الإصلاح للمسلمين الأمريكان في التعليم ولربطهم بثقافة حقوق الإنسان من داخل الإسلام.

وفى سنة(٢٠٠٦م) أسس في ضاحية سيبرنج فيلد في فرجينيا في منطقة واشنطن الكبرى، المركز العالمي للقرآن الكريم[١]، تحت رئاسة دانيال بايبس[٢].

---

(١) ينظر: الشاملة المعرفة الموسوعة www.marefa.org ، مقال ماهي جريمة القرآنيين، د. أحمد صبحي منصور، الرد على كتاب عذاب القبر لأحمد صبحي منصور، عبد الغفار سليمان البنداري، ص٤٢.

(٢) دانيال بايبس: هو كاتب أمريكي يهودي معاد للإسلام، يبلغ من العمر ٥٤ عاماً تقريباً، وهو مدير معهد الدراسات الخارجية في فيلادلفيا، له مؤلفات، منها: كتاب «الإسلام المسلح يصل أمريكا» (٢٠٠٣) ، وشارك في إعداد البرنامج الوثائقي الذي يحذر من المسلمين في الولايات المتحدة بعنوان «الجهاد في أميركا» مع اليهودي المتعصب ستيفن آمرسون، مؤلف كتاب «جهاد أمريكي: الإرهابيون الذين يعيشون وسطنا» واثنين من الأكاديميين العرب هم د.فؤاد عجمي =

مؤلفاته: له عدة مؤلفات، ما يتعلق منها بالقرآن الكريم والسنة النبوية، ما يلي:

الأنبياء في القرآن الكريم: دراسة تحليلية، سنة، (١٩٨٥ م).

المسلم العاصي: هل يخرج من النار ليدخل الجنة. سنة،(١٩٨٧م).

مصر في القرآن الكريم. سنة، (١٩٩٠م).

القرآن وكفى مصدراً للتشريع: نشر في ليبيا[1]، سنة(١٩٩١م)، صودر ثم أعيد نشره في لبنان، سنة (٢٠٠٥م).

حد الردة، سنة (١٩٩٣م).

عذاب القبر والثعبان الأقرع، سنة (١٩٩٥م).

النسخ في القرآن، سنة (٢٠٠٠م).

الصلاة بين القرآن الكريم والمسلمين (٢٠٠٨م).

فكره: يعتبر أحمد صبحي منصور زعيم القرآنيين المعاصرين، ومؤسس منهج الاكتفاء بالقرآن كمصدر للتشريع الإسلامي.

=

الأستاذ في جامعة هوبكيتز، ود. خالد دوران. يصدر دانيال بايبس دورية بعنوان «الشرق الأوسط» تتبنى مواقف اللوبي الإسرائيلي في أمريكا، وتوجد الدورية في معظم المكتبات العامة الأمريكية. وبايبس على علاقة قوية بالمسلمين المرتدين في أمريكا، أمثال: مدعي النبوة رشاد خليفة، وأحمد صبحي منصور الذي حكم علماء الأزهر بردته، ويستغل هؤلاء في التلصص على المسلمين وأنشطتهم، كما اعترف بعلاقته القديمة مع الرسام الدانماركي صاحب الرسوم المسيئة للنبي عليه الصلاة والسلام. مجلة البيان، (٨٦/٢٢٣)، باختصار.

(١) تحت عنوان: لماذا القرآن، وباسم مستعار: د. عبد الله الخليفة. ينظر: مقدمة كتابه القرآن وكفى.

تفسيره: لا يوجد لأحمد صبحي منصور تفسير مستقل، إلا أنه قام بالتفسير لكثير من الآية القرآنية في ثنايا كتبه.

موقعه الإلكتروني: يشرف أحمد صبحي منصور على ملتقى القرآنيين، المسمى: موقع أهل القرآن، www.ahl-alquran.com

رابعاً: المهندس الدكتور: محمد شحرور.

اسمه: محمد ديب شحرور[1].

مولده: ولد في دمشق، سورية في (١٩٣٨/٤/١١م).

دراسته: درس المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدارس دمشق، وحاز على الشهادة الثانوية من مدرسة عبد الرحمن الكواكبي بدمشق، عام (١٩٥٧م).

-سافر في بعثة حكومية إلى الاتحاد السوفيتي في مارس عام (١٩٥٨م)؛ لدراسة الهندسة المدنية في موسكو، عام (١٩٥٩م).

-حصل على شهادة الدبلوم في الهندسة المدنية، عام (١٩٦٤م).

-عين معيداً في كلية الهندسة المدنية في جامعة دمشق، عام (١٩٦٥م).

-أوفدته جامعة دمشق إلى جمهورية إيرلندا– الجامعة القومية الايرلندية– في دبلن، لتحضير شهادتي الماجستير والدكتوراه في الهندسة المدنية اختصاص

---

(١) ينظر مصادر التعريف به: مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد (٢٣)، العدد الأول، (٢٠٠٧م)، بحث: القرآنيون والسنة النبوية، محمد يوسف الشربجي ،ص٥٢٤، النزعة المادية في العالم الإسلامي، عادل التل، ص٢٩٧.

(ميكانيك تربة وأساسات).

-حصل على الماجستير في الهندسة المدنية من الجامعة المذكورة عام (١٩٦٩م)،

-حصل على شهادة الدكتوراه من الجامعة نفسها، عام (١٩٧٢م).

-عين مدرساً في كلية الهندسة المدنية في جامعة دمشق، عام (١٩٧٢م)، وما يزال يقوم بعمله بتدريس مادة ميكانيك التربة والمنشآت الأرضية.

-حاز على استيداع من جامعة دمشق عام (١٩٨٢-١٩٨٣م)، وسافر إلى السعودية، وعمل خبيراً في اختصاصه في شركة دراسات (سعود كونسلت).

-افتتح مكتباً هندسياً خاصاً مع بعض زملائه في الكلية، عام (١٩٧٢م)، وما زال يمارس العمل الهندسي في مكتبه (دار الاستشارات الهندسية) في دمشق بالإضافة إلى التدريس في الجامعة.

-يتقن اللغتين الإنكليزية والروسية.

مؤلفاته: من أشهر مؤلفاته في مجال الدراسات الشرعية:

١-الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة، (١٩٩٠م).

٢-دراسات إسلامية معاصرة في الدولة والمجتمع، (١٩٩٤م).

٣-الإسلام والإيمان، منظومة القيم، (١٩٩٦م).

٤-نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، (٢٠٠٠م).

٥-تجفيف منابع الإرهاب، (٢٠٠٨م).

٦-القصص القرآني قراءة معاصرة، (الجزء الأول)، مدخل إلى القصص وقصة آدم، (٢٠١٠م).

٧-القصص القرآني، (الجزء الثاني)، من نوح إلى يوسف، (٢٠١٢م).

٨-السنة الرسولية والسنة النبوية، رؤية جديدة.(٢٠١٢م).

تشكله الفكري والمعرفي: لم تنل عقلية المهندس شحرور قسطاً من دراسة الإسلام وأحكامه، كما يزعم، فلم يعرف عنه أن تعلم في معهد أو مدرسة دينية في بلده أو في غيرها، وإنما كان الذي درسه هو الفلسفة الماركسية(١) التي أشرب تعاليمها وتأثر بها تأثراً كبيراً، حتى ملكت أحاسيسه، وسيطرت على عقله وفكره، وأصبحت عنده الأساس في تصور المفاهيم عن الإنسان والكون والحياة.

لقد أجمع كل من كتب عن شحرور أن منطلقاته الأساسية تعتمد على المنهج الماركسي، الذي تشربه عندما كان مبتعثاً إلى روسيا لدراسة الهندسة المدنية ما بين (١٩٥٨-١٩٦٤م)، وقد اكتمل تأثره بالمستشرقين خلال دراسته في إيرلندة(دبلن)، لدراسة الماجستير والدكتوراه ما بين (١٩٧٠-١٩٨٠م)، في الهندسة المدنية أيضاً(٢).

تفسيره: الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة.

---

(١) نسبة إلى كارل ماركس، (وُلِدَ في سنة ١٨١٨م، ومات سنة ١٨٨٣م)، تقوم الماركسية على أساسٍ من فكرٍ ماديٍّ يعطي المادة كل شيء، ويفسر التاريخ على أساس منها، وماركس واتباعه يعادون الدين، ويقولون: إن الدين أفيون الشعوب، ومخدر الفقراء. انهارت الشيوعية في معاقلها بعد قرابة السبعين عاماً من قيام الحكم الشيوعي، وبعد أربعين عاماً من تطبيق أفكارها في أوروبا الشرقية. ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي، (١٠٧٦/٢)، الموسوعة الميسرة، (٩٢٣/٢)، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي جريشه،محمد الزيبق، ص٨.

(٢) ينظر: النزعة المادية، ص٢٩٧، تهافت القراءة المعاصرة، ص١٢، التيارات الفكرية والعقدية في النصف الثاني من القرن العشرين، محمد الخالدي، ص٢٧٦-٢٧٨.

يعتبر كتاب محمد شحرور من أضخم كتب الزيغ والانحراف التي ظهرت في نهاية القرن الماضي، فقد أحدث ضجة كبيرة في مختلف الأوساط الثقافية، بين مؤيد ومعارض، فمنهم من تفاعل مع هذه الأفكار، وأيدها وانسجم معها، ومنهم من انتقدها وذمها وشن عليها غارة كبيرة، وهذه الضجة لم تحدث للقيمة التي يحملها كتاب شحرور، وإنما من خلال عنصر الإثارة المقصود؛ ذلك أن الناس لم يعتادوا أن يسمعوا في حق الدين أقوالاً، تصل إلى هذه الجرأة في مخالفة صريح الكتاب وصحيح السنة، ونقض للإجماع، والتعرض لشخصيات الصحابة بالهزء والسخرية، وتسفيه علماء الأمة الإسلامية بهذه الطريقة المزرية[1].

موقف علماء الأمة من الكتاب:

قام عدد من العلماء بالرد على الكتاب ونقده نقداً علمياً، في عدة كتب، منها :

القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان، أحمد عمران.

بيضة الديك (نقد لغوي لكتاب الكتاب والقرآن)، ليوسف الصيداوي.

التحريف المعاصر للدين، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني.

الماركسية والقرآن، للمحامي محمد صياح المعرّاوي.

القرآن وأوهام القراءة المعاصرة، لجواد عفانة.

القراءة المعاصرة للدكتور شحرور– مجرد تنجيم، كذب المنجمون ولو

(١) ينظر: النزعة المادية في العالم الإسلامي، ص٢٩٩.

صدقوا، سليم الجابي.

تهافت القراءة المعاصرة، د. محامي منير محمد طاهر الشواف.

الفرقان والقرآن– قراءة إسلامية معاصرة ضمن الثوابت العلمية والضوابط المنهجية، خالد عبد الرحمن العك.

قراءة علمية للقراءات المعاصرة، الدكتور شوقي أبو خليل.

الإشكالية المنهجية في الكتاب والقرآن–دراسة نقدية، ماهر المنجد.

تقويم علمي لكتاب "الكتاب والقرآن" الدكتور محمد فريز منفيخي.

الأسس الخاسرة للقراءة المعاصرة، المهندس مأمون الجويجاتي.

ذاك رد؟!!– عن قراءة معاصرة للكتاب والقرآند. نشأت ظبيان.

وأما عن أقوال العلماء الذين درسوا الكتاب، فقد قال عادل التل: "لقد أحصيت في كتاب شحرور ما يزيد على ألف موضع يمثل انحرافاً عن المنهج الإسلامي"(١).

وقال يوسف الصيداوي، في رده عليه الذي سماه:(بيضة الديك): "وما ارتضيتُ له عنوانه هذا إلا لأني رأيت المؤلف قال صواباً في العبارة الأولى من كتابه فقط، وهي قوله: "الكتاب من كتب"، فلما تخطاها لم يهتد إلى صواب بعدها قطّ!! ومن شاء أن يختبر صدق دعوانا هذه، فليسر معنا، ونحن نبلو ذلك الكتاب"(٢).

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي، ص٣٠٥.

(٢) بيضة الديك، نقد لغوي لكتاب الكتاب والقرآن، يوسف الصيداوي، ص١٠.

وقال عبد الرحمن الميداني: "وسلك هذا(الشحرور) مسلك أخباث اليهود، الذين حرفوا كلام الله عن مواضعه، وغيروا الدين الحق الذي أنزله الله ﷻ على رسلهم.

وتستر بالتظاهر نفاقاً بالإيمان بالقرآن والسنة، وبالانتماء إلى الأمة المسلمة لله ولرسوله، واتخذ هذا غطاء ليتسنى له أن يحرِّف في كتاب الله وسنة رسوله، وأن ينسف كل ما هو معلوم من الدين بالضرورة، من قضايا جذور، من أنكر واحدة منها، أو حرف فيها أو غير أو بدل كان كافراً بإجماع المسلمين"(١).

وقال أيضاً: "وكتاب المهندس د. شحرور مصوغ صياغة لا يشك قارئه المطلع على الكتب الماركسية في أنه يسير ضمن أساليبهم الفكرية وألفاظها ومصطلحاتها، وقد اجتهد كاتبهُ أو من أملاه عليه في أن يفسر القرآن المجيد وآياته بمنظار نظرية المعرفة عند الماركسيين، أي: اجتهد في أن يحرف كتاب الله القرآن ليساير بتحريفه الفكر الماركسي اليهودي الصنع، بأساليب تضليلية تحايله لولبية مهرها الماركسيون أكذب خلق الله، وأقبحهم نقضاً للعهود والمواثيق، وأقدرهم على الروغان عن الحق"(٢).

موقعه الإلكتروني: www.shahrour.info

(١) التحريف المعاصر في الدين، عبد الرحمن الميداني، ص٨، ٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٩ ، ٢٠.

رابعاً: جمال البنا[١].

اسمه: جمال بن الشيخ المحدث أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الشهير بالساعاتي[٢].

مولده: كان مولده، في (١٥/١٢/١٩٢٠م)، في المحمودية، محافظة البحيرة، بمصر.

عمله: جمال البنا -حسب قوله- خبير عمالي دولي، تعاون مع منظمة العمل الدولية، ومنظمة العمل العربية، وحاضر بالمعاهد العمالية المتخصصة وبالجامعة العمالية، والمعاهد المتخصصة منذ سنة(١٩٦٣م)، وحتى سنة(١٩٩٣م).

مؤلفاته: له مؤلفات كثيرة تزيد عن المائة مؤلف، منها:

-تثوير القرآن.

-المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء.

-الأصلان العظيمان.

-جواز إمامة المرأة للرجال.

-قضية الفقه الجديد.

-الإسلام والعقلانية.

---

(١) ينظر: موسوعة ويكيبيديا، http: //ar. wikipedia. org، الإسلام والحرية والعلمانية، جمال البنا، ص ٥٢، رابطة كتاب التجديد، http://altajdeed-league.org ، السنة ودورها في الفقه الجديد، جمال البنا، ص ٢٧٤.

(٢) صاحب كتاب الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني، المتوفى (٨/ جمادى الأولى/١٣٧٨ه)، الموافق، (١٩/ نوفمبر/ ١٩٥٨م) .ينظر ترجمته: المحدثون في مصر والأزهر، د. أحمد عمر هاشم وزميله، ص٣١٣.

-حرية الاعتقاد في الإسلام.

-الأصول الفكرية للدولة الإسلامية.

-نحو فقه جديد.

-كلا ثم كلا، كلا لفقهاء التقليد، كلا لأدعياء التنوير.

-العودة إلى القرآن.

-قضية الحرية في الإسلام.

-سيادة القانون والحكم بالقرآن.

-الجمع بين الصلاتين.

-أخت الصلاة المهجورة.

-جناية قبيلة حدثنا.

-تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين.

-تفنيد دعوى حد الردة.

-تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تُلزم.

-قضايا قرآنية.

تفسيره: لا يوجد لجمال البنا تفسير مستقل للقرآن الكريم، إلا أن له في كثير من كتبه تفسيراً لبعض الآيات القرآنية.

وفاته: توفي جمال البنا، ٣٠/١/٢٠١٣م.

خامساً: عدنان الرفاعي.

اسمه: عدنان غازي الرفاعي[١] .

مولده: كان مولده في عام،(١٩٦١م)، بمحافظة درعا، تلشهاب، سوريا.

دراسته: تخرج في جامعة دمشق، سنة (١٩٨٩م)، هندسة مدنية تخصص إنشائي.

مؤلفاته: له عدة مؤلفات، منها:

-النظرية الأولى: المعجزة.

-النظرية الثانية: القدر.

-النظرية الثالثة: الحق المطلق.

-النظرية الرابعة: الحكمة المطلقة.

-النظرية الخامسة: إحدى الكبر.

-النظرية السادسة: سلم الخلاص.

-نظريّة قرآنيّة في الروح القرآني

-نظريّة قرآنيّة في إطلاق النصّ القرآني.

-المعجزة الكبرى: حوار أكثر من جريء.

-محطات في سبيل الحكمة.

تفسيره: لم يكتب عدنان الرفاعي كتاباً جمع فيه تفسيراً للقرآن إلا أنه في

(١) مصادر التعريف به: غلافات مؤلفاته، مثل: محطات في سبيل الحكمة، النظرية الثانية (القدر).

ثنايا كثير من كتبه فسر بعض الآيات القرآنية.

موقعه على الإنترنت: www.thekr.net .

سادساً: سامر الإسلامبولي[1].

اسمه: سامر محمد نزار إسلامبولي.

مولده: كان مولدهُ في عام (١٩٦٣م)، بدمشق، سوريا.

دراسته ومطالعاته: لا يحمل أي شهادة أكاديمية في أي اختصاص، ودراسته كلها حرة.

درس سامر إسلامبولي فكر الأحمدية والشيعة وغيرهما، وتأثر بكتابات الدكتور محمد شحرور، منذ عام ١٩٩١م، وسيطرت على فكره، وكانت المرتكز الأساس في كثير من كتاباته.

مؤلفاته: له مؤلفات عدة، منها:

-علم الله وحرية الإنسان، (١٩٩٤م) .

-الآحاد والإجماع والنسخ، (١٩٩٥م).

-الألوهية والحاكمية، (٢٠٠٠م).

-تحرير العقل من النقل، قراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم، (٢٠٠٠م).

---

(١) ينظر: رابطة كتاب التجديد، http://altajdeed-league.org غلاف كتبه، منها: مفهوم السنة غير الحديث، ومفاهيم ثقافية.

-المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، (١٩٩٩م).

-القرآن بين اللغة والواقع، (٢٠٠٥م).

-القرآن من الهجر إلى التفعيل، (٢٠٠٨م).

-حوارات ثقافية، (٢٠١١م).

-غطاء رأس المرأة أو شعرها حكم ذكوري لا قرآني، (٢٠٠٨م).

-مفاهيم ثقافية، (الله، الحرية، العدم، الموت، الثالوث، التقمص)، (٢٠١١م).

موقعه على الإنترنت: أسس سامر منتدى عرب قرآن، (السلام الاجتماعي النهضوي). **www.arabquran.net**

سابعاً: نيازي عز الدين[1].

لم يجد الباحث ترجمة مستقلة عن نيازي عز الدين في كتبه، ولا في غيرها من مواقع الإنترنت إلا بعض المعلومات التي وجدناها في ثنايا بعض كتبه، نحاول من خلالها التعرف على شخصية نيازي عز الدين.

اسمه: نيازي عز الدين[2].

بلده: يسكن إحدى القرى الواقعة في هضبة الجولان السورية.

---

(١) ينظر: إله واحد ودين واحد، نيازي عز الدين، ص٥١-٦٤، إنذار من السماء، نيازي عز الدين، ص٥٩٧.

(٢) لعل الاسم الحقيقي له، هو: نيازى إسحاق كوشباي، الذي كتبه باللغة الانجليزية على غلاف كتابه إله واحد ودين واحد من الداخل، هكذا: Writer :NIAZI AZHAK KOSHBAY

دراسته: بعد تخرجه من الثانوية العامة سافر إلى القاهرة، ودرس في الكلية الحربية هناك، في أول أعوام الوحدة بين مصر وسوريا، تقريباً، عام (١٩٥٨م).

عمله: بعد تخرجه من الكلية الحربية، عمل في الجبهة السورية في هضبة الجولان، عام (١٩٦٣م)، كقائد سرية في لواء القطاع الشمالي من تلك الجبهة.

شارك في حرب، عام (١٩٦٧م).

شارك في حرب، عام (١٩٧٣م)، وكان قائداً لكتيبة في فرقة مدرعة.

قدم استقالته من الجيش في أوائل، عام (١٩٧٩م).

هجرته إلى أمريكا: وبعد استقالته من الجيش السوري، قرر السفر إلى أمريكا ليلحق بأسرته التي سبقته للعيش في أمريكا.

عمل في أمريكا في صناعة الأسنان[١].

دراسته عن العلوم الإسلامية: لم يعرف عن نيازي التحاقه بأي مدرسة أو معهد لتعليم العلوم الشرعية، ولم يتعلق بتلك العلوم إلا عندما أراد العبث فيها، والتشكيك في مصداقيتها، وإثارة الغبار حولها، وإنما كانت العلاقة بينه وبينها عبارة عن مطالعات شخصية، يقول عن نفسه: "بدأت الدراسة والبحث أولاً فيما نحمله اليوم كمسلمين من كتب ما زال أغلبنا يعتقد أنها الحاوية وحدها لدين الله القويم. وهذه الدراسة مع البحث استغرقني من الوقت عشر سنوات، اكتشفت فيها أننا قد ضللنا عن سبيل الحق الذي في كتاب الله وأصبحنا نسير

(١) ينظر: إنذار من السماء، ص٥٩٧.

ولكن بالاتجاه المعاكس تماماً"[١].

مؤلفاته: جمع نيازي عدة مؤلفات، قال إنه بدأ بجمع مادتها في عام (١٩٩٠م)، وفي عام(١٩٩٥م) انتهى من كتابة مسودة كتبه الثلاثة الأولى:

-النظرية، إنذار من السماء، عام (١٩٩٦).

-البرهان، دين السلطان، عام (١٩٩٧م).

-الحقيقة، دين الرحمن، (١٩٩٨م).

-الحقيقة، من حقائق القرآن المسكوت عنها، (٢٠٠٠م).

-إله واحد ودين واحد، عام (٢٠٠٦م).

نشاطه: أنشأ مؤسسة تحمل اسم: مؤسسة دين السلم، مسجلة في الولايات المتحدة الأمريكية، بولاية كاليفورنيا، بتاريخ:(١٤/حزيران/١٩٩٩م).

تفسيره: لم يؤلف نيازي كتاباً في التفسير إلا أنه تناول كثيراً من الآيات بالتفسير خلال مؤلفاته.

ثامناً: ابن قرناس.

اسمه: كاتب مجهول، يكتب تحت هذا الاسم المستعار، ولا يعرف من هو؟

مؤلفاته: له عدة مؤلفات، منها:

---

(١) إله واحد، مرجع سابق، ص٦١.

-سنة الأولين.

-الحديث والقرآن.

-أحسن القصص.

-رسالة حول الخلافة وحكم الله.

تفسيره: لا يوجد له تفسير غير أنه تناول في كتبه تفسير آيات كثيرة.

الفصل الثاني
أسباب ظهور القرآنيين وأفكارهم وأهدافهم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب ظهور هذه الطائفة.

المبحث الثاني: أفكار هذه الطائفة وأهدافها.

المبحث الثالث: الفرق المشابهة لطائفة القرآنيين.

المبحث الأول: أسباب ظهور هذه الطائفة

النظرة الصحيحة لحقيقة فكر طائفة القرآنيين تبدأ بمحاولة البحث عن الأسباب التي كان لها الأثر في ظهور هذا الفكر، وبروزه بشكل ملفتٍ في الآونة الأخيرة في المجتمعات الإسلامية.

فالناظر إلى العالم الإسلامي، وما يدور فيه وحوله من أشياء كثيرة ساهمت في ظهور تلك الأفكار، يمكن أن يستخلص منها أن هناك أسبابًا كان لها الأثر الواضح، والدور الفاعل في بروز فكر هذه الطائفة، من أهمها:

١- دور الجهل.

الجهل داءٌ عضال، وشرٌ مستطير، ما حلَّ ببلاد إلا حل معه الضلال والانحطاط في الأخلاق والأفكار والعقائد، ولقد ذاقت البلاد العربية أنواعًا من البلايا وأصنافًا من الرزايا بسبب سيطرة الجهل فيها، فجاست الأفكار المنحرفة والدعوات الباطلة فيها، فعادت الجاهلية العمياء بأنواعها، فبلغ الكفر والإلحاد مبلغًا، متمثلاً في العلمانية، والماركسية، والدعوات الإلحادية، حيث حاربوا الدين، واستهزؤوا بشرع رب العالمين، فلحق كثيٌر من أبناء المسلمين ممن كان يعاني خواءً فكريًا وجهلاً علميًا بتلك الحركات؛ لأنه يفتقد العلم الذي يعصمه من الشبهات والانحرافات، فاعتنق كثير منهم الماركسية والعلمانية، وسعى إلى نشرها والترويج لها، فجاءت منهم كل بلية، بسبب جهلهم بالدين، وعدم تمكنهم من العلوم والأدوات التي تمكنهم من فهم النصوص الشرعية، ورد

الشبهات والضلالات، فهذه الأفكار تكون بعيدة كل البعد عمن رسخ في العلم قدمه، وتملك أدوات الاجتهاد فكره، فسرعان ما يعرفها ويتنبه إليها، وقد بين الإمام الشاطبي-رحمه الله-ذلك، فقال: "إن كل راسخ لا يبتدع أبدًا، وإنما يقع الابتداع ممن لم يتمكن من العلم الذي ابتدع فيه،....، فإنما يؤتى الناس من قبل جهالهم الذين يحسبون أنهم علماء"[١].

وكان لهذا الضعف العلمي مظاهر، من أهمها:

الجهل بالشريعة الإسلامية، وأحكامها.

لقد علم أعداء الإسلام الدور الكبير الذي يلعبه جهل المسلمين بدينهم، وجهلهم بأحكام شريعتهم، من تفريق لجمعهم وذهاب لقوتهم وسهولة السيطرة عليهم، فعمدوا جاهدين إلى نشره بين صفوفهم، والحيلولة بين المسلمين ودينهم؛ لأن ذلك سيكون الطريق الأمثل لبث أفكارهم المنحرفة، ونشر الشبهات المضللة، التي لا يمكن نشرها إلا من خلال الجهل، فإذا تم لهم ذلك استطاعوا "استغلال المسلمين الجهلاء لبث مخططاتهم الاحتلالية، ولمد نفوذهم على ثروات المسلمين بل وعقولهم. ولقد سلكوا وسائل عدة لتحقيق هدفهم من نشر الجهل بين المسلمين، منها: عملهم على استبعاد دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ الإسلامي"[٢].

---

(١) الاعتصام، الشاطبي، (١/١٩٢).

(٢) ينظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين السيد صالح، ص١٨١، دراسات في السيرة النبوية، محمد سرور زين العابدين، ص١١٩- ١٥٦.

-العمل على تشويه عقائد المسلمين، وإثارة الشكوك والشبهات حولها[١] عبر وسائل التربية والتعليم من جهة، وعبر وسائل الإعلام من جهة أخرى، فأصبح كثير من المسلمين متشبثين بأغشية من الجهل والسذاجة والخرافة على أنها من صميم الدين، وكل ما خالفها فهو أمر غريب ومردود [٢].

لقد أوجد هذا الجهل-بالإضافة إلى أسباب أخرى- قابلية لدى بعض المسلمين لقبول هذا الفكر المنحرف الذي ظهر في هذه الفترة الزمنية.

الجهل باللغة العربية.

ولم يكتفِ أعداء الإسلام من نشر الجهل بأحكام الدين، وتعزيز وجوده بين المسلمين، حتى سارعوا إلى نشر الجهل بينهم بلغة القرآن الكريم-اللغة العربية- التي تعتبر الأداة الموصلة إلى فهم الشريعة، التي كثيرًا ما يقع الخطأ والاشتباه في فهم النصوص بسبب الجهل بها، فالقرآن نزل بلغتها، وخاطب الله الناس بها، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢]، فهي الطريق لفهمه ومعرفة معانيه. قال الإمام الشافعي[٣]-رحمه الله تعالى: "القرآن نزل بلسان العرب دون غيرهم؛ لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرقها. ومن علمها انتفت عنه

(١) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حبنكة، (ص٤٤)، و(٧٥، ١٩٨، ٢٢٥، ٢٤٩)، دراسات في السيرة النبوية، مرجع سابق، ص ١٥٩، موقف الصحابة من الفرقة، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

(٢) ينظر: الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، علي الزهراني، (١/٢٠٥)

(٣) سبق التعريف به.

الشبه التي دخلت على من جهل لسانها، فكان تنبيه العامة على أن القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين، والنصيحة لهم فرض لا ينبغي تركه"[١].

وهي -أيضًا- المعين على فهم السنة النبوية، قال ابن عبد البر[٢] -رحمه الله تعالى: "ومما يستعان به على فهم الحديث ما ذكرناه من العون على كتاب الله عَجَلَّ: وهو العلم بلسان العرب ومواقع كلامها، وسعة لغتها، وأشعارها، ومجازها، وعموم لفظ مخاطبتها وخصوصه، وسائر مذاهبها لمن قدر، فهو شيء لا يُستغنى عنه، وكان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يكتب إلى الآفاق: أن يتعلموا السنّة والفرائض واللحن -يعني النحو- كما يتعلم القرآن"[٣].

ولذا وجب أن يفهم القرآن الكريم والسنة النبوية على مقتضى أسلوب العرب في تخاطبهم، وإلا وقع المتكلم فيهما في الانحراف والزيغ، عندما يحاول أن يفهمهما بالأساليب المخالفة لطرائق العربية وأساليبها، وقد ضل بسبب الجهل بمصطلحات اللغة العربية طوائف ووقعوا في البدع، قال الشاطبي[٤]: "ولعلك إذا استقريت أهل البدع من المتكلمين، أو أكثرهم وجدهم من أبناء

---

(١) الرسالة، الشافعي، ص٤٧.

(٢) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر: حافظ، فقيه، مؤرخ، أديب، ولد بقرطبة سنة (٣٦٨هـ). له مصنفات، منها: الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، وجامع بيان العلم وفضله، وغيرها، توفي بشاطبة، سنة(٤٦٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، (١٥٣/١٨)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، (٦٦/٧)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، (١٢٧/٨).

(٣) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، (٣٢٤/٢).

(٤) سبق التعريف به.

سبايا الأمم، ومن ليس له أصالة في اللسان العربي، فعما قريب يفهم كتاب الله على غير وجهه"[١].

٢- دور وسائل الإعلام.

تميز عصرنا-دون غيره من العصور- بالتقدم العلمي والتكنولوجي، حيث ظهرت فيه ما يسمى بثورة الاتصالات، فانتشرت وسائل الإعلام بشكل كبير في أوساط الناس، ولعبت على اختلاف أنواعها دورًا لا يستهان به في نشر الأفكار والاتجاهات المختلفة من غث وسمين، فهي تملك القوة على تغيير الأفكار وقلب الحقائق.

وتعتبر القنوات الفضائية من وسائل الإعلام الأكثر خطرًا والأشد ضررًا[٢]، "لاتساع القطاع الجماهيري الـمُخَاطَب من قبل تلك الوسائل؛ ليشمل جميع الشرائح الاجتماعية بمختلف مستوياتها التعليمية، والمعيشية، والسنية"[٣] حيث أصبحت هي مصدر المعلومات الرئيسي لكثير من الثقافات العامة والمعارف الإنسانية، وتسهم في تشكيل كثير من العقليات والسلوكيات والقيم، كما أنها تسهم في زعزعة كثير من القناعات والاعتقادات التي لم يستطع أحدٌ على مدى

---

(١) الاعتصام، الشاطبي، (٢/٦٨٣).

(٢) لا يفهم من هذا الكلام أن لوسائل الإعلام دورًا سلبيًا فقط، بل يوجد لها دور إيجابي، فهي كما قيل: سلاح ذو حدين، تكمن فائدته من خلال طريقة استعماله.

(٣) تغريب الأمة... آفاته وكيفية مواجهته، مجلة المجتمع، (الكويت: العدد١٢٤٦، السنة٢٨، ٨/١٢/١٤١٧هـ)ص٥٤، التغريب الثقافي في الإعلان التجاري، د. محمد بن علي السويد، (١/١٠، ١١).

قرون عديدة على زعزعتها؛ وذلك لأن الكثير من المشاهدين لهذه القنوات ليس لديهم الآلة الكافية للتمييز بين الأفكار الصحيحة والباطلة، وبين النافع منها والضار، فقد تأتيه شبهة تعصف به ولا يدري كيف يخرج منها فيصلى بنارها ويكون من حطامها، "وقد تسابق في هذا الميدان كل صاحب رسالة يريد أن يقنع بها الآخرين، فأهل الشهوات استطاعوا إثارة فئة من الناس، وأهل البدع تفننوا في تزيين بدعتهم، وأهل الأديان حشدوا جموعهم لنشر دعوتهم"(١).

ونتيجة لتطور هذه الوسائل وكثرة انتشارها والتي استطاعت أن تخترق الحواجز الحدودية، فتعبر البحار والقفار، فالعالم اليوم أصبح يعيش نتيجة التطور التقني المذهل في مجالات الاتصالات الإعلامية باستخدام الأقمار الصناعية مرحلة الدولة الإعلامية الواحدة، أو كما قيل: أشبه بقرية إليكترونية، ألغت الحدود وأزالت السدود، واختزلت المسافات والأزمان، واختصرت التاريخ، وتكاد تلغي الجغرافيا حتى بات الإنسان يرى العالم ويسمعه من مقعده، ولم يقتصر ذلك الاختراق الحدود السياسية والسدود الأمنية، وإنما بدأ يتجاوز إلى إلغاء الحدود الثقافية، فدخلت وسائل الإعلام كعامل قوي في عملية الانتشار الثقافي، وتشكيل القناعات العقدية، والخصائص النفسية، فتعيد بناءها وفق الخطط المرسومة لصاحب الخطاب الأكثر تأثيرًا والبيان الأكثر سحرًا والتحكم الأكثر تقنية(٢)، فالإعلام أصبح منظومة شاملة؛ فلم يقتصر دوره على الاهتمامات

---

(١) الفضائيات العربية التنصيرية، أهدافها–وسائلها– سبل الوقاية منها، تركي بن خالد الظفيري، ص٦١.

(٢) ينظر: التغير الإجتماعي والثقافي، د. عبد العزيز الغريب، ص ١٧٤– ١٧٥.

المعرفية والعلمية، بل اهتم إلى جانب ذلك بالعقائد، والأخلاق، والعادات، والأنظمة، وجعلها في إطار واحد.

وفي ضوء تلك المعطيات القوية التي يمتلكها الإعلام أصبح من الممكن أن يؤثر تأثيرًا قويًا على أبناء الأمة الإسلامية، من خلال طرح الأفكار والمفاهيم الجديدة والمستقاة من الأفكار المنحرفة والحضارة الغربية، على المجتمعات الإسلامية، ومحاولة نشرها وإضعاف القيم الحضارية والثقافية الأصيلة المستمدة من الدين الإسلامي.

وقد فعَّل منكرو السنة النبوية دور وسائل الإعلام لخدمة أهدافهم ونشر أفكارهم؛ لأن الإعلام تحول من إشباع الاهتمامات وغرس المعلومات إلى صناعة الاهتمامات، وإعادة التشكيل الثقافي للإنسان من خلال الأوعية الإعلامية المختلفة، والتقنيات المتطورة[(١)]، فالقنوات الفضائية تؤثر على عقليات كثير من الناس على اختلاف مراحلهم العمرية، ومستوياتهم العلمية، يقول د. عبد العزيز الغريب: "إن تأثير وسائل الإعلام هو تأثير دقيق، وله قابلية الانتشار مع مرور الزمن؛ حيث تتغير مواقف الناس بناءً على المضامين المهيمنة، والمواد التي تحتويها وسائل الإعلام"[(٢)].

وقد استثمر القرآنيون وسائل الإعلام فوجهوا سهام خبثهم ورماح مكرهم إلى السنة النبوية المطهرة، فطعنوا في مصدرها، وتنقصوا من حملتها،

---

(١) ينظر: القنوات الفضائية: المآخذ والإيجابيات، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ص١٢.

(٢) التغير الاجتماعي والثقافي، مرجع سابق، ص١٧٩-١٨٠.

واتهموا أئمة الحديث المهتمين بها بالتزوير والتلفيق والكذب والخيانة، وكان عرضهم لذلك من خلال برامج وحلقات متعددة تبث من خلال بعض القنوات العربية والأجنبية.

ومن أبرز مخاطر الإعلام هو أن المشاهدين يتلقون سيلاً من الشبهات التي تطرح حول عدم مصداقية الأحاديث النبوية التي يحاولون إظهارها وكأنها متعارضة ومتنافرة فيما بينها، يمجها الطبع السليم، وينفر منها العقل المستنير، فعند ذلك يبدأ المشاهد في سؤال نفسه عن صحة تلك الشبهات، وربما سأل بعض أهل العلم، أو قد يسأل من حوله من المسلمين الذين لم يعرفوا من العلم إلا قليلاً، فيقعوا في تلك الشبهات، والأمر المشاهد اليوم كثرة الأسئلة المطروحة اليوم حول السنة النبوية، والتي تدور حول: مصداقيتها، صحتها، صدق نقلتها، وهذا هو الهدف الذي أراد منكرو السنة الوصول إليه، حيث انساقت بعض الجماعات، وكذا الأفراد إلى ذلك الفكر لهذا السبب، ولما فطر عليه الإنسان من عجلة في تناول ما يريد، فالعقل لا يمكن أن يقبل أن السراب ليس ماءً حتى يأتيه فلا يجده شيئًا[(١)].

إن الخطورة في تشكيك المسلم في السنة النبوية خطوة سابقة للدعوة الصريحة للشك في القرآن الكريم؛ وذلك لأن المتشكك في السنة النبوية إذا لم يجد الإجابات الشافية التي تبعد عنه هوس الشبهات، سينتقل تلقائيًا لوضع تلك العلامات الاستفهامية، والأسئلة الجريئة، والشبهات الوضيعة على القرآن

---

(١) ينظر: العقلية الليبرالية في رصف العقل ووصف النقل، عبد العزيز مرزوق الطريفي، ص٧٦.

الكريم،"وقد أثبت لنا التاريخ القريب-الذي تعيشه الأمة الآن- أن هذا الوضع الشاذ الذي أصاب أمتنا قد لعبت فيه الصحافة، والإذاعة، والتلفاز، وحركة النشر والتأليف والترجمة دورًا خطيرًا"[١] فظهر بسببه كثير من الأفكار المنحرفة، ومنها طائفة القرآنيين، الذين كان لهم حضور إعلامي في كثير من القنوات الفضائية العربية واسعة الانتشار[٢]، محاورين ومناظرين ومتحدثين وعارضين لكثير من آرائهم وأفكارهم.

الإنترنت (Internet)[٣]:

لم يشهد التقدم البشري قفزة علمية تقنية كالتي شهدها في العقد الأخير من القرن المنصرم في مداها الواسع وانفتاحها الشمولي على مختلف المدارك البشرية، فقد غمرت ما تعرف بتقنية الإنترنت المحيط العالمي بطوفانها المعلوماتي، وأصبحت في متناول القاصي والداني على حد سواء، وفي اللحظة ذاتها تقريبًا، لم يعد البعد الزمني بين شخص ما وبين إنسان آخر في أقصى نقطة تقابله

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، لأبي الحسن الندوي، ص١٢٧- ١٣٠.

(٢) مثل: قناة العربية، وقناة الجزيرة. وقناة فوكس الأمريكية، وقناة أوربت، وغيرها.

(٣) الانترنت: كلمة غير عربية، وكلمة (Internet) اختصار (International net work) أي الشبكة العالمية، وهي مجموعة من ملايين الحاسبات المنتشرة في آلالف الأماكن حول العالم، وتمكن لمستخدميها من استخدام حاسباهم للتواصل والعثور على المعلومات والبيانات والمشاركة في الملفات وتبادلها من خلال بروتوكول الإنترنت، وتبدأ أصول الإنترنت منذ الحرب الباردة. ينظر: الإنترنت، فاروق سيد حسين، ص٣٠، التغير الاجتماعي والثقافي، عبد العزيز الغريب، ص٢٨٤، الإنترنت ومقاصد الشريعة، نور الدين الخادمي، ص١٧.

يتجاوز ثواني أو ربما طرفة عين[١].

إن الإنترنت من الوسائل الإعلامية القوية، لنشر الكتب والمؤلفات والمقالات والمقابلات، وكذلك نشر الأفكار والاتجاهات والملل والنحل والديانات؛ حيث لا تخضع هذه الوسيلة للرقابة والتحكم فيما يطرح وما ينشر فيها، إلا في النادر، إن المتحكم فيها هو الشخص الذي يستعملها، فله الحرية في أن يثبت ما شاء ويستقبل ما شاء دون خوف الرقابة والمحاسبة، وقد نالت هذه الوسيلة الإعلامية من القبول والإقبال عليها ما لم تنله وسيلة من وسائل نقل ونشر المعلومات في تاريخ البشرية، حيث لاقت بين أوساط المجتمعات القبول، والإنترنت يعتبر "الأسرع نموًا في العالم ففي حين احتاج الراديو إلى ٣٨عامًا للحصول على ٥٠ مستخدمًا، احتاج التلفاز إلى ١٣ عامًا للوصول إلى العدد نفسه، في حين شبكة الإنترنت لم تحتج خمسة اعوام للوصول إلى ذلك العدد، وأقل من عشرة أعوام للوصول إلى ٥٠٠ مليون مستخدم"[٢].

ونتيجة لما يحظى به الإنترنت من الانتشار والاهتمام بين أوساط الناس، فقد كان وسيلة إعلامية عالمية يسعى من خلالها لنشر الأفكار والاتجاهات المنحرفة، فسارع أعداء الإسلام والمسلمين إلى ذلك واستغلوه أتم استغلال للمسارعة في هدم عقائد المسلمين وإفساد أخلاقهم، والترويج لأفكارهم وأديانهم كاليهودية

---

(١) ينظر: الإنترنت والمنظومة التكنو اجتماعية، علي محمد رحومة، ص٣٩، التغير الاجتماعي والثقافي، ص٢٨٣-٢٨٤، الإنترنت ومقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص٥٧.

(٢) إنتاج مواقع الإنترنت التعليمية، أكرم مصطفى، ص٢٢.

والنصرانية، فقد قامت منظمات التنصير في عام ١٩٩٧م بإنشاء (اتحاد التنصير عبر الإنترنت) والذي يعقد مؤتمرًا سنويًا لدراسة أفضل السبل لاستخدام إمكانات الإنترنت في نشر الدعوة التنصيرية، والقيام بالتشكيك في مسلّمات العقيدة الإسلامية وثوابت الإيمان الصحيح المقرر بالقرآن والسنة النبوية(١).

وممن سارع إلى ذلك بعض الفرق المنحرفة عن الإسلام فقد بدأت تلك الفرق"المنحرفة تتعرف على هذه الشبكة وخطورتها، فظهرت مواقع للأحمدية (القاديانية)(٢)والبهائية(٣)، ومنكري السنة النبوية، وكان أول المواقع، هو موقع للأحمدية في كندا، والذي أنشئ أواخر عام ١٩٩٤م"(٤).

---

(١) الفضائيات العربية التنصيرية، مرجع سابق، ص٥٧، الإنترنت ومقاصد الشريعة، ص٧٠.

(٢) القاديانية: حركة أسسها مرزا غلام أحمد القادياني، عام(١٩٠٠م) في القارة الهندية، بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم، وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الإنجليزية. ينظر: القاديانية، إحسان إلهي ظهير، ص١٩، أضواء على الحركات الهدامة، أبو الحسن الندوي وآخرون، ص٥، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٤١٦/١)، الإسلام والحركات الهدامة، معالي عبد الحميد حمودة، ص١٧٤.

(٣) البهائية: إحدى الفرق الباطنية الخبيثة التي حاولت هدم الإسلام، وإخراج أهله منه بأساليب وطرق شتى قديمًا وحديثًا، احتضنتها الصهيونية العالمية لهدم الأديان، وخصوصًا الدين الإسلامي، بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين، وصرفهم عن قضاياهم الأساسية. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، (٤١١/١)، البهائية وموقف الإسلام منها، دخيل الأزوري، ص٤٣، أباطيل البهائية وبروتوكولات صهيون، د. عبد العزيز شرف، ص٣٩.

(٤) كيف تخدم الإسلام من خلال الإنترنت، تركي العصيمي، ص٥٩.

وقد أنشئ أول موقع لمنكري السنة وأتباعهم على الإنترنت للدكتور رشاد خليفة، عام(١٩٩٦م)، ويطلق عليه اسم(Submission)، وهي الترجمة الإنجليزية الحرفية لكلمة (إسلام)[١]، وحاولت الفرق المنحرفة عن الإسلام بعد ذلك تسجيل الكثير من المواقع بأسماء مرتبطة بالإسلام، مثل: الإسلام، إسلام، الإسلام الحق، القرآن، أهل القرآن. . . الخ، ومن ثم تقوم بعرض الإسلام والمعتقدات من وجهة نظرها المنحرفة[٢].

ومع الانتشار الشديد للإنترنت في الآونة الأخيرة أدرك القرآنيون أهمية توظيفه في نشر أفكارهم، وتبني منهجهم، والتعريف بمعتقداهم، ونشر مؤلفاهم، والتعرف على معتنقي فكرهم، والتواصل معهم حول العالم، والأهم من ذلك أَهْا سعت إلى جمع شتات القرآنيين، وتنظيم أهدافهم، وبعد فترة صار من يدخل مواقعهم ويقرأ هذياهم، ويغتر بأفكارهم، ونجد بين كل فترة وأخرى من يتأثر وينخدع بهم، وللأسف الشديد فـــ" العقول في زماننا هذا كأسراب الطيور خلف المؤثرات عليها، وقليل من يتحكم بضبط عقله ووزن حكمه"[٣].

ونتيجة لهذا التوجه الإعلامي، والتركيز الشديد على إقامة مواقع للإنترنت يجتمع تحت مظلته أتباع الطائفة، فقد صرح زعيمهم الدكتور أحمد صبحي منصور أن تيار القرآنيين ينتشر في العديد من الدول، ويزعم أن له أنصارًا

---

(١) المرجع السابق، ص٤٦.

(٢) ينظر: كيف تخدم الإسلام من خلال الإنترنت، ص٥٩.

(٣) العقلية الليبرالية في رصف العقل ووصف النقل، د. عبد العزيز الطريفي، ص ٢٠.

كثيرين. وللتدليل على هذا -حسب قوله- يستضيف الموقع نحو ١٠٠ شخصية من مختلف الدول من مصر، وأفغانستان، والأردن، وفلسطين، وسورية، والعراق، إلى جانب مجموعة كبيرة من المصريين المقيمين في الداخل والخارج. ومن أشهر الذين يستضيفهم الموقع د. سعد الدين إبراهيم، والكاتب المسرحي علي سالم، وهو من كبار أنصار التطبيع مع العدو الصهيوني، وبعض غلاة العلمانيين، مثل: الكاتب سيد القمني، وكمال غبريال(١).

وقد تعددت أساليبهم في نشر أفكارهم في الإنترنت، ومن أخطر تلك الوسائل استغلالهم لغرف الدردشة(Chat) (البالتوك)(٢)، فقد أنشأوا لهم غرفًا يتحادثون فيها مع من يريدون إيصال أفكارهم إليه وطرح شبهاتهم عليه، فيطعنون في السنة النبوية علانية، ويسبون الصحابة، ويلعنون أئمة الحديث، ورواة الآثار، والمتحدثون معهم من جميع المراحل العمرية، والمستويات الثقافية والعلمية، فإن كان جاهلاً لا يعرف الرد على شبههم ناقشوه واستدرجوه، وألقوا بعض الشبهات وأدخلوه في حيرة، وإن كان من أهل العلم الشرعي ناقشوه فإن لم يستطيعوا خلخلة ما عنده من الفكر طردوه، يقول تركي العصيمي عن هذه

(١) فتنة جديدة يشعلها الغرب ضد الإسلام (مجلة الراصد ١-٥٩). محمد جمال عرفة "المجتمع" ٢٠٠٧/٧/٧.

(٢) الحوار المباشر(Chat) أو ما أطلق عليه بلغة الإنترنت العربية (الدردشة): هو عبادرة عن محاورة مكتوبة بين شخصين أو أكثر من نفس المدينة أو من أي مكان حول العالم، وتتم هذه المحاورات عبر الإنترنت، حيث تقام في غرفة الدردشة، والتي هي مكان تخيلي في فضاء الإنترنت. كيف تخدم الإسلام من خلال الإنترنت، مرجع سابق، ص١٤٩.

الغرف-أعني غرف الدردشة: "وقد كانوا يترصدون لزائري هذه الغرف وبخاصة المسلمين الجدد الذين ليس لهم دراية باللغة العربية (لغة القرآن)، وإن دعوهم لتبدو براقة من الخارج لتجذب على الأخص من ترك النصرانية المحرفة وتحول إلى الإسلام، فهم يستخدمون شيئًا من الحق يبثون به كثيرًا من الباطل"[(١)].

من مواقعهم المشهورة:

موقع أهل القرآن(القرآنيون): عنوانه: **www. ahl-alquran. com**

موقع المهندس محمد شحرور: وعنوانه: www. shahrour. org

موقع رشاد خليفة، وعنوانه: www. rashad19. com

موقع عدنان الرفاعي، المسمى: مركز الذكر للدراسات القرآنية، وعنوانه: www. thekr. net

- موقع إيهاب عبده حسن، المسمى: الذكر الحكيم للدراسات القرآنية، وعنوانه: www. al-zekr. com.

٣- حب الظهور والشهرة.

ابتلي الناس-قديمًا وحديثًا- بداء خطير ألا وهو حب الظهور وطلب الشهرة، حيث أصبحت عند كثيرين أملاً يحلمون به ليل نهار، ويسعون للوصول إليه بكل الوسائل والطرق، ويبذلون الغالي والنفيس للوصول إلى ذلك الأمر، فإذا أعيتهم الطرق والسبل، ووقفت دون مقاصدهم العقبات والعراقيل، بذلوا

(١) المرجع السابق، ص٤٦.

أعز ما يملكه كل مسلم ألا وهو دينه وعقيدته، فيبذلونه رخيصًا من أجل هذه الشهوة الخبيثة، وأعلنوا على الملأ إلحادهم وكفرهم معلنين بذلك غير مستخفين، مصرين مستكبرين، يحدوهم الأمل بحصول مالم يستطيعوا أن يحصلوا عليه بإيمانهم، فما دام الظهور والشهرة لا تأتي—في ظنهم – إلا بالكفر فلنسعَ لها بالكفر، والطعن في الدين والنيل من مصادره وشرائعه والتنقص من علمائه وحامليه، فألفوا الكتب ونشروا المقالات وظهروا في القنوات، فسودوها بالهذيان والكلام الباطل، والطعن في السنة المطهرة والصحابة الكرام، فقرأ الناس ما كتبوا وسمعوا ما قالوا فثار عليهم المؤمنون الأتقياء، والمحبون للدين والسنة النبوية من المخلصين لهذا الدين والأصفياء، فنال أصحاب هذه الكتابات هدفهم، وحصل لهم من خلال إلحادهم مناهم، ولكنها شهرة نجسة ارتبطت باللعن والسب، مرغت أسماءهم ولطخت أعمالهم، وأحبطت إيمانهم، فهم أرادوا الشهرة والظهور ولو بالإلحاد والكفر، ولو باللعن.

ولما لم يستطع منكرو السنة أن يحصلوا على الظهور والشهرة في تخصصاتهم الدنيوية، أردوا جلب الأضواء عن طريق الطعن في الدين، والنيل من سنة سيد المرسلين ﷺ فالدكتور أحمد صبحي منصور تخصصه تاريخ، والدكتور محمد شحرور تخصصه هندسة، وعدنان الرفاعي مهندس، ونيازي عز الدين عسكري، وهكذا غيرهم، لقد "اندفع هؤلاء النفر من المؤولة إلى ما ذهبوا إليه من أفهام زائغة في القرآن بعوامل مختلفة، فمنهم مَن حسب أن التجديد ولو بتحريف كتاب الله سبب لظهوره وشهرته، فأخذ يثور على قدماء المفسِّرين ويرميهم جميعًا بالسفه والغفلة ثم طلع على الناس بجديده في تفسير كتاب الله. . . جديد

لا تقره لغة القرآن، ولا يقوم على أصل من الدين"[١].

قال الدكتور مصطفى السباعي واصفًا محمود أبو رية، صاحب كتاب أضواء على السنة المحمدية، ورفاقه ممن أنكروا السنة، حيث سود كتابه بالتشكيك والطعن في السنة ورواتها بهدف الوصول للذكر والشهرة عند الناس: "وبذلوا في سبيل ذلك أوقاتهم وجهودهم ودماءهم وأموالهم، وأن الرجل جاهل مغرور كذاب جريء على تحريف النصوص التي ينقلها جرأة لم يصل إلى قلة الحياء فيها كبار المُسْتَشْرِقِينَ اللاَهُوتِيِّينَ المُتَعَصِّبِينَ، وأنه مع ذلك قليل الأدب بذيء اللسان يسعى إلى الشهرة عن هذا الطريق كما سعى إليها ذلك الأعرابي الذي بال في بئر زمزم في موسم الحج فلما سئل عن سبب جريمته أفاد بأنه فعل ذلك ليتحدث الناس عنه ولو باللَّعَنَاتِ! "[٢].

وقالت اللجنة التي شكلت للنظر في كتاب محمد أبو زيد، (الهداية والعرفان) في تقريرها: "أفاك خراص، اشتهى أن يعرف فلم ير وسيلة أهون عليه وأوفى بغرضه من الإلحاد في الدين بتحريف كلام الله عن مواضعه؛ ليستفز الكثير من الناس إلى الحديث في شأنه وترديد سيرته"[٣].

---

(١) التفسير والمفسرون، مرجع سابق، (٢/٣٨٣).

(٢) السنة ومكانتها في التشريع، مرجع سابق، ص٥٠٢.

(٣) التفسير والمفسرون، (٢/٣٩٠).

٤- أثر المدرسة العقلية الحديثة.

وقف رجال المدرسة العقلية الحديثة موقف إجلال وإعظام أمام العقل، وبالغوا في تمجيده، والرفع من مترلته، فقد جعلوه الأصل الأول للإسلام، قال الأستاذ محمد عبده: "الأصل الأول للإسلام النظر العقلي لتحصيل العلم، فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي"(١). وعند تعارض العقل والنقل فإن أصحاب المدرسة العقلية يقدمون العقل على الشرع، قال محمد عبده: "الأصل الثاني للإسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض، . . . . ، اتفق أهل الملة الإسلامية إلا قليلاً ممن لا ينظرون إليه على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل"(٢).

ويرى تلميذه محمد رشيد رضا أن الإسلام هو العقل، فيقول: "كنا ولا نزال نصرح بأن الإسلام هو العقل"(٣)، وقال: "ذكرنا في المنار غير مرَّةٍ أنَّ الَّذي عليه المسلمون من أهل السُّنَّه وغيرهم من الفِرق المُعتَدِّ بإسلامها أنَّ الدَّليل العقليَّ القَطْعِيَّ، إذا جاء ظاهر الشَّرع ما يخالفه فالعمل بالدَّليل العقلي مُتعَيِّنٌ، ولنا في النَّقل التَّأويل أو التَّفويض"(٤).

وقد نتج عن هذه النظرة التقديسية للعقل أن وقفوا من السنة النبوية موقفًا

---

(١) الإسلام والنصرانية، محمد عبده، ص ٦٩.

(٢) الإسلام والنصرانية، محمد عبده، ص٧٠.

(٣) شبهات النصارى وحجج الإسلام، محمد رشيد رضا، ص٧٠.

(٤) المرجع السابق، ص٧١.

خالفوا فيه منهج السلف في التعامل مع السنة، فهم يرون القرآن وحده هو سبب الهداية، وهو العمدة في الشرع، قال مؤسس المدرسة جمال الدين الأفغاني[١]: "القرآن وحده سبب الهداية، أما ما تراكم عليه وتجمع حوله من آراء الرجال واستنباطاتهم ونظرياتهم، فينبغي ألاَّ نعول عليه كوحي، وإنما نستأنس به كرأي، ولا نحمله على أكفنا مع القرآن في الدعوة إليه، وإرشاد الأمم إلى تعليمه، لصعوبة ذلك وتعسره وإضاعة الوقت في عرضه، ألسنا مكلفين بالدعوة إلى الإسلام، وحمل الأمم على قبوله؟ وهل تمكن الدعوة من دون ترجمة تعاليم الإسلام إلى لغة الأقوام الذين ندعوهم؟.....تجد أن ما لا يمكن العمل به ولا الدعوة إليه ولا تطبيق مفاصله أصبح عبئًا يجب الاستغناء عنه بما يمكن، والممكن هو ما في القرآن وحده"[٢].

فهو يزهد الناس في السنة النبوية، التي هي الشارحة للقرآن، المبينة لمجملاته، وهو-أيضًا- يعتبر أن تلك الأحاديث ليست من قبيل الوحي، إنما هي من قبيل الرأي يستأنس بها استئناسًا، ويريد أن يبعد المسلمين عن المصدر الثاني للشريعة، ويدعوهم إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم.

ورجال المدرسة العقلية الحديثة أنكروا كثيرًا من الأحاديث التي لا توافق

---

(١) جمال الدين بن صفدر الحسيني الأفغاني، ولد سنة (١٢٥٤هـ – ١٨٣٨م)، مؤسس المدرسة العقلية الحديثة، رمي بالإلحاد، والماسونية، توفي سنة (١٣١٥هـ–١٨٩٧م). ينظر: الأعلام، (١٦٨/٦)، حلية البشر في رجال القرن الثالث عشر، عبد الرزاق الميداني، ص٤٣٩، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، (٧٥/١)، جمال الدين الأفغاني بين دارسيه، د. علي شلش، ص١٠.

(٢) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين، مصطفى صبري، (٢٨١/١).

عقولهم ولا أهواءهم، بحجج واهية، منها قولهم: إن أحاديث الآحاد ظنية، لا يمكن العمل بها، قال محمد عبده:"وأما ما ورد في حديث مريم وعيسى من أن الشيطان لم يمسهما، وحديث إسلام شيطان النبيﷺ وحديث إزالة حظ الشيطان من قلبه، فهو من الأخبار الظنية؛ لأنه من رواية الآحاد، ولما كان موضوعها عالم الغيب والإيمان بالغيب من قسم العقائد، وهي لا يؤخذ فيها بالظن؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم: ٢٨]، كنا غير مكلفين بمضمون تلك الأحاديث في عقائدنا"[١].

وقال رشيد رضا: "فإن كان أراد بأركان الشريعة، أصول العقائد وقضايا الإيمان التي يكون بها المرء مؤمنًا، فقد علمت أنه لا يتوقف شيء منها على خبر الآحاد"[٢].

أثرهم في منكري السنة:

وقد كان أثرهم قويًا فيمن أنكر السنة النبوية فيما بعد، فكان المنكرون للسنة يزهدون من الحديث النبوي وطلابه وحفاظه، ووصفهم بأوصاف لا تليق بهم، فهدفهم نشر العقائد الباطلة بين الناس، وبأن هدفهم من تعلم الحديث هو أكل أموال الناس بالباطل، وطلب الجاه عند العامة، ومنبع ذلك هو كلام أصحاب المدرسة العقلية، فمحمود أبو رية، يقول عن المحدثين: "فترى ماذا تكون حال كثيرين من الذين يزعمون اليوم أنهم من المحدثين، أولئك الذين يتسللون بين

(١) تفسير المنار، (٣/٢٤٠).

(٢) مجلة المنار، (١٩/ ٢٩).

أشباههم من العامة-ومبلغ علمهم أنهم قرؤوا بعض كتب الحديث واستظهروا عددًا مما فيها، يجترونه ليؤيدوا به باطل المعتقدات وسوء العادات ويروجوا به ما فشى بين الناس من الترهات والخرافات؛ لكي يختلسوا احترام الدهماء وثقتهم، ويأكلوا بالباطل والإثم أموالهم.

على أنهم لو عرفوا قدر أنفسهم، وأن ما يحفظونه مما لا يزيد أكثره عن عشرات من الأحاديث، وأن كتابًا من كتب الحديث لا يزيد ثمنه عن بضعة قروش يغني عنهم جميعًا، لو أنهم عرفوا ذلك كله واستيقنوه لقبعوا في جحورهم، ولأراحوا الناس من نقيقهم.

ورحم الله أستاذنا الإمام محمد عبده، حيث قال في رجل وصفوه بأنه قد جد واجتهد، حتى بلغ ما لم يبلغه أحد فحفظ متن البخاري كله: لقد زادت نسخة في البلد، حقًا ما قاله الإمام، أي أن قيمة هذا الرجل الذي أعجب الناس جميعًا به؛ لأنه حفظ البخاري- لا تزيد عن قيمة نسخة من كتاب البخاري لا تتحرك ولا تعي"[١].

وعلى الاعتبارات التي جرى عليها أصحاب المدرسة العقلية في اعتبار الأحاديث ظنية لا يقوم بها حجة في الدين والاعتقاد دخل القرآنيون من هذا المدخل فردوا الأحاديث، وطعنوا فيها، وأنها ظنية، وليست من الوحي الموحى به إلى الرسول ﷺ قال الدكتور محمد شحرور: "لنلاحظ أن النبي ﷺ والصحابة-رضوان الله عليهم- لم يعتبروا في وقت من الأوقات أن الأحاديث

---

(١) أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية، ص٣٨١.

النبوية هي وحي"(١).

وقال الدكتور أحمد صبحي منصور: "هذه الأحاديث الضالة تضعنا في موقف اختبار أمام الله -تعالى- فإما نصدق القرآن ونكذبها، وإما أن نصدقها ونكذب الله وقرآنه، ولا مجال للتوسط"(٢).

وقال الطبيب محمد توفيق صدقي -الذي نشر الأستاذ محمد رشيد رضا مقالاته هذه على المنار-: "لا خلاف بين أحد من المسلمين، في أن متن القرآن الشريف مقطوع به؛ لأنه منقول عن النبي ﷺ باللفظ دون الزيادة ولا نقصان، ومكتوب في عصره بأمر منه عليه السلام. بخلاف الأحاديث النبوية، فلم يكتب منها شيء مطلقًا إلا بعد عهده بمدة تكفي لأن يحصل فيها من التلاعب والفساد ما قد حصل"(٣).

وكان منكرو السنة النبوية، يذكرون بعض القضايا التي يطعنون بها على السنة النبوية، ويؤيدون أقوالهم تلك بما ذهب إليه رجال المدرسة العقلية، فأيد محمود أبو رية طعنه في حديث الآحاد بما كان عليه موقف محمد عبده: "كان الأستاذ والإمام محمد عبده لا يأخذ بحديث الآحاد مهما بلغت درجته من الصحة في نظر المحدِّثين، إذا ما خالف العقل أو القرآن أو العلم"(٤).

---

(١) الكتاب والقرآن، د. محمد شحرور، ص٥٤٦.

(٢) القرآن وكفى، ص٥٣.

(٣) مجلة المنار: المجلد ٩، ص ٥١٥، غرة رجب ١٣٢٤، جمعت مقالات محمد توفيق صدقي في كتاب، تحت عنوان: حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، مرجع سابق، ص٥٧، ٥٨.

(٤) أضواء على السنة النبوية، محمود أبو رية، ص٣٧٧.

وقال أبو رية لتأييد فكرة الاكتفاء بالقرآن: "قال الأستاذ الإمام محمد عبده ﷺ: "إن المسلمين ليس لهم إمام في هذا العصر غير القرآن، وإن الإسلام الصحيح هو ما كان عليه الصدر الأول قبل ظهور الفتن"[(١)].

ومن خلال ما سبق، يمكن القول: إن القرآنيين قد حملوا فكر رجال المدرسة العقلية وتبنوه، وزادوا عليه، حيث كانوا يقفون معهم في كثير من القضايا، وكانوا لهم السند والعون في مواطن طعنوا فيها على السنة النبوية، فما دام ميزان الجميع العقل، والعقول تختلف من شخص لآخر، فهو ميزان غير ثابت، وليس بصحيح، وهو ميزان الهدف منه العبث بالسنة النبوية، وشريعة الإسلام ككل فما وافق من الدين شخص قد لا يتفق ولا يوافق شخصًا آخر، فيتركه، والآخر يترك جانبًا من الدين، حتى يأتي الأمر على جميع الإسلام فيرفض ويترك.

٥- دور الاستشراق.

لقد أسهمت الدراسات الاستشراقية في إيجاد الأرضية المناسبة في كثير من البلدان الإسلامية لظهور كثير من الدعوات المنحرفة الخارجة عن المنهج المستقيم، ومنها الدعوة إلى إنكار السنة النبوية، فقد ترك المستشرقون بصمات واضحة سلبية في السنة النبوية، فمن المعلوم أن المستشرقين قد درسوا السنة النبوية من جميع مجالاتها، فدرسوا الحديث من حيث تقسيمه إلى صحيح، وحسن، وضعيف، وموضوع، ومن حيث وروده، متواتراً، ومشهوراً، وآحاداً،

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٠٥، ٤٠٦.

وعن بداية التدوين للحديث، وعن تقسيم رجال الحديث، ورحلاتهم العلمية، وغيرها من المسائل المتعلقة بالحديث الشريف[١].

لقد تبنى المستشرقون حركة التشكيك فيها، والتشويه لها من خلال الطعن في سندها ومتنها، حيث لم يدعوا مجالاً من مجالاتها إلا وكان لهم ذلك الأثر السلبي[٢]، وتولوا ذلك الأمر جيلاً بعد جيل، فبدأ المستشرقون إثارة الشكوك لدى المسلمين في كثير من الموضوعات الدينية، والنظر إلى القرآن الكريم والسنة النبوية والعقيدة الإسلامية على أنها خاضعة للنقد العلمي، وحض المسلمين على ضرورة التحرر في دراسة هذه الكتب والمصادر الإسلامية وإخضاعها للرؤية العقلية الناقدة، وبالتالي التقليل من قداستها والتخفيف من احترام المسلمين لها[٣].

ومما لا ريب فيه أن معظم المستشرقين كانوا يعمدون إلى الإسلام، ورسوله محمد ﷺ فيصورونه تصويرًا بشعًا، ويظهرون تعاليمه بصورة منفرة، وأنها تتسم بالقسوة والوحشية، وعند النظر في سبب ذلك يتبين أن السبب وراء ذلك كله تلك الخلفية الفكرية للمستشرقين، فـ"عدد كبير منهم قسوس، وإرساليون،

---

(١) ينظر: المستشرقون والحديث النبوي، محمد بهاء الدين، ص١٩، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، د. محمد البهى، ص١٢، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، د. مصطفى السباعي، ص٢٥، الاستشراق والخلفية الفكرية، زقزوق، ص٧٣.

(٢) ينظر: اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندًا ومتنًا ودحض مزاعم المستشرقين، محمد لقمان السلفي، ص٤٦٧، وما بعدها.

(٣) آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، د. محمد خليفة حسن، ص ١٤، ١٥.

ويهود، ومسيحيون متعصبون، يضمرون للإسلام وصاحب رسالته ﷺ العداء والبغضاء، وللحضارة الإسلامية السخرية والاستهزاء، ويخونون في النصوص والنقول، ويحرّفون الكلم عن مواضعه"(١).

إن الهدف الديني كان وراء نشأت الاستشراق ودعم الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا، وقد صاحب الاستشراق طوال مراحل تاريخه، و لم يستطع أن يتخلص منه بصفة نهائية(٢) قال أحد المستشرقين(٣): "لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية"(٤).

وقد حاول المستشرقون الطعن في المصدر الأول للإسلام، وهو القرآن الكريم، فوجهوا له طعوناً مختلفة من جميع الجوانب والمجالات المتعلقة بالقرآن(٥)، ولكن كل تلك المحاولات لم يكن لها ذلك المردود الذي كان يطمح المستشرقون للوصول إليه؛ وذلك لأن المسلمين مازالوا متمسكين بالقرآن الكريم، وتبين لهم من تلك المحاولات أنهم لا يستطيعون الوصول إلى تحقيق أهدافهم، فكانوا كما

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص٢٢٧.

(٢) ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود زقزوق، ص٧٤، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، مرجع سابق، ص١١.

(٣) هو: برنار لويس.

(٤) ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص٧٦، المستشرقون والقرآن، عمر لطفي العالم، ٨٧، المستشرقون والقرآن، د. إبراهيم عوض، ص٥.

(٥) ينظر: نقد الفكر الاستشراقي، د. علي بن إبراهيم النملة، ص١٠٦.

قال الشاعر[١]:

كناطح صخرةً يومًا ليوهنها ** فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل[٢]

فانتقل المستشرقون بعد تلك المحاولات التي باءت بالفشل-في أغلبها-إلى المصدر الثاني، وهي السنة النبوية، فتناولوها بسهامهم من جميع جوانبها بالتشكيك فيها وفي حجيتها، والطعن والنيل منها، وفي جهود علماء الأمة من السلف الصالح-رحمهم الله تعالى- في تدوينها وحفظها، لقد كانت "حركة الاستشراق اليهودية والنصرانية معًا هي التي تكمن وراء إثارة هذه الشبهات حول حجية السنة في هذا العصر"[٣].

وقد تولى كبر هذه المحاولات المستشرق جولد تسيهر[٤] الذي يعد أشد

(١) هو الشاعر العربي: الأعشى الكبير.

(٢) ديوان الأعشى، ص٦١.

(٣) حجية السنة ودحض الشبهات التي تثار حولها، محمود أحمد طحان، ص٤٩.

(٤) جولد تسيهر: ولد بالمجر، في (٢٢/يونيو/١٨٥٠م)، من أسرة يهودية، تنقل في بعض البلدان العربية، فأقام بالقاهرة مدة ثم سافر إلى سوريا وفلسطين، ولازم بعض علماء الأزهر. قال عنه د. مصطفى السباعي: "عرف بعدائه للإسلام، وبخطورة كتاباته عنه، ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية، كتب عن القرآن والحديث"، له تصانيف باللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية. ترجم بعضها إلى العربية، منها: تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى، والعقيدة والشريعة فى الإسلام، وفضائح الباطنية، وغير ذلك، مات سنة (١٩٢١م). ينظر: الأعلام، (١/ ٨٤)، المستشرقون، العقيقي، (٣/ ٩٠٦)، الاستشراق والمستشرقون، د. السباعي، ص٣١ - ٣٢، موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص١٩٧ - ٢٠٣.

المستشرقين خطرًا وإفسادًا، وألدَّ عداوة في ميدان السنة النبوية[(١)]؛ وذلك لسعة اطلاعه على الكتب والمؤلفات في العلوم الإسلامية، قال كاتب مادة الحديث في دائرة المعارف الإسلامية[(٢)]: "إن العلم مدين دينًا كبيرًا لما كتبه جولد تسيهر في موضوع الحديث، وقد كان تأثير(جولد تسيهر) على مسار الدراسات الإسلامية الاستشراقية، فقد حدد تحديدًا حاسمًا اتجاه وتطور البحث في هذه الدراسات"[(٣)].

لقد كان جولدتسيهر أول مستشرق قام بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك في الحديث النبوي، حيث وصفه أحد المستشرقين[(٤)] بأنه: "أعمق العارفين بعلم الحديث النبوي"[(٥)]، لماذا؟ يقول: "كان جولد تسيهر يعتبر القسم الأعظم من الحديث بمثابة نتيجة لتطور الإسلام الديني والتاريخي والاجتماعي في القرن الأول والثاني. فالحديث بالنسبة له لا يعد وثيقة لتاريخ الإسلام في عهده الأول: عهد طفولته، وإنما هو أثر من آثار الجهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في عصور

(١) ينظر: أخطاء وأوهام في أضخم مشروع تعسفي لهدم السنة، د. عبد العظيم المطعني، ص٣٠، الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض، د. عبد العظيم المطعني، ص١٠٠، ١٠١.

(٢) موسوعة كاملة عن الإسلام دينًا وتاريخًا وحضارة وآدابًا وعلومًا واقتصادًا وسياسة وإعلامًا، تسمى بالعربية بـ(دائرة المعارف الإسلامية)، مليئة بالانحراف عن المنهج العلمي، وعداوة بارزة للإسلام ورسوله وكتابه وعقائده وشرائعه، ورغبة حارقة في تلطيخ كل شيء فيه، كما قال د. إبراهيم عوض في كتابه: دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية، أضاليل وأباطيل، ص٥.

(٣) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص١٠٦.

(٤) بفانموللر.

(٥) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص١٠٦.

المراحل الناضجة لتطور الإسلام"[١].

إذن، فالسبب في ذلك أن جولد تسيهر قد أدى به هذا التعمق المليء بالحقد على نسف الأحاديث، والتخلص منها، وقوله هذا ظاهر البطلان والمين، فالرسولﷺ لم يمت حتى أتم الله به الإسلام، وأكمل به البنيان في صرح الإسلام، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)، وقال ﷺ قُبيل وفاته: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي)[٢].

والسبب في محاولة المستشرقين الطعن في الحديث النبوي لما يعرفون من مكانته في الإسلام؛ حيث يعد المصدر الثاني، والركن الركين بعد القرآن الكريم الذي عليه مدار أحكام الشريعة الإسلامية، فإذا انتهى لم يبق من الإسلام شيء، وقد صرح المستشرق الأمريكي جب، فقال: "إن الإسلام مبني على الأحاديث أكثر مما هو مبنى على القرآن الكريم، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء، وصار شبه صبيرة طومسون، وطومسون هذا رجل أمريكي، جاء إلى لبنان فقدمت له صبيرة فحاول أن ينقيها من البذر، فلما نقى منها كل

(١) المرجع السابق، ص١٠٧.

(٢) من حديث أبي هريرة ﷺ رواه مالك بلاغًا في الموطأ، برقم، (٣)، (٢/ ٨٩٩)، وهو في مسند البزار، برقم، (٨٩٩٣)، (١٥/ ٣٨٥)، المستدرك على الصحيحين، برقم، (٣١٩)، (١/ ١٧٣)، السنن الكبرى، البيهقي، برقم، (٢٠٣٣٧)، (١٠/ ١٩٥)، سنن الدار قطني، برقم، (٤٦٠٦)، (٥/ ٤٤)، والحديث صححه الشيخ الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم، (٢٩٣٧)، (٥٦٦/١)، مشكاة المصابيح، برقم، (١٨٦)، (٦٦/١).

بذرها لم يبق في يده منها شيء"[١].

فكان أن انخدع بهم بعض المثقفين من أبناء المسلمين ممن لا علم لهم بأحكام الشريعة الإسلامية، وانخداعهم بالأسلوب العلمي – حسب زعم المستشرقين- الذي يسعون إلى تحقيقه، قال الدكتور مصطفى السباعي: "ومن المؤسف أن يسير وراء أعداء الإسلام في الحاضر، فئة مِمَّنْ لا نشك في صدق إسلامهم من العُلَمَاءِ وَالكُتَّابِ، ولكنهم منخدعون بمظهر التحقيق العلمي«الكاذب» الذي يلبسه هؤلاء الأعداء من المُسْتَشْرِقِينَ والمُؤَرِّخِينَ وَالغَرْبِيِّينَ عن حقيقة أهدافهم ومقاصدهم، فإذا هم-وهم مسلمون-ينتهون إلى الغاية التي يسعى إليها أولئك- وَهُمْ يَهُودٌ أَوْ مَسِيحِيُّونَ أَوْ اسْتِعْمَارِيُّونَ-من إشاعة الشك والريبة في الإسلام، وَحَمَلَتِهِ من حيث يدرون أو لا يدرون، فالتقى أعداء الإسلام وبعض أبنائه على صعيد واحد لا يُشَرِّفُ هؤلاء ولا أولئك، لا في ميدان العلم، ولا في سِجِلِّ التاريخ"[٢].

هذه هي ملخص المسلك الأول الذي سلكه المستشرقون في الطعن في السنة النبوية، وليس المكان هنا للتفصيل والرد، وأما المسلك الثاني، فقد سلك المستشرقون أسلوبًا آخر، وهو إحياء أفكار الفرق الإسلامية القديمة المنحرفة، مثل: الشيعة، والمعتزلة، والخوارج، وغيرها، لقد بارك جولد تسيهر جهود المعتزلة، وموقفهم من السنة النبوية، ورأى أن وجهتهم في رد الأحاديث بالعقل

(١) التبشير والاستعمار، د. مصطفى خالد، د. عمر فروخ، ص ٩٨.

(٢) السنة النبوية ومكانتها من التشريع، ص١٧.

هي الوجهة الصحيحة التي يجب أن تناصر، وهي –بحد زعمه– التي تحرر الإسلام من كثير من الأقاصيص، فقال: "أما ما يختص بالحديث فإن المعتزلة كانوا يملكون تحت تصرفهم الوسيلة لرفض الأحاديث التي يلوح منها ما لا يصح أن يقبل من تجسيم أو تشبيه، أو التي تجعل لمثل هذا مكانا، وهذه الوسيلة هي الطعن فيها بعدم الصحة. وبذلك يتحرر الإسلام من مجموعة كبيرة من الأقاصيص التي تراكمت"(١). وتأثر بهذه الأفكار المنحرفة بعضٌ من أبناء المسلمين، وسعوا إلى نشرها، والكتابة حولها، والدعوة إليها،. . . ، وهكذا، فقد وفروا الجهد والتعب على المستشرقين في سبيل الوصول إلى تحقيق أهدافهم التي عاشوا قرونًا طويلة يسعون من أجل تحقيقها، ولكن دون جدوى، فظهر منكرو السنة، أمثال: محمود أبو رية، والطبيب محمد توفيق صدقي، ود. رشاد خليفة، ثم تسلم راية الطعن والتشكيك في السنة النبوية د. أحمد صبحي منصور الذي أصبح فيما بعد زعيم منكري السنة (القرآنيون).

وقد أفضت جهود المستشرقين إلى إيجاد بعض المتبعين لمنهجهم حول السنة النبوية، فرددوا شبهاتهم وطعونهم ومقالاتهم، بأساليب مختلفة، ومنهم من تبناها وأعلنها ونافح عنها، وارتضاها، فكانت الدراسات الاستشراقية هي الرافد الأول، والمنبع الأصيل لكثير من شبهات منكري السنة، (القرآنيون)، قال الأستاذ الصديق بشير نصر في كتابه (ضوابط الرواية عند المحدثين): "والذى تبين لي أن المستشرقين قد بذروا بذور الشك في الحديث الشريف، وتعهدوها

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد تسيهر، ص ١١٠.

بالرعاية حتى عثروا على من يتولى أمرها من أبناء المسلمين المستغربين، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من المستشرقين في المعارف الأخرى، والذى أكد لي هذا الظن وقوعي على كتاب بعنوان: "توثيق الأحاديث النبوية، مجادلات في مصر الحديثة" لمؤلفه جانيبول. هذا الكتاب الذى اعتقد أنه وضع لتحسس مدى تأثير المستشرقين في أبناء الإسلام، وكأنه وضع لمعرفة ما إذا كانت تلك البذور التي غرست قد أينعت وأثمرت أم لم تينع و لم تثمر بعد"[١].

---

(١) السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، د. عماد السيد الشربيني، (١/١٥٨).

المبحث الثاني: أفكار هذه الطائفة، وأهدافها

أولاً: أفكار هذه الطائفة.

الأول: الدعوة إلى الاعتماد على القرآن الكريم وحده.

رفع منكرو السنة النبوية شعارًا لدعوتهم، وأساسًا لفكرهم؛ ينطلقون من خلاله في التعامل مع الشريعة الإسلامية، وهو قولهم: القرآن وكفى، مصدرًا للشريعة الإسلامية، أو حسبنا كتاب الله[١]، وأرادوا بذلك أن الدين كله جاء مفصلاً في القرآن، ولا يحتاج معه إلى السنة النبوية[٢]، وتنكروا لمصادر الدين الإسلامي الأخرى، وهذه الدعوة تعتبر من أخطر الدعوات، وأشدها تضليلاً،

---

(١) ينظر في كتبهم على سبيل المثال: مقالات الطبيب محمد توفيق صدقي: مجلة المنار، (٩/٥١٧)، حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، مرجع سابق، ص٥٧، ٥٨، الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن، الدمنهوري، المقدمة، ب، ثورة الإسلام، د. أحمد زكي أبو شادي، ص ٢٥، البيان بالقرآن، مصطفى المهدوي، (١/١١)، الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الاسرائيلية، السيد صالح أبو بكر، ص٥، تبصير الأمة بحقيقة السنة، إسماعيل منصور، ص٤٤، القرآن وكفى مصدرًا للتشريع، د. أحمد صبحي منصور، ص٧، ص٩، كلا ثم كلا، جمال البنا، ص١٧، الإسلام والإيمان، د. محمد شحرور، ص٥١، السنة الرسولية والسنة النبوية، د. شحرور، ص٨٨، الألوهية والحاكمية، سامر إسلامبولي، ص٦٠، دين السلطان (البرهان)، نيازي عز الدين، ص١١٧، محطات في سبيل الحكمة، عدنان الرفاعي، ص ٤٣، استحالة وجود عذاب القبر، إيهاب عبده حسن، ص٦، الحديث والقرآن، ابن قرناس، ص٣٥، أحسن القصص، ابن قرناس، ص١٤٠، سنة الأولين، ابن قرناس، ص٤٧، ص٨٤٩.

(٢) ينظر: حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، ص١٣٨، البيان بالقرآن، (١/٤٠)، القرآن وكفى، ص٦، الحديث والقرآن، ص٥٢٦.

وأعمقها تحريفًا لأحكام الدين الإسلامي؛ لما تنطوي عليه من تلبيس وإيهام لكثير من عامة المسلمين، فهي(كلمة حق أريد بها باطل)(١)، حيث حاولوا أن يجعلوا من القرآن ستارًا لدعوتهم، للتمويه واللعب بالعواطف، وتغريرًا بالعقول، وتغفيلاً بالفكر(٢).

فهم في دعوتهم هذه مراوغون، يزعمون الاعتماد على القرآن، وهم في الحقيقة يرفضون العمل بأوامر القرآن، وكيف يمكنهم العمل بالقرآن الكريم، وقد نزعوا منه أرسخ وأمتن دعائمه، وأسَّ تشريعاته، ألا وهي السنة النبوية، التي عليها مدار فهم آياته، ومنها يجتلب معرفة معانيه، وجلاء أسرار مبانيه، والوقوف على أحكامه وحكمه(٣)، فالقرآن وإن حوى أصول الدين وقواعد الأحكام العامة، ونص على بعض الجزئيات، إلا أنه محتاج إلى السنة لبيان باقي التفصيلات التشريعية الواردة فيه، بيانًا وكّل الله سبحانه إلى رسوله ﷺ القيام به(٤).

وحقًا إنه لشعارٌ خبيث دعاهم إليه الشيطان فاتبعوه، فضلوا عن سواء

---

(١) رويت هذه العبارة عن علي بن أبي طالب، ينظر: صحيح مسلم، برقم، (١٠٦٦)، (٧٤٩/٢)، السنة، ابن أبي عاصم، (٤٥٢/٢)، شرح السنة، للبغوي، (٢٣٧/١٠).

(٢) ينظر: البرهان من السنة والقرآن في الرد على صاحب البيان، رمضان جمعة البركي، (١٢/١).

(٣) ينظر: السنة النبوية المطهرة قسم من الوحي الإلهي المترل، محمد الصابوني، ص٥٩، القرآن الكريم ومترلته بين السلف ومخالفيهم، محمد هشام طاهري، (١١٥٢/٢).

(٤) ينظر: السنة في مواجهة الأباطيل، مرجع سابق، ص١٠١، السنة النبوية وبيانها للقرآن، د. محمود أحمد حسين عبد ربه، ص١٠٩، السنة النبوية، مكانتها، عوامل بقائها، تدوينها، د. عبد المهدي بن عبد الهادي، ص٣٧.

السبيل وأضلوا، فإن"الِاقْتِصَارَ عَلَى الْكِتَابِ رَأْيُ قَوْمٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ، خَارِجِينَ عَنِ السُّنَّةِ؛ إِذْ عَوَّلُوا عَلَى مَا بَنَيْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَنَّ الكتاب فيه بيان كل شيء، فَاطَّرَحُوا أَحْكَامَ السُّنَّةِ، فَأَدَّاهُمْ ذَلِكَ إِلَى الِانْخِلَاعِ عَنِ الْجَمَاعَةِ، وَتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ عَلَى غَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ"(١).

وهو -أيضًا- شعارٌ لا يقوم على علم ولا حقيقة، بل على جهل وضلال، لا يهدف إلى تعظيم كتاب الله تعالى، بل يهدف إلى أهداف تهديمية سيئة لا إلى حقيقة علمية(٢)، وهؤلاء الداعون لذلك يعلمون أن الأحكام الشرعية معتمدة على السنة أكثر منها على القرآن، فأزمعوا على التخلص من تلك الأحكام بإقصاء السنة النبوية، ففكرهم لا يحمل همًا لأحكام الشريعة، ولا يسعون إلى تطبيقها، بل يزخرفون الأقوال، ويدعون إلى كل ضلال.

الثاني: التنكر للسنة النبوية.

حصرت صدور القرآنيين بالسنة النبوية، وقامت دعوتهم على التنكر للسنة النبوية وطرحها، والإعراض عما جاء فيها من تشريعات وأحكام، وتفسير للقرآن الكريم، وهم يصرحون بذلك في أغلب كتاباتهم ولا يتوارون، ويزعمون أنها ليست من الدين الإسلامي في شيء، ولا يجوز نسبتها إلى دين الله تعالى(٣)،

---

(١) الموافقات، أبو إسحاق الشاطبي، (٣٢٥/٤، ٣٢٦).

(٢) ينظر: الحديث النبوي، مصطفى أحمد الزرقا، ص١٢، المستشرقون والحديث، محمد بهاء الدين، ص٢٣، ٢٤، مجلة الشريعة، بحث: أضواء على مذاهب الذين رفضوا الاحتجاج بالسنة النبوية، د. عمر الأشقر، (٢٤/٣).

(٣) ينظر: القرآن وكفى، ص٤٠، محطات في سبيل الحكمة، ص٨، تجفيف منابع الإرهاب، محمد =

ومنهم من اعتبر أنها من كلام رسول الله ﷺ وكلام رسول الله ﷺ مثل كلام جميع الناس، فهو ليس مشرِّعًا[(١)]، فتكون بذلك -في نظرهم- عبارة عن تاريخ بشري للرسول ﷺ ليس إلا[(٢)]، وهم يزعمون أن جميع كتب الحديث والسنة طافحة بأحاديث وأخبار مختلقة لا يمكن أن يقبل صحتها العقل[(٣)]، وهم لا يرضون بنسبة السنة النبوية إلى الرسول الكريم ﷺبل هي مضافة إليه؛ فهو صاحب أعظم شريعة عقلية إنسانية، وما في السنة أغلبه يدعو إلى السخرية بالإسلام والمسلمين، وبالنبي الأعظم[(٤)].

وبدأ القرآنيون يقللون من دور السنة النبوية، وينزلونها من مكانها في تفسير القرآن، ويشنعون على من أقدم على تفسير القرآن بالسنة النبوية، فالسنة- عندهم- لا تعتبر أصلاً يُرجع إليه في تفسير القرآن الكريم، فهو في غنى عنها؛ فبيانه بداخله، والسنة تحجب عن فهم القرآن[(٥)]، وأنه من ربط بينهما فإنه قد

=

شحرور، ص٢٧، ٢٨، نحو أصول فقه جديدة، محمد شحرور، ص٢٠١، الإسلام والحرية والعلمانية، جمال البنا، ص١٥.

(١) ينظر: الحديث والقرآن، ابن قرناس، ص١٤.

(٢) ينظر: القرآن وكفى، ص٧٥، محطات في سبيل الحكمة، ص٣٧٢، الكتاب والقرآن، ص٥٤٦، السنة الرسولية والسنة النبوية، ص٨٠، ٩٧.

(٣) ينظر: ثورة الإسلام، ص٤٤، القرآن وكفى، ص١١.

(٤) ينظر: ثورة الإسلام، ص٤٤، البيان بالقرآن، (٢/٦٥٣).

(٥) ينظر: الهداية والعرفان، المقدمة، ج، البيان بالقرآن، (١/ ٢٣)، (٢/٦٤٥، ٦٥١)، القرآن وكفى، ص٥٦، محطات في سبيل الحكمة، ص١١.

اقترف إثمًا عظيمًا[١] أوصله بعضهم إلى الإشراك بالله[٢]، والطعن في القرآن الذي جاء مفصلاً لكل شيء، وشاملاً لا يحتاج إلى تفسيره سوى قراءته فقط، فبيانه بداخله[٣]، قال توفيق صدقي: "فما على المسلم إلا أن يطالع كتاب الله -تعالى- مطالعة إمعان وتدقيق وعمل فكر، وأن يستنتج جميع ما يجب عليه في دينه ودنياه من اعتقادات، وعبادات، وأخلاق، ومعاملات، فإن في هذا الكتاب الهداية والكفاية وسعادة الدنيا والآخرة"[٤].

وهذه دعوى فاسدة؛ إذ لو لم يكن للسنة أهمية لما أمرنا الله ﷻ باتباع رسوله ﷺ في كل ما جاء عنه، وجعل طاعته طاعة لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النساء: ٨٠][٥]، وجعل في مخالفته حصول سخط الله وعقابه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ (النور: ٦٣)، ثم إن "المستنبط من الكتاب مهما صح فهمه وغزر علمه، لا بد وأن تعترضه مواضع لا يرى الكتاب مستغنيًا في تقرير الحكم فيها بنفسه، ولا مفصحًا بما يكون بُلغة المهتدي وكفاية الطالب، كأن يرى ثمة لفظًا يتبادل أفرادًا مختلفة الحدود على سبيل البدل لغةً، كالقرء في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ (البقرة: ٢٢٨)، فإنه مشترك لغة بين معنيين متناقضين

(١) ينظر: السنة الرسولية والسنة النبوية، ص٢٥، الحديث والقرآن، ص١٤.

(٢) ينظر: البيان بالقرآن، (١/٧٩)، الحديث والقرآن، ص٣١٩.

(٣) ينظر: البيان بالقرآن، (١/٢٣)، القرآن وكفى، ص١٦، ٤٩.

(٤) حوار حول: الإسلام هو القرآن، ص٨٤، مجلة المنار، (٩/٥١٥).

(٥) ينظر: الإيمان، ابن تيمية، ص٢٢٩، فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٦).

(الحيض والطهر)، وهنا لا يسعه إلا ترجيح أحدهما بمرجِّح خارجي، وإلا لزم إما التوقف أو التعسف بالترجيح بلا مُرَجِّح"(١).

وهكذا يريد القرآنيون(منكرو السنة) أن تأفل شمس السنة النبوية عن الأحكام الشرعية، ليجدوا لأفكارهم مكانًا للرواج في أوساط المسلمين، وليضعوا من التعسف والعبث الكثير في تفسيرهم للقرآن الكريم، ولتصبح أفكارهم الباطلة، وأقوالهم الزائغة هي المصدر الذي يرجع إليه المسلمون بدلاً من أقوال المعصوم، عليه الصلاة والسلام، وبعد ذلك قل على الدين السلام.

الثالث: عدم تعظيم القرآن الكريم.

تعظيم القرآن الكريم أمرٌ معلوم من الدين بالضرورة، والاهتمام به وآياته وأحكامه مطلوب من المسلم، فهو كريم على الله، وعزيز على الله، وعزيز من عند الله، عديم النظير منيع من الباطل، ومن كل من أراده بتحريف أو سوء(٢)؛ لأنه كلامه تعالى، وقد ورد تعظيم القرآن الكريم في آيات قرآنية، وأحاديث نبوية ليس هنا محل عرضها(٣)، فقد"أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن

(١) رد طه البشري على توفيق صدقي، حوار حول: الإسلام هو القرآن، ص١٠٢، مجلة المنار، (٥١٥/٩).

(٢) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثعلبي، (٢٩٨/٨)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن الواحدي، (٣٨/٤)، تفسير القرآن، السمعاني، (٥٥/٥)، تعظيم القرآن الكريم، أسعد الصاغرجي، ص٨٢، الإيمان بالقرآن، د. على الصلابي، ص٢٣.

(٣) ينظر في ذلك: عظمة القرآن، د. محمود الدوسري، عظمة القرآن، عبد القادر عطا، عظمة القرآن ودعوته إلى الخير، د. محمد جمعة عبد الله.

العظيم على الإطلاق، وتنزيهه وصيانته"[١]، ولكنَّ القرآنيين يحلو لهم التغني بأنهم يريدون تعظيم القرآن الكريم، والرفع من مكانه، ودعوة علماء الأمة إلى الرجوع والعودة إليه، قال جمال البنا: "فإن الأمر الذي لا نزاع فيه، والذي يرقى إلى مستوى البداءة، أن ما يمثل الإسلام حقًا هو كتاب الإسلام الأصيل-أي: القرآن- وكان المفروض عندما يراد معرفة حكم الإسلام في أمر أن يعاد إلى القرآن نفسه، وليس إلى تفسيرات المفسرين له"[٢].

وهذا أمرٌ عجيب؛ حيث يصورون الأمر وكأن علماء الأمة لا يريدون قرآنًا، وأنهم هاجرون له متبعون لغيره، والحقيقة أن القرآنيين أبعد الناس عن القرآن، وإنما دعوتهم هذه قامت على المغالطات، والتشويه، والتشكيك، وروجت بين الناس بالزيف والكذب والبهتان، يسعون من خلال دعوتهم هذه لنزع تعظيم القرآن الكريم من قلوب الناس، ولن نرم بالأمر جزافًا، فالقارئ في عامة مؤلفات هذه الطائفة يدرك بوضوح أمورًا كثيرةً تدل على عدم تعظيمهم للقرآن، يمكن تلخيصها بذكر بعض منها:

١- إن في دعواهم الاعتماد على القرآن وحده هدماً لمصدر أصيل من مصادر تفسير القرآن الكريم، السنة النبوية، التي رفع القرآن الكريم من شأنها، وأعلى درجة صاحبها ﷺ، وجعله المبيِّن لما جاء في القرآن من الآيات والأحكام التي قد لا يُوصل إلى علم تأويلها إلا ببيانه ﷺ[٣]، وأمر المسلمين باتباع ما جاء

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، النووي، ص١٦٤، جزء فيه ذكر اعتقاد السلف، النووي، ص٧١.
(٢) الإسلام والحرية والعلمانية، جمال البنا، ص١٥.
(٣) ينظر: جامع البيان عن وجوه تأويل القرآن، (١/٦٨).

به إليهم، ولو كانوا معظمين له لبادروا إلى اتباع أوامره، واجتناب نواهيه؟

وإذا كانوا قد هدموا أصلاً من أصول تفسير القرآن الكريم، وعمودًا من أعمدة بيانه، فهذا مقدمة وتمهيد يعبرون من خلالها إلى المساس بالقرآن، والنيل من عظمته؛ فالله-تعالى-بعث محمدًا ﷺ رسولاً، وأنزل عليه القرآن، وجعله أعلم الناس بما أنزل عليه، فكان: "كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ (النساء: ١٠٥)"[١]، ولكن القرآنيين رفضوا ذلك، فردوا أقواله، وأعرضوا عن التفسير النبوي للقرآن، الذي اشْتَمَلت عليه كتب الصِّحَاح وَالسّنَن وَالْمَسَانِيد[٢]، بحجة أن ذلك الأمر ليس موكولاً إليه[٣]، وكل ما جاء عنه في بيان الأحكام وتفسير للقرآن وصفوه بالأساطير والخرافات[٤]، والحجب عن الفهم الصحيح للقرآن[٥]، واعتبروا عقولهم أفهم للقرآن ممن نزل عليه القرآن، فأرضيتهم المعرفية أوسع؛ فهم يعيشون في القرن الواحد والعشرين قرن الثورة المعلوماتية، والعودة بهم إلى فهم القرآن كما فهمه من عاش في القرن السابع

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/٧).

(٢) ينظر: إيثار الحق على الخلق، ص١٥٢.

(٣) ينظر: البيان بالقرآن، (٢/٦٥٣)، (٢/٦٥٦)، القرآن وكفى، ص٥٥.

(٤) ينظر: الحديث والقرآن، ص١٥٦، البيان بالقرآن، (١/٧٤).

(٥) ينظر: البيان بالقرآن، (٢/٦٤٥)، محطات في سبيل الحكمة، ص١١، الحديث والقرآن، ص٢٤٨.

الميلادي[الرسول ﷺ، وصحابته الكرام رضي الله عنهم] مغالطة كبرى، مستحيلة عقلاً(١).

ومع ذلك يظنون أنهم في ذلك معظمون للقرآن إذ لم يعتمدوا تفسير النبي ﷺ له، وأنَّى لهم ذلك، فقد خالفوا ما عليه إجماع أئمة الإسلام من قبول التفسير النبوي(٢)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومما ينبغي أن يعلم: أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث، إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم"(٣).

وقال الأشقر: "والذين يظنون -صادقين مع أنفسهم- أنهم بنبذهم السنة يعظمون الكتاب مخطئون"(٤).

٢-ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن اعتمادهم في تفسيره على غير المأثور، وفتح الباب لآرائهم وعقولهم القاصرة، فالإقدام على ذلك من الغلط الفاحش، إذ الواجب على المسلم في تفسيره لكتاب الله-تعالى-"الاعتماد على الحجة والبرهان، والتنفير من الظن والتخرص، وهذا يتطلب وزن المسائل كلها- صغيرها وكبيرها- بالميزان القسط الذي يعتمد ابتداءً على الأدلة والإثباتات، فما دل عليه الدليل فهو الحق، وما سواه فهو الباطل، وبذلك تتساقط الخرافات والضلالات الفكرية، التي ليس لها حظ من الأثر أو النظر، وتسلم العقول

(١) كما صرح بذلك المهندس شحرور، ينظر: السنة الرسولية والسنة النبوية، ص٢٧.

(٢) قال ابن الوزير: "النوع الثالث: التفسير النبوي، وهو مقبول بالنص والإجماع". إيثار الحق على الخلق، ص١٥٢.

(٣) الإيمان، ابن تيمية، ص٢٢٤، مجموع الفتاوى، (٧/٢٨٦).

(٤) بحث: أضواء على مذاهب الذين رفضوا الاحتجاج بالسنة النبوية، د. عمر الأشقر.

والبصائر من الانتكاس والانحدار"[١].

والمطلع على ما سوده منكرو السنة من كتابات في التفسير يجد أنهم يعتمدون على ظنهم، وما توحي به عقولهم، وهذا ليس من تعظيم القرآن، قال البيهقي، في بيان ما يعظم به القرآن: "وَمِنْهَا أَنْ لَا يُفَسِّرَ الْقُرْآنَ بِالظَّنِّ، وَلَا يُقَالُ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ هَكَذَا، إِلَّا بِدَلَالَةٍ لَائِحَةٍ تَقُومُ عَلَيْهِ"[٢].

وكان لذلك المنهج الذي ساروا عليه الأثر البارز في تفسيرهم للآيات القرآنية، حيث تجاوزوا التفسير إلى الإلحاد، والقول على الله بلا علم، كما ذكر ذلك الدكتور محمد حسين الذهبي[٣]، والدكتور فهد الرومي[٤].

فما ضل من ضل في تفسير القرآن الكريم، وابتعد عن المنهج القويم إلا من خاض في علم التفسير دون الاعتماد على مصادره المأثورة؛ لأنه يؤدي بصاحبه إلى الشطط والضلال، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "وإن تأويل من تأول القرآن بلا سنة تدل على معنى ما أراد الله منه، أو أثر من أصحاب رسول الله ﷺ، ويعرف ذلك بما جاء عن النبي ﷺ، أو عن أصحابه، فهم شاهدوا النبي ﷺ وشهدوا تنزيله، وما قصه الله في القرآن، وما عني به، وما أراد به أخاص هو أم

(١) منهج الاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة، أحمد الصويان، ص٢٤.

(٢) شعب الإيمان، (٣/٣٢٨).

(٣) عدَّ الدكتور محمد حسين الذهبي كتاب محمد أبو زيد، الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن، من اللون الإلحادي. ينظر: التفسير والمفسرون، (٢/٣٨٣).

(٤) وصنف الدكتور فهد الرومي كتاب الهداية والعرفان ضمن المنهج الالحادي في تفسير القرآن الكريم. ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (٣/١٠٦٥).

عام، فأما من تأوله على ظاهره بلا دلالة من رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه فهذا تأويل أهل البدع"(١).

٣-ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن عدم تعظيمهم لأهله من العلماء والمفسرين، قال الإمام البيهقي عند ذكر كيف يعظم القرآن: "وَمِنْهَا تَعْظِيمُ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَتَوْقِيرُهُمْ كتَعْظِيمِ الْعُلَمَاءِ بِالْأَحْكَامِ"(٢). فكما هو معلوم أن لكل علم رجالاً يعرفون به، والعالمون بالقرآن المفسرون له، هم أجل علماء الأمة قدرًا، وأعظمهم صدقًا، وأعلاهم مترلة، وأكثرهم دينًا، وهم من أعظم الناس صدقًا وأمانة وعلمًا وخبرة، فيما يذكرونه من تفسيرهم لكتاب الله تعالى(٣)، هذا حالهم ومترلتهم عند عامة المسلمين.

وأما من يتسمون بالقرآنيين فإنهم لا يرون قيمة لأئمة التفسير الذين كان لهم الفضل بعد الله-تعالى-ورسوله ﷺ في بيان هذا الكتاب الكريم، وخدمة علومه، فهم يصفونهم بأقذع الصفات، ويرمونهم بأكبر الشبهات، فشحرور لا يرى مكانة لتفسير الصحابة ﷺ فقد اعتبره تفسيرًا بدائيًا، موافقًا لمستواهم المعرفي، حيث قال: "فجرت تزكيتهم وتقديسهم لأخذ كلامهم على الإطلاق، وتعميمه من دون تمحيص، علمًا بأن العرب(٤)كانت فيهم حمية النعرة القومية، والاعتزاز بالأنساب، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن مستواهم المعرفي البدائي تبناه

(١) الإيمان، ص٣٠٦، مجموع الفتاوى، (٣٩٠/٧)، وينظر: السنة، لأبي بكر الخلال، (٢٢/٤).

(٢) شعب الإيمان، (٣٣٠/٣).

(٣) ينظر: منهاج السنة النبوية، (٣٥/٧).

(٤) يقصد به مجتمع الصحابة رضي الله عنهم.

المفسرون على أنه الفهم الصحيح والوحيد للتتريل الحكيم من خلال ما رووه أو ما نسب إليهم من أحاديث"[١].

واهموا أئمة التفسير أهم يسعون لتحريف ألفاظ القرآن، عن طريق الكذب على الله ورسوله في التفاسير، كما قال ذلك أحمد صبحي منصور[٢]، ووصفوا المفسرين بالجهل بالقرآن الكريم[٣]، وأقوالهم في التفسير لا حاجة للأمة بها[٤]، وما أنتجوه للأمة من تفاسير، هي عبارة عن خزعبلات[٥]، كانت معاول هدم تعمل على تخريب دين الله من الداخل[٦].

٤–ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن، اعتمادهم في تفسيره على الظنون، والأساطير، والملاحم، والحكايات الاسرائيلية، التي لم يرد لها ذكر في الكتاب والسنة، والتي قد تطعن في القرآن، وهذا ما دأب عليه أهل الأهواء والضلال؛ لأهم ألغوا مصادر التفسير المعتمدة، فألجأهم ذلك لأخذ تلك الخرافات والأساطير، التي لا تستند إلى دليل، ولا تعتمد على برهان، قال ابن تيمية رحمه الله: "وَأَمَّا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَنَحْوُهُمْ: فَيَعْتَمِدُونَ عَلَى نَقْلٍ لَا يُعْرَفُ لَهُ قَائِلٌ أَصْلاً لَا ثِقَةٌ وَلَا مُعْتَمَدٌ، وَأَهْوَنُ شَيْءٍ عِنْدَهُمْ الْكَذِبُ الْمُخْتَلَقُ. وَأَعْلَمُ مَنْ فِيهِمْ لَا يَرْجِعُ

(١) السنة الرسولية والسنة النبوية، ص٦٩.

(٢) ينظر: القرآن وكفى، ص٥٦.

(٣) ينظر: البيان بالقرآن، (٢/٧٢٠)، الحديث والقرآن، ص١٢٣.

(٤) ينظر: البيان بالقرآن، (٢/٥١٥).

(٥) ينظر: أحسن القصص، ابن قرناس، ص٣١.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ص٢٩.

فِيمَا يَنْقُلُهُ إلَى عُمْدَةٍ بَلْ إلَى سماعات عَنْ الْجَاهِلِينَ وَالْكَذَّابِينَ، وَرِوَايَاتٍ عَنْ أَهْلِ الْإِفْكِ الْمُبِينِ"(١).

ومثال ذلك ما قام به كثيرٌ منهم في تفسيره للقصص القرآني، فإنهم تركوا الروايات الثابتة عن الرسول ﷺ وأخذوا يفسرونها، بأساطير وخرافات، ومنهم: محمد شحرور، حين فسر قصة نوح عليه السلام، وإغراق الله عز وجل لقومه بالطوفان، فقال: "الطوفان السومري: أول وثيقة تذكر رواية الطوفان نجدها في نص مسماري عثر عليه في مدينة نفر(نيبور) الرافدية، ويعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد، يبدو أن هذه الرواية انتقلت من الحيز الشفاهي إلى الكتابي، حيث يبدو أنها موغلة في القدم ربما إلى الألف الخامس أو الرابع قبل الميلاد في فترة الثقافة العُبيدية"(٢).

وبدأ يتحدث عن النص، فقال: "يتألف هذا النص من ستة حقول، ويتحدث عن الطوفان ومقدماته. . . . . . . ، وفي الرواية أن مجمع الآلهة انعقد لإقرار ضرورة إفناء الحياة بواسطة طوفان يغمر الأرض، و لم يحصل أمر الطوفان على الإجماع الإلهي مما يدفع الإله أنكى إلى مساعدة البشر عبر اتصاله بنوح السومري/زيوسودرا/، وزيوسودرا كان ملكًا تقيًا رأى حلمًا سيئًا، وطلب من الإله من وراء حجاب أن يكشف عن معنى الحلم. . . . . . "(٣)، وكتابه هذا

(١) مجموع الفتاوى، (٤٧٩/٢٧).

(٢) القصص القرآني، (٢)، ص١٩.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

مليءٌ بهذه الخزعبلات، والملاحم، وكانت نقولاته في بعض الأحيان تصل إلى تسع صفحات(١).

فلو أنه أنعم النظر في القرآن وفي السنة النبوية لخرج منهما ما يشفي غليله من بيان قصص الأقوام السابقة، ولكن القوم أعمى الله بصائرهم، فذهبوا يبحثون عن الماء في السراب، ويطلبون العلم عند أهل الجهل والضلال.

وخير رد على هؤلاء هو الرد عليهم من كتبهم، فهم يفصحون عن نياتهم، وهم لا يشعرون، قال مصطفى المهدوي: "إن الذين جاؤوا بالأساطير إما أنهم لم يقدروا الكتاب حق قدره أو أنهم يريدون أن يحجبوا الناس عن كتاب ربهم ليتخذه الناس مهجورًا"(٢).

وخلاصة القول: إن العقول التي نشأت في أحضان الفكر الغربي المنحل، وتشبعت منه، دأبت أن تفكر بذلك الأسلوب الغربي المؤسس على عدم تعظيم النصوص الدينية الموحى بها من رب العالمين، "إنهم غير مستعدين نفسيًا، لإعطاء القرآن حق القوامة على نشاطهم الفكري، وإنما القوامة هي لهم على القرآن كما على غيره، وإنك لتدرك هذا المعنى واضحًا ليس فقط في منهج البحث، بل تجده حتى في فجاجة أسلوب التناول، وسوء الأدب مع الله وكتابه ورسوله"(٣).

---

(١) ينظر: على سبيل المثال، القصص القرآني، (٢)، ص٢١-٢٩.

(٢) البيان بالقرآن، (٢/٦٥٢).

(٣) الغارة على التراث الإسلامي، جمال سلطان، ص٢٦.

الرابع: تقديس العقل، وتقديمه على نصوص الكتاب والسنة.

أوجد الله ﷻ العقل في الإنسان، وهيأه ليقوم بوظيفته التي خصه ﷻ بها، وجعل له حدودًا "تنحصر في فهم شريعة الله، واستنباط الأحكام منها، والإيمان والعمل بها"[1]، ولكنه لا يستقل بذلك، إذ "هُوَ غَرِيزَةٌ فِي النَّفْسِ، وَقُوَّةٌ فِيهَا بِمَنْزِلَةِ قُوَّةِ الْبَصَرِ الَّتِي فِي الْعَيْنِ؛ فَإِنْ اتَّصَلَ بِهِ نُورُ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ كَانَ كَنُورِ الْعَيْنِ إذَا اتَّصَلَ بِهِ نُورُ الشَّمْسِ وَالنَّارِ. وَإِنْ انْفَرَدَ بِنَفْسِهِ لَمْ يُبْصِرْ الْأُمُورَ الَّتِي يَعْجِزُ وَحْدَهُ عَنْ دَرْكِهَا وَإِنْ عُزِلَ بِالْكُلِّيَّةِ: كَانَتْ الْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ مَعَ عَدَمِهِ: أُمُورًا حَيَوَانِيَّةً"[2].

إن العقل لوحده قليل الغناء إن لم يعتمد على النقل؛ لأن "اجتهاد العقل في التشريع الإسلامي ليس فلسفة علقية محضة، يطلق فيها العقل لنفسه العنان في التعليل والتحليل والأحكام، معتمدًا على الأفكار التجريدية والافتراضات الحدسية في بناء قواعده وتحليل قضاياه، وإنما هو جهد عقلي مرتبط بنصوص الوحي، يدور حولها ولا يتجاوزها، حتى الاجتهاد بالرأي فإنه منضبط بعدم مخالفته لنصوص الوحي، ودورانه في فلك المقاصد التي هدف إليها الشارع الحكيم"[3].

ومن الأمور التي يجب التأكيد عليها في هذا المقام أن العقل الصريح لا يمكن

---

(١) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر، د. حمد الجمال، (١/٢١٠).

(٢) مجموع الفتاوى، (٣/٣٣٩).

(٣) العلاقة بين حاكمية الوحي واجتهاد العقل، د. عبد المجيد السوسوة، ص٧.

أن يعارض النقل الصحيح، ومن أفضل من بيَّن المسألة وفصلها شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- في كتابه (دَرْءُ تَعَارُضِ العَقْلِ وَالنَّقْلِ) [١] أو (مُوَافَقَةُ صَحِيْحِ المَنْقُوْلِ لِصَرِيْحِ المَعْقُوْلِ)[٢]، وهذا الأمر لا مرية فيه؛ وذلك لأن منبعي الشريعة الإسلامية الكتاب والسنة، لا يوجد فيهما ما يعارض العقل الصريح، "كَمَا أَنَّ الْمَعْقُولَ الصَّحِيحَ دَائِرٌ مَعَ أَخْبَارِهَا وُجُودًا وَعَدَمًا، فَلَمْ يُخْبِرْ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ بِمَا يُنَاقِضُ صَرِيحَ الْعَقْلِ، وَلَمْ يَشْرَعْ مَا يُنَاقِضُ الْمِيزَانَ وَالْعَدْلَ"[٣].

وأما عن مكانة العقل عند القرآنيين، فقد لعبت أفكار المدرسة العقلية القديمة والحديثة دورًا مؤثرًا في الحياة الفكرية والمنهجية لرجال طائفة القرآنيين؛ ذلك أن القرآنيين تلقوا أفكار تلك المدرسة وتبنوها، وأشادوا بها وساروا على منوالها في كثير من أفكارهم، فهم يرون أن رجال تلك المدرسة هم أصحاب الفكر المستنير، وهم من أقام للعقل صرحًا مشيدًا[٤].

ويأخذون الأفكار التي أقرها أرباب المدرسة العقلية تجاه العقل، فما أقره الأستاذ محمد عبده، وأتباع مدرسته حول العقل والنقل هو عمدة فكر منكري السنة النبوية، فهم يرون أن سلطان العقل هو ميزان الله في أرضه، وهو الأساس

(١) طبع الكتاب تحت هذا الاسم بمطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بتحقيق: محمد رشاد سالم.

(٢) طبع الكتاب تحت هذا الاسم بدار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، (٢/ ٤٠).

(٤) ينظر: تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص١٣٨، حد الردة، أحمد صبحي منصور، ص٩، السنة الرسولية، ص٢٤، ٢٦، القصص القرآني(١)، ص٨٧.

الذي وضع عليه الإسلام[١]، وهو مصدر العقيدة ولا تؤخذ أمور العقيدة الإسلامية إلا منه، ولا ينظر إلى ما جاء به الرسول ﷺ من النقل، قال جمال البنا مبرهنًا على ما يقول بكلام محمد عبده: "لا يصح أن يؤخذ الإيمان بالله من كلام الرسول، أو من الكتب المنزلة، وإنما لا بد أن يصل الإنسان إلى معرفة الله أولاً بعقله"[٢]. فالعقل كما نقل جمال البنا عن رجال المدرسة العقلية، هو مرجع الشرع، "فكل ما حكم به العقل حكم به الشرع، والعقل رسول في الباطن، والشرع عقل في الظاهر"[٣].

وبناء على تلك الأفكار قال أتباع هذه الطائفة: إن العقل هو الميزان في تقرير العقيدة، قال محمد توفيق صدقي: "امتاز القرآن الشريف عن غيره من الكتب الدينية بمخاطبة العقل في جميع العقائد، والتحاكم إليه عند التخالف والتعاند، فلم يقرر عقيدة أو يرد أخرى إلا بالدليل العقلي"[٤].

وقال أحمد زكي أبو شادي: "الإسلام هو العقل والعلم. . . ولا نعرف دينًا بزَّ الإسلام في تعزيز سلطان العقل والعلم، وترك لهما تفسير قواعده وأوامره، ولولا ذلك لما كان للإسلام الفضل في بعث الحضارة الحديثة، وفي تغذيتها بروحانيته"[٥].

---

(١) ينظر: الإسلام والعقلانية، ص٢٥، ٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص٢٦.

(٣) المرجع السابق، ص٢٥.

(٤) الدين في نظر العقل الصحيح، محمد توفيق صدقي، ص٦٣.

(٥) ثورة الإسلام، ص٦٢، ٦٣.

وقال جمال البنا: "إن العقل أصل والشرع فرع عنه، فلو غلبنا العمل بالشرع على العمل بالعقل لعاد الفرع على أصله بالنقض، وذلك باطل"(١).

وقال محمد شحرور: "بالعقل وحده تدرك الأشياء، ويتم تمييز الخطأ من الصواب، ويمكن التفريق بين الحق والباطل، وبالعقل وحده يصح التكليف وتقوم المساءلة"(٢).

ومن جعل العقل تابعًا للنقل فهو في نظر منكري السنة النبوية يسعى لوأد العقل وتغييبه عن دوره الموكل إليه، قال ابن قرناس: "وتم وأد العقل وتغييبه عن المسائل الدينية لدى كل من بقي من المذاهب والفرق الإسلامية؛ لأنهم يزعمون أن العقل لا يمكن أن يكون ميزانًا للشرع"(٣).

ويصورون العلاقة بين العقل والنقل أنها علاقة صراع وخضوع، فكان دور أتباع هذه الطائفة الانتصار والتأييد للعقل، قال جمال البنا: "وبعد أن كان المنهج المقرر في الأديان أن يخضع العقل للنقل، أصبح النقل يخضع للعقل"(٤)"فانتصر صوت العقل على النقل والتقاليد البالية"(٥).

والقرآنيون لا يجعلون للعقل حدودًا بل يسمحون له في الخوض في كل ما يريد، قال ابن قرناس: "والسماح للعقل بالتفكير بحرية وشفافية وبلا حدود نوع

(١) الإسلام والعقلانية، ص٣٠.

(٢) تجفيف منابع الإرهاب، ص٢٨٣.

(٣) سنة الأولين، ابن قرناس، ص٦٦٠.

(٤) الإسلام والعقلانية، ص١٦.

(٥) سنة الأولين، ص٦٦٤.

من الحكمة التي أودعها الله في كل شخص"(١).

ويتهم منكرو السنة أهلَ السنة بأنهم لا يعترفون بالعقل، ويحاول تغييبه عن القيام بدوره المناط به، والذي لا تقوم الحياة الرشيدة إلا به، ويصفون مجتمع أهل السنة بأنه مجتمع فكره تراثي جمعي صنمي محارب للعقل(٢).

والدعوة إلى الاعتماد على النقل-في نظرهم- دعوة إلى الحيلولة بين المسلم وعقله، تجعل منه آله مسيطر عليها من قبل غيره، قال جمال البنا: "وأصبحت عقلية المسلم المعاصر عقلية نقلية، وحيل بينه وبين أن يفكر أو يختار، أو يقوم بمبادئه، وأصبح التقليد والاتباع سياسة عامة، وموقفًا مقررًا، وتعطلت بقدر ذلك ملكة التفكير وعلاها الصدأ، بحيث أصبح المسلم نوعًا من الربوت يسير تبعًا لرموت كونترول السند، وهذه الحقيقة هي مأساة العقل الإسلامي الذي غلبه النقل والتقليد"(٣).

ونخلص مما سبق نقله من كلام منكري السنة النبوية أن العقل-عندهم- هو المعول عليه ابتداءً، ثم بعد ذلك يرجعون إلى الوحي، وليس الأمر كما يرى منكرو السنة، فإنهم قد جاوزوا بالعقل حده، ورفعوه فوق مرتبته، فهم يمجدون العقل، ولا يرون أي اعتبار للنقل، مع أن العقل آلة يستعان بها على فهم كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وهو مناط التكليف من الله تعالى، وليس من حق

---

(١) المرجع السابق، ص٦٦٥.

(٢) ينظر: الإسلام والعقلانية، ص٦، سنة الأولين، ص٦٥٦، محطات في سبيل الحكمة، ص١٢، ١٣.

(٣) الإسلام والعقلانية، ص٣٩، ٤٠.

العقل التشريع أو الرفض والإبطال لما صح بالدليل الشرعي المقبول، وكثير من الضلالات نتجت من جراء تجاوز العقل حدوده، وخروجه عن مجاله، ودلالة اسمه، إذ الشأن أن يعقل صاحبه لا أن يحمله على أن يجمح ويتعدى[١]؛ "فإن تسليط الفكر على ما هو خارج عن حده تعب بلا فائدة، ونصب من غير عائدة، وطمع في غير مطمع، وكد في غير منجع"[٢].

"فالواجب على كل مسلم أن يجعل ما قاله الله-تعالى-ورسوله ﷺ هو الأصل والعمدة فيسلم بنصوصهما، وينقاد لهما، ولا يعترض عليهما، ولا يعارضهما برأيه ومعقوله وقياسه"[٣].

ونخلص مما سبق أن القرآنيين ساروا على نهج تلك الفرق التي شابهوها في أفكارها، التي كانت الرافد الأساسي لكثير من أفكارهم، أعني بها: الخوارج، والمعتزلة، والشيعة الرافضة، والمدرسة العقلية الحديثة، فهم أخذوا كثيرًا من أفكارهم، ورددوا شبهاتهم، وهذا المنهج هو طريق أهل الأهواء والضلال قديمًا وحديثًا، وممن عبر عن ذلك أصدق تعبير شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، حيث قال: "ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة، ولهذا تجدهم لا يعتمدون

---

(١) ينظر: إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، ابن جماعة، ص٣٩، منهج شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في التفسير، مسعد الحسيني، ص٨٧.

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية، السفاريني، (١/١٠٥).

(٣) أصول الدين عند أبي حنيفة، د. محمد بن عبد الرحمن الخميس، ص٥٧٩.

على أحاديث النبي ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، فلا يعتمدون لا على السنة، ولا على إجماع السلف وآثارهم، وإنما يعتمدون على العقل واللغة وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة، والحديث، وآثار السلف، وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم وهذه طريقة الملاحدة أيضًا"[١].

الخامس: الدعوة إلى التجديد في تفسير القرآن المجيد.

إن الدعوة إلى التجديد تنطوي على أهمية بالغة؛ إذا كانت تهدف إلى إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، ومحاولة التجديد من خلالهما بحيث يمثل هذا التجديد الرد إلى الأصل الأول، وهو نضارة الأمة وحال سلفها الصالح في صفاء المنهج والعقيدة، سواء في التلقي والاستدلال أو في الجانب العملي، والمتمثل في البعد عن المحدثات في الدين مما لم يأت به النص الشرعي، ولذلك جاء مفهوم التجديد في العصور الإسلامية السابقة ليحكي معنى الإحياء والتطهير والعودة إلى عصر الرسالة الأول بصفائه ونقائه[٢].

والدعوة إلى التجديد في تفسير القرآن أمرٌ جيد؛ لارتباطه بالأصل الأول من أصول التشريع، والمقصود بهذا التجديد ليس أن نأتي بتفسير لم يسبق إليه سابق مما يترتب عليه إلغاء التفسير السابق، فإن هذا لا يعد من العلم في فتيل ولا قطمير، وإنما هو من هدم ما بناه الأقدمون دون مناسبة داعية لذلك، إن التجديد

---

(١) الإيمان، ص٩٩، مجموع الفتاوى، (١١٩/٧).

(٢) ينظر: ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، د. خالد السيف، ص١٦٧.

يقصد به إزالة ما علق بالتفسير من أفهام بشرية خاطئة، شغلت القارئ عن المقاصد العلية، والهدايات السامية التي نزل القرآن من أجلها، وكذلك جعل التفسير يواكب حاجات العصر وإصلاحها بحيث لا يغدو التفسير حبيس الأوراق والكتب وإنما ينطلق لإصلاح واقع الناس وتلبية حاجاتهم الدينية والنفسية(١).

هذا التجديد من وجهة نظر علماء التفسير، فما هي رؤية منكري السنة للتجديد في التفسير؟

يحاول منكرو السنة إظهار أنفسهم أنهم يسعون إلى التجديد في التفسير، من خلال الدعوة إلى التخلص من الأفكار التي تشكل حاجزًا أمام فهم القرآن الكريم، فالمهندس شحرور يرى أن هناك"ضرورة ملحة لتقديم قراءة تحرر التتريل الحكيم من هذه التلبسات الإيديولوجية والثقافية التي منعته من أداء دوره التصحيحي والمعرفي"(٢).

ويعتبرون أنفسهم مجددين للتفسير، ومنقذين للقرآن من التفاسير التي يزعمون أنها قيدته، وتسعى إلى تشويه، قال جمال البنا: "والمعركة الحامية التي لا بد أن نتصدى لها عندما نقول: (ارفعوا أيديكم عن القرآن) أو (أطلقوا سراح القرآن من قضبان التفسير) أو (دعونا ننقذ القرآن. . حتى ينقذنا القرآن)"(٣).

---

(١) ينظر: بحث التجديد في التفسير مادة ومنهجًا، د. جمال أبو حسان، ص٥، بحث: التجديد في التفسير، يحيى شطناوي، ص١١.

(٢) القصص القرآني (١)، ص١٦٥.

(٣) تثوير القرآن، ص٩٨.

والتأمل في عباراتهم السابقة يبعث التساؤل الآتي، ما هي التلبسات الإيديولوجية، والقضبان الحديدية التي تقيد القرآن؟

إنهم يعنون بها السنة النبوية وأقوال السلف، قال جمال البنا: "إزالة الغشاوات التي أهالها الأسلاف أكداسًا على القرآن الكريم. . . ، وكيف أنها حرفت بعض المعاني، وحجبت معاني أخرى وميعت الصياغة المحكمة التي تحدث الأثر الذي أراده القرآن"(١).

ولكي تظهر الفكرة أكثر وضوحًا، والتعرف على ما يريد منكرو السنة من مفهوم التجديد في التفسير، يحاول الباحث أن يعرض باختصار لأهم معالمهم التجديدية:

١- يسعى منكرو السنة النبوية في تجديدهم إلى الخروج عن أصول التفسير التي اعتمدها المفسرون ورجعوا إليها عند التفسير لكتاب الله، من أمثال السنة النبوية التي تعتبر المصدر الأساس في التفسير، فهم يرفضون الرجوع إلى السنة النبوية كمصدر للتفسير؛ لأنها في نظرهم مفهوم "لا تتجاوز ما حصل في الجيل الأول، فهو مفهوم مبني على كون دلالات كتاب الله-تعالى-لا تتجاوز ما أدركه رجالات الأجيال الأولى، وبالتالي نرى أن المنظرين لهذا المفهوم يحاربون كل جديد مهما كان هذا الجديد"(٢).

والاعتماد على هذه المصادر التي تمد قارئ القرآن بالمنهل الصافي، والتفسير

---

(١) المرجع السابق، ص٩٦.

(٢) محطات في سبيل الحكمة، ص٨١.

الصحيح يعتبر في نظر منكري السنة عملية تقييد للنص القرآني، قال محمد شحرور: "فمنذ القرون الأولى سيَّجت مدرسة الرواية نص التنزيل بنصوص بشرية ليست من نوعه، ولا بنيته، ولا على منواله، ناهيك عن اختلافها عنه في المصدر والموثوقية التاريخية، وقامت المنهجية السلفية في تعاملها التعسفي مع التنزيل بتطويع ما أسموه وحيًا ونقلاً، وهو تاريخ جملة وتفصيلاً، أصلاً وفرعًا"(١).

٢- ومن المعالم التجديدية التي ينادي بها منكرو السنة النبوية في باب التفسير، هو فتح باب التفسير لكل من هب ودب، وجعل التفسير بابًا مشرعًا لكل من دخله، وليس حكرًا على العلماء من أهل العلم بالتفسير وغيرهم من علماء المسلمين، بل هو حق مباح لكل الدارسين سواءً من المسلمين أم من غيرهم، فعلى كل واحد إعمال عقله وفكره في القرآن، واستخراج ما فهمه من الدلائل والأحكام، واعتبروا القول بأن التفسير له حرمته فلا يخوض فيه إلا من كان من أهل العلم حجراً على الحرية(٢)، قال جمال البنا: "فليس من الصحيح دائمًا أن المتخصصين هم أفضل من يعرض موضوعات تخصصهم أو يلم بأطرافها، ذلك لأنهم رغم إحكامهم للتفاصيل وتعمقهم في الجزئيات والفروع يتسمون عادة بضيق الأفق والجمود وفقدان الأصالة والابتكار، والسعة

---

(١) القصص القرآني(١)، ص٢١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص١٧٠-١٧٢.

والمرونة، . . ."[١].

وقال جمال البنا: "والوضع الصحيح للقضية، هو التركيز على المقولة، وليس على القائل، ورب مهندس أو ميكانيكي أو فلاح يصل بنور القريحة أو هدى البصيرة أو بدراسته الذاتية والخاصة إلى ما لا يدركه الشيخ المعمم من برنامج تلقاه في الأزهر، وما تعنينا صفات وهوية الكاتبين فنحن لسنا من رجال الضبطية، وإنما ننشد الحقيقة والحكمة أيًّا كانت ومن أي شخص جاءت"[٢].

والجواب عن هذا، يقال: "إنه ما من ريب في أن الإنسان على قدر ما يزداد علماً بالكون وحقائقه، يزداد بصيرة وعمقاً في مفاهيم القرآن. ولكن لا يدل ذلك على أنه بهذا الطريق يصير أكثر علماً بالقرآن حتى من محمد ﷺ وتلاميذه المرتشفين بمناهل علمه مباشرة، ولا على أن أحداً إذا تلقى قدراً وافراً من علم الفلك والطبيعيات والكيمياء وما إليها، فالمحتوم أن يعد من أكثر الناس وأحسنهم علماً بالقرآن. كلا، بل إن أول شرط وألزمه لفهم القرآن فهماً صحيحاً، هو أن يؤمن به الإنسان كتاباً منزلاً من الله ومصدراً للهدى والرشد، وأن يكون ملماً بالعلوم اللازمة التي لابد منها لفهم القرآن، ثم يصرف جزءاً كافياً من أوقاته في تدبر القرآن ودراسة نظام الإسلام للفكر والحياة. ولكن ليس له-ولا بعد كل ذلك- أن يدعي أنه أكثر فهماً للقرآن حتى من الرسول الذي

---

(١) المرجع السابق، ص١٧٤.

(٢) تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص١٧٢.

بعثه الله لتعليم الناس كتابه"[١].

٣- ومن معالمهم التجديدية عدم اشتراط شروط لمن يقوم بتفسير القرآن؛ لأن هذه الشروط في نظرهم تضيق على هذا "النشء الجديد من الهواة والعلمانيين الذين يكتبون بطريقة جديدة بالأرستقراطيات[٢]التي حدثنا عنها القرآن، وكانت تضيق بمن يتبع الأنبياء من الفقراء والمستضعفين والشباب ويطالبون الأنبياء بطردهم، وهذا بعيد عن مذهب الإسلام وخلق العلماء، وهو وأد لملكات يمكن أن تنقح ولمحاولات يمكن أن تنجح. ولقد قال العرب عن أكثر من شاعر: ما زال هذا الغلام يهذي حتى قال الشعر"[٣].

٤-ومن معالمهم التجديدية عدم النظر إلى ما جاء عن علماء الأمة من السلف ومن بعدهم من التفسير؛ لأنهم يرون أن "مطالعة الأجيال المعاصرة لهذه التفاسير يسيء إساءة مضاعفة، إساءة تتعلق بفهم القرآن، وإساءة تتعلق بإبعاد الجيل عن عالمه وعصره الذي يعيش فيه، والذي لا يمكن تجاهله أو الفرار منه، وستكون نتيجة مثل هذه المطالعة التعقيد أو الانحراف والنكوص"[٤].

ومن خلال ما سبق بيانه يظهر أن التجديد في التفسير عند منكري السنة النبوية يهدف إلى أمرين، هما:

---

(١) الإسلام في مواجهة التحديات، المودودي، ص١٨٧.

(٢) الأرستقراطيَّة: طبقة الأشراف أو النبلاء ذوي الامتيازات. معجم اللغة العربية المعاصرة، (١/ ٨٤).

(٣) تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص١٧٣.

(٤) المرجع السابق، ص١٢٩.

الأول: التفسير بدون ضوابط وأصول، ويكون القيام بالتفسير لكل من شاء ذلك، من مسلمين أو من غيرهم من الملحدين والعلمانيين.

الثاني: التخلص من الإرث التفسيري الذي تركه علماء الأمة.

فيكون هذا التجديد هدماً لا بناءً، وتخريباً لا إصلاحاً؛ وذلك لأمور، أهمها:

١-أنَّ من أهم ضوابط التجديد في التفسير الاعتماد في فهم القرآن الكريم على نصوص صحيحة، موثقة ومعتمدة، وهم أرادوا التخلص من تلك النصوص الصحيحة الموثوقة، كالسنة النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين.

٢- ومن تلك الضوابط اتباع مناهج علمية في فهم النصوص بنيت على أصول وقواعد صحيحة، تعتبر بمثابة المفتاح لفهم مدلول الآيات ومعانيها، وهي مقياس مهم لنقد كل تجديد، فإذا جاء التجديد موافقاً لتلك الأصول ومنسجماً معها كان ذلك دليلاً على صحته، أما إذا عارضها فينبغي عندئذ رد ذلك التجديد، والحكم عليه بالبطلان.

ثانيًا: أهداف القرآنيين.

أما الأهداف التي دعت هؤلاء القوم إلى إنكار السنة النبوية، والتي كانوا يسعون من خلالها لهدم الإسلام فهي كثيرة، يذكر الباحث بعضها:

الأول: إيجاد القطيعة بين الكتاب والسنة.

ارتباط القرآن الكريم بالسنة النبوية لا يخفى على أي مسلم، كونهما يشكلان عمود الإسلام، وعليهما مدار أحكامه وتشريعاته، ومنهما ينبثق الهدى والرشاد، وهما مصدرا سعادة البشر في الدنيا والآخرة إن اعتمدوا عليهما،

وساروا على دربهما.

ولقد أدرك أعداء الإسلام وعلى رأسهم منكرو السنة النبوية ذلك التلاحم والتلازم الذي يعتبر مصدرًا قويًا للإسلام والمسلمين فأزعجهم ذلك التلازم والترابط.

ومن أجل ذلك، سعى القرآنيون سعيًا محمومًا من خلال كتاباهم بمحاولة إيجاد قطيعة بين القرآن الكريم والسنة النبوية من خلال إظهار أن الأصلين متعارضان، وكل واحد منهما يخالف الآخر، بل هما على طرفي نقيض، فمن شاء فليتبع كلام الله، ومن شاء فليتبع كلام البشر، [يعني: كلام الرسول ﷺ][1]، قال د. أحمد صبحي منصور: "هذه الأحاديث الضالة تضعنا في موقف اختبار أمام الله-تعالى، فإما أن نصدق القرآن ونكذها، وإما أن نصدقها ونكذب الله وقرآنه، ولا مجال للتوسط"[2].

ويحاول منكرو السنة رسم صورة في أذهان المسلمين عن السنة النبوية، بأها تضاهي القرآن الكريم، وتنازعه في مكانته التشريعية[3]، وأن الجيل الأول من الصحابة والتابعين هم من جعلوا كلام النبي ﷺ وحيًا منافسًا للوحي الإلهي، فدخلوا بذلك في الشرك، كما قال شحرور[4]، ويظهرون أهم نتيجة تعظيمهم للقرآن الكريم يهدفون إلى تعريف الناس بالحق، وإعطاء القرآن أحاديته (القرآن

(١) ينظر: القرآن وكفى، ص٦٠، الحديث والقرآن، ص٢١٧.

(٢) القرآن وكفى، ص٥٣.

(٣) ينظر: السنة الرسولية والسنة النبوية، ص٢٦.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص٩٨.

وكفى) في التشريع، والاكتفاء به دون غيره (السنة) في تفسيره، وتبيين آياته، قال محمد أبو زيد الدمنهوري: "ويكون القرآن هو الذي يفسر نفسه كما أخبر الله، ولا يحتاج إلى شيء من الخارج غير الواقع الذي ينطبق عليه ويؤيده من سنن الله في الكون ونظامه في الاجتماع"[١].

وقال محمد شحرور: "بما أن التنزيل الحكيم هو كلام الله، . . . ، فوجب بالضرورة أن يكون مكتفيًا ذاتيًا، وهو كالوجود لا يحتاج إلى أي شيء من خارجه لفهمه، . . . ، لذا فإن مفاتيح فهم التنزيل الحكيم هي بالضرورة داخله، فلنبحث عنها داخل التنزيل الحكيم وبدون صحاح ومسانيد. . إلخ وبدون قول صحابي أو تابعي"[٢].

وأن المهمة الموكلة إليهم-من خلال ما توحيه إليهم أهواؤهم- هو القيام بالفصل بين الأصلين، والتفريق بين المرجعين، وإزالة ما علق بالأصل(القرآن) من أشياء قد تؤدي إلى الإضرار به، واعتبار ذلك التفريق من الضرورات، في رأي شحرور[٣].

والمتأمل في كتب منكري السنة النبوية يدرك أنهم يريدون أن يصوروا أن هناك عداءً حادًا بين القرآن وبين السنُّة. القرآن يقول للسنُّة: إما أنا وإما أنت؟ والسنة تقول للقرآن: إما أنا وإما أنت؟ فهما عند القرآنيين نقيضان لا يجتمعان

(١) الهداية والعرفان، المقدمة، ص (ج).

(٢) تجفيف منابع الإرهاب، ص٢٧، ٢٨.

(٣) ينظر: السنة الرسولية والسنة النبوية، ص٩٧.

معًا في حياة الأمة وتوجيهها، ولو لم يكن هذا التصور هو عقيدة منكري السنة لما ضاقوا ذرعًا بمجاورة السنة للقرآن.

وهذا-كما يدرك القارئ- خطأ شنيع، ووهم بالغ، فالقرآن والسنة خيطان في نسيج واحد، لا يتعارضان ولا يتنافران[١].

وما هذا التفريق بينهما إلا تفريق بين المتماثلات، وفصل بين المتلازمات، وهو باطل، إذ الواجب على المسلمين جميعًا أن لا يفرقوا بين القرآن والسنة من حيث وجوب الأخذ بهما كليهما[٢]، فالسنة تبين من أُنزل عليه القرآن للقرآن، ومتى صحت وثبتت، كانت قاضية على كل فهم، وعلى كل تأويل لكتاب الله، إن هو خالفها[٣]؛ لأن "القرآن والحديث أبدًا متعاضدان على استيفاء الحق، وإخراجه من مدارج الحكمة"[٤].

الثاني: تأويل القرآن.

يسعى المنكرون للسنة النبوية-كما في النقطة السابقة- للفصل بين الأصلين الشريفين، وإيجاد القطيعة بينهما؛ والسبب ظاهر، وهو أن السنة النبوية تشكل سدًا منيعًا أمام كل من يريد تأويل القرآن، والتلاعب بأحكامه، فهم إذا استطاعوا النجاح في هذه المهمة سهل عليهم تأويل الآية والأحكام كيفما

(١) ينظر: أخطاء وأوهام في أعظم مشروع تعسفي لهدم السنة النبوية، مرجع سابق، ص٩.

(٢) ينظر: مترلة السنة في الإسلام، محمد ناصر الدين الألباني، ص١٨.

(٣) ينظر: السنة بيانًا للقرآن، د. إبراهيم الخولي، ص٥٠، التلازم بين الكتاب والسنة من خلال الكتب الستة، صالح البقعاوي، ص٦- ٨.

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٢/١٢٩).

شاؤوا، وحسبما تمليه عليه أهواؤهم وأفكارهم، وتكمن خطورة التأويل الفاسد للآية القرآنية في أنه يمثل الرافد الأساس لشرعنة أفكارهم وآرائهم المنحرفة، وهذا ما دأب عليه كثير من أتباع الفرق المنحرفة على مر الزمن، "لقد كان التأويل باب شر كبير، ولج منه الذين يريدون هدم الإسلام، فما تركوا شيئًا إلا أوَّلوه، ولولا حماية الله ورعايته لهذا الدين لدرست معالمه وضاعت حدوده"(١).

لقد تكلم علماء الأمة-رحمهم الله-عن خطورة التأويل وجنايته على الدين، وأنه أصل الخراب في الدين والدنيا، فما اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل، والفتن كبيرها وصغيرها إنما وقعت بالتأويل، إن التأويل إذ سلط على الإسلام وكتابه الكريم فإنه سيهد أركانه، ويقوض أساسه، قال ابن القيم-رحمه الله: "ومن أعظم آفات التأويل وجناياته أنه إذا سلط على أصول الإيمان والإسلام اجتثها وقلعها. . . ، وذلك أن معقد هذه الأصول تصديق الرسول فيما أخبر وطاعته فيما أمر، فعمدوا إلى أجلِّ الأخبار وهو ما أُخبر به عن الله من أسمائه وصفاته ونعوت كماله فأخرجوه عن حقيقته وما وضع له"(٢).

لقد قصد القرآنيون من إنكار السنة وإقصائها من بيان للقرآن العدوان على نصوص القرآن، واستخدام التأويل كأداة نافعة لصرف الآيات عن مفهومها ودلالتها بغير برهان شرعي، بل وإلغاء العمل بها، لقد أوَّل القرآنيون كثيرًا من الأحكام الشرعية، فأولوا آيات الصلاة والزكاة والصيام والحج، وصرفوها في

---

(١) التأويل خطورته وآثاره، عمر الأشقر، ص٨.

(٢) الصواعق المرسلة، ابن القيم، (١/٣٦٥).

كثير من تفسيراتهم إلى غير مراد الشارع الحكيم، وإلى غير ما ورد عن رسوله الكريم(١)، وأولوا الحدود والعقوبات الشرعية المنصوص عليها في الكتاب الكريم تأويلاً يخرجها عن مفهومها الشرعي، وزينوا لأصحاب الفساد في الأرض الوقوع في المحرمات، وانتهاك الحرمات، وتعدي حدود الله تعالى(٢).

ولقد أول القرآنيون قبل هذا وذاك الآيات التي تتحدث عن الباري-جل وعلا- وأسمائه وصفاته تأويلاً أخرج الآيات عن حقيقتها، وعن مراد الله تعالى منها(٣).

إنهم إن استطاعوا سل سيف التأويل على الآيات القرآنية عطلوا أحكام الدين، وشرعوا دينًا جديدًا للمسلمين يختلف تمامًا عن الدين الذي أنزله رب العالمين، وأصبح المشرع فيه الهوى والشيطان.

إن من خطورة التأويل أنه يشوش على كثير من أبناء المسلمين فهمهم لكتاب ربهم، ويسعى إلى نزع الثقة من نفوسهم في تفاسير علماء الأمة من السلف والخلف الراسخين في العلم؛ وذلك لأن ضعاف العلم والمعرفة من أبناء المسلمين عندما يرون تلك التأويلات المناقضة لما رسخ في أذهانهم يدب في قلوبهم الشك في التفاسير، وفقد الهيبة والثقة بها، بل ويؤدي إلى ترك كثير من أبناء المسلمين لتفاسير القرآن، مما أدى بهم إلى الجهل بالقرآن وأحكامه.

---

(١) سيتم الحديث عنها-إن شاء الله- في مبحث جناية القرآنيين على الآيات المتعلقة بالعبادات.

(٢) سيتم الحديث عنها-إن شاء الله- في مبحث جناية القرآنيين على الآيات المتعلقة بالجنايات.

(٣) سيتم الحديث عنها-إن شاء الله- في مبحث جناية القرآنيين على الآيات المتعلقة بالعقائد.

ونتيجة لخطورة التأويل وآثاره المدمرة على نصوص الكتاب الكريم، فإن العلماء يرون أن من فسر القرآن على غير ما فسره رسول الله ﷺ والصحابة والتابعون فهو مفتر على الله ملحد، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ أَوْ الْحَدِيثَ وَتَأَوَّلَهُ عَلَى غَيْرِ التَّفْسِيرِ الْمَعْرُوفِ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَهُوَ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ مُلْحِدٌ فِي آيَاتِ اللَّهِ، مُحَرِّفٌ لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَهَذَا فَتْحٌ لِبَابِ الزَّنْدَقَةِ وَالْإِلْحَادِ، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام"(١).

الثالث: هدم الدين.

ابتلي الدين الإسلامي منذ زمن ظهوره وإلى يومنا هذا بأناس كثيرين يتربصون به الدوائر، ويكيدون له ليل نهار محاولين هدمة، بشتى أنواع الحيل الهدامة، والطرق المدمرة، وكان من أهم السبل التي طرقها أعداء الدين في هذه المرة ليحققوا آمالهم، وليصلوا إلى مآربهم هو إنكار السنة النبوية، ومحاولة فصلها عن المصدر الأول، بل وإبعادها عن التشريع الإسلامي بالكلية، لكونها العمود الثاني والركيزة الأساسية التي تمد الدين بأغلب تشريعاته، وتوضح كثيرًا من عقائده وأحكامه، "لأنه إذا أهملت الأحاديث والسنن فسيؤدي ذلك-ولا ريب- إلى استعجام كثير من القرآن على الأمة، وعدم معرفة المراد منه، وإذا أهملت الأحاديث واستعجم القرآن، فقل: على الإسلام العفاء"(٢)، لأنه قد انهدم

(١) مجموع الفتاوى، (١٣/ ٢٤٣).

(٢) دفاع عن السنة، محمد أبو شهبة، ص١٥، ١٦.

منه الجانب الأكبر من عقائده، وتشريعاته، وعباداته، ونظمه.

وليس إنكار السنة بالأمر الهين كما قد يبدو للبعض من أبناء المسلمين، ودليل ذلك أن علماء الأمة الراسخين في العلم أفزعهم هذا الأمر، وعرفوا ما يترتب على سلوك هذا الطريق من هدم للدين، وقطع لأحكامه، وفي هذا يقول ابن بطة[١] رحمه الله: "وَلْيَعْلَمِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ أَنَّ قَوْمًا يُرِيدُونَ إِبْطَالَ الشَّرِيعَةِ، وَدُرُوسَ آثَارِ الْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ، فَهُمْ يُمَوِّهُونَ عَلَى مَنْ قَلَّ عِلْمُهُ وَضَعُفَ قَلْبُهُ بِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَيَعْمَلُونَ بِهِ، وَهُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ يَهْرُبُونَ وَعَنْهُ يُدْبِرُونَ، وَلَهُ يُخَالِفُونَ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا سُنَّةً رُوِيَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَوَاهَا الْأَكَابِرُ عَنِ الْأَكَابِرِ وَنَقَلَهَا أَهْلُ الْعَدَالَةِ وَالْأَمَانَةِ، وَمَنْ كَانَ مَوْضِعَ الْقُدْوَةِ وَالْأَمَانَةِ وَأَجْمَعَ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صِحَّتِهَا أَوْ حَكَمَ فُقَهَاؤُهُمْ بِهَا، عَارَضُوا تِلْكَ السُّنَّةَ بِالْخِلَافِ عَلَيْهَا وَتَلَقَّوْهَا بِالرَّدِّ لَهَا، وَقَالُوا لِمَنْ رَوَاهَا عِنْدَهُمْ: تَجِدُ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ وَهَلْ نَزَلَ هَذَا فِي الْقُرْآنِ؟ وَأْتُونِي بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ حَتَّى أُصَدِّقَ بِهَذَا، فَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ: أَنَّ قَائِلَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ إِنَّمَا تَرَقَّقَ عَنْ صَبُوحٍ وَيُسِرُّ خَبِيئًا فِي إِرْبِغَاءَ يَتَحَلَّى بِحِلْيَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَيُضْمِرُ عَلَى طَوِيَّةِ الْمُلْحِدِينَ، يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ بِدَعْوَاهُ وَيَجْحَدُهُ بِسِرِّهِ وَهَوَاهُ، فَسَبِيلُ الْعَاقِلِ الْعَالِمِ إِذَا سَمِعَ قَائِلَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَا جَاهِلاً فِي الْحَقِّ، خَبِيثًا فِي الْبَاطِنِ، يَا مَنْ خُطِّئَ بِهِ طَرِيقُ الرَّشَادِ وَسَبِيلُ أَهْلِ السَّدَادِ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ وَمَا نَهَاكَ عَنْهُ فَرْضٌ

---

(١) الإبانة الكبرى، (١/٢٢٣).

عَلَيْكَ قَبُولُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ وَقَبُولِ سُنَّتِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ عَجَلَّ إِنَّمَا ذَكَرَ فَرَائِضَهُ وَأَوَامِرَهُ بِخِطَابٍ أَجْمَلَهُ، وَكَلَامٍ اخْتَصَرَهُ وَأَدْرَجَهُ، دَعَا خَلْقَهُ إِلَى فَرَائِضَ ذَكَرَ أَسْمَاءَهَا، وَأَمَرَ نَبِيَّهُ بِأَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَعَانِيَهَا، وَيُوقِفَ الْأُمَّةَ عَلَى حُدُودِ شَرَائِعِهَا وَمَرَاتِبِهَا، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]"(١).

والقارئ لكتبهم، والعارف لأفكارهم لا يشك في أن أتباع هذه الطائفة يريدون الإتيان على الإسلام من أساسه، ونقض أصوله عروة عروة، ولكن شق عليهم أن يعلنوا هذا العداء ظاهرًا فاتخذوا الإسلام ستارًا، وجعلوا القرآن دثارًا وشعارًا لدعوتهم؛ واصطنعوا الدعوة إليه؛ بغرض التمويه والخديعة لكثير من المسلمين، "والظاهر أن أساطين الكفر أيقنوا بعد التجارب الطويلة أن هدم الإسلام من الخارج، والوقوف أمام تياره طريق غير ناجح، فسلكوا لهدمه طريقًا آخر من الداخل"(٢).

لقد أخذ القوم بنصائح أساتذتهم من المستشرقين والعلمانيين، الذين قال أحدهم(٣): "يجب أنْ نستخدم كتابهم (أي: القرآن الكريم)، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضِدَّ الإسلام نفسه، لنقضي عليه تمامًا"(٤)، فخططوا لذلك الأمر،

---

(١) الإبانة الكبرى، (١/٢٢٣، ٢٢٤).

(٢) بحث: مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين، د. محمود الطحان، ص٢١.

(٣) هو: جون تاكلي.

(٤) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى خالدي، د. عمر فروخ، ص٤٠.

وأعدوا هؤلاء القوم المنتسبين للإسلام، ليحملوا عنهم المهمة؛ لمعرفتهم اليقينية أن "الشجرة يجب أن يقطعها أحد أغصانها"(١).

وهذه الفكرة في الحقيقة فكرة شيطانية آثمة فإن طرح السنة والاكتفاء بالقرآن يؤدي إلى هدم الدين الإسلامي الصحيح المترابط في تكويناته وتشريعاته بين الكتاب والسنة، فإنكار السنة محاولة لهدم الشطر الأكبر لتشريعات الإسلام، وهذه الخطوة في الحقيقة تعتبر الأولى، تتبعها خطوات أخرى يصلون من خلالها إلى هدم البقية الباقية من الدين.

وأخالني لا أكون قد أبعدت عن عين الصواب إذا قلت: إنهم قد استفرغوا وسعهم، وجندوا طاقاتهم بهدف إعدام الدين الإسلامي بالكلية، فهم بدأوا برفض علماء وفقهاء الإسلام، ووصفوا أقوالهم بالجمود والرجعية والضلال، واتهموا علماء التفسير بالكذب على الله ورسوله في تفسيرهم للقرآن الكريم، كما صرح به كثير منهم(٢)، وبعد ذلك انتقلوا إلى الصحابة فنالوا منهم وشككوا في إسلامهم وأنهم دخلوا من أجل مطامع دنيوية، وطعنوا في عدالتهم، وأخلاقهم، كما ذكر ذلك ابن قرناس وغيره(٣)، فكان طريقهم سهلاً إلى رفض السنة من حيث إنهم طعنوا في نقلتها، ورفعوا شعارهم القائل: الإسلام هو

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص٦٨.

(٢) ينظر: القرآن وكفى، ص٣، ٥٦، الحديث والقرآن، ص١٣٤، السنة الرسولية، ص٢٥، ٤٧، محطات في سبيل الحكمة، ص١٧٥.

(٣) ينظر: سنة الأولين، ص٢٧٣، البيان بالقرآن، (٢/٦٤٧، ٦٤٨)، السنة الرسولية، ص٦٨، ٧٠، ١٨٦، القصص القرآني(١)، ص٢٣.

القرآن وحده، وبعد إزالة السنة التي تعتبر العقبة الكؤود سيكون النيل من القرآن وتحريف معانيه، وتأويل أحكامه أمرًا سهلاً.

وهم عندما رفضوا السنة وتنكروا لها؛ أدركوا أن الإسلام مبني على الأحاديث أكثر مما هو مبني على القرآن، فأرادوا أن يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإسلام، ولحياة الرسول ﷺ والمسلمين الأوائل، وبذلك يفقد الإنسان المسلم أكبر عناصر قوته، وأبرز معالم أسوته، إن إسقاط السنة النبوية يمهد السبل للتشكيك في القرآن نفسه، وتعطيل للآيات القرآنية[1].

الرابع: تشويه وإلغاء تراث الأمة من التفسير وعلوم القرآن.

عرف المسلمون الأهمية العظمى التي يحتلها كتاب الله تعالى، وأن الله جعل فيه الهدى والنور، وأيقنوا بصدق الله حيث قال واصفًا كتابه، بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء: ٩)، فبدأوا يثورون القرآن؛ ليكتشفوا ما فيه من المعاني والدلالات، وما تحويه آياته من العبر والعظات، فأنتجوا للأمة تراثًا علميًا حافلاً، أنار العقول والأفكار، وغذى القلوب والأبصار.

بيد أن هذه النظرة لم تعدم من يعارضها، فقد لجأ منكرو السنة إلى طرق ملتوية من الحيلة والمكر والدهاء، سعيًا لما تصبو إليه أهدافهم، وتهوى إليه

---

(١) ينظر: السنة النبوية، د. أحمد محمود كريمة، ص٢٧، ٢٨، منهج الدفاع عن السنة النبوية، د. أحمد عمر هاشم، ص١٦٦، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى خالدي، د. عمر فروخ، ص٤٠، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، (٦٩١/٢)، الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ص٨٨-٩٥.

أحلامهم من بسط سيطرهم على تفسير كتاب الله تعالى، ومد سلطان تأويلاهم السقيمة، وتفسيرهم لكثير من النصوص القرآنية التي لا تتفق مع ظاهر نصوص القرآن؛ لتصل إلى جميع أبناء المسلمين.

فما كان منهم إلا أن توجهوا إلى ما أنتجه علماء الأمة من مؤلفات في التفسير وعلوم القرآن، فصارت ميدانًا لهم ينثرون عليها شبهاهم، ويطرحون حولها شكوكهم وانتقاداهم، غير مبقين لها على حرمة، ولا مقدرين لما يكتنزه تراث الأمة من جواهر ودرر، وهم في انتقاداهم تلك—في أغلب الأحيان– مخطئون، حيث صوروا كتب التفسير أنها مملوءة بالخرافات والأساطير والإسرائيليات، والتي يريدون من الأمة إلغائها، وسلكوا طرقًا لتحقيق أهدافهم في إلغاء تراث الأمة من التفاسير، قوامها على طريقين، هما:

الأولى: تعمد القرآنيون تشويه صورة علماء الأمة من أهل التفسير بكل الوسائل المتاحة لهم، وذلك من خلال وصفهم بأوصاف تنفر عنهم الناس، وتزرع الشك في صدق أقوالهم وصحة تفسيراهم، بل ويرفضون تلك الأقوال ويتبرؤون منها، ووصف أصحابها بالمرجعية الصنمية، أو عابدي أصنام التاريخ، وغيرهما من الألفاظ(١).

ونجد في أغلب كتاباهم أنهم يصفون المفسرين بالجهل بالقرآن، ويخطئون تفسيراهم للآيات القرآنية، بزعم أنها خيالات ابتلي بها تفسير القرآن، والأخذ بها يحول بين الناس وبين الفهم الصحيح للآيات القرآنية، وهي-أيضًا- أقوالٌ

(١) ينظر: القصص القرآني(١)، ص٢٣، محطات في سبيل الحكمة، ص٤٠.

تأثر أصحابها بروح العصور المنغلقة التي عاشها المفسرون، فلا حاجة لنا في هذا الضلال البعيد، بحسب تعبير مصطفى كمال المهدوي[(١)].

الثانية: اتجهوا إلى ما أنتجه العلماء للأمة من كتب ومؤلفات في التفسير وعلوم القرآن فصوبوا سهام طعونهم إليها، وزهدوا الناس من تلقي تفسير كتاب الله عنها، مدعين دعاوى باطلة، وشبهات زائفة حول هذه الكتب، منها:

١- إن كتب التفسير مليئة بالخرافة والأساطير، ومشحونة بالروايات الإسرائيلية والأساطير، التي يقول بعضهم: إنه أصيب بخيبة أمل عند مطالعته لها، لما تحويه من التفاصيل الخرافية التي حشا المفسرون بها رؤوس الأمة[(٢)]، قال محمد أبو زيد: "وقد بلغ الدس والحشو في التفسير أنك لا تجد أصلاً من أصول القرآن إلا وتجد بجانبه رواية موضوعة لهدمه وتبديله"[(٣)].

٢- إن جهود علماء الأمة من المفسرين لم تنجح في تفسير القرآن، وهم بذلك لا يعنون المتأخرين منهم فقط، بل أئمة التفسير وعلى رأسهم الصحابة والتابعين، وذلك لأنهم تعاملوا مع النص القرآني من خلال ثقافتهم الجاهلية، وعقولهم المتحجرة الساذجة التي غلب عليها التوفيق والتلفيق، الذي أدى إلى

---

(١) ينظر: البيان بالقرآن، (٥١٥/٢)، الحديث والقرآن، ص١٢٣، ٢٣٧، ٣٣٩، تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص٩.

(٢) ينظر: تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص٧، ص٥٢، القصص القرآني، (٣٣/١)، السنة الرسولية، ص٣٣.

(٣) الهداية والعرفان، المقدمة، (ب).

تأسيس النمط الأسطوري السكوني الطاغي على قراءة التنزيل[١].

٣-إن أقوال المفسرين لا قيمة لها، فلا تؤخذ، فهي لا تمثل الإسلام، لكنها تمثل ثقافة المفسر التي كان يحملها، فالمفسرون"دونوا آراءهم تلك متأثرين بخلفياتهم الاجتماعية التي جاؤوا منها، وبيئاتهم التي عاشوا فيها"[٢]، قال ابن قرناس: " وبما أن الكثير من الرواد الأوائل للفقه والتفسير والحديث هم ممن دخل الإسلام من الديانات التي تتحدث كتب دياناتهم السابقة عن تلك القصص والأخبار نفسها تحدث عنها القرآن، مثل كتب اليهود والمسيحيين، ومعهم مسلمون جدد لهم خلفيات دينية فارسية وهندية وإغريقية ووثنية، وعادات وتقاليد متباينة، ومعتقدات وخرافات وأساطير شعبية من كل نوع، فإن كل هذه الخلفيات الثقافية استخدمت لتفسير الآيات القرآنية"[٣] والمفسرون "لم يعرفوا من العلم إلا ما اطلعوا عليه من كتب اليهود والنصارى والأديان الأخرى، التي ألفها أناس في عصور متحجرة تسيطر عليها الخرافة والأساطير"، كما قاله ابن قرناس[٤].

ونتيجة لذلك، فقد دعا بعضهم إلى تخليص الأمة من هذا الركام من التفاسير التي أدت لنشأة الفرق والمذاهب الإسلامية والتشريعات المخالفة

(١) ينظر: القصص القرآني، (١)، ص٣٩، تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص٥٧، ٥٨.

(٢) سنة الأولين، ص٨٦٣، وينظر: الهداية والعرفان، المقدمة، (ج).

(٣) سنة الأولين، ص٥١٢، ٥١٣.

(٤) المرجع السابق، ص٦٥٩.

للقرآن، وتأويل الآيات بما لا تحتمل، والتي أصبحت غير صالحة للحياة[١]، والتي وصفها شحرور، بقوله: " فيها كل شيء ما عدا التفسير"[٢].

ولا شك أن هذه الطريقة التي سلكها منكرو السنة وما احتوته من خطورة وخبث تشكل على المسلمين خطرًا بالغًا وشرًا مستطيرًا؛ وذلك لما قد ينتج عنها من الأضرار الآتية:

أنها تريد إسقاط هيبة علماء الأمة من السلف والخلف، ونزع الثقة بهم، وعلى رأسهم الصحابة والتابعين، فإذا فقدت الثقة بالعلماء، استقل الإنسان بنفسه، وحكّم عقله، فنتج عن ذلك الشذوذ في الآراء والأقوال، والهوى المؤدي إلى التعسف في التأويل ورد النصوص.

أنها صورت كتب التفاسير وعلوم القرآن وكأنها كتب مشحونة بالخرافات والأساطير، والأباطيل التي لا أصل لها، مما قد يجعل كثيراً من الناس يزهدون عن قراءتها.

أنها تريد صرف المسلمين عن التفاسير وعن ذلك التراث.

ومع تلك الدعاوى الباطلة فإن الحق ظاهر، والباطل منهزم مهما علا صوته، ولقد أدرك منكرو السنة هذه الحقيقة، فهم يعلمون علم يقين أن تلك الشبهات، وتلك الشكوك لن تعبر إلا على ضعفاء العقول من أبناء المسلمين، وهو ما صرح به جمال البنا حيث قال: "أعلم علم اليقين مدى ثقة الجماهير بالتفاسير،

---

(١) ينظر: الهداية والغرفان، المقدمة، (ج)، سنة الأولين، ص٥١٠.

(٢) السنة الرسولية، ص٧٤.

وخاصة المعتمدة منها كتفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، وأعلم أن كلمتنا مهما علت فلن تكون—الآن على الأقل- إلا كماء على صفوان يتزلق دون أن يخلف أثرًا"[١].

***

(١) تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص١١.

المبحث الثالث
الفرق المشابهة لطائفة القرآنيين

أولاً: الخوارج.

تعريف الخوارج:

في اللغة: جمع خارج، وخارجي اسم مشتق من الخروج، وهو نقيض الدخول، وخرج على السلطان تمرد وثار ولم يدخل في طاعته[1].

في الاصطلاح: للعلماء في تعريف الخوارج أقوال، تبدو متقاربة فيما بينها، منها:

أبو الحسن الأشعري[2] عرفهم تعريفاً خاصاً، من حيث إنه اسم يقع على تلك الطائفة التي خرجت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فكان ذلك

---

(١) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري، (١٧٦٠/٣)، لسان العرب، ابن منظور، (٢٥٠/٢، ٢٥١)، المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة، (٣/٥، ٤)، تاج العروس، المرتضى الزبيدي (٥١٧/٥)، دستور العلماء، أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد رب النبي الأحمد، (٦٦/٢).

(٢) علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن الأشعري اليماني البصري، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة (٢٦٠هـ)، وتلقى مذهب المعتزلة، وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم، وتوفي ببغداد(٣٢٤ هـ). له مصنفات كثيرة، منها: إمامة الصدّيق، مقالات الإسلاميين، الإبانة عن أصول الديانة، وغيرها. ينظر: سير أعلام النبلاء، (٨٥/١٥)، الوافي بالوفيات، الصفدي، (١٦٣/٩)، طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، (١١٤/١).

الخروج هو العلة في إطلاق هذا الاسم الذي أصبح علماً على هذه الفرقة، فقال رحمه الله: "والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب"(١).

تعريف ابن حجر(٢)، قال: "والخوارج الذين أنكروا على علي التحكيم، وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته، وقاتلوهم، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة منهم"(٣).

وله تعريف آخر، يقول فيه: "أما الخوارج فهم جمع خارجة، أي: طائفة، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين"(٤).

وأما ابن حزم(٥) فيقول رحمه الله: "ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم،

---

(١) مقالات الإسلاميين، (١/١١٢)، وينظر أيضاً موافقاً له تعريف، المواقف، عضد الدين الإيجي، (٣/٦٩٦)، د. أحمد محمد جلي، دراسات في فرق المسلمين، ص٥١.

(٢) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين ابن حجر، ولد بالقاهرة سنة (٧٧٣ه)، من أئمة العلم والتاريخ، توفي(٨٥٢هـ). له مصنفات كثيرة انتشرت في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر، منها: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، الإصابة في تمييز أسماء الصحابة، فتح الباري شرح صحيح البخاري، وغيرها. ينظر: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ابن تغري بردي، (٢/١٧)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، (٢/٣٦)، طبقات الحفاظ، السيوطي، ص٥٥٢.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (١/٤٥٩).

(٤) المرجع السابق، (١٢/٢٨٣).

(٥) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة =

وتكفير أصحاب الكبائر، والقول بالخروج على أئمة الجور، وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي، وإن خالفهم، فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون وخالفهم فيما ذكرنا فليس خارجياً"[١].

موقف الخوارج من السنة النبوية.

لكي نعرف موقف الخوارج من السنة النبوية، لابد من التعرف على موقفهم من نقلة السنة النبوية-الصحابة ﷺ؛ كي يتبين لنا كيف ينظرون إلى السنة النبوية.

موقفهم من الصحابة ﷺ أجمعين.

أجمعت فرق الخوارج على القول بإمامة أبي بكر وعمر-رضي الله عنهما- وتوليهما، والإقرار بخلافتهما، فهم راضون عن سيرتهما[٢]، وعثمان بن عفانﷺيتولونه في بداية خلافته إلى وقت الأحداث، يحددها بعضهم بالسنوات

=

الإسلام. كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، ولد بقرطبة سنة (٣٨٤هـ)، وتوفي (٤٥٦ هـ)، له مصنفات، منها: الفصل في الملل والأهواء والنحل، المحلى، وجمهرة الأنساب، وغيرها. ينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الميورقي، ص٣٠٨، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أبو جعفر الضبي، ص٤١٥، سير أعلام النبلاء، (١٨/ ١٨٤).

(١) الفصل في الملل والنحل، (٢/٩٠).

(٢) ينظر: منهاج السنة، (٦/٥١)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة، أبو محمد اليمني، (١/٢٠)، الفرق بين الفرق، ص٩٩، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، ص١٩.

الست الأولى من خلافته[١]، ثم يطعنون فيه بعد ذلك، ويتهمونه بأمور مكذوبة عليه أو محرفة ويروون الآثار في تكفيره والاستبشار بيوم قتله[٢].

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى وقت التحكيم، فلما رضي بإجراء التحكيم تبرؤوا منه وكفروه؛ لأنه-في نظرهم- حكم بغير ما أنزل الله[٣]، فهو كافر لارتكابه كبيرة، قال أبو الحسن الأشعري: "أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب-رضوان الله عليه-أن حكّم"[٤]، واستمروا في عدائهم له، والكيد له؛ باعتباره-في اعتقادهم-مرتدا عن الإسلام، واستحلوا قتله تقرباً إلى الله تعالى[٥]. فقتله عبد الرحمن بن ملجم[٦] الخارجي، وصوبوا فعله ذلك[٧]، فمدحه شاعرهم

---

(١) صرح بذلك أحد الخوارج، وهو عروة بن أدية عندما أتي به إلى زياد بن أبيه. ينظر: الكامل، المبرد، (٣/١٣٤)، الملل والنحل، (١/١١٧)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، الملطي، ص٥١، التبصير في الدين، أبو مظفر الاسفراييني، ص٢٠.

(٢) ينظر: منهاج السنة، ابن تيمية، (١/٥٤٣)، الفرق الإسلامية، القلهاني، ص٣٧ -٥٢.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، (٤/٤٢٦)، منهاج السنة، (١/٥٤٣)، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، مرجع سابق، ص١٩، الفرق بين الفرق، ص٩٩، عقائد الثلاث والسبعين فرقة، أبو محمد اليمني، (١/٢٠).

(٤) مقالات الإسلاميين، مرجع سابق، (١/٨٤).

(٥) ينظر: منهاج السنة النبوية، (٥/١٠).

(٦) عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي الحميري، قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أدرك الجاهلية، وهاجر في خلافة عمر رضي الله عنه وقرأ على معاذ بن جبل رضي الله عنه فكان من القراء، وأهل الفقه والعبادة. كان من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشهد معه صفين، ثم خرج عليه وقتله، ثم قتله الحسن بن علي رضي الله عنه بالكوفة، سنة (٤٠ ه). ينظر: تاريخ ابن يونس المصري، (١/٣١٤)، ميزان الإعتدال، (٢/٥٩٢)، الوافي بالوفيات، (١٨/١٧١).

(٧) الاعتصام، الشاطبي، (٢/٧٤١).

عمران بن حطان[١] على ذلك بقوله:

يا ضربة من تقي ما أراد بها ** إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره حينا فأحسبه ** أوفى البرية عند الله ميزانا[٢]

وطعنت الخوارج وكفرت أيضاً: طَلْحَة، وَالزُّبَيْر، وَعَائِشَة، وَعبد الله بن عَبَّاس، وأبا موسى الأشعري، ومعاوية، وعمراً بن العاص ﷺ وسائر أصحاب الجمل، وصفين، وَسَائِر الْمُسلمين مَعَهم وقضوا بتخليدهم فِي النَّار[٣].

وهذا الأمر مما اتفقت عليه أصول الخوارج وأجمعوا عليه، قال المسعودي[٤]: "وذكرنا ما اتفقت عليه الخوارج واجتمعت عليه من الأصول: إكفارهم عثمان وعلياً، والخروج على الإمام الجائر، وتكفير مرتكب الكبائر، والبراءة من

(١) عمران بن حطّان بن ظبيان السدوسي الشيبانيّ الوائلي، أبو سماك: رأس من رؤوس الخوارج وشاعر محسن مقدام، وأشعر الناس في الزهد. كان قبل ذلك من رجال العلم والحديث، من أهل البصرة، وأدرك جماعة من الصحابة فروى عنهم، وروى أصحاب الحديث عنه، توفي سنة(٨٤هـ). ينظر: التاريخ الكبير، البخاري، (٤١٣/٦)، الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، (٢٩٦/٦)، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، أبو القاسم الآمدي، ص١١٤.

(٢) منهاج السنة النبوية، (١٠/٥)، شعر الخوارج، د. إحسان عباس، ص١٤٧.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، (٧٠/٢٥)، المواقف، مرجع سابق، (٦٩٨/٣)، مقالات الإسلاميين، (١٠٩/١)، الملل والنحل، (١١٧/١).

(٤) علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، من ذرية عبد الله بن مسعود: مؤرخ، رحالة، بحاثة، من أهل بغداد، كان معتزليًا، أقام بمصر وتوفي فيها، (٣٤٦هـ). من تصانيفه: مروج الذهب، أخبار الخوارج، وغيرهما. ينظر: معجم الأدباء، ياقوت، (١٧٠٥/٤)، سير أعلام النبلاء، (٥٦٩/١٥)، فوات الوفيات، محمد بن شاكر، (١٢/٣).

الحكمين أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري، وعمرو بن العاص السهمي، وحكمهما، والبراءة ممن صوب حكمهما أو رضي به، وإكفار معاوية وناصريه ومقلديه ومحبيه، فهذا ما اتفقت عليه الخوارج من الشراة[١] والحرورية[٢]"[٣].

ومن خلال النقولات التي نقلناها تبين لنا مكانة الصحابة ﷺ عند الخوارج، فهم قد نالوا منهم شتماً، ولعناً، وبراءة منهم، وقتلوهم، فكانوا هم أول من سن هذه السنة السيئة في النيل من كبار الصحابة ﷺ وجرأوا غيرهم على هذا الأمر، قال الشاطبي[٤]: "وَأَصْلُ هَذَا الْفَسَادِ مِنْ قِبَلِ الْخَوَارِجِ، فَهُمْ أول من أفشى لَعنَ السَّلَفَ الصَّالِحَ، وَتَكْفِيرِ الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الصَّحَابَةِ"[٥].

كان لموقف الخوارج من الصحابة أثر في وجهة نظرهم تجاه السنة النبوية، حيث جعلهم هذا الموقف-السيء من الصحابة- يسقطون عدالة أغلب الصحابة، ويردون أحاديثهم، فكان ذلك الأمر من الخطورة بمكان؛ فالصحابة تتضح مكانتهم وعلمهم بجلاء، فهم من نقلوا لنا الدين عن الرسول ﷺ وهم من

---

(١) الشراة: سموا بذلك نسبة إلى الشراء؛ لأنهم يقولون: إنا شرينا أنفسنا بطاعة الله، ويقصدون بها أنهم شروا أنفسهم بالجنة يقتلون ويكون مصيرهم إلى الجنة. ينظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، (١/٢٣٠).

(٢) الحرورية: لقب أطلق على الخوارج، نسبة إلى حروراء، وهي قرية بقرب الكوفة، على ميلين منها، كان أول اجتماع الخوارج به؛ لقتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ. ينظر: شرح صحيح مسلم، النووي، (٤/٢٧).

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، ص٤١٠.

(٤) سبق التعريف به.

(٥) الاعتصام، (١/٢١٠).

عاشروه وعاصروه في حياته، فأطلعونا على أقواله وأفعاله، وجميع أعماله، وكلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليهم، وثناء رسوله الكريم ﷺ وهذا ما عليه إجماع أهل السنة والجماعة(١).

فذهب الخوارج إلى الأخذ بالقرآن الكريم وتعظيمه، وطلب اتباعه، والقول بحجيته، ورد ما زاد عليه من الأحاديث النبوية، قال ابن تيمية رحمه الله: "وأصل مذهبهم تعظيم القرآن وطلب اتباعه، لكن خرجوا عن السنة والجماعة؛ فهم لا يرون اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن"(٢).

وصار هذا الأمر أصلاً من أصولهم المتفق عليها بين فرقهم المختلفة كما بين ذلك المباركفوري، حيث قال عنهم: "وَهُمْ فِرَقٌ كَثِيرَةٌ لَكِنْ مِنْ أُصُولِهِمِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا بَيْنَهُمِ الْأَخْذُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَرَدُّ مَا زَادَ عَلَيْهِ من الحديث مطلقا"(٣).

والسبب في اكتفائهم بالقرآن وردهم للسنة النبوية-حسب زعمهم-أن هذه الأحاديث الصحيحة مناقضة للقرآن، أو مناقضة بعضها لبعض، أو فساد معانيها، أو مخالفتها للمعقول(٤).

وقد أوقع إنكار السنة النبوية ودعوى الاكتفاء بالقرآن، الخوارج في خبط

---

(١) ينظر في عدالة الصحابة: الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، ص٤٦، معرفة الثقات، العجلي، (٩٣/١)، الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، ابن كثير، ص١٨١، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الآثار، ابن الأمير الصنعاني، (٤٦٤/٢).

(٢) مجموع الفتاوى، (٢٠٨/١٣).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، (٣٥٤/٦).

(٤) ينظر: الاعتصام، الشاطبي، (٦٤/٢).

وشطط كبير جرهم إلى إنكار كثير من الأحكام الشرعية، وافتروا أحكاماً باطلة، منها: إكفار مرتكب الكبيرة من المسلمين، وجعلوا دار مخالفيهم دار حرب، يقتل فيها النساء والأطفال، وأن مخالفيهم من أهل الصلاة كفار مثل كفار العرب ليسوا بمشركين، لا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل.

وفي الأحكام الشرعية، قالوا: إِن الصَّلَاة رَكْعَة بِالْغَدَاةِ وركعة بالْعَشي فَقَط، وأنكرت الأزارقة[١] الرجم في الزاني المحصن؛ لأنه ليس في القرآن، واستحلوا كفر الأمانة التي أمر الله تعالى بأدائها، وقالوا: إن مخالفيهم مشركون يحل أكل أماناتهم، ولم يقيموا الحد على قاذف الرجل المحصن، وأقاموه على قاذف المحصنات من النساء، وقطعوا يد السارق في القليل والكثير، ولم يعتبروا في السرقة نصاباً، والميمونية[٢] منهم يجيزون نكاح بنات البنين، وبنات البنات، وبنات الأخوات، وبنات بني الأخوة، ويقولون: إن الله حرم نكاح البنات والأخوات، وبنات الأخ، وبنات الأخت، وأحل ما وراء ذلك. وغير ذلك من الأباطيل والزيغ الذي أوقعهم فيه عدم الأخذ بالأحكام الواردة في السنة النبوية المطهرة[٣]، فكانوا ممن أنكر السنن وردوها بدعاوى باطلة، وأفهام خاطئة،

---

(١) أتباع نافع بن الأزرق الحنفى، المكنى بأبى راشد، ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عددًا، ولا أشد منهم شوكة. الفرق بين الفرق، ص٦٢.

(٢) اتِّبَاع رجل من الْخَوَارِج الشخرية، كَانَ اسْمه ميمونا، وَكَانَ على مَذْهَب العجاردة من الْخَوَارِج ثمَّ إنه خَالف العجاردة فى الإرادة وَالْقدر والاستطاعة. الفرق بين الفرق، ص٢٦٤.

(٣) ينظر في ذكر عقائدهم: الملل والنحل، (١/١١٤-١٣٤)، الحور العين، ص١٧٣، الفرق بين الفرق، ص ٥٥ -٦٥، عقائد الثلاث والسبعين فرقة، (١/٢٠-٤٢)، مقالات الإسلاميين، =

جانبوا فيها المنهج السوي والطريق المستقيم، فأحيانًا يقولون: إنها ليست من القرآن، وأحياناً إن القرآن لم يبين مقدار الحكم، وهكذا حتى عطلوا الأحكام الشرعية، الواردة بالسنة النبوية واكتفوا بما في القرآن من الأحكام والتشريعات فضلوا وأضلوا، قال عبد القاهر البغدادي[١]عن الخوارج: إنهم "أنكروا حجية الإجماع والسنن الشرعية، وأنه لا حجة في شيء من أحكام الشريعة إلا من القرآن، ولذلك أنكروا الرجم والمسح على الخفين؛ لأنهما ليسا في القرآن، وقطعوا يد السارق في القليل والكثير؛ لأن الأمر بالقطع في القرآن مطلق، ولم يقبلوا الرواية في نصاب القطع، ولا الرواية في اعتبار الحرز فيه "[٢].

ولم يقفوا عند ذلك الزيغ والضلال، بل أوصلهم جهلهم إلى الطعن في القرآن الكريم؛ حيث أنكروا أحد سوره، وهي سورة يوسف عليه السلام واستبعدوا أن تكون من القرآن، فقالوا: إِن سُورَة يُوسُف لَيست من الْقُرْآن؛ لِأَنَّهَا فِي شرح الْعِشْق والعاشق والمعشوق، وَمثل هَذَا لَا يجوز أَن يكون كَلَام الله تَعَالَى[٣].

والخلاصة: أن الخوارج نتيجة لانحراف فكرهم، وتكفيرهم الصحابة رضي الله عنهم أدى بهم ذلك إلى رد الأحاديث النبوية، وقد أوقعهم هذا الترك ارتكاب محذورات كثيرة، جعلتهم يخالفون الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وكان لفكرهم

=

(١/٨٤-١١٣)، الفصل في الملل والنحل، (٢/٩٠)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٥/١٢٥).

(١) سبق التعريف به.

(٢) أصول الدين، ص٣٤.

(٣) ينظر: الفصل في الملل والنحل، (٢/٩٠)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي، ص٤٧.

أثر بارز فيما أثير حول السنة النبوية من الشبهات، وقد تلقف القرآنيون جميع أفكارهم، وزادوا على ذلك من ضلالاتهم ونشروها وأذاعوها، فكانت أساس فكرهم، وغاية مرادهم، ومصدر إلهامهم في الطعن في السنة النبوية.

ثانياً: الشيعة.

تعريف الشيعة في اللغة:

قال ابن فارس[١]: "شيع: الشين والياء والعين أصلان، يدل أحدهما على معاضدة ومساعفة، والآخر على بثّ وإشادة. . . والشيعة: الأعوان والأنصار"[٢].

قال الجوهري[٣]: "شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره، يقال: شايعه، كما يقال: والاه من الولي. . . وتشيع الرجل، أي: ادعى دعوى الشيعة، وتشايع القوم من الشيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع، وقوله تعالى: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤]، أي: بأمثالهم من الشيع الماضية"[٤].

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازيّ، أبو الحسين، ولد سنة(٣٢٩هـ)، وتوفي سنة (٣٩٥هـ)، من أئمة اللغة والأدب. له تصانيف، منها: معجم مقاييس اللغة، والمجمل، والصاحبيّ في علم العربية، وغيرها. ينظر: تاريخ بغداد، (٤٥/٢١)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، (٨٤/٧)، معجم الأدباء، ياقوت الحموي، (٤١٠/١).

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٢٣٥/٣).

(٣) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر: لغويّ، من أئمة اللغة. له مؤلفات من أشهرها: تاج اللغة وصحاح العربية، كان أول من حاول (الطيران)، ومات في سبيله سنة(٣٩٣هـ). ينظر: يتيمة الدهر، الثعالبي، (٤٦٨/٤)، معجم الأدباء، (٦٥٦/٢)، إنباه الرواه على أنباء النحاة، القفطي، (٢٢٩/١).

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (١٢٤٠/٢).

فتكون لفظة الشيعة من حيث المدلول اللغوي تعني: الأولياء، الأتباع، والأنصار، الأحزاب، والأعوان، والقوم، والطائفة من الناس المجتمعة على أمر لنصرته، وهي تطلق على المفرد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث.

في الاصطلاح: للعلماء في تعريف الشيعة أقوال كثيرة، نذكر منها:

قال أبو الحسن الأشعري: "إنما قيل لهم: الشيعة، لأنهم شايعوا علياً- رضوان الله عليه - ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ"(١).

قال ابن حزم: "ومن وافق الشيعة في أن علياً ﷺ أفضل الناس بعد الرسول ﷺ وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون. فإن خالفهم فيما ذكرنا، فليس شيعياً"(٢).

وقال الشهرستاني: "الشيعة هم الذين شايعوا علياًﷺعلى الخصوص، وقالوا: بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً، وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده"(٣).

هذه التعاريف للشيعة عند علماء أهل السنة، أما علماء الشيعة، فيقولون:

"الشيعة فرقة علي بن أبي طالب الطَّيِّلا المسمون بشيعة علي في زمن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم، وبعده، معرفون بانقطاعهم إليه، والقول بإمامته"(٤).

---

(١) مقالات الإسلاميين، (٢٥/١).

(٢) الفصل في الأهواء والملل والنحل، (٨٩/٢- ٩٠).

(٣) الملل والنحل، (١٤٦/١).

(٤) المقالات والفرق، القمي، ص١٥، وينظر: فرق الشيعة، النوبختي والقمي، ص١٥.

ويعرف إبراهيم الزنجاني[١] الشيعة، بقوله: "هي الموالاة والمحبة أو التقديم أو المتابعة أو التمسك بالكتاب والعترة"[٢].

قال محمد الحسين آل كاشف الغطاء[٣]: "إن عدداً ليس بالقليل اختصوا في حياة النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– بعلي ﷺ ولازموه، وجعلوه إماماً، كمبلغ عن الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– وشارح، ومفسر لتعاليمه، وأسرار حكمه وأحكامه، وصاروا يعرفون بأنهم شيعة علي ﷺ كعلم خاص بهم كما نص على ذلك أهل اللغة"[٤].

وقال د. كامل مصطفى الشيبي: "إن التشيع هو إسباغ الحق الإلهي أو الإسلامي على إمامة علي ﷺ"[٥].

موقف الشيعة[٦] من السنة النبوية المطهرة:

لمعرفة موقف الشيعة من السنة النبوية، يجب التعرف علي أمرين:

---

(١) إمامي معاصر.

(٢) عقائد الإمامية الإثني عشرية، إبراهيم الموسوي الزنجاني، ص٢٧٣.

(٣) محمد حسين بن علي آل كاشف الغطاء: من علماء الإمامية الإثني عشرية بالنجف. ولد بها سنة(١٢٩٤هـ)، وتوفي بإيران سنة(١٣٧٣هـ)، كان أصولياً، أديباً، شاعرا، كاتباً، صنف كتبا كثيرة، منها: الدين والإسلام، أصل الشيعة وأصولها، وعين الميزان رسالة في الجرح والتعديل. ينظر: الأعلام، (٦/١٠٦)، معجم المؤلفين، (٩/٢٥٠).

(٤) أصل الشيعة وأصولها، ص ١٢١.

(٥) الصلة بين التصوف والتشيع، ص٢١.

(٦) الشيعة طوائف وفرق متعددة، والموجود منهم اليوم في العالم الإسلامي أكثرهم من الشيعة الإثني عشرية، فسيكون الحديث–إن شاء الله تعالى– عن هذه الفرقة، وموقفها من السنة.

الأول: موقفهم من الصحابة.

الثاني: المراد بالسنة عندهم.

الأول: موقفهم من الصحابة.

الصحابة ﷺ هم نقلة السنة النبوية والمبلغون لها بأمر النبي ﷺ حيث قال: (لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ)[١]، وهم الذين دعا لهم، بقوله ﷺ: (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ)[٢] وهم الذين اصطفاهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وخصهم دون غيرهم ليكونوا أهل عصره"ولو علم الله قرناً أطهر وأطيب منهم لبعث فيهم النبي ﷺ"[٣]،

والصحابة وصية رسول الله ﷺ فقد روى عبد الله بن عمر، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب بالجابية[٤]، فقال: قام رسول الله ﷺ مقامي فيكم، فقال:

---

(١) رواه البخاري، برقم،(٦٧)، (١/٢٦)، ومسلم، برقم، (٣٣٧٠)، (٤/١٠٩).

(٢) رواه أبو داوود في سننه، برقم، (٣٦٦٢)، (٣/٣٦٠)، وسنن الترمذي، برقم، (٢٦٥٦)، (٥/٣٣)، سنن ابن ماجة، برقم، (٢٣٠)، (١/١٥٦)، مسند أحمد، برقم، (١٦٧٨٤)، (٤/٨٠)، والحديث صحيح، قال أبو عبد الله الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. المستدرك على الصحيحين، برقم، (٢٩٤)، (١/١٦٢).

(٣) الانتصار في الرد على القدرية الأشرار، (١/ ١٠٦).

(٤) الجابية: بكسر الباء، وياء مخففة، قرية من أعمال دمشق، شَمَالَ بَلْدَةِ الصَّنَمَيْنِ، وَلَهَا تَلٌّ يُعْـرَفُ بِتَلِّ الْجَابِيَةِ، أَيْ: قَرِيَةٌ مِنْ الْجَوْلَانِ. ينظر: معجم البلدان، (٢/٩١)، آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا القزويني، ١٧٥، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق الحربي، ص٧٧.

(استوصوا بأصحابي خيراً، ثم الذين يلونهم)[١]، وفضائلهم لا تحصى، ذكرهم القرآن الكريم بخير الأوصاف، فهم السباقون إلى كل خير، المدافعون عن حوضة الدين، الباذلون المهج والمال في سبيل إعلاء رآية التوحيد، ولكن ذمهم كل من في قلبه مرض، ونال منهم كل من ابتلاه الله ووقعت في قلبه عقيدة الرفض، عافانا الله منها، وجميع المسلمين.

وقد خالف الشيعة الرافضة وصية رسول الله ﷺ فاعتدوا وظلموا أصحابه، ولم يرعوا حق الصحبة، فهم يعتقدون أن الصحابة ﷺ كلهم قد ارتدوا على أدبارهم[٢]، وخرجوا عن الإسلام بعد موت النبي ﷺ عدا نفر يسير منهم، قال فخر الدين الرازي[٣]، وهو يتحدث عن الشيعة: "وهم يكفرون الصَّحَابَة ﷺ، وَيَقُولُونَ: إن الْخلق قد كفرُوا بعد النَّبِي ﷺ إِلَّا علياً وَفَاطِمَة وَالْحسن وَالْحُسَيْن وَالزُّبَيْر وَعمَّارًا وسلمان وَأَبا ذَر ومقداداً وبلالاً وصهيبًا"[٤].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم، ١١٤، (١٦٨/١)، صحيح ابن حبان، برقم، ٧٢٥٤، (٢٣٩/١٦)، مستدرك الحاكم، برقم، ٣٨٨، (١٩٧/١).

(٢) حكى الأسفراييني إجماع الرافضة على تكفير الصحابة، ينظر: التبصير في الدين، ص٤١.

(٣) محمد بن عمر بن الحسين القرشي، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ: المفسر، المتكلم، الأديب، أحد علماء الأشاعرة. أصله من طبرستان، ولد بالري، سنة(٥٤٤هـ)، ونسب إليه، فيقال له: ابن خطيب الريّ، توفي في هراة، سنة(٦٠٦هـ). له تصانيف، منها: مفاتيح الغيب في تفسير القرآن الكريم، ولوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، وغيرها. ينظر: معجم الأدباء، (٢٥٨٥/٦)، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، القفطي، ص٢١٩، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ص٤٦٦، سير أعلام النبلاء، (٥٠٠/٢١).

(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٥٦.

وضاقت دائرة الإسلام بين صحابة رسول الله ﷺ حتى لم يقر الشيعة إلا بإسلام ثلاثة منهم فقط، أخرج الكليني[١] بسنده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: "كان الناس أهل ردة بعد موت النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة، فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رحمة الله وبركاته عليهم"[٢].

ويخصون بالتكفير خيرة صحابة رسول الله ﷺ ويتبرؤون منهم، ولا يتم الإيمان إلا بالتبرؤ منهم، والنيل منهم، كما قال محمد باقر المجلسي[٣] مبيناً عقيدهم في الصحابة، وأمهات المؤمنين: "عقيدتنا(الشيعة) في التبرؤ: أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، والنساء الأربع: عائشة، وحفصة، وهند، وأم الحكم، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرؤ من

---

(١) محمد بن يعقوب بن إسحاق، أبو جعفر الكليني، بضم الكاف وإمالة اللام، من فقهاء الشيعة الإمامية، من أهل كلين (بالريّ)، كان من شيوخ الرافضة ببغداد، توفي بها(٣٢٩هـ)، من كتبه: الكافي في علم الدين، والرد على القرامطة، ورسائل الأئمة، وغيرها. ينظر: الإكمال، ابن ماكولا، (١٤٤/٧)، تاريخ دمشق، ابن عساكر، (٢٩٧/٥٦)، الأعلام، (١٤٥/٧).

(٢) الكافي كتاب الروضة (١٦٧/٨)، وينظر: أوائل المقالات، المفيد، ص٤٥.

(٣) محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني: علامة إمامي. ولد بأصبهان، وتوفي بها سنة (١١١١هـ)، له تصانيف منها: بحار الأنوار، وكتاب العقل والعلم والجهل، ومرآة العقول، وغيرها. ينظر: الأعلام، (٤٨/٨)، معجم المؤلفين، (٩١/٩)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل البابي، (١٦٣/٣).

أعدائهم"[١]. وغير ذلك من الطوام التي تحملها قلوبهم وكتبهم، على صحابة رسول الله من الشتم والسباب البذيء، والطعون التي يتتره عنها أصحاب المروءة، والدين.

عدالة الصحابة عند الشيعة.

إن عدالة الصحابة من الأمور التي أقرها علماء أهل السنة كافة، بل هي من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة[٢]؛ وذلك لأنه ورد ما يزكيهم، ويقوي الثقة بهم في القرآن الكريم، فقد زكاهم الله في مواضع كثيرة من القرآن، وعلى لسان الرسول الكريم ﷺ وتواتر عليه أقوال أئمة الدين من علماء المسلمين، فهم جلساء المصطفى، المختارون من الله للصحبة الشريفة، فكانوا للرسول أصفياء، فلا سبيل للنيل منهم أو الطعن فيهم.

والشيعة في الرواية لا يعدِّلون الصحابة، فصحبتهم ليست ميزة لهم، ويخضع الصحابة لميزان الجرح والتعديل الذي يخضع له رجال الحديث، وعلى أساسه يقبل الحديث أو يرد، قال المقاني: "وحكم الصحابة في العدالة حكم غيرهم، فمجرد كون الرجل صحابياً لا يدل على عدالته، بل لا بد من إحرازها، نعم ثبوت كونه صحابياً مغن عن الفحص عن إسلامه، إلا أن يكون ممن ارتد بعد

---

(١) حق اليقين، ص٥١٩، (فارسى)، ترجمه إلى العربية، الشيخ محمد عبد الستار التونسوي في كتابه بطلان عقائد الشيعة، ص٥٣.

(٢) ينظر في عدالة الصحابة: الكفاية في علم الرواية، ص٤٦، معرفة الثقات، (٩٣/١)، الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، ص١٨١، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (٧/١)، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الآثار، (٤٦٤/٢).

النبي-صلى الله عليه وآله وسلم، فما عليه جمع من العامة[١] من الحكم بعدالة الصحابة كلهم حتى من وقت أمير المؤمنين عليه السلام عناد محض"[٢].

ويقول محسن الأمين[٣]: "حكم الصحابة في العدالة حكم غيرهم، ولا يتحتم الحكم بمجرد الصحبة، وإن ذلك كافٍ في ثبوت العدالة بعد الاتفاق على عدم العصمة المانعة من صدور الذنب، فمن علمنا عدالته: حكمنا بها، وقبلنا روايته، ولزمنا له من التعظيم والتوقير بسبب الصحبة ونصرة الإسلام والجهاد في سبيل الله ما هو أهله.

ومن علمنا منه خلاف ذلك: لم نقبل روايته كمروان بن الحكم، والمغيرة بن شعبة، والوليد بن عقبة، ونحوهم من بعض بني أمية وأعوانهم. ومن جهلنا حاله من العدالة توقفنا في قبول روايته"[٤].

والهدف من ذلك معلوم لكل ذي لب وصاحب بصيرة ما يريدون من وراء ذلك التكفير، والجرح، وما أحسن ما قاله أبو زرعة الرازي[٥] رحمه الله تعالى:

---

(١) يقصد الشيعة بهذا المصطلح في كلامهم أهل السنة.

(٢) مقباس الهداية في علم الرواية، (٣/٣٠٥).

(٣) محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين، الحسيني العاملي ثم الدمشقي، ولد سنة(١٢٨٢ه)، فقيه، أصولي، متكلم، قال عنه الزركلي: إنه"آخر مجتهدي الشيعة الإمامية في بلاد الشام". توفي في دمشق، (١٣٧١ه - ١٩٥٢م)، كان مكثراً من التأليف، من مؤلفاته: أعيان الشيعة، والرحيق المختوم-ديوان شعره، وغيرهما. ينظر: الأعلام، (٥/٢٨٧)، معجم المؤلفين، (٨/١٨٣).

(٤) أعيان الشيعة، (١/١١٣).

(٥) عبيد الله بن عبد الكريم المخزومي بالولاء، أبو زُرْعَة الرازيّ: من أئمة الحديث وحفاظه المتفق عليهم، من أهل الري، زار بغداد، وحدّث بها، وجالس الإمام أحمد بن حنبل، كان يحفظ مئة =

"إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة"(١).

ثانياً: المراد بالسنة عند الشيعة الرافضة:

السنة عند الشيعة لم يقتصر مدلولها على ما روي عن النبي ﷺ فقط، بل اشتملت على أقوال الأئمة من أهل البيت؛ وذلك لأن أقوالهم في مرتبة واحدة مع أقوال الرسول ﷺ، فهم عندما يعرفون السنة، يقولون عنها، كما ذكر ذلك الحسين بن عبد الصمد العاملي(٢): "هي طريقة النبي ﷺ أو الإمام المحكية عنه، فالنبي بالأصالة، والإمام بالنيابة، وهي: قول، وفعل، وتقرير"(٣).

ويقول المقاني موضحًا التعريف الاصطلاحي للسنة: "ولعل من بيان المعنى الاصطلاحي ما في تاج العروس من قوله: "والسنة من الله، وإذا أطلقت في الشرع فإنما المراد بها حكمه وأمره ونهيه مما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه، وندب إليه، قولاً وفعلاً، مما لم ينطق به الكتاب العزيز، ولهذا يقال في أدلة الشرع:

=

ألف حديث، ويقال: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل. توفي بالريّ، سـنة(٢٦٤هـ). ينظر: رجال صحيح مسلم، ابن منجويه، (١٤/٢)، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، الخليلي، (٦٧٨/٢/)، طبقات الحنابلة، أبو يعلى، (١٩٩/١).

(١) الكفاية في علم الرواية، البغدادي، ص ٤٩.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) وصول الأخيار إلى أصول الأخبار، حسين بن عبد الصمد الحارثي، ص٨٨.

الكتاب والسنة أي القرآن والحديث"[١].

قال- المقاني-: وتعبيره بالنبي ﷺ مبني على مذهبه[٢]، أما على مذهبنا فيعم ما أمر به ونهى عنه، وبينه أهل البيت المعصومون عليهم السلام"[٣].

فيكون على ذلك أن السنة قد تجاوزت معناها عند الشيعة من الرسول ﷺ إلى علي بن أبي طالب، حتى وصلت إلى أهل بيته، يقول أحد علماء الشيعة: "أما فقهاء الإمامية بالخصوص فلما ثبت لديهم أن المعصوم من آل البيت يجري قوله مجرى قول النبي ﷺ من كونه حجة على العباد واجب الاتباع، فقد توسعوا في اصطلاح السنة إلى ما يشمل قول كل واحد من المعصومين أو فعله أو تقريراته، فكانت السنة باصطلاحهم: قول المعصوم أو فعله أو تقريره"[٤].

والناظر في هذه التعريفات، يلاحظ أموراً:

١- أن أهل السنة يجعلون السنة النبوية مختصة بالنبي ﷺ ويعرفون السنة، بقولهم: ما أثر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خَلْقية أو خُلُقية [٥].

٢- أن السنة عند الشيعة قول المعصوم أو فعله أو تقريره، ويريدون

---

(١) تاج العروس، (٣٥/٢٣١).

(٢) أي مذهب أهل السنة.

(٣) مقباس الهداية، (١/٦٨، ٦٩).

(٤) أصول الفقه، محمد رضا المظفر، (٣/٥١، ٥٢).

(٥) ينظر في تعريفها: توجيه النظر في أصول أهل الأثر، طاهر الجزائري، (١/٤٠)، قواعد التحديث، جمال الدين القاسمي، ص٦١.

بالمعصوم النبي ﷺ وعلي ﷺ والأئمة.

٣- أن مما يطلق عليه عند الشيعة تحت مسمى السنة قول الإمام المعصوم- يعنون به علي بن أبي طالب- فهي في درجة السنة المروية عن النبي ﷺ؛ وذلك لأن الإمام يتكلم عن النبي ﷺ بالنيابة، فيكون لسنته نفس المرتبة التي حازت عليها السنة النبوية، من المكانة التشريعية، والدليل على ذلك ما رواه الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: "ما جاء عن علي آخذ به، وما نهى عنه انتهى عنه، جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم"(١).

٤- ويدخل ضمن مصطلح السنة عند الشيعة ما روي عن أئمة أهل البيت؛ لأنهم معصومون عن الخطأ-حسب زعمهم- فالشيعة "يأخذون بكل حديث يرويه الثقات عن رسول الله ﷺ أو عن أحد أئمتهم الأطهار، ويعتقدون أن أقوال الإمام في الشريعة هي عين قول جده رسول الله ﷺ سواء أسندها إليه أم أرسلها بدون إسناد، وأن الكذب والخطأ محال في حقه، وبهذا كان عندهم من الأحاديث ما يغنيهم عن الرأي بشتى أقسامه"(٢).

موقفهم من السنة.

كَانَ لنظرة الشِّيعَة فِي الصَّحَابَة الأثر البالغ في موقفهم من السّنة النَّبوِيَّة، إِذْ رد الشِّيعَة الْأَحَادِيث الَّتِي رويت من طريق هَؤُلَاءِ الصَّحَابَة ﷺ، ولم يقبلوا من الأحاديث إلا ما روي عن علي بن أبي طالب ﷺ وشيعته من الصحابة، على أن

---

(١) الكافي، (١/١٩٦).

(٢) الشيعة في الميزان، مغنية، ص٨١.

تكون رواية الأحاديث التي يقبلونها من طرق أئمتهم لاعتقادهم عصمتهم أو عن طريق من هو على نحلتهم[(١)]. قال محمد الحسين آل كاشف الغطاء: "والشيعة لا يعتبرون من السنة إلا ما صح لهم من طرق أهل البيت عن جدهم، يعني ما رواه الصادق[(٢)]، عن أبيه الباقر[(٣)]، عن أبيه زين العابدين[(٤)]، عن الحسن السبط، عن أبيه أمير المؤمنين، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما ما يرويه مثل: أبي هريرة، وسمرة بن جندب، ومروان بن الحكم، وعمر

---

(١) ينظر: أصول الدين، البغدادي، ص٣٥، السنة النبوية في مواجهة الأباطيل، ص٢٨، تدوين السنة النبوية، د. محمد مطر الزهراني، ص٥٠، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص١٥١، ١٥٢.

(٢) جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق، ولد بالمدينة، (٥٨٠)، وتوفي بها، (٥١٤٨)، سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم. لقب بالصادق؛ لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. ينظر: وفيات الأعيان، (٣٢٧/١)، رجال صحيح مسلم، (١٢٠/١)، الكاشف، الذهبي، ص٢٩٥.

(٣) محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الهاشمي القرشي، ولد بالمدينة، (٥٥٧)، وتوفي بالحميمة، (٥١١٤)، ودفن بالمدينة، خامس الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، كان ناسكاً عابداً، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال، وَشُهِرَ بِالبَاقِرِ، مِنْ: بَقَرَ العِلْمَ، أَيْ: شَقَّهُ، فَعَرَفَ أَصْلَهُ وَخَفِيَّهُ. ينظر: ألقاب الصحابة والتابعين في المسندين الصحيحين، أبو علي الغساني الجياني، ص٤٥، سير أعلام النبلاء، (٤٠١/٤)، تهذيب التهذيب، ابن حجر، (٣٥٠/٩).

(٤) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين، ولد سنة، (٥٣٨)، وتوفي سنة، (٥٩٤)، رابع الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع. يقال له: علي الأصغر؛ للتمييز بينه وبين أخيه، عليّ الأكبر. ينظر: التعديل والجرح، الباجي، (٩٥٦/٢)، وفيات الأعيان، (٢٦٦/٣)، سير أعلام النبلاء، (٣٨٦/٤).

ابن الخطاب، وعمرو بن العاص، ونظائرهم فليس لهم عند الإمامية من الاعتبار مقدار بعوضة، وأمرهم أشهر من أن يذكر"[١].

ومع هذا، فإن الشيعة الرافضة يدعون للاكتفاء بالقرآن الكريم، ويضعون العقبات أمام قبول أحاديث النبي ﷺ فقط، ويشترطون الشروط غير الصحيحة، وهذه الشروط لا تطرح على الأخبار-الزائفة المنسوبة إلى أئمتهم- فهم يشترطون شروطاً، منها: عرض الحديث النبوي على القرآن الكريم، فما وافق القرآن منها قبل، وما لم يوافق رد، قال د. إسماعيل الميمني: "وكان الشيعة ينادون بنبذ السنة والاكتفاء بالقرآن، فقالوا: القرآن هو المرجع الأول للمسلمين في الشريعة والعقيدة، وقد عرف نفسه بأن فيه تبياناً لكل شيء. . . ، فأولى أن يكون مهيمناً على ما ينسب إلى صاحب الشريعة المحمدية من صحيح وسقيم، وعلى ضوء ذلك، قالوا: المعيار الأول لتمييز الباطل عن الصحيح: هو مخالفة الكتاب وعدمها، فإذا كان الخبر المروي بسند صحيح مخالفاً لنص القرآن يضرب به عرض الجدار"[٢].

ويبرر أحد الشيعة سبب رده لحديثين، بقوله: "فهذان خبران قد وردا شاذين مخالفين لظاهر كتاب الله، وكل حديث ورد هذا المورد فإنه لا يجوز العمل عليه؛ لأنه روي عن النبي ﷺ وعن الأئمة-عليهم السلام- أنهم قالوا: (إذا جاءكم منا الحديث فاعرضوه على كتاب الله"[٣].

---

(١) أصل الشيعة وأصولها، ص٧٩-٨٠.

(٢) شبهة عرض السنة على القرآن عرض ونقد، د. إسماعيل الميمني، ص٧٧، ٧٨.

(٣) تهذيب الأحكام، الطوسي، (٧/٢٧٥).

والغاية المرادة من عرض السنة النبوية، هو إظهار التعارض بين الحديث والقرآن، سواء توافقا أم تخالفا، فإن النتيجة هي المخالفة والرد، قال جعفر السبحاني-مبينا الغرض من عرض الحديث على القرآن-: "والمراد من عرض الحديث على الكتاب عند الشيعة، هو إحراز المخالفة لا الموافقة؛ إذ ليست الثانية شرطاً في حجية الحديث، وإنما المخالفة مسقطة له عن الحجية"[١].

والخلاصة مما سبق، يتبين أن الشيعة ينكرون السنة النبوية إنكاراً مطلقاً، وهم سلف للقرآنيين(منكري السنة الجدد)، وكل من طعن في السنة يأتي عن طريقهم، ويأخذ من معينهم ويتشرب شبهاتهم، وبعد ذلك ينفث سمومه حول السنة النبوية، قال السيوطي[٢]رحمه الله: " وأصل هَذَا الرَّأْي الْفَاسِد أَن الزَّنَادِقَة وَطَائِفَة من غلاة الرافضة ذَهَبُوا إِلَى إِنْكَار الِاحْتِجَاج بِالسنةِ والاقتصار على الْقُرْآن،...، فبنوا على ذَلِك رد الْأَحَادِيث كلهَا؛ لِأَنَّهَا عِنْدهم بزعمهم من رِوَايَة قوم كفار. فَإنَّا لله وَإنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون"[٣].

ثالثاً: المعتزلة.

تعريف المعتزلة في اللغة.

قال ابن فارس[٤]: "الْعَيْنُ وَالزَّاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَنْحِيَةٍ وَإِمَالَةٍ،

---

(١) شبهة عرض السنة على القرآن عرض ونقد، مرجع سابق، ص٧٨-٧٩.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) مفتاح الجنة للاحتجاج بالسنة، ص ٦.

(٤) سبق التعريف به.

تَقُولُ: عَزَلَ الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ يَعْزِلُهُ، إِذَا نَحَّاهُ فِي جَانِبٍ. وَهُوَ بِمَعْزِلٍ وَفِي مَعْزِلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَيْ فِي نَاحِيَةٍ عَنْهُمْ. وَالْعُزْلَةُ: الِاعْتِزَالُ"(١).

وقال الخليل(٢): "عزل: عزلت الشيء نحّيته، ورأيته في معزل، أي في ناحية عن القوم معتزلاً،

وأنا بمعزل منه، أي: قد اعتزلته. والعُزْلة: الاعتزال نفسه"(٣).

ومن خلال النظر في المدلولات اللغوية لكلمة عزل، يتبين لنا: أن الاعتزال، كلمة تدل على: الانفراد، والتنحي، والعزلة، والإمالة.

التعريف الاصطلاحي:

قال نشوان الحميري(٤): "والمعتزلة: فرقة من فرق الإسلام. قيل: سموا معتزلة

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (٣٠٧/٤).

(٢) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي، أبو عبد الرحمن، إمام العربية: ولد بالبصرة، سنة(١٠٠ه)، وتوفي بها، سنة (١٧٠ه)، كان من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النحويّ، له كتب، منها: العين، كتاب العروض،. . . ، وغيرهما. ينظر: أخبار النحويين البصريين، السيرافي، ص٣١، إنباه الرواة على أنباه النحاة، (٣٧٦/١)، البلغة في ترجمة أئمة النحو واللغة، الفيروز آبادي، ص١٣٣، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (٥٥٧/١).

(٣) العين، الخليل بن أحمد، (٣٥٣/١).

(٤) نشوان بن سعيد بن نشوان، أبو سعيد الحميري اليمني الأمير العلامة: كان فقيهًا عارفاً باللغة والنحو والتاريخ، وسائر فنون الأدب، له تصانيف أجلها شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، في اللغة، مات في ذي الحجة سنة (٥٧٣ه).ينظر: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، =

لاعتزالهم مجلس الحسن بن أبي الحسن البصري[١]، ومتولي اعتزاله منهم عمرو بن عبيد[٢]. وقيل: وهو الصحيح، إنما سموا معتزلة لقولهم بالمترلة بين المترلتين، واعتزالهم قولَ الخوارج أن قاطع الصلاة كافر، وقولَ المرجئة[٣]: إنه مؤمن، فقالت المعتزلة: إنه فاسق"[٤].

وقال د. غالب العواجي: "المعتزلة اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري ما بين ١٠٥ -١١٠هـ، بزعامة رجل يسمى واصل بن عطاء الغزال[٥]"[٦].

=

ياقوت الحموي، (٦/ ٢٧٤٥)، البلغة في تراجم النحو واللغة، ص٣٠٣، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، (٢/ ٣١٢).

(١) سبق التعريف به.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) المرجئة: سموا مرجئة لقولهم بالإرجاء، وأصل الإرجاء التأخير، فهم الذين يؤخرون العمل عن الإيمان، وأكثرهم يرون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ويقولون: إن أهل القبلة لن يدخلوا النار مهما ارتكبوا من المعاصي، ومجمل معتقدهم: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر عمل، وهو خلاف ما عليه معتقد أهل السنة والجماعة. ينظر: التبصير في الدين، ص٩٧، الملل والنحل، (١/١٣٨)، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، ص٣٣.

(٤) شمس العلوم، (٧/٤٥٢٠)، وينظر: الحور العين، ص٢٥٨.

(٥) واصل بن عطاء الغزّال، أبو حذيفة، ولد بالمدينة، سنة(٨٠هـ)، كان رأس المعتزلة. وناشر الاعتزال، كان أحد البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره، وله من التصانيف: أصناف المرجئة، كتاب التوبة، معاني القرآن. توفي سنة(١٣١هـ). ينظر: وفيات الأعيان، (٦/٧)، سير أعلام النبلاء، (٥/٤٦٤)، نزهة الألباب في الألقاب، ابن حجر (٢/٥٠).

(٦) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، (٣/١١٦٣).

وعرفها د. ناصر العقل، بقوله: "فرقة عقلانية كلامية فلسفية، تتكون من طوائف من أهل الكلام الذين خلطوا بين الشرعيات والفلسفة والعقليات في كثير من مسائل العقيدة، وقد خرجت المعتزلة عن السنة والجماعة في مصادر التلقي، ومناهج الاستدلال، ومنهج تقرير العقيدة، وفي أصول الاعتقاد، وتجمعهم غالباً الأصول الخمسة"(١).

موقف المعتزلة من السنة النبوية.

لما كان موقف المعتزلة من السنة يتوقف على معرفة موقفهم من الصحابة، فإننا نبدأ بالتعرف على موقفهم من الصحابة ﭫ.

موقفهم من الصحابة.

إن موقف المعتزلة من الصحابة كان شديداً، وطعونهم عليهم كانت كبيرة، فلم يسلم منهم كبار الصحابة، فضلاً عن صغارهم، فقد نالوا من أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهم جميعاً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمعتزلة-أيضاً- تفسق من الصحابة والتابعين طوائف، وتطعن في كثير منهم، وفيما رووه من الأحاديث التي تخالف آراءهم وأهواءهم، بل تكفر-أيضاً-من يخالف أصولهم التي انتحلوها من السلف والخلف"(٢)، وسوف نوجز أقوالهم عن الصحابة في الأسطر الآتية:

---

(١) الجهمية والمعتزلة، د. ناصر العقل، ص١٢٧.

(٢) مجموع الفتاوى، (١٥٤/٤).

فهذ النظام[١] -من أئمة الاعتزال- يتكلم على كثير من أصحاب رسول الله ﷺ وينتقد اجتهادهم، فيقول عن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر رضي الله عنه عندما: "ذكر قول أبي بكر -رضي الله تعالى عنه- حين سئل عن آية من كتاب الله -تعالى، فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، أم أين أذهب، أم كيف أصنع، إذا أنا قلت في آية من كتاب الله -تعالى- بغير ما أراد الله، ثم سئل عن الكلالة، فقال: أقول فيها برأيي، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمني، هي ما دون الولد والوالد. قال: وهذا خلاف القول الأول، ومن استعظم القول بالرأي ذلك الاستعظام لم يقدم على القول بالرأي هذا الإقدام حتى ينفذ عليه الأحكام"[٢].

ويقول عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنه شك يوم الحديبية، وشك يوم وفاة النبي ﷺ وأنه كان فيمن نفر بالنبي عليه السلام ليلة العقبة، وأنه ضرب فاطمة، ومنع ميراث العترة، وأنكر عليه تغريب نصر بن حجاج[٣] من المدينة الى البصرة، وزعم أنه ابتدع صلاة التراويح، ونهى عن متعة الحج،....،"[٤].

ويقول عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: "إن عثمان لم يكن صاحب سنة"[٥].

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، ص٢٠.

(٣) نصر بن حجاج بن علاط (بكسر العين وتخفيف اللام) السلمي ثم البهزي، من أولاد الصحابة: من أهل المدينة، كان شاعراً جميلاً. نفاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى البصرة لما رأى من فتنة النساء به. ينظر: الوافي بالوفيات، (٣٨/٢٧)، الإصابة في تمييز الصحابة، (٣٨٢/٦)، المؤتلف والمختلف، الدار قطني، (٢٢٠٥/٤).

(٤) الفرق بين الفرق، ص١٣٣.

(٥) تاريخ بغداد، (٦٣/١٤)، الاعتصام، الشاطبي، (٢٠٩/١).

وزعم النظام، أن راوية الإسلام أبا هريرة كذاب، وانتقد كل من أخذ أو روى عنه، قال البغدادي، وهو يعدد فضائح النظام، الفضيحة الحادية والعشرون من فضائحه، ثم قال: "ثم إن النظام-مع ضلالاته التي حكيناها عنه-طعن في أخيار الصحابة والتابعين من أجل فتاويهم بالاجتهاد، فذكر الجاحظ عنه في كتاب (المعارف) وفى كتابه المعروف بـــ (الفتيا) أنه عاب أصحاب الحديث ورواياتهم أحاديث أبي هريرة-رضي الله عنهم، وزعم أن أبا هريرة كان أكذب الناس"[(١)].

ومن طوام أهل الاعتزال-أيضاً- شتم الصحابة، والطعن فيهم، واتهامهم بالكذب، وغيرها من الموبقات، فقد نقل الذهبي[(٢)] أن عمرَ بن عبيد كان يشتم الصحابة ﷺ[(٣)]، ونقل عنه-أيضاً- أنه شتم الصحابي الجليل سمرة بن جندب[(٤)] ﷺ وذلك عندما روي عنه حديثان في السكتتين[(٥)] في الصلاة يخالف رأيه، فقال فيه: "ما أرجو بسمرة، فعل الله بسمرة"، وفي رواية أخرى: "ما

---

(١) الفرق بين الفرق، ص١٣٣.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) ميزان الاعتدال، (٣/ ٢٧٤).

(٤) سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبِ بْنِ هِلالِ بْنِ حَرِيجِ، وكان له حلف في الأنصار وصحب النبي ﷺ وكان زياد بن أبي سفيان يستعمله على البصرة إذا قدم الكوفة، توفي سنة (٥٥٩). ينظر: الطبقات الكبرى، (٦/١٠٨)، معجم الصحابة، ابن قانع، (١/٣٠٥)، مشاهير علماء الأمصار، ابن حبان، ص٦٧.

(٥) حديث سمرة بن جندب ﷺ قال: "سكتتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ...إذا دخل في صلاته، وإذا فرغ من القراءة..." رواه الترمذي وحسنه برقم (٢٥١) (٢/ ٣٠ ــ ٣١)، وغيره.

نصنع بسمرة قبح الله سمرة"[١].

والناظر فيما ورد عن أئمة الاعتزال يجد أنهم لا يقدرون صحابة رسول الله ﷺ ولا يعطونهم منزلتهم التي أنزلهم الله-تعالى-ورسوله الكريم، فكان لفكرهم المنحرف الأثر الظاهر في التعامل مع هؤلاء الصفوة الكرام، فسلطوا ألسنتهم عليهم، ما بين منتقد، أو شاك، أو عايب أمر من الأمور عليهم، أو تقبيحهم- وحاشاهم عن كل قبيحة- ورد ما رووه من أحاديث والانتقاص من علمهم وفضلهم.

وخلاصة موقف المعتزلة من الصحابة، كما قال الدكتور مصطفى السباعي: "ومنه نرى أن المعتزلة ما بين شاك بعدالة الصحابة منذ عهد الفتنة كـ (واصل)، وما بين موقن بفسقهم كـ (عمرو بن عبيد)، وما بين طاعن في أعلامهم، متهم لهم بالكذب والجهل والنفاق كـ (النظّام)، وذلك يوجب ردهم للأحاديث التي جاءت عن طريق هؤلاء الصحابة بناء على رأي واصل، وعمرو، ومن تبعهما"[٢].

موقفهم من السنة:

قد كان لمعتقد المعتزلة في الصحابة ومحاولتهم المستمرة في التشكيك والطعن في عدالتهم أثر كبير في تبنيهم لمواقف خطيرة حول السنة النبوية، حيث ردوا كثيراً من الأحاديث وردت بنصوص صحيحة بلغ بعضها حد التواتر، وأنكروا

---

(١) تاريخ بغداد، (١٢/١٧٣).

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص١٦١.

أموراً معلومة من الدين بالضرورة، وأشياء اختص بها النبي ﷺ وغيرها، قال الإسفراييني(١)، وهو يتحدث عن فضائح المعتزلة: "ثم زادوا على هذا ما هو أفضح منه، فأنكروا من مفاخر رَسُول اللهِ ﷺ مَا كَانَ مُخْتَصًّا بِهِ زَائِداً على الْأَنْبِيَاء، كوجود الْمِعْرَاج، وَثُبُوت الشَّفَاعَة لَهُ يَوْم الْقِيَامَة، وَوُجُود حَوْض الْكَوْثَر، وأنكروا مَا ورد فِي هَذِه الْأَبْوَاب من الْآثَار وَالْأَخْبَار، وأنكروا عَذَاب الْقَبْر أَيْضاً"(٢).

ولم يتوقف ردهم للأحاديث على نوع من أنواعه دون آخر، فقد ردوا الأحاديث المتواترة(٣)

كما ردوا أحاديث الآحاد(٤)، فقد جوزوا وقوع الكذب في الخبر المتواتر،

---

(١) طَاهِرُ بنُ مُحَمَّدٍ الإِسفرَايينِيّ، ثُمَّ الطُّوْسِيُّ الشَّافِعِيُّ، الأصولي المفسر، كَانَ أَحَدُ الأَعْلاَمِ. توفي بطوس، (٤٧١هـ)، له مصنفات، منها: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. ينظر: سير أعلام النبلاء، (٤٠١/١٨)، طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، (٢٤٥/١).

(٢) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الأسفراييني، ص٦٦، ٦٧.

(٣) الحديث المتواتر: عرفه الخطيب البغدادي، بقوله: "فأما خبر المتواتر: فهو ما يخبر به القوم الذين يبلغ عددهم حداً يعلم عند مشاهدتهم بمستقر العادة، أن اتفاق الكذب منهم محال، وأن التواطؤ منهم في مقدار الوقت الذي انتشر الخبر عنهم فيه متعذر، وإنما أخبروا عنه لا يجوز دخول اللبس والشبهة في مثله، وأن أسباب القهر والغلبة والأمور الداعية إلى الكذب منتفية عنهم، فمتى تواتر الخبر عن قوم هذه سبيلهم قطع على صدقه، وأوجب وقوع العلم ضرورة". الكفاية في علم الرواية، ص١٦.

(٤) الحديث الآحاد: هو ما لم تجتمع فيه شروط المتواتر، فيشمل ما رواه واحد في طبقة أو في جميع الطبقات، وما رواه اثنان، وما رواه ثلاثة فصاعداً ما لم يصل إلى عدد التواتر. الوسيط في علوم =

رغم خروج ناقليه عند سماع الخبر عن الحصر، ومع اختلاف همم الناقلين، واختلاف دواعيهم يجوز أن يقع الكذب[١]، وقالوا: يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ، فإن الأخبار المتواترة لا حجة فيها؛ لأنها يجوز أن يكون وقوعها كذباً. فطعنوا في الصحابة....[٢].

وقال أبو الهذيل[٣]: "الحجة لا تقوم فيما غاب عن الحواس من آيات الأنبياء-عليهم السلام- وفيما سواها، إلا بخبر عشرين فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر، ولا تخلو الأرض عن جماعة هم أولياء الله: معصومون لا يكذبون، ولا يرتكبون الكبائر، فهم الحجة، لا المتواتر، إذ يجوز أن يكذب جماعة ممن لا يحصون عدداً إذا لم يكونوا أولياء الله، ولم يكن فيهم واحد معصوم"[٤].

وفي إنكارهم للمتواتر واشتراطهم-لثبوت الخبر- أن يكون أحد رواته من أهل الجنة، تعطيل للأخبار الواردة في الأحكام الشرعية، وبذلك يتفصون من

=

ومصطلح الحديث، د. محمد أبو شهبة، ص١٩٨.

(١) الفرق بين الفرق، ص١٢٨.

(٢) أصول الدين، عبد القاهر البغدادي، ص٢٥.

(٣) محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبديّ، مولى عبد القيس، أبو الهذيل العلاف: ولد في البصرة، سنة(١٣٥هـ)، وتوفي بسامراء سنة(٢٣٥هـ). كان شيخ البصريين في الاعتزال. ينظر: وفيات الأعيان، (٢٦٥/٤)، المقتنى في سرد الكنى، الذهبي، (١٢٤/٢)، لسان الميزان، (٤١٣/٥).

(٤) الفرق بين الفرق، ص١٢٩، الملل والنحل، (٥٣/١).

الأوامر والنواهي، ويتحللون من الشريعة تماماً[(١)].

ومن جهة أخرى، إذا كان المعتزلة قد جوزوا وقع الكذب في الأخبار المتواتر، فتجويزهم لها في خبر الآحاد من باب أولى، وهم بذلك يهدمون الشريعة، ويعطلون أحكامها، والمعتزلة قد خالفوا جمهور أهل الإسلام في قبول خبر الآحاد، والعمل به، فردوا تلك الأخبار التي جاءت من طرق الآحاد كما نقل عن أبي الحسين الخياط[(٢)] إنكاره حجية أخبار الآحاد، قال عبد القاهر عن الخياط: إنه "مَعَ ضلالته في القدر وفى المعدومات، مُنكر الْحجَّة في أخبار الْآحَاد، وَمَا أراد بإنكاره إلا إنكار أكثر أحكام الشَّرِيعَة، فإن أكثر فروض الْفِقْه مَبْنِيَّة على أخبار من أخبار الْآحَاد"[(٣)].

ويرى القاضي عبد الجبار[(٤)] أن خبر الآحاد لا يعلم كونه صدقاً ولا كذباً فيلجأ فيه إلى الحجة العقلية؛ التي هي الدليل الأول"فإن لم يكن موافقاً لها كان

---

(١) ينظر: موقف المعتزلة من السنة، أبو لبابة، ص٩٢.

(٢) عبد الرحيم بن محمد بن عثمان، أبو الحسين الخياط، أحد متكلمي المعتزلة البغداديين، تنسب إليه فرقة منهم تدعى (الخيّاطية)، توفي نحو، سنة (٣٠٠هـ) ، له عدة كتب مصنفة، منها: الانتصار، والاستدلال. ينظر: تاريخ بغداد، (١١/٨٨)، سير أعلام النبلاء، (١١/١٣٤)، لسان الميزان، (٤/٨).

(٣) الفرق بين الفرق، ص١٦٣.

(٤) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني، الأسد آبادي، أبو الحسن: قاض، أصولي. كان شيخ المعتزلة في عصره، غال في اعتزاليته، وكان ينتحل مذهب الشافعية في الفروع، وهم يلقبونه قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره. مات بالري سنة(٤١٥هـ)، له تصانيف كثيرة، منها: تنزيه القرآن عن المطاعن، المجموع في المحيط بالتكليف، شرح الأصول الخمسة. ينظر: تاريخ بغداد، (١١/١١٤)، طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، (٥/٩٧)، لسان الميزان، (٣/٣٨٦).

الواجب أن يرد! وأن يحكم أن النبي لم يقله، وإن قاله فإنما قاله حكاية عن غيره!!"[١]، واستثنوا من تلك الأخبار ما وافق الشروط التي يحددونها، فأبو علي الجبائي[٢]، أحد علماء المعتزلة، قال: "إن الخبر لا يقبل إذا رواه العدل الواحد إلا إذا انضم إليه خبر عدل آخر، أو عضده موافقة ظاهر الكتاب أو ظاهر خبر آخر، أو عمل به الصحابة"[٣].

ونسب بعضهم إلى الجبائي أنه لا يقبل الخبر إلا إذا رواه أربعة[٤].

وعطفاً على ما تقدم، تجدر الإشارة إلى أن ثمة دافع آخر يدعم هذا الموقف الشاذ للمعتزلة من السنة النبوية، ألا وهو أن المعتزلة أقاموا نسقهم الفكري على العقل وتحكيمه تحكيماً مطلقاً، فهم لا يؤمنون إلا بما يتفق مع عقولهم وأصولهم التي بنوا عليها فكرهم، فهم قد آمنوا بالعقل "ورفعوا من شأنه، ونوهوا به أيما تنويه، وصدعوا بمبادئه، وقالوا: خلق العقل ليعرف، وهو قادر على أن يعرف كل شيء، المنظور وغير المنظور، وجعلوه الحكم الذي يحكم في كل شيء، والنور الذي يجلو كل ظلمة، حكموه في إيمانهم، وفي جميع شؤونهم الخاصة

(١) شرح الأصول الخمسة، ص٧٧٠.

(٢) محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، أبو علي: أحد أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكـــلام في عصره. وإليه نسبة الطائفة(الجبائية). له في مذهب الاعتزال مقالات وآراء مشهورة، توفي سنة، (٣٠٣هـ). ينظر: وفيات الأعيان، (٤/٢٦٧)، سير أعلام النبلاء، (١٤/١٨٣)، الوافي بالوفيات، (٤/٥٥).

(٣) النكت على كتاب ابن الصلاح، (١/٢٤٢)، تدريب الراوي، (١/٧١)، توجيه النظر إلى أصول أهل الأثر، (١/١٨١).

(٤) ينظر: قواعد التحديث، القاسمي، ص١٤٨، التبصرة في أصول الفقه، الشيرازي، ص٣١٢.

والعامة"[١]، بل نجدهم يقدمون الأدلة العقلية على الأدلة الشرعية، وجعلوا العقل في رأس الأدلة، فهم يعتقدون أنه من خلال العقل يستطيعون إدراك القرآن نفسه، وغيره من الأدلة، فالقاضي عبد الجبار يجعل العقل في المرتبة الأولى في قائمة الأدلة الشرعية، فقال مبيناً مراتب الأدلة: "أولها: دلالة العقل؛ لأن به يميز بين الحسن والقبيح، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة والإجماع"[٢].

ونتيجة لتلك المنزلة العالية التي رفع المعتزلة بها العقل؛ نجد أنهم قدموه على النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فكان هو الميزان الذي يرجعون إليه، بل لم يلتزموا بشيء من مصادر الشريعة إلا بالعقل. قال ابن أبي الخير العمراني[٣]، وهو يتحدث عن المعتزلة: "ولم يلتزم القدرية بشيء من الأصول الأربعة إلا بالعقل، إلا أنهم غلوا فيه وجعلوه عمدة أمرهم، وأساس بنيانهم، وركبوا فيه طرقاً وعرة، وجعلوا ما ورد في الكتاب والسنة تابعاً لما في عقولهم، فإن وافقهم وإلا رموا به"[٤].

فكان نتاج ذلك أن رفضوا الكثير من الأحاديث النبوية عند تعارضها مع

---

(١) المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، (١/٥٣، ٥٤).

(٢) فضل الاعتزال، مرجع سابق، ص١٣٩.

(٣) يحيى بن أبي الخير (سالم) بن أسعد بن يحيى، أبو الحسين العمراني: فقيه، كان شيخ الشافعية في بلاد اليمن. له تصانيف، منها: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، البيان في فروع الشافعية، ومناقب الإمام الشافعيّ، توفي باليمن، سنة (٥٥٨). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، (٧/٣٣٦)، تهذيب الأسماء واللغات، النووي، (٢/٢٧٨)، طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، (١/٣٢٧).

(٤) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، (١/١١٦).

عقولهم القاصرة، حيث إن كثيراً من الأحاديث النبوية نقضت كثيراً من أفكارهم، وهدمت كثيراً من معتقداهم، فاضطر المعتزلة لرد الأحاديث ورفض ما لا يتوافق مع عقولهم وأهوائهم، فكانوا كلما يعارض مبادئهم"من آيات يؤلووها، وما يعارضها من أحاديث ينكروها....، ولذلك فإن موقفهم من الحديث كثيراً ما يكون موقف المتشكك في صحته، وأحياناً موقف المنكر له؛ لأهم يحكِّمون العقل في الحديث لا الحديث في العقل"(١).

ولعلنا نجد فيما عُرض من أقوال لكبار المعتزلة ما يكفي للدلالة على قوة العلاقة بين فكر الطائفتين، وأن نصل إلى خلاصة مفادها: أن القرآنيين يمضون على النهج الذي سلكه المعتزلة قديماً، فهم يتفقون في أغلب المسائل، وفاق القرآنيون أسلافهم من المعتزلة، حيث جرهم جهلهم المطبق بالدين وأحكامه إلى التجرُّؤ إلى إنكار أمور كثيرة.

ومن الضروري في خاتمة هذا الكلام التنبيه على أن الفكر المعتزلي ما زال أثره موجوداً عند بعض أبناء المسلمين، قال د. الأمين الصادق: "لعل الكثيرين من أبناء المسلمين يظنون أن أفكار المعتزلة طواها الزمان، واندثرت في أعماق التاريخ، وهذا ظن لا حقيقة له، والواقع يخالفه.

فهناك الكثيرون ممن وجدوا في هذا العصر وحسبهم الناس من أهل العلم وحماة الإسلام، يمجدون أهل الاعتزال ويلتزمون نهجهم، ويدافعون عن ذلك، مستميتين في الدفاع عنهم، متبنين لآرائهم وأقوالهم"(٢).

---

(١) ضحى الإسلام، أحمد أمين، (٣/٨٥).

(٢) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، (٢/١٨٣).

الفصل الثالث
علاقة القرآنيين بالمستشرقين والعلمانيين وأثر ذلك في كتاباتهم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: علاقتهم بالمستشرقين.

المبحث الثاني: علاقتهم بالعلمانيين.

المبحث الأول
علاقتهم بالمستشرقين

أولاً: التعريف بالمستشرقين.

أصبح الاستشراق اليوم علمًا له كيانه ومنهجه، ومدارسه وفلسفته، ودراساته ومؤلفاته، وأغراضه، وأتباعه، ومعاهده ومؤتمراته، فصار حقًا على الباحث أن يعنى بتحديد مفهومه والوقوف على تعريفه، قبل البحث عن علاقته بمنكري السنة النبوية، وأثره في فكرهم(١).

وقد عرف العلماء الاستشراق تعريفات متعددة(٢)، وكلها متقاربة نسبيًا، ومن هذه التعريفات ما يأتي:

الاستشراق، هو: "أسلوب غربي للهيمنة على الشرق، وإعادة صياغته وتشكيله وممارسة السلطة عليه"(٣).

وقال أحمد عبد الحميد غراب: "إن الاستشراق دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من أهل الكتاب للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة، وثقافة، وشريعة، وتاريخًا، ونظمًا، وثروات، وإمكانيات. . . بهدف تشويه الإسـلام،

---

(١) ينظر: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفتش، ص٢١.

(٢) ينظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، أبحاث مؤتمر الفقه الإسلامي المنعقد بجامعة الإمام محمد، ص٤٦٩، أجنحة المكر الثلاثة، ص١٢٠، الاستشراق والتاريخ الإسـلامي، د. فـاروق فوزي، ص٣٠، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، ص٥.

(٣) رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد عبد الحميد غراب، ص٧-٨.

ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"[(١)].

وعرف بأنه: "التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته، وأديانه، وآدابه، ولغاته، وثقافته"[(٢)]. وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي والإسلامي، عندما يطلق لفظ استشراق ومستشرق، وهو الشائع أيضًا في كتابات المُسْتَشْرِقِينَ المَعْنِيِّينَ، كما ذكر ذلك الدكتور محمود حمدي زقزوق[(٣)].

ومن خلال التعاريف السابقة يمكن التوصل إلى بعض الجوانب المهمة في الدراسات الاستشراق:

- أنها دراسات تتعلق بعلوم الشرق الإسلامي من جميع الجوانب والمجالات.
- أنها دراسات ذات ارتباط وثيق بالغرب.
- أنها دراسات تسهم في تشويه صورة الإسلام في المجتمعات الغربية، وتشكيك ضعاف المسلمين بدينهم، ومحاولة صبغه بالفكر الذي يريدون.

ثانيًا: موقف المستشرقين من السنة النبوية.

لقد تعرض المستشرقون للسنة النبوية بحثًا ودراسة، وأثاروا حولها الشبه

---

(١) المرجع السابق، ص٩.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/٦٨٧).

(٣) ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص١٨.

والشكوك، وأوردوا عليها مطاعن مختلفة؛ وذلك لما عرفوا أنها تحتل مكانة عالية، وأنها الركن المتين للإسلام بعد القرآن الكريم؛ إذ هي الموضحة لآياته المبينة لما أشكل من أحكامه، فوجهوا إليها سهام شبهاتهم ووضعوا فيها معاول هدمهم، وحاولوا الطعن في حفظتها ونقلتها، وذلك من خلال جمعهم للشبهات التي أفرزتها الفرق المنحرفة، فحاولوا ترويجها في أوساط المسلمين على اعتبار أنها حقائق مسلم بها، وكان موقفهم من السنة موقفاً"يتشكل في إطار ديني صرف، مترع بالتعصب، والتشنج، والانفعال، مليء بالحقد، والغضب، والكراهية، تحيطه جهالة عمياء متعمدة حينًا، وغير متعمدة أحيانًا"[(١)]، وهدفهم من ذلك النيل من الإسلام وتقويض أركانه، وهز ثقة المسلمين بدينهم، والحيلولة بينهم وبين تعاليم دينهم، بفقدهم المصدر الثاني (السنة النبوية) التي هي حصيلة أحاديث المصطفى ﷺ.

ونالت السنة من قبل المستشرقين أذى كثيرًا، وكان من بين أولئك المستشرقين الذين طعنوا في السنة النبوية-وكان أثره كبيراً- المستشرق اليهودي جولد زيهر[(٢)] الذي يعد من أخطرهم، وأكثرهم خبثًا، وأشدهم مكرًا، لما كان عليه من كثرة اطلاع على مصادر الإسلام على ما يظهر، حتى اعتبرت كتاباته وأبحاثه عند المستشرقين من بعده منجمًا لكل شبه، ومعينًا لكل متشكك وطاعن[(٣)]، قال عنه كاتب مادة (الحديث) في دائرة المعارف الإسلامية: "إن

---

(١) المستشرقون والسيرة، عماد الدين خليل، ص١٥.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) ينظر: مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد: ٦، ديسمبر ١٩٨٦م، بحث: أضواء على مذاهب الذين رفضوا الاحتجاج بالسنة، د. عمر الأشقر، (٣/٢٦).

العلم مدين دينًا كبيرًا لما كتبه (جولد تسيهر) في موضوع الحديث، وقد كـــان تأثير (جولد تسيهر) على مسار الدراسات الإسلامية الاستشراقية أعظم مما كان لأي من معاصريه من المستشرقين، فقد حدد تحديدًا حاسمًا اتجاه وتطور البحث في هذه الدراسات"[1].

"ويلخِّصُ بفانموللر[2] عمل (جُولْدْتسِيهِرْ) في هذا المجال فيقـــول: "كـــان (جُولْدْتسِيهِرْ) أعمق العارفين بعلم الحديث النبوي، وقد تناول في القسم الثـــاني من كتابه: (دِرَاسَاتٌ مُحَمَّدِيَّةٌ) موضوع تطوُّر الحديث تناولاً عميقًا، وراح -بما له من علم عميق، واطِّلاَعٍ يفوق كل وصـــف- يبحـــث التطـــور الـــداخلي والخارجي للحديث من كل النواحي. . . وقد قادته المُعَايَشَةُ العميقـــة لمـــادة الحديث الهائلة إلى الشَكِّ في الحديث، ولم يَعُدْ يثق فيه مثلما كـــان دُوزِي[3] لا يزال يفعل ذلك في كتابه (مقال في تـــاريخ الإســـلام)، وبـــالأحرى كـــان (جولدتسيهر) يعتبر القسم الأعظم من الحديث بمثابة نتيجة لتطور الإسلام الديني

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص١٠٦.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) رينهارت بيتر آن دوزي: مشتشرق هولنـــدي، (١٨٢٠ – ١٨٨٣ م)، مـــن أصـــل فرنســـي بروتستانتي المذهب. كان من أعضاء عدة مجامع علميّـــة. قـــرأ الآداب الهولنديـــة والفرنســـية والإنكليزية والألمانية والايطالية، وتعلم البرتغالية ثم الإسبانية فالعربية. وانصـــرفت عنايتـــه إلى الأخيرة، فاطلع على كثير من كتبها في الأدب والتاريخ. أشهر آثاره (معجـــم دوزي). ينظـــر: الأعلام، (٣/٣٨، ٣٩)، معجم المؤلفين، (٤/١٧٧)، تكملة المعاجم العربية، دوزي، نقلـــه إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، (١/٥)، المستشرقون، نجيـــب العقيقـــي، (٢/٦٥٨).

والتاريخي والاجتماعي في القرن الأول والثاني، فالحديث بالنسبة له لا يعد وثيقة لتاريخ الإسلام في عهده الأول: عهد طفولته، وإنما هو أثر من آثار الجهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في عصور المراحل الناضجة لتطور الإسلام، ويقدم (جولدتسيهر) مادة هائلة من الشواهد لمسار التطور الذي قطعه الإسلام في تلك العصور التي تم فيها تشكيله من بين القوى المتناقضة، والتباينات الهائلة حتى أصبح في صورته النسقية. . ويصور (جولدتسيهر) التطور التدريجي للحديث، ويبرهن بأمثلة كثيرة وقاطعة كيف كان الحديث انعكاسًا لروح العصر، وكيف عملت على ذلك الأجيال المختلفة، وكيف راحت كل الأحزاب والاتجاهات في الإسلام تبحث لنفسها من خلال ذلك عن إثبات لشرعيتها بالاستناد إلى مؤسس الإسلام، وأجرت على لسانه الأقوال التي تعبر عن شعاراتها"(١).

الناظر في آراء المستشرقين حول السنة النبوية يظهر له أن دراساتهم وبحوثهم قد تركزت في أمور، من أهمها:

١- التشكيك في مفهوم السنة النبوية، فقد اعتبر (جولد زيهر) أن السنة النبوية عبارة عن عادات وتقاليد الأمة الإسلامية في صدر الإسلام الأول، حيث قال: " والسنة هي جوهر العادات وتفكير الأمة الإسلامية قديمًا"(٢)، وقال عنها أيضًا: "السنة: العادة المقدسة والأمر الأول"(٣).

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص١٠٧.

(٢) العقيدة والشريعة، جولد زيهر، ص٤٩.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

٢- متون الأحاديث النبوية حيث عكفوا عليها قراءة وبحثًا، ونتيجة لقصور أدوات المستشرقين في فهم السنة فقد وصل الأمر بهم إلى توهم أن نصوصها متعارضة متباينة، فبنوا على أساسها نتائج وأوهام خاطئة، مهد السبل لذلك جولد زيهر؛ لكي يأتي من بعده من المستشرقين، ويعتبر أن نظرته تلك كانت موضوعية.

٣- ومن الأفكار الباطلة التي حاول المستشرقون أن يروجوا لها دعواهم الباطلة أن كتب السنة مليئة بأحاديث منسوبة إلى النبي ﷺ ولا يمكن أن تكون قد صدرت عنه، وبعبارة أقرب إلى الفهم فإن المستشرقين يزعمون أن مجموع الأحاديث النبوية عبارة عن أحاديث وضعها الصحابة ومن بعدهم الفقهاء لتبرير مطامعهم، ودعم مذاهبهم، قال شاخت(١): "لا صحة لأي حديث منسوب للنبي، وإن أقدم ما بين أيدينا من أحاديث الأحكام لا يرجع إلا إلى سنة(١٠٠) هجرية ليس إلا"(٢)، وقال أيضًا: "إن الأحاديث الفقهية من الصعوبة بمكان اعتبار واحد منها صحيحًا، وهي وضعت للتداول بين الناس من النصف الأول من القرن الثاني وما

---

(١) جوزيف شاخت. مستشرق ألماني متعصب ضد الإسلام والمسلمين، ولد عام (١٩٠٢م)، عمل محاضرًا للدراسات الإسلامية في عدد من الجامعات. كان من أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق. وقد اشتهر بدراسة التشريع الإسلامي، من مصنفاته: إعادة تقييم الحديث، وأصول الفقه المحمدي، والتطور الحديث للفقه الإسلامي بمصر، وغير ذلك. ينظر: المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، جمع صلاح الدين المنجد، (٢/٨٠٣-٨٠٥)، الاستشراق والمستشرقون، د. السباعي ص٤٩، مقدمة كتاب أصول الفقه، شاخت، ترجمة: إبراهيم خورشيد وزملاؤه، ص١١، المستشرقون، العقيقي، (٢/٨٠٣).

(٢) العصرانيون، حامد الناصر، ص١١٤، الاستشراق والسنة، د. فالح الصغير، ص٩٠.

بعده"[١]، وقال جولد زيهر مشككًا في أحاديث أبي هريرة ﷺ"وقد شجعته ملازمته للنبي ﷺ أن يروي عنه بعد وفاته من الأحاديث أكثر مما رواه غيره من الصحابة"[٢] وهدفهم من ذلك في المقام الأول هو نفي أن تقوم علوم المسلمين الدينية على الأصالة المشتقة من الكتاب والسنة، لا سيما وهم يعرفون أن السنة النبوية تشمل الأقوال والأفعال والإقرارات التي ثبتت عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى[٣].

٤- ومن فواقرهم التي تدل على جهلهم الشديد بالسنة النبوية، أنهم تناولوا الأسانيد وشككوا في تسلسلها، وطعنوا في كبار المحدثين وأوهنوا أسانيدهم، وقالوا عن الأسانيد التي نراها بأنها كلها موضوعة[٤]، مع العلم أن هذا الفن من أصعب الفنون، وهم من أجهل الناس به، قال شاخت: "إن أسانيد الحديث النبوي عملية ملفقة"[٥]، قال روبسون[٦]: "هذا إسهام قيم جدًا لدراسة

---

(١) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، بحث: المستشرق شاخت والسنة النبوية، (٦٩/١).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، (٤١٩/١).

(٣) ينظر: كتاب ندوة: السنة النبوية وتحديات العصر، بحث: مناهج العلماء المعاصرين في رد المطاعن عن السنة، (٤٣٣/١)، نقد الفكر الاستشراقي، ص٢٠١، المستشرقون والحديث النبوي، د. محمد بهاء الدين، ص٣٢.

(٤)، بحث: الرد على مزاعم المستشرقين جولدتسيهر ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، د. عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب، ص٣١-٣٢.

(٥) مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، ص٣٥.

(٦) جيمس روبسون، ولد عام (١٨٩٠م)، تخرج باللغات الشرقية في جامعة جلاسجو، وعين أستاذ =

التطورات في الأحاديث النبوية، لأن هذا المنهج لا يعطينا فقط التاريخ الذي نسب فيه حديثًا ما إلى النبي ﷺ بل يعطي المدلول الدقيق لتلك الأسانيد، وهو أن الجزء السفلي من الأسانيد صحيح بينما الجزء العلوي الموصل إلى النبي ﷺ خيالي وزائف"(١). هذا هو ملخص المزاعم التي روجها بعض المستشرقين ليهدموا بها الأصل الثاني للإسلام، وهو السنة النبوية، ولسنا في معرض الرد التفصيلي على هذه المزاعم، فقد تكفل بعض أفاضل العلماء بذلك(٢).

ثالثًا: علاقة القرآنيين بالمستشرقين، وأثر ذلك في كتاباتهم.

قام المستشرقون على اختلاف أفكارهم، وتنوع دياناتهم، وتعدد مذاهبهم، بدراسة الإسلام وأفكاره ومعتقداته، واهتموا بها اهتمامًا واضحًا، بدلالة تلك الأبحاث والمؤلفات والمقالات العديدة التي أنتجها المستشرقون عن الإسلام(٣)،

=

اللغة العبرية فيها، وتنقل بين العراق والهند، وعدن، من آثاره: عيون، والمسيح في الإسلام، والمدخل إلى علم الحديث، وحكايات المسيح ومريم. ينظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، (٢/٥٤٧).

(١) دراسات في الحديث النبوي، الأعظمي، (١/٤١٦).

(٢) من تلك الكتابات: السنة ومكانتها في التشريع، د. مصطفى السباعي، المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، د. عجيل النشمي، المستشرقون والسنة، د. سعد المرصفي، المستشرقون والحديث النبوي، د. محمد بهاء الدين، وغيرهم.

(٣) تقدر الأبحاث والكتب التي كتبها المستشرقون عن الإسلام، في الفترة من مطلع القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين، بنحو (٦٠،٠٠٠) ستين ألف كتاب. المنهج عند المستشرقين، د. عبد العظيم الديب، ص٣٣٨.

وحاولوا نشرها، وراجع المستشرقون في دراستهم عن الإسلام كثيراً من المراجع العربية والأجنبية، وغلب على تلك الدراسات الاستشراقية عدم الاعتماد على الكتب الأساسية(١)، وعدم الأخذ للعلم عن شيوخه، وإنما تطفلوا عليه تطفلاً، وتوثبوا فيه توثبًا، وكان جُلُّ اعتمادهم على الكتب المدسوسة على الإسلام المليئة بالإسرائيليات والغرائب والخرافات، وذلك من أجل أن يولدوا ما شاءوا من النصوص التي يتصيدونها من مصادر تعجبهم باعتبار غايتهم، ويُحمِّلون هذه النصوص مما لا تحتمل من المعاني متجاهلين مدى صحة هذه المصادر ومدى الثقة فيها(٢).

كما دأب المستشرقون وما زالوا على تعظيم الفرق المنحرفة والرفع من علمائها ومؤلفاتهم(٣)، من أمثال الخوارج(٤) والشيعة(٥)، وإثارة الأفكار المخالفة

---

(١) فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث النبوي، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، ويصححون ما ينقله الدميري في كتاب الحيوان، ويكذبون ما يرويه الإمام مالك في الموطأ، ويهاجمون صحيح البخاري، ويمجدون كتاب الأغاني وألف ليلة وليلة. موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية، محمد بن مطر الزهراني، ص٤٩.

(٢) ينظر: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، الغزالي، ص٥، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د. سعد الدين صالح، ص٩١، نقد الفكر الاستشراقي، د. علي النملة، ص٢٠٠.

(٣) ينظر: تراث الإسلام، شاخت، ص٢٣.

(٤) سبق التعريف بهم.

(٥) سبق التعريف بهم.

لأهل السنة والجماعة، كالمعتزلة(١)، والجبرية(٢)، والقدرية(٣)، وغيرها من المذاهب الكلامية(٤)، والأفكار الفلسفية(٥)، مع تعظيم أصحابها وترويج

(١) سبق التعريف بهم.

(٢) الجبرية: الجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف، فالجبرية الخالصة هي: التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرًا ما في الفعل، وسمي ذلك كسبًا فليس بجبري. ينظر: الملل والنحل، (١/٨٥)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٦٨، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، ص ٢٩، المواقف، (٣/٧١٢).

(٣) سبق التعريف بها.

(٤) نسبة إلى علم الكلام، وهو: علم حادث في الملة ظهر بين المسلمين عندما دخل في الإسلام من أهل الديانات الأخرى، وعوامل الترجمة التي أمر بها بعض الخلفاء، وعرف علم الكلام بعدة تعاريف، منها: قال ابن خلدون: "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة". وعرفها ابن عثيمين، بقوله: "هو ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها، وأعرضوا بها عما جاء بالكتاب والسنة" تاريخ ابن خلدون، ص٥٨٠، فتح رب البرية بتلخيص الحموية، ابن عثيمين، ص٩٥.

(٥) نسبة إلى الفلسفة: وكلمة فلسفة تتكون من مقطعين، هما: (فيلو) و (سوفيا)، ومعنى (فيلو): في اليونان محب، (وسوفيا) الحكمة، فيكون معنى الفيلسوف: هو محب الحكمة، وتعرف الفلسفة عند أنصارها ومحبيها بعدة تعاريف منها: تعريف ارسطو: " البحث عن علل الأشياء ومبادئها الأولى، أو هي العلم الذي يبحث في الوجود من حيث هو وجود". أرسطو طاليس المعلم الأول، ماجد فخري، ص٢١، ٢٥، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ص١٣٨، المعجم الفلسفي، مراد وهبة، ص٤٦٨.

أفكارهم، مع النيل من شيوخ السلف وعلمائهم[١]، فعلى سبيل المثال نجد أن المستشرق (لويس ما سينون[٢]) أوقف حياته في سبيل البحث والكتابة عن حياة الحلاج[٣]، وكذا الفرق المنحرفة؛ لأنه كان ممن تستهويه المذاهب المنحرفة والحركات السرية الروحية والسياسية في تاريخ الإسلام[٤].

إن نتائج دراسة المستشرقين للإسلام والتراث والتاريخ الإسلامي حملت في طياتها السم الزعاف، متمثلة في نظراتهم وآرائهم واستنتاجاتهم المنحرفة؛ وذلك لأن الاستشراق في دراسته للإسلام ليس علمًا بأي مقياس علمي، وإنما هو عبارة عن(أيديولوجية[٥]) خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن

---

(١) ينظر: السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية، د. مصطفى حلمي، ص١٩٩.

(٢) لويس ماسينون: مستشرق فرنسي، ولد في أحد ضواحي باريس، سنة (١٨٨٣م)، عرف عنه اشتغاله بدراسة الفكر الصوفي عامة، وشخصية الحلاج بصفة خاصة، له كتابات تربوا على (٦٥٠) بين مصنف ومحقق، وبين مقال ومحاضرة، وتقرير ونقد ومقدمة وسيرة، توفي سنة (١٩٦٢م). ينظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، (ص٥٢٩ – ٥٣٥)، المستشرقون، نجيب العقيقي، (١/٢٨٧ - ٢٩١).

(٣) الحلاج: الحسين بن منصور، أبو عبد الله، ويقال: أبو مغيث، الفارسي البيضاوي الصوفي، تبرأ منه سائر الصوفية، والمشايخ، والعلماء، من سوء سيرته ومروقه، ومنهم من نسبه إلى الحلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة، فقطعت أطرافه الأربعة ثم حز رأسه وأحرقت، سنة (٣٠٩ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، (١٤/٣١٣)، طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن الأزدي، ص٢٣٦، وفيات الأعيان، (٢/١٤٠).

(٤) ينظر: موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص٥٢٩.

(٥) أيديولوجيَّة [مفرد]: ج أيديولوجيَّات: مجموعة الآراء والأفكار والعقائد والفلسفات التي يؤمن بها شعب أو أمّة أو حزب أو جماعة. معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، (١/ ١٤٤).

الإسلام، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات[١]، قال أبو الحسن الندوي: "ومن دأب كثيرٍ من المستشرقين أهم يعيِّنون لهم غاية ويقررون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يقومون لها بجمع معلومات-من كل رطب ويابس- ليس لها أيُّ علاقة بالموضوع، سواء من كتب الديانة والتاريخ، أو الأدب والشعر، أو الرواية والقصص، أو المجون والفكاهة، وإن كانت هذه الموادُّ تافهةً لا قيمة لها، ويقدِّموها بعد التمويه بكل جرأة، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في أنفسهم وأذهاهم"[٢].

وبعد دراسة المستشرقين لعلوم المسلمين، وجدوا في التعليم مدخلاً هامًا لغسل عقول أبناء المسلمين[٣]، "فاحتلَّ كثير من المستشرقين مراكز علمية مرموقة في الجامعات الغربية، وأوكل إليهم في هذه الجامعات أمر منح الشرقيين في العلوم الإسلامية والعربية الشهادات العليا: (الماجستير والدكتوراة)، بغية صناعة حملة شهادات من بلدان العالم الإسلامي"[٤] طبق ما يريد المسشرقون، وعاد كثير من الطلاب إلى بلداهم محملين بالثقافة الاستشراقية، لتكون مصدرًا

---

(١) ينظر: التقليد والتبعية وأثرهما في الفكر الإسلامي، د. ناصر العقل، ص١٣٣، أجنحة المكر الثلاثة، ص١٢٢، ١٢٣.

(٢) الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص١٦.

(٣) ينظر: المستشرقون ومنهج التزوير، طارق يسري، ص٧٣.

(٤) أجنحة المكر الثلاثة، ص١١٩.

لتعليم الإسلام للمسلمين أنفسهم[١].

لقد استطاع المستشرقون استغلال هذا الدور استغلالاً واسعًا، حيث قاموا بإخراج ثلة من أبناء المسلمين تتلمذوا على أيديهم، أو تثقفوا على كتبهم وأبحاثهم، ورضعوا من حليب فكرهم، وأشربت نفوسهم أغراضهم وأمراضهم، فلم يعودوا يرون إلا بعيوهم، ولا يسمعون إلا بآذاهم، ولا يفهمون ولا يعون إلا بعقولهم، شُحِنوا بالشبهات ثم دفع بهم إلى دور العلم والجامعات في بلاد المسلمين، ينشرون أفكارها غثها وسمينها، سقيمها وصحيحها، ويثيرون في سماء السُنَّةِ غيومهم، يتهمون السنةَ بما هي منه براء، ويدعون أهم إنما يفعلون ذلك نصرة للسنة وتصفية لها وتنقية، فلم يتركوا قاعدة من قواعد علم الحديث إلا شككوا في قيمتها وجدواها، ولم يدعوا راويًا من كبار الرواة من الصحابة والتابعين إلا نسجوا حوله الشبهات، واهموه بعظيم من الاهامات، وجردوه من جميع خصال الخير والحسنات، توطئة لرد كلِّ ما نقل عنه من المرويات، ولم يتركوا كتابًا من كتب السنة التي أجمعت الأمة عليها بالقبول إلا شككوا في

(١) وهذا ما قام به بالفعل طلاب المستشرقين الذين عادوا من تلك البلدان، حيث صرح أحد تلاميذهم، وهو د. علي حسن عبد القادر لطلابه في الأزهر، بقوله: "إِنِّيَ سَأُدَرِّسُ لَكُمْ تَارِيخَ التَّشْرِيعِ الإِسْلاَمِيِّ، وَلَكِنَ عَلَى طَرِيقَةٍ عِلْمِيَّةٍ لاَ عَهْدَ لِلأَزْهَرِ بهَا، وَإِنِّيَ أَعْتَرِفُ لَكُمْ بِأَنِّي تَعَلَّمْتُ فِي الأَزْهَرِ قُرَابَةَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَامًا فَلَمْ أَفْهَمِ الإِسْلاَمِ، وَلَكِنِّي فَهِمْتُ الإِسْلاَمَ حِينَ دِرَاسَتِي فِي أَلْمَانْيَا" قال الدكتور السباعي: "وابتدأ درسه عن تاريخ السُّنَّة النَّبَوِيَّةِ ترجمة حرفية عن كتاب ضخم بين يديه، علمنا فيما بعد أنه كتاب جولدتسيهر " دراسات إسلامية " وكان أستاذنا ينقل عبارته ويتبناها على أها حقيقة علمية". السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. السباعي، ص١٩.

أصولها وردها[١]، قال عبد الرحمن الميداني: "وسقطت معظم الجامعات المنشأة في بلاد المسلمين تحت الأيدي الخفية للاستشراق والتبشير والدوائر الاستعمارية، وغدت خططها ومناهجها وتوجيهاتها تخضع بطريق غير مباشر لما تفرضه وتمليه هذه الأيدي الخفية، وغدت الكنيسة الغربية تفخر بأن العلوم الإسلامية والعلوم العربية تدرس على طريقتها التي تخدم أغراضها في بلاد المسلمين، وبأن المشرفين على تدريس هذه العلوم من تلامذة أبنائها"[٢].

وإن مما لا جدال فيه أن الاستشراق كان -ولا زال- له الأثر الكبير في الانحراف في فهم مقومات الدين الإسلامي في العالم الإسلامي[٣].

ويضاف إلى ذلك، أن الحركة الاستشراقية شكلت منعطفًا فكريًا خطيرًا بالغ الأهمية في المسار التاريخي لظهور طائفة القرآنيين في الساحة الإسلامية في الآونة الأخيرة، وذلك بما أوجدته من أبحاث ومؤلفات، ومناهج فكرية كان لها الأثر الأعمق في تكوين فكر منكري السنة النبوية، حيث إن القرآنيين في الآونة الأخيرة قد تسلموا راية التشغيب على محكمات الدين من قبل المستشرقين، واتكؤوا على كثير من أبحاثهم ومؤلفاتهم حول مصادر الشريعة الإسلامية، ولا

---

(١) ينظر: السنة النبوية مكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي، ص٢١٣، ندوة: السنة النبوية وتحديات العصر، بحث: السنة بين نفاتها وحماتها، د. عبد العزيز صغير دخان، (٦٥٣/٢، ٦٥٤)، مفتريات على الإسلام، ص١١.

(٢) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، مرجع سابق، (١٥٣/١).

(٣) ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص١١، ظاهرة الاستشراق، د. علي النملة، ص١٨.

سيما فيما يتعلق بالقرآن الكريم وتفسيره، وكذا السنة النبوية، حيث قاموا بترديد انحرافات المستشرقين السابقة، لكن بعباراتهم الخاصة علَّ ذلك يؤدي إلى توفير حد أدنى من المقتنعين بتلك الشبهات التي أثاروها، وإن من ينعم النظر فيها يجد أنه لا جديد فيها غير السفه والشطط، قال د. محمد أبو شهبة: "ومما يؤسف له غاية الأسف أنَّ بعض الذين يثقون بكل ما يرد عن الغربيين من آراء ومذاهب قد تلقفوا هذه الشبهات والطعون ونسبها بعضهم إلى نفسه زورًا،...، وبعض هؤلاء المتلقفين كانوا أشدَّ من المستشرقين والمبشرين هوىً وعصبية وعداءً ظاهرًا للسنة وأهلها، وزاد عليهم الإسفاف في العبارة"[١].

لقد استطاع الفكر الاستشراقي خرق عقولهم، واستطاع أن يشكل فكرهم، وأصبح منكرو السنة هم المستشرقين المسلمين، ولدوا في بلاد الإسلام، ولكن عقولهم وقلوبهم تربت في الغرب ونمت أعوادهم مائلة إليه، فهم أبدًا تبع لما جاءوا به[٢]، بل اعتبرهم بعض العلماء أنهم صبيانٌ تابعون مقلدون لما جاء به المستشرقون[٣]، قال د. عبد الحليم محمود: "وأبو رية لا يعدو أن يكون صبيًا من صبيان المستشرقين، وللمستشرقين صبيان في الشرق معروفون: إن لهم صبيانًا مأجورين، وإن لهم صبيانًا ملاحدة، وإن لهم صبيانًا تابعين مقلدين!"[٤].

---

(١) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين، د. محمد أبو شهبة، ص٨.

(٢) ينظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مرجع سابق، ص٩٥، الاتجاهات المنحرفة في التفسير، د. عادل الشدي، ص١٧٤.

(٣) ينظر: السنة المفترى عليها، البهنساوي، ص٣١٤.

(٤) القرآن والنبي، د. عبد الحليم محمود، ص٣٩٦.

لقد تركت الدراسات الاستشراقية آثارها على القرآنيين سواء منهم من درس في الجامعات الغربية[١]، أو من تعلم على أيدي تلامذقم في الجامعات العربية، أو من تثقف على كتبهم ومؤلفاقم[٢]، حيث انبهر كثير منهم بما أنتجه المستشرقون من أبحاث ودراسات حول القرآن الكريم وتفسيره والسنة النبوية، فتبنوا أفكارهم ورؤاهم ونظرياقم حول الإسلام ومصادره، فأصبحوا سفراء للمستشرقين يقومون بعملهم في العالم الإسلامي خير قيام حتى إننا -في الغالب- لم نقرأ فكرة لمستشرق غربي عن الإسلام إلا وجدنا واحدًا من هؤلاء القرآنيين يتبنى هذه الفكرة في إخلاص، ويدافع عنها بإصرار واستماتة[٣]، قال د. فالح الصغير: "ونستطيع القول وبشكل قطعي: إن هؤلاء القوم يحملون معظم أفكار المستشرقين وآراءهم، إلا أنهم ينتمون إلى العروبة والبلاد العربية"[٤].

إن القارئ لما كتبه منكرو السنة النبوية من كتب ومقالات يجد أنهم انطلقوا من مفاهيم الثقافة الاستشراقية، المبنية على الخيانة العلمية، إلا أنهم حاولوا تغيير صياغتها، وتغيير قوالبها، ومن ثم حاولوا إسقاطها على القرآن الكريم وتفسيره،

(١) مثل: أحمد زكي أبو شادي، إسماعيل أدهم، محمد شحرور.

(٢) يرى الباحث أن مصدر القرآنيين في أغلب كتاباقم كانت معتمدة على مؤلفات المستشرقين.

(٣) ينظر: البرهان من السنة والقرآن في الرد على صاحب البيان، جمعة البركي، (١/١٥)، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص٩٦، نقد الفكر الاستشراقي، مرجع سابق، ص ٢٣٢، مقدمة محمود شاكر لكتاب الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ص٢١، ٢٢.

(٤) الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، د. فالح الصغير، ص٩١.

والسنة النبوية وعلومها، على أساس أنها نتاج عقولهم[١]، قال إسماعيل أدهم: "راجعت جلّ ما كتبه المستشرقون بالألمانية والروسية والإيطالية والانجليزية والفرنسية وطابقت ما ذهبوا إليه على مصادرها الشرقية للتأكد من صحة ما ذهبوا إليه. فما كان صحيحًا قبلته وما كان ضعيفًا نظرت في أمره، وما كان باطلاً رددته ورفضته؛ حتى تجمع لدي الشيء الكثير من المعلومات والملاحظات فيها مقدار ليس باليسير من الأفكار الشخصية. . . . "[٢]، وماذا يتوقع أن يخرج منكر السنة النبوية من كتب أساتذته من المستشرقين من علم حول السنة إلا الآراء السقيمة، والأحكام العقيمة، قال إسماعيل أدهم: "وظهر لي من خلال بحثي أن الحديث مختلق جله إن لم يكن كله على الرسول؛ وأن السيرة معظمها أقاصيص، وأن القرآن هو المصدر الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه والاستدلال بآياته"[٣].

والحق أن هذا القول ليس وليد فكره، بل أخذه عن أساتذته المستشرقين الذين عكف على كتبهم، قال شاخت: "لا صحة لأي حديث منسوب

(١) ومصداق ذلك ما نقل عن أحمد أمين من توجيه لمن يريد بث أفكار المستشرقين، حيث قال: "إن الأزهر لا يقبل الآراء الحرة، فخير طريق لبث ما تراه مناسبًا من أقوال المستشرقين ألا تنسبها إليهم بصراحة، ولكن ادفعها إلى الأزهريين على أنها بحث منك، وألبسها ثوبًا رقيقًا لا يزعجهم مسها، كما فعلت أنا في فجر الإسلام، وضحى الإسلام". السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، السباعي، ص٢٣٨.

(٢) من مصادر التاريخ الإسلامي، إسماعيل أدهم، ص٤.

(٣) المرجع السابق، ص٥.

للنبي"[١]، وقال أيضاً: "إن الأحاديث الفقهية من الصعوبة بمكان اعتبار واحد منها صحيحاً، وهي وضعت للتداول بين الناس من النصف الأول من القرن الثاني وما بعده"[٢].

وفيما يلي عرض لبعض أفكارهم وأقوالهم التي تأثروا بالمستشرقين فيها، والتي من أهمها:

أولاً: القول بأن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد للشريعة الإسلامية:

لا يخفى على من درس تاريخ الاستشراق أنه بدأ انطلاقته في معرفة الحضارة الإسلامية من خلال قراءة مؤلفات المسلمين في مختلف العلوم، وكان كثير من المستشرقين قد ركز في دراسته على كتب الفرق المنحرفة، والتي كان من علمائها من دعا إلى الاكتفاء بالقرآن[٣]، فأعجب المستشرقون بذلك، وسارعوا إلى نشرها في كثير من مؤلفاتهم؛ قال أحد المستشرقين[٤]: "الأصل بأن الله هو الوحيد المشرع ولأوامره السيطرة العليا على كافة جوانب الحياة"[٥]، وقال فيزجيرالد: "أن الإسلام يعتبر الله -جل وعلا- المشرع الوحيد، وينفي بشدة لأي بشر كان سلطة التشريع"[٦] وما هذه الفكرة الخبيثة إلا نبتة زرعها المستشرقين

---

(١) العصرانيون، حامد الناصر، ص١١٤، الاستشراق والسنة، د. فالح الصغير، ص٩٠.

(٢) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، بحث: المستشرق شاخت والسنة النبوية، (١/ ٦٩).

(٣) كالخوارج والمعتزلة والرافضة، التي سبق أن بينها الباحث.

(٤) وهو كولسون.

(٥) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية، بحث: المستشرق شاخت والسنة النبوية، (١/٧٨).

(٦) المرجع نفسه، والجزء والصفحة.

وأحيوها بعد أن قاربت على الانتهاء؛ وذلك لما علموا من فائدة كبيرة مرجوة لهم في إقصاء المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية، والذي يترتب على إقصائه ضياع جانب كبير من الإسلام، وتلقف غلمانهم ممن تبنوا هذا القول، وتسموا باسم (القرآنيون) ورددوا كثيرًا من شبهات المستشرقين، وأصبحت ملاذهم في تبرير فكرهم ودعم آرائهم[(١)].

ثانيًا: الطعن في كتب التفسير.

اهتم المستشرقون اهتمامًا بالغًا بدراسة القرآن الكريم، وما يتعلق به من العلوم بغرض التشكيك والطعن في قيمتها العلمية، ولم يتوان المستشرقون في الطعن في كتب التفسير، وخاصة تلك التي تعتمد على الأثر، وعلى رأسها تفسير الإمام الطبري[(٢)] -رحمه الله تعالى- حيث رأى المستشرق جولد زيهر: "أن

---

(١) ينظر في كتب منكري السنة النبوية على سبيل المثال المناداة بهذه الفكرة: مقالات الطبيب محمد توفيق صدقي: بمجلة المنار، (٥١٧/٩)، حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، مرجع سابق، ص٥٧، ٥٨، الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن، المقدمة، ص ب، ثورة الإسلام، د. أحمد زكي أبو شادي، ص ٢٥، البيان بالقرآن، (١١/١)، الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الاسرائيلية، السيد صالح أبو بكر، ص٥، تبصير الأمة بحقيقة السنة، إسماعيل منصور، ص٤٤، القرآن وكفى مصدرًا للتشريع، ص٧، ص٩، سنة الأولين، ص٤٧، كلا ثم كلا، جمال البنا، ص١٧، الإسلام والإيمان، د. محمد شحرور، ص٥١، السنة الرسولية والسنة النبوية، ص٨٨، الألوهية والحاكمية، سامر إسلامبولي، ص٦٠، دين السلطان (البرهان)، ص١١٧، محطات في سبيل الحكمة، ص ٤٦.

(٢) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ، المفسر، الإمام. ولد في آمل طبرستان، سنة(٢٢٤هـ)، واستوطن بغداد وتوفي بها، سنة(٣١٠هـ)، صنف المصنفات الذائعة الذكر، منها: =

مقاطع كثيرة من تفسير الطبري. . . مرتبطة بمثلها في (سفر التكوين[١]) الذي يعرض للروايات اليهودية والنصرانية، وكان وهب بن منبه[٢] هو الطريق الذي انتقلت بواسطته هذه الآثار في نهاية القرن الأول للهجرة. . . . "[٣].

وقال: إنه لم ير في جامع البيان أكثر من دائرة معارف للإسرائيليات؛ ذلك أن أبا جعفر يتوسع كذلك في استخدام المصادر اليهودية الأصل فيما يتصل بقصص الإسرائيليات يرويها عن كعب الأحبار[٤]، ولم يكن لينال موافقة سلفه

=

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المشهور بتفسير ابن جرير الطبري. ، تاريخ الرسل والملوك، المعروف بتاريخ الطبري، صريح السنة، وغيرها. ينظر: الإرشاد في معرفة علماء الحديث، الخليلي، (٢/٨٠٠)، تاريخ بغداد، (٢/١٥٩)، معرفة القراء الكبار، ص١٥٠.

(١) سفر التكوين: وهو أول أسفار العهد القديم، ويسمى سفر الخلق، يتألف من خمسين إصحاحاً، ويتحدث عن خلق العالم، وخلق الإنسان من عهد آدم، كما يتحدث عن قصة الطوفان، ونشأة الشعوب بعده، وعن قصة إبراهيم ونسله، وعهد دخول بني إسرائيل إلى مصر إلى موت يوسف – عليه السلام –. ينظر: الكتاب المقدس الألف الياء، ص٦٤، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، (١٣/٢٠٧)، اليهودية، د. أحمد شلبي، ص٢٣٣، أبحاث في الشرائع، د. فؤاد عبد المنعم، ص١٨، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، د. محمد علي البار، ص١٨١.

(٢) وهب بن مُنَبّه بن كَامِل بن سيج، الحافظ، عالم أهل اليمن، أَبُو عبد الله الصَّنْعَانِيّ، وَيُقَال: الذماري، وَهُوَ من أبناء فَارس، سمع عدَّة من الصَّحَابَة، وَحدث عَن أَخِيه همام، قَالَ أَبُو زرْعَة: هُوَ يماني ثِقَة. توفي سنة (١١٤هـ). ينظر: الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة السداد، الكلاباذي، (٢/٧٦٠)، التعديل والجرح، أبو الوليد الباجي، (٣/١١٩٣)، تذكرة الحفاظ، الذهبي، (١/٧٧).

(٣) علم التفسير في كتابات المستشرقين، ص١٦.

(٤) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق: مخضرم – أدرك النبي ﷺ وأسلم بعد موته في
=

الذين سبقوه،....، بل إن كتابه من أغزر الكنوز بالنصوص المنتشرة في الأوساط الإسلامية من مواد الإسرائيليات، كذلك الأساطير النصرانية يرويها راجعاً إلى وهب بن منبه[1].

لقد سيطرت الرؤية الاستشراقية على منكري السنة النبوية، فحجبتهم عن رؤية الحق، حيث ساروا على نفس منهجهم الذي ساروا عليه في التعامل مع أئمة التفسير ومؤلفاتهم، فوصفوهم بأنهم بالغوا في الدس والحشو في تفاسيرهم؛ وأنها مليئة بكثرة الإسرائيليات والأساطير، ولما تحتويه من الخرافات والأباطيل، وأنه يجب صرف النظر عن الاحتجاج بالتفاسير، فهي معاول هدامة-في نظرهم-جنت جناية عظمى على القرآن[2].

ثالثًا: التشكك في السنة النبوية كمصدر من مصادر التفسير:

تناول المستشرقون في حملتهم ضد الإسلام التشكيك في الأحاديث الواردة في كتب التفسير كلها، والزعم بأنها لا أصل لها، قال محرر مادة التفسير في دائرة

=

زمن أبي بكر، تابعي ثقة. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، قدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرًا من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها، سنة(٣٢ه)، قال النووي: واتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه. ينظر: التاريخ الكبير، البخاري، (٢٢٣/٧)، تهذيب الأسماء واللغات، النووي، (٦٨/٢)، الثقات، ابن حبان، (٣٣٣/٥).

(١) ينظر: المرجع السابق، ص١١١-١١٢، مذاهب التفسير الإسلامي، ص١١١، ١١٢.

(٢) ينظر: الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن، مقدمة، ص (ب، ج)، القصص القرآني(١)، ص٣٣، السنة الرسولية، ص٣٣، أحسن القصص، ص٢٩.

المعارف: "وعلم التفسير قديم قد يرجع تاريخه إلى صدر الإسلام، ويروى أن ابن عباس(ت٦٨هـ) كان حجة في التفسير، وقد نسبوا إليه تفسيرًا. وتساءل النقاد المحدثون-جولد تسيهر ولامنس[١] وغيرهما- عن قيمة الأحاديث الواردة في هذه الكتب الجامعة، ولم يصلوا بعد إلى رأي يعززها كثيرًا، والظاهر أن أغلب هذه الأحاديث موضوع إما لتقرير مسألة شرعية، وإما لأغراض كلامية، وإما لمجرد التوضيح، بل قد يكون لمحض اللهو والتسلية، ويذهب النقاد المحدثون إلى أنه لا أمل في العثور في هذه التفاسير على أخبار صحيحة عن أسباب نزول القرآن وإذاعته في الناس"[٢].

إن هذا الكلام بالإضافة إلى إظهاره مدى بُعد الكتابات الاستشراقية عن الموضوعية العلمية في تناول القضايا الإسلامية، فهو يبين مدى الارتباط بين الطائفتين، وقوة تأثير المستشرقين في فكر منكري السنة النبوية، قال عدنان الرفاعي مشككاً في الروايات التي تفسر الآيات القرآنية: "أليس هذا محاولة لتحريف كتاب الله تعالى، أليست علوم الحديث المبنية على السند دون المتن، وعلى معايير تاريخية مليئة بالأخطاء والأهواء والعصبيّات، أليست هي من أوصل

---

(١) هنري لامنس اليسوعي: بلجيكي المولد، فرنسي الجنسية، (١٨٧٢ – ١٩٣٧م) كان من أوائل خريجي جامعة القديس يوسف في بيروت حيث حصّل اللغة العربية، وكان من مُحَرِّري دائـــرة المعارف الإسلامية، شديد التعصب ضد الإسلام والحقد عليه، مفرط في عدائه وافتراءاته لدرجة أقلقت بعض المُسْتَشْرِقِينَ أنفسهم، ومن كتبه بالفرنسية: الإسلام، الطائف. ينظر: الاستشـــراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، ص٤٨، ٤٩، المستشرقون، العقيقي، (١٠٦٨/٣).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة تفسير(٣٤٧/٥).

إلينا مثل هذه الروايات؟!!!"(١)، وقال: "ألا تحمل هذه الروايات وتفاسيرها شكاً يراد إدخاله في نفوس الناس حول صياغة النص القرآني؟"(٢).

لقد سار على هذا المنوال كثير من القرآنيين، وانطوت كتبهم على رفض السنة النبوية كأصل من أصول تفسير القرآن الكريم، مبررين ذلك بادعاءات تناولها أساتذتهم من المستشرقين من قبلهم، وهو ساروا على منوالهم(٣).

رابعًا: ترتيب السور القرآنية.

ومن الأمور التي خاض فيها المستشرقون وتابعهم عليها بعض القرآنيين هو إعادة ترتيب السور القرآنية في المصحف، قال د. صبحي الصالح: "وقد ظهرت في أروبة في منتصف القرن التاسع عشر محاولات لترتيب سور القرآن ودراسة مراحله التاريخية"(٤)، وزعموا أن القرآن لم يكن مرتبًا على الترتيب الذي وجد عليه في المصاحف الآن، وأباحوا لأنفسهم إعادة ترتيبه معتمدين في ذلك على طريقة الأسلوب ومحتويات السورة(٥).

---

(١) محطات في سبيل الحكمة، ص٣٢٥-٣٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص٣٢٢.

(٣) ينظر: البيان بالقرآن، (٢٣/١)، القرآن وكفى، ص١٦، ٤٩، الحديث والقرآن، ص١٢٤، ١٢٥، إنذار من السماء، ص١٠، إله واحد ودين واحد، مرجع سابق، ص٩، تدوين السنة، إبراهيم فوزي، ص٤٠.

(٤) مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ص١٧٦.

(٥) وكان من هؤلاء المستشرقين، غريم، وويل، وبل، ورودويل، وبلاشير، ونولدكه. ينظر: مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ص١٧٦، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، د. فضل حسن عباس، ص١٨٠.

وعلى غرار تلك الأعمال قام ابن قرناس بإعادة ترتيب السور القرآنية، واعتبر ذلك الترتيب الذي عليه المصحف اليوم أنه عشوائي لا يعتمد على أسس واضحة[١]، وبدأ يرتب السور القرآنية تبعًا لرأيه وما يمليه عليه هواه[٢]، وهذا العمل من ابن قرناس اعتساف وانحراف لا يسلم له؛ لأنه أخطأ في أمور كثيرة، من أهمها:

١- أن ما قام به من الترتيب لا يقوم على دليل صحيح، ولا منهج مستقيم، وأنى له أن يقوم بترتيب السور القرآنية، وقد رفض الطريق الصحيح الموصل لمعرفة ذلك الترتيب، وهي الأحاديث النبوية.

٢- أنه جهل أو تجاهل أن ترتيب المصحف كان توقيفيًا من النبي ﷺ كما صرح بذلك جمهور العلماء[٣].

٣- أن عمله مخالف لما أجمع عليه الصحابة ﷺ والمسلمون من بعدهم على ترتيب السور كما في مصحف عثمان، وقد حكاه غير واحد من العلماء، قال السيوطي: " الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك"[٤].

---

(١) ينظر: أحسن القصص، ص٣٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٤٦، وما بعدها.

(٣) ينظر: الانتصار للقرآن، الباقلاني، (١/٥٩، ٦٠)، البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (١/٢٥٨)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (١/٢١٦)، مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، (١/٣٥٥).

(٤) الإتقان في علوم القرآن، (١/٢١١).

وخلاصة القول: أنه ومن مجموع الآراء السابقة وغيرها التي لم نشر إليها نستنتج أن القرآنيين يعتمدون في أغلب آرائهم على ما كتبه المستشرقون، لكنهم زادوا عليهم بكثرة الخبط والتهجم الناتج عن عدم الدراية والمعرفة بأكثر ما يقولون، قال عادل التل: "إن الأفكار التي أثارها شحرور، ليست من ابتداعه، ولا من قدح ضميره، وإنما استلمها من مصادر مكشوفة وحصل عليها جاهزة. من سجل الفرق الضالة، وعلم الكلام الحافل بمثل هذا الأفكار. . . ومصادر الاستشراق ومراجعه"[١].

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي، عادل التل، ص٣٦٢.

المبحث الثاني
علاقتهم بالعلمانيين

أولاً: تعريف العلمانية:

العلمانية كلمة أوربية النشأة، تأتي لمعان منها: العالمية، ومنها اللادينية، ومنها فصل الدين عن الدولة، وعن السياسة أو عن الحياة، وكلمة (العلمانية) اصطلاح جاهلي غربي مضلل خادع، توحي بأن لها صلة بالعلم، وانتصاره على الكنيسة النصرانية التي حاربت التطور باسم الدين، بل المقصود بها خلاف الديني، أي: إقامة الحياة بعيدًا عن الدين[(١)].

وقد ذكر العلماء لها تعاريف عدة، نذكر منها: "هي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل، ومراعاة المصلحة بعيدًا عن الدين. وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم"[(٢)].

وعرفت بأنها: "نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الديني والعبادة الدينية"[(٣)].

وعرفت بأنها: "حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام

(١) ينظر: الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة، د. محمد البهى، ص١٤، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. جمعة الخولي، ص٩١، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. القفاري، د. العقل، ص ١٠٣، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، د. عبد الوهاب المسيري، (٦١/١).

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، مرجع سابق، (٦٧٩/٢).

(٣) الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة، د. محمد البهى، ص١٤.

بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها. . . ثم تطورت باستمرار كحركة مضادة للتدين والدين المسيحي على وجه الخصوص"[١].

ويتضح من خلال التعاريف السابقة أن العلمانية فكر مبني على الدنيا، يعادي الدين، ويسعى إلى صرف الناس عنه، باعتبار أنهم لا حاجة لهم به، وليس له ارتباط بالعلم، وإنما يهتم بالحياة المادية وما فيها، فالعلمنة بمعناها الشامل فلسفة تنطوي على الإلحاد، إذ هي "محاولة لإدراك معنى العالم المادي بوصفه معقولاً. . وعلى إمكانية إدراكه، وبالتالي تغييره دون حاجة للقوى الفوقية والسماوية والدينية"[٢].

ثانيًا: موقف العلمانيين من السنة النبوية.

تدور أطروحات العلمانيين حول الإسلام على التشكيك في مصادره وقيمه، وقد نالت السنة النبوية حظاً وافراً من كتاباتهم، فقد كان موقفهم منها موقفًا حادًا، حيث جاءت كتاباتهم مليئة بالرفض، والطعن، والتشكيك في منزلة السنة النبوية، وإثارة الشبه حولها، والنيل من رواتها، إذ علموا أنها الأصل الثاني للشريعة الإسلامية، فتواطأت كتاباتهم[٣] على الترويج لتقليل دور السنة، سواء

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص٤٤٥، العلمانية، جذورها وأصولها، د. محمد علي البار، ص١١.

(٢) الصراع بين التيارين الديني والعلماني، محمد كامل، ص١١٤.

(٣) ينظر: الإمام الشافعي وتأسيس الأيدلوجية الوسطية، نصر حامد أبو زيد، ص٧، الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، محمد أركون، ص٩٩، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركـون، ص٧٥، الوحي والقرآن والنبوة، هشام جعيط، ص٩٤، الإسلام في الأسر، الصادق النيهوم، ص٥١-٥٢، =

كان من ناحية المصدرية، أو الحجية أو من ناحية الدلالة، فقد تم حسب المفهوم العلماني- وبفضل الشافعي- تدشين السنة كأصل ثان في التشريع بعد القرآن، وإضفاء القدسية لمروياتها والحجية لأحكامها ومساواتها بالقرآن من جهة الحجية[1]، ونتيجة الجهل وقصور الاطلاع على السنة سارعوا إلى إنكارها ووصفوها بأنها مجموعة نصية مغلقة، وضعها الصحابة متأثرين بالحالة الاجتماعية التي عاشوها قبل الإسلام، وتأخر تدوينها بعد موت النبي ﷺ مما جعلها تخضع لعملية الانتقاء والاختيار والحذف التعسفي من قبل علماء السلطة التابعين لحكام الدولتين الأموية والعباسية، تحقيقًا لمآربهم الشخصية[2].

ورفضوا تفسير القرآن بالسنة النبوية، قال حسن حنفي[3]: "ولم استعمل

=

لبنات، عبد المجيد الشرفي، ص١٣٨.

(١) ينظر: ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، د. خالد السيف، ص١٦٢.

(٢) ينظر: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، ص١٧٣، الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، مرجع سابق، ص١٠١، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، محمد أركون، ص٥٧، محمد والصحابة، خليل عبد الكريم، ص١٣، حصاد العقل، محمد العشماوي، ص٩٥، أصول الشريعة، محمد العشماوي، ص٥١، السلطة في الإسلام العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ، عبد الجواد ياسين، ص٢٩٩، إسلام ضد إسلام، الصادق النيهوم، ص٩١.

(٣) حسن حنفي حسنين أحمد، ولد في القاهرة، (١٣/ فبراير/١٩٣٥م)، حصل على ليسانس الآداب في الفلسفة، عام (١٩٥٦م)، سافر إلى فرنسا في عام (١٩٥٦م)، للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة السربون، فحصل عليها عام (١٩٦٦م)، له عدة مؤلفات، منها: التراث والتجديد، اليمين واليسار في الفكر الديني، الدين والثورة في مصر، من النقل إلى الإبداع، وغيرها. ينظر: منهج حسن حنفي، د. فهد القرشي، ص٢٨-٦٦، مجلة التأصيل، بحث: القراءة التأويلية عند

=

الحديث الشريف تأييدًا للقرآن حتى لا يعترض أحد الأدعياء برواية الحديث، وسنده، ودرجة صحته، وتضيع القضية في مماحكات العنعنة"[١].

وقال أيضًا: "هذا بالإضافة إلى أنه لا يوجد شيء في الحديث لا يوجد أصله في القرآن، والاعتماد على القرآن وحده هو الرجوع إلى الأصل أولاً، وهو أوعى وأشمل وأكمل"[٢].

وقال أيضًا: "أما الأحاديث فمعظمها ظني من حيث السند أو المتن، يظهر فيها الخيال الشعبي وأساطير الخلق وتحديدها في الزمان والمكان"[٣].

ثالثًا: علاقتهم بالعلمانيين، وأثر ذلك في كتاباتهم.

نشأ مفهوم العلمانية إبّان عصر التنوير[٤] والنهضة في أوربة في مواجهة الكنيسة، التي استعبد رجالها الناس، وكانوا يتمتعون فيها بالنفوذ الواسع والصلاحيات المطلقة والسلطان العظيم، ومن طغيانهم الديني حيث فرضوا عقائد التثليث وألوهية عيسى عليه السلام على الناس، وقيامهم بالحجر على الناس في فهم الكتاب المقدس وتفسيره، وحصر مهمة ذلك فيهم وجعلها حكرًا عليهم، ولم

=

حسن حنفي، د. فهد القرشي، ص٤٤-٥٥.

(١) الدين والثورة، د. حسن حنفي، (٣/٣٨).

(٢) المرجع السابق، (٣/٣٨).

(٣) من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفي، (٢/٤٧٦).

(٤) عصر التنوير: يقصد به العصر الذي انطلقت فيه الدعوة إلى إبعاد الدين (في أوروبا) عن مجال التوجيه، وإحلال العقل محله، أو إخضاع الدين للعقل وإعطائه الحق في نقد الدين في أخص خصائصه. ينظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. جمعة الخولي، ص٤٣.

يكتفوا بالطغيان الديني بل طغوا طغيانًا سياسيًا حين فرضوا لأنفسهم الوصاية على الملوك والأمراء، ونتيجة لما تقدم فقد سخط الناس على الكنيسة أيما سخط ونقموا عليها نقمة لا هوادة فيها، وانسحب هذا السخط وتلك النقم على الدين عامة وكل ما يمت له بصلة، بل كرهوا كل متدين، وفكروا بالخروج من وهدة عقل الكنيسة المتحجر ومن دينها الذي أيقنوا أنه والعلم نقيضان لا يجتمعان وخطان متوازيان لا يلتقيان، فكانت الثورة الفرنسية التي قامت سنة(١٧٨٩م)، والتي سعت إلى الفصل التام بين الدين والدنيا، وبين الدين والدولة في أوروبا(١).

ولقد افتتن بعض المسلمين بالحضارة الغربية وبريقها اللامع لأسباب حملتهم على ذلك تمنوها في مجتمعاتهم فلم يجدوها، كحال الحرية التي رأوها في العالم الغربي في الظاهر فتمنوها دون روية ولا نظرة ثاقبة في حقيقتها ومآل أمرها، وبدأت العلمانية تغزو العالم الإسلامي، وكان أول من جاهر بالعلمانية كنظام دولة نظريةً وتطبيقًا هو كمال أتاتورك(٢) مؤسس تركيا الحديثة، الذي ألغى

---

(١) ينظر: العلمانية، جذورها، وأصولها، د. محمد البار، ص٣٣، الغلو في الدين في العصر الحاضر، عبد الرحمن اللويحق، (٢/٥٧٧، ٥٧٨)، الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية، د. مفرح القوسي، ص٥٩، ٦٠.

(٢) مصطفى كمال أتاتورك، زعيم تركي. كان ضابطًا في الجيش العثماني. اشترك في جمعية تركيا الفتاة، وبرز اسمه سنة(١٣٣٤ هـ/١٩١٥م) عندما استطاع رد هجوم الحلفاء على الدردنيل، عام (١٣٤٢ هـ/١٩٢٣م)، كان من أكبر أعداء الإسلام، حيث ألغى الخلافة الإسلامية، وحول تركيا إلى جمهورية علمانية، وأصبح رئيسًا لها رياسة ديكتاتورية، وتجدد انتخابه عدة مرات، ولم ينقذ الناس منه إلا موته، سنة (١٣٥٧ هـ/١٩٣٨م). ينظر: موجز التاريخ الإسلامي، أحمد =

الخلافة الإسلامية من تركيا وسلخها من الإسلام، وزحفت العلمانية تنتشر انتشارًا عمليًا في البلاد الإسلامية بحيث لم تفلت أكثرية البلاد الإسلامية في آسيا وإفريقيا من ممارسة العلمانية وإضعاف الإسلام فيها، وإقامة التعليم العلماني فيها، وأهمل التعليم الإسلامي[١].

وسرت عدوى هذا الاتجاه وامتدت إلى الشرق الإسلامي، وحمله أبناء المسلمين الذين بعثوا للدراسة في أوربا، وتأثروا بتلك الحضارة، ورجعوا إلى بلدانهم واحتلوا من بعد مكان الصدارة في مختلف الميادين، وبدأوا يكتبون ويترجمون وينشرون ثقافة الغرب بكل علومها الجيدة والسيئة، وسعوا لنشر تلك الأفكار بين أبناء المسلمين في المدارس والجامعات، فكان هؤلاء المتغربون قنطرة العبور للفكر العلماني إلى الشرق الإسلامي[٢]، "ذلك أنهم جميعًا قد اتصلوا بالغرب اتصالات أدبية وفكرية لها خطرها، فبعضهم درس في الجامعات الغربية وقضى فيها زمانًا طويلاً، والبعض الآخر أكب على مؤلفات علماء الغرب، واستعان في دراستها ببعض العلماء الأوروبيين الذين كانوا يمارسون مهنة التعليم

=

معمور العسيري، ص٣٤٣.

(١) ينظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، الخولي، ص١٠٠، المذاهب الفكرية المعاصرة، العواجي، (١٧١/١).

(٢) ينظر: الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، ص١٨، كواشف زيوف في المذاهب المعاصرة، عبد الرحمن حبنكة، ص١٦٦، جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث، جمال سلطان، ص٧١-٧٩، العلمانيون والقرآن الكريم، د. أحمد الطعان، ص١٤٠، جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الالحادي، د. محمود عبد الحكيم عثمان، ص١٨٩.

في مصر"[١].

وتأثر كثير من أبناء المسلمين بتلك الأفكار التي كانت منتشرة في البلاد العربية، ويروج لها بالكتب والأبحاث والمقالات في كثير من الصحف التي تنشر مبادئ العلمانية ليل نهار، ومن ثم تبلورت تلك الآراء والأفكار العلمانية حول القرآن والسنة النبوية فيما بعد في فكر منكري السنة النبوية، حيث تبنوها وساروا على منوالهم في التشكيك بمصادر الدين، ونقض أصوله، والطعن في الصحابة والعلماء، وجهروا بها على أنها من بنات أفكارهم، وبعد ذلك يقوم العلمانيون يباركون تلك الكتابات، مثل ما قام به أبو رية في كتابه (أضواء على السنة المحمدية)، حيث قام طه حسين[٢] بمباركة جهده في التشكيك بالسنة النبوية، وقدم له بمقدمة أشاد فيها بجهده الذي وصفه بالعنيف الخصب في تأليف

---

(١) الإسلام والتجديد في مصر، مرجع سابق، ص٢٤.

(٢) طه حسين علي سلامة، أديب مصري، ولد سنة(١٨٨٩م)، في قرية (الكيلو) بمغاغة من محافظة المنيا (بالصعيد المصري)، وأصيب بالجدري في الثالثة من عمره، فكف بصره. بدأ حياته العلمية في الأزهر، ثم بالجامعة المصرية القديمة. وهو أول من نال شهادة (الدكتوراه) منها (١٩١٤م)، وسافر إلى جامعة السربون بفرنسا، ونال منها (الدكتوراه)، (١٩١٨م)، ثم عاد إلى مصر، وتولى عددًا من المناصب العليا، لقب بعميد الأدب العربي، أتى بأفكار جريئة مخالفة للعقيدة والشريعة الإسلامية اقم على إثرها بالإلحاد، له مؤلفات، منها: في الأدب الجاهلي، في الشعر الجاهلي، حديث الأربعاء، على هامش السيرة، وغيرها، توفي سنة(١٩٧٣م). ينظر: الأعلام، (٣/٢٣١)، طه حسين في ميزان العلماء والأدباء، محمود الاستانبولي، ص٥٣، جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام، أنور الجندي، ص٣١٧، فكر طه حسين في ضوء العقيدة الإسلامية، رسالة ماجستير، فاطمة الحسني، ص٣٦، ص ١٩٩.

هذا الكتاب، وإخلاصه الصادق للعلم والحق في بحثه عن الحديث؟ [١].

ولأحمد صبحي منصور-زعيم القرآنيين-صلة بكبار العلمانيين في مصر، مثل سعد الدين إبراهيم[٢]، وفرج فودة[٣]-زعيم الملحدين في مصر- الذي كانت الصلة بينهما قوية، واعتبره أحمد صبحي منصور بأنه من الفرسان القلائل الذين دافعوا عنه[٤]، وازدادت تلك العلاقة بعد خروج أحمد صبحي من السجن، حيث وضع يده في يد فرج فودة، وقاما بإصدار مجلة تحمل اسم (التنوير في مصر) وقامت هذه المجلة بالطعن في العقيدة، وإثارة الشبهات حول الوحي والقرآن وحجية الحديث، والحط من قيمة الفقه الإسلامي[٥]، وتطورت العلاقة بينهما، فاتفقا على إشهار حزب باسم (حزب المستقبل)[٦]، واعتبر أحمد

(١) ينظر: مقدمة طه حسين لكتاب أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية، ص٥.

(٢) سبق أن بين الباحث أن سعد الدين إبراهيم كان مديراً لمركز ابن خلدون، وقد عمل د. أحمد صبحي منصور فيه مدة بعد فصله من جامعة الأزهر.

(٣) فرج علي فودة، كاتب، مفكر، سياسي، أسس حزب المستقبل ووضع غالبيته من الأقباط، من كبار الملحدين في مصر، كان يرفض تطبيق الشريعة الإسلامية، له مؤلفات، منها: قبل السقوط، الحقيقة الغائبة، الطائفية إلى أين؟ ، وغيرها، اغتيل عام(١٩٩٢). ينظر: تكملة معجم المؤلفين، محمد خير رمضان، ص٤١٥، تتمة الأعلام، محمد خير رمضان، (٢/٩٠)، نظرات شرعية في فكر منحرف، سليمان الخراشي، (١/١٤٧).

(٤) حيث كتب فرج فودة مقالاً في جريدة الأهالي، تحت عنوان: (أحمدك يا رب) يسخر فيه من أمن الدولة المصرية، لأنها قبضت على أحمد صبحي منصور وبعض القرآنيين. ينظر: حد الردة المزعوم، ص٧، ٨.

(٥) ينظر: وا محمداه، سيد العفاني، (٢/٥٤٣).

(٦) حد الردة المزعوم، أحمد صبحي منصور، ص٨.

صبحي فروج فودة-بعد قتله- شهيد الكلمة، وأنه المفكر المصري الذي دفع حياته ثمنًا لأنه تشجع وتحدى التيار الديني السياسي في مؤلفاته ومناظرات[١].

وكان جمال البنا ممن يدافع عن الفكر العلماني، وعن مروجيه في البلاد العربية[٢]، وقال: "تظل

للعلمانية أهمية حتى لا يطغى التدين الأخروي على التدين الدنيوي"[٣]، ولشدة تأثر جمال البنا بالعلمانية، رأى أن الدين الإسلامي علماني، وصاغ له ركائز، سماها (ركائز علمانية الإسلام)[٤]، وزعم أن الإسلام أسهم في تدعيم دعائم العلمانية[٥]، وأن من الواجب على المسلمين في مصر إقامة دولة مدنية (علمانية)، وأن يخلص الدستور المصري من النص على (أن الإسلام دين الدولة)[٦]، واعتبره من الخير للمصريين[٧]، ولعل المطالع في كتابات جمال البنا

---

(١) المرجع السابق، ص١١.

(٢) ينظر: دفاعة عن فكر نصر حامد أبو زيد، محمد أركون. تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص١٧٣، ص٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٥، ومدح طه حسين الذي اعتبره بطل أبطال المستنيرين، ينظر: الإسلام والعقلانية، ص٦.

(٣) موقفنا من العلمانية، القومية، الإشتراكية، جمال البنا، ص٤.

(٤) المرجع السابق، ص١٥، ص٤١، الحرية والعلمانية، جمال البنا، ص٢٦.

(٥) المرجع السابق، ص٢٢.

(٦) وهذا ما نادى به فرج فودة، وغيره من العلمانيين، حيث صرح فرج فودة برفضه تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر، فقال: "ببساطة أنا ضد تطبيق الشريعة الإسلامية فورًا أو حتى خطوة خطوة". حوارات حول الشريعة، أحمد جودة، ص ١١.

(٧) المرجع السابق، ص٤٣.

يجد أن رائحة العلمانية تنبعث من بين صفحاتها.

وكثيرًا ما كان يستقي القرآنيون في مؤلفات من كتب وأفكار العلمانيين[(١)]، بيد أنهم في أغلب الأحيان يحاولون إعادة صياغة الفكرة بأسلوب آخر، ومن خلال مطالعة الباحث لما ألفه العلمانيون والقرآنيون (منكرو السنة) من المؤلفات، لاحظ أن هناك تأثرًا واضحًا في فكر القرآنيين، والتقاء بين فكر الفريقين، يظهر من خلال عرض بعض تلك الأفكار:

أولاً: من أهم الأسس التي ينادي بها العلمانيون في التفسير هو تحكيم العقل التحكيم المطلق، ويرون أن العقل مصدر مستقل للمعرفة، وفتحوا له الباب – كما قيل- على مصراعيه، قال حسن حنفي[(٢)]: "لن نصل إلى عصر التنوير إلا إذا جعلنا للعقل سلطانه دون سلطة الكتاب، أو سلطة التقاليد الموروثة"[(٣)]، حتى أدى بهم إلى الشطط، والإنكار لكثير من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، ومن تلك الأمور التي أنكروها، إنكار الغيبيات، فيدعي عبد المجيد الشرفي أن فهم الأمور الغيبية التي أخبر عنها القرآن في الوقت الحاضر أصبحت من الصعوبة بمكان، "والرسالة القرآنية موجهة إلى أناس بأعيانهم في القرن السابع، وتتضمن ظواهر ميثية تتناسب مع ثقافة ذلك العصر، مثل: الجنة، وإبليس، والشياطين،

---

(١) ينظر بعض نقولات القرآنيين عن العلمانيين: الحديث والقرآن، ابن قرناس، ١٥٩، تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص٢١٦، ص٢٢٠، موقفنا من العلمانية، القومية، الإشـتراكية، ص٢٨، السنة الرسولية، ص٥٣، القصص القرآني(١)، ص٤٩، ٥٣، ٩٥.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) الدين والثورة في مصر، حسن حنفي، (٥٢/٢).

والملائكة، والطوفان، وعمر نوح، وهي ظواهر بعيدة اليوم عن التصورات الحديثة"[١]، ويسخر صادق العظم[٢] من إيمان المسلم المعاصر بالغيبيات، حيث يقول متهكمًا: "هل يفترض في المسلم في هذا العصر أن يعتقد بوجود كائنات مثل الجن، والملائكة، وإبليس، وهاروت وماروت، ويأجوج ومأجوج، وجودًا حقيقيًا(غير مرئي أحيانًا) باعتبارها مذكورة كلها في القرآن أم يحق له أن يعتبرها كائنات أسطورية، مثلها مثل آلهة اليونان، وعروس البحر، والغول والعنقاء"[٣]. وكان أثر الفكر العلماني واضحاً في آراء كثير من القرآنيين حيث تعاملوا مع الآيات والأحاديث التي تتحدث عن أمور الغيبيات، كالشياطين، وإبليس، والملائكة، والجنة والنار، وأحاديث الحوض، وملك الموت بالتأويل، والبعض بالإنكار[٤].

ثانيًا: ومن الأفكار التي اتفق عليها الفريقان العمل على تنحية السنة النبوية وإقصائها من الجانب التشريعي، ومن كونها مصدرًا أساسيًا في تفسير القرآن

---

(١) الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي، ص٤٥.

(٢) صادق جلال العظم، كاتب سوري، ظهر في أواخر القرن الماضي ضمن طائف من الملاحدة الجدليين الذين ينكرون الله واليوم الآخر، ويكذبون الرسل والأنبياء، ويجحدون الكتب والمعجزات، ويرتدون أقنعة العلمانية والبحث العلمي المتقدم، له عدة كتب إلحادية، منها: نقد الخطاب الديني، مأساة إبليس، وغيرهما. ينظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن حبنكة، ص٦١، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، (٢/٧٣).

(٣) نقد الفكر الديني، صادق جلال العظم، ص٢٦.

(٤) ينظر: الهداية والعرفان، ص٧، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٧٥، ٣٤٦، ٤٨٨، البيان بالقرآن، (٢/٦٩٦)، الحديث والقرآن، ص ١١١، ١٨٠، ٣٢٣، ٣٣٨، ٣٥٠، السنة الرسولية، ص٧١، ٧٨، ٢٠٨.

الكريم، وسارع كلا الفريقين إلى المناداة بهذه الفكرة في محافلهم ومؤلفاتهم، بدعوى تحرير النص الأول، أي: الوحي القرآني، من النص الثاني، أي: السنة النبوية، بتأويلات وشروحات، باعتبارها خطابًا لاهوتيًا يحجب الحقائق، وهو بخلاف النظرة التقليدية التي "ترى، بناء على ما قر في النفوس من صبغة الرسالة التشريعية، أن النبي كان يفسر ما أشكل من أحكام القرآن على معاصريه، وأن الصحابة بعده كانوا مؤهلين أكثر من غيرهم لتفسير ما غمض من الآيات، أو ما كان منها عامًا لم يتطرق إلى التفصيل، ونحن لا نعتقد أن النبي كان في حاجة مطلقة إلى تفسير الوحي؛ لأن ما جاء فيه كان بينًا بما فيه الكفاية، وكان -في الأغلب- مرتبطًا بظروف عايشها الصحابة، وإنما اعتقد المسلمون، بعد مرور الزمن، وتغير أحوالهم، أن القرآن غير كاف في حد ذاته لتوفير الحلول التي اقتضاها الدين المؤسس؛ ولذا نسبوا إليه، وإلى الصحابة ما ظنوا أنه مكمل لهذا النقص"[(١)]، ويرى نصر حامد أبو زيد: "أن أهل السنة حينما اعتبروا السلف الصالح ابتداءً بالنبي ﷺ مصدرًا لتفسير النص القرآني فارقوا الصواب في جانب التأويل الصحيح للقرآن الكريم؛ لأنهم ربطوه بذلك الزمن"[(٢)]، ويستنكر ذلك بقوله: "إن معيار التفسير الصحيح عند من يطلقون على أنفسهم أهل السنة سواء في التراث أم في الفكر الديني الرسمي المعاصر هو ما ورد عن الرسول أو عن الصحابة الذين شهدوا نزول الوحي، وكانوا أقرب من ثم إلى فهم دلالته،

(١) الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي، ص١٧١.

(٢) مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد أبو زيد، ص٢٢٠.

فالتفسير عندهم لا بد أن يستند إلى النقل؛ لأن الاستدلال يؤدي دائمًا إلى الخطأ في زعمهم"[١]، ثم يقول: "والتمسك بهذا التفسير بوصفه التفسير الوحيد الصحيح استنادًا إلى سلطة القدماء يؤدي إلى ربط دلالة النص بالأفق العقلي والإطار الثقافي لعصر الجيل الأول من المسلمين، وهذا الربط يتعارض تعارضًا جذريًا مع المفهوم المستقر في الثقافة من أن دلالة النص تتجاوز حدود الزمان والمكان"[٢].

وهذه الأقوال الصريحة الجريئة المبينة لموقف العلمانيين من السنة النبوية وغيرها من مصادر التفسير تبناها منكرو السنة بلا مواراة، وبلا تستر، بل وأصبحت عمدة فكرهم، وأساس منهجهم، ويوضح ذلك تلك الأقوال التي ينقلها الباحث عن بعضهم، قال محمد شحرور: "إن النبي ﷺ والصحابة-رضوان الله عليهم- لم يعتبروا في وقت من الأوقات أن الأحاديث النبوية هي وحي، وكذلك الأمر مع الخلفاء الراشدين؛ فقد فهموا أنها كانت نتيجة تعامل مع واقع معين، في ظروف معينة، عاشها النبي ﷺ"[٣]، وقال مصطفى المهدوي: "وإن ما يوصف بأنه سنة رسول الله ﷺ من حيث كونها تكميلاً للقرآن، أو تفصيلاً، أو تفسيرًا له مردود، ومرفوض كذلك بما تحددت به رسالة الرسول ﷺ كما بينها الله-تعالى- في كتابه العزيز، بتبليغ القرآن الكريم إلى الناس ليؤمنوا به، وليهتدوا

---

(١) المرجع السابق، ص٢٢٢.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) الكتاب والقرآن، ص٥٤٦.

بما جاء فيه، وقد وعد الله -سبحانه- بحفظ كتابه الكريم دون غيره"[(١)].

ويظهر من خلال الأقوال السابقة لكلا الفريقين التقاؤهما في العداء للسنة النبوية والحرص الشديد على إقصاء نصوصها التي ضاقوا بها ذرعًا، تلك النصوص التي خيبت آمالهم، وخالفت كثيرًا من آرائهم، فما كان منهم إلا أن صوبوا سهامهم نحوها لتنفيذ أغراضهم، ومن ثم يكون لهم ما أرادوا من هدم أحكام الشريعة، وتأويل القرآن على غير ما أراد الله؛ كي يحدث انسجام بين النصوص القرآنية وأفكارهم الشيطانية، عن طريق التأويل والتحريف المتكلف.

ثالثًا: ومن الأفكار التي تأثر بها منكرو السنة وحاولوا نشرها في تفسيرهم لآيات القرآن الكريم[(٢)] الأخلاق الهدامة، تأثراً منهم بالأفكار العلمانية التي بنيت على أساس مادي لا يرتبط بالقيم والأخلاق، فالعلمانيون ينظرون إلى الأخلاق"كقيم نسبية تتغير من عصر إلى عصر، ومن مكان إلى مكان، وأن القيم الدينية يجب تجاوزها بل هي أصبحت بالية، ويجب فصل الدين عن المنظومة الأخلاقية، فأخلاق كل زمن بحسبه، فإذا كان مفهوم العفة الديني يناهض الزنا

---

(١) البيان بالقرآن، (١/ ١٠).

(٢) كما فعل البعض منهم عند تفسيره لقوله تعـالى: ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، كمحمد شحرور، الكتاب والقرآن، ص٦٠٤- ٦١٥، وسامر إسلامبولي، المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص٢٤-٤٧، المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء، جمال البنا، ص٢٨، وشحرور عند تفسيره لقوله تعـالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩]، السنة الرسولية والسنة النبوية، ص١٥٣.

والشذوذ الجنسي وزنا المحارم والسفور، فإن العلمانية تربط الأخلاق والقيم لا بالثوابت، ولكن بالتاريخ والزمن"[١].

وفي المقابل نلحظ الحضور الهدام للأخلاق في فكر منكري السنة النبوية، حيث قاموا بمحاولات تقشعر منها الجلود، وتنفر منها الطباع السليمة، وسعوا جاهدين لنشر الفكر العلماني المنحل، حيث رفض كثير منهم الأحكام القرآنية، وتعسفوا في تأويلها، فرفضوا الحجاب، ودعوا المرأة إلى السفور، والتبذل في لباسها إلى حد العراء-باعتباره عادة، وليس له دخل بالعبادة، وجوز بعضهم للرجل أن يختلي بالنساء الأجنبيات، وأن يقبل المرأة الأجنبية[٢]، ومن أقوالهم حول هذا الأمر، ما قاله جمال البنا :"إن قضية الزي بأسرها ليست من مسائل العقيدة التي لا مساس بها ولا تعديل فيها، ولكنها من باب الآداب التي تخضع للأعراف والعادات والتطورات"[٣].

ويرى سامر إسلامبولي أن موضوع لباس المرأة من أكثر الأحكام العملية تطرفاً عند المسلمين، ومرد ذلك-حسب رأيه- راجع إلى الخلط بين الحكم الشرعي الواجب والعادات والتقاليد العربية[٤]، التي يقصد بها العادات التي

---

(١) العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، ص٢٦٧.

(٢) ينظر في ذلك على سبيل المثال: الكتاب والقرآن، ص٦٠٤- ٦١٥، الحديث والقرآن، ص٦٢، ٨٨، ١١٤، ٢٥٦، تذكير الأصحاب بتحريم النقاب، د. إسماعيل منصور، ص٢٦، المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء، جمال البنا، ص٢٨.

(٣) المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء، ص٣٥.

(٤) ينظر: المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص١٧.

طبقت في زمن ما قبل الإسلام وما بعد ظهوره، فيكون المسلم المعاصر غير ملزم بتطبيقها في الوقت الحاضر؛ لأن فهم المسلم المعاصر غير مرتبط بفهم الرسول وصحابته ومن بعدهم، وإنما المسلم يكون له فهم وتفاعل مع الشرع حسب احتياجه وتصوراته في الزمن الذي يعيشه[١].

(١) ينظر: المرجع السابق، ص١٨.

الباب الثاني
القرآنيون والتفسير

وفيه ثلاثة فصول.

الفصل الأول: العلاقة بين القرآن والسنة، وموقف العلماء ممـــن يفـــرق بينهما.

الفصل الثاني: أصول التفسير وقواعده التي بنى عليها القرآنيون منهجهم في التفسير.

الفصل الثالث: موقف القرآنيين من تفاسير المسلمين وأصولهم.

الفصل الأول

العلاقة بين القرآن والسنة، وموقف العلماء ممن يفرق بينهما

وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول: الصلة بين الأصلين الشريفين (القرآن والسنة).

المبحث الثاني: كون السنة النبوية أصلاً في تفسير القرآن الكريم وفهمه.

المبحث الثالث: أسباب طعن القرآنيين في السنة النبوية .

المبحث الرابع: موقف العلماء ممن يفرق بينهما.

المبحث الأول

الصلة بين الأصلين الشريفين (القرآن الكريم والسنة النبوية)

من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة أن العلاقة بين القرآن الكريم والسنة النبوية علاقة وثيقة، إذ هما توأمان لا ينفكان، وشقيقان لا ينفصلان، فالإيمان بالقرآن الكريم يستلزم الإيمان بالسنة النبوية، كما أن التكذيب بالسنة النبوية يستلزم التكذيب بالقرآن الكريم، فالإيمان بالقرآن يرجع إلى تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان بالسنة النبوية يرجع إلى تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله، فمن حاول الاستدلال بالقرآن بمعزل عن السنة، أو الاستدلال بالسنة بمعزل عن القرآن، كمن حاول -إن صح المثل- التفريق بين أغصان الشجرة وأصلها، وكلُّ محاولة للاستغناء بأحدهما عن الآخر، فإنما هو ضربة لازب، وسير في عماية، وخروج عن النهج المستقيم؛ ذلك أن السنة صنو القرآن وقرينته في الاستدلال والاحتجاج(١).

فالقرآن عنوان السنة، والسنة بيان للقرآن، إلا أنه عند ترتيب الأدلة وترجيحها يتقدم القرآن، فهو كلام الله المقطوع به جملة وتفصيلاً، والسنة مقطوع بها على الجملة لا على التفصيل؛ ولأنه هو الأصل، وهي الفرع؛ لأنها شارحة ومبينة له، ولا شك في أن الأصل مقدم على الفرع، والبيان مؤخر عن

---

(١) ينظر: الرسالة، ص٧٣، المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية، بحث: سنة الرسول شقيقة القرآن، عبد الله آل محمود، (١/١٥)، دراسات إسلامية ونقد كتاب ثورة الإسلام، محمد حسن بنجر، ص٣٤، السنة النبوية وحي من الله محفوظ، الحسين آيت سعيد، ص٤٣.

المبين، ولا ينافي ذلك التمسك بكليهما، والأخذ بهما معًا[١].

وعلى الرغم من إجماع الأمة على الصلة بين الأصلين، إلا أن الناظر في كتابات القرآنيين يجد أنهم يحاولون بقوة الفصل بين الأصلين الشريفين، والنقد المستمر لنصوص السنة النبوية وتصويرها على أنها تناقض القرآن الكريم، وتعارضه، ولا تتصل به من أي وجه من الوجوه. وإذا كان الأمر كذلك، فإن الباحث سيحاول عرض بعض أوجه الصلة بين الأصلين، التي تبين التلازم بينهما، ومن ثم العرض لموقف القرآنيين من تلك الصلة، وسيكون الحديث متمثلاً في النقاط الآتية:

أولاً: القرآن الكريم والسنة النبوية وحيان[٢]:

القرآن الكريم[٣] والسنة النبوية الصحيحة يتحدان في كونهما وحيًا منزلاً من عند الله، فتكون السنة النبوية وحياً من الله –تعالى- أوحاه إلى رسوله ﷺ لكنها تنسب إلى الرسول ﷺ من جهة كونه المنشئ لألفاظها، أما معانيها فمن الله تعالى: إما أن ينزل بها جبريل عليه السلام كما ينزل بالقرآن، أو ينفث بها في روعه، أو

(١) ينظر: إعلام الموقعين، (٢/٢٢٤)، أصول الحديث، علومه، ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب، ص٢٥، منهج النقد في التفسير، د. إحسان الأمين، ٣٧٩.

(٢) تنبيه: المقصود من كلام الباحث عن السنة النبوية، هي السنة الصحيحة الثابتة المتصلة الإسناد إلى الرسول ﷺ بالطرق الصحيحة المعروفة عند أهل العلم بالحديث النبوي، وأما ما عدا ذلك مما عده العلماء من قبيل الضعيف أو الموضوع فلا يدخل في ذلك، وبالله التوفيق.

(٣) ملاحظة: لن يتحدث الباحث عما يتعلق بالقرآن الكريم في جميع أوجه الصلة؛ لأن القرآنيين يظهرون أنهم يعتقدون ذلك.

يلهمه إياها إلهامًا، أو أنه ﷺ يقول أو يفعل باجتهاد منه في حدود ما تعلمه من معرفة بمقاصد الشرع، وقواعده الحكيمة، وهذا الاجتهاد إما أن يقرَّ عليه فيرجع إلى حقيقة الوحي أو لا يقر فينبه إلى الصواب، فعلى هذا لا يكون الرسول ﷺ سن سنة إلا بوحي أو لها أصل في الوحي[1].

وقد وردت أدلة كثيرة في ذلك تدل على أن السنة النبوية وحي من الله تعالى، أذكر منها ما يأتي: قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ٣ – ٤]. أخبر الله ﷻ عن رسوله ﷺ أنه لا ينطق عن الهوى، إنما هو وحي يوحيه الله إليه، فدل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [النساء: ١١٣][2] وقد ذكر جمع من أهل التفسير في بيانها أن المراد بها منطوق النبي ﷺ ومن أحسن من أبان عن ذلك الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى، حيث قال: "ثم قال سبحانه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ٣ – ٤] ينزه نطق رسوله أن يصدر عن هوى، وبهذا الكمال هداه وأرشده، وقال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ ﴾. ولم يقل: وما ينطق بالهوى؛ لأن نطقه عن الهوى أبلغ؛ فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى، وإذا لم يصدر عن هوى، فكيف ينطق به، فتضمن نفي الأمرين، نفي الهوى عن مصدر النطق، ونفيه عن نفسه: فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد

---

(١) ينظر: الرسالة، ص٩٠، الموافقات، (٤/٣٣٥)، الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص٧٢٢، الحديث والمحدثون، محمد أبو زهو، ص١١-١٦، مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان علي حسن، ص٢٣.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٨١٨.

لا الغي والضلال، ثم قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④﴾، فأعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل. أي: ما نطقه إلا وحي يوحى، وهذا أحسن من قول من جعل الضمير عائدًا إلى القرآن؛ فإنه يعم نطقه بالقرآن والسنة، وإن كليهما وحي يوحى"[١].

وثمة أمر يجب أن يعلم، وهو: أن هذين الوحيين يختلفان، من حيث إن "الوحي ينقسم من الله ﷻ إلى رسوله ﷺ على قسمين، أحدهما: وحي متلو مؤلف تأليفًا معجز النظام، وهو القرآن. الثاني: وحي مروي منقول غير مؤلف، ولا معجز النظام، ولا متلو، لكنه مقروء، وهو الخبر الوارد عن رسول الله، وهو المبين عن الله ﷻ مراده منا"[٢].

ومما ورد-أيضًا- في القرآن الكريم من الآيات الدالة على أن السنة وحي، قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾[البقرة: ٢٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ⑪③﴾ [النساء: ١١٣].

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، ووجه الدلالة في الآيات السابقة أن الحكمة فيها هي السنة،

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، ص١٥٣. وينظر قريباً من هذا المعنى: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٧/٨٥)، مفاتيح الغيب، (٢٨/٢٣٥)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٧/٤٤٣).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، (١/٩٧)، وينظر: المستصفى، الغزالي، ص١٠٣.

كما ذكر ذلك جمع من أهل العلم من المفسرين وغيرهم، كعبد الله بن عباس[(١)]، وقتادة[(٢)]، والحسن البصري، والشافعي، وابن الجوزي[(٣)]،

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: ابن عم رسول الله، حبر الأمة، الصحابي الجليل. كان مولده بمكة، سنة(٣ ق. ﻫ). ونشأ بها، لازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع علي بن أبي طالب ﷺ الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها، سنة(٦٨ﻫ). ينظر: التاريخ الكبير، البخاري، (٥/٣)، مشاهير علماء الأمصار، ص٢٨، معرفة الصحابة، أبو نعيم، (١٦٩٩/٢)، أسد الغابة في تمييز الصحابة، (٢٩١/٢).

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر، حافظ، ضرير، أكمه. قال الإمام أحمد بن حنبل: "قتادة أحفظ أهل البصرة"، وكان من أعلمهم بالقرآن والحديث والفقه، وكان مع ذلك رأسًا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. ولد سنة (٦١ﻫ)، وكان يرى القدر، وقد يدلّس في الحديث. مات بواسط في الطاعون، سنة (١١٨ﻫ). ينظر: التاريخ الأوسط، البخاري، (٢٨٢/١)، مشاهير علماء الأمصار، ص١٥٤، نكث الهميان في نكت العميان، الصفدي، ص٢١٥، بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم، ابن المِبْرَد الحنبلي، ص١٢٩، طبقات المفسرين، الداوودي، (٤٧/٢).

(٣) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: الحافظ الواعظ، علامة عصره في التاريخ والحديث، ولد ببغداد، سنة(٥٠٨ﻫ)، وتوفي بها، سنة(٥٩٧ﻫ)، كان كثير التصانيف، قال عنه الذهبي: "وما علمت أحدًا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل"، منها: زاد المسير في علم التفسير، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، الناسخ والمنسوخ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، وغيرها. ينظر: تذكرة الحفاظ، (٩٣/٤)، ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، (٣٦٨/٣)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، (٩٣/٢)، الوافي بالوفيات، (١٧٢/١١)، مؤلفات ابن الجوزي، عبد الحميد العلوجي، ص٢٥٧.

وغيرهم[١]. قال الإمام الشافعي: "فَذَكَرَ اللَّهُ الْكِتَابَ، وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَذَكَرَ الْحِكْمَةَ، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن، يقول: الحكمة: هي سنة رسول الله"[٢].

قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]، "يعني: وأنزل عليك مع الكتاب الحكمةَ، وهي ما كان في الكتاب مجملاً ذكره من حلال وحرام، وأمره ونهيه وأحكامه، ووعده ووعيده"[٣].

فيعرف من ذلك أن السنة النبوية مما نزل على محمد ﷺ، لأن الرَّسُول ﷺ كان يَنْزِلُ عَلَيْهِ وَحْيُ الْقُرْآنِ، وَوَحْيٌ آخَرُ هُوَ الْحِكْمَةُ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٤]، وقال حسان بن عطية[٥]: "كان جِبْرِيلُ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالسُّنَّةِ كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ"[٦].

(١) ينظر: الرسالة، ص٧٨، جامع البيان، (٢/٥٧٦)، والنكت والعيون، الماوردي، (٥/٨٤)، زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (١/١١٣)، تفسير القرآن العزيز، (٤/٢١٢)، ابن أبي زمنين، معالم التنزيل، البغوي، (١/١٦٧)، تفسير ابن أبي حاتم، (١/٢٣٧)، تذكرة الأريب في معرفة الغريب، ابن الجوزي، ص٢٣.

(٢) الرسالة، ص٧٣.

(٣) جامع البيان، (٧/٤٨٠).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى، (٧/٤٠)، الإيمان، ص٣٦.

(٥) حسان بن عطية، الإمام الحجة، أبو بكر المحاربي مولاهم الدمشقي. تَابِعِيٌّ ثِقَة، كان من أفاضل أهل زمانه، لكنه اتهمَ بِالْقدرِ. ينظر: صفة الصفوة، (٤/٢٢٢)، إكمال تهذيب الكمال، (٤/٦٣)، مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، بدر الدين العيني، (١/١٩٣).

(٦) مجموع الفتاوى، (٧/٤٠)، الفقيه والمتفقه، البغدادي، (١/٢٦٦)، السنة، المروزي، ص٣٢.

وهذا أمرٌ متفق عليه بين سلف الأمة كما قال ابن القيم-رحمه الله: "إن الله ﷻ أنزل على رَسُوله وحيين، وَأوجب على عباده الْإِيمَان بهما، وَالْعَمَل بِمَا فيهمَا، وهما الْكتاب وَالْحكمَة، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وَالْكتاب هُوَ الْقُرْآن، وَالْحكمَة هِيَ السّنة باتفاق السّلف، وَمَا أخبر بِهِ الرَّسُول عَن الله فَهُوَ فِي وجوب تَصْدِيقه وَالْإِيمَان بِهِ كَمَا أخبر بِهِ الرب—تَعَالَى-على لِسَان رَسُوله، هَذَا أصل مُتَّفق عَلَيْهِ بَين أهل الْإِسْلَام لَا يُنكره إِلَّا من لَيْسَ مِنْهُم"(١).

ومن الأدلة أيضًا، قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]، ففي الآية دلالة على أن الله أنزل على رسولهﷺ الذكر، وهو مشتمل للقرآن والسنة، ووظيفتهﷺتبيين هذا الذكر، قال ابن حزم -رحمه الله تعالى: " بل فيها بيان جلي، ونص ظاهر أنه أنزل —تعالى- عليه الذكر ليبينه للناس، والبيان هو بالكلام، فإذا تلاه النبي ﷺ فقد بينه، ثم إن كان مجملاً لا يفهم معناه من لفظه، بيَّنه حينئذ بوحي يوحى إليه، إما متلو أو غير متلو"(٢).

وأما الأدلة على أن السنة وحي من كلام رسول الله ﷺ، فقد وردت

(١) الروح، ابن القيم، ص٧٥.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، (٨٢/١).

أحاديث، منها: ما ورد عن يَعْلَى بن أمية(١) أنه، قَالَ لِعُمَرَ رضي الله عنه: أَرِنِي النَّبِيَّ ﷺ حِينَ يُوحَى إِلَيْهِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ(٢)، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ، وَهُوَ مُتَضَمِّخٌ بِطِيبٍ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاعَةً، فَجَاءَهُ الوَحْيُ، فَأَشَارَ عُمَرُ رضي الله عنه إِلَى يَعْلَى، فَجَاءَ يَعْلَى وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَوْبٌ قَدْ أُظِلَّ بِهِ، فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحْمَرُّ الوَجْهِ، وَهُوَ يَغِطُّ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقَالَ: (أَيْنَ الَّذِي سَأَلَ عَنِ العُمْرَةِ؟) فَأُتِيَ بِرَجُلٍ، فَقَالَ: (اغْسِلِ الطِّيبَ الَّذِي بِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَانْزِعْ عَنْكَ الجُبَّةَ، وَاصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجَّتِكَ)(٣). ووجه الدلالة في

(١) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام التميمي الحنظلي: أول من أرخ الكتب. وهو صحابي، من الولاة. ومن الأغنياء الأسخياء من سكان مكة، كان حليفًا لقريش. أسلم بعد الفتح، وشهد الطائف، وحنينًا، وتبوك مع النبي ﷺ، وهو أول من ظاهر للكعبة بكسوتين، أيام ولايته على اليمن، صنع ذلك بأمر عثمان. توفي (٣٧هـ). ينظر: معرفة الصحابة، أبو نعيم، (٥/٢٨٠١)، معجم الصحابة، ابن قانع، (٣/٢١٩)، رجال صحيح مسلم، ابن مَنْجُويَه، (٢/٣٧٧)، الأعلام، (٨/٢٠٤).

(٢) الجِعْرَانَة: بكسرِ الجيمِ، وسُكُونِ العَيْنِ، وتخفيفِ الرّاءِ، وهي ما بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أدنى، وبها قسم رسول الله ﷺ غنائم حنين، ومنها أحرم بعمرته في وجهته تلك. والجعرانة اليوم: قرية صغيرة في صدر وادي صف، فيها مسجد يعتمر منه أهل مكة المكرمة، ولها مركز إمارة، وتربطها بمكة طريق معبدة. ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، البكري، (٢/٣٨٤)، معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٢/١٤٢)، تاج العروس، الزبيدي، (١٠/٤٤١)، الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحِميري، ص١٧٧، معالم مكة التأريخية والأثرية، عاتق بن غيث الحربي، ص٦٤.

(٣) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم، (١٥٣٦)، (٢/١٣٦)، ومسلم في صحيحه برقم، (١١٨٠)، (٢/٨٣٦).

الحديث أن الرسول ﷺ لم يجب السائل حتى أتاه الوحي من ربه، وكان هذا الوحي سنة لا قرآنًا، قال النووي[١]: " فيه [أي: الحديث] أن من الأحكام التي ليست في القرآن، ما هو بوحي لا يتلى"[٢]. قال الزركشي: "وهو دليل قطعي على أن السنة كانت تنـــزل كما ينـــزل القرآن"[٣].

ومن الأدلة على ذلك أقوال أهل العلم، حيث تظافرت أقوالهم على أن السنة وحي الله-تعالى- لنبيه ﷺ، وقالوا: إن جبريل عليه السلام كان يترل بالسنة على قلب رسول الله ﷺ كما يترل بالقرآن[٤]، ولهم في هذا أقوالٌ كثيرةٌ يثبتون فيه أن السنة النبوية وحي، نقتطف بعضًا منها: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وإن أعظم نعمة أنعم الله بها على رسوله ﷺ كتاب الله الذي لا تفنى عجائبه، ولا يحاط بمعجزاته، وقد أوتي ﷺ هذا الكتاب ومثله معه من السنة التي كان يترل بها جبريل على النبي ﷺكما كان يترل بالقرآن فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن، فالذي بلغه للناس ﷺ من آيات ربه، وما ثبت عنه في الصحيح من سنته الشريفة ليس عن هوى النفس كما أنه ليس من الظن كحال الذين هم له مخالفون، بل هو وحي يوحى"[٥].

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، شرف الدين النووي، (٧٨/٨).

(٣) البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، (٢٥١/٨).

(٤) ينظر: تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، ص٢٤٥، الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيتمي، ص١٥٠، الإتقان في علوم القرآن، (١٥٩/١).

(٥) الإخنائية، أو الرد على الإخنائي، ابن تيمية، ص٣.

وقال ابن كثير[١] -رحمه الله- مبينًا ومقررًا أن السنة النبوية تنزل بالوحي على الرسول ﷺ كما ينزل عليه القرآن، وموضحًا الفرق بينهما: " وَالسُّنَّةُ أَيْضًا تَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ، كَمَا يَنْزِلُ الْقُرْآنُ؛ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُتْلَى كَمَا يُتْلَى الْقُرْآنُ"[٢].

والحاصل، أن علماء الإسلام متفقون على أن السنة النبوية وحي، وأنها كانت تنزل على رسول الله ﷺ كما كان ينزل عليه القرآن.

ومع كل ما سبق من الأدلة والبراهين-التي ذكرها العلماء- الدالة على كون السنة وحي إلا أن القرآنيين عمدوا إلى حل عرى الاتصال بين القرآن والسنة، فرفضوا رفضًا قاطعًا أن تكون السنة النبوية جزءًا من الوحي، وقالوا: إن السنة المنسوبة للنبي ﷺ أقوال خارج الوحي القرآني، وهي تاريخ فيها الحق والباطل، والصحيح والزائف، واعتبروا هذا القول- القائل بأن السنة وحي- لا يتوافق مع ما يقوله القرآن الكريم، ويتعارض معه، لدرجة أن القرآن ينقضه جملةً وتفصيلاً، ويستحيل أن يكون مصدرهما واحداً، وهذا القول-بحسب زعمهم- خطأ معرفي خطير يجعل الإغراض والغفلة بصاحبه إلى منتهاه، فهو قول باطل، بل اعتبره

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: الحافظ، المفسر، المؤرخ، الفقيه. ولد سنة (٧٠١هـ)، وتوفي بدمشق، سنة (٧٧٤هـ). ذاع صيت مؤلفاته وتناقلها الناس في حياته، من أشهرها: تفسير القرآن العظيم، البداية والنهاية في التاريخ، اختصار علوم الحديث، وغيرها. ينظر: ذيل تذكرة الحفاظ، الحسيني، ص٣٨، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر، (١/١٢٤)، معجم المحدثين، الذهبي، ص٤١، طبقات المفسرين، الأدنه وي، ص٢٦٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/٧).

شحرور أكبر بهتان نفتريه على الله ورسوله، فالوحي الوحيد هو القرآن[١].

قال مصطفى المهدوي: "ومن أراد الله فعليه أن يختار الهدى، ومن أراد الهدى فعليه أن يختار الوحي، ومن أراد الوحي فلن يجد من بين يديه ولا من خلفه إلا القرآن"[٢]. وقال: "ولا وحي من بعد القرآن المجيد"[٣].

وقال الرفاعي: "والقول بأن الله-تعالى-أوحى إلى نبيه ﷺ وحيين اثنين، هما القرآن والسنة الشريفة، هو قول ينقضه القرآن الكريم جملة وتفصيلاً، فالوحي في الرسالة الخاتمة هو القرآن الكريم"[٤]، وقال: "إن الزعم بوجود وحي آخر مستقل عن القرآن الكريم، هو خروج فاضح عن دلالات كتاب الله، وهو افتراءٌ هدفه الانتصار للعصبيات المذهبية والطائفيّة على حساب كتاب الله –تعالى- ودلالاته الواضحة، وضوح الشمس وسط النهار"[٥].

وقال شحرور: "أطروحة صاحب الوحيين، الوحي الأول(الكتاب)، والوحي الثاني(السنة) التي اعتمدها الشافعي في كتابه الرسالة انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾ [النجم: ٣] عبارة عن أطروحة متهافتة لا محل لها،

(١) ينظر: البيان بالقرآن، (١/٤٨)، (٢/٧٠٣)، القرآن وكفى، ص٤٠، الحديث والقرآن، ص٤٧٦، محطات في سبيل الحكمة، ص٣٧، ص٦٧، السنة الرسولية، ص٢٥، ص١٠١، سنة الأولين، ص٥١٧، إنذار من السماء، ص٣٥، تثوير القرآن، جمال البنا، ص ٥٨، إله واحد ودين واحد، نيازي عز الدين، ص٥٠، ٧٣.

(٢) البيان بالقرآن، (٢/٧٢٢).

(٣) المرجع السابق، (٢/٨١١).

(٤) محطات في سبيل الحكمة، ص٣٧.

(٥) المرجع السابق، ص٤٣.

وتخالف أبسط قواعد التنزيل الحكيم، حيث فرق التنزيل بين القول والنطق"[(١)].

وأما بخصوص الآيات التي استدل بها العلماء على كون السنة وحياً، ومنها، قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۞ ﴾ [النجم: ٣ – ٤]، فقد اندفع هؤلاء النفر من المؤولة إلى رفض دخول ما نطق به النبي ﷺ من السنة النبوية ضمن الوحي:

قال عدنان الرفاعي: "قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ ﴾ [النجم: ٣] يخص نطق القرآن، وما يتعلق به من تفسير وتفصيل لكلياته، ولا يعنى كل ما نطق به ﷺ في حياته"[(٢)].

وأما سامر إسلامبولي في بيانه للآية السابقة: فحاول التفريق بين كلمات خمس؛ بدعوى الوصول إلى فهم للنص القرآني، وهي: (اللفظ، والقول، والحديث، والكلام، والنطق)، فخرج بخلاصة مفادها: أن"النص القرآني المعني بالشرح، يتكلم عن الوحي، التي يتلوها الرسول على الناس، وليست هي إلا القرآن. . . وبالتالي لا يصح الاستدلال بهذا النص على عموم نطق النبي من كلام، وقول، وحديث؛ لأن ذلك باطل من حيث الواقع، ولا يقول أحدٌ من العقلاء بذلك"[(٣)].

وأما قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]،

---

(١) السنة الرسولية، ص٢٠٨.

(٢) محطات في سبيل الحكمة، ص٦٩.

(٣) السنة غير الحديث، ص٣٩.

فيرى أحمد صبحي منصور أن العلماء قد أساءوا فهم الآية، حيث قطعوها عن سياقها، فكلمة (الناس) في قوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ لا تدل هنا على عموم البشر، وإنما تفيد حسب السياق أهل الكتاب الذين نزلت فيهم الكتب السماوية السابقة فاختلفوا فيها وحرفوا فيها بعض ما جاء بها[1].

وما ذكره منكرو السنة ساقط أمام ما سبق ذكره من الأدلة، وأما ما ادعاه أحمد صبحي منصور من أن المقصود من الناس في الآية هم (أهل الكتاب)، فهذا تخصيص لم يقله أحد من علماء السلف ولا غيرهم[2] إذ الخطاب عام لكل من أرسل إليهم الرسول ﷺ ولكن الآية عندما خالفت هواه راح يخصصها، بدون مستند من نقل ولا عقل، إذ المقرر عند أئمة التفسير أن الخبر العام يبقى على عمومه حتى يأتي ما يخصصه[3]، قال ابن جرير رحمه الله: "غير جائز ادعاء خصوص في آية عام ظاهرها، إلا بحجة يجب التسليم لها"[4].

وعلى التسليم بالتخصيص فوجه الدلالة باقٍ، وما قالوه دعاوى وليست أدلة.

---

(١) القرآن وكفى، ص٢١.

(٢) ينظر على سبيل المثال: جامع البيان، (١٤/٢٢٩)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤/٥٧٤)، تيسير الكريم الرحمن، ص٤٤١، قال الشوكاني عند تفسير الآية: "{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذكر } أي القرآن. ثم بين الغاية المطلوبة من الإنزال، فقال: { لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ} جميعًا{مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } في هذا الذكر من الأحكام الشرعية، والوعد والوعيد". فتح القدير، (٤/٢٢٣).

(٣) ينظر: قواعد التفسير، د. خالد السبت، (٢/٥٩٩)، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، د. فهد الرومي، ص١٣٦، أصول التفسير وقواعده، خالد العك، ص٣٨٤، قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين الحربي، (٢/٥٢٧).

(٤) جامع البيان، (٢/٤٦٣).

ثانيًا: أنهما محفوظان بحفظ الله تعالى.

تعهد الله ﷻ بحفظ كتابه الكريم، وكان من تمام ذلك الحفظ للقرآن الكريم أن حفظ السنة النبوية إذ هي المبينة له، ولقد حظيت السنة من أول يومها بسياج وحماية منقطعة النظير، وذلك بما هيأه ﷻ من صحابة ﷺ نقلوها عنه ﷺ لمن بعدهم، كما هيأ لها علماء كتبوها ودونوها، وميزوا الصحيح من الموضوع، ووضعوا لذلك قواعد وضوابط تضبط قبولها وروايتها، وما ذلك إلا لأنهم عرفوا منزلة السنة، وأنها المصدر التشريعي الأول بعد القرآن الكريم، ولهذا اتبعوا كل سبيل يحفظ على السنة نورها وبالغوا في التحري والتثبت خشية الوقوع في الخطأ من أن يتسرب إليها التصحيف والتحريف[1]، قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: "اعلموا إخواني -وفقكم الله- أنه ليس بمحفوظ سوى ما في كتاب الله المنزه عن التحريف، وسنة الرسول ﷺ"[2].

وقد استدل العلماء-رحمهم الله تعالى- على ذلك بأدلة، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، قال العلماء رحمهم الله تعالى: إن الذِّكْر اسم واقعٌ على كل ما أَنزلَ الله على نَبِيِّهِ: من قرآنٍ، أو سُنَّةٍ، وقد أفاد ذلك أن كلام رسول الله ﷺ في الدين كله وحي من عند الله، وكل وحي من عند الله فهو ذكر أنزله

(١) ينظر: السنة في مواجهة الأباطيل، ص٢١، الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة النبوية في مصر، ص٤٦.

(٢) الضعفاء والمتروكين، ابن الجوزي، (١/٥).

الله[1].

فإذا علم أن السنة النبوية ذكر أنزله الله تعالى، فإن ذلك يقتضي أن تكون داخلة ضمنًا فيما تعهد الله ﷻ بحفظه من الذكر، وقد بين العلامة ابن القيم رحمه الله ذلك، بقوله: "وقد تكفل الله-سبحانه- بحفظه-يعني الذكر- فلو جاز على حُكْمِهِ-يعني النبي ﷺ الكذبُ والغلطُ والسّهوُ من الرواة، ولم يقم دليلٌ على غَلَطِهِ وسهوِ نَاقِلِه، لَسَقَطَ حُكْمُ ضَمَانِ الله وكفالَتِهِ لحفظه، وهذا من أعظم الباطل"[2].

قال ابن حزم-رحمه الله- معلقًا على الآيتين السابقتين: "فأخبر-تعالى-أن كلام نبيه ﷺ كله وحي، والوحي بلا خوف ذكر، والذكر محفوظ بنص القرآن، فصح بذلك أنَّ كلامه ﷺكله محفوظ بحفظ الله ﷷ مضمون لنا أنه لا يضيع منه شيء، إذ ما حفظ الله-تعالى- فهو باليقين لا سبيل إلى أن يضيع منه شيء، فهو منقول إلينا كله، فلله الحجة علينا أبدًا"[3]. وقال رحمه الله، رادًا على الذين ينكرون أن تكون السنة النبوية محفوظة بحفظ الله تعالى: "فنقول لمن جوز أن يكون ما أمر الله-تعالى-به نبيه ﵇ من بيان شريعة الإسلام لنا غير محفوظ، وأنه يجوز فيه التبديل، وأن يختلط بالكذب الموضوع اختلاطًا لا يتميز أبدًا، أخبرونا عن إكمال الله لنا ديننا، ورضاه الإسلام لنا دينًا، ومنعه-تعالى-من قبول

---

(١) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة، ص٥٩٩.

(٢) المرجع السابق، ص٥٨٢.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، (٩٨/١).

كل دين حاشا الإسلام، أكلٌّ ذلك باق علينا ولنا إلى يوم القيامة؟ أم إنَّما كان ذلك للصحابة رضي الله عنهم فقط؟ أم لا للصحابة ولا لنا؟ "(١).

وقال ابن الوزير اليمني(٢) رحمه الله: "قال الله-تعالى- في وصف رسول الله ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ - ٤]، وقال فيما أوحاه إلى رسوله- ﷺ-: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وهذا يقتضي أنّ شريعة رسول الله ﷺ لا تزال محفوظة، وسنته لا تبرح محروسة، فكيف ينكر هذا المعترض على أهل السّنة، ويشوّش قلوب الرّاغبين في حفظها، ويوعّر الطّريق على السّالكين إلى معرفة معناها ولفظها؟ "(٣).

وخلاصة القول: إن الله لو تكفل بحفظ الـمُبيَّنِ المشروح، ولم يتكفل بحفظ الشارح الـمُبيِّنِ، لأحالنا على التعبد بشيء معدوم لا وجود له في الواقع، أو على الأقل بشيء لم يصلنا من طريق موثوق به، ولم نعرف صحيحه من سقيمه، ولا المقبول منه من المردود. وهذا يستحيل شرعًا وعقلاً، إذ كيف نتعبد بشيء وقد أزيل من الوجود تمامًا، أو إذا كان وجوده وجودًا شكليًا فاقدًا للقيمة؟! إن فقدان الشارح الـمُبيِّن بكامله يتوقف عليه فقدان أكثر الـمُبيَّنِ(٤).

---

(١) المرجع السابق، (١/١٢٦)، والنص موجود باختلاف يسير في مختصر الصواعق المرسلة، ص٥٦٩.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، (١/٦٤).

(٤) منزلة السنة من الكتاب وأثرها في الفروع الفقهية، ص١٠١، السنة وبيان مكانتها في الإسلام، محمد رسلان، ص٨٤، ٨٥.

وأما منكرو السنة النبوية ومن خلال سعيهم المتواصل لفصل القرآن الكريم عن السنة النبوية، حاولوا إزالة أي مزية للسنة بارتباطها بالكتاب العزيز، ومن ذلك حفظ الله تعالى لهما، حيث لم يفتروا في كل كتبهم ومقالاتهم ومحاضراتهم يرددون أن السنة النبوية مليئة بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، فهي ليست جزءًا من الدين(١)، وغايتهم التي يريدون الوصول إليها، هي: أن السنة لا تتصل بالقرآن، ولم تحفظ كما حفظ القرآن بل آل أمرها إلى الوضع والكذب، فلا تقبل، وإنما القرآن الكريم هو ما تعهد الله بحفظه وأبقاه الله للأمة مصدرًا يستمدون منه شريعتهم(٢)، ولكنّ أهل السنة، يقولون-كما بيّنا سابقًا- أن من فضل الله على هذا الأمة، أنه كما حفظ لهم المبيِّن (القرآن) حفظ المبيِّن (السنة).

قال مصطفى المهدوي: "فشاء الله ﷻ أن يحفظ لعباده كتابًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. . . . وليس هناك من أثر بعد الرسول[ﷺ] إلا هذا القرآن"(٣).

ويستنكر عدنان الرفاعي قول أهل السنة من كون السنة محفوظة، فيقول: "يذرون الرماد على الأعين، فيقولون: روايات الأحاديث (التي يسمونها السنة) محفوظة من قبل الله كحفظه -جل وعلا- للنص القرآني، مستشهدين بقوله

---

(١) ينظر: حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، توفيق صدقي، ص٥٨، القرآن وكفى، ٦، الحديث والقرآن، ص٥٢٥، البيان بالقرآن، (٢/٦٥١)، السنة الرسولية، ص٢٩، تثوير القرآن، ص٦٧، إله واحد ودين واحد، ص٩٦.

(٢) ينظر: البيان بالقرآن، (٢/٧٧٥)، محطات في سبيل الحكمة، ص٨٣.

(٣) البيان بالقرآن، (٢/٧٤٨).

تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فيقولون: السنة وصفت -في هذه الآية الكريمة- بالذكر، والذكر تكفل الله تعالى بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]. ويستنبطون من ذلك أن رواياتهم محفوظة كالقرآن الكريم"(١).

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، يقول الرفاعي: "يبين لنا -أي قوله تعالى- حفظ الله -تعالى- للقرآن الكريم حصرًا، دون أي نصٍّ آخر، فكلمة الذكر هنا تعني القرآن الكريم حصرًا، بدليل تعلقها بصيغة التتريل من عند الله تعالى، وليس بصيغة الإنزال، ويكون حفظ الله -تعالى- للسنة الشريفة هو من باب كونها محتواة في النص القرآني الذي تكفل الله بحفظه(٢)، فالسنة الشريفة المحفوظة هي المحتواة في النص القرآني المترل من عند الله تعالى، والذي تكفل الله تعالى بحفظه، وليست السنة الحق المحفوظة من قبل الله تعالى نصًا مستقلاً هي روايات الأحاديث كما يُفترى على منهج الله تعالى"(٣).

وبعد قراءة كلام الرفاعي-السابق- يتبين أن هذا الكلام عبارة عن مغالطات تجر إلى إنكار ما لا يمكن إنكاره، فهو إنكار غير مبني على أي أدلة، وليس فيه شيء من المصداقية، وإنما هو فلسفة سبقه إليها أساتذته من

---

(١) محطات في سبيل الحكمة، ص٨٣.

(٢) لأنه يرى أن السنة موجودة في القرآن فقط. ينظر: المرجع السابق، ص٥١، ٦٣.

(٣) المرجع السابق، ص٨٤، وينظر قريبًا من هذا الكلام: المرجع السابق، ص١٤٦، ٣٠٨.

المستشرقين والعلمانيين، وليس فيه شيء جديد يدل على عدم حفظ الله –تعالى– للسنة، ونختم هذه المسألة بقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وَلَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ مُتَمَيِّزًا بِنَفْسِهِ- لِمَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ الْإِعْجَازِ الَّذِي بَايَنَ بِهِ كَلَامَ النَّاسِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وَكَانَ مَنْقُولاً بِالتَّوَاتُرِ- لَمْ يَطْمَعْ أَحَدٌ فِي تَغْيِيرِ شَيْءٍ مِنْ أَلْفَاظِهِ وَحُرُوفِهِ؛ وَلَكِنْ طَمِعَ الشَّيْطَانُ أَنْ يُدْخِلَ التَّحْرِيفَ وَالتَّبْدِيلَ فِي مَعَانِيهِ بِالتَّغْيِيرِ وَالتَّأْوِيلِ، وَطَمِعَ أَنْ يُدْخِلَ فِي الْأَحَادِيثِ مِنْ النَّقْصِ وَالِازْدِيَادِ مَا يُضِلُّ بِهِ بَعْضَ الْعِبَادِ. فَأَقَامَ اللَّهُ –تَعَالَى– الْجَهَابِذَةَ النُّقَّادَ أَهْلَ الْهُدَى وَالسَّدَادِ، فَدَحَرُوا حِزْبَ الشَّيْطَانِ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبُهْتَانِ، وَانْتَدَبُوا لِحِفْظِ السُّنَّةِ وَمَعَانِي الْقُرْآنِ مِنْ الزِّيَادَةِ فِي ذَلِكَ وَالنُّقْصَانِ"[(١)].

ثالثًا: أنهما المصدران الأساسيان للتشريع.

أجمع علماء الإسلام قديمًا وحديثًا على أن القرآن الكريم والسنة النبوية المصدران التشريعيان لدين الإسلام، وأنهما الأصلان المعتبران في إثبات الأحكام، وبيان الحلال والحرام، وبهذين المصدرين-معًا- قام بناء الإسلام، وأنه لا يمكن فهم الشريعة فهمًا صحيحًا ما لم ينظر في آيات الكتاب الكريم مقرونة بالنظر في صحيح السنن النبوية؛ بقصد التدبر والتعمق لمعرفة المقاصد والحكم التشريعية[(٢)].

(١) مجموع الفتاوى، (١/٧).

(٢) ينظر: وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها، عبد العزيز بن باز، ص٣، مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، جمع: محمد بن سعد الشويعر، (١/٢١١)، أصول الأحكام الإسلامية، =

وهذان الأصلان هما اللذان تفجرت منهما بحار الأحكام الفقهية، والفتاوى الشرعية، وتزينت بجواهر أدلتهما كتب العلوم الشرعية، فعليهما مدار الشريعة الإسلامية، فإن أكثر الآيات القرآنية في الفروع مجملة، فجاءت السنة بمعانيها ظاهرة مفصلة، وهي -أيضًا- مكملة للقرآن في بيان أحكام الدين، فلا يحق للمؤمن أن يقتصر على ما ورد في القرآن بالنسبة للتشريع الإسلامي، إذ لا بدَّ له من اتباع ما ورد في السنة -أيضًا- اتباعًا لا انفصال معه عن القرآن المجيد، بل أصبح من بدهيات الأمور عند أهل السنة(١)، إذ الحديث النبوي، "علم الصّدر الأوّل، والذي عليه بعد القرآن المعوّل، وهو لعلوم الإسلام أصل وأساس، وهو المفسّر للقرآن بشهادة: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. وهو الذي قال الله فيه تصريحًا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٤]، وهو الذي وصفه الصّادق الأمين، بمماثلة القرآن المبين؛ حيث قال في التوبيخ لكل مترف إمّعة(٢):

=

د. أبو السعود موسى، ص١٠١، السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، (٢/٩٧٤)، إضاءات بحثية في علوم السنة، د. حاتم الشريف، ص١١، الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، ص١٦٣.

(١) ينظر: الروض الباسم، ابن الوزير، (١/٨)، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد، مقدمة أحمد عبد الرحمن البنا، (١/٤)، مكانة السنة في التشريع الإسلامي، محمد لقمان السلفي، ص٢٣، ٢٤، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، بحث: المستشرق شاخت والسنة النبوية، محمد مصطفى الأعظمي، (١/٦٦).

(٢) أصل الإمعة، هُوَ الرجل الَّذِي لَا رَأْي لَهُ وَلَا عزم، فَهُوَ يُتَابع كل أحدٍ على رَأْيه، وَلَا يثبت على شَيْء. غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، (٤/٥٠)، تهذيب اللغة، (٣/١٥٢).

(إني أوتيت القرآن ومثله معه)[(١)][(٢)].

وبعد أن عرض الباحث -بإيجازٍ- مكانة السنة التشريعية عند علماء الإسلام، وتبين أنهم مجمعون على أنها المصدر الثاني في التشريع، يبقى أن ننظر إلى موقف القرآنيين من ذلك الأمر، وتتبع محاولاتهم المتعددة لفصل عرى الارتباط بين الأصلين الشريفين.

وانطلاقًا من هذا الحرص الكبير عندهم، اتفقت كلمة القرآنيين وتضافرت جهودهم على رفض كون السنة النبوية مصدرًا شرعيًا يتلقى منه المسلمون الأحكام الدينية، ولا اعتبار -عندهم- لأي حكم تشريعي لم يشرعه القرآن، ولا علاقة للرسول ﷺ بتشريع الأحكام، وتعيين الحلال والحرام، واعتبروا أن ما جاءت به السنة النبوية من أحكام شرعية لا تعدو كونها مرجعًا تاريخيًا للتعرف أكثر على خصائص المجتمع المحمدي، أو هي تفاعل النبي ﷺ مع الوحي، وكيفية قيامه بالتغيير الثوري، وكيفية تسييره لشؤون مجتمعه[(٣)]، ولعل من المهم أن ينقل الباحث بعضًا من نصوص منظريهم؛ كي تزداد الفكرة وضوحًا:

قال سامر إسلامبولي: "وقد احتوى الكتاب الشرع كله ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، (١/٦، ٧).

(٣) سيكتفي الباحث بالإشارة إلى موضع واحد، وإلا فكتبهم مليئة بذلك، ومن أراد الاستزادة فدونه كتبهم، ينظر: البيان بالقرآن، (٢/٦٥٦)، الحديث والقرآن، ص١٦٢، محطات في سبيل الحكمة، ص١٤، السنة الرسولية، ص٩٨، سنة الأولين، ٣٣٨، المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، ١٥٠، إنذار من السماء، ص٣٧، تثوير القرآن، ص١٠٤.

شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، مما يؤكد انتفاء صفة المصدرية الشرعية النظرية عن غير الكتاب. فالمصدر النظري الشرعي الإلهي للحرام والحلال والواجب يجب حصره في الكتاب فقط، وذلك من حيث إنه وحي من الله ورسالته إلى الناس جميعًا، فتكون مادة الحديث ليست مصدرًا شرعيًا للحلال والحرام والواجب، وإنما هي تفاعل النبي مع الشرع الإلهي بأحكامه"(١).

وقال نيازي عز الدين: "فالقرآن لم يترك صغيرة أو كبيرة إلا ذكرها فيما يتعلق بأمور المسلمين وتنظيمهم، حتى الأمور التي قد تبدو لنا تافهة ذكرها، ولم يترك غامضة، ولم يتغافل عنها"(٢).

وهذه الدعاوى من سامر ونيازي لا نكاد نسلم لها؛ لأن الكتاب هنا -في أشهر القولين- هو اللوح المحفوظ(٣)، والأمة-أيضًا- مجمعة على أن القرآن قد اشتمل الدين مجملاً، وأما تفاصيل الشريعة وجزئياتها فقد فصل بعضها وأجمل بعضها، ووكل الرسول ﷺ بتفصيل وبيان ما يحتاج إلى ذلك(٤)،

قال جمال الدين القاسمي(٥): " إن الاستقراء دل على أن في السنة أشياء لا

(١) المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص١٤٣.

(٢) إنذار من السماء، ص٣٧.

(٣) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (١٤٢/٣)، درء تعارض العقل والنقل، (٣٩/٩)، شفاء العليل، ابن القيم، ص٤٠، فتح القدير، (١٣٠/٢).

(٤) ينظر في نقض هذه الشبهة بشيء من التفصيل: السنة ومكانتها في التشريع، مصطفى السباعي، ص١٧٨، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة النبوية، خادم بخش، ص٢١٠ ومابعدها، الشبهات الثلاثون المثارة حول السنة النبوية، عبد العظيم المطعني، ص١٣٢.

(٥) جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، عالم مشارك في أنواع من العلوم، كان إمام الشام في =

تحصى كثرة لم ينص عليها في القرآن، كتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها، وتحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، والعقل وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر"(١).

ولم يقتصر غلو بعضهم في رفض السنة كمصدر شرعي، إذ حاول أن يحل بجانب القرآن بدلاً من المصدر الشرعي (السنة) مصادر بشرية متمثلة في زعمه بشورى عامة وشورى أهل الاختصاص؛ لأنهم علموا أنهم لن يجدوا في القرآن ما يعينهم على بلوغ غاياتهم، وتحقيق مرادهم، فأتوا بتلك المصادر الوضعية، قال ابن قرناس: "إن دولة الإسلام تقوم على ثلاثة مصادر للتشريع، القرآن الكريم، والشورى العامة، وشورى أهل الاختصاص والخبرة، وهذا يلغي الصلاحيات التشريعية التي أوجدها الفقهاء لأنفسهم،...،كما يلغي ما سماه الفقهاء بالحديث مصدرًا للتشريع في الإسلام"(٢).

وكذلك نجد محمد شحرور لـمّا كان متأثرًا بالعلمانية، ويريد التحرر من الشريعة بالكلية، سولت له نفسه أن يزيح الرسول ﷺ وسنته عن مكانتهما التشريعية، ويجلس هو وأمثاله بدلاً عنهما، يشرعون ما تهواه أنفسهم، وتمليه

=

عصره، عالمًا بالدين، ومتضلعا في فنون الأدب. ولد بدمشق، سنة (١٢٨٣هـ)، وتوفي بها، سنة (١٣٣٢هـ)، صنف مصنفاتٍ عديدة، منها: محاسن التأويل في تفسير القرآن، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، إصلاح المساجد من البدع والعوائد، وغيرها. ينظر: فهرس الفهارس، الكتاني، (٢/٩٣٧)، الأعلام، (٢/١٣٥)، معجم المؤلفين، (٣/١٥٧).

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، (١/١١٠).

(٢) سنة الأولين، ص٧٢٢.

شهواتهم، قال شحرور: "هذا ما يجب علينا استيعابه الآن بإزالة هالة القدسية عن الأحاديث الرسولية والنبوية، وتبويبها وفق منهجية علمية، والعمل على محاولة التحكم في زمام أمورنا بأيدينا، للاجتهاد لأنفسنا وفق ما يتناسب مع ظروفنا وشروط مجتمعاتنا، ويستجيب لمتطلباتنا وفق مستوانا المعرفي المتطور وحياتنا المتغيرة باستمرار"[١].

ولا شك أن في هذه الأقوال من الزيغ والضلال ما لا يخفى على أحدٍ، إذ يترتب عليها نتائج خطيرة، منها: تعطيل للشريعة، ومشاقة الرسول ﷺ التي حذر الله منها في القرآن، ولا تقف هنا، بل يريدون من ورائها الاتيان بشريعة جديدة متغيرة أحكامها وشرائعها بتغير الزمان والمكان، ومرتبطة بالأهواء وشهوات أهل الضلال.

رابعًا: أنهما واجبا الاتباع.

أمر الله ﷻ عباده المؤمنين بطاعة رسوله ﷺ الطاعة المطلقة، وأوجب عليهم اتباعه فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، وجعل طاعته ﷺ فرضًا لازمًا على كل من رضي بالله ربا، "يقبلون منه السنة كما يقبلون القرآن مستجيبين لله الذي أمرهم باتباع النبي وطاعته"[٢]، فذكر ذلك في آيات كثيرة من كتابه الكريم، صريحة قاطعة في وجوب العمل بالسنة النبوية، تزيد عن ثلاثين موضعًا[٣]، منها:

---

(١) السنة الرسولية، ص٢٠٣.

(٢) معالم على طريق السنة، د. أحمد عمر هاشم، ص٢١.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، (٦٧/١)، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنيـــة، ابـــن =

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء: ٨٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٠]. ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- هذه الآيات وغيرها من الأدلة الدالة على وجوب طاعة الله ﷻ، ورسوله ﷺ، ثم قال معلقًا عليها: "فهذه النصوصُ توجبُ اتباعَ الرسولِ، وإن لم نجدْ ما قاله منصوصًا بعينه في الكتاب، كما أنَّ تلكَ الآياتِ توجبُ اتباعَ الكتابِ وإن لم نجدْ ما في الكتاب منصوصًا بعينِهِ في حديثٍ عن الرسولِ غير الكتاب. فعلينا أن نتبعَ الكتابَ، وعلينا أن نتَّبع الرسول، واتباعُ أحدهما هو اتباعُ الآخرِ؛ فإن الرسول بلَّغَ الكتابَ، والكتابُ أمر بطاعةِ الرسولِ. ولا يختلفُ الكتابُ والرسولُ البتةَ كما لا يخالفُ الكتابُ بعضه بعضًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢]"(١).

ومن الأدلة على وجوب اتباعهما، قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩]، قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسير هذه الآية، حيث بين أن طاعة رسول ﷺ هي الأخذ بسنته، فقال: "قَالَ تَعَالَى:

=

تيمية، ص٥٠٧.

(١) مجموع الفتاوى، (٨٤/١٩).

﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ أَيْ: اتَّبِعُوا كِتَابَهُ، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، أَيْ: خُذُوا بِسُنَّتِهِ"(١).

ذكر ابن حجر(٢)-رحمه الله- في الآية نكتة لطيفة، فقال: "والنكتة في إعادة العامل في الرسول دون أولي الأمر- مع أن المطاع في الحقيقة هو: الله تعالى: كون الذي يعرف به ما يقع به التكليف، هما: القرآن والسنة، فكأن التقدير: أطيعوا الله فيما نص عليكم القرآن، وأطيعوا الرسول فيما بيَّنَ لكم من القرآن؛ وما ينصه عليكم: من السنة. أو المعنى: أطيعوا الله فيما يأمركم به: من الوحي المتعبد بتلاوته، وأطيعوا الرسول فيما يأمركم به من الوحي الذي ليس بقرآن"(٣).

وأما المقصود من: الرد إلى الله هو: الرجوع إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو: الرجوع إليه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته(٤)، وهذا مما لا خلاف فيه بين جميع المسلمين من السلف والخلف من هذه الأمة —إلا من شذ من الفرق الضالة-(٥) قال ابن القيم-رحمه الله-: "أجمع المسلمون أن الرد إلى الرسول هو الرجوع إليه في حياته، وهو الرجوع إلى سنته بعد مماته، واتفقوا أن فرض هذا الرد لم يسقط بموته، فإن كان متواتر أخباره وآحادها لا تفيد علمًا ولا يقينًا لم

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/٣٤٥).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، (١٣/١١١).

(٤) ينظر: جامع البيان، (٨/٥٠٥)، الدر المنثور، السيوطي، (٢/٥٧٩)، التحرير والتنوير، (٥/٩٨)، أضواء البيان، الشنقيطي، (٤/٢٠٠).

(٥) ينظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد، ابن الأمير الصنعاني، ص٩٧.

يكن للرد إليه وجه"(١).

فأوجب الله ﷻ علي المسلمين اتباع هديه والأخذ بسنته، "وجعل اتباعه طاعة، والعدول عن اتباعه معصية، التي لم يعذر بها خلقًا، ولم يجعل له من اتباع سنن نبيه مخرجًا"(٢).

وجعل الله طاعته ﷻ وطاعة الرسول ﷺ مقترنتين، لا تنفك إحداهما عن الأخرى، والقبول بأوامر الله -تعالى- مرتبط بقبول أوامر رسوله ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]، "فقد عبر بالمضارع (يطع) وهو الذى يقتضي الحال والمستقبل، وعبر بالماضي (أطاع) الذى يدل على الوقوع والتحقق، فمن أطاع رسوله ﷺ حالاً، فقد وقعت طاعته قبل ذلك طاعة لله تعالى؛ لأن الله -تعالى- هو الذى أرسله، وأمر بطاعته، لذا فمن أطاعه ﷺ كان في الحقيقة مطيعًا لمرسله قبل أن يطيعه ﷺ ومن عصاه ﷺ كان في الحقيقة عاصيًا لمرسله قبل أن يعصيه ﷺ؛ لأنه ﷻ مرسله، وأوجب طاعته، وحرم معصيته"(٣). "فكل من قبل عن الله فرائضه، قبل عن رسول الله سنته، بفرض الله طاعة رسوله على خلقه، وأن ينتهوا إلى حكمه. ومن قبل عن رسول الله فعن الله قبل، لما افترض الله من طاعته"(٤). وهناك آيات كثيرة، وأقوال لأهل العلم حول وجوب اتباع السنة النبوية، أعرض الباحث عنها خشية الإطالة.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة، ص٥٤٥.

(٢) الرسالة، ص٨٨.

(٣) محبة النبي ﷺ وطاعته، د. خليل ملا خاطر، ص٣٠٩.

(٤) الرسالة، ص٣٣.

وبعد أن بين الباحث أن اتباع أوامر الرسول ﷺ والإيمان بما جاء به لازم لزومًا لا ينفك عن اتباع أوامر الله تعالى ووجوب امتثال أوامرهما، وأن الخير كل الخير في الانصياع لما جاء به من الهدى والنور، نجد أن القرآنيين لا يرون للرسول ﷺ طاعة، مع وجود الأدلة القرآنية الدالة على ذلك، والتي سبق عرضها.

وإن المستقرئ لكثير من كتابات القرآنيين يلاحظ –وبدون عناء– أن كتاباتهم تنبعث من بينها العداوة والشنئان لرسول الله ﷺ ولسنته، حيث يرون أن الطاعة واجبة لأوامر الله –تعالى– وحده، وطاعة الرسول ﷺ واجبة فيما يأمر به في القرآن، وأن اتباع أوامر رسول الله ﷺ خارج القرآن الكريم يدخل المسلم في باب عظيم من أبواب الشرك، ويرى البعض أن طاعة الرسول ﷺ واجبة على أهل زمانه من الصحابة ﷺ وأما غيرهم فلهم الخيرة في الطاعة أو الرفض(١)، ونسوق بعضًا من أقوالهم التي يصرحون فيها بعدم اتباع السنة النبوية:

قال المهدوي: "لا تنبغي طاعة في الدين إلا لله بما أوحى إلى عباده المرسلين، وكل طاعة في الدين بغير وحي فهي ضلالة"(٢).

وعلى اعتبار أنهم يرون أن السنة النبوية موجودة في القرآن الكريم(٣)، فإن

---

(١) ينظر: حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، ص٦١، القرآن وكفى، ص٢٦، الحديث والقرآن، ص٣١٩، محطات في سبيل الحكمة، ص٨١، السنة الرسولية، ص١١٠، سنة الأولين، ص٦٦٢، إنذار من السماء، ص٤٠.

(٢) البيان بالقرآن، (٧٢٢/٢).

(٣) ينظر: البيان بالقرآن، (١١/١)، (٧٨٧/٢)، الحديث والقرآن، ص٣١٩، محطات في سبيل =

طاعتهم للرسول تكون باتباعهم للقرآن، قال المهدوي: " لذلك لا يمكن اتباع الرسول ﷺ والاقتداء به بغير علم بالوحي الذي نزل عليه بالقرآن، فالقرآن هو سنة الرسول"[(١)]" فنطيع الرسول [ﷺ] في كل ما يأمرنا به في القرآن، وفي القرآن فحسب، ولا نعترف بسواه، ولا نشرك بكتاب الله كتابًا آخر"[(٢)].

وقال ابن قرناس: "ولو أطعنا الرسول في تشريع خارج القرآن لأشركنا الرسول [ﷺ] في العبادة مع الله"[(٣)]. ويحاول تبيين ذلك بقوله: "كما أنه ليس من العقل أن تشرك كلام محمد مع كلام الله، وتقول بأن كليهما دين يجب أن يتبع؛ لأن لفظة الرسول تعني الناقل للرسالة بحذافيرها، ومن دون أن يكون له أي حق بإضافة أو حذف أو إخفاء بعض ما في السنة المنقولة"[(٤)].

وأما شحرور فحاول في كتابين من كتبه[(٥)] بيانًا وتوضيحاً لآيات الطاعة، ملخصها:

أن الطاعة للرسول ﷺ جاءت في القرآن على نوعين، هما:

أ- الطاعة المتصلة، وهي طاعة الرسول متصلة بطاعة الله مباشرة، ومثل لها بثلاث آيات: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور: ٥٢].

=

الحكمة، ص٥١، السنة الرسولية، ص٢٢، إنذار من السماء، ص٢٣.

(١) البيان بالقرآن، (٢/٨٤٢).

(٢) إنذار من السماء، ص٢٧.

(٣) الحديث والقرآن، ص٣١٩.

(٤) سنة الأولين، ص٦٦٢.

(٥) الكتاب والقرآن، ص٥٥٠-٥٥٣، السنة الرسولية، ص١٠٨- ١١٢.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١].

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقال عن الطاعة في هذه الآيات أنها طاعة أبدية للرسول في حياته[ﷺ]وبعد مماته، وتكون في اتباعه في سنته الرسولية، أي ما جاء به من أحكام الرسالة الواردة في أم الكتاب.

ب- الطاعة المنفصلة، وهي طاعة الرسول الواردة منفصلة عن طاعة الله، وذكر لها أمثلة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٢].

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ [التغابن: ١٢].

وقال عن هذه الطاعة بأنها طاعة منفصلة عن طاعة الله ومتصلة في المقابل بطاعة أولي الأمر، وهي تكون للرسول[ﷺ] في حياته فقط، بطاعته في ما جاء به من تعليمات في القصص المحمدي، وفي عين اجتهاداته الصادرة عنه من مقام النبوة، حيث كان الرسول [ﷺ] معصومًا من مقام الرسالة، ومجتهدًا من مقام النبوة، ولذا فصلها الله في كتابه عن طاعته ﷻ وقرنها بطاعة أولي الأمر(١).

فهذا خلاصة ما يريده شحرور – مع وجود الأدلة الظاهرة البيان على العلاقة بين طاعة الله وطاعة رسوله- قطع الصلة بين الأصلين من جهة، ومن جهة أخرى عدم إثبات وجوب الطاعة لأوامر الرسول ﷺ الواردة في سنته النبوية.

(١) ينظر: الكتاب والقرآن، ص٥٥١، السنة الرسولية والسنة النبوية، ص١١٠، ١١١.

خامساً: أنهما حجة على المسلمين.

أجمع من يعتد بهم من علماء المسلمين على حجية ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، وكان المقصود به التشريع والاقتداء، وهو ضرورة دينية، يستنبط منه المجتهدون الأحكام الشرعية لأفعال المكلفين، فهي كالقرآن حجة، لا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام[١].

ومعنى حجية السنة النبوية: "وجوب العمل بمقتضاها، واعتبارها مصدرًا من المصادر التي يستنبط منها الأحكام الشرعية، فهي -بهذا المعنى- فرع عنه فرعية المدلول على الدال[٢]، وفي هذا الصدد، يقول الإمام الشافعي-رحمه الله-مبينًا الصلة الوثيقة بين الأصلين: "وضع اللّه رسوله من دينه وفرضه وكتابه الموضِع الذي أبان-جل ثناؤه- أنه جعله علمًا لدينه، بما افترض من طاعته، وحرّم من معصيته، وأبان من فضيلته، بما قَرَنَ من الإيمان برسوله مع الإيمان به"[٣]. وقد جاء في القرآن الكريم آيات تدل على حجية السنة، منها:

---

(١) ينظر: المستصفى، الغزالي، ص١٠٣، تيسير التحرير، أمير بادشاه الحنفي، (٣/٢٢)، التقرير والتحبير، ابن أمير حاج، (٢/٢٢٥)، إرشاد الفحول، الشوكاني، (١/٩٧)، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ابن بدران، ص٢٠١، دفاع عن السنة، محمد أبو شهبة، ص١٣، أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، ص٣٧، المهذب في علم أصول الفقه المقارن، د. عبد الكريم النملة، (٢/٦٢٤).

(٢) ينظر: حجية السنة، عبد الغني عبد الخالق، ص٢٤٣، ص ٤٨٦، بحث: شبهة عرض السنة على القرآن، د. إسماعيل الميمني، ص١٢.

(٣) الرسالة، ص٧٣.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

ففي هذه الآية الكريمة أقسم المولى ﷻ بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحدٌ حتى يحكم رسوله ﷺ في جميع أموره، ويكون ذلك التحكيم للرسول ﷺ في حياته، والتحكيم لسنته بعد وفاته، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا، ولأهمية الأمر لم يكتف منهم بذلك حتى يسلموا تسليمًا، وينقادوا انقيادًا[١].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قال الشوكاني[٢]: " وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ إِذَا قَضَى اللَّهُ أَمْرًا أَنْ يَخْتَارَ من أمر نفسه ما شاء، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُذْعِنَ لِلْقَضَاءِ، وَيُوقِفَ نفسه على ما قضاه الله عليه وَاخْتَارَهُ لَهُ"[٣].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، (٢٨/٤٧١)، إعلام الموقعين، (١/٥٥)، (١/١٧٤)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/٣٤٩)، أضواء البيان، (٤/٢٠١).

(٢) محمد بن علي بن محمد الشوكاني: مفسر، فقيه، مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان، سنة (١١٧٣ه)، ونشأ بصنعاء. وتولى قضاءها سنة(١٢٢٩ه)، ومات قاضيًا بها، سنة(١٢٥٠ه). له مصنفات كثيرة، منها: فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير، نيل الأوطار من أسرار منتقى الاخبار، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، التحف في مذهب السلف. ينظر: البدر الطالع، (٢/٢٠٧)، الأعلام، (٦/٢٩٨)، معجم المؤلفين، (١١/٥٣).

(٣) فتح القدير، (٤/٣٢٥، ٣٢٦).

وجعل الله -تعالى- من علامة حب الله للعبد اتباعه للنبي ﷺ ومتابعته، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]. قال الشنقيطي[١] رحمه الله: " صَرَّحَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ اتِّبَاعَ نَبِيِّهِ مُوجِبٌ لِمَحَبَّتِهِ -جَلَّ وَعَلَا- ذَلِكَ الْمُتَّبِعِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ طَاعَةَ رَسُولِهِ ﷺ هِيَ عَيْنُ طَاعَتِهِ تَعَالَى، وَصَرَّحَ بِهَذَا الْمَدْلُولِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧]"[٢]. وقال رحمه الله: "يُؤْخَذُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ عَلَامَةَ الْمَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ هِيَ اتِّبَاعُهُ ﷺ، فَالَّذِي يُخَالِفُهُ وَيَدَّعِي أَنَّهُ يُحِبُّهُ فَهُوَ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ ؛ إِذْ لَوْ كَانَ مُحِبًّا لَهُ لَأَطَاعَهُ"[٣].

ومن الأدلة، أن الله حذر من مخالفة أمر رسوله ﷺ فقال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣]، قال ابن كثير رحمه الله: "أي: عن أمْر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزَن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبِل، وما

---

(١) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: العالم، المفسر، ولد سنة (١٣٢٥هـ)، وتوفي بمكة سنة (١٣٩٣هـ). له كتب، منها: أضواء البيان في تفسير القرآن، دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، آداب البحث والمناظرة. ينظر: الأعلام، (٦/٤٥)، ترجمة تلميذه عطية محمد سالم، في آخر أضواء البيان، (٩/٤٧٣)، علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، (١/١٧٧).

(٢) أضواء البيان، (١/١٩٩).

(٣) المرجع السابق، الجزء والصفحة نفسها.

خالفه فهو مردودٌ على قائله وفاعله، كائنًا من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)(١)، أي: فليحذر وليخش مَن خالف شريعة الرسول باطنًا وظاهرًا ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾، أي: في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدنيا، بقتل، أو حدٍّ، أو حبس، أو نحو ذلك)(٢).

فهذه الآيات القرآنية-وغيرها كثيرة- تدل دلالة قاطعة على حجية السنة النبوية، فهي مشتقة من القرآن، والنبي ﷺ هو الناطق بحكمه، والمبين لما فيه، والمكمل لشرع الله تعالى(٣).

وخلاصة الأمر، أن القرآنيين قد ركبوا مراكب الشطط، واستوطنت عقولهم مواطن الغلط، عندما تشبعت أفكارهم بالعداء والبغضاء للرسول ﷺ وسنته، فحاولوا فك الارتباط بين القرآن الكريم والسنة النبوية، فرفضوا أي أدلة تأمرهم باتباع السنة والأخذ بها، وأجهدوا أنفسهم في تأويل الآيات القرآنية ودلالاتها على الأخذ بالسنة النبوية، مستندين في كل ذلك على عقولهم المنحرفة، وأفهامهم القاصرة، وما ذلك-في نظر الباحث- إلا لعدم الإيمان التام بالقرآن نفسه، وعدم احترام الألفاظ الشرعية، واعتقاد قدسيتها؛ لأنه لو كان عندهم ذلك الإيمان بالقرآن لعلموا أن القرآن قد جمع في مواطن كثيرة بين طاعة الله

---

(١) الحديث روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، في صحيح البخاري، برقم، (٢٦٩٧)، (١٨٤/٣)، وصحيح مسلم، برقم، (١٧١٨)، (١٣٤٣/٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٨٩/٦).

(٣) ينظر: أصول الفقه، أبو زهرة، ص١٠٧.

وطاعة رسوله، فلا ينبغي -بعد ذلك- الفصل بين ما جمع الله، ولا ينبغي لأحد أن يفسر إلا على وفق مراد الله ورسوله.

ولكن غايتهم انكشفت، ومرادهم ظهر، وهو العدوان على النصوص القرآنية، وإلغاء معانيها ودلالاتها الدالة على الأخذ بسنة المصطفى ﷺ، بحيث لا يبقى للمسلمين دين، ولا التزام بشريعة رب العالمين.

وأما أهل الحق والدين -أعني: أهل السنة والجماعة- فإنهم يرون أن القرآن الكريم والسنة النبوية متلازمان تلازمًا واضحًا، كتلازم الشهادتين، ولا يمكن الفصل بينهما بحال من الأحوال، ولا غنى للشريعة الإسلامية عن أحدهما؛ لأنهما الضمان من الزلل، والعصمة من الضلال، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة.

المبحث الثاني
كون السنة أصلاً في تفسير القرآن وفهمه

تعد السنة النبوية الأصل الثاني من أصول تفسير القرآن الكريم، والمصدر التفسيري الأعلى درجة-بعد القرآن-في الصحة والإتقان من بين مصادر التفسير الأخرى منذ عهد الرسالة إلى يومنا هذا، وعلى هذا أجمع علماء المسلمين قديمًا وحديثًا[١]، فقد تكفل الله ﷻ بحفظ القرآن الكريم(المبيَّن)، ومن لوازم ذلك حفظ السنة النبوية (المبيِّن)[٢]، وأصبح هذا الأمر من الأمور المقطوع بها عند علماء المسلمين، ولأجل هذه الخاصية أصبح تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية يحتل مكان الصادرة من بين مصادر التفسير الأخرى بحيث لا يضاهيه أي مصدر آخر.

والناظر في أقوال أهل العلم من المفسرين وغيرهم يجد أن أقوالهم قد استفاضت في بيان أهمية تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية، تأكيدًا منهم على وجوب الأخذ به؛ كونها التفسير العملي للقرآن، وتحذيرًا من أولئك الذين لم

---

(١) ينظر: جامع البيان، (١/٦٨)، التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١/١٧)، الجامع لأحكام القرآن، (١/٣٩)، البرهان في علوم القرآن، (٢/١٥٦)، مقدمة في أصول التفسير، ص٣٩، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/٧)، إيثار الحق على الخلق، ص٢٥٤، أضواء البيان، (٥/١١٣)، أصول التفسير وقواعده، العك، ص٧٩، بحوث في أصول التفسير، د. فهد الرومي، ص٧٥، فصول في أصول التفسير، د. مساعد الطيار، ص٢٧.

(٢) ينظر: كلام ابن القيم في حفظ السنة، مختصر الصواعق المرسلة، ص٥٨٢.

يقبلوا أن تكون السنة النبوية مصدرًا من مصادر التفسير، وحاولوا-عبثًا- التشكيك في الأحاديث النبوية، والطعن في السنة النبوية بالكلية(١).

وفي النقاط الآتية يحاول الباحث بيان أهمية تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية، وكونها أصلاً في تفسير القرآن وفهمه:

أولاً: أن مهمة الرسول ﷺ هي التبليغ والبيان للقرآن.

بعث الله نبينا محمدًا ﷺ بالهدى والنور، وأنزل عليه كتابه الكريم، وجعله معجزة خالدة، وكتاب هدايةٍ، وأمر رسوله ﷺ أن يبلغه للناس جميعًا، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١]، فبلغ الرسول ﷺ القرآن على أكمل وجه وأتمه.

ولما كان هذا القرآن قد جعله الله ﷻ منهجًا للحياة، ودستورًا للأمة بما تضمنه من أحكام وتوجيهات تُصلِح أحوال الناس، فإن الله ﷻ أمر رسوله ﷺ ببيان القرآن وتوضيحه للناس، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٤]، فما كان من الرسول ﷺ إلا أن قام بالمهمة الثانية كما قام بالأولى، إذ هما مهمتان متكاملتان،

---

(١) سيأتي قريبًا-إن شاء الله-الحديث عن إنكار القرآنيين كون السنة أصلاً في تفسير القرآن، والرد عليهم في مبحث خاص.

يهدفان لتحقيق غرض واحد، هو تعليم أمة محمد ﷺ القرآن، وفهم ما يريد الله–تعالى– منهم، قال ابن تيمية: "فإن الرسول ﷺ بيّنَ للناس لفظ القرآن، ومعناه"[(١)]. وقال ابن القيم: "وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَ غَايَةَ الْبَيَانِ الَّذِي لَا بَيَانَ فَوْقَهُ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ ﷺ الْبَلَاغَ الْمُبِينَ فَبَلَّغَ الْمَعَانِيَ كَمَا بَلَّغَ الْأَلْفَاظَ، وَالصَّحَابَةُ بَلَّغُوا عَنْهُ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا، وَكَانَ تَبْلِيغُهُ لِلْمَعَانِي أَهَمَّ مِنْ تَبْلِيغِهِ لِلْأَلْفَاظِ"[(٢)].

فكان رسول ﷺ هو المبين عن الله ﷻ أمره، وعن كتابه معاني ما خوطب به الناس، وما أراد الله ﷻ به وعني فيه، وما شرع من معاني دينه وأحكامه وفرائضه وموجباته وآدابه ومندوبه، وسننه التي سنها، وأحكامه التي حكم بها، وآثاره التي بثها، و لم يزل على ذلك حتى توفاه الله ﷻ[(٣)].

وقد تعددت أقوال العلماء في تقرير هذه الحقيقة، قال ابن القيم: "فهذه الأحاديث تقرر نصوص القرآن وتكشف معانيها كشفًا مفصلاً، وتقرب المراد وتدفع عنه الاحتمالات، وتفسر المجمل منه وتبينه وتوضحه؛ لتقوم حجة الله به، ويُعلم أنَّ الرسول بيّن ما أنزل إليه من ربه، وأنه بلّغَ ألفاظهُ ومعانيه بلاغًا مبينًا حصل به العلم اليقينُّ، بلاغًا أقامَ الحجةَ، وقطع المعذرة وأوجب العلم، وبينه

---

(١) منهاج السنة النبوية، (١٧٦/٤).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة، ص٣٩٠.

(٣) ينظر: المجروحين، ابن حبان، (٢٥٥/٢)، الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، (٢/١)، الاستذكار، ابن عبد البر، (٤٠٨/٢).

أحسنَ البيانِ وأوضحه"[١].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: "جَمِيعُ مَا تَقُولُهُ الْأُمَّةُ شَرْحٌ لِلسُّنَّةِ، وَجَمِيعُ السُّنَّةِ شَرْحٌ لِلْقُرْآنِ"[٢].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن"[٣].

ولابن حبان البستي[٤]-رحمه الله-كلامٌ مهمٌ في هذا، يؤكدُ كلامَ العلماءِ، ويرد على أولئك الذين يدَّعون أن الرسول ﷺ لم يبين القرآن، حيث اعتبر ذلك القول من أمحل المحال، فقال: "وَالله -جلّ وَعلا- ولىَّ رَسُولَه ﷺ تَفْسِير كَلَامه، وَبَيَان مَا أنزل إِلَيْهِ لخلقه؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وَمن أمحل الْمحَال أَن يَأْمر الله -جلّ وَعلا- النَّبِي الْمُصْطَفى أَن يبين لخلقه مُرَاده -حَيْثُ جعله مَوضِع الْأَمَانَة عَن كَلَامه- ويفسر لَهُم حَتَّى يفهموا مُرَاد الله-جلّ وَعلا-من الْآي الَّتِي أنزلهَا الله عَلَيْهِ ثمَّ لَا يفعل ذَلِك رَسُول رب الْعَالمين وَسيد الْمُرْسلين، بل أبان عَن مُرَاد الله-جلّ وَعلا -فِي الْآي وَفسّر

(١) مختصر الصواعق المرسلة، ص٥٣٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن، (٦/١)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، (١٣/١).

(٣) مجموع الفتاوى، (١٠٢/٤)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، (١٥٦/١)، وقريبًا منه كلام عبد الرحمن بن مهدي، ينظر: تاريخ بغداد، (١٨٣/٢)، مفتاح الجنة، ص٦٨.

(٤) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم البستي، ويقال له: ابن حِبّان، العلامة، المحدث، المؤرخ، رحل في طلب العلم إلى أقطار كثيرة، توفي سنة(٣٥٤هـ)، كان أحد المكثرين من التصنيف، منها: المسند الصحيح في الحديث، روضة العقلاء، الثقات، وغيرها. ينظر: سير أعلام النبلاء، (٩٢/١٦)، طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، (١٣١/٣)، تذكرة الحفاظ، (٨٩/٣).

لأمته مَا هم الْحَاجة إِلَيْهِ، وَهُوَ سننه ﷺ فَمَنْ تتبع السّنَن، وحفظهَا وأحكمها، فقد عرف تَفْسِير كَلَام الله -جلّ وَعلا"[١].

وقال الزركشي[٢] رحمه الله: "وَبَيَانُهُ-أي القرآن-إِمَّا فِيهِ فِي آيَةٍ أُخْرَى أَوْ فِي السُّنَّةِ؛ لِأَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ لِلْبَيَانِ"[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله: "فكما بلغ الرسول ألفاظ القرآن للأمة بلغهم معانيه، بل كانت عنايته بتبليغ معانيه أعظم من مجرد تبليغ ألفاظه"[٤].

وبعد أن ذكر الباحث بعض أقوال العلماء، نخلص إلى أن أكثر أهل العلم متفقون على أن الله ﷻ جعل إلى رسوله ﷺ بيان القرآن الكريم؛ لأن مهمته ﷺ التبليغ للقرآن والبيان لما فيه، فلا تقتصر رسالته على البلاغ فقط، بل لا بد من التبليغ والبيان؛ إذ البيان هو التطبيق العملي للآيات القرآنية[٥].

ثانيًا: أن الرسول ﷺ أعلم الناس بمراد الله تعالى.

من الأمور المعلومة بالاضطرار أن الرسول ﷺ أعلم الناس بمراد الله ﷻ في كتابه، إذ هو صاحب هذا الكتاب، الذي أحلّه الله محل المفسر والمبين لما تضمنه

---

(١) المجروحين، ابن حبان، (٢/٢٥٥).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٢/١٨٤).

(٤) الصواعق المرسلة، (٢/٦٣٦).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١/٢)، السنة، المروزي، ص٣٥، تعليق أحمد شاكر على الرسالة للشافعي، ص٣٣، شبهات المشككين، د. محمود زقزوق، ص١٧، معالم على طريق السنة، د. أحمد عمر هاشم، ص١٢، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية، (١/٦٦).

القرآن، وزاد من فضله عليه أن خصه بعلم تأويله[1]، وأذن له أن يبين ما فيه من الآيات والأحكام، فإنه قد أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أعطي من الوحي الظاهر المتلو[2]، قال ابن كثير -رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ مِنْ رَبِّهِمْ، أَيْ: لِعِلْمِكَ بِمَعْنَى مَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ، وَحِرْصِكَ عَلَيْهِ، وَاتِّبَاعِكَ لَهُ، وَلِعِلْمِنَا بِأَنَّكَ أَفْضَلُ الْخَلَائِقِ وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، فَتُفَصِّلُ لَهُمْ مَا أُجْمِلَ، وَتُبَيِّنَ لَهُمْ مَا أُشْكِلَ"[3].

ومما ينبغي أن يعلم أن الرسول ﷺ متاز برجحان العقل، وصفاء القريحة، وصدق الفراسة، وقوة الذاكرة، وفصاحة اللسان، فاق فيها جميع الخلق[4]، قال البقاعي[5] -رحمه الله- عند قوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ كافة بما أعطاك الله من

(١) ينظر: جامع البيان، (٨٨/١)، وشفاء العليل، ص٣.

(٢) ينظر: معالم السنن، الخطابي، (٢٩٨/٤)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٣٨/١)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، (٢٣١/١٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم، (٥٧٤/٤).

(٤) ينظر: الشريعة، الآجري، (١٥١٦/٣)، حلية الأولياء، أبو نعيم، (٢٦/٤)، أعلام النبوة، الماوردي، ص٢١٧، الخصائص الكبرى، السيوطي، (١١٤/١)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد الصالحي، (٣/٧).

(٥) إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مفسر، أديب، مؤرخ. ولد سنة (٨٠٩هـ) أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق، سنة (٨٨٥هـ). له مصنفات، منها: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، القول المفيد في أصول التجويد لكتاب ربنا المجيد، وغيرها. ينظر: الضوء اللامع، (١٠١/١)، البدر الطالع، (١٨/١)، طبقات المفسرين، ص٣٤٧.

الفهم الذي فقت فيه جميع الخلق، واللسان الذي هو أعظم الألسنة وأفصحها، وقد أوصلك الله فيه إلى رتبة لم يصل إليها أحد"[١].

ولقد عرف أهل العلم من السلف والخلف تلك المترلة للرسول ﷺ ولسنته في توضيح القرآن وبيان معانيه، مما جعلهم يرفضون أي محاولة للتشكيك أو الطعن فيها، وسد الباب على الطاعنين بأي وجه كان، فقد روي أن سَعِيدَ بن جُبَيْرٍ حَدَّثَ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ كَذَا وَكَذَا، فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: (أَلَا أَرَاكَ تُعَارِضُ كِتَابَ اللَّهِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْكَ)[٢].

وقال رجل عند مطرف بن عبد الله[٣]: لا تحدثونا إلا بما في القرآن، فقال مطرف: إنا والله ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكنا نريد من هو أعلم بالقرآن منا[٤].

قال ابن جرير[٥]: "فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مَعَ قَوْلِهِ الَّذِي يَصِحُّ عَنْهُ قَوْلٌ"[٦].

وقال ابن عبد البر[٧] في تقريره لأحد المسائل التي استدل لها بالحديث

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم البقاعي، (١١/١٦٨).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، (١/٢٠٠).

(٣) سبق التعريف به.

(٤) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، (٢/١١٩٣)، العلم، زهير بن حرب، ص٢٥، مفتاح الجنة، ص٣٦.

(٥) سبق التعريف به.

(٦) جامع البيان، (٢١/٢٠).

(٧) سبق التعريف به.

النبوي: " فَأَيُّ شَيْءٍ يُعَارَضُ بِهِ هَذَا؟ هَلْ يُعَارَضُ إِلَّا بِمِثْلِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي هُوَ الْمُبَيِّنُ عَنِ اللَّهِ مُرَادَهُ مِنْ كِتَابِهِ، وَلَا شَيْءَ عَنْهُ عليه السلام يَدْفَعُ ذَلِكَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِ قَوْلِ اللَّهِ عز وجل"(١).

وقال ابن عثيمين(٢): "ومن المعلوم أنَّ بيان الرسول ﷺ للقرآن يجب علينا أن نرجع إليه؛ لأنه أعلم الخلق بكلام الله رسولُ الله ﷺ "(٣).

قال د. مصطفى مسلم: "فمن البدهي أن يكون الرسول ﷺ وهو الذي أنزل عليه القرآن—أعلم الناس بأسرار الكتاب الذي أنزل عليه، وعلى دراية تامة بأساليب الخطاب الذي يخاطب به هو والمكلفون معه"(٤).

وثَمَّ أمرٌ آخر، وهو أن المفسر كلما كان عالمًا بالسنة النبوية، ومتوسعًا في حفظها وفهمها، فإن تلك الملكة العلمية تجعله أقدر وأجدر على معرفة تفسير القرآن، واستنباط المعاني والأحكام ممن هو جاهل بها، قال عُمَر بن اَلْخَطَّاب رضي الله عنه: (سَيَأْتِي قَوْمٌ يَأْخُذُونَكُمْ بِمُتَشَابِهِ اَلْقُرْآنِ فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ؛ فَإِنَّ أَصْحَابَ اَلسُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اَللَّهِ تعالى)(٥)، من غيرهم؛ لأنهم جمعوا بين معرفة الكتاب

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، (١٩/١٥١).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ابن عثيمين، (٣/٣٢٠)، وينظر: تفسير ابن عثيمين (الفاتحة والبقرة)، (٣/١٧٨).

(٤) مناهج المفسرين، د. مصطفى مسلم، ص٢٧.

(٥) أصول السنة، ابن أبي زمنين، ص٥٠، ذم الكلام وأهله، (٢/٣٢)، الانتصار لأصحاب الحديث، أبو المظفر السمعاني، ص٦.

والسنة، بخلاف من اقتصر على معرفة أحدهما دون الآخر، فَمَنْ تتبع السُّنَن وحفظهَا وأحكمها، فقد عرف تَفْسِير كَلَام الله تعالى[١].

قال الألباني: "وعليه فمن البدهي أن المرء كلما كان عالمًا بالسنة كان أحرى بفهم القرآن، واستنباط الأحكام منه ممن هو جاهل بها، فكيف بمن هو غير معتد بها ولا ملتفت إليها أصلاً؟ "[٢].

ثالثًا: أن ما ورد عن النبي ﷺ من تفسير هو وحي من الله محفوظ.

سبق أن بيّن الباحث في المبحث السابق أن السنة النبوية وحي من الله محفوظ، ولأن ما ورد عن النبي ﷺ من تفسير إنما هو جزء من السنة النبوية فيدخل في ذلك، ولا داعي لمزيد إيضاح؛ فإن الكلام قد فصل في المبحث السابق فليراجع.

رابعًا: الابتعاد عن تفسير القرآن بالسنة سبب ضلال كثير من الناس في تفسيرهم للقرآن.

إن السنة النبوية حين يرجع إليها المفسر في تفسيره لكلام الباري ﷻ فإنها تعصمه من الزلل والعبث في تفسير القرآن الكريم، وهي تضبط مساره، وتنير دربه، وتسهل له الوصول إلى ما يريد من فهم كتاب الله – تعالى- الفهم الصحيح المنبثق عن أصح مصادر التفسير، وتسهل له الوصول إلى منابع أسرار القرآن، ومطالع أنواره، وهذا السير المنضبط للمفسر يخرجه من التيه الذي وقع

---

(١) ينظر: المجروحين، ابن حبان، (٢/٢٥٥)، شرح شفا القاضي عياض، الملا علي القاري، (٢/٢٧).

(٢) منزلة السنة في الإسلام وأنه لا يستغنى عنها بالقرآن، الألباني، ص١٥.

فيه كثير ممن تنكر للسنة النبوية، وحادوا عن طريقها وتنكبوا لمسالكها في فهم القرآن الكريم، فمن المقرر عند العلماء أنَّ من لم تكن أصوله منضبطة ضبطًا صحيحًا تجده متخبطًا، تائها في بيداء الضلالة والغواية(١).

ولما كان إقصاء السنة أو التغافل عنها فتحًا لباب ضلال في تفسير القرآن، فإن علماء الإسلام-رحمهم الله- قد بينوا الطريق السليم للتعامل مع كتاب الله الكريم، حيث جعلوا السنة أساسًا في تفسير القرآن، وبالغوا في التحذير من ترك السنة، وجعلوا أعظم أسباب الانحراف في فهم كتاب الله تعالى، هو الترك للسنة، فمتى أغفل المفسر ما ورد في السنة من بيان للقرآن وقع في الخطأ والضلال(٢)، والخروج عن هذا المصدر في معرفة كتاب الله، والتماس تفسيره في غيره ضلال بيّن؛ لأن النبي ﷺ أرشد أمته إلى الطريق العاصمة عن الضلال، إن تمسكوا بها، بقوله ﷺ: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا، كتاب الله وسنتي)(٣). فـ"الواجب على المسلمين جميعًا أن لا يفرقوا بين القرآن

---

(١) ينظر في بيان ذلك: التفسير والمفسرون، د. الذهبي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي، أسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب، الاتجاهات المنحرفة في التفسير، د. عادل الشدي، الانحراف الفكري في التفسير المعاصر، يحيى شطناوي، تحريف معاني الألفاظ القرآنية، عميرة الرشيدي، وظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، د. خالد السيف، وغيرها.

(٢) ينظر: حجة الله البالغة، الدهلوي، (٢٨٧/١)، إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، مرجع سابق، ص٧٧، الأقوال الشاذة في التفسير، د. عبد الرحمن الدهش، ص١٠٣، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د. صلاح الخالدي، ص١٧٣.

(٣) من حديث أبي هريرة ﷺ، رواه مالك بلاغًا في الموطأ، برقم، (٣)، (٨٩٩/٢)، وهو في مسـند =

والسنة من حيث وجوب الأخذ بهما كليهما، وإقامة التشريع عليهما معًا؛ فإن هذا هو الضمان لهم أن لا يميلوا يميناً ويسارًا، وأن لا يرجعوا القهقرى ضلالاً، كما أفصح عن هذا رسول الله ﷺ"(١).

ومن اطلع على تفاسير أئمة العلم(٢)، يجد أن تفاسيرهم قد استفاضت بهذا المنهج- أي: الاعتماد على السنة في تفسير القرآن- واشتهر عنهم ذلك، وكثرت أقوالهم وعباراتهم في بيان هذا الأصل وتقريره، فمن أقوال أئمة العلم في ذلك:

قال ابن جرير الطبري: "فَإِنَّ اتِّبَاعَ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْلَى بِنَا مِنْ غَيْرِهِ"(٣).

وقال ابن العربي(٤): "والنصُّ قاطع بالمراد، قاطع بمن أراد التكليف والعناد، وبعد تفسير النبي ﷺ فلا تفسير، وليس للمعترض إلى غيره إلا النكير، وقد كان يمكن لولا تفسير النبي ﷺ أن أحرِّرَ في ذلك مقالاً وجيزًا، وأسبك من سنام

= البزار، برقم، (٨٩٩٣)، (١٥/٣٨٥)، المستدرك على الصحيحين، برقم، (٣١٩)، (١/١٧٣)، السنن الكبرى، البيهقي، برقم، (٢٠٣٣٧)، (١٠/١٩٥)، سنن الدار قطني، برقم، (٤٦٠٦)، (٥/٤٤)، والحديث صححه الشيخ الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم، (٢٩٣٧)، (١/٥٦٦)، مشكاة المصابيح، برقم، (١٨٦)، (١/٦٦).

(١) منزلة السنة في الإسلام، الألباني، ص١٧.

(٢) مثل: عبد الرزاق الصنعاني، وابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وابن كثير، والسيوطي، وغيرهم.

(٣) جامع البيان، (٤/١٣٢).

(٤) سبق التعريف به.

المعارف إبريزًا، إلا أنَّ الجوهر الأغلى من عند النبي ﷺ أولى وأعلى"(١).

قال الشاطبي: "لا ينبغي في الاستنباط من القرآن الاقتصار عليه، دون النظر في شرحه وبيانه وهو السنة؛ لأنه إذا كان كليًا وفيه أمور كلية، كما في شأن الصلاة والزكاة والحج والصوم ونحوها، فلا محيص عن النظر في بيانه"(٢). واعتبر-رحمه الله- الذين يقتصرون على القرآن الكريم دون السنة النبوية "قوماً لا خلاق لهم خارجين عن السنة"(٣).

ومن هذا يعلم، أن السنة النبوية قاعدة قوية لفهم النص القرآني، وسياج واق من دخول الأفكار البشرية المنحرفة في تفسير نصوصه، والتأويلات الوضعية في فهم دلالاته، "وهذه المرجعية لا تشكل محاصرة للنص القرآني، والحيلولة دون امتداده، وتحقيق خلوده، بقدر ما تعني ضبطًا منهجيًا، ومرجعيًا، يحول دون التحريف؛ لذلك فإن أي فهم واجتهاد من البشر له أن يمتد ويمتد، ويبصر ويبصر، ويبلغ من المعاني والدلالات والآفاق ما يبلغ، بحسب تطور الزمان، وتقدم الحياة الاجتماعية والحضارية، شريطة ألا يعود ذلك بالنقض، أو الإلغاء للمرجعية، من بيان السنة وفهم خير القرون"(٤).

ونجد أن سبب ضلال هؤلاء القرآنيين(٥) وسلفهم من الخوارج والفرق

---

(١) أحكام القرآن، (٣/١١٣).

(٢) الموافقات، (٤/١٨٣).

(٣) المرجع السابق، (٤/٣٢٠٥).

(٤) الثقافة المطلوبة حتي نكون في مستوى إسلامنا، عمر عبيد حسنه، ص٣٣، ٣٤.

(٥) بوب الشيخ الألباني بابًا، فقال: ضلال المستغنين بالقرآن عن السنة. السنة ومترلتها في الإسلام، ص١٢.

المنحرفة إنما كان بسبب ابتعادهم عن السنة، وتفسيرهم للقرآن بمعزل عنها، قال محمد السايس: "وقد ضل أقوام وأضلوا؛ لأنهم طرحوا سنة الرسول ونبذوها، وقالوا: في كتاب الله تبيانًا لكل شيء، فما حاجتنا بالسنة؟ وظنوا خطأ أن نظرهم المجرد يكفيهم في الوصول إلى مقاصده، وهذا ما أوقع الرافضة والجهمية والخوارج في مخالفة أهل الإجماع"(١).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "يجيء قوم يتركون من السنة مثل هذا —يعني: الأصبع– فإن تركتموهم جاءوا بالطامة الكبرى، وإنه لم يكن أهل كتاب قط إلا كان أول ما يتركون (السنة) وإن آخر ما يتركون الصلاة، ولولا أنهم يستحيون لتركوا الصلاة"(٢).

قال أبو حنيفة: "إياكم والقولَ في دين الله بالرأي، وعليكم باتباع السنة، فمن خرج عنها ضل"(٣).

وقال الشاطبي: "إن السنة– كَمَا تَبَيَّنَ– توضح المجمل، وتقيد المطلق، وتخصص العموم، فتخرجُ كثيرًا من الصيغ القرآنيةِ عن ظاهر مفهومها في أصل اللغة، وتَعْلَمُ بذلك أن بيان السنة هو مراد الله—تعالى–من تلك الصيغِ، فإذا طُرِحتْ واتُّبعَ ظاهرُ الصيغِ بمجرد الهوى؛ صار صاحب هذا النظر ضالاً في نظره، جاهلاً بالكتاب خابطًا في عمياء لا يهتدي إلى الصواب فيها؛ إذ ليس

---

(١) تاريخ الفقه الإسلامي، السايس، ص٣٦.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، (١/١٠٣).

(٣) المستخرج على مستدرك الحاكم، زين الدين العراقي، ص١٥، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ص٥٢.

للعقول من إدراك المنافع والمضارِّ في التصرفات الدنيوية إلا النزر اليسير، وهي في الأخرويَّة أبعدُ على الجملة والتفصيل"[(١)].

ومن خلال العرض السابق يتبين أن معرفة المفسر للسنة النبوية شرط أساسي، وأصل لازم؛ لأن من أراد التفسير وهو لا يعرف ما أثر عن النبيﷺ فإنه-ولا ريب- يجانب الصواب، ويقع في الزلل، ويأتي بما يخالف أئمة أهل العلم من المفسرين، بل ويصادم ما ورد عن المعصوم ﷺ، قال د. صلاح الخالدي: "إن أهم الخطوات المنهجية للتفسير هي تفسير القرآن بالقرآن، وتليها في الأهمية تفسيره بالسنة الصحيحة، وكل مفسر لم ينطلق من هاتين الخطوتين، ولم يلتزم بهاتين المرحلتين، يكون منهجه في التفسير مطعونًا فيه، ويكون في تفسيره أخطاء منهجية، تنتج عنها أخطاء عديدة"[(٢)].

خامسًا: إجماع الأمة على قبول تفسير القرآن بالسنة والتسليم له.

أجمع علماء الإسلام قديمًا وحديثًا على تلقي تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية بالقبول؛ فهو المعين الصافي لتفسير كتاب الله، وهو مما توفرت الأدلة على صحته؛ لكونه مما روي عن النبي ﷺ أو مما استنبط من سننه، وهذا لا يمكن لأحدٍ إغفاله أو إهماله، فهو عمدة في تفسير القرآن، والطريق المهيع لاستنباط أحكامه، وقد أرشد أعلام الأمة إلى هذا النوع من التفسير، وجعلوه أصح الطرق وأوثقها[(٣)]، وتلقوه بالقبول وأولوه اهتمامهم، وجعلوه العمدة في

(١) الموافقات، (٤/٣٣٤).

(٢) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص١٤٧.

(٣) ينظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص٣٩، تفسير ابن كثير، (١/٧).

تفاسيرهم، فقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية إجماع الصحابة والتابعين على أن السنة تفسر القرآن، فقال: "وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة الدين على أن السنة تفسر القرآن وتبينه، وتدل عليه وتعبر عن مجمله"(١).

وقال رحمه الله: "ومما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم"(٢).

وقال ابن الوزير اليمني: "التفسير النبوي، وهو مقبول بالنص والإجماع"(٣).

وقال ابن جزي(٤): "إنه ورد عن النبي ﷺ كثير من تفسير القرآن فيجب معرفته؛ لأنّ قوله عليه السلام مقدم على أقوال الناس"(٥).

وقال أبو بكر النقاش(٦): "السنة حجة قاطعة مع الكتاب، وأن لا حجة إلا في كتاب أو سنة مأثورة، وكل دعوى بعد هذا لا يجب قبولها، ولا العمل

---

(١) مجموع الفتاوى، (١٧/٤٣٢).

(٢) مجموع الفتاوى، (٧/٢٨٦).

(٣) إيثار الحق على الخلق، ص١٥٢.

(٤) سبق التعريف به.

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١/١٧).

(٦) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقاش، عالم بالقرآن، والقراءات، والتفسير. أصله من الموصل، ومنشؤه ببغداد. ولد سنة (٢٦٦هـ)، وتوفي سنة (٣٥١هـ)، رحل رحلة طويلة. له مصنفات، منها: شفاء الصدور في التفسير، والإشارة في غريب القرآن، والموضح في القرآن ومعانيه. ينظر: سير أعلام النبلاء، (١٥/٥٧٤)، معرفة القراء الكبار، ص١٦٧، غاية النهاية في طبقات القراء، (٢/١١٩)، طبقات المفسرين، السيوطي، ص٨٠.

بها"[١].

وقال الشوكاني: "فإن ما كان من التَّفْسِيرِ ثَابِتًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كان المصير إليه متعينًا، وتقديمه متحتمًا"[٢].

وقال الشنقيطي: " وَخَيْرُ مَا يُفَسَّرُ بِهِ الْقُرْآنُ بَعْدَ الْقُرْآنِ سُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ"[٣].

وقال الألباني: "ولذلك كان من القواعد المتفق عليها بين أهل العلم: أن يفسر القرآن بالقرآن والسنة"[٤].

وبعد هذا، نعلم أن المفسرين-رحمهم الله تعالى- قد أجمعوا على قبول تفسير القرآن بالسنة النبوية، وجعل السنة النبوية أصلاً من أصولهم، ساروا عليه، ودليل ذلك: أن الناظر في تفاسيرهم يلحظ بدون جهد ولا عناء اهتمامهم بهذا الأصل، وبالأخص من كان التفسير بالآثار عمدته.

سادسًا: تفسير القرآن بالسنة من أحسن طرق التفسير وأصحها.

عُني أئمة العلم من المفسرين وغيرهم عناية واضحة بالتأكيد على أهمية السنة النبوية في التفسير، وأصالتها ورسوخ مرجعيتها في تفسير القرآن الكريم، ويرجع ذلك لمعرفتهم أنها من أحسن الطرق وأصحها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَحْسَنُ طُرُقِ التَّفْسِيرِ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ أَصَحَّ الطُّرُقِ فِي

(١) أبو بكر النقاش ومنهجه في تفسير القرآن الكريم، رسالة ماجستير، علي إبراهيم الناجم، ص٣٤٤.

(٢) فتح القدير، (١/١٤).

(٣) أضواء البيان، (٥/١١٣).

(٤) منزلة السنة في الإسلام، مرجع سابق، ص١٥.

ذَلِكَ أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ؛ فَمَا أُجْمِلَ فِي مَكَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ فُسِّرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَمَا اُخْتُصِرَ مِنْ مَكَانٍ فَقَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، فَإِنْ أَعْيَاك ذَلِكَ فَعَلَيْك بِالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّهَا شَارِحَةٌ لِلْقُرْآنِ وَمُوَضِّحَةٌ لَهُ "(١).

وقال ابن أبي حاتم الرازي(٢) رحمه الله: " فإن قيل: كيف السبيل إلى معرفة ما ذكرت من معاني كتاب الله ﷻ ومعالم دينه؟ قيل: بالآثار الصحيحة عن رسول الله ﷺ"(٣).

وقال الزركشي: "لطالب التَّفْسِيرِ مَآخِذُ كَثِيرَةٌ أُمَّهَاتُهَا أَرْبَعَةٌ: الْأَوَّلُ: النَّقْلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهَذَا هُوَ الطِّرَازُ الْأَوَّلُ"(٤).

وقال ابن القيم: "وَإِنَّمَا يَحْسُنُ الِاسْتِدْلَالُ عَلَى مَعَانِي الْقُرْآنِ بِمَا رَوَاهُ الثِّقَاتُ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ يُتْبِعُونَ ذَلِكَ بِمَا قَالَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ أَئِمَّةُ الْهُدَى، وَهَلْ يَخْفَى عَلَى ذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ أَنَّ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ بِهَذِهِ الطَّرِيقِ خَيْرٌ مِمَّا هُوَ مَأْخُوذٌ عَنْ أَئِمَّةِ الضَّلَالِ وَشُيُوخِ التَّجَهُّمِ وَالِاعْتِزَالِ.....الَّذِينَ أَحْدَثُوا فِي الْإِسْلَامِ ضَلَالَاتٍ وَبِدَعًا، وَفَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا

(١) مقدمة في أصول التفسير، ص٣٩.

(٢) عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس الرازي، أَبو مُحَمَّد الإمام ابن الإمام الحافظ أَبو حاتم، رحل في طلب الحديث مع أبيه حتى أصبح من كبار حفاظ الحديث، كان مولده سنة (٢٤٠هـ)، وتوفي سنة (٣٢٧هـ)، له تصانيف، منها: الجرح والتعديل، التفسير، آداب الشافعي ومناقبه، وفضائل أَحْمَد. ينظر: طبقات الحنابلة، أبو يعلي، (٢/٥٥)، المقتنى في سرد الكنى، الذهبي، (٢/٥٧)، لسان الميزان، (٣/٤٣٢).

(٣) مقدمة الجرح والتعديل، (١/٢).

(٤) البرهان في علوم القرآن، (٢/١٥٦).

شَيْئًا"(١).

وقال الشنقيطي: "وَخَيْرُ مَا يُفَسَّرُ بِهِ الْقُرْآنُ بَعْدَ الْقُرْآنِ سُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ"(٢).

وعلى هذا الطريق سار أئمة التفسير، فنجد أن حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه طبق هذا المنهج في تفسيره للقرآن، فقد كان رضي الله عنه "إذا سئل عن الأمر فكان في القرآن أخبر به، وإن لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به، فإن لم يكن فعن أبي بكر وعمر، فإن لم يكن قال فيه برأيه"(٣)، وكذلك أئمة التفسير، كابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن كثير، وغيرهم، ومن أراد التعرف أكثر على ذلك، فهذه كتبهم شواهد صدق، ومنابر حق، طبقت ذلك المنهج أتم تطبيق، فرحم الله علماء أهل السنة رحمة واسعة.

وثمة أمرٌ آخر مهم لا يقل في أهميته عن سابقه، وهو كون تفسير القرآن بالسنة من أصح الطرق، فمن رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن الله جل جلاله هيأ لها سلف صدق حفظوا لها جميع ما تحتاج إليه من الأخبار في تفسير كتاب ربنا عز وجل وسنة نبينا ﷺ حيث اهتموا بالسنة اهتمامًا منقطع النظير، فسارعوا في تدوينها وحفظها، وتمييز الصحيح من الضعيف فيها، والتعريف برجال إسنادها، وتتبعوا أحوال الرواة التي تساعد على نقد أخبارهم، وقضوا على كل راوٍ بما يستحقه

(١) مختصر الصواعق المرسلة، ص ٥٣٢.

(٢) أضواء البيان، (٥/١١٣).

(٣) أثر صحيح، رواه عن ابن عباس رضي الله عنه عبيد الله بن أبي يزيد، سنن الدارمي، برقم، (١٦٨)، (١/٢٦٥)، مصنف ابن أبي شيبة، برقم، (٢٢٩٩٤)، (٤/٥٤٤)، كنز العمال، برقم، (١٦٢٣)، (١/٣٧٠).

من الاحتجاج وعدمه، وتنوعت أساليب عنايتهم بالسنة في كل عصر حسب الإمكانات والوسائل المتاحة، فوصلت إلينا صافية نقية، مبين صحيحها من سقيمها(١)، فكان تفسير القرآن بالسنة داخلاً ضمن ذلك الاهتمام، قال ابن أبي حاتم: "فإن قيل كيف السبيل إلى معرفة ما ذكرت من معاني كتاب الله ﷻ ومعالم دينه؟ قيل: بالآثار الصحيحة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه النجباء الألباء الذين شهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، رضي الله تعالى عنهم" (٢).

وقد نبه-رحمه الله- على ضرورة التمييز بين تلك الأحاديث، فقال: "فلما لم نجد سبيلاً إلى معرفة شيء من معاني كتاب الله، ولا من سنن رسول الله ﷺ إلا من جهة النقل والرواية وجب أن نميز بين عدول الناقلة والرواة، وثقاهم، وأهل الحفظ والثبت والإتقان منهم، وبين أهل الغفلة والوهم وسوء الحفظ والكذب واختراع الأحاديث الكاذبة"(٣).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كثيرًا من العلماء قد نبهوا كثيرًا في كلامهم على أهمية الاعتماد على الأحاديث الصحيحة في تفسير القرآن، والتحرز عن الموضوع والضعيف، قال ابن الوزير اليمني: "وَأَصَح التَّفْسِير، تَفْسِير الْقُرْآن بِالْقُرْآنِ، ثُمَّ بِالْحَدِيثِ فاذا اجْتمعَا وَكثُرت الْأَحَادِيث، وَصحت كَانَ ذَلِك نورا

---

(١) ينظر: مقدمة عبد الرحمن المعلمي لكتاب الجرح والتعديل، (١/٢)، تدوين السنة نشأته وتطوره، د. محمد الزهراني، ص٢٥، كتابة السنة النبوية في عهد النبي ﷺ والصحابة وأثرها في حفظ السنة، د. أحمد عمر هاشم، ص١٥، توثيق السنة في القرن الثاني الهجري، رفعت عبد المطلب، ص٤٣.

(٢) مقدمة كتاب الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، (١/٢).

(٣) المرجع السابق، (١/٢).

عَلى نور يهدي الله لنوره من يَشَاء"[١].

وقال ابن حجر العسقلاني[٢]: "وأما التفسير، فإن أولى ما فسر به كلام الله تعالى، ما ثبت عن النبي ﷺ ويحتاج الناظر في ذلك إلى معرفة ما ثبت مما لم يثبت"[٣].

وقال السيوطي: "وأما التفسير، فلأن أولى ما فسر به كلام الله-تعالى- ما ثبت عن نبيه ﷺ وأصحابه، وذلك يتوقف على معرفة ما ثبت مما لم يثبت "[٤].

وقال الشوكاني: "فإن ما كان من التَّفْسِيرِ ثَابِتًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كان المصير إليه متعينا، وتقديمه متحتمًا، غير أن الذي صحّ عنه من ذلك إنما هو تفسير آيات قليلة بالنسبة إلى جميع القرآن، ولا يختلف في مثل ذلك من أئمة هذا الشأن اثنان"[٥].

ومما سبق، يتبين أن تفسير القرآن بالسنة النبوية من أحسن الطرق وأصحها في تفسير القرآن الكريم، فينبغي على المفسر ألا يعدل عنها وينتقل إلى ما بعدها من الأصول إلا في حالة عدم وجود ما يريده في بيان الآية من أقوال المصطفى ﷺ.

---

(١) إيثار الحق على الخلق، ص٢٥٤.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) النكت على كتاب ابن الصلاح، ابن حجر، (٢٢٧/١).

(٤) تدريب الراوي، (٥٩/١).

(٥) فتح القدير، (١٤/١).

سابعًا: أن القرآن الكريم لا يمكن أن يستغني عن بيان السنة النبوية.

تعتبر السنة النبوية مفتاح الكتاب العزيز، والنبراس الذي يهتدى به إلى كشف حقائقه، والوقوف على دقائقه، وهي الركن الركين الذي لا يقوم التفسير بدونه؛ لأن"من القرآن الكريم ما لا يمكن تحقيق معناه، أو إدراك أبعاد كُلِيهِ، أو تفصيل مجمله، أو كيفية أداء تكاليفه على الوجه المراد منه إلا توقيفًا ووحيًا، بما اختص به الله-تعالى- رسوله ببيانه، ولم يتركه لتعدد النظر الاجتهادي التفسيري، وهذا بالإجماع"(١).

ونلحظ في تفاسير علماء السلف إلحاحًا مستمرًا على ضرورة العودة إلى السنة النبوية، وما ورد فيها من الأحاديث لبيان القرآن، والاعتماد عليها، وعدم الاستغناء عنها؛ كونها عمدة في التفسير، وهذا ما صرح به شيخ المفسرين، ابن جرير، حيث قال: "فقد تبين ببيان الله -جل ذكره- أن مِمَّا أنزل الله من القرآن، على نبيه ﷺ ما لا يُوصلُ إلى علمِ تأويله، إلا ببيان الرسول ﷺ وذلك تأويل جميع ما فيه: من وجوه أمره- واجبه، وندبه، وإرشاده- وصنوفِ نهيه، ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغِ فرائضهِ، ومقادير اللازم بعضَ خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آيهِ، التي لم يُدرَك علمُها إلا ببيان رسول الله ﷺ لأمَّته.

وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه، إلا ببيان رسول الله ﷺ بتأويله، بنصٍّ منه عليه، أو بدلالةٍ قد نصبها دالة أمَّتهُ على تأويله"(٢).

---

(١) دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، د. فتحي الدريني، المقدمة، ص- هـ.

(٢) جامع البيان، (١/٦٨).

وعرف كثير من العلماء أهمية السنة، وأن القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن، وعليه، فإن تفسير القرآن لا يمكن أن يستغني عنها، إذ لولا بيان السنة للقرآن ما عرفنا كثيرًا من الأحكام كأعداد الصلوات، والركعات، ومقادير الزكوات، ومناسك الحج، وشعائر الإسلام، وغيرها، وتأتي خطورة هذا الأمر-أيضًا-من أننا إذا أهملنا الأحاديث والسنن فسيؤدي ذلك ولا ريب إلى استعجام كثير من القرآن على الأمة وعدم معرفة المراد منه، وإذا أهملت الأحاديث واستعجم القرآن فقل على الإسلام العفاء! [1].

إلى غير ذلك من الأقوال التي تدل على أن السنة لا يمكن أن يستغني عنها في تفسير القرآن الكريم.

ومن هذا المنطلق، تتجلى العلاقة التكاملية بين الأصلين الشريفين، وأنه لا يمكن أن يستغنى أحدهما عن الآخر في أمور، نلخصها فيما يأتي:

الأول: يسهم علم أسباب الترول في فهم الآيات القرآنية، وإزالة الإشكالات التي قد تنشأ عند بعض الناس من فهم غير سديد لآيات القرآن فيفهم منها ما لا يُفهم، ويظن فيها ما لا يُظن، وعند ذلك يتوقف فهم بعض الآيات على معرفة سبب نزولها[2]، ولذا قال ابن تيمية: "ومعرفة سبب الترول

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١/٣٩)، جامع بيان العلم وفضله، (٢/١١٩٤)، الكفاية في علم الرواية، ص١٤، دفاع عن السنة، أبو شهبة، ص١٥، منهج الدفاع عن السنة، د. أحمد عمر هاشم، ص١٦٦، مكانة السنة في الإسلام، محمد أبو زهو، ص٥.

(٢) ينظر: المحرر في أسباب الترول، د. خالد المزيني، (١/٢٢)، تسهيل الوصول إلى علم أسباب الترول، خالد العك، ص٨.

يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[(١)].

وقال ابن دقيق العيد[(٢)]: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"[(٣)].

وعلى نفس المنوال يرى الواحدي[(٤)]، أهمية معرفة أسباب النزول، فيقول: "وأولى ما تصرف العناية إليها -أي: أسباب النزول- لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها، وبيان نزولها"[(٥)].

والقول في أسباب النزول يتوقف على الرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب[(٦)]، ولا يكون ذلك إلا من طريق السنة النبوية، ومثال

---

(١) مجموع الفتاوى، (١٣/٣٣٩).

(٢) محمد بن علي بن وهب، تقي الدين، ابن دقيق العيد، أبو الفتح القشيري، المنفلوطي، الشافعي، كان فقيهًا، مجتهدًا، محدثًا، ولد سنة (٦٢٥هـ)، وتوفي، سنة (٧٠٢هـ)، له تصانيف، منها: إحكام الأحكام، الإلمام، شرح الإلمام، وغيرها. ينظر: المعين في طبقات المحدثين، ص٢٢٥، أعيان العصر وأعوان النصر، الصفدي (٤/٥٨٦)، طبقات الشافعية الكبرى، (٩/٢٠٧)، الرد الوافر، ابن ناصر الدين، ص٥٨.

(٣) العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر، (١/٩٤)، الإتقان في علوم القرآن، (١/١٠٨).

(٤) علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية، أبو الحسن الواحدي: المفسر، النحوي، اللغوي، توفي بنيسابور، سنة (٤٦٨هـ)، كان له معرفة بفنون من العلم. وله مصنفات كثيرة شهيرة، منها: البسيط، والوسيط، والوجيز، كلها في التفسير، وشرح ديوان المتنبي، وأسباب النزول، وغيرها. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، (١/ ٥٢٣)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص٢٠٠، طبقات المفسرين، السيوطي، ص٧٨، طبقات المفسرين، الداوودي، (١/ ٣٩٤).

(٥) أسباب النزول، الواحدي، ص٨.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ص٨.

ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة: ١٥٨] نجد في ظاهر الآية أنها تنفي الجناح عمن لا يطوف بالصفا والمروة، وهو ما فهمه عروة بن الزبير[1] رحمه الله، ولكن الحديث (سبب النزول) بين معنى الآية، فقد ورد أن عُرْوَة قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ -رضى الله عنها- فَقُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، فَوَ اللَّهِ مَا عَلَى أَحَدٍ جُنَاحٌ أَنْ لاَ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، قَالَتْ: بِئْسَ مَا قُلْتَ يَا ابْنَ أُخْتِي، إِنَّ هَذِهِ لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوَّلْتَهَا عَلَيْهِ، كَانَتْ: لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لاَ يَتَطَوَّفَ بِهِمَا، وَلَكِنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي الأَنْصَارِ، كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ الطَّاغِيَةِ، الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ المُشَلَّلِ، فَكَانَ مَنْ أَهَلَّ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا نَتَحَرَّجُ أَنْ نَطُوفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا)[2].

الثاني: أنه ورد في القرآن الكريم آيات مجملة، ولا طريق لبيان إجمالها إلا عن طريق السنة النبوية، قال الإمام الشافعي: "ومنه ما أحكم الله فرضه بكتابه، وبين كيف هو على لسان نبيه، مثل عدد الصلاة والزكاة، وغير ذلك من فرائضه التي

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) الحديث رواه البخاري، برقم، (١٦٤٣)، (٢/١٥٧).

أنزل في كتابه"(١)، فالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، لفظ مجمل، لا نستطيع من خلاله معرفة كيفية الصلاة، وأوقاتها، وعدد ركعاتها، وما هي شروطها، وماهي سننها، وما هي مبطلاتها، فبين ﷺ الإجمال الكائن في لفظ الآية؛ حيثُ صَلَّى ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)(٢)، وَحَجَّ، وَقَالَ لَهُمْ: (لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ)(٣)، مبينًا بفعله ﷺ وقوله المقصود من لفظ الحج في قوله تعالي: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. فهذه العبادات لو عمل بها على إجمالها الوارد في القرآن لما عرفنا أكثر الأحكام، ولم نعرف أعداد الصلوات، ولا عرفنا كيف نؤدي الزكاة، ولا كيف نحج البيت، فبينت السنة ذلك المجمل.

الثالث: وهو أن تأتي اللفظة في القرآن عامة، ولا سبيل لتخصيص ذلك العموم إلا عن طريق السنة، حيث تأتي السنة وتخصص ذلك العموم، وتبين ما لم يُرَدْ بلفظ العام(٤)، فإذا تحققنا أن الرسول ﷺ قال قولاً مخصصًا لعام الكتاب أو مقيدًا لمطلقه، كان ذلك دليلاً على أن مراد الكتاب ما وراء ما خصه الرسول

---

(١) الرسالة، ص٢١.

(٢) صحيح البخاري، برقم، (٦٣١)، (١/١٢٨).

(٣) صحيح مسلم، برقم، (١٢٩٧)، (٢/٩٤٣).

(٤) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، (٢/٣٩٢)، أصول الفقه، محمد الخضري، ص١٧٤.

ﷺ(١)، وقد ذكر العلماء لهذا الوجه أمثلة كثيرة، منها: أن الله أمر أن يرث الأولادُ الآباءَ أو الأمهات كم جاء مبينًا في قوله تَعَالَى:﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ . . . . ﴾ [النساء: ١١]، "فدلَّتْ السنة على أن الله إنما أراد مِمَّنْ سَمَّى له المواريثَ، من الإخوة والأخواتِ، والولد والأقارب، والوالدَيْنِ والأزواج، وجَمِيع مَنْ سَمَّى له فريضةً في كتابه، خاصًّا مِمَنْ سمى. وذلك أن يجتمع دينُ الوارثِ والمَوْروث، فلا يختلفان، ويكونان مِن أهْل دار المسلمين، ومن له عَقْدٌ من المسلمين يَأْمَنُ به على ماله ودَمِه، أو يكونان من المُشْركين، فيَتَوَارَثان بالشِّرْك. . . . . عن أسامة بن زيد، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: (لاَ يَرِثُ المُسْلِمُ الكَافِرَ، وَلاَ الكَافِرُ المُسْلِمَ)(٢)(٣).

الرابع: أن يأتي الأمر في القرآن الكريم مطلقًا، ولا سبيل لتقييده إلا السنة النبوية، ومثاله، قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحج: ٢٩]، فالطواف في الآية مطلق قيدته السنة النبوية، وبينت عدد الطواف وكيفيته، فقد جاء في الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ حِينَ قَدِمَ مَكَّةَ طَافَ بِالبَيْتِ سَبْعًا، فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، فَصَلَّى خَلْفَ المَقَامِ، ثُمَّ أَتَى الحَجَرَ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ قَالَ: (نَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ)، فَبَدَأَ بِالصَّفَا، وَقَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨](٤).

(١) أصول الفقه، الخضري، ص١٨٨.

(٢) الحديث أخرجه البخاري، برقم، (٦٧٦٤)، (١٥٦/٨)، ومسلم، برقم، (١٦١٤)، (١٢٢٣/٣).

(٣) الرسالة، ص١٦٧.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ، برقم، (٨٢٩)، (٣٧٢/١)، والترمذي في سننه، برقم، (٨٦٢)، =

الخامس: أن في القرآن آيات مشكلة، فتأتي السنة فتزيل ذلك الإشكال، ولا سبيل لإزالته إلا بالسنة، ومثاله: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، فالظلم في الآية عام؛ فهو نكرة جاءت في سياق النفي، فأشكل على الصحابة، فجاءت السنة فأزالت ذلك الإشكال وبينت المراد، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: لما نزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ، أَلاَ تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان: ١٣]"[١]، فبين الحديث النبوي أن المراد بالظلم هنا هو الشرك بالله-تعالى، وليس كل ما ينطبق عليه لفظ الظلم، فزال الإشكال عن الصحابة ﷺ.

السادس: جاءت أغلب قصص القرآن في نظمها على أسلوب الإيجاز، دون التفصيل، ليكون شبهها بالتذكير أقوى من شبهها بالقصص[٢]، ولا سبيل لمعرفتها إلا عن طريق النبي ﷺ فكان النبي ﷺ يفصل كثيرًا من تلك القصص، ومثال ذلك: كتفصيل قصة أصحاب الأخدود المشار لها في سورة البروج، قَالَ

=

(٢٠٧/٢)، والنسائي في سننه، برقم، (٢٩٦١)، (٢٣٥/٥)، وأبو داود في سننه، برقم (١٩٠٧)، (١٢٢/٢)، وغيرهم. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(١) صحيح البخاري، برقم، (٤٧٧٦)، (١١٤/٦)، وصحيح مسلم، برقم، (١٩٧)، (١١٤/١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، (٩٦/١)، القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام، د. أسامة محمد حمزة، ص١٦.

تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧)......الآيات﴾ [البروج: ٤ – ٧] فقد ذكر النبي ﷺ كثيرًا من تفصيلاتها في حديث مشهور(١).

السابع: توضيح المبهم، ويتناول أشياء كثيرة، منها: تعيين أقوام، ومثاله، قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾ [الفاتحة: ٧]، فعين الرسول ﷺ القوم بقوله: (إن المغضوب عليهم هم اليهود، وإن الضالين هم النصارى)(٢).

تعيين أماكن، ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)﴾ [الكوثر: ١]: فبين رسول الله ﷺ ذلك بقوله: (الكوثر نهر، أعطانيه ربي ﷻ في الجنة)(٣).

تعيين صلاة، ومثاله قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فبين ﷺ ذلك بقوله: (شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ)(٤).

---

(١) أخرج الحديث الإمام مسلم في صحيحه، من حديث صهيب الرومي ﷺ، برقم، (٧٧٠٣)، (٢٢٩/٨).

(٢) مسند الإمام أحمد، برقم، (١٩٤٠٠)، (٣٧٨/٤)، صحيح ابن حبان، برقم، (٧٢٠٦)، (١٨٣/١٦).

(٣) مسند الإمام أحمد، برقم، (١٢٠١٣)، (١٠٢/٣)، مصنف ابن أبي شيبة، برقم، (٣٥٢٣٢)، (١٤٤/١٣)، والحديث صحيح، صحيح وضعيف الجامع الصغير، برقم، (٤٦١٤)، (٨٤٦/٢).

(٤) صحيح مسلم، برقم، (٢٠٥)، (٤٣٧/١).

تعيين مواقف، ومثاله قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]: فبين ذلك المقام بقوله ﷺ: (هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ لِأُمَّتِي فِيهِ)[1].

(١) مسند الإمام أحمد، برقم، (٩٦٨٥)، (١٥/٤٢٨)، قال الشيخ الألباني: الحديث حسن، سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم، (٢٣٦٩)، (٥/٤٨٤).

المبحث الثالث
أسباب طعن القرآنيين في السنة النبوية

إن المتمعن في كتابات القرآنيين يدرك أن هناك أسبابًا ودوافع مختلفة ومتنوعة وراء طعنهم في السنة النبوية، والباحث يسعى في هذا المبحث إلى الوقوف على أهم تلك الأسباب، التي كان لها الأثر البارز في ذلك الطعن، منها ما يأتي:

أولاً: الجهل بالعلوم الشرعية.

الجهل خطره عظيم، وأثره في الأمم والشعوب جسيم، إذ هو الذي يقود الناس إلى كل ضلال، ويسير بهم إلى دروب الغواية والهلاك، وما وقع فيه الناس من شرك وكفر وفجور وارتكاب للمعاصي أعظم أسبابه الجهل، فهو الداعي الأول للشرك بالله، ومعصية رسول الله ﷺ، ومن أجل إزالته بعثت الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم، وأرسل الرسول ﷺ أصحابه إلى القبائل والبلدان؛ ليعلموا الناس الدين، فإنه عن طريق الجهل نجد أن الجاهل بالدين يأخذ بعض جزئيات الدين ليهدم بها كلياته، قال الشاطبي في بيان هذا النوع من الجهلة: " فَتَارَةً آخِذًا بِبَعْضِ جُزْئِيَّاتِ الشَّرِيعَةِ فِي هَدْمِ كُلِّيَّاتِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مِنْهَا مَا ظَهَرَ لَهُ بَادِيَ رَأْيِهِ مِنْ غَيْرِ إِحَاطَةٍ بِمَعَانِيهَا وَلَا رُسُوخٍ فِي فَهْمِ مَقَاصِدِهَا، وَهَذَا هُوَ الْمُبْتَدَعُ، وَعَلَيْهِ نَبَّهَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: (لَا يَقْبِضُ اللَّهُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ

النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)[١][٢].

وإن المتتبع لكتابات القرآنيين يظهر له بجلاء أن أصحابها لا يتصلون بعلوم الشريعة الإسلامية من قبيل ولا دبير، بل إن البون شاسع، والصلة بعيدة بينهما، ويعتبر أكثرهم من أجهل الناس بعلوم الشريعة، ولعل الاتصال بينهم وبين علوم الشريعة تأتي من جهة ما تتطلع إليه نفوسهم من الحصول على مرادهم من البحث في كتب الشريعة عن الأمور المتشابهة، والمسائل المشكلة–من وجهة نظرهم القاصرة– التي قد يستفيدون منها في صوغ الشبه، ونشر الشكوك حول الشريعة الإسلامية ومصادرها، التي قد تنطلي على بعض الضعفاء والجهلة من أبناء المسلمين.

وأصحاب هذه الطائفة–أيضًا– لم يعرف عنهم أنهم ممن تتلمذوا على أيدي علماء الشريعة، ونهلوا من المعين الصافي الذي يتلقى منه العلوم الإسلامية، وإنما عامتهم من أهل التخصصات العلمية والأدبية، فهم ما بين طبيب، ومهندس معماري، ومهندس زراعي، وكاتب في التاريخ، وشاعر، ومجهول الحال، وغير ذلك[٣].

وهذا الجهل المطبق بعلوم الشريعة الإسلامية، ومصادرها، وأسسها العلمية والمنهجية ساهم إسهامًا بارزًا في جعل القرآنيين يتنكرون للسنة النبوية،

---

(١) الحديث رواه عبد الله بن عمرو بن العاص، أخرجه الإمام البخاري، بـــرقم، (١٠٠)، (١/٥٠)، والإمام مسلم، برقم، (٢٦٧٣)، (٤/٢٠٥٨).

(٢) الاعتصام، (٢/٦٨٠).

(٣) سبق التعريف بمهنة كل واحد منهم في مبحث أشهر القرآنيين الذين خاضوا في علم التفسير.

ويطعنون فيها، بل ويعلنون العداء لها، فكانت كتاباتهم عن السنة النبوية متسمة بالحدة، والغلظة، تدعو إلى تنحية السنة من مكانتها، والاستغناء عنها، وهذه نتيجة طبيعية لأمثال هؤلاء الذين لم يطلبوا الحق من أهله، ولم يتفيؤوا في ظلال مصادر الشريعة الإسلامية، ولم يطالعوا المؤلفات التي كتبت فيها، ليعلموا قدر منزلة السنة النبوية، وأنها تحتل مكان الصدارة، والمنزلة العلية بين الأصول التشريعية بعد القرآن الكريم.

ومن الأمور التي يجب على الباحث ذكرها -هنا- لارتباطها بالكلام، هو أن الجهل بعلوم الشريعة هو سبب قديم من الأسباب التي أدت إلى الطعن في السنة النبوية، يشترك معهم فيها، أسلافهم من الخوارج الذين كانوا النواة الأولى لهذا الفكر المنحرف، حيث وصفهم المصطفى ﷺ بأنهم: (يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية)[1]. قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: "وأما قوله: (يقرؤون الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ). فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِقِرَاءَتِهِ إِذْ تَأَوَّلُوهُ عَلَى غَيْرِ سَبِيلِ السُّنَّةِ الْمُبَيِّنَةِ لَهُ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى جَهْلِ السُّنَّةِ وَمُعَادَاتِهَا وَتَكْفِيرِهِمُ السَّلَفَ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ وَرَدِّهِمْ لِشَهَادَاتِهِمْ وَرِوَايَاتِهِمْ، تَأَوَّلُوا الْقُرْآنَ بِآرَائِهِمْ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهِ، وَلَا حَصَلُوا مِنْ تِلَاوَتِهِ إِلَّا عَلَى مَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ الْمَاضِغُ الَّذِي يَبْلَعُ وَلَا يُجَاوِزُ مَا فِي فِيهِ مِنَ الطَّعَامِ حَنْجَرَتَهُ"[2].

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ، برقم، (١٠٦٤)، (٢/٧٤١)، وهو في صحيح الإمام البخاري بلفظ قريب، برقم، (٤٠٩٤)، (٤/١٥٨١).

(٢) الاستذكار، (٢/٤٩٩).

وهم أيضًا كما قال الإمام أحمد رحمه الله: "عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين"(١).

ثانيًا: الجهل بالسنة النبوية وعلومها.

ومن أهم الأسباب التي أدت إلى الطعن في السنة النبوية، هو الجهل بالسنة النبوية، فالمتأمل بعين البصيرة فيما قرره القرآنيون في كتاباتهم وأبحاثهم تجاه السنة النبوية من الطعن والتشكيك والرفض، خالفوا في ذلك جمهور علماء الأمة، يدرك يقينًا أن ذلك الأمر جاء نتيجة الجهل بعلوم السنة النبوية، والتجاهل لمترلتها، وعدم المعرفة بها سواء من ناحية الأسانيد أو المتون أو ما يتعلق بهما من أمور أخرى.

فمن جهة الأسانيد، نجد أن القرآنيين أعلنوا التبرم منها، وزعموا أنها أوجدت خصومة مستحكمة بين المسلمين والتعقل، بل اعتبروا الإسناد حصارًا للمسلم، وهو في ذاته-أي السند- يناقض المنهج العلمي، والتعقل المنطقي، والقرآن، والشهادة، كما صرح بذلك أحمد صبحي منصور(٢)، ويقول السيد

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة، الإمام أحمد، ص٥٦، ٥٧.

(٢) ينظر: بحث: الإسناد والحديث، د. أحمد صبحي منصور، ص٣، ص٩، ص١١، وينظر أيضًا: محطات في سبيل الحكمة، ص٣٣٥، إنذار من السماء، ص٨٥.

صالح أبو بكر: "الحجة القوية على الذين يتعصبون لآراء شيوخهم أو معتقدات آبائهم أو يلغون عقولهم أمام أسانيد تأتيهم بأحاديث تكذب كتاب الله زعمًا منهم أن الشلل الإرادي لعقولهم احترامًا لتلك الأسانيد هو التعبد المطلوب، متناسين أن تقديس رجال الأسانيد هو التعبد المرفوض، وقد أنساهم الشيطان أن تقديس هؤلاء الرجال فيما يخالف كتاب الله هو أعظم أنواع الشرك الصحيح"[(١)].

وبالإضافة إلى هذه الآراء الشاذة رأى إسماعيل أدهم "أن الحديث قام بلا إسناد أولاً ثم جعل له فيما بعد ما يعرف بالإسناد"[(٢)]، وزعموا أن ذلك العمل للإسناد في عصور متأخرة عن ظهور الحديث، اختلقه المحدِّثون؛ كي يصبغوا على الحديث الصبغة العلمية[(٣)].

ولما كان موقفهم من الأسانيد كذلك، فإن كتابات القرآنيين قد انطلقت -وللأسف الشديد- صوب رجال الأسانيد الأمناء الثقات، وعلى رأسهم الأئمة العدول، صحابة الرسول ﷺ فرفضوا عدالة الصحابة، وتناولوهم مع بقية رجال السند بالجرح والطعن والتشكيك، وأطلقوا عليهم عبارات قاسية، حيث وصفوهم بالمنافقين، والأصنام، والهامانات، والسفهاء، والجهلاء، وعباد أصنام التاريخ، والآبائيين وغير ذلك من الألفاظ النابية[(٤)]، واعتبروا دراسة تلك

---

(١) الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها، السيد صالح أبو بكر، ص٥.

(٢) من مصادر التاريخ الإسلامي، ص٩.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص١٠، ص١٨، إنذار من السماء، ص١٦٣.

(٤) ينظر: القرآن وكفى، ص٧٥، أضواء على السنة المحمدية، ص٣٢٩، أبو هريرة شيخ المضيرة، =

الأسانيد من قبل أئمة الحديث لم تكن خاضعةً للقيم والمعايير العلمية، بل خضعت للأهواء والعصبيات، واستطاع الكثير منهم تزوير الأسانيد(١)، قال أحمد صبحي منصور: "قام فحص الإسناد على أساس الهوى المذهبي والشخصي، و لم يحدث أن اتفقوا على أن ذلك الراوي ثقة أو أنه ضعيف"(٢).

وهذه الأحكام المسبقة نتجت عن قصور علم، ونقص دراية بما حققه علماء السلف في هذا الجانب، فإن علماء الأمة قد بينوا مقدار العناية الفائقة التي اعتنى علماء الحديث بالأسانيد ورجالها، عناية منقطعة النظير لم تكن في أمة أخرى، بل إن الإسناد الصحيح من خصائص الأمة الإسلامية(٣)، جاء في كتاب شرف أصحاب الحديث"إن الله كرَّم هذه الأمة، وشرَّفها، وفضَّلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمهم وحديثهم، إسناد موصول"(٤)، وقال ابن حزم رحمه الله: "نَقْل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال خص الله به المسلمين دون

=

ص٥٨ وما بعدها، الأضواء القرآنية، ص٤، الحديث والقرآن، ص١٣٤، محطات في سبيل الحكمة، ص١١، ص١٨٤، ص ٢٥٠، ص٢٨٤، السنة الرسولية، ص٢٠٦، القصص القرآني(١)، ص١٢٨، إنذار من السماء، ص١٦٣، إله واحد ودين واحد، ص٨٢.

(١) ينظر: محطات في سبيل الحكمة، ص٢٧٥، ص٣٣٥، ص٣٧١، دليل المسلم الحزين، حسين أحمد أمين، ص١٠٥، تثوير القرآن، ص٥٣، سنة الأولين، ص٧١١.

(٢) الإسناد والحديث، ص٨.

(٣) ينظر: منهاج السنة النبوية، (٣٧/٧)، معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، أبو عمرو ابن الصلاح، ص٢٥٥، اختصار علوم الحديث، ابن كثير، ص١٥٩، فتح المغيث، (٣٢٩/٣).

(٤) شرف أصحاب الحديث، الخطيب البغدادي، ص٤٠.

سائر الملل"[١].

ومع ظهور الفرق المنحرفة، وانتشار الوضع أصبح السند الأداة القوية لحفظ السنة من أهل الكذب، قال الشوكاني رحمه الله: "وَحَمَاهَا بِحُمَاةٍ صَفَّدُوا- بِسَلَاسِلِ أَسَانِيدِهِمْ الصَّادِقَةِ- أَعْنَاقَ الْكَذَّابِينَ، وَكَفَاهَا بِكُفَاةٍ كَفُّوا عَنْهَا أَكُفَّ غَيْرِ الْمُتَأَهِّلِينَ مِنْ الْمُنْتَابِينَ الْمُرْتَابِينَ؛ فَغَدَا مَعِينُهَا الصَّافِي غَيْرَ مُقَذَّرٍ بِالْأَكْدَارِ، وَزُلَالُ عَذْبِهَا الشَّافِي غَيْرَ مُكَدَّرٍ بِالْأَقْذَارِ"[٢].

وقد أبان كثيرٌ من العلماء المكانة العالية للإسناد، فقال ابن المبارك[٣] رحمه الله: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"[٤].

ومما يدلل على صحة ما ذكره الباحث عن أهمية الإسناد، واهتمام علماء الأمة به "تلك التصانيف الضخمة التي ألفت في الرجال، فنشأ بذلك علم مستقل من علوم الحديث، وهو علم الرجال، وهذا علم واسع تتقطع فيه الأنفاس، فمنه كتب معرفة الصحابة، وكتب الطبقات، وكتب الجرح والتعديل،

---

(١) نقله عنه السيوطي في تدريب الراوي، (٢/٦٠٤).

(٢) نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، (١/١٣).

(٣) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي، أبو عبد الرحمن، ولد سنة (١١٨هـ)، وتوفي سنة (١٨١هـ): كان أحد الأئمةِ الحافظ الأعلام، فقها، وعلمًا، وورعًا، وجهادًا، أفنى عمره في الأسفار، حاجًا ومجاهدًا وتاجرًا. وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. له مصنفات، منها: كتاب في الجهاد، وكتاب في الرقائق وغيرهما. ينظر: تاريخ دمشق، (٣٢/٣٩٦)، وفيات الأعيان، (٣/٣٢)، تذكرة الحفاظ، (١/٢٠١).

(٤) مقدمة صحيح مسلم، (١/١٥)، العلل الصغير، الترمذي، ص٧٣٩، أدب الاملاء والاستملاء، عبد الكريم السمعاني، ص٧.

وكتب الأسماء والكنى والألقاب، وكتب المؤتلف والمختلف، وكتب المتفق والمفترق والمتشابه، وكتب الوفيات، وهي في مجموعها تدل دلالة عظيمة على الجهد المبذول في نقد الأخبار، وليس الأمر كما يتوهم الكثيرون ممن لا علم لهم بهذا الأمر"[١]، فجهلهم وعجزهم عن دراسة الإسناد دعتهم إلى التشكيك في صحته، والطعن في رجاله، ومن جهل شيئًا -كما قيل- عاداه[٢]، وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩].

وأما من جهة متون السنة، فإننا نجد كتابات المنكرين للسنة النبوية قد تواطأت على الترويج للطعن فيها والتشكيك في مصداقيتها من خلال المحاولة لعرض الأحاديث بصورة تبدو متعارضة -من وجهة نظرهم- ومتناقضة فيما بينها، بل ومعارضة للآيات القرآنية، فهي بحسب تعبير البعض منهم نصوص اخترعوها، وأكسبوها قدسية مع أنها تعارض القرآن، وهي أيضًا، متون غير متماسكة في سردها، وهي عبارة عن أساطير سطّرتها مخيلة الرواة، وحشو بها كتبهم[٣].

ويرون أن علماء الحديث تلقوا تلك المتون وأخذوها بدون فحص ولا تنقية بل كان جل عنايتهم بالأسانيد دون المتون[٤].

(١) ضوابط الرواية عند المحدثين، الصديق بشير، ص ٧١، ٧٢.

(٢) ينظر: المدهش، ابن الجوزي، ص١٧، كتاب خاص الخاص، الثعالبي، ص٢٧.

(٣) ينظر: القرآن وكفى، ص٦٠، الحديث والقرآن، ص٩٣، ص١٥٦، ص١٦١، البيان بالقرآن، (١/٧٥).

(٤) ينظر: محطات في سبيل الحكمة، ص٢٩٦، تثوير القرآن، ص٣٣، تبصير الأمة بحقيقة السنة، ص١٦٨، ص١٨٠.

وهي دعاوى لا صحة لها على أرض الواقع عند النظر من خلال الأسس العلمية، والمبادئ الحديثية، القائمة على المعرفة التامة بالسنة وأسانيدها ومتونها.

فإن ما ادعوه من تعارض وتناقض بين الأحاديث النبوية فيما بينها-من جهة- وبينها وبين القرآن من جهة أخرى[١] لا يلتفت إليه، ولا يعول عليه؛ لأنه صادر عن أناس غلب عليهم الجهل بالسنة، وقصور الاطلاع على شروحها، وتوجيهات العلماء لتلك الأحاديث، وإضافة إلى ذلك الجهل، سوء القصد حيث عمدوا إلى إثارة البلبلة في عقول كثير من أبناء المسلمين حول السنة النبوية.

وإن مما يؤسف له أن هؤلاء القرآنيين-ومع بلوغ بعضهم الدرجات العليا في تخصصاتهم العلمية- لم يطلقوا لعقولهم الأعنَّة؛ كي تنظر في علوم السنة، وكيف قام علماء الإسلام بتدوينها وفحص أسانيدها ومتونها، فإن منهج المحدثين-رحمهم الله تعالى- لم يكن مقتصرًا على نقل الرواية كيفما كانت، بل توجَّهَ إلى نقل الروايات على وجه الدقة والضبط والإتقان، كما توجَّه إلى نقد الروايات نقدًا علميًّا منضبطًا دقيقًا، ميّز بين الثابت وغير الثابت منها، وشمل نقد السند والمتن معًا[٢].

---

(١) قد احتوت مؤلفات المنكرين للسنة على عرض كثير من تلك الأحاديث، وليس المكان هنا صالح لعرض جهلهم وخبثهم، وما ادعوه من ذلك التعارض، ينظر في المؤلفات التي عرضوا فيها للتعارض بين الأحاديث على سبيل المثال: الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها، السيد صالح أبو بكر، تحرير العقل من النقل، سامر إسلامبولي، الحديث والقرآن، ابن قرناس، تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تُلزم، جمال البنا، وغيرها.

(٢) ينظر: توثيق السنة وعناية السلف بها، د. عبد الله الرحيلي، ص٣٢.

ومن مظاهر تلك العناية بالمتون، أننا نجد كثيرًا من السلف وأهل التحري في الحديث، يقولون: "لا تجوز الرواية على المعنى، بل يجب تأدية اللفظ بعينه من غير تقديم ولا تأخير، ولا زيادة ولا حذف"(١).

بل كان محمد بن سيرين(٢) يحدث بالحديث على حروفه(٣)، وكان طاووس(٤) يعدُّ الحديث حرفًا حرفًا(٥)، وغلب على الأئمة منهم(٦) الالتزام بالرواية الحرفية(٧)، وكان مالك-رحمه الله- يتقي في حديث رسول الله ﷺ الباء

(١) الكفاية، الخطيب البغدادي، ص١٩٨.

(٢) محمد بن سيرين، أبو بكر، التابعي الجليل البصري الأنصاري بالولاء، ، كان إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. ولد بها سنة (٣٣هـ)، وتوفي بها سنة (١١٠هـ)، كان من أشراف الكتّاب، ينسب له كتاب(تعبير الرؤيا). ينظر: الثقات، ابن حبان، (٥/٣٤٨)، مشاهير علماء الأمصار، ابن حبان، ص١٤٣، رجال صحيح مسلم، ابن منجويه، (٢/١٧٨).

(٣) الطبقات الكبرى، (٧/١٤٤).

(٤) طاووس بن كيسان الخولانيّ الهمدانيّ، بالولاء، أبو عبد الرحمن: من أكابر التابعين، تفقهًا في الدين ورواية للحديث، وتقشفا في العيش، أصله من الفرس، ومولده ومنشؤه في اليمن، سنة (٣٣هـ). توفي حاجًا بالمزدلفة أو بمنى، سنة (١٠٦هـ). ينظر: التاريخ الكبير، البخاري، (٤/٣٦٥)، طبقات المفسرين، الأدنه وي، ص١٢.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة، (٧/١٩١)، الزهد، الإمام أحمد، ص١٥٧، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، الرامهرمزي، ص٥٩١، الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٦/٦٩).

(٦) كالقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، ورجاء بن حيوة، والزهري، وعبد الملك بن عمير، وعقيل بن خالد الأيلي، وغيرهم كثير. ينظر في ذلك: الطبقات الكبرى، (٥/١٤٣)، (٧/١٤٤)، (٧/٣١٦)، تاريخ دمشق، (٥٣/١٨٩)، إكمال تهذيب الكمال، (٤/٣٦٦).

(٧) ينظر المصادر السابقة الجزء والصفحة نفسها.

والتاء، والتي والذي، ونحوهما[١]، وقد صور لنا الأعمش[٢] تشدد الرواة في نقل الرواية بالحرف، فقال: "كان العلم عند أقوام كان أحدهم لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يزيد فيه واوًا أو الفًا أو دالاً"[٣].

وهذه الافتراءات-أيضًا- تدل على جهلهم المطبق بمنهج المحدثين، ذلك العلم الذي يعتبر في غاية الأهمية والدقة، ولا يمكن الحصول على هذا العلم إلا لمن خاض غمار هذا العلم وجالس أهله، وعرف كتاباتهم، وتلقى-عنهم- أصوله وفروعه، وأتقن مبادئه وقواعده، قال ابن القيم-رحمه الله تعالى- عندما سئل، هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط دون أن ينظر في سنده: "فَقَالَ هَذَا سُؤَالٌ عَظِيمُ الْقَدْرِ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ تَضَلَّعَ فِي مَعْرِفَةِ السُّنَنِ الصَّحِيحَةِ، وَاخْتَلَطَتْ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ وَصَارَ لَهُ فِيهَا مَلَكَةٌ، وَصَارَ لَهُ اخْتِصَاصٌ شَدِيدٌ بِمَعْرِفَةِ السُّنَنِ وَالْآثَارِ وَمَعْرِفَةِ سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهَدْيِهِ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ وَيُخْبِرُ عَنْهُ وَيَدْعُو إِلَيْهِ وَيُحِبُّهُ وَيَكْرَهُهُ وَيُشَرِّعُهُ لِلْأُمَّةِ، بِحَيْثُ كَأَنَّهُ مُخَالِطٌ لَهُ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ فَمِثْلُ هَذَا يَعْرِفُ مِنْ أَحْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهَدْيِهِ وَكَلَامِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَمَا يَجُوزُ أَنْ يُخْبَرَ بِهِ وَمَا لَا يَجُوزُ -مَا لَا يَعْرِفُهُ غَيْرُهُ، وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ مُتَّبِعٍ مَعَ مَتْبُوعِهِ فَإِنَّ لِلْأَخَصِّ بِهِ الْحَرِيصِ عَلَى تَتَبُّعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ مِنَ

---

(١) ينظر: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، القاضي عياض، ص١٧٩، ترتيب المدارك وتقريب المسالك،

القاضي عياض، (٢/٢٩)، الكفاية في علم الرواية، ص١٧٨.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) الكفاية، ص١٧٧.

الْعِلْمِ بِهَا وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ مَا يَصِحُّ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ وَمَا لَا يَصِحُّ مَا لَيْسَ لِمَنْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَهَذَا شَأْنُ الْمُقَلِّدِينَ مَعَ أَئِمَتِهِمْ يَعْرِفُونَ مِنْ أَقْوَالِهِمْ وَنُصُوصِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ وَأَسَالِيبِهِمْ وَمَشَارِبِهِمْ مَا لَا يَعْرِفُهُ غَيْرُهُمْ"(١).

وقال ابن خلدون(٢): "وذلك أنّ الحذق في العلم والتّفنّن فيه والاستيلاء عليه إنّما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله. وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفنّ المتناول حاصلاً، وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي؛ لأنّا نجد فهم المسألة الواحدة من الفنّ الواحد ووعيها مشتركًا بين من شدا في ذلك الفنّ وبين من هو مبتدئ فيه، وبين العاميّ الّذي لم يعرف علمًا، وبين العالم النّحرير. والملكة إنّما هي للعالم أو الشّادي في الفنون دون من سواهما، فدلّ على أنّ هذه الملكة غير الفهم والوعي"(٣).

---

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ص٤٤.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، أبو زيد، وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده بتونس، سنة (٧٣٢هـ). رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، ثم توجه إلى مصر، فتولى قضاء المالكية فيها، توفي فجأة في القاهرة، سنة(٨٠٨هـ)، له مصنفات، منها: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، شرح البردة، وشفاء السائل لتهذيب المسائل. ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، (٣/٣٧٧)، رفع الإصر عن قضاة مصر، ابن حجر، ص٢٣٣، الأعلام، (٣/٣٣٠).

(٣) تاريخ ابن خلدون، ص٥٤٣.

ثالثًا: سوء الفهم.

يعتبر سوءُ الفهمِ للنصوصِ الشرعيةِ نقطةَ ارتكازٍ وسببًا من أهم الأسباب التي أدت بالقرآنيين إلى الطعن في السنة النبوية، وليس الأمر بدعًا؛ فإن القارئ لكتب التاريخ والفرق الإسلامية يستنتج أن كثيرًا من الانحرافات والبدع التي ظهرت في تاريخ الإسلام كان من أهم أسبابها هو سوء الفهم للنصوص الشرعية(١)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وَكَانَتْ الْبِدَعُ الْأُولَى مِثْلُ بِدْعَةِ الْخَوَارِجِ إنَّمَا هِيَ مِنْ سُوءِ فَهْمِهِمْ لِلْقُرْآنِ، لَمْ يَقْصِدُوا مُعَارَضَتَهُ لَكِنْ فَهِمُوا مِنْهُ مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ فَظَنُّوا أَنَّهُ يُوجِبُ تَكْفِيرَ أَرْبَابِ الذُّنُوبِ؛ إذْ كَانَ الْمُؤْمِنُ هُوَ الْبَرَّ التَّقِيَّ. قَالُوا: فَمَنْ لَمْ يَكُنْ بَرًّا تَقِيًّا فَهُوَ كَافِرٌ، وَهُوَ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ"(٢).

ولما لم يكن بإمكان الإنسان المسلم الوصول إلى مراد الله تعالى، ومراد رسوله ﷺ في النصوص الشرعية إلا عن طريق الاستقامة في فهم الأدلة، وجب على طالبي الأدلة الشرعية أن يبحثوا عن الطريق الموصل لحسن الفهم، وأن يجعلوا حسن الفهم قاعدة أساسية ينطلقون من خلالها لبناء الأفكار الصحيحة المنبثقة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "فَيَجبُ أَنْ يُفْهَمَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ مُرَادُه مِنْ غَيْرِ غُلُوٍّ وَلَا تَقْصِير، فَلَا يُحَمَّلُ كَلَامُه مَا لَا يَحْتَمِلُه، وَلَا يُقَصَّرُ به عَنْ مُرَادِ مَا قَصَدَه مِنَ الْهُدَى وَالْبَيَانِ، فَكَمْ حَصَلَ بِإِهْمَالِ

---

(١) ينظر: الروح، ابن القيم، ص٦٣.

(٢) مجموع الفتاوي، (١٣/ ٣٠).

ذَلِكَ وَالْعُدُولِ عَنْهُ مِنَ الضَّلَالِ وَالْعُدُولِ عَنِ الصَّوَابِ-مَا لَا يَعْلَمُه إِلَّا اللَّهُ. بَلْ سُوءُ الْفَهْمِ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَصْلُ كُلِّ بِدْعَة وَضَلَالَة نَشَأَتْ فِي الْإِسْلَام، وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ خَطَأٍ فِي الْفُرُوعِ وَالْأُصُولِ، وَلَا سِيَّمَا إِنْ أُضِيفَ إِلَيْهِ سُوءُ الْقَصْدِ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ"(١).

ومن ناحية أخرى فإنَّ "صِحَّة الْفَهْمِ وَحُسْن الْقَصْدِ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَى عَبْدِهِ، بَلْ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ عَطَاءً بَعْدَ الْإِسْلَام أَفْضَلُ وَلَا أَجَلُّ مِنْهُمَا، بَلْ هُمَا سَاقَا الْإِسْلَامِ، وَقِيَامُهُ عَلَيْهِمَا، وَبِهِمَا يَأْمَنُ الْعَبْدُ طَرِيقَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ الَّذِينَ فَسَدَ قَصْدُهُمْ وَطَرِيقُ الضَّالِّينَ الَّذِينَ فَسَدَتْ فُهُومُهُمْ، وَيَصِيرُ مِنْ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ الَّذِينَ حَسُنَتْ أَفْهَامُهُمْ وَقُصُودُهُمْ، وَهُمْ أَهْلُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِينَ أُمِرْنَا أَنْ نَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَنَا صِرَاطَهُمْ فِي كُلِّ صَلَاةٍ، وَصِحَّةُ الْفَهْمِ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالْفَاسِدِ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ"(٢).

ولهذا، فإن سوء الفهم آفة من الآفات التي تتعرض لها نصوص الوحيين من قبل كثير من الفرق المنحرفة، وعلى رأسهم القرآنيون الذي نتج عن سوء فهمهم لكثير من الآيات القرآنية الطعنُ في السنة، وإنكار كونها مصدرًا من مصادر الشريعة، ومن تلك الآيات التي ساء فهمهم لها، واستشهدوا بها على إنكار السنة، وتدعيم رأيهم الطاعن في السنة النبوية، قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن

(١) الروح، مرجع سابق، ص٦٢، ٦٣.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، (١/٦٩).

شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، حيث فهموا منها أن القرآن الكريم قد حوى كل شيء من أمور الدين والدنيا، وفصله وبينه، و لم يترك شاردة ولا واردة إلا وبيَّنها، فلا يحتاج معه إلى غيره يستعان به في بيانه، وتفصيل أحكام الشريعة، ومن اتبع غيره من الكتب فقد اتهم القرآن بأنه فرط في الدين وأن أحكامه غير وافية.

قال جمال البنا: "يدل على أن الكتاب قد حوى كل شيء من أمور الدين، وكل حكم من أحكامه، وأنه بيَّنه وفصله بحيث لا يحتاج إلى شيء آخر كالسنة، وإلا كان الكتاب مفرطًا فيه"(١).

وقال سامر إسلامبولي: "الكتاب هو شرع الله الذي أنزله للناس وحيًا إلى الرسول[ﷺ]، وقد احتوى الكتاب الشرع كله ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، مما يؤكد انتفاء صفة المصدرية الشرعة(٢) النظرية عن غير الكتاب"(٣).

وقال نيازي عز الدين في تفسيرها: "أي أن الله-سبحانه- لم يترك شاردة ولا واردة إلا وحسب حسابها في القرآن الكريم، فإذا كنا نؤمن بالله وبكتابه القرآن، وبكل ما قاله فيه فيجب أن يكون تفسير هذا الموضوع موجودًا في القرآن نفسه؛ لأنه ليس من كتاب آخر لله سواه نستطيع أن نلجأ إليه لنجد الجواب الشافي والمقنع"(٤) واعتبرها من الحقائق العلمية في يومنا، ومعجزة؛ لأن "الله-سبحانه- لم يفرط في القرآن بشيء، فالقرآن كتاب كامل يجيب عن كل التساؤلات

---

(١) السنة ودورها في الفقه الجديد، ص٣٣.

(٢) هكذا كتبها، ولعله يريد: الشرعية.

(٣) المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص١٤٣.

(٤) إنذار من السماء، ص١٣٧.

الإنسانية ضمن المعلومات الإنسانية المسموح لهم بها في الحياة الدنيا، وحسب مصادر معلوماتهم المعتمدة على الحواس من بصر وسمع وفكر وإدراك"(١)، وممن استدل بها –أيضًا– على هذا المعنى، محمد توفيق صدقي(٢)، ومحمود أبو رية(٣)، ومصطفى المهدوي(٤)، وأحمد صبحي منصور(٥)، وغيرهم.

وهذا الفهم للآية القرآنية مبني على فهم غير سوي، لأمور:

١- أنهم قاموا على تفسير الآية منطلقين من اعتقاد مقرر في فكرهم، قائم في أذهانهم، وهو أن القرآن قد حوى كل شيء، فلا داعي للسنة.

٢- أن المراد بقوله ﴿فِى الْكِتَٰبِ﴾ أنه اللوح المحفوظ كما حكاه جمع من أهل التفسير(٦)، قال ابن عباس: "ما تركنا شيئًا إلاَّ قد كتبناه في أمِّ الكتاب، يعني اللوح المحفوظ مما يكون وكان"(٧). وسياق الآية يرجح ذلك؛ لأن الآية كاملة ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨]، "فالآية تتحدث عن عظيم علم الله–تعالى– وإحاطته بكل شيء في الوجود من دواب وطيور وغيرها، وقد شمل علم الله–

(١) المرجع السابق، ص١٩٩.

(٢) ينظر: حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، ص٦٠.

(٣) ينظر: أضواء على السنة المحمدية، ص٤٠، ص٤٠٤.

(٤) ينظر: البيان بالقرآن، (١/١١).

(٥) ينظر: القرآن وكفى، ص١٠-١١، الصلاة بين القرآن الكريم والمسلمين، ص١٠١.

(٦) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، (١/٥٦٠)، بحر العلوم، السمرقندي، (١/٤٤٦)، الكشف والبيان، الثعلبي، (٤/١٤٦)، معالم التتريل، البغوي، (٢/١٢٢).

(٧) الهداية لبلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، (٣/٢٠١٥).

سبحانه-كل شيء، وقدر ما يقع لكل منها، ثم إليه يحشر الكل"[١].

٣- وعلى التسليم لأصحاب القول الثاني القائلين إن المراد به القرآن، فإن العلماء يوجهون ذلك بقولهم: إن هذا من العام الذي أريد به الخاص؛ لأن المعنى: ما فرطنا في الكتاب من شيء بالعباد إليه حاجة إلا وقد بيناه، إما نصًا، وإما دلالة، وإما مجملاً، وإما مفصلاً، فيكون المقصود: أن القرآن لم يفرط في شيء من كليات الشريعة وجزئياتها، فوضع في القرآن الأصول والقواعد التي يحتاج إليها المسلم، وأحال المسلم في معرفة التفاصيل على السنة، فاتباع السنة هو اتباع للقرآن[٢].

٤- أن هذا التفسير الرافض للسنة مخالف لما أرشدنا الله إليه في كتابه من اتباع رسوله ﷺ، بقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وما أمرنا به من طاعته، بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩].

ومنها، قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف: ١٨٥]، فقد فهم القوم من الآية أن الله-تعالى- يحذر عباده من الاتباع لحديث غير القرآن، والإيمان به، وهو حديث رسول الله ﷺ المروي عن صحابته ﷺ، ولكنَّ الناس خالفوا ما أمرهم

---

(١) شبهات حول السنة، د. محمود مزروعة، ص٨٥.

(٢) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، (٢/٢٦٩)، حوار حول الإسلام هو القرآن وحده: بحث: أصول الإسلام، طه البشري، ص٩٣، السنة النبوية في مواجهة التحديات، ص١٦.

به الله.

قال نيازي عز الدين: "والله-تعالى- يعلم الغيب ويعلم المستقبل، وهو يدرك أن الناس سوف يقعون في مشكلة الحديث في الإسلام، ولذلك أنزل لنا نحن هذه الآيات حتى نتفهمها ونتدبرها، وكأن الله يخاطبنا بهذه الآية، ويقول لنا: أبعد آياتي وحديثي في القرآن تبحثون عن أحاديث وتروون عن أبي هريرة وابن عباس(رضي الله عنهما)؟ ، والله يدرك أن موقف الناس لن يكون موحدًا، لذلك يقول سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾ [لقمان: ٦]"(١)، وممن استشهد بالآية وتبنى هذا الفهم، توفيق صدقي(٢)، وأحمد صبحي منصور(٣)، ومصطفى المهدوي(٤)، ونيازي عز الدين(٥).

ويتضح من هذا النص أن الكاتب قد وقع في سوء فهم للآية من جهات عدة:

الأولى: أنه حكم على أن سبب نزول الآية إدراك الله-تعالى-أن الناس سوف يتبعون الحديث ويعتمدون عليه كمصدر لدينهم، فأنزل الآية الكريمة، وهذا القول لم يقل به أحد من أئمة التفسير في بيان الآية، وإنما هذا القول اختلاق من الكاتب، وتقوُّل على الله بلا علم.

(١) إنذار من السماء، ص١٣٦.

(٢) حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، ص٦٠.

(٣) ينظر: القرآن وكفى، ص١٠-١١،

(٤) ينظر: البيان بالقرآن، (١/ ١١).

(٥) إله واحد ودين واحد، ص٢١١.

الثانية: يظهر من هذا التفسير إهمال الكاتب للسياق القرآني، إذ الآية في سياق المكذبين، وأن الله نعى عليهم تفكيرهم، وإخلالهم في التفكر في الآيات الكونية المنصوبة في الآفاق والأنفس، وفي هذا الاستفهام من التقريع والتوبيخ ما لا يقدر قدره[١]، ثم قال لهم: "فبأيّ تخويفٍ وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد ﷺ وترهيبه الذي أتاهم به من عند الله في آي كتابه، يصدِّقون، إن لم يصدقوا بهذا الكتاب الذي جاءهم به محمد ﷺ من عند الله تعالى؟ "[٢].

الثالث: أن الكاتب جعل السنة النبوية من (لهو الحديث)، وهذا من الفساد البين، والضلال البعيد، جره إليه سوء فهمه وفساد قصده؛ ليدلل به على صحة فكره ومنهجه، فيؤول الآيات إلى ما يحتاجه لتدعيم فكره.

الرابع: لو سلمنا جدلاً بوجود سبب لنزول الآية -حسب زعمه- فمن المعلوم أن أسباب النزول عبارة عن أحاديث رويت في بيان الآيات، فتكون جزءاً من السنة النبوية، فكيف يستشهد بالسنة على إنكار السنة.

وقد استشهدوا بآيات كثيرة، وفهموا منها أنها دليلٌ لهم على الطعن في السنة وردها، منها:

قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف: ٢٦ - ٢٧][٣].

ومنها، قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

---

(١) ينظر: فتح القدير، (٣٠٩/٢)، محاسن التأويل، (٢٢١/٥)، التحرير والتنوير، (١٩٨/٩).

(٢) جامع البيان، (٦٠٣/١٠).

(٣) ممن استشهد بها، القرآن وكفى، ص٧.

[الجاثية: ٦](١).

ومنها، قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩](٢). وهناك آيات كثيرة استشهدوا بها في غير محلها، وساء فهمهم في تأويلها.

رابعًا: القراءة العضين(٣).

تمثل القراءة الشمولية للنص الشرعي جانبًا من أهم جوانب الفهم الصحيح للنصوص الشرعية، وعاملاً يأتي في مقدمة العوامل التي تؤدي بالأمة عند التمسك بها إلى الائتلاف والبعد عن الفرقة والاختلاف؛ لأنه منهج الراسخين في العلم الذين أخرجوا للأمة منهجًا مشرقًا، تناولوا من خلاله النصوص الشرعية بشيء من التكامل والشمول، أسهم -إلى حد كبير- في الوصول إلى الفهم الصحيح للنصوص الشرعية، وإدراك ما يُوهم اللبس، ويُوقعُ في الخطأ، ودفع الشكوك والشبهات عن النصوص الشرعية؛ لأنها يفسر بعضها بعضًا، ولا تفهم فهمًا صحيحًا إلا من خلال جمعها، فهي تمثل نسيجًا متلاحمًا، لا خلل فيه، ولا تعارض، ولا اضطراب(٤).

(١) ممن استشهد بها، القرآن وكفى، ص١٣، المعجزة الكبرى(إحدى الكبر)، عدنان الرفاعي، ص٦٤٠.

(٢) ممن استشهد بها: المعجزة الكبرى(إحدى الكبر)، ص٢٩٦.

(٣) قال الشوكاني: "عِضِينَ جَمْعُ عِضَةٍ، وَأَصْلُهَا عِضْوَةٌ فِعْلَةٌ مِنْ عَضَى الشَّاةَ إِذَا جَعَلَهَا أَجْزَاءً، فَيَكُونُ الْمَعْنَى عَلَى هَذَا: الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ أَجْزَاءً مُتَفَرِّقَةً ". فتح القدير، (١٧٢/٣).

(٤) ينظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، (٢١٢/٢)، النبذة الكافية في =

بيد أن المنحرفين حاولوا طمس معالم النور والإشراق في النصوص الشرعية من خلال استعمالهم القراءة العضين بشكل واسع في التعامل معها، وقد وجدت هذه النزعة في فكرهم بشكل كبير، حيث توجهوا إلى النصوص الشرعية بتلك الآلية، فأدت بهم إلى الضلال، والطعن في مصدر الشريعة.

إن هذه القراءة اعتمدت في منهجيتها على التفريق "بين الأحاديث والنصوص الواردة في المسألة الواحدة، فلا تضم الواحد منها إلى الآخر حال تناولها لمسألة معينة أو حكمها، فيأتي الحكم المستفاد من تلك النصوص مجتزأً، لا يفي بالغرض الذي لأجله وردت النصوص، ولا محققًا لمقاصد التشريع وحكمته، بل قد يأتي الحكم في بعض الأحيان مخالفًا ومناقضًا للحكمة المقصودة من التشريع"(١).

وبمقتضى هذه القراءة يعمد كثير من أهل الأهواء والانحراف إلى تناول النصوص الشرعية تناولاً مبتسرًا، يؤدي إلى إظهار تلك النصوص وكأنها نصوص متعارضة فيما بينها ومتناقضة، وهذا الأمر حذر منه علماء الأمة، فقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: "وَحَرَمَ اللَّهُ ﷻ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ كُلَّهُمْ، أَنْ يَجِدُوا عِنْدَ أَشْيَاعِهِمْ، أَوْ بَأَسَانِيدِهِمْ، حُكْمًا مِنْ أَحْكَامِ الرَّسُولِ أَوْ فَرْضًا أَوْ سُنَّةً مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ، إِلَّا مَا يَعْتَلُّونَ بِأَهْلِ الْحَدِيثِ، إِذْ بَدَا لَهُمْ، كَالَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ

=

أحكام أصول الدين، ابن حزم، ص٣٥.

(١) ندوة: الحديث الشريف وتحديات العصر، بحث: أثر القراءة العضين وتداعياتها في فهم السنة النبوية، د. رقية طه العلواني، (١/١٥٠).

عِضِينَ، فَآمَنُوا بِبَعْضٍ، وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ، فَمَنْ رَدَّ بَعْضَ السُّنَنِ مِمَّا نَقَلَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ، فَيَلْزَمُهُ أَنْ يَرُدَّ بَاقِيَ السُّنَنِ، حَتَّى يَتَخَلَّى مِنَ السُّنَنِ وَالْكِتَابِ، وَأَمْرِ الْإِسْلَامِ أَجْمَعَ"(١). وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: "فلا يجوزُ أن يُجعلَ كلامُ اللهِ ورسولِهِ عِضِين بحيث يؤمن ببعض معانيه، ويُكفر ببعضها"(٢).

ولا يخفى خطورة هذا العمل، وما يترتب عليه من فتح باب الشك والطعن في نصوص الشريعة، سواء منها القرآنية أو النبوية؛ لأنه "لا حديث بأوجب من حديث آخر مثله، ولا آية أولى بالطاعة لها من آية أخرى مثلها، وكل من عند الله ﷻ وكل سواء في باب وجوب الطاعة والاستعمال ولا فرق"(٣).

وقد تبنى القرآنيون هذه المنهجية التجزيئية الانتقائية، وأولوها عناية كبيرةً، وكانت معلمًا بارزًا في كتاباتهم؛ خدمةً لفكرهم، حيث قاموا بالاعتماد على بعض الأحاديث الواردة في باب معين وتركوا الأحاديث الأخرى-في نفس الباب- التي تبينها وتوضحها، ومن أمثلة ذلك، تلك الأحاديث التي اعتمدوا عليها للطعن في السنة النبوية، وهي أحاديث (نهي النبي ﷺ عن كتابة الحديث وتدوينه) وأغفلوا بقية الأحاديث الأخرى الواردة في نفس المسألة التي تأذن بكتابة الحديث، وقالوا: إن الأدلة النقلية الوثيقة قد تظافرت على أن الرسول ﷺ نهى أصحابه عن تدوين الأحاديث، فلم تكتب الأحاديث في عهد الرسول ﷺ

(١) خلق أفعال العباد، البخاري، ص٧٦.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص٢٤١.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، (٢/٢١).

كما كان يكتب القرآن، وإنما كان التدوين في عصور متأخرة اعتمدت على المشافهة؛ فلا يجوز العمل بها، ولا الاعتماد عليها في بيان أحكام الشرع[1]، واستشهدوا على ذلك بأحاديث، منها:

حديث: (لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ، وَحَدِّثُوا عَنِّي، وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)[2].

حديث: (لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا إِلَّا الْقُرْآنَ، مَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئًا سِوَى الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ)[3].

---

(١) ينظر في كلامهم عن النهي عن تدوين السنة: أضواء على السنة المحمدية، ص١٩، حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، ص٥٨، تدوين السنة، إبراهيم فوزي، ص٤٣، القرآن وكفى، ص٧٠، عذاب القبر والثعبان الأقرع، أحمد صبحي منصور، ص٣، الأضواء القرآنية، ص١٢، البيان بالقرآن، (١/٢٤)، محطات في سبيل الحكمة، ص١٣٢، الكتاب والقرآن، ص٥٤٦، القصص القرآني(١)، ص٥٨، سنة الأولين، ص٥٣٠، إنذار من السماء، ص١٠٧، ص١١٧، السنة غير الحديث، ص٢٩، تثوير القرآن، ص٦٧، إله واحد ودين واحد، ص٩٦، تبصير الأمة بحقيقة السنة، ص ٧، ١٤، ٢٢٥، الأصلان العظيمان، ص٢٦٨، جناية قبيلة حدثنا، جمال البنا، ص٨، تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تُلزم، ص١٤، الحديث والقرآن، ص١٧.

(٢) الحديث عن أبي سعيد الخدري، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، برقم، (٣٠٠٤)، (٢٢٩٨/٤).

(٣) الحديث عن أبي سعيد الخدري، أخرجه الإمام أحمد في مسنده، برقم، (١١٠٨٥)، (١٤٩/١٧)، والنسائي في السنن الكبرى، برقم، (٧٩٥٤)، (٢٥٤/٧)، وابن حبان في صحيحه، برقم، (٦٤)، (٢٦٥/١)، والحاكم في المستدرك، برقم، (٤٣٧)، (٢١٦/١)، قال الشيخ الألباني: الحديث صحيح. ينظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، برقم، (٦٤)، (١٩١/١).

حديث: (أَنَّهُمْ اسْتَأْذَنُوا النَّبِيَّ ﷺ فِي أَنْ يَكْتُبُوا عنهُ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ)[1].

وغيرها.

وقد حظيت هذه الأحاديث بنصيب وافر من الاهتمام من قبل منكري السنة[2]، لاعتمادهم عليها في إثبات ما يريدون الوصول إليه من إنكار السنة، ولو نظر هؤلاء إلى الأحاديث بعين الانصاف، وجمعوا بين موهم التعارض، لعلموا أن ذلك التعارض ظاهري[3] عرض لعقولهم القاصرة، وكان الأسلم لهم

---

(١) الحديث عن أبي سعيد الخدري، أخرجه الدارمي في سننه، برقم، (٤٦٥)، (٤١٣/١)، وقال محقق الكتاب: الحديث صحيح.

(٢) قد يتبادر إلى ذهن البعض أنهم يأخذون بالأحاديث، وليس الأمر كذلك، بل إنهم لا يقرون بالأحاديث النبوية جملة وتفصيلاً، ولكنهم استدلوا بها من باب إلزام الخصم-كما يقولون- بما هو مُسلّمٌ عنده، قال الطبيب توفيق صدقي: "أسباب استشهادي بأحاديث الآحاد في مقالاتي. اعلم بأن من الحجج ما يسمى (بالإقناعي)، وذلك أن تحتج على الخصم بما هو مسلّم عنده، كأن تحتج على النصراني ببعض ما في الإنجيل الحالي، وإن كنت غير معتقد له. فأنا أورد الأحاديث غالبًا لا لأثبت معتقدي لنفسي، بل لأقنع من لا يقنع إلا بها، ولست أعول في براهيني القطعية إلا على ما يفيد اليقين، فما أذكره من الأحاديث إما لإقناع المسلمين وإلزامهم بها أو التكثير من الأدلة بضم ضعيفها إلى قويها ليقوى بها مع استعمال مبدأ الاستنتاج والنقد فيها". دين الله في كتب أنبيائه، توفيق صدقي، ص١٩٦.

(٣) وضع العلماء لدفع ذلك التعارض الظاهري عدداً من المسالك، تضبطها مجموعة من القواعد والشروط، ويربط بينها جملة من المعايير المنظمة لترتيبها وتسلسلها، فشكلت هذه المسالك مع شروطها وقواعدها منهجاً متكاملاً، سمي منهج التوفيق والترجيح بين مختلف الحديث، يدفع به التعارض الظاهري بين مختلف الحديث. ينظر: منهج التوفيق والترجيح بين مختلف الحديث، د. عبد المجيد السوسوة، ص٢١، ٢٢.

أن يضموا هذه الأحاديث الواردة بعضها إلى بعض؛ ولو فعلوا ذلك لقادهم إلى ما انتهى إليه المحققون من العلماء من الجمع بين الأدلة والنصوص، فالعلماء حين أدركوا خطر هذا التعارض سارعوا إلى الجمع بين الأحاديث الواردة في باب النهي، والأخرى الواردة في باب الإذن بالكتابة، وأزالوا اللبس والإشكال، وخرجوا من خلال الجمع بين الروايات، بتوجيهات لذلك التعارض، فقالوا: بأن ذلك يكون من منسوخ السنة بالسنة، فكان النهي عن الكتابة ثم نسخ بالإباحة(١)، وإليه ذهب جمهور العلماء كما صرح بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية(٢).

وقيل: إنما كان النهي أن يكتب الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة في أول الإسلام؛ لئلا يختلط الوحي الذي يتلى بالوحي الذي لا يتلى، ويشتبه على القارئ، بسبب أنه لم يكن قد اشتد إلف الناس بالقرآن، ولم يكثر حفاظه والمتقنون له، فلما ألفه الناس، وعرفوا أساليبه، وكمالَ بلاغته. . . . . فلم يخش اختلاطه بعد ذلك. وأما أن يكون نفس الكتاب محظورًا وتقييد العلم بالخط منهيًا فلا(٣).

---

(١) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، ص٤١٢، توجيه النظر إلى مصطلح أهل الأثر، طاهر الجزائري، (١/٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى، (٢١/٣١٨).

(٣) ينظر: معالم السنن، الخطابي، (٤/١٨٤)، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، (٤/٢٥٣)، زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، (٣/٤٠٢)، شرح السنة، البغوي، (١/٢٩٥)، المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، (١٨/١٣٠)، فتح المغيث بشرح ألفية العراقي في الحديث، العراقي، =

وقيل: النهي لمن أُمِنَ عليه النسيانُ ووثق بحفظه، وخيف اتكاله على الخط، إذا كتب، والإذن لمن خيف نسيانه، ولم يوثق بحفظه(١).

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا بد من علة يدور عليها الإذن والمنع في آن واحد، والعلة هنا هو خوف الانكباب على درس غير القرآن، وترك القرآن اعتمادًا على ذلك، وأنه لما زالت العلة، ورد الإذن بالكتابة(٢).

وممن سلك هذا المسلك في إزالة الإشكال حول أحاديث النهي عن تدوين الحديث والإذن، الدكتور مصطفى السباعي، حيث قال: "وأعتقد أنه ليس هنالك تعارض حقيقي بين أحاديث النهي وأحاديث الإذن، إذا فهمنا النهي على أنه نهي عن التدوين الرسمي كما كان يُدَوِّنُ القرآن، وأما الإذن فهو سماح بتدوين نصوص مِنَ السُنَّةِ لظروف وملابسات خاصة أو سماح لبعض الصحابة الذين كانوا يكتبون السُنَّةَ لأنفسهم، والتأمل في نص حديث النهي قد يؤيد هذا

=

(٣٩/٣)، النكت الوفية بما في شرح الألفية، برهان الدين البقاعي، (١٣٠/٢)، توضيح الأفكار، ابن الأمير الصنعاني، (٢١٨/٢).

(١) ينظر: التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، النووي، ص٦٧، المقنع في علوم الحديث، ابن الملقن، (٣٤١/١)، تدريب الراوي، السيوطي، (٤٩٢/١)، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد أبو شهبة، ص٥٧، إسعاف ذوي الوَطَر بشرح نظم الدُّرَر في علم الأثر، محمد علي آدم الأثيوبي، (٨/٢)، كتابة الحديث بين الإذن والنهي، مرجع سابق، ص٥٩.

(٢) ينظر: منهج النقد في علوم الحديث، ص٤٣، كتابة الحديث النبوي في عهد النبي ﷺ بين النهي والإذن، حسناء بنت بكري نجار، ص٤٧، ندوة: السنة النبوية بين ضوابط الفهم السديد ومتطلبات التجديد، بحث: أسباب الانحراف المعاصر في فهم السنة النبوية، د. توفيق الغلبزوري، (٢٢٣/٢).

الفهم، إذ جاء عَامًّا مخاطبًا فيه الصحابة جميعًا"[١].

هذا مجمل ما فهمه العلماء -رحمهم الله- للأحاديث الواردة في النهي عن الكتابة والإذن، ولكن هؤلاء القرآنيين نظرًا لاعتمادهم على المنهج القائم على التعضية، فإنهم تعمدوا إغفال الأحاديث والروايات الكثيرة التي تدل على الإذن بالكتابة[٢].

وخلاصة الأمر، أنه غاب عن هؤلاء المنكرين للسنة قاعدة في غاية الأهمية، تؤدي إلى الفهم السليم للنصوص الشرعية، وهي أن منبع اليقين، وطريق المنهج العلمي المستقيم في التعامل من النصوص الشرعية، هو القيام بقراءتها قراءة تكاملية شاملة، تؤدي بهم إلى الحقيقة، ولكنهم أثاروا التجزئة والتعضية للنصوص؛ استجابة لأفكار رسموها، وأهداف يسعون إلى تحقيقها والوصول إليها، من أهمها الطعن في السنة، وإقصاؤها من مصادر الشريعة.

خامسًا: اتباع الهوى.

اتباع الهوى أصل ضلال الضالين، ومنبع أكبر المسائل التي حصل بسببها التفرق في الدين، وبسببه برزت الفرق والمحدثات، وهو الباب الذي من خلاله ولج أهل الزيغ والضلالات، فكم من تحريف في الدين كان نتيجة سيطرة الهوى على صاحبه، فـــ"صاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه فلا يستحضر ما لله

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص٦١.

(٢) يراجع أحاديث الإذن بالكتابة في الكتب الآتية على سبيل المثال: تقييد العلم، للخطيب البغدادي، ص١١٦، وما بعدها، جامع بيان العلم وفضله، (١/١٤١).

ورسوله في ذلك، ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين أن الذي يرضى له ويغضب له أنه السنة وهو الحق وهو الدين"(١).

والانحراف في الدين إنما يكون منشؤه عن طريق تقديم الهوى على نصوص الشريعة، فقد كان ضلال أهل الكتاب من قبلنا اتباع أهوائهم، فأدى بهم إلى معارضة كتب ربهم، وتكذيب رسله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المائدة: ٧٠]. قال ابن كثير: "وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَهُمْ بِالْأُمُورِ الْمُخَالِفَةِ لِأَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ، وَبِإِلْزَامِهِمْ بِأَحْكَامِ التَّوْرَاةِ الَّتِي قَدْ تَصَرَّفُوا فِي مُخَالَفَتِهَا، فَلِهَذَا كَانَ يَشُقُّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَيُكَذِّبُونَهُمْ، وَرُبَّمَا قَتَلُوا بَعْضَهُمْ""(٢).

ويبدو أن هذا الداء قد انتقل من أهل الكتب السابقة إلى بعض أبناء الإسلام، وظهر أثره جليًا في أسلاف هذه الطائفة من الخوارج والفرق المنحرفة، حيث اعتدوا برأيهم، وحكموا أهواءهم، ورفضوا ما جاء من دين الله على لسان رسوله ﷺ لمعارضته أهواءهم، فالخوارج قام إمامهم وحكم عقله وهواه، ورد أمر رسول الله ﷺ ونسب إليه الجور، فقال له: (اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ)(٣).

---

(١) منهاج السنة النبوية، (١٧٦/٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٣٢١/١).

(٣) الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه البخاري في صحيحه، برقم، (٦٥٣٤)، (٢٥٤٠/٦).

وقد سار على طريقهم، واقتفى آثارهم أحفادهم من المنكرين للسنة، حيث أشربت قلوبهم الشبهات، وسيطرت على فكرهم الأهواء والمحدثات، فنصبوا أهواءهم حاكمة على الدين، ناقدة لسنة سيد المرسلين ﷺ، ومعارضة لكثير من أحكامها، التي اتفقت الأمة على اعتبارها وقبولها، فكان من نتاج غلبة أهوائهم وسيطرتها أنهم طعنوا في السنة جملة وتفصيلاً، ورفضوا أن تكون شريعة للمسلمين، قال الشاطبي رحمه الله: " فَصَاحِبُ الْبِدْعَةِ؛ لَمَّا غَلَبَ الْهَوَى مَعَ الْجَهْلِ بِطَرِيقِ السُّنَّةِ؛ تَوَهَّمَ أَنَّ مَا ظَهَرَ لَهُ بِعَقْلِهِ هُوَ الطَّرِيقُ الْقَوِيمُ دُونَ غَيْرِهِ، فَمَضَى عَلَيْهِ، فَحَادَ بِسَبَبِهِ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، فَهُوَ ضَالٌّ مِنْ حَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُ رَاكِبٌ لِلْجَادَّةِ؛ كَالْمَارِّ بِاللَّيْلِ عَلَى الْجَادَّةِ وَلَيْسَ لَهُ دَلِيلٌ يَهْدِيهِ، يُوشِكُ أَنْ يَضِلَّ عَنْهَا، فيقع في متلفة، وَإِنْ كَانَ بِزَعْمِهِ يَتَحَرَّى قَصْدَهَا.

فَالْمُبْتَدِعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ إِنَّمَا ضَلَّ فِي أَدِلَّتِهَا، حَيْثُ أَخَذَهَا مَأْخَذَ الْهَوَى وَالشَّهْوَةِ لَا مَأْخَذَ الِانْقِيَادِ تَحْتَ أَحْكَامِ اللَّهِ"[(١)].

وعند التأمل في كتاباتهم نجد أنهم يستدلون ببعض الآيات وبعض الأحاديث تحقيقًا لأهوائهم، وتقوية لأهدافهم، وهذا في الحقيقة لا يعني أنهم اتبعوا الدليل الشرعي، بل إنهم جعلوا أهواءهم أصلاً والدليل الشرعي فرعًا وتابعًا لذلك الهوى، وهو ما دأب عليه أهل الأهواء والبدع من قبلهم كما حكى ذلك الشاطبي-رحمه الله تعالى، حيث قال: " والدليل على ذلك أنك لَا تَجِدُ مُبْتَدِعًا مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَى الْمِلَّةِ إِلَّا وَهُوَ يَسْتَشْهِدُ عَلَى بِدْعَتِهِ بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ، فَيُنْزِلُهُ عَلَى مَا

(١) الاعتصام، (١/١٧٦).

وَافَقَ عَقْلَهُ وَشَهْوَتَهُ. . . . . لَكِنْ؛ إِنَّمَا يَنْسَاقُ لَهُمْ مِنَ الْأَدِلَّةِ الْمُتَشَابِهُ مِنْهَا لَا الْوَاضِحُ، وَالْقَلِيلُ مِنْهَا لَا الْكَثِيرُ، وَهُوَ أَدَلُّ الدَّلِيلِ عَلَى اتِّبَاعِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْمُعْظَمَ وَالْجُمْهُورَ مِنَ الْأَدِلَّةِ إِذَا دَلَّ عَلَى أَمْرٍ بِظَاهِرِهِ، فَهُوَ الْحَقُّ، فَإِنْ جَاءَ عَلَى مَا ظَاهِرُهُ الْخِلَافُ؛ فَهُوَ النَّادِرُ وَالْقَلِيلُ، فَكَانَ مِنْ حَقِّ الظَّاهِرِ رَدُّ الْقَلِيلِ إِلَى الْكَثِيرِ، وَالْمُتَشَابِهِ إِلَى الْوَاضِحِ. غَيْرَ أَنَّ الْهَوَى زَاغَ بِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ زَيْغَهُ، فَهُوَ فِي تِيهٍ مِنْ حَيْثُ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ"(١).

وهذا واقع منكري السنة في استشهادهم بالآيات القرآنية على رفض السنة النبوية، وهي في الحقيقة لا تشير إلى رفض السنة وإنكارها، بل تأمر أغلب الآيات التي يستشهدون بها على اتباع الرسول ﷺ، والأخذ بسنته، ولكن دأبوا على تأويل وتحريف كل ما خالف هواهم، وعارض فكرهم، وإن كانت دلالته أوضح من الشمس في وسط النهار، عافانا الله من الهوى، والسير في طريق أهل الضلال.

سادسًا: الغلو في استعمال العقل.

يعد الغلو في استعمال العقل سمةً من السمات البارزة في فكر القرآنيين(٢)، ومظهرًا من مظاهر كتاباتهم ومقالاتهم، فهم في الحقيقة امتداد للمدرسة العقلية القديمة والحديثة في جانب الاعتداد بالعقل والرفع من مترلته(٣)، فالعقل–في

---

(١) المرجع السابق، (١/٢٣٤).

(٢) سبق أن تحدث الباحث عن ذلك في مبحث أفكارهم.

(٣) للاطلاع على مكانة العقل عند المدرستين العقليتين، ينظر: المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، =

نظرهم-"ميزان الله في أرضه"[١]" الذي لا تقوم الحياة الرشيدة إلا عليه"[٢] ولا يتم "التعامل في هذه الحياة الدنيا [إلا] بالعقل؛ لأن الإسلام دين التعقل، والحق، والحقائق العلمية"[٣].

ويرون أن العقل يكفي ليكون مرشدًا وموجهًا للإنسان، جدير بأن يوصله ويقوده إلى اتباع القرآن الكريم، وطاعة الله ورسوله[٤]، إذ هو"نور يكشف حقيقة النواميس الكونية والشرعية على حد سواء، في الوقت الذي لا ترى فيه هذه النواميس إلا بالعقل"[٥].

وفضلاً عن ذلك، فإن البعض منهم يغلو فيرى أنه" لا يوجد حدود للعقل يتوقف عندها"[٦].

وفيما يتعلق بالعلاقة القائمةِ بين الشرع والعقل، يرون أن "العقلَ أصلٌ، والشرع فرع عنه"[٧]" "فكل ما حكم به العقل حكم به الشرع، والعقل رسول

=

د.فهد الرومي، (١/٥٣-٥٥، ٢٨٤-٢٩٢)، وموقف المدرسة العقلية الحديثة من السنة، الأمين الصادق الأمين، (١/٩٦-٩٨)، (٢/١٨٣-٢٠١).

(١) الإسلام والعقلانية، جمال البنا، ص ٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص٦.

(٣) إنذار من السماء، ص١١.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص٢٣، ص١٨٤.

(٥) المعجزة الكبرى، إحدى الكبرى، ٤٩٣.

(٦) الكتاب والقرآن، ص٤٣.

(٧) الإسلام والعقلانية، ص٣٠.

في الباطن، والشرع عقل في الظاهر"[١].

وانطلاقًا من هذا الارتباط بين الشرع والعقل، فإن النقل عندهم أصبح يخضع للعقل[٢] فيكون من حق كل قارئ ذكي وناصح للناس ومنتصح لنفسه، أن يشك بكل الأفكار التي تقدم له ولشعبه وقومه وعشيرته وأمته، فيضعها في ميزان العقل ليناقشها؛ لأن عقله سيقوده إلى معرفة ما ورث من تقليد خاطئ[٣].

وترتيبًا على ما تقدم، فإن عقول منكري السنة النبوية ما رست سلطانها في الساحة الفكرية الإسلامية، فأعطوا لأنفسهم الحرية المطلقة في تناول كل مسلَّمات الدين، وما علم من الدين بالضرورة، وجعلوها محلاً للجدل والنقد، بتحكيم عقولهم التي لا تُرى الحقيقة -بحسب زعمهم- إلا من خلالها، وهي المنتج للمسلَّمات، والناهض بالأمة من كبوتها التي سببتها لهم السنة وتراث الأمة[٤].

والخطير في الأمر، أنهم انطلقوا إلى السنة النبوية وأخذوا يموهون على الناس، ويُغرون العامة أنهم الحماة والمدافعون عن الإسلام ومصادره، فألفوا مؤلفات تحمل عبارات مضللة، مثل: (الاكتساح)[٥]، (والتطهير)[٦]، (التحرير)[٧]،

(١) المرجع السابق، ص٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص١٦.

(٣) ينظر: إنذار من السماء، ص٢٥، ص١٨٤.

(٤) ينظر: المعجزة الكبرى، إحدى الكبر، ص٩، ص١٠، ص١٥.

(٥) جزء من عنوان كتاب صالح أبو بكر، الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها.

(٦) ينظر العنوان السابق.

(٧) جزء من عنوان كتاب سامر إسلامبولي، واسمه: تحرير العقل من النقل، وقراءة نقدية لمجموعة من =

(التجريد)[١]، وغيرها، أرادوا من خلالها -بحسب زعمهم- إصلاح الإسلام وإنقاذ عقيدته وشريعته ورسوله[ﷺ] وشعب الإسلام مما ألصقته الأحاديث الموضوعة من الإساءة إليهم[٢]، وكذلك تحرير الإنسان المسلم من الإصر والأغلال ونقله من الظلمات إلى النور[٣]، عن طريق "استبعاد هذه التركة التي أثقلت كاهله، وكبلت عقول المسلمين"[٤].

لقد وجد القرآنيون ملاذهم فيما رسب من عقولهم من أفكار شاذة ومنحرفة تلقوها من أعداء الدين من العلمانيين والمستشرقين استقرت في قلوبهم ولم يستطيعوا دفعها، فأقنعتهم بأن السنة النبوية هي سر تخلف المسلمين وعدم نهوضهم، وأن ما جمعته دواوين الإسلام وجوامع السنن هو المسؤول عن ذلك، قال نيازي عز الدين عن كتب السنة النبوية: "إنها كتبٌ محشوةٌ بأوهام وخيالات، خالية من العلم والمنطق، تعزز التواكل، وتعطل العقل، وتنسف آخر أمل للمسلمين في الإصلاح والنهضة وبناء الإنسان على مبادئ العقيدة القويمة التي أعلت مكانة العقل ورفعت مشعله"[٥].

=

أحاديث البخاري ومسلم.

(١) عنوان كتاب جمال البنا، واسمه: تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تُلزم.

(٢) ينظر: إنذار من السماء، ص١٦٦، تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تُلـزم، ص١٦، ١٧.

(٣) ينظر: تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تُلزم، ص١٧.

(٤) إنذار من السماء، ص١٦٦.

(٥) المرجع السابق، ص١٨.

وقال جمال البنا: "وأصبحت عقلية المسلم المعاصر عقلية نقلية، وحيل بينه وبين أن يفكر أو يختار أو يقوم بمبادئه وأصبح التقليد والاتباع سياسة عامة وموقفًا مقررًا، وتعطلت بقدر ذلك ملكة التفكير. . وعلاها الصدأ. بحيث أصبح المسلم نوعًا من الروبوت يسير تبعًا لرومون كونترول هو السند"[١].

لقد شن القرآنيون حربًا فكرية ضد السنة النبوية، فزعموا أنها المكبل الوحيد لعقلية المسلم التي حرمته الإبداع، وعطلت آلة التفكير عند المسلمين[٢]، قال نيازي عز الدين: " وهكذا استبدلنا بالحقيقة وهمًا، وأقمنا ديننا على ازدواجية مزقت المسلم، فضاع بينهما، واستعضنا عما وهبنا الله من حرية التفكير والإبداع عبودية القيود التي تكبلنا، فلا نتنفس أو نتحرك إلا بحديث وسند، وليس لنا أن نجتهد، ونحكم عقولنا التي وهبنا إياها الله للتفكير"[٣].

ولم يقتصر الأمر عند القرآنيين على هذا الكلام العام، بل إنهم انطلقوا بعقولهم القاصرة وميزانهم المائل والمنحرف إلى أصح دواوين السنة النبوية (صحيح البخاري وصحيح مسلم) فوضعوهما في ميزانهم، الذي يعرفون من خلاله الصحيح من الضعيف، والحق من الباطل، قال نيازي: "يمكن فرز كل أوامر الرسول التي وردت في كل الصحاح ومعرفة اليقيني منها، وإلغاء مفعول ما يثبت منها أن الصحابة لم يمتثلوا لتطبيقها أو تنفيذها"[٤]، وأداهم في ذلك

(١) الإسلام والعقلانية، ص٣٩.

(٢) ينظر: إنذار من السماء، ص٨٥.

(٣) المرجع السابق، ص٨٥.

(٤) المرجع السابق، ص١٦٤.

كما صرح نيازي هو العقل: "ودليلنا في كشف الأحاديث المزورة هو العقل والمنطق لا الهوى. . . فكل ما يخالف ذلك الميزان كذب وافتراء"[١]، وقال جمال البنا: "إننا لا نحكم الهوى والظن والرأي الخاص في نقد الأحاديث-فهذا مستبعد[٢]- ولكن الذي لا يستبعد أبدًا هو حكم العقل؛ لأنه لا بديل عنه إلا قبول الخرافة"[٣] فما كان من الميزان المائل إلا أن خرج بأحكام جائرة، فادعوا أنهما-أي: الصحيحين- مليئان بالأحاديث والأخبار التي لا يمكن للعقل أن يقبلها[٤]، فهي أحاديث"تناقض المنطق والعقل السليم، وآيات القرآن الكريم، والحقائق العلمية التي وردت فيه"[٥].

إنهم يعرفون المكانة التي احتلها الصحيحان عند الأمة الإسلامية بكونهما أصح كتابين بعد كتاب الله-تعالى-كما أجمع على ذلك علماء الأمة[٦]، ولكنهم

---

(١) المرجع السابق، ص٢٠٧- ٢٠٨.

(٢) وهذا كذب منك وهراء، بل هو عين ما تقوم به أنت والمنحرفون من أمثالك، والبون شاسع بينكم وبين أصحاب العقول الراجحة، القائمة بالعدل والانصاف في التعامل مع حديث رسول الله ﷺ.

(٣) السنة ودورها في الفقه الجديد، ص٨٧.

(٤) ينظر: ثورة الإسلام، ص٤٤.

(٥) إنذار من السماء، ص٢١٣.

(٦) قال الشيخ الألباني: "والصحيحان هما أصح الكتب بعد كتاب الله-تعالى-باتفاق علماء المسلمين من المحدثين وغيرهم". مقدمة شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٢، وينظر في أقوال العلماء في ذلك: مقدمة ابن الصلاح، ص١٨، الديباج المُذَهَّب في مصطلح الحديث، علي بن محمد الجرجاني، ص١٦، الغاية في شرح الهداية في علم الرواية، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ص٧٧، تغليق =

ولكنهم رفضوا ذلك واعتبروا ذلك الجمع للأحاديث الصحيحة من الإمامين لم يكن إحسانًا إلى المسلمين[١]، واعتبر شحرور المقالة السابقة-أصح كتابين- من أكبر المغالطات، فقال: "يقولون: صحيح مسلم وصحيح البخاري، أو يقولون: إنهما أصح الكتب بعد كتاب الله، نقول: هذه إحدى أكبر المغالطات التي ما زالت المؤسسة الدينية تكره الناس على التسليم بها تحت طائلة التكفير والنفي"[٢].

لقد تناول القرآنيون-منكرو السنة- كثيرًا من أحاديث صحيح البخاري ومسلم في بعض مؤلفاتهم وردوا الكثير منها بحجة مخالفتها لعقولهم، ومن الكتب التي تناول فيها أصحابها دراسة مجموعة من أحاديث الصحيحين: الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها، تحرير العقل من النقل، وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم، وتجريد البخاري من الأحاديث التي لا تُلزم، والحديث والقرآن، ومحطات في سبيل الحكمة، وغيرهم، خرجوا في ذلك بأن أكثرها لا يمكن أن يقبله العقل[٣].

لقد أبعد القرآنيون النجعة في التعامل مع أحاديث الصحيحين، حيث بلغ بهم الحد إلى رفضها وعدم الوثوق بها[٤]، وخلص أحدهم بقوله: "والذي يبحث

=

التعليق، ابن حجر، (٥/٤٢٤).

(١) ينظر: إنذار من السماء، ص٢٥٦.

(٢) نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، ص١٦٠.

(٣) ينظر: إنذار من السماء، ص١٩٣.

(٤) ينظر: الحديث والقرآن، ص٤٤٣.

بدقة في أحاديث البخاري وصحيحه من جديد حسب معطيات العصر وعلومه يستطيع أن يتخلص من (٩٩%) منها أيضًا بكل سهولة"[١].

إن هذه الطريقة التي سلكها منكرو السنة في عرض الأحاديث على العقل قانون فاسد اتخذوه ليصدوا به الناس عن سبيل الله، وعن فهم مراد رسول الله ﷺ؛ فإنه لو"سَاغَ رَدُّ سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا فَهِمَهُ الرَّجُلُ مِنْ ظَاهِرِ الْكِتَابِ لَرُدَّتْ بِذَلِكَ أَكْثَرُ السُّنَنِ، وَبَطَلَتْ بِالْكُلِّيَّةِ.

فَمَا مِنْ أَحَدٍ يَحْتَجُّ عَلَيْهِ بِسُنَّةٍ صَحِيحَةٍ تُخَالِفُ مَذَاهِبَهُ وَنِحْلَتَهُ إِلَّا وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَتَشَبَّثَ بِعُمُومِ آيَةٍ أَوْ إِطْلَاقِهَا، وَيَقُولُ: هَذِهِ السُّنَّةُ مُخَالِفَةٌ لِهَذَا الْعُمُومِ وَالْإِطْلَاقِ فَلَا تُقْبَلُ"[٢].

وهذه الصفة من أصول أهل الكفر والضلال، كما صرح بذلك الأئمة الأعلام، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث قال: "وأما من قال: لا أصدق ما أخبر به حتى أعلمه بعقلي، فكفره ظاهر"[٣]، وقال ابن القيم رحمه الله: "فمعارضة أمر الرسل وخبرهم بالمعقولات إنما هي طريقة الكفار، فهم سلف للخلف بعدهم، فبئس السلف وبئس الخلف"[٤]، وقال الشاطبي في مآخذ أهل البدع والضلال: "رَدُّهُمْ لِلْأَحَادِيثِ الَّتِي جَرَتْ غَيْرَ مُوَافِقَةٍ لِأَغْرَاضِهِمْ

---

(١) نيازي عز الدين، في كتابه إنذار من السماء، ص٢٥٦.

(٢) الطرق الحكمية، ابن القيم، ص٦٥، ٦٦.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، (١/١٨٩).

(٤) الصواعق المرسلة، (٣/٨٩٨).

وَمَذَاهِبِهِمْ، وَيَدَّعُونَ أَنَّهَا مُخَالِفَةٌ لِلْمَعْقُولِ، وَغَيْرُ جَارِيَةٍ عَلَى مُقْتَضَى الدَّلِيلِ، فَيَجِبُ رَدُّهَا"(١).

ومن غير المبالغ فيه، التأكيد أن هؤلاء المشككين في نزاهة الأحاديث التي تلقتها الأمة بالقبول لم يكونوا منصفين في مخاطبة الناس ولا ناصحين لهم؛ إذ ليس من المنطق السليم أن ينظر الباحث في جميع الأحاديث من زاوية واحدة، وهو مدى الموافقة والمخالفة للعقل، ثم يطعن فيما لم يهضم منها عقله وثقافته حتى وإن كان الحديث من الغيبيات أو المعجزات، كما أنه ليس من المنطق أن يعلنوا أمام الناس ما وقع لهم من شبهة لبعدهم عن الجو الحديثي ويثيروه في كتاباتهم، فإن حديث النبي ﷺ ليس مثل حديث الإنسان العادي؛ إذ هو مرسل من رب العالمين مؤيد بالوحي يخاطب الأمة جميعًا لكن بالأسلوب الذي يعرفه الصحابة، وعلى ذلك ينقسم حديثه ﷺ إلى ما ينقسم إليه القرآن الكريم ذاته من الأحكام والغيبيات والمعجزات والفتن وأشراط الساعة والمحكم والمتشابه(٢).

إن هؤلاء القوم جعلوا السيادة المطلقة لعقولهم القاصرة، وقدموها على النقل الثابت، إنهم جهلوا أن العقل أداة زود الله ﷻ بها الإنسان للوصول إلى المعرفة، ومع ذلك فهو بحاجة إلى هاد ومرشد، إن هذا القائد والمرشد والهادي له، هو الوحي، وهم لا يعرفون أن العقل الذي يوافق النصوص الشرعية الثابتة، هو

---

(١) الاعتصام، (١/٢٩٤).

(٢) ينظر: الدراسات الحديثية المعاصرة(تحليل وحلول)، د. حمزة المليباري، ندوة السنة وتحديات العصر، (١/٢٧٣، ٢٧٤).

العقل الذي لم يغلب عليه الوهم والخيال؛ لأنه اهتدى بنور الوحي، فعصم به من الانحراف والضلال، وأما العقل الذي يعارض صريح الوحي الثابت، فهو الذي ابتعد عن نور الوحي، وغلبت عليه الأهواء والظنون والأفكار المنحرفة والضلالات الفاسدة، فسار بغير هدى فأنتج كل بلية، وصدر عنه كل رزية[1].

(١) ينظر: الدلالة العقلية في القرآن الكريم، د. عبد الكريم نوفان عبيدات، ص٢٠٠، ندوة السنة وتحديات العصر، بحث: أثر العقل في نقد الحديث عند المعاصرين، د. مختار نصيرة، (١/٤٦٥)، العلمانيون والقرآن الكريم، د. أحمد الطعان، ص٢٢٠.

المبحث الرابع
موقف العلماء ممن يفرق بينهما

تقدم في المبحث الأول من هذا الفصل بيان الصلة بين الأصلين الشريفين(الكتاب والسنة)، وأنهما توأمان لا ينفكان، وشقيقان لا ينفصلان؛ إذ الإيمان بالقرآن الكريم يستلزم الإيمان بالسنة النبوية، وأن التكذيب بالسنة يستلزم التكذيب بالقرآن.

وانطلاقًا من هذا الارتباط الوثيق، كان للعلماء العاملين، والأئمة المنافحين عن الدين موقفهم الصلب الرافض للفصل بين هذين المصدرين، بالإيمان بأحدهما دون الآخر، حيث اتفقت كلمتهم على وجوب الأخذ بهما كليهما دون تفريق.

وقد ترتب على هذا الاهتمام الكبير، الحرص من قبل العلماء على التنبيه بأهمية الارتباط بين الأصلين الشريفين، وأنه لا يمكن الاستغناء بأحدهما دون الآخر، وإن المرء ليلتمس ذلك الحرص جليًا في أقوالهم ومؤلفاتهم، إذ إنهم تمسكوا بالسنة تمسكهم بالقرآن الكريم، وحافظوا عليها محافظتهم عليه[١].

وقد وقف العلماء من الذين يريدون التفريق بين هذين المصدرين في مختلف العصور موقف المنكر لضلالهم، المبين لزيف أقوالهم، الفاضح لأهدافهم الخبيثة، التي يتسترون وراءها، الداعين لهذه الضلالة (القرآن وكفى)[٢]، وفيما يلي عرضٌ

---

(١) ينظر: أصول الحديث ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب، ص٣١.

(٢) ينظر: بحث: أضواء على مذاهب الذين رفضوا الاحتجاج بالسنة، د. عمر الأشقر، ص١٥.

عرضٌ لأقوال أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين فيمن كذب بالسنة النبوية، أو أنكرها، ودعا إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم، وسعى للفصل بينهما: فهذا خليفة رسول ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ يرى أن "السنة حبل الله المتين، فمن تركه فقد قطع حبله من الله"[(١)].

وقال معَاذ بن جبل ﷺ (ت: ١٨ه)[(٢)]:"التَّكْذِيب بِحَدِيث رَسُول الله ﷺ نفاق"[(٣)].

وقال عبد الله بن عمرﷺ (ت: ٧٣ هـ)[(٤)]: "من ترك السنة كفر"[(٥)]. ومعلوم أن صدور حكم الكفر من قبل الصحابة لا يكون إلا على أمر عظيم.

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله-(ت: ١٠١هـ)[(٦)]: "سن رسول الله ﷺ ﷺ وولاة الأمور بعده سننًا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة

---

(١) العين والأثر في عقائد أهل الأثر، عبد الباقي المواهبي، مقدمة المحقق، ص٧.

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن: صحابي جليل، ولد سنة، (٢٠ق.ه)، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام. وأحد الذين جمعوا القرآن على عهد النبيﷺ. أسلم وهو فتى، وشهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها، بعثه النبي ﷺ إلى أهل اليمن قاضيًا ومرشدًا، توفي(في طاعون عمواس)، سنة (١٨ه). ينظر: معجم الصحابة، البغوي، (٥/٢٦٦)، معجم الصحابة، لابن قانع، (٣/٢٤)، معرفة الصحابة، أبو نعيم، (٥/٢٤٣٢).

(٣) الحجة في بيان المحجة، (٢/٥٣١).

(٤) سبق التعريف به.

(٥) الأثر أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم، (٧٨٤٦)، (٨/٢٤)، الأحكام الشرعية الكبرى، عبد الحق الأشبيلي، المعروف بابن الخراط، (٢/٣٣٩)، الإبانة الصغرى، ابن بطة، ص١٤٠.

(٦) سبق التعريف به.

الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النظر في رأي خالفها، من اقتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين، ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا"(١).

وقال أيوب السختياني، (ت: ١٣١ هـ)(٢): "إذا حدثت الرجل بالسُّنَّة، فقال: دعنا من هذا، وحدثنا من القرآن، فاعلم أنه ضالٌّ مضلٌّ"(٣).

وقال أبو نَصْرِ بن سَلَّامٍ، (ت: ١٣٥هـ)(٤): "لَيْسَ شَيْءٌ أَثْقَلَ عَلَى أَهْلِ الْإِلْحَادِ، وَلَا أَبْغَضُ إِلَيْهِمْ مِنْ سَمَاعِ الْحَدِيثِ وَرِوَايَتِهِ بِإِسْنَادِهِ"(٥).

وقال الْأَوْزَاعِيّ، (ت: ١٥٧ هـ)(٦): "من بلغه حَدِيث فكذب بِهِ فقد كذب ثَلَاثَة، كذب الله، وَرَسُوله، وَالَّذِي حَدثهُ"(٧).

وقال ابن راهويه، (ت: ٢٣٨ هـ)(٨): "من بلغه عن رسول الله ﷺ خبر يقر

(١) السنة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل، (١/٣٧٥)، السنة، لأبي بكر بن الخلال، (٤/١٢٧)، الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، لأبي عمرو الداني، ص٢٦٠.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) الكفاية في علم الرواية، ص١٦، الحجة في بيان المحجة، (٢/٥٣١).

(٤) أَبو نصر مُحَمَّد بن سَلام، مَاتَ سنة(١٣٥ه). ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، (٢/٢٦٨).

(٥) شرف أصحاب الحديث، ص٧٣.

(٦) سبق التعريف به.

(٧) الحجة في بيان المحجة، (٢/٥٣١).

(٨) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، المروزي، أبو يعقوب ابن راهويه: عالم خراسان في عصره، ولد سنة =

بصحته، ثم يرده بغير تقية فهو كافر"[١].

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل، (ت: ٢٤١هـ)[٢]: "من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة"[٣].

قال الدارمي، (ت: ٢٨٠هـ): ". . . لِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ إِنَّمَا هُوَ دِينُ اللَّهِ بَعْدَ الْقُرْآنِ، وَأَصْلُ كُلِّ فِقْهٍ، فَمَنْ طَعَنَ فِيهِ فَإِنَّمَا يَطْعُنُ فِي دِينِ الله تَعَالَى"[٤].

قال المروزي، (ت:٢٩٤هـ)[٥]: "وَقَدْ أَنْكَرَ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ، وَزَعَمُوا أَنَّ ذَلِكَ خِلَافٌ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ لَزِمَهُ إِنْكَارُ جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ السُّنَنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ

=

(١٦١هـ)، كان أحد كبار الحفاظ، طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد ابن حنبل والبخاري ومسلم، وغيرهم، قيل: إنه اختلط في آخر عمره. له تصانيف، منها: المسند، استوطن نيسابور وتوفي بها سنة (٢٣٨هـ). ينظر: الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات، ابن الكيال، ص٨١، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، (٢٤٢/١)، الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط، سبط ابن العجمي، ص٤٩.

(١) الإحكام في أصول الأحكام، (٩٩/١)،.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (٤٧٧/٣).

(٤) نقض الإمام الدارمي على بشر المريسي، (٦٤٠/٢).

(٥) محمد بن نصر المروزي، أبو عبد الله: إمام في الفقه والحديث. كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم في الأحكام. ولد ببغداد، سنة (٢٠٢هـ). ونشأ بنيسابور، ورحل في طلب العلم، واستقر به النوى بسمرقند، وتوفى بها، سنة (٢٩٤هـ). له كتب كثيرة، منها: السنة، تعظيم قدر الصلاة، والمسند في الحديث، وغيرها. ينظر: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، الربعي، (٦٤١/٢)، طبقات الفقهاء، الشيرازي، ص١٠٦، الوفيات، ابن قنفذ، ص١٩٥.

مِمَّا لَمْ نَذْكُرْ، وَذَلِكَ خُرُوجٌ مِنْ جَمَاعَةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ"[(١)].

وقال الطحاوي، (ت:٣٢١هـ)[(٢)]: "ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام. أي: لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقاد لهما، ولا يعترض عليها، ولا يعارضها برأيه ومعقوله"[(٣)]. قال ابن أبي العز[(٤)] في شرحه لهذا الكلام: "أي: لا يثبت إسلام من لم يسلّم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها، ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه"[(٥)].

وقال البربهاري، (ت: ٣٢٩هـ)[(٦)]: "اعلموا أن الإسلام هو السنة، والسنة

---

(١) السنة، المروزي، ص١٠٣.

(٢) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر: فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر. ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، سنة (٢٣٩ه)، وتوفي بالقاهرة، سنة(٣٢١ه)، له تصانيف، منها: مشكل الآثار، أحكام القرآن، الاختلاف بين الفقهاء، وغيرها. ينظر: تاريخ ابن يونس المصري، ابن يونس الصدفي، (٢٠/١)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، (١٠٢/١)، تاج التراجم، ابن قُطلُوبغا، ص١٠٠.

(٣) العقيدة الطحاوية، أبو جعفر الطحاوي، ص٤٣.

(٤) علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي، الدمشقي: فقيه، كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق. كان مولده سنة (٧٣١ه)، وتوفي سنة (٧٩٢ه)، له مصنفات، منها: شرح العقيدة الطحاوية، التنبيه على مشكلات الهداية، النور اللامع فيما يعمل به في الجامع. وغيرها. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (١٠٣/٤)، الأعلام، (٣١٣/٤)، معجم المؤلفين، (١٥٦/٧).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، (٢٣١/١).

(٦) الحسن بن علي بن خلف البربهاري، أبو محمد: شيخ الحنابلة في وقته، من أهل بغداد. ولد سنة (٢٣٣ه)، وتوفي سنة (٣٢٩ه)، كان شديد الإنكار على أهل البدع، بيده ولسانه. له مصنفات، =

هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر، فمن السنة لزوم الجماعة، ومن رغب غير الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وكان ضالاً مضلاً"[١].

وقال أيضًا: "ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله ﷻ أو يرد شيئًا من آثار رسول الله ﷺ أو يصلي لغير الله، أو يذبح لغير الله؛ فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام"[٢].

وقال أيضًا: "إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها، أو ينكر شيئًا من أخبار رسول الله ﷺ فاتهمه على الإسلام"[٣].

وقال أيضا: "من رد آية من كتاب الله فقد رد الكتاب كله، ومن رد حديثًا عن رسول الله ﷺ فقد رد الأثر كله، وهو كافر بالله العظيم"[٤].

وقال ابن عبد البر(ت: ٣٣٨هـ)[٥]: "وأما أصول العلم فالكتاب والسنة، وتنقسم السنة قسمين: أحدهما: إجماع تنقله الكافة عن الكافة، فهذا من الحجج القاطعة للأعذار إذا لم يوجد هناك خلاف، ومَن رد إجماعهم فقد رد نصًا من نصوص الله يجب استتابته عليه، وإراقة دمه إن لم يتب لخروجه عما أجمع عليه

=

منها: شرح كتاب السنة، وغيره. ينظر: طبقات الحنابلة، (١٨/٢)، المقصد الأرشد في أصحاب أحمد، (٣٢٨/١)، سير أعلام النبلاء، (٩٠/١٥).

(١) شرح السنة، البربهاري، ص٣٥.

(٢) المرجع السابق، ص٦٤.

(٣) المرجع السابق، ص٧٩.

(٤) المرجع السابق، ص٩٧.

(٥) سبق التعريف به.

المسلمون وسلوكه غير سبيل جميعهم"(١).

قال الآجري، (ت: ٣٦٠ هـ)(٢): "...وَكَذَلِكَ جَمِيعُ فَرَائِضِ اللَّهِ، الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، لَا يُعْلَمُ الْحُكْمُ فِيهَا إِلَّا بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذَا قَوْلُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا خَرَجَ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَدَخَلَ فِي مِلَّةِ الْمُلْحِدِينَ"(٣).

وقال إبراهيم بن أحمد بن شاقلا، (ت: ٣٦٩هـ)(٤): "من خالف الأخبار التي نقلها العدل عن العدل موصولة بلا قطع في سندها، ولا جرح في ناقليها، وتجرأ على ردها فقد تهجم على رد الإسلام"(٥).

قال عبد القاهر البغدادي، (ت: ٤٢٩هـ)(٦): "ومن رد حجية القرآن والسنة فهو الكافر"(٧).

قال ابن حزم، (ت: ٤٥٦ هـ)(٨): "ولو أن امرأً قال: لا نأخذ إلا بما

(١) جامع بيان العلم وفضله، (٢/٧٣).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) الشريعة، الآجري، (١/٤١٢).

(٤) إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا، أبو إسحاق البزار، جليل القدر كثير الرواية حسن الكلام في الأصول والفروع، كان شيخ الحنابلة في زمنه، توفي (٣٦٩هـ). ينظر: طبقات الحنابلة، (٢/١٢٧)، شذرات الذهب، (٣/٦٨).

(٥) طبقات الحنابلة، (٢/١٣٥).

(٦) سبق التعريف به.

(٧) أصول الدين، البغدادي، ص١٦٢، ١٦٣.

(٨) سبق التعريف به.

وجدنا في القرآن، لكان كافرًا بإجماع الإمة"[١].

وقال أيضًا: "فلم يسعْ مسلم يقرُّ بالتوحيد: أن يرجع عند التنازع إلى غير القرآن، والخبر عن رسول الله ﷺ ولا أن يأبى عما وجد فيهما، فإن فعل ذلك بعد قيام الحجة عليه فهو فاسق، وأما من فعله مستحلاً للخروج عن أمرهما، وموجبًا لطاعة أحد دونهما فهو كافر، لا شك عندنا في ذلك"[٢].

وقال ابن أبي الخير العمراني، (ت: ٥٥٨هـ)[٣]: "إن من كذب بالشفاعة فقد رد الأخبار الثابتة عن النبي ﷺ فصار كمن رد على النبي ﷺ قوله، فصار بذلك كافرًا؛ لأنه أبطل شرف النبي ﷺ الذي خصه الله به في القيامة"[٤].

وقال الشاطبي، (ت: ٥٩٠ هـ)[٥]: "إن الِاقْتِصَارَ عَلَى الْكِتَابِ رَأْيُ قَوْمٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ، خَارِجِينَ عَنِ السُّنَّةِ؛ إِذْ عَوَّلُوا عَلَى مَا بَنَيْتَ عَلَيْهِ من أن الكتاب فيه بيان كل شيء، فَاطَّرَحُوا أَحْكَامَ السُّنَّةِ فَأَدَّاهُمْ ذَلِكَ إِلَى الِانْخِلَاعِ عَنِ الْجَمَاعَةِ، وَتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ عَلَى غَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ"[٦].

وعلّق ابن دقيق العيد، (ت: ٧٠٢ هـ)[٧] على طعون بعض الزائغين على

(١) الإحكام في أصول الأحكام، (٢/٨٠).

(٢) المرجع السابق، (١/٩٩).

(٣) سبق التعريف به. .

(٤) الانتصار في الرد على المعتزلة الأشرار، (٣/٧٠٧).

(٥) سبق التعريف به.

(٦) الموافقات، (٤/٣٢٥، ٣٢٦).

(٧) سبق التعريف به.

حديث الذباب بقوله: "إن هذا وأمثاله مما تُرد به الأحاديث الصحيحة إن أراد به قائلها إبطالها بعد اعتقاد كون الرسول ﷺ قالها كان كافرًا مجاهرًا، وإن أراد إبطال نسبتها إلى الرسول ﷺ بسبب يرجع إلى متنه فلا يكفر، غير أنه مبطل لصحة الحديث"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية، (ت: ٧٢٨هـ): "وَمُحَمَّدٌ ﷺ مَبْعُوثٌ إلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: إنْسِهِمْ، وَجِنِّهِمْ، فَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ يَسُوغُ لِأَحَدِ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَتِهِ وَطَاعَتِهِ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قَتْلُهُ"(٢).

وقال ابن القيم، (ت: ٧٥١ هـ) في تعليقه على حديث، (إِنِّي قَدْ خَلَّفْت فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ)(٣): "فَلَا يَجُوزُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ مَا جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا، وَيَرُدُّ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، بَلْ سُكُوتُهُ عَمَّا نَطَقَ بِهِ، وَلَا يُمْكِنُ أَحَدًا أَنْ يَطَّرِدَ ذَلِكَ، وَلَا الَّذِينَ أَصَّلُوا هَذَا الْأَصْلَ، بَلْ قَدْ نَقَضُوهُ فِي أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ مَوْضِعٍ مِنْهَا مَا هُوَ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ وَمِنْهَا مَا هُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ"(٤).

---

(١) شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، ابن دقيق العيد، (٢/١٧٧، ١٧٨).

(٢) مجموع الفتاوي، (٣/٤٢٢).

(٣) سنن الدار قطني، برقم، (٤٦٠٦)، (٥/٤٠٤)، كتاب الفوائد (الغيلانيات)، أبو بكر ابن عبدوَيْه البغدادي الشافعي البزَّاز، برقم، (٦٣٢)، ص٥١٠، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، برقم، (٨٧٥)، (١/١٧٣)، إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، ابن حجر، برقم، (١٨٣٦٤)، (١٤/٦٢١)، والحديث صحيح، قاله: الشيخ الألباني. ينظر: صحيح الجامع الصغير، برقم، (٣٢٣٢)، (١/٦١٥).

(٤) إعلام الموقعين، (٢/٢٢٠).

وقال أيضًا: "فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سببًا لحبوط أعمالهم، فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياستهم ومعارفهم على ما جاء به، ورفعها عليه، أليس هذا أولى أن يكون محبطا لأعمالهم؟ "(١).

قال ابن الوزير اليمني، (ت: ٨٤٠هـ)، وهو يتحدث عن علم الحديث: "فإنه علم الصّدر الأوّل، والذي عليه بعد القرآن المعوّل، وهو لعلوم الإسلام أصل وأساس، وهو المفسّر للقرآن بشهادة: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٤٤]، وهو الذي قال الله فيه تصريحًا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٤]، وهو الذي وصفه الصّادق الأمين، بمماثلة القرآن المبين؛ حيث قال في التوبيخ لكل مترف إمّعة: (إني أوتيت القرآن ومثله معه)(٢). وهو العلم الذي لم يشارك القرآن سواه، في الإجماع على كفر جاحد المعلوم من لفظه ومعناه"(٣).

وقال أيضًا: "إن التكذيب لحديث رسول الله ﷺ مع العلم أنه حديثه كفر صريح"(٤).

وقال السيوطي، (ت: ٩١١هـ)(٥): "اعلموا-رحمكم الله-أن من أنكر كون حديث النبي ﷺ قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة،

---

(١) المرجع السابق، (٤١/١).

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، (١٦/١)، الروض الباسم، ابن الوزير، (٧/١).

(٤) المرجع السابق، (٣٧٤/٢).

(٥) سبق التعريف به.

كفر وخرج عن دائرة الإسلام، وحشر مع اليهود والنصارى، أو مع من شاء الله من فرق الكفرة"(١).

وقال ابن الأمير الصنعاني، (ت: ١١٨٢هـ)(٢): "ولا ريب أن علم الحديث من أشرف العلوم وأفضلها؛ لأنه ثاني أدلة علوم الإسلام، ومادة علوم الأصول والأحكام، لا يرغب في نشره إلا كل صادق تقي، ولا يزهد في نصره إلا كل منافق شقي"(٣).

وقال الشوكاني، (ت: ١٢٥٠هـ): "فقد اتفق المسلمون سلفهم وخلفهم من عصر الصحابة إلى عصرنا هذا أن الواجب عند الاختلاف في أي أمر من أمور الدين بين الأئمة والمجتهدين هو الرد إلى كتاب الله -تعالى- وسنة نبيه-عليه الصلاة والسلام-الناطق بذلك الكتاب العزيز ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، ومعنى الرد إلى الله–سبحانه- الرد إلى كتابه، ومعنى الرد إلى رسوله ﷺ الرد إلى سنته بعد وفاته، وهذا مما لا خلاف فيه بين جميع

(١) مفتاح الجنة، السيوطي، ص٥.

(٢) محمد بن إسماعيل بن صلاح، الكحلاني، المعروف بابن الأمير الصنعاني، ولد سنة (١٠٩٩هـ)، وتوفي بصنعاء، سنة (١١٨٢هـ)، كان عالما، فقيهًا، مجتهدًا، متحررًا، له مصنفات كثيرة، منها: توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار، سبل السلام شرح بلوغ المرام، شرح الجامع الصغير للسيوطي، تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، وغيرها. ينظر: البدر الطالع، (١٣٣/٢)، الأعلام، (٣٦/٦)، معجم المؤلفين، (٥٦/٩).

(٣) توضيح الأفكار، (١٣/١).

المسلمين"[١].

وقال أيضًا: "اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال، وتحريم الحرام. . . . . ، والحاصل: أن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام"[٢].

وقال القاسمي، (ت: ١٣٣٢هـ)[٣]: "والاستكثار من الاستدلال على وجوب طاعة الله، وطاعة رسوله لا يأتي بعائدة، ولا فائدة زائدة، فليس أحد من المسلمين يخالف في ذلك. ومن أنكره فهو خارج عن حزب المسلمين"[٤].

وقال ابن سحمان، (ت: ١٣٤٩هـ)[٥]: "لا خلاف بين العلماء كلهم أن الإنسان إذا صدق الرسول ﷺ في شيء وكذبه في شيء لم يدخل الإسلام"[٦].

---

(١) شرح الصدور بتحريم رفع القبور، الشوكاني، ص٣، الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، الشوكاني، (٦/٣٠٨٦).

(٢) إرشاد الفحول، (١/٩٧).

(٣) سبق التعريف به.

(٤) محاسن التأويل، (٤/٣٥).

(٥) سليمان بن سحمان بن مصلح، النجدي، الحنبلي، كاتب فقيه، ولد سنة، (١٢٦٨هـ)، وتوفي، سنة (١٣٤٩هـ)، له مؤلفات، منها: الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، الهدية السنية، إقامة الحجة والدليل، وغيرها. ينظر: الأعلام، (٣/١٢٦)، معجم المؤلفين، (٤/٢٦٤)، مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، (٢/٩٣).

(٦) الضياء الشارق، سليمان سحمان، ص٣٤٩.

وقال المباركفوري، (ت: ١٣٥٣هـ)[١]: "وهذا الحديث[٢] دليل من دلائل النبوة، وعلامة من علاماتها، فقد وقع ما أخبر به ﷺ، فإن رجلاً قد خرج في البنجاب من إقليم الهند، وسمَّى نفسه بأهل القرآن، وشتان بينه وبين أهل القرآن، بل هو من أهل الإلحاد، وكان قبل ذلك من الصالحين فأضله الشيطان وأغواه، وأبعده عن الصراط المستقيم، فتفوه بما لا يتكلم به أهل الإسلام، فأطال لسانه في رد الأحاديث النبوية بأسرها ردًا بليغًا، وقال: هذه كلها مكذوبة، ومفتريات على الله-تعالى-وإنما يجب العمل على القرآن العظيم فقط دون أحاديث النبي ﷺ، وإن كانت صحيحة متواترة، ومن عمل على غير القرآن فهو داخل تحت قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، وغير ذلك من أقواله الكفرية، وتبعه على ذلك كثير من الجهال، وجعلوه إمامًا، وقد أفتى علماء العصر بكفره، وإلحاده، وأخرجوه عن دائرة الإسلام، والأمر كما قالوا"[٣].

وقال مصطفى السباعي، (ت: ١٣٨٤هـ)[٤]: "إن إنكار حجية السنة،

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبار كفوري، أبو العلى، ولد سنة(١٢٨٣ه)، وتوفي سنة، (١٣٥٣ه)، كان من علماء الحديث المشهورين بالهند، من مؤلفاته: تحقيق الكلام في وجوب القراءة خلف الإمام، تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي، وغيرهما. ينظر: غلاف كتابه تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، معجم المؤلفين المعاصرين، (٦٣٦/٢).

(٢) يشير إلى حديث: (يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته....).

(٣) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، المبار كفوري، (٣٥٤/٧-٣٥٥).

(٤) مصطفى بن حسني، أبو حسان السباعي: عالم، وأديب إسلامي، ولد بحمص (في سورية)، سنة (١٣٣٣هـ)، وتعلم بها، ودرس بالأزهر، وحصل منه على شهادة الدكتوراه في التشريع =

والادعاء بأن الإسلام هو القرآن وحده، لا يقول به مسلم يعـرف ديـن الله وأحكام شريعته تمام المعرفة، وهو يصادم الواقع، فإنّ أحكام الشريعة إنما ثبـت أكثرها بالسنة، وما في القرآن من أحكام، إنما هي مجملة، وقواعـد كليـة في الغالب"[١].

وقال عبد الرحمن المعلمي، (ت: ١٣٨٦هـ)[٢]: "منكر وجـوب العمـل بالأحاديث مطلقًا تقام عليه الحجة، فإن أصرّ بان كفره. ومنكر وجوب العمل ببعض الأحاديث إن كان له عذر من الأعذار المعروفة بين أهل العلم ومـا في معناها فمعذور، وإلا فهو عاص لله ورسوله، والعاصي آثم فاسق. وقد يتفق ما يجعله في معنى منكر وجوب العمل بالأحاديث مطلقًا "[٣].

=

الإسلامي وتاريخه، له مصنفات، منها: السنة ومكانتها في التشريع الاسـلامي، شـرح قـانون الأحوال الشخصية، السيرة النبوية، تاريخها ودروسـها، وغيرهـا. تـوفي بدمشـق، سـنة (١٣٨٤هـ/١٩٦٧م). ينظر: الأعلام، (٧/٢٣٢)، معجم المـؤلفين المعاصـرين، (٢/٧٧٣)، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى ٢٠٠٢م، كامل الجبوري، (٦/٢٢٩).

(١) السنة ومكانتها في التشريع، مرجع سابق، ص١٦٥.

(٢) عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي العُتُمي، المحدث، الفقيه، عالم بأحوال الرجال. ولد بمديريـة عتمة التابعة لمحافظة ذمار، باليمن، سنة (١٣١٢ه)، وتوفي بمكة سنة، (١٣٨٦ه)، له تصانيف منها طليعة التنكيل، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة النبوية من الزلل والتضليل والمجازفة، وغيرها. ينظر: الأعلام، (٣/٣٤٢)، معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي، عبد الله المعلمي، ص٤٥٩، مقدمة التنكليل، ترجمة بقلم ابنه عبد الله، (١/١٦٥)، مقدمة عمارة القبور، تحقيق: ماجد الزيادي، ص٧، هجر العلـم ومعاقلـه في اليمن، إسماعيل الأكوع، (٣/١٢٦٦).

(٣) الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، عبد الرحمن المعلمي، ص٨١، ٨٢.

وقال محمد أبو زهرة، (ت: ١٣٩٤هـ)[١]: "إن الذين يثيرون الغبار حول السنة فريقان، فريق ظهر مروقه من الدين مروق السهم من الرمية، وقد ظهرت هذه الطائفة في الهند وباكستان وما جاور ذلك،..."[٢].

وقال حمود التويجري، (ت: ١٤١٣هـ)[٣]: "ومن الرؤساء الزائغين المرتدين عن الإسلام من ذهب إلى اطراح السنة بالكلية زاعمًا أن الكذب قد دخل في الأحاديث واختلط الصحيح بالمكذوب بحيث لا يمكن التمييز بينهما فوجب اطراح الجميع، وهذا قول خبيث لا يصدر من رجل مسلم، وإنما يصدر من كافر فاجر لا يمت إلى الإسلام بصلة"[٤].

---

(١) محمد بن أحمد بن مصطفى، المعروف بأبي زهرة، ولد في المحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية بمصر في عام، (١٣١٥هـ- ١٨٩٨م)، كان عالمًا، أصوليًا، له مؤلفات، منها: تاريخ المذاهب الإسلامية، العقوبة في الفقه الإسلامي، الجريمة في الفقه الإسلامي، علم أصول الفقه، وغيرها، توفي سنة، (١٣٩٤هـ =١٩٧٤م). ينظر: الأعلام، (٦/٢٥)، الشيخ محمد أبو زهرة وآراؤه الاعتقادية(رسالة ماجستير)، فهد النمري، ص٢٢، المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، ملتقى أهل الحديث، ص٣٢٧.

(٢) من مقال له في مجلة حضارة الإسلام، عدد(٥)، ص٢٥. نقلا عن: المؤتمر العالمي للسيرة النبوية، (١/٢٩٨، ٢٩٩). السنة في مواجهة الأباطيل، ص٨٤.

(٣) حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري من علماء السعودية المشهورين، ولد في مدينة المجمعة، في عام (١٣٣٤ هـ)، لازم العلماء والمشايخ، حتى برع في العلم، وصنف المصنفات، منها: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، إثبات علو الله ومباينته لخلقه، توفي سنة (١٤١٣هـ). ينظر: معجم المؤلفين المعاصرين، (١/٢٠٠)، ترجمته على المكتبة الشاملة.

(٤) الرد القويم على المجرم الأثيم، حمود التويجري، (١/٧٨).

وقال ابن باز، (ت: ١٤٢٠هـ)[١]: "إن ما تفوّه به رشاد خليفة[٢] من إنكار السنة، والقول بعدم الحاجة إليها كفر وردة عن الإسلام؛ لأن من أنكر السنة فقد أنكر الكتاب، ومن أنكرهما أو أحدهما فهو كافر بالإجماع"[٣].

وقال رحمه الله: "من المعلوم عند جميع أهل العلم أن السنة هي الأصل الثاني من أصول الإسلام وأن مكانتها في الإسلام الصدارة بعد كتاب الله ﷻ فهي الأصل المعتمد بعد كتاب الله ﷻ بإجماع أهل العلم قاطبة، وهي حجة قائمة مستقلة على جميع الأمة، من جحدها أو أنكرها أو زعم أنه يجوز الإعراض عنها، والاكتفاء بالقرآن فقد ضلّ ضلالاً بعيدًا، وكفر كفرًا أكبر، وارتدّ عن الإسلام بهذا المقال"[٤].

وقال رحمه الله: "ونبغت نابغة بعد ذلك، ولا يزال هذا القول يذكر فيما بين وقت وآخر، وتسمى هذه النابغة الأخيرة (القرآنية)، ويزعمون أنهم أهل القرآن، وأنهم يحتجون بالقرآن فقط، وأن السنة لا يحتج بها؛ لأنها إنما كتبت بعد النبي ﷺ بمدة طويلة، ولأن الإنسان قد ينسى وقد يغلط، ولأن الكتب قد يقع فيها غلط، إلى غير هذا من الترهات، والخرافات، والآراء الفاسدة، وزعموا أنهم بذلك يحتاطون لدينهم فلا يأخذون إلا بالقرآن فقط. وقد ضلوا عن سواء

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، (٤٠٣/٢)، أبحاث هيئة كبار العلماء، (١٤٢/٧).

(٤) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، مرجع سابق، (١٣٢/٨).

السبيل، وكذبوا وكفروا بذلك كفرًا أكبر بواحًا"(١).

وقال محمد لقمان السلفي: "فلا يحل لمسلم أن يقتصر على أخذ أحكام دينه من القرآن وحده دون السنة؛ لأنه بذلك يقتصر إسلامه ويخرج من حظيرة المسلمين بإجماع فقهاء الأمة، حيث إنه ترك طاعة الرسول ﷺ التي هي اتباعه في حياته، واتباع حديثه بعد وفاته"(٢).

وقال أيضًا: "والحكمة (السنة) هي ثمرة الكتاب، أي سنة المصطفى وهديه، وهي مكملة للكتاب في بيان أحكام الدين، فلا يحق للمؤمن أن يقتصر على ما ورد في القرآن بالنسبة للتشريع الإسلامي، إذ لا بد له من اتباع ما ورد في السنة -أيضًا- اتباعًا لا انفصال معه عن القرآن المجيد"(٣).

قال سالم البهنساوي: "إنَّ الإجماع منعقد على أنَّ من رَدَّ السنة النبوية فقد ارتدَّ عن الإسلام"(٤).

وفي نهاية استعراضنا لأقوال علماء الأمة الإسلامية من المتقدمين والمتأخرين، والذي ربما طال بعض الشيء(٥)؛ نظرًا لخطورة الموضوع، وأهميته في بيان موقف

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، بحث: السنة ومكانتها في الإسلام وفي أصول التشريع، سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، العدد، (٥٢)، ص٧.

(٢) السنة حجيتها ومكانتها في التشريع، محمد لقمان السلفي، ص١٩.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤) السنة المفترى عليها، ص٢٣.

(٥) اكتفيت بهذه الأقوال، وإلا فالناظر في كتب علماء أهل السنة يجد أقوالاً كثيرةً حول هذا الموضوع.

علماء الأمة من أولئك الذين أنكروا السنة النبوية، ودعوا إلى الاكتفاء بالقرآن، حيث ظهر من أقوال العلماء أنهم قد أجمعوا على أن من أنكر السنة النبوية فهو كافر خارج عن ملة الإسلام.

ولا ريب أنَّ هذا الذي صار إليه علماء الإسلام في حكم منكر السنة النبوية، يظهر خطورة ما تنطوي عليه هذه الدعوة الظالمة من التفريق بين الكتاب والسنة من الأخطار التي تحاول دك أساس الإسلام، وتسعى لاقتلاعه من جذوره، فضلاً عن أنها تشوش فكر المسلمين في فهم كتاب الله تعالى.

ومن جهة أخرى، فإن محاولة الفصل بين المصدرين يمثل -أيضًا- أمرًا في غاية الخطورة، وهو أن تفسير القرآن وبيانه يُسلم لأصحاب الفكر المنحرف، الذين لا زالوا يسعون لصد الناس عنه، وتعكير صفو منبعه، وإن حدث ذلك -ونسأل الله أن لا يكون- سيكون النزاع في القرآن لا حد له.

الفصل الثاني

أصول التفسير وقواعده التي بنى عليها القرآنيون منهجهم في التفسير

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أصول التفسير وقواعده عند القرآنيين.

المبحث الثاني: منهج القرآنيين في التفسير.

المبحث الأول

أصول التفسير وقواعده عند القرآنيين

تشكل أصول التفسير وقواعده منظومة متكاملة لمنهجية صحيحة لفهم النص القرآني، واستنباط الأحكام والدلالات منه؛ وذلك لأن "الأصول والقواعد للعلوم بمنزلة الأساس للبنيان، والأصول للأشجار، لا ثبات لها إلاّ بها، والأصول تبنى عليها الفروع، والفروع تثبت وتتقوّى بالأصول، وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوى وينمى نماءً مطَّرداً، وبها تُعرف مآخذ الأصول، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تشتبه كثيراً، كما أنَّها تجمع النظائر والأشباه التي من جمال العلم جَمعُها"[(١)].

ولما كانت غايتها "ضبط المفسر بوضع القواعد الصحيحة والطرق السليمة، والمناهج السديدة، والشروط المحكمة والآداب الفريدة للمفسر"[(٢)]، سعى العلماء جاهدين من خلال إبراز هذه الأصول والقواعد خدمة لكتاب الله تعالى؛ كي تكون آلة لمريد تفسير القرآن؛ تنير له طريقه، وتسهل عليه سبيل الاستنباط لمعاني الألفاظ القرآنية.

إنَّ من عرف أصول التفسير وقواعده "انفتح له من المعاني القرآنية ما يجل عن الوصف، وصار بيده آلة يتمكن بواسطتها من الاستنباط والفهم، مع ملكة

(١) طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول، عبد الرحمن السعدي، ص٥.

(٢) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، د. فهد الرومي، ص١٢.

ظاهرة تصيره ذا ذوق واختيار في الأقوال المختلفة في التفسير، فيقوى على الفهم والاستنباط والترجيح"(١).

ومن جهة أخرى، فإن هذه الأصول والقواعد عند استعمالها تعصم المفسر من الوقوع في الزلل، والانحراف في فهم الآيات القرآنية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْإِنْسَانِ أُصُولٌ كُلِّيَّةٌ تُرَدُّ إِلَيْهَا الْجُزْئِيَّاتُ لِيَتَكَلَّمَ بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ، ثُمَّ يَعْرِفُ الْجُزْئِيَّاتِ كَيْفَ وَقَعَتْ. وَإِلَّا فَيَبْقَى فِي كَذِبٍ وَجَهْلٍ فِي الْجُزْئِيَّاتِ، وَجَهْلٍ وَظُلْمٍ فِي الْكُلِّيَّاتِ، فَيَتَوَلَّدُ فَسَادٌ عَظِيمٌ"(٢).

ولأهمية هذه الأصول والقواعد في تفسير كلام الباري جل وعلا، كان لزاماً على الباحث أن ينظر إلى الأصول والقواعد التي بنى عليها القرآنيون تفسيرهم للآيات القرآنية.

وهنا يرد سؤال، هل بنى القرآنيون تفسيرهم للآيات القرآنية على أصول وقواعد كانت قائدة لهم لفهم النص القرآني، أم كانت تلك الأصول مقودة من قبلهم؟

وللإجابة على هذا التساؤل، يقال:

- لم يكن لمنكري السنة اهتمام كبير بالكتابة عن أصول التفسير ومناهجه؛ بدليل عدم وجود مؤلف خاص من مؤلفاتهم تناول ذلك.

- حاول الباحث التعرف على أصولهم في التفسير من خلال النظر فيما

(١) قواعد التفسير، (١/٥٠).

(٢) منهاج السنة النبوية، (٥/٨٣)، مجموع الفتاوى، (١٩/٢٠٣).

كتبوه من مؤلفاهم صرحوا في بعضها اعتمادهم على أصول لتفسير القرآن كانت المعين لهم على التفسير، وهي: القرآن، اللغة، العقل.

وما يهمنا في هذا المبحث هو الكشف عن وجه الحقيقة عن ما قام به القرآنيون تجاه هذه الأصول التي اعتمدوها في بيان القرآن الكريم، ومدى تطبيقها على تفسيرهم للقرآن، وهل كانت تلك الأصول هي المرشدة لهم، أم كان الأمر غير ذلك؟

بادئ ذي بدء، يعرض الباحث لأقوالهم عن أصولهم في التفسير، ومن ثم يبين حقيقة ما قاموا به في كتاباهم فيما يتعلق بتلك الأصول والقواعد.

الأصل الأول: تفسير القرآن بالقرآن.

يعتبر الرجوع إلى القرآن من الحقائق المسلم بها عند جميع المفسرين من أهل السنة والجماعة، وغيرهم من الفرق الإسلامية، ومن غير المتوقع أن أحداً ممن ينتسب إلى الإسلام يخالف في هذا الأصل، قال ابن حزم: "لا خلاف بين أحد من الفرق المنتمية إلى المسلمين من أهل السنة، والمعتزلة، والخوارج، والمرجئة، والزيدية، في وجوب الأخذ بما في القرآن"(١)، فهو أول طريق من طرق تفسير القرآن كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَحْسَنُ طُرُقِ التَّفْسِيرِ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ أَصَحَّ الطُّرُقِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ، فَمَا أُجْمِلَ فِي مَكَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ فُسِّرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَمَا اُخْتُصِرَ مِنْ مَكَانٍ فَقَدْ

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، (١/٦٩).

بُسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ"[١]، "وتفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير"[٢]؛ فمن "تدبَّر القرآن وجد بعضه يفسر بعضا"[٣].

وهذا الأمر مما قرره منكرو السنة النبوية، حيث زعموا أنه أصل أصولهم، وعمدة منهجهم في تفسير القرآن الكريم، فهم يرون أن القرآن الكريم كتاب الله المنزل على نبينا محمدٍ ﷺ جعله الله كتابًا عربيًا، سهل على الناس حفظه وفهمه؛ كي يتعاملوا معه مباشرة إذا ما راموا فهمه، وهو لا يحتاج إلى وسيط، فقد جعل الله بيان القرآن داخله، فآياته يفسر بعضها بعضاً، وهذا البيان هو أحسن تفسير له، فإذا قرأه المسلم بتدبر وإيمان أغناه عمن يفسره، وهذا المنهج هو المنهج الذي سار عليه الرسول ﷺ حيث كان ﷺ يبين لأصحابه ما أشكل عليهم من القرآن من خلال القرآن، وهذا هو المنبع الصافي، والبديل الأمثل عن كل التفاسير والأصول الأخرى[٤].

وفي بيان محمد أبو زيد الدمنهوري لمنهجه في بداية تفسيره المسمى (بالهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن)، قال :"وأن تكون طريقتي فيه كشف معنى الآية وألفاظها بما ورد في موضوعها من الآيات والسور، فيكون من ذلك العلم

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، ص٣٩.

(٢) التبيان في أقسام القرآن، ص١٨٧.

(٣) مجموع الفتاوى، (١٦/٥٢٢).

(٤) ينظر:حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، ص٧٥، البيان بالقرآن، (١/١٨)، دين الرحمن، نيازي عز الدين، ص٢٥١، إله واحد، ص٣٨، إنذار من السماء، ص٤٢١، تثوير القرآن، ص١٠٠، أحسن القصص، ابن قرناس، ص١٤٠.

بكل مواضع القرآن، ويكون القرآن هو الذي يفسر نفسه كما أخبر الله، ولا يحتاج إلى شيء من الخارج غير الواقع الذي ينطبق عليه ويؤيده من سنن الله في الكون ونظامه الاجتماعي"[١].

وقال مصطفى المهدوي في بيان منهجه في تفسيره المسمى(البيان بالقرآن): "هذه دراسة لبعض أحكام الكتاب نستنبطها من القرآن الكريم، مسترشدين في ذلك بآياته المحكمات التي يفسر بعضها بعضاً، والتي وردت برحمة من الله -تعالى- تبياناً لكل شيء، وتفصيلاً لكل شيء"[٢].

وقال في موضع آخر:"وسوف نلتزم في هذه الدراسة غاية واحدة هي إقامة الدليل المرة بعد الأخرى على أن القرآن هو بيان القرآن وتفسيره، وأنه لا بيان للقرآن إلا بالقرآن، ولا تفسير له إلا به"[٣]، فـ"القرآن آيات بينات، وآيات مبينات الواحدة تكشف عن الأخرى، وتفسرها أحسن تفسير"[٤]، "إذا قرأها بفهم وتدبر وإيمان، فإذا فاتك من حكمها شيء قامت آية أخرى لتفسيرها، وآية أخرى لاستظهار حكمتها، وآية أخرى للاستثناء منها، إن كان ثمة استثناء شاء الله أن يرخص به، كل ذلك في عقد لا ينفرط، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد في كتاب جمع فأوعى"[٥].

---

(١) الهداية والعرفان، المقدمة، ص(ج).

(٢) البيان بالقرآن، (١/٩).

(٣) المرجع السابق، (١/٢٥).

(٤) المرجع السابق، (١/٢٥).

(٥) البيان بالقرآن، (١/١٥)، وينظر في عنايته بالتنظير لهذا الأصل، الكتاب نفسه: (١/١٢)، =

وقال أحمد صبحي منصور: "بيان القرآن من داخل القرآن، القرآن كتاب مبين في ذاته،...،كتاب الله هو الكتاب المبين بذاته، وآياته موصوفة بالبينات أي التي لا تحتاج في تبيينها إلا لمجرد القراءة والتلاوة والتفكر والتدبر فيها.

والذى جعل الكتاب مبيناً وجعل آياته بينات هو رب العزة القائل: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [البقرة: ١٥٩]، والقائل عن كتابه: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ [القمر: ١٧] ،....،وكل المطلوب منَّا أن نتلوا القرآن، وإذا تلوناه نطقت آياته البينات بنفسها، والتي لا تحتاج منا إلا لمجرد النطق وعدم الكتمان"[١].

وقال أحمد صبحي في تفسير قوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء: ٨٢]:"التدبر، معناه: أن يظل القارئ للقرآن خلف الآيات يتتبعها في القرآن حتى يستوعب المراد؛ لأن القرآن مثاني، وفيه التشابه وتكرار المعاني وتفصيلها، وآياته تفسر بعضها بعضاً، ولا يناقض بعضها بعضاً، لذا فإن الأمر بتدبر القرآن يشير إلى هذه الحقيقة"[٢].

وقال جمال البنا: "وإذا كان لا بد من تفسير فلا يمكن أن يتصدى لتفسير القرآن إلا القرآن نفسه، فالتلاوة المتكررة للقرآن والتفكير فيه يفتح آفاقه ويجلي

=

(١/١٥)، (١/٢٣)، (٢/٥٢١)، (٢/٦٨٨)، (٢/٧٢١، ٧٢٢)، (٢/٧٤٤)، (٢/٨٤٢)، وغيرها .

(١) القرآن وكفى، ص١٧.

(٢) القرآن وكفى، ص٥٦، ٥٧.

معانيه ويستكمل بعضه بعضاً"[١]، فـ"البديل الأمثل عن التفسير، هو جمع كل ما جاء في القرآن عن موضوع منها بحيث تتضح كل أبعاد الصورة التي يريدها القرآن لهذا الموضوع"[٢].

وقال سامر إسلامبولي: "يجب التعامل مع القرآن مباشرة دون وسيط أو وصي يملي علينا فهمه"[٣].

وقال نيازي عز الدين: "فهم القرآن مباشرة من نفس القرآن"[٤]، وقال: "نبدأ جولتنا في كتاب الله وآياته؛ لنجعلها تنطق بالحقيقة دون أن نفتري أو نتقول على الله ما لا نعرف.... وبين يدينا النص القرآني المترل بلغة عربية يسرها الله للناس؛ ليحفظوه ويفهموه، كل حسب استعداده، وتهيئة نفسه للفهم، ورغبته وجهده في تعليم نفسه"[٥].

ومع إيماننا الجازم بأهمية هذا الأصل، وضرورة تطبيقه عند تفسير القرآن، إلا أنه وبعد عرضنا لما قاله القرآنيون حول هذا الأصل وأهميته، يرد علينا سؤال عن طبيعة تفسيرهم للقرآن بالقرآن، وهل كان ما قاموا به من تفسير للقرآن بالقرآن "قائمًا على أسس علمية منهجية، تضع القرآن الكريم أساسًا أوليًّا للأسس التي يقوم عليها المنهج؟ أو أنهم اكتفوا بأن يكون القرآن الكريم هدفًا للنصرة، وموئلًا

---

(١) تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص١٢٩.

(٢) تثوير القرآن، ض١٠٠.

(٣) المرأة مفاهيم ينبغي ان تصحح، ص٢١.

(٤) إله واحد، ص٦٤، وينظر في الكتاب نفسه: ص٢٨، ص٢٩، ص٣٨، ٣٣، ص٦٤.

(٥) إنذار من السماء، ص٨١،.

للاستشهاد، دون أن يكون الأساس الأول من الناحية المنهجية؟"(١).

وبعبارة أخرى، هل جعلوا الآيات القرآنية قائداً لهم للوصول إلى التفسير الصحيح، أم كانت مقودة لدعم وتأييد ما تبنوه من أفكار وآراء مسبقة، والبحث عما يسبغ عليها ثوب الشرعية والقبول(٢)؟ إذ من المشاهد أن "الناس عندما يقتربون من القرآن، يقتربون منه إما ليستلهموا رأيه، وإما ليفرضوا عليه رأيهم أو تصوراهم، فمن استلهمه الرأي أعطاه الحجية في إعجازه وفي ملاءمته؛ لتوجيه الطبيعة الإنسانية، ومن فرض عليه الرأي المبيت أو التصور غير البريء أخرجه عن هدفه، أو عطله عن رسالته، أو رده إلى خرافة، أو نقله إلى بدائية"(٣).

وإجابة عن هذا التساؤل، فإن الباحث يقول:

١-إن رجال هذه الطائفة لم تلتزم المنهج الصحيح في تفسير القرآن بالقرآن، فإن القوم اعتقدوا أفكاراً محددة في عقولهم مقدماً، وسعوا لتدعيمها بالآيات القرآنية، واختاروا من التأويل ما يوصلهم إلى ذلك الغرض، ويحقق لهم النتائج التي يريدونها، وهذا ما دأبوا عليه اقتداءً بأسلافهم من المعتزلة والمتكلمين، الذين"اعتقدوا معاني، ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها"(٤).

وليس هناك من جديد؛ فالقوم قد ساروا على هذا النهج والتمسوه،

---

(١)الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية، د. يحيى هاشم فرغل، ص١٣٦.

(٢) ينظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، ص١٥١.

(٣) نحو القرآن، د. محمد البهى، ص٣.

(٤) مجموع الفتاوى، (١٣/٣٥٥).

يطرحون ما يريدون من الأفكار، ويدعموها بآيات، لا علاقة لها بالفكرة التي يضعوها، ولكنهم يريدون من ذلك إيهام أصحاب العقول الضعيفة أهم يرجعون إلى القرآن الكريم، ومنه ينهلون أفكارهم وطروحاهم.

٢- أن تفسير القرآن بالقرآن ليس بالأمر السهل-كما ظنه هؤلاء القوم، بل هو مبني على فكر ثاقب، وعمق في التفكير، وإعمال العقل في آيات الله بتدبر ونظر فاحص، ولا يقدر عليه إلا الفحول من العلماء؛ فالقرآن "قد اشتمل على الإيجاز والإطناب، وعلى الإجمال والتبيين، وعلى الإطلاق والتقييد، وعلى العموم والخصوص. وما أُوجزَ في مكان قد يُبْسطُ في مكان آخر، وما أُجْمِلَ في موضع قد يُبيَّن في موضع آخر، وما جاء مطلقاً في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى، وما كان عاماً في آية قد يدخله التخصيص في آية أُخرى.

ولهذا كان لا بد لمن يتعرض لتفسير كتاب الله-تعالى-أن ينظر في القرآن أولاً، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهبًا على معرفة ما جاء موجَزاً، وبما جاء مُبيَّناً على فهم ما جاء مُجمْلاً، وليحمل المُطْلَق على المقيَّد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسرَّ القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء عن الله، وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها، ويتخطاها إلى مرحلة أخرى، لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرف به من غيره"[1]، وأما هؤلاء القوم فإنهم يفتحون المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وينقلون منه المادة بتمامها، ويضعون أمام

---

(١) التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، (١/٣١).

كل آية جملة تلائمها، ولا يهمهم بعد ذلك أبقيت وحدة الموضوع بين أيديهم أم لم تبق[١].

٣- إنَّ هذه الأعمال التفسيرية التي قاموا بها هي في حقيقتها أبعد ما تكون عن تفسير القرآن بالقرآن؛ حيث قاموا بتفسير بعض الآيات ببعضها الآخر لورود كلمات فيها متشابهة، فهذا مالا يقبل من تفسير القرآن بالقرآن؛ لأنه يؤدي إلى أمرين خطيرين:

الأول: إغفال السياق القرآني الذي وردت فيه تلك الكلمة القرآنية، واختيرت في مكانها، ومثل هذا الإغفال مدعاة للخلط والخبط في التفسير.

الثاني: أنه يفضي إلى القول بتكرار معاني القرآن، ولا شك أن هذا غير مقبول. فكما أنه لا تكرار في ألفاظ القرآن وآياته، فمعانيه لا تكرار فيها، كذلك فكل آية، بل كل حرف جاء في آية في سياق خاص ومعان متجددة[٢].

٤- إن هذه الطريق التي سلكها البعض منهم في تفسير القرآن بالقرآن قدمت صورة مشوهة عن تفسير القرآن بالقرآن، بما طرحه من تكلفات وصعوبات عند تفسير بعض الآيات، وتشتيت لذهن القارئ قد تخرجه عن مراده، وعدم الوصول إلى شيء في فهم معنى الآية أو اللفظة القرآنية التي كان يريد فهمها، قال محمد رشيد رضا، وهو يتحدث عن كتاب(الهداية والعرفان)

---

(١) ينظر: نشأة التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية، د. محمد بسيوني، ص٥٤، السنة النبوية في مواجهة أعدائها، د. طه الدسوقي الحبيشي، ص٦٣.

(٢) ينظر: التفسير أساسياته واتجاهاته، د. فضل عباس، ص١٨٧، ١٨٨.

لمحمد أبو زيد: "وقد فتحت المصحف-الآن-لأجل كتابة شاهد على ما قلت؛ فجاءت أمامي سورة الجن، فإذا هو قد كتب في حاشيتها ما نصه: (٦- ١٠) : اقرأ الصافات وتدبرها آية آية ثم الأعراف إلى ٣٨ و ٣٩ وما بعدها إلى آخرها ثم سبأ وغافر وإبراهيم والأنعام ويس والشعراء ثم الإسراء، والكهف والحجر والرحمن والنمل وفصلت والذاريات وأواخر الأحزاب، ثم هود والسجدة والناس، ثم الفاتحة ثم ١٤٦ و١٦٥-١٦٧ في البقرة. بعد هذا تفهم أنه يطلق الجن والجِنة على الزعماء والمستكبرين من السادة المتبوعين، ويعبر عن الإنس بسائر الناس المقلدين، والتابعين المستضعفِين. اهـ. بحروفه[1].

هذه الحاشية تقنع كل مَن له مسكة من العقل- أن كاتبها ليس له مسكة من العقل، ولا شمة من العلم، وأنه لا يفهم ما يكتبه هو، فكيف يفهم كلام الله تعالى؟ !الذي يتوقف فهمه على إتقان اللغة العربية، وسعة العلم بالعلوم الشرعية، وهو لم يؤتَ منهما شيئًا له قيمة. أمر مَن يبتليه الله تعالى برؤية (هوامشه) أن يقرأ عشرين سورة من السور الطوال والمئين وطوال المفصل ووسطه وقصاره بترتيب معين، عطف بعضه بثم وبعضه بالواو، ثم بقراءة ثلاث آيات من البقرة بعد قراءة الفاتحة، وقال: (بعد هذا تفهم أنه -أي الله عز وجل- يطلق الجن والجنة على الزعماء والمستكبرين من السادة المتبوعين، ويعبر عن الإنس بسائر الناس المقلدين، والتابعين المستضعفين"[2].

---

(١) الهداية والعرفان، ص٤٥٨.

(٢) مقال بعنوان: إلحاد في القرآن ودين جديد بين الباطنية والإسلام، محمد رشيد رضا، مجلة المنـــار، مجلد(٣١)، ص٦٧٣.

٥- ومن عبثيتهم في تفسير القرآن بالقرآن أنهم يأتون بآية ثم يستخرجون منها معنىً فاسداً، ثم يستدلون على هذا المعنى الفاسد بآيات أخرى لا علاقة لها بالآية، ولا بالمعنى الفاسد الذي ذكروه، إلا تكرار كلمة من الكلمات في الآيتين(١)، ومثاله: ما استشهد به أحمد صبحي منصور في دعوى الاكتفاء بالقرآن، حيث استدل بقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف: ٢٦ – ٢٧]على أن القرآن هو وحده الكتاب الذي أوحي للنبي، ولا مبدل لكلماته، ولن يجد النبي غير القرآن كتاباً يلجأ إليه(٢). ثم استشهد على هذا المعنى بآيات منها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ٢٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[الزمر: ٣٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣]. وغيرها من الآيات(٣).

الأصل الثاني: اللغة العربية:

تعتبر اللغة العربية من الأسس المهمة التي يعتمد عليها في فهم النص القرآني؛ وذلك لأن القرآن الكريم اتسم بسمات وخصائص متعددة، منها: أن الله

---

(١) ينظر: التيار العلماني الحديث وموقفهم من تفسير القرآن، ص٤١٥.

(٢) ينظر: القرآن وكفى، ص٧.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٧، ٨.

-تعالى-أنزله بلسان عربي مبين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢]، وقد جعله الله معجزة رسوله ﷺ الكبرى، وشاهد صدقه إلى أفصح الناس لساناً، العرب، وهذه سنة الله في بعث رسله أن يبعث كلَ رسولٍ بلسان قومه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤]، قال الطاهر بن عاشور[1] رحمه الله: "اخْتَارَ اللَّهُ-تَعَالَى-أَنْ يَكُونَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ مُظْهِرًا لِوَحْيِهِ، وَمُسْتَوْدَعًا لِمُرَادِهِ، وَأَنْ يَكُونَ الْعَرَبُ هُمُ الْمُتَلَقِّينَ أَوَّلًا لِشَرْعِهِ وَإِبْلَاغِ مُرَادِهِ لِحِكْمَةٍ عَلمهَا: مِنْهَا كَوْنُ لِسَانِهِمْ أَفْصَحَ الْأَلْسُنِ وَأَسْهَلَهَا انْتِشَارًا، وَأَكْثَرَهَا تَحَمُّلًا لِلْمَعَانِي مَعَ إِيجَازِ لَفْظِهِ"[2].

ومن هنا تعلم أهمية اللغة العربية؛ كونها أداة من الأدوات التي يفهم بها كلام الباري ﷻ على الوجه الصحيح الذي أراده الله ﷻ، فكان لزاماً على كل من أراد فهم معانيه وإدراك مراميه، أن يكون على جانب كبير من التمكن من اللغة العربية، وإلاَّ لا يقدر على شيء من ذلك[3]، قال الإمام الشافعي رحمه الله: "..وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحدٌ جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرقها. ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) التحرير والتنوير، (١/٣٩).

(٣) ينظر: أصول التفسير وقواعده، خالد العك، ص١٣٨، أسباب الخطأ في التفسير، (١/٢١٦)، منهج الاستدلال بين أهل السنة والشيعة، أحمد الصويان، ص٥٣.

من جهل لسانها"[١].

ومن أجل ذلك وقف السلف-رحمهم الله تعالى-موقف المنكر على من تجرأ على تفسير القرآن وليس من أهل العلم والدراية بعلم العربية، فمعرفة هذا الفن ضروري للمفسر، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى[٢]، قال مجاهد رحمه الله:"لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"[٣].

وقال مالك بن أنس[٤]: "لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً"[٥].

وقال ابن فارس[٦]: "إنَّ العلم بلُغة العرب واجبٌ على كل متعلِّق من العِلمِ بالقرآنِ والسُّنَّةِ والفُتْيا، فمَنْ أرادَ معرفةَ ما في كتابِ الله ﷻ وما في سُنَّة رسول الله ﷺ مِن كل كلمة غريبة أو نَظْمٍ عجيب، لم يَجِدْ من العلم باللغة بُدّاً"[٧].

ولا شك أن من تعرض لتفسير القرآن الكريم وهو مفلس في معرفة قواعد اللغة العربية، هلك وأهلك، وتأول فانحرف، وفسر فأخطأ[٨]، فقد روي أن

---

(١) الرسالة، ص٤٧.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، (٢٩٢/١).

(٣) المرجع السابق، الجزء والصفحة نفسها.

(٤) سبق التعريف به.

(٥) البرهان في علوم القرآن، (٢٩٢/١).

(٦) سبق التعريف به.

(٧) الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، ص٥٠.

(٨) ينظر: أسباب الخطأ في التفسير، (٩٨٣/٢).

الحسن البصري قال لقوم من المبتدعة: "أهلكتهم العجمة؛ يتأولونه-أي القرآن- على غير تأويله"[١]، وفي رواية أخرى: "أَهْلَكَتْهُمُ الْعُجْمَةُ، يَقْرَأُ أَحَدُهُمُ الْآيَةَ، فَيَعْيَا بِوُجُوهِهَا حَتَّى يَفْتَرِيَ عَلَى اللَّهِ فِيهَا"[٢].

قال الزُّهْرِيُّ: "إنّما أخطأ النّاسُ في كثيرٍ من تأويل القرآن لجهلهم بلغة العرب"[٣].

وقال الشاطبي:"فمن أراد تفهم القرآن فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة"[٤].

وها هنا مسألة جديرة بالتنبُّه، وهي: إن اللغة العربية إنما تكون المصدر المعتمد عليه في التفسير عند فقد الأصول المتقدمة عليه، قال الزركشي: "مَالَمْ يَرِدْ فِيهِ نَقْلٌ عَنِ الْمُفَسِّرِينَ، وَهُوَ قَلِيلٌ، وَطَرِيقُ التَّوَصُّلِ إِلَى فَهْمِهِ النَّظَرُ إِلَى مُفْرَدَاتِ الْأَلْفَاظِ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ وَمَدْلُولَاتِهَا وَاسْتِعْمَالِهَا بِحَسَبِ السِّيَاق"[٥].

وبعد، فهذا ما يراه أئمة التفسير من أهل السنة والجماعة عن مكانة اللغة العربية في تفسير القرآن، وأما إذا انتقلنا إلى معرفة مكانة اللغة العربية في تفسير القرآن الكريم عند القرآنيين، فإننا نجدهم يعتبرونها الأصل الثاني من أصولهم في تفسير القرآن الكريم، قال مصطفى المهدوي مبيناً مرتبة اللسان العربي، وشرط

---

(١) الاعتصام، (١/٣٠٤).

(٢) المحرر الوجيز، (١/٤٠)، البحر المحيط في التفسير، (١/٢٥).

(٣) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية، أبو حاتم الرازي، ص١٢٤.

(٤) الموافقات، (٢/١٠٢).

(٥) البرهان في علوم القرآن، (٢/١٧٢).

الاعتماد عليه: "البيان بالقرآن، واللسان العربي شرط لبيان القرآن، فلقد أنزل بلسان عربي مبين، وإنما يجب أن يكون اللسان مقيداً بالقرآن، فإذا وجدنا في لساننا اعوجاجاً وجب تقويمه بما أثبته القرآن، والاجتهاد باللسان العربي لا يقبل إلا إذا كان من الذين يتدبرون القرآن ابتغاء رحمة الله ورضوانه"(١).

ويقول المهدوي مؤكداً لكلامه السابق وموضحاً مرتبة اللغة في التفسير، وأنها تالية لبيان القرآن:"وبيان التنزيل ينبغي أن يفسر من القرآن ذاته قبل الرجوع إلى القواميس العربية أو غيرها"(٢).

وتأتي أهميتها عندهم من جهة أن الله أنزل القرآن الكريم "بلسان العرب، وخاطبهم فيه بما يعرفون وبما يفهمون، فهو وحي الله إليهم مباشرة وإلى العالمين بواسطتهم، وجميع ما فيه مفهوم لهم بدون احتياج إلي تفسير مفسر أو تأويل مؤول، أما الأمم الأخرى التي تأخذ القرآن عن العرب فلابد لهم من معرفة اللغة العربية معرفة تامة، وكذا معرفة أحوال العرب وعاداتهم وتاريخهم واصطلاحاتهم؛ حتى يتيسر لهم فهم القرآن على حقيقته، وهم غير محتاجين لمعرفة شيء آخر من أحاديث أو ناسخ أو منسوخ أو قصص أو غير ذلك مما لم أذكره هنا"كما صرح بذلك محمد توفيق صدقي(٣).

وهو ما اعتمده نيازي في بيان منهجه في مؤلفه، بقوله: "وأضيف موجزاً أن

(١) البيان بالقرآن، (١/١٦).

(٢) المرجع السابق، (١/٢٣).

(٣) حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، ص١٥٠.

كتابي هذا هو دراسة متواضعة للنص القرآني الحكيم بأسلوب علمي، ومحاولة لفهم النص القرآني في سياق الآيات نفسها في ضوء اللغة العربية التي نزلت بها آيات هذا القرآن على لسان خاتم الأنبياء والرسل محمد بن عبد الله ﷺ"[١].

ويعطي نيازي صفة هذه اللغة التي بها يفسر القرآن، بعد وصفه للقرآن، بقوله: "يقوم على لغة مرنة تصلح لكل زمان ومكان، وتتيح لكل إنسان يعرف العربية أن يفهم من كتاب الله ما يفي بتبليغه قواعد الإيمان وأسسه دون حاجة منه إلى الاستعانة منه بالمحدِّثين أو المفسرين"[٢].

وأما عن تعامل شحرور مع اللفظة القرآنية، فإنه قد أغرب حيث رفض إرجاع المفردة القرآنية إلى مدلولها عند العرب في زمن نزول القرآن، واعتبر ذلك حاجباً عن فهم القرآن، فقال: "لذلك فإننا نرى أن العقل السلفي يكرس الرؤية التاريخانية[٣] المادية للتزيل الحكيم، وذلك من خلال اشتراط التفسير بفهم الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وإرجاع دلالة المفردة إلى حكم استخدام العربي البدوي لها في شعره ونثره، وكذلك أقوال الصحابة والإجماع والقياس وغيره، فكل تلك الأدوات تجعل من التزيل الحكيم نصاً تاريخياً ذا فهم مشروط

---

(١) إنذار من السماء، ص٢٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٠.

(٣) وهي تعني أن القرآن الكريم محكوم ببيئته الزمانية والمكانية والبيئية، فهي دعوة ضارة ضالة تهدف بعبثية لفظية لحبس القرآن الكريم في إطاره الزمني والمكاني والبيئي، لمنع انتشاره وتطبيقه في الزمن الحاضر والمستقبل. معجم مصطلحات علوم القرآن، لشيخنا الأستاذ الدكتور: محمد بن عبد الرحمن الشايع، ص٥٣.

بتاريخ وثقافة محددة"[١].

وبعد هذا العرض لاعتماد القرآنيين اللغة أصلاً من أصولهم في فهم القرآن، نجد أن اللغة لعبت دورًا مهماً عند القرآنيين حيث قاموا من خلالها بإدخال كثير من أفكارهم المنحرفة، في تفسير الآيات القرآنية، وإن كانت عند التحقيق إنما هي تكلفات حملوا اللغة ما لا تحتمله من تأويلاتهم، فحرفوا المعاني، وعطلوا صفات الباري جل وعلا، وهذا ما دأب عليه أسلافهم من أهل الانحراف منذ ظهورهم[٢]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ولابد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقة مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني؛ فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب؛ فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك"[٣].

ومن أمثلة انحرافات القرآنيين في تفسير القرآن باللغة، ما يأتي:

١- صرف اللفظ العربي عن معناه الموضوع له إلى معنى آخر بدون مقتضٍ لذلك الصرف، ومثاله: ما قام به محمد أبو زيد من إنكار معجزة الكلام لنبي الله عيسى عليه السلام في المهد، حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ**

(١) القصص القرآني(١)، ص٩٩.

(٢) وهذا قياس مع الفارق؛ فأصحاب الفرق المنحرفة السابقة، كانوا على علم ودراية واطلاع على فنون العربية، وأما هؤلاء فالجهل بها شعارهم.

(٣) الإيمان، ص٩٧، مجموع الفتاوى، (١١٦/٧).

وَكَهْلًا ﴾ [آل عمران: ٤٦]، فقال:"(فِي ٱلْمَهْدِ) في دور التمهيد للحياة، وهو دور الصبا، علامة على الجرأة، وقوة الاستعداد في الصغر، (وَكَهْلًا) علامة على أنه لا يفل عزمه بالشيخوخة والكبر، ويصح أن يكون المعنى يكلم الناس الصغير منهم والكبير؛ علامة على تواضعه ومباشرة دعوته بنفسه"(١).

وفي تفسيره هذا مخالف لما ورد في لغة العرب، فقد ورد في المعاجم العربية أن المقصود بالمهد: الموضعُ يُهَيَّأُ للصبيّ ويُوَطَّأُ لِينَام فيه(٢)، وفي صرفه اللفظ عن وضعه في اللغة يهدف إلى إنكار معجزة نبي الله عيسى عليه السلام.

٢- ومنها التصرف في دلالات الحروف والأدوات وتوجيهها حسب فكرهم، ومثاله، صرف عدنان الرفاعي (مِنَ) في قوله تعالى:﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ [التوبة: ١٠٠] إلى التبعيض، لتأييد فكره القائم على إنكار عدالة الصحابة جميعاً، قال عدنان الرفاعي:"نرى أن كلمة﴿ مِنَ ﴾ في العبارة القرآنية:﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ تعني جزءاً من المهاجرين والأنصار، ولا تعني كل المهاجرين والأنصار فكلمة ﴿مِنَ﴾ وفق هذا المجمل التاريخي- تفيد التبعيض، ولا تفيد التبيين"(٣).

وهذا الصرف مخالف لما قال به المفسرون، قال الرازي:"وَكَلِمَةُ (مِنْ) فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ لَيْسَتْ لِلتَّبْعِيضِ، بَلْ لِلتَّبْيِينِ، أَيْ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ

---

(١) الهداية والعرفان، ص٤٤.

(٢) ينظر: العين، الخليل بن أحمد، (٤/٣١)، تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري،(٦/١٢٧)، القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص٣٢٠، تاج العروس، الزبيدي، (٩/١٩٠).

(٣) محطات في سبيل الحكمة، ص١٩٩.

الْمَوْصُوفُونَ بِوَصْفِ كَوْنِهِمْ مُهَاجِرِينَ وَأَنْصَارًا"(١).قال ابن عادل الحنبلي: "وذهب إلى هذا كثيرٌ من النَّاس"(٢).

٣-عدم الأخذ بتفسير السلف للغة العربية ورده، وعلى هذا الوجه ينبني ردهم تفسير السلف للاستواء بأنه العلو والارتفاع، والعرش بأنه سرير الملك، وغيرها، مع صحة الروايات في ذلك(٣)، ومثاله: تأويل سامر إسلامبولي العرش بأنه الأمر والنهي، فقال في قوله تعالى:﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء: ٤٢]، قال: "أي لو كان مع الله شركاء في تدبير أمور الكون لابتغوا إلى ذي الأمر والنهي، وهو الله سبيلا"(٤).

وقال في قوله تعالى:﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج: ١٥]،:"أي ذو الأمر والنهي المتصف بكمال الصفات"(٥).

الأصل الثالث: العقل.

سبق أن بيّن الباحث منزلة العقل في فكر منكري السنة(٦)، وأهم يقدسونه، ويجعلونه أساس فكرهم، بل هو الميزان الذي به يوزن الشرع عندهم، ويحاول

---

(١) مفاتيح الغيب، (١٦/١٢٩).

(٢) اللباب في علوم الكتاب، (١٠/١٨٦).

(٣) ينظر: مناهج اللغويين في تقرير العقيدة، د. محمد الشيخ عليو، ص٨١.

(٤) الألوهية والحاكمية، سامر إسلامبولي، ص٢٩١.

(٥) المرجع السابق، ص٢٩٢.

(٦) في مبحث أفكار القرآنيين وأهدافهم.

الباحث في الأسطر القادمة بيان مكانة العقل عند منكري السنة في تفسيرهم للقرآن الكريم.

حظي العقل بحضوره الملفت في تأويلات القرآنيين للآيات القرآنية، فقد كان هذا الأصل عمدتهم، وأساس تفسيرهم، ومركبهم الذلول للتعامل مع آيات الكتاب الكريم، فقد أشادوا به، وجعلوه الأساس لاستنباط الأحكام الشرعية من القرآن الكريم، والاقتصار عليه بعد القرآن في التفسير[١]، فهو في نظرهم الطريق الوحيد الذي يمكن من خلاله الوصول إلى ما يريدون معرفته، فالله-تعالى-لا يمكن معرفته إلا عن طريق العقل، قال نيازي: "لا يمكن للإنسان أن يعرف الله حقيقة إلا من آمن به عن طريق العقل بداية"[٢]، وكذلك دلالات القرآن الكريم لا يمكن معرفتها إلا عن طريق العقل، قال عدنان الرفاعي: "فكما أنّ الرياضيات أداةٌ للبرهنة على حقائق النواميس الكونية، في الوقت الذي تختزل فيه العلاقات الرياضية الكثير من أسرار هذه النواميس، كذلك فإن العقل نورٌ يكشف حقيقة النواميس الكونية والشرعية على حد سواء، في الوقت الذي لا ترى فيه هذه النواميس إلا بالعقل"[٣].

وأضاف قائلاً: "من هنا حينما نؤسس فكرنا الإسلامي على معايير منهجية علمية عقلية، مادتها القرآن الكريم، فسنرى أن العلاقة بين العقل المجرد والقرآن

(١) ينظر: الهداية والعرفان، ص (٥)، حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، ص٧٥.

(٢) إنذار من السماء، ص٤٠٩.

(٣) المعجزة الكبرى(إحدى الكبر)، ص٤٩٣.

الكريم علاقة تلازم كامل، لا بد منها في سبيل إدراك الدلالات الحقة التي يحملها القرآن الكريم لكل عصر من العصور.

فالقرآن الكريم لا تدرك دلالاته إلا بالعقل، ومن جهة أخرى فإن القرآن الكريم هو موضوع العقل الباحث عن الحقيقة في عالمي الدنيا والآخرة على حدٍ سواء"(١).

وأصحاب هذا الفكر عند التعامل مع القرآن لا يعدون من الأدوات التي تكشف معاني القرآن غير عقولهم فقط، فبها يخوضون، ومن خلالها يستنبطون، قال عدنان الرفاعي:"والتدبر لا يكون إلا بإعمال العقل إعمالاً مجرداً عن أي هوى أو أي عصبية مسبقة الصنع"(٢).

وقال أيضاً: "إن منهج التدبر الحق لكتاب الله-تعالى- هو المنهج الذي ينطلق من مقدمات قرآنية بحتة بمركب العقل المجرد"(٣).

وفي بيان جمال البنا عن هدف كتابه المسمى بـــ(تثوير القرآن)، قال: "لم يرد كتاب تثوير القرآن دراسة القرآن كبقية الكتب، ولهذا لم يستعد بأي عدة، إنه أراد الاقتراب من القرآن شيئاً فشيئاً حتى يتحقق نوع من المعايشة، لهذا لم يستند إلا بما أعده الله للناس جميعاً عندما أوحى لهم بالعقل"(٤).

كما يشير عدنان الرفاعي إلى أن مركبه في تفسير القرآن هو العقل، فقال:

---

(١) المرجع السابق، ص٤٩٣.

(٢) محطات في سبيل الحكمة، ص١٨٥.

(٣) مجلة آخر ساعة، مقال: القول بأن السنة تكميل القرآن، عدنان الرفاعي، ص٣٩.

(٤) تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص٢٣٠.

"ومن هنا بدأت بحثي في كتاب الله تعالى، وبمقدمات من كتاب الله تعالى، مبحراً بها في مركب العقل المجرد والمنطق الحر والفكر المبرهن، باتجاه نتائج يحملها كتاب الله تعالى، تاركًا خلفي كل موروثٍ فكري لا يحمل دليلاً من كتاب الله تعالى"[1].

وبينما يستفيض القرآنيون في الإشادة بمترلة العقل والإعلاء من شأنه نجدهم ينتقدون أئمة التفسير الذين كانت الرواية عمدهم في تفسير القرآن الكريم، وجعلوا العقل أداة تخدم المفسر للوصول إلى التفسير الصحيح بعد استعانته بالرواية، قال محمد شحرور:"في إطار العقل الأُمّي القبلي والسكوني وما أفرزه من إشكاليات وتناقضات، تحولت قصص الأنبياء إلى حكايا وحواديت[2]، يغلب عليه الطابع الأسطوري"[3].

ولما كانت العقلية السلفية عقلية تؤمن بالغيب وبالمعجزات الواردة في القرآن وخارجه، فإن محمد شحرور يعتبرها عقلية خرافية، يقول شحرور:"إن تسليط الضوء على منظومة العقل السلفي، وقراءتها الاستلابية لحرية الإنسان وكرامته ليس كافياً لإحداث مفارقة مع القراءة الماضوية، إذ إننا بحاجة إلى طرح بديل يؤسس لمفاهيم إنسانية ويدرك سقف الحضارة الحالي. لذلك- وكي ينجلي للراغب في تقصي أسباب هيمنة هذه الصورة الخرافية على مكتسبات العلم والمعرفة- يترتب علينا أن نقدم له قراءة معاصرة تقطع الصلة مع الترعة الخوارقية

---

(١) المعجزة الكبرى(إحدى الكبر)، ص١٢.

(٢) لفظة شعبية سورية يقصد به القصة أو الحكاية.

(٣) القصص القرآني(١)، ص١٣٩.

والإعجازية التي طفح بها منتج العقل السلفي"[١].

ثم ينتهي شحرور إلى رأي غاية في التجاوز والسفه يرى فيه أن علماء التفسير بالمأثور ليسوا من أصحاب العقول، حيث قال: "وأولوا الألباب هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أما الذين جمعوا مجرد الرواية من غير دراية بها فليسوا من الذين يتقصون القصص وينظرون في مآله لكي يتبعوا أحسنه من بعد ذلك. فأولئك ليسوا من أولي الألباب، وبالتالي فلن يقفوا على العبرة التي لن تبين لهم بسبب احتجابهم عن النظر والتدبر في لُبّ الظاهرة والقصة"[٢].

وعلى نفس المنوال اعتبر جمال البنا أن اعتماد الرواية وحدها واتباع العلماء السابقين في تفسير القرآن، وعدم الاعتماد على العقل نزول عن الإنسانية إلى مستوى الحيوان[٣].

وهم أيضاً، لا يدخرون وسعاً في إعطاء العقل الساحة الرحبة، فهم يرون أن من الواجب "السماح للعقل بالتفكير بحرية وشفافية وبلا حدود"[٤].

وأما قواعد التفسير عند القرآنيين فإنه من خلال اطلاعي على مؤلفاتهم لم أجدهم اعتمدوا في تفسيرهم للآيات القرآنية على قواعد التفسير، بل المشاهد أنهم كثيراً ما يخالفون قواعد التفسير التي نص عليها أئمة التفسير؛ وذلك لأنهم ليسوا من أهل هذا العلم.

---

(١) المرجع السابق، ص٢١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٨٩.

(٣) ينظر: تثوير القرآن، ص٩٨.

(٤) سنة الأولين، ص٦٦٥.

المبحث الثاني
منهج القرآنيين في التفسير

تظهر النظرة الواعية والمتأملة في كتابات منكري السنة النبوية حول تفسيرهم للآيات القرآنية أن هذه الطائفة نهجت نهجاً إلحادياً يتمثل في تأويل الآيات تأويلاً يخرجها عن دلالاتها القرآنية، وينتهي في كثير منها إلى التفلت من تلك الأحكام القرآنية.

وهذه الطائفة لا يوجد لها منهج عام في تفسير القرآن الكريم قام زعماؤهم بتقريره ومحاولة الالتقاء حوله والسير عليه، إلا أن الباحث يحاول من خلال كتاباتهم أن يجمع بعض الأسس التي قد تكون مشتركة بينهم، والتي لا تعدو أن تكون تقريباً لمنهج القرآنيين بصورة عامة، فالمشكلة في فكر هذه الطائفة هو حضور العشوائية في كتاباتهم، والبعد عن المنهجية العلمية في تفسيرهم، ومن هذه الأسس، ما يأتي:

الأساس الأول: الشمول في القرآن الكريم.

ينظر منكرو السنة النبوية إلى القرآن الكريم على اعتبار أنه الإسلام وحده، وهو أساس الشريعة الوحيد الذي قامت عليه أحكامها، فقد جاءت أحكامه شاملة لكل نواحي الحياة الدنيا والآخرة، مفصلة لكل ما يحتاجه المؤمن في حياته، إنه الركيزة الأساسية لبناء دين الله في الأرض الذي أتى كرسالة أخيرة لتكون خاتمة الرسالات كلها، وموجهة لأول مرة للناس كافة وبلا استثناء

لأحد، إن خاصية الشمول جعلت القرآن مصدر الإسلام الوحيد الذي لا يشاركه فيها مصدر آخر(١)، وفي هذا الكلام حق يراد به باطل.

قال مصطفى المهدوي: "إن خطاب الله-تبارك وتعالى- إلى عباده بالقرآن ليتناول الغيبيات والحكمة والمعارف والعلوم والآداب وغير ذلك من كافة شؤون الحياة والإنسان والأرض والسماوات والآخرة"(٢).

وقال أيضاً: "القرآن كله هو عماد الدين، والقرآن كله هو ركنه الوحيد"(٣).وليس هذا -في نظر المهدوي-غريباً عن القرآن، فإن "مما يوصف به القرآن أنه البحر لا يكف عطاؤه، ولا ينضب معينه، إذا اكتفيت بالنظر إليه سرك منه وجهه ونسماته، وإذا أتيت شاطئه فلن تعود خاوي الوفاض(٤)، أما إذا اجتهدت في أعماقه فسوف تظفر بلآلئه ومرجانه، وما لا يمكن أن يخطر لك على بال"(٥).

وقال أحمد صبحي منصور: "لقد شملت تفصيلات القرآن كل شيء يحتاجه

---

(١) ينظر: حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، ص١٥٠، البيان بالقرآن، (١/١١)، (١/١٧٥)، (٢/٧٧٩)، الصلاة بين القرآن والمسلمين، ص١٠٣، ١٠٤، الأصلان العظيمان، ص١١، السنة الرسولية، ص٨٨، سنة الأولين، ص٥٤٤، المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص١٤٣، إنذار من السماء، ص٣٧، إله واحد ودين واحد، ص٢٧، موقفنا من العلمانية، ص٨.

(٢) البيان بالقرآن، (١/١١٥).

(٣) المرجع السابق، (١/٧٧٩).

(٤) الوفضة: شيءٌ كالجعبة من أَدَمٍ، ليس فيها خشبٌ، وهي الْمَكَان الَّذي يُمْسِكُ المــاءَ، والجمع الوِفاضُ. الصحاح، (٣/١١١٣)، لسان العرب، (٧/٢٥٠)، تاج العروس، (١٩/١٠٨، ١٠٩).

(٥) البيان بالقرآن، (١/١٢١).

المؤمن في حياته، حتى الآداب الراقية الحضارية أو ما يعرف الآن بالاتيكيت[١].من آداب الكلام والتحية والسلام إلى آداب المشي أو السير والطعام"[٢].

وقال محمد شحرور: "إن التتريل الحكيم هو الأصل الوحيد للتشريع الشمولي"[٣].

وقال ابن قرناس: "فالقرآن كامل، وفيه كل ما يحتاجه الناس من تشريع؛ لأن تشريع الله له الكمال المطلق"[٤].

وبناءً على هذا الأساس فإن القرآنيين رفضوا مصادر الشريعة الأخرى التي يعتبر أهل السنة والجماعة أن أحكام الشريعة الإسلامية مستنبطة في أغلبها منها، وهي: السنة النبوية، والإجماع، والقياس، قال سامر إسلامبولي:"إن الدراسة للحكم الشرعي تكون حصراً من دلالة نصوص الكتاب؛ كونه المصدر التشريعي النظري الوحيد"[٥]، واعتبروا ما قام به أهل السنة والجماعة من الاعتماد على هذه المصادر انفلاتاً من حاكمية الله تعالى، وهي طعنة قاتلة وجهها الفكر السلفي إلى التتريل الحكيم، أزالت عنه الاستقلالية في استنباط الأحكام الشرعية منه، قال محمد شحرور: "باشر الوعي السلفي انقلابه التاريخي

---

(١) إتيكيت [مفرد]: لِياقة، سلوك سليم، هو من النمط الأرستقراطيّ الملتزم بالإتيكيت. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عمر، وآخرون، (٥٩/١).

(٢) ينظر: الصلاة بين القرآن والمسلمين، ص١٥١.

(٣) السنة الرسولية، ص٨٨.

(٤) سنة الأولين، ص٥٤٤.

(٥) المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحيح، ص٩٧.

حين وضع قبضته الأيديولوجية[١] على متنفس الحرية الفكرية والإنسانية الـــذي دشّنته[٢] التجربة المحمدية، فبدأ انفلاته من حاكمية الله بتدوين المرويات في السنة واعتبارها وحياً إلهياً، ورفع مرتبتها إلى مرتبة التتريل الحكيم مكانة وحجّية، حتى صارت أحياناً ناسخة لبعض آياته. فكانت هذه أول طعنة في صـــدر الـــوحي الإلهي(التتريل الحكيم)، وكانت قاتلة لروحه واستقلاليته وذاتيته مما جعله تابعـــاً لها، محتاجاً إلى وجودها بشكل مستمر في التفسير والبيان، واستنباط الأحكام. وقامت آلة الفقه ومنظومتها ذات الوظائف الأيديولوجية باختراع الأصل الثالث من أصول الشريعة ألا وهو(الإجماع) إذ جعله الفقهاء أصلاً ثالثاً لأصول الدين؛ توطئة لتوطيد القياس، لا يقل مرتبة عن كل من التتريل والسنة والقياس"[٣].

ويعودون باللائمة على الإمام الشافعي-رحمه الله- الذي يعدونه "أول من اعتبر الأخبار المنسوبة إلى الرسول المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن، فهو، وليس الله ولا رسوله، الذي قال بأن مصادر التشريع الإسلامي أربعة، هي: القرآن، والسنة(الأحاديث القولية)، والإجماع، والقياس"[٤].

---

(١) أيديولوجيَّة [مفرد]: ج أيديولوجيَّات: مجموعة الآراء والأفكار والعقائد والفلسفات التي يؤمن بها شعب أو أمّة أو حزب أو جماعة. معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، (١/١٤٤).

(٢) دشَّنَ يدشِّن، تدشينًا، فهو مُدشِّن، والمفعول مُدشَّن، دشَّن الرَّئيسُ المَشْروعَ: ١ - افتَتَحه في حَفْلٍ عامٍّ، (دَشَّن المصنعَ). ٢ - أعطى الإشارة لتشغيله في حفل مشهود (دشَّن السفينةَ). ٣- دشَّـــن سياسةً أو نحوَها: شرع في العمل بها ونفَّذها. معجم اللغة العربية المعاصرة، (١/٧٤٥).

(٣) القصص القرآني (١)، ص١٢٦.

(٤) سنة الأولين، ص٥٥١.

ويرون أن الاتباع لهذه المصادر الثلاثة في جانب التشريع من باب اتخاذ الأرباب من دون الله[١]، كان سببه ما ورثه المسلمون في القرون المفضلة التي اعتبروها عصور الظلام، قال نيازي: "ونحن اليوم نستمد كل علومنا الدينية من المصادر التي وضعت في ظلام ذلك الكهف[٢]، ولا نستمدها من سنة الله في الخلق ومشيئته، فلا تعجبوا بعد ذلك أن لا يأتينا منه الخير؛ لأنه لا خير عند من كتب هذه المصادر ليعطونا إياها، وليس عندهم إلا الضلال والأوهام والظنون، وهي كلها لا تغني من العلم بشيء، إن مصدر العلم الوحيد هو القرآن، ومن قصد غيره ضاع وتاه من جديد إلى يوم يبعثون"[٣].

إن هدفهم من هذا الإقصاء لهذه المصادر المجمع عليها بين المسلمين أن يُـــحِلّوا مصادر بشرية أخرى؛ تخول لهم تشريع ما تهواه أنفسهم من المحرمات، فنصبوا مصادر أخرى تقوم عليها الشريعة الإسلامية، قال ابن قرناس: "إن دولة الإسلام تقوم على ثلاثة مصادر للتشريع، هي: القرآن الكريم، والشورى العامة، وشورى أهل الاختصاص والخبرة، وهذا يلغي الصلاحيات التشريعية التي أوجدها الفقهاء لأنفسهم، ويجردها مما سموه (الاجتهاد) في استنباط الأحكام والتشريعات ونسبتها إلى دين الله، وما شابهها مما يدعى الفتاوى، كما يلغي أن يكون ما سماه الفقهاء بالحديث مصدراً للتشريع في الإسلام...يمثل كلام رسول

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٨٤٩.

(٢) بل هي خير القرون، كما قال الصادق المصدوقﷺ:(خير أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم). رواه الإمام مسلم في صحيحه، برقم، (٢٥٣٣)، (١٩٦٢/٤).

(٣) إنذار من السماء، ص٦٢.

الله الذي ليس له من أمر الإسلام ودولته شيء"[(١)].

والحقيقة أنها الغواية، فالقوم يريدون أن يستبدلوا دين الله بدين بشري، ولا هم يريدون أن يكون عمدتهم لا قرآن ولا سنة ولا غيرهما من أصول الشريعة، فقد استبدلوا الباطل بالحق ، والظلام بالنور، واستبدلوا أهل الشورى بالسنة والإجماع.

الأساس الثاني: رفض تفسير القرآن بالسنة النبوية.

بناءً على القول القائل: (القرآن هو الإسلام وحده)، الذي تأسس عليه فكر منكـــري السنة النبوية المتسمون بـــ(القـــرآنيون) فقد رفض منكرو السنة التفسير القائم على السنة النبوية، وحذروا منه، وهذا في الواقع نتيجة حتمية لكل فكرٍ ضال بُني على أسس تسعى لهدم الدين، وقد تولى القرآنيون حملة ملؤها الخبث والحقد على تفسير القرآن بالسنة النبوية، وسعوا جاهدين من خلال مؤلفاتهم إلى إعطاء صورة مشوهةٍ عن هذا النوع من التفسير، وقد اختلفت عبارات التحذير التي يطلقونها على السُّنةِ وبيانها للقرآن الكريم، وكلها في الجملة تؤدي إلى الصدِّ عن هذا الأساس والركيزة الهامة في بيان القرآن الكريم، والباحث في هذا الوقفة يعرض بعضاً من نصوصهم في هذا المعنى بشيء من الإيجاز:

فمصطفى المهدوي يرى أن ما يوصف بأنه سنة رسول الله ﷺ من حيث

---

(١) سنة الأولين، ص٣٣٨.

كونها تكميلاً للقرآن أو تفصيلاً أو تفسيراً مردودٌ؛ لأنها حجبت العبرة عن القرآن، وانحرفت بالأمة عن السبيل الحق الذي أنزله الله وحياً وحيداً، يقذف بآياته كل باطلٍ، ويمحو كل زيفٍ[(١)].

ويضيف المهدوي قائلاً: إن هذا المنهل[أي: السنة النبوية] يُغذي خيال رواة الأساطير؛ يحجبون به القرآن، ويحرفون به التفسير"فأما الذين جاؤوا بالأساطير فما أظن أنهم قد أرادوا بها إلا أن تكون حجراً محجوراً؛ لتحجب الناس عما أنزل إليهم في كتاب ربهم من تفاصيل الحكمة مبرأة من تفاصيل الرواية"[(٢)].

ومن ثم يؤكد المهدوي على أن السنة لا تهدي أحداً إلى وحي رب العالمين، بل زاد في زيغه، واستمرأ في ضلاله حين وصف من استهدى بالسنة النبوية لمعرفة تفسير كتاب الله تعالى، بأنه كمن استوقدوا ناراً ليستضيؤوا بغير نور الله في الظلمات، وهم في ضلال مبين، بل وصفهم بأنهم:"كالذي استضاء بالماركسية أو بغيرها من كتب الضلالة ومواثيقها"[(٣)].

ويزعم المهدوي أن دواوين السنة النبوية وما فيها من البيان لكتاب الله –تعالى–عديمة الجدوى علمياً في بيان القرآن الكريم؛ لأنها اشتملت على أوهام وضلال، كان بوسع العلماء الاستغناء عن تلك الأسفار بالقرآن الذي لا يزيد عن خمسمائة صفحة فيسهل عليهم حمله وحفظه وتدبره[(٤)].

---

(١) ينظر: البيان بالقرآن، (١/١٠)، (١/٤٨)، (١/٧٥).

(٢) المرجع السابق، (٢/٦٥١).

(٣) المرجع السابق، (١/٣٦).

(٤) ينظر: المرجع السابق، (٢/٧٦٦).

ومن جهة أخرى، يرى المهندس شحرور أن ما يطلق عليه تفسير القرآن بالأحاديث النبوية أصبح في حقيقته حاكماً على المصدر الأول للدين، وهو كتاب الله الذي حُوكم في ظلالها، واستنكر الاعتماد عليها في بيان القرآن الكريم كونها نوعاً من القراءة التفاعلية المظروفة بعصر قرّائها، ولا يصح-من وجهة نظره- أن يطلق عليها مفاتيح تفسير كتاب الله التي لا يستغنى عن بيانها(١).

وأما ابن قرناس فإن تحذيره عن تفسير القرآن بالسنة النبوية كونها"عبارة عن أخبار تناقلها رجال مختلفو الثقافات والميول والنوايا والإدراك والقدرات الذهنية، عبر أجيال متتابعة كل يقصها حسب المناسبة التي تذكر فيها، وحسب درجة التأثير التي يريد الراوي أن يدركها لدى المستمع"(٢)، وزعم أنها كانت في أجيال كثيرة تنقل من كتب أهل الكتاب والنصارى، وبالأخص فيما يتعلق بالقصص القرآنية(٣).

ومن خلال هذه الكلام اعتبر ما قام به المفسرون من تفسير للقرآن بالسنة بمثابة ما عمله رجال الدين من اليهود والنصارى في شرح وإيضاح كتبهم المقدسة، نتج عنها حجب الناس عن التعرف على كتبهم، وتحريفها(٤).

وأعجب من هذا، ما زعمه ابن قرناس أن التفاسير التي اعتمدت على تلك

(١) ينظر: القصص القرآني (١)، ص١٠٦.
(٢) سنة الأولين، ص٥٣٠.
(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٥٣٣.
(٤) ينظر: المرجع السابق، ص١١٦.

الروايات المنسوبة إلى الرسول ﷺ حولت معنى الآيات القرآنية إلى خرافات[1] وأساطير[2]، دين الله بريء منها[3].

ومن أتباع هذا الفكر المنحرف نيازي عز الدين الذي وصف الروايات المفسرة للقرآن بأنها أوهام وأباطيل أبعدت الناس عن إدراك مقاصد الله ﷻ في فهم آياته،

قال نيازي عن السنة: "أوهام وأباطيل ترسخت عبر الزمن، فتسامق بناؤها حتى أمست قلعة شامخة للجهل، ابتعد فيها المسلمون عن التفكير العلمي الذي دعا إليه القرآن الكريم، فتحجر فكر الأمة، وجمدت في فهم كتاب الله وتدبره عند أحاديث مرويّة عن الرسول الكريم، ظُنَّ أنها المرجع والسند لتفسير القرآن، فالتزمها المسلمون التزامَهم نص القرآن، مبتعدين عن مقاصد الله ﷻ في فهم آياته"[4].

وبناءً على زعمهم أنهم يريدون إعطاء القارئ للقرآن فرصة استنباط

---

(١) الخُرَافة [مفرد]: ج خُرَافات وخرائفُ، حديث باطل، مستملح من الكذب، لا صحة له، ولا يمكن تصديقه. ينظر: المخصص، ابن سيدة، (٤/٥)، المغرب في ترتيب المعرب، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ، ص١٤٢، معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، ص١٩٤.

(٢) الأسطورة: واحِدَةُ الْأَساطير، وهي الأباطيل، وهي عبارة عن أحاديث وحكايات ملفّقة لا أصل له. ينظر: معجم ديوان الأدب، الفارابي، (١/٢٧٦)، المعجم الوسيط، (١/١٧) معجم اللغة العربية المعاصرة، (١/٩٣).

(٣) ينظر: سنة الأولين، ص٥٧٧.

(٤) إنذار من السماء، ص٩.

الأحكام والدلالات من القرآن دون وسيط، يرى نيازي أن تفسير القرآن بالسنة النبوية قد أدى إلى تضييق رحابة الكلمة القرآنية، قال: "لقد ضيقنا رحاب الكلمة المترلة، وقيدناها بجملة أفكار بشرية استعصمت بالأحاديث النبوية تلتمس منها مرجعيتها وثباها لتغدو تأطيراً[١] لكتاب الله، ولا نترك لقارئه فسحة لاستلهام الأصل لا الفرع، وهي تعطل ملكاته التي يجب أن تتفاعل مع النص القرآني بعيداً عن كل تأطير وتأثير"[٢].

ومن أساليبهم في التحذير من تفسير القرآن بالسنة، الزعم بأن السنة عمل شيطاني نتج عنها تقييد مضمون النص القرآني، وصرف الناس عن تدبره[٣].

وبالإضافة إلى هذه الآراء الشاذة، والأقوال الباطلة اعتبر نيازي أن من "أكبر أخطاء المسلمين ظنهم الخاطئ أن القرآن لا يمكن تفسيره إلا عن طريق السنة النبوية، وذلك إجماع كبير على خطأ جسيم لا يغتفر؛ إذ كيف يجمعون على أن الله-سبحانه-أرسل وحيين وكتابين وسنتين"[٤].

وثمة نص آخر تجدر الإشارة إليه؛ لأهميته عند نيازي حيث إنه رسم لنفسه خمسة مبادئ لفهم كتاب الله، كلها-في الواقع- تهدف إلى إقصاء السنة عن تفسير القرآن الكريم، يذكرها الباحث باختصار:

المبدأ الأول: الأخذ بنصيحة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-:(قد تركت

---

(١) الإطار:كُلُّ مَا أَحاط بِشَيْءٍ، فَهُوَ لَهُ أُطْرَةٌ وإِطارٌ. لسان العرب، (٢٥/٤).

(٢) إنذار من السماء، ص١٠.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص١٠، ص٨٤، ص١١١.

(٤) المرجع السابق، ص٦١.

فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله)[1]، وقال: ولا نقرأ عبارة(وسنتي) التي أضافها المحدثون.

المبدأ الثاني: استنكار ما استنكره الله–تعالى–لأي حديث مع حديثه المحفوظ في القرآن:﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المرسلات: ٥٠].

المبدأ الثالث: أن بيان القرآن على الله–تعالى–وحده لا شريك له في ذلك.

المبدأ الرابع: أن الله–تعالى–قد شهد بتمام دينه وكماله عندما قال:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة: ٣].

المبدأ الخامس: أني قرأت في كل الصحاح(!!) أمراً من الرسول محمد–عليه الصلاة والسلام– يقول:(لا تكتبوا عني غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)[2][3].

ولن يذهب الباحث إلى استقصاء عباراتهم وسردها هنا؛ لأن المقام سيطول، ولكن نخلص إلى أنه–وبعد العرض السابق لبعض شبهاتهم وأساليبهم في التحذير من تفسير القرآن بالسنة النبوية– يظهر خطورة هذا الكلام، وما يترتب عليه من فتح باب الطعن والتشكيك في الكلام النبوي على وجه العموم، والبيان المستنبط منه على وجه الخصوص، وهم إنما حاولوا بأقوالهم هذه أن يَدرِسوا آثار الدين، ويَطمِسوا أعلامه، فتنفتح لهم الطريق؛ كي يضعوا سمومهم، ويبثوا أفكارهم من

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الحديث لم يرد في كل الصحاح كما ادعى الكاتب، وقد سبق تخرجه.

(٣) ينظر: إله واحد ودين واحد، ص٩٦، ٩٧.

خلال تفسيرهم للقرآن.

ومن جهة ثانية، فإن هذه الأقوال المطروحة، والشبهات المعروضة يتجلى زيفها، وينكشف باطلها من خلال الآتي:

أولاً: إنَّ ما عرضوه من أقوال هي في حقيقتها أوهام وخيالات لا توجد إلا في رؤوسهم، فما ادعوه من أن السنة حاجبة عن فهم القرآن كذب وافتراء وتقوّلٌ، فإن القرآن يُكذبُ دعواهم، ويبطل زيفهم؛ فإن الله قد وكلَ رسولَه ﷺ لبيان القرآن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾**﴾ [النحل: ٤٤]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾**﴾ [النحل: ٦٤].

ثانياً: إن تفسير القرآن بالسنة النبوية يفتح آفاقاً رحبةً، وميادين واسعة، تُجلي لدراس كتاب الله الفهم للقرآن من أقرب طريق وأوسعه؛ فالقائل بذلك التفسير مزكى من قبل مترل القرآن بأنه لا ينطق عن الهوى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾**﴾ [النجم: ٣].

ثالثاً: إن وثاقة النص النبوي تميزت على مر الزمن بشدة الحرص والعناية بها من قبل أئمة أفذاذ، أوقفوا أنفسهم في سبيل خدمته، والذب عنه، ولكنَّ العمه الذي أصاب عيون منكري السنة حجب عنهم أن يروا ذلك، عافانا الله من ذلك.

رابعاً: إنّ من عجائب هؤلاء القوم وغفلتهم أنهم سمحوا لعقولهم القاصرة -المليئة بالأفكار المعادية للقرآن- أن تفسر القرآن، ورفضوا أن يفسر رسول الله

ﷺ القرآن، وهذا منتهى الغفلة التي ليس بعدها غفلة، ولننقل ما قاله شحرور في هذا الصدد:"فالنبي لم يؤول القرآن، وأن القرآن كان أمانة تلقاها وأداها للناس دون تأويل، وإنما أعطاهم مفاتيح عامة للفهم"(١).

خامساً: وأما ما يتعلق بالروايات الإسرائيلية، وما تعلق بها من شبههم التي دائماً يرمون بها كتب التفسير، فنقول لهم: قد أبان علماء التفسير—رفع الله قدرهم في الدارين- كيف يتعامل المفسر مع ذلك التراث الكتابي، وسطروا قواعد وأسساً حولها، فمن رام معرفة الحقيقة في ذلك فما عليه إلا النظر في أقوال علماء الأمة في ذلك ليستبين له طريق الهدى، ويسلم من رمي الكلام على عواهنه، دون علم ولا دراية(٢).

وخلاصة القول: إن القوم قد جعلوا من تلك الشبهات سبباً إلى حاجتهم، ومسلكاً إلى مغزاهم، وسلماً إلى ملتمسهم، يكون بعد ذلك الاستئثار بكلام الله، وتحريف معانيه إن استطاعوا ذلك.

---

(١) الكتاب والقرآن، ص٦٠.

(٢) ممن تناول موضوع الإسرائيليات: د. محمد أبو شهبة في كتابه: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د. محمد الذهبي في كتابه الإسرائيليات في التفسير والحديث، د. رمزي نعناعة، في كتابه الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، د. مناع القطان في كتابه مباحث في علوم القرآن، ص٣٦٤ ، د. غانم قدوري الحمد، في كتابه محاضرات في علوم القرآن، ص١٩٠، وغيرهم كثير.

الأساس الثالث: التحذير من تفسير القرآن بالإسرائيليات[١].

كانت مسألة الإسرائيليات الموجودة في كتب التفسير من أهم القضايا التي جذبت فكر منكري السنة النبوية إليها؛ فقد أبدى كثير منهم انزعاجه من رجوع أئمة التفسير إليها، واحتواء كتبهم عليها، وعدوا ذلك عاملاً مهماً في تعكير صفو فهم كتاب الله تعالى.

وهكذا-كالعادة- حاول القرآنيون أن يظهروا أنفسهم بصورة المدافع عن كتاب الله، والحامي عنه من كل دخيل أو شائب قد يعكر صفو نبعه، ويشوه جمال صورته، فمصطفى كمال المهدوي يصور ما قام به بعض المفسرين في تفسيرهم من حشو الروايات الإسرائيلية بأنه من أخطر ما جاء به علماء الإسلام؛"لأنه يفتح أبواب التسلل للفكر اليهودي على مصاريعها"[٢].

ووصف جمال البنا كتبَ التفسير أنها حافلة بالإسرائيليات، وأنَّ ما في تلك الكتب من الإسرائيليات طامات وظلمات لا يتسع المجال لذكر نماذج منها، حسب قوله[٣].

ويتهم محمد شحرور المفسرين بأنهم اعتبروها أخباراً مقدسةً، فقال: "أما أن

---

(١) الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، ويقصد بهذا التعبير في كتب التفسير، الأخبار والروايات المنقولة عن اليهود والنصارى وغيرهم. ينظر: معجم مصطلحات علوم القرآن، ص٢٤، مفاتيح التفسير، (١/١٣٠).

(٢) البيان بالقرآن، (٢/٥٢٤).

(٣) ينظر: تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص٩٩، ص١٠٣.

تملأ كتب التفسير بالإسرائيليات معتبرين أن أخبارهم مقدسة، فهذا يعارض شهادة النبيﷺ فيهم بأنهم ضالون"[١].

ومما يدهش القارئ حقاً، هو اعتقاد محمد شحرور أن تلك الروايات المصدر الرئيس لكتب التفسير، حيث قال: "كما أن الباحث في الكتب الأخرى لأهل الكتاب، كالتلمود[٢] والإنجيل يجد أن هذه الكتب كانت المصدر الرئيس لما جاءت به التفاسير"[٣].

فيما استبعد نيازي أن يكون الرسول ﷺ قد أباح لأمته التحديث عن بني إسرائيل؛ لأن في تلك الإباحة مخالفة علنيَّة لأوامر الله، قال نيازي: "وعلى هذا الأساس، فإن من المستحيل أن يكون الرسول ﷺ قد خالف أوامر ربه علناً!!، وقال للناس:(حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)[٤]، فاتحاً الباب على مصراعيه لتخريب الدين والفتوى، والتأويل، والتحريف والتبديل فيما أمره الله بالسكوت عنه"[٥].

ولا ريب أن هذا الذي صار إليه نيازي ليس فيه شيء من الحقيقة، وإنما

---

(١) السنة الرسولية، ص٥٨.

(٢) التلمود: مَجْمُوعَة التعاليم والتقاليد الْيَهُودِيَّة المنقولة شفهيًا عَن رجال الدّين. المعجم الوسيط، (٨٧/١).

(٣) القصص القرآني (١)، ص٢٢٢.

(٤) الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، برقم (٣٢٧٤)، (١٢٧٥/٣).

(٥) إنذار من السماء، ص٤٩.

عبارة عن توهمات ألقاها الشيطان في مخيلته، وطغت على تفكيره؛ لأن الإسرائيليات ليس لها هذا التأثير؛ إذ غالبها في بيان قصص الأنبياء والمرسلين والأمم السابق، وهي منضبطة بقواعد علمية وضعها العلماء(١).

ويرد محمد شحرور سبب إقبال المسلمين على الإسرائيليات، أنه راجع إلى أمية المجتمع العربي، التي أدت إلى التعامل الساذج مع مرويات أهل الكتاب(٢).ووصف نيازي ما قام به المسلمون، بقوله: "وهجموا عليها هجوم الجائعين على ما عند أهل الكتاب من كتب، جهلاً وظناً من بعضهم، وتضليلاً عن قصد من بعضهم الآخر، ينهلون منها ما وهموا أنه العلم"(٣).

ولا يقتصر الأمر عند شحرور على الطعن في مجتمع الصحابة والتابعين(٤)، إذ تعدى ذلك، وأصدر حكماً جائراً أسسه على خلفيته العدائية لمصدر الإسلام الثاني، السنة النبوية، فزعم أن السنة النبوية كانت"المنفذ الوحيد الذي استطاع رواة الحديث من خلاله تمرير الأجزاء المستقطعة اعتباطاً من النصوص الكتابية وإدماجها في النصوص ذات الحجية في دين المسلمين، أي: من خلال إلحاقها بالسنة التي أصبحت حاكمة على الكتاب"(٥).

ومهما يكن من أمر فقد كان للمستشرقين ورجال المدرسة العقلية الحديثة

---

(١) سيأتي –إن شاء الله– بيان بعض تلك الضوابط قريباً.

(٢) ينظر: القصص القرآني (١)، ص٧٧.

(٣) إنذار من السماء، ص٥٣.

(٤) عند إطلاقه لفظ المجتمع العربي، ينظر: القصص القرآني (١)، ص٧٧.

(٥) القصص القرآني (١)، ص٥٩.

أثرهم في تشكيل هذه النظرة عن الإسرائيليات، حيث اعتمد القرآنيون على نتائج الدراسات الاستشراقية، وما خرجت به أبحاثها حول هذا الموضوع، فمحمد شحرور، يقول:"وتؤكد الكثير من الدراسات التي ظهرت منذ القرن الماضي الأثر الكبير للإسرائيليات في كتب التفسير، حيث إن تأثير الثقافة اليهودية من خلال التوراة والإنجيل على التفسير أمر لا يخفى على أحدٍ، سواءً دخلت هذه الثقافة، بمحرفها وصحيحها عن طريق المفسرين من خلال الاطلاع المباشر على كتبهم، أم من خلال بعض الشخصيات اليهودية التي دخلت في الإسلام"[1].

ولا يخفى على المطالع لكتب شحرور المراد بأصحاب تلك الدراسات، إلا أن الباحث مضطر لتوثيق الأمر أكثر بنقل نص أكثر إفصاحاً من سابقه، يعرفنا شحرور فيه على أصحاب تلك الدراسات، بقوله: "إن الدراسات الاستشراقية هامة من جهة فاعليتها في كشف ما فعلته المنظومة السلفية التي قامت بمهمة تحميل التتريل الحكيم كافة الإشكالات والصراعات والإكراهات التاريخية لمرحلة التدوين"[2].

ونتيجة للارتباط الفكري بين رجال المدرسة العقلية الحديثة، ورجال طائفة منكري السنة النبوية، فإن جمال البنا يرى أنه من الأفضل استبعاد جميع الإسرائيليات من كتب التفسير؛ اتباعاً لما قام به محمد عبده في تفسيره، حيث

---

(١) المرجع السابق، ص٧٨.

(٢) المرجع السابق، ص١١٠.

اعتبرها جمال البنا من مميزات تفسيره، قال جمال البنا، وهو يذكر طريقة محمد عبده: "فإن طريقة تفسيره اختلفت اختلافاً كبيراً، فاستبعدت كل الإسرائيليات، ولم يعد التركيز على المأثور والمنقول، ولكن المعاني وما تدل عليه الكلمات والسياق"(١).

ومما يجدر التنبيه عليه، أن ما قاله جمال البنا ليس صحيحاً؛ فإن محمد عبده ورجال مدرسته قد وقعوا في أشنع مما وقع فيه المفسرون من قبله، قال د. فهد الرومي:"إن هؤلاء قد تجاوزوا السابقين من المفسرين في رواية الاسرائيليات وزجوا في التفسير بما لم يزجه أولئك!! فرووا من الإسرائيليات بعض ما هو موجود في الكتب السابقة وزادوا عليه برجوعهم بأنفسهم إلى المصادر التي كان يأخذ منها كعب الأحبار ووهب؟ ولم يقل أحد منهم في نفسه ما قالوا في كعب ووهب، وأباحوا لأنفسهم ما لم يبيحوه لسواهم، فنقلوا من الإسرائيليات ما خالف نص القرآن الكريم، ولم ينقدوه أو يبطلوه وحرفوا معاني نصوص القرآن لتوافق ما جاؤوا به من تلك الإسرائيليات"(٢)، ومن أراد التعرف على ذلك فليراجع ما كتبه د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، في كتابه من بيان موقف محمد عبده ورجال مدرسته من الإسرائيليات(٣).

وبعد هذا العرض، يجد الباحث أن ما قاله القرآنيون يوجد فيه جانب من

(١) تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، ص١٣٦.

(٢) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، (١/٣٢٥ - ٣٢٦).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (١/٣٢٥).

الصحة فيما يتعلق بوجود الإسرائيليات، ودخولها في كتب التفسير، لكن ليس على هذه الصورة المبالغ فيها التي صورها منكرو السنة، إلا أنه يتبادر إلى الذهن سؤال، وهو: هل ما قام به القرآنيون من تشنيع على علماء التفسير أمرٌ قد سلموا منه في كتبهم ؟ أم كان عبارة عن تهريج يهدفون من خلاله إلى التشكيك في كتب التفسير، وحقيقة ما قاموا به خلاف ذلك؟

وللإجابة عن هذا التساؤل، يقول الباحث: إن قراءة متأنية لما كتبه رجال هذه الطائفة في كتبهم من تفسير لآيات قرآنية، وخاصة ما يتعلق بالقصص القرآني، تبعث الدهشة والتساؤل والحيرة في أمر هؤلاء القوم، فإنهم أباحوا لأنفسهم ما حظروه على غيرهم، وفتحوا لأنفسهم الباب على مصراعيه في الأخذ من كتب أهل الكتاب، ليس النقل بواسطة فحسب كما عمل بعض المفسرين، بل بالنقل مباشرة من التوراة والإنجيل.

فمصطفى المهدوي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** .....﴾ [الفتح: ٢٩]، فسرها بما جاء في سفر التثنية(١)"أقيم لهم نبياً من بين إخوتهم مثلك، وألقي كلامي في فيه فيخاطبهم بجميع ما آمره.....سفر التثنية، الاشتراع(٢)، الفصل الثامن عشر"(٣).

---

(١) سفر التثنية: ويتألف من أربع وثلاثين إصحاحاً، وسمي بذلك لإعادة ذكر الوصايا العشر، وتكرار الشريعة، والتعاليم مرة ثانية على بني إسرائيل عند خروجهم من أرض سيناء. ينظر: اليهودية، د. أحمد شلبي، ص٢٣٥، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، أبو البقاء الهاشمي، الحاشية، (١/٧٠)، أبحاث في الشرائع، اليهودية، النصرانية، والإسلام، د. فؤاد عبد المنعم، ص١٩.

(٢) هو السفر الخامس من التوراة. ينظر: تكملة المعاجم العربية، (٧/١٧).

(٣) البيان بالقرآن، (٢/٦٥٨).

وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ .....﴾ [النساء: ٥٩]، قال المهدوي:"وتحدثنا توراة اليهود حديثاً جديراً بالبحث والتمحيص عما يفسد به النظام في مصر، وننقله بنصه(!!) من الفصل التاسع عشر من نبوءة أشيعا[١]:(هوذا الرب يركب على سحابة سريعة، ويدخل مصر فتتزل أوثان مصر من وجهه، ويذوب قلب مصر في داخلها.....)"[٢]، وغيرها من المواضع[٣].

وأعجب من هذا، ما قام به المهندس محمد شحرور في كتابيه عن القصص القرآني بعد تلك الحملة الشعواء التي قام بها على المفسرين، فقد قام بنقل النصوص المباشرة والطويلة عن التوراة والإنجيل، ولم يكتف بذلك، بل إنه انتقل إلى الخرافات المسماة بـ (الأساطير، والنقوشات، والحفريات)، واعتمد عليها في بيان القصص القرآني، بل وعارض بها الحقائق القرآنية، ولن نلقي الكلام على عواهنه، فمثال ما ذكرت، أن محمد شحرور عند كلامه على قصة نبي الله نوح عليه السلام، وما حدث لقومه من الطوفان والغرق، قال : "الطوفان التوراتي: إذا ما قرأنا رواية الطوفان في سفر التكوين[٤]/

---

(١) يوشع بن نون، هو تلميذ موسى وخليفته من بعده، وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل، وبحسب التقليد اليهودي، من مجموعة الأنبياء الأولين، بل هو أول نبي بعد وفاة موسى عليه السلام، ويأتي سفر يشوع بعد التوراة فيفتح مرحلة من تاريخ شعب العهد القديم، وينقسم إلى قسمين تليهما ثلاث خواتم. ينظر: الكتاب المقدس، ص٤١٧، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص٦٧.

(٢) البيان بالقرآن، (٦٨٢/٢ ، ٦٨٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (٦٣٧/٢)، (٦٥٢/٢)، (٦٥٨/٢).

(٤) سبق بيان معناه.

الإصحاح[١] ٦-٧-٨/ نجد أننا أمام حالة تشابُهٍ واضح مع النصوص البابلية[٢] التوراتية....لنقرأ: سفر التكوين الإصحاح السادس: ولما ابتدأ الناس يكثرون على وجه الأرض وولد لهم بنات...."[٣]، ونقل من هذا النص ما يقرب من ثلاث صفحات ونصف(ص٣٦- ص٣٩)، وبعد ذلك بدأ يعقد مقارنة بين نصوص التوراة[٤]، والنصوص المشرقية السومرية- البابلية[٥].

وفي قصة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، قال شحرور: "إبراهيم الخليل في كتاب التوراة، جاء في سفر التكوين- الإصحاح الحادي عشر-من ١-٢٦، ذكر لمواليد سام[٦]، انتهت سلسلتها بمواليد تارح[٧] الذي ولد

(١) الإصحاح: جزء من كتاب التَّوراة أو الإنجيل دون السِّفر وفوق الفصل. معجم اللغة العربية المعاصرة، (٢/١٢٧٠).

(٢) أطلق المؤرخون على الفترة الواقعة بين انتهاء سلالة أور الثالثة(٢٠٠٣ ق.م)، وسقوط بابل (١٥٤٩ ق.م) بالعهد البابلي القديم الذي دام أربعة قرون، وبابِل بلد قديم على نهر الفرات بالعراق من أشهر مدن الشَّرق القديم، عاصمة البابليين الذين عاشوا في بلاد ما بين النهرين (العراق). ينظر: التشريعات البابلية، عبد الحكيم الذنون، ص٣٠- ٣٢، معجم اللغة العربية المعاصرة، (١/١٥٣).

(٣) القصص القرآني(٢)، ص٣٥، ص٣٦.

(٤) بعد البحث تبين أن محمد شحرور نقل كل ما يتعلق بالطوفان في التوراة والنصوص البابلية من كتاب: أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، للأب سهيل قاشا، إلا أنه لم يحل على الكتاب، وما عقده من مقارنة قد وجدت في الكتاب المشار مع اختلاف يسير، ينظر: الكتاب المشار إليه ،ص١٧٣ – ١٩٣.

(٥) ينظر: القصص القرآني(٢)، ص٣٩-٤٢.

(٦) أما سام بالسين المهملة، فهو سام بن نوح عليه السلام. الإكمال، ابن ماكولا، (٤/٢٤٦).

(٧) قال ابن ماكولا: "تارح: أوله تاء معجمة باثنتين من فوقها، وراء مفتوحة. فهو تارح أبو إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو آزر بن ناحور بن أسرع". الإكمال، (١/١٧٧).

أبرام(١)، وناحور(٢)، وهاران(٣)..... ".

ثم نقل قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام من سفر التكوين، حتى بلغ النقل ما يقرب من تسع صفحات(٤).

ثم انتقل إلى كتب النصارى، فقال: "في المسيحية: إنَّ أقوال المسيح في إبراهيم الخليل هي المدونة في الأناجيل الأربعة، وما يلحق بها من أقوال الرسل والحواريين، وكل ذلك إنما هو خلاصة الرسالة الجديدة التي أتى بها السيد المسيح وأساسها المحبة، وفيما يلي نأتي على المواقع الكتابية التي جاء فيها ذكر لإبراهيم الخليل، جاء في إنجيل لوقا(٥)، الإصحاح السادس عشر...."(٦).

وأما النقل عن النقوش المسمارية، فينقل عنها بشغف ويعتبرها حقائق أثرية(٧)، فيقول عند حديثه عن الطوفان، ويمكننا مقاربة روايات الطوفان ما قبل

---

(١) هو اسم نبي الله إبراهيم عليه السلام، أَبْرَامَ (وَمَعْنَاهُ الأَبُ الرَّفِيعُ)، إِبْرَاهِيمَ (وَمَعْنَاهُ أَبٌ لِجُمْهُورٍ). ينظر: أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب المقدس، د. محمود الرضواني، (٣١٢/١).

(٢) ناحور أخو نبي الله إبراهيم عليه السلام. ينظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقريزي ، (٣٧٨/٤).

(٣) هو أخو نبي الله إبراهيم عليه السلام، يقال إنه من بنى مدينة حران. ينظر: المسالك والممالك، البكري، (١٠٦/١)، الإشارات إلى معرفة الزيارات، علي بن أبي بكر الهروي، ص٥٩.

(٤) ينظر: القصص القرآني (٢)، ص١٧٠-١٧٩.

(٥) لوقا: اسم لاتيني ربما كان اختصار(لوقانوس) أو (لوكيوس)، وهو صديق بولس ورفيقه، وقيل : إن كاتب هذا الإنجيل مجهول، لا يعرف شيء عن اسمه الحقيقي. ينظر: منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، د. عزية طه، ص١٧٤، التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، سارة عبادي، ص٣٦.

(٦) ينظر: القصص القرآني (٢)، ص١٧٩- ص١٨٢.

(٧) ينظر: المرجع السابق، ص١٦٦.

القرآنية وصولاً إلى قصة النبي نوح في القرآن الكريم منطلقين من المنجز السومري الرافدي.

"الطوفان السومري: أول وثيقة تذكر رواية الطوفان نجدها في نص مسماري عُثر عليه في مدينة نفر(نيبور)[١] الرافدية، ويعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد، يبدو أن هذه الرواية انتقلت من الحيّز الشفاهي إلى الكتابي، حيث يبدو أنها موغلة في القدم ربما إلى الألف الخامس أو الرابع قبل الميلاد في فترة الثقافة العُبيدية[٢].

ثم ينقل رواية الطوفان البابلي[٣]، ثم ينتقل إلى الملاحم[٤]، فينقل ملحمة أتراخيس[٥].

وهذا في الحقيقية عبث في بيان القصص القرآني، "وحقاً إن من العلم جهلاً، وإن من لم يستنر بنور القرآن يظل يتخبط في ظلمات الضلال، ويرسف في قيود

---

(١) مدينة نِفّر: هي مدينة واقعة على ضفاف نهر الفرات شرقاً. ونفّر مدينة سومرية تسمى نيبور، وهي مبنية على ضفاف الفرات الشرقية، وكانت مركزاً دينياً مهماً قبل أربعة آلاف سنة. ومن بعدُ أصبحت مركزاً للديانة المانوية، ثم المسيحية في القرن السابع الميلادي.ينظر: موقع الألوكة www.majles.alukah.net.

(٢) القصص القرآني (٢)، ص١٩- ص٢١.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٢١- ٢٩.

(٤) الملحمة: الوقعة الشديدة في الحرب، وَهِي عمل قصصي لَهُ قَوَاعِد وأصول يشاد فِيهِ بذكر الْأَبْطَال والملوك وآلهة الوثنيين، وَيقوم على الخوارق والأساطير، وَقد يكون شعرًا: كالإلياذة عِنْد الإغريق، والشاهنامة عِنْد الْفرس. وَقد يكون نثرا كسيرة عنترة (ج) ملاحم. ينظر: شمس العلوم، (٦٠١٥/٩)، المعجم الوسيط، (٨١٩/٢).

(٥) ينظر: القصص القرآني (٢)، ص٣٠- ص٣٥.

الجهالة بالرغم من حصوله على أعلى الشهادات، وأعظم الدرجات العلمية والأدبية"(١)؛ فالناظر فيما سطره محمد شحرور ليجد عجباً من هذا الرجل، وما قام به في التفسير حين رفض السنة النبوية التي قامت على أصول متينة، ونقلها لنا رجال أئمة ثقات عدول أعلام، وعاد إلى الجهالات والغواية والأساطير، وإلى كتابات لا يعرف أصحابها وكاتبوها، بل وأكثرهم لا يعرف له دين، ويجعلها عمدة في تفسير كلام رب العالمين، ولكن كما قال أحد السلف–رحمهم الله تعالى–:"كثرة النظر إلى الباطل تَذْهَبُ بمعرفة الحق من القلب"(٢).

وبهذا الصدد نشير إلى ما ذكره الشيخ أحمد شاكر(٣) رحمه الله تعالى، حيث قال: "لا يجوز لمسلم يؤمن بالله ورسوله أن يعقد مقارنة بينه–أي القرآن–وبين الكتب السابقة، فضلاً عن أن يعقد مقارنة بينه وبين نقوش على أحجار، أو كتابة في أوراق كتبها وثنيون مجهولون، مداحون متملقون"(٤).

وإضافة لمن سبق يطلعنا (ابن قرناس) على منهج في التعامل مع روايات أهل الكتاب أكثر شططاً، وبعداً عن الحق، حيث يرفض هذه الروايات، ويقول:

---

(١) التبرج، نعمت صدقي، ص٣٥.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم، (٨/٢٢)، سير السلف الصالحين، إسماعيل الأصبهاني، ص٩٧٣.

(٣) أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر، عالم بالحديث والتفسير، مصري. مولده في القاهرة، سنة (١٣٠٩هـ) ووفاته بها سنة (١٣٧٧هـ). حصل على الشهادة (العالمية) سنة ١٩١٧م، وعين في بعض الوظائف القضائية. له مؤلفات، منها: شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل، وعمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، نظام الطلاق في الإسلام، وغيرها. ينظر: الأعلام، (١/٢٥٣)، معجم المؤلفين، (١٣/٣٦٨).

(٤) كلمة الحق، أحمد محمد شاكر، ص٢٠.

"فليس لديهم من دين الله الحق شيء؛ لأنهم فقدوا التوراة التي نزلت على موسى، ويتبعون تشريعات خطتها أيديهم"[(١)].

ويزيد في غلوه فيطلق حكماً عاماً جائراً عن سبب عدم قبول رواياتهم، فيقول: "لأن كل ما تحويه كتبهم مجرد خرافات وأساطير، خطتها أيديهم ونسبوها لله زوراً وبهتاناً"[(٢)].

وفي ختام هذا الاستعراض نبين موقف العلماء من الروايات الإسرائيلية، قال شيخنا الأستاذ الدكتور محمد الشايع: "والإسرائيليات يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

١- **مقبول**: هو ما جاء في القرآن الكريم أو السنة ما يصدقه، فهو حق كتسمية صاحب موسى، فهو حق.

٢- **مردود**: وهو ما جاء في القرآن أو السنة ما يكذبه، فهو باطل كنسبة الكبائر والمنكرات لبعض الأنبياء عليهم السلام.

٣- **متوقف فيه**: وهو ما لم يأت ما يصدقه أو يكذبه، فلا يوصف بأنه حق أو باطل"[(٣)].

---

(١) الحديث والقرآن، ص٢٤٨، ٢٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص٣٩٧.

(٣) معجم مصطلحات علوم القرآن، ص٢٤، ٢٥.

الأساس الرابع: ترك الإطناب في مبهمات القرآن.

مبهمات القرآن يقصد بها: "ما أبهم من أسماء الأعلام، والأماكن والأزمان، والأعداد الواردة في القرآن الكريم. فلم يعين اسمه، أو يحدد مكانه أو زمنه أو عدده"(١).

وقد اهتم العلماء بهذا العلم، وعدوا الاعتناء به حسناً؛ لفضله وشرفه، إلا أنهم يرون أنه لا يبحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه، واعتبروا البحث عن المبهمات في كثير من المواضع-التي لا يبنى على معرفتها عمل- من التكلف المذموم، وإضاعة الأعمار بلا طائل، والاشتغال بما لا ينفع، ولا فائدة فيه(٢).

والعلماء في بيان هذا العلم، يقولون: المرجع في هذا العلم إلى النقل المحض، ولا مجال للرأي ولا للاجتهاد في تعيين المبهم، وإنما يرجع القول فيه إلى قول النبي ﷺ وأصحابه ﷺ الآخذين عنه، والتابعين الآخذين عن الصحابة(٣).

وأما عن موقف منكري السنة فيما ورد مبهماً في القرآن، فإنهم يرون أن "القرآن لا يلجأ إلى الإبهام إلا لحكمة، ولو أراد التصريح والإعلان لما

---

(١) المرجع السابق، ص١٢٩.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، (١/١٥٥)، الإتقان في علوم القرآن، (٤/٩٣)، التكميل والإتمام، لابن عسكر، ص٣٤، مقدمة محقق تفسير مبهمات القرآن، (١/٣٥)،أضواء البيان، (٣/٢٢٦)، قواعد التفسير، خالد السبت، (٢/٢٧٩).

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، (٢/١٧١)، الإتقان في علوم القرآن، (٤/٩٥)، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، السيوطي، ص٨، غرر التبيان لمبهمات القرآن، لابن جماعة، مقدمة المحقق، ص١٥٩، مفاتيح التفسير، (٢/٧٥٦).

أعجزه،...، وحكمة القرآن أنه يريد بهذا الإضمار للمعاني التي تتعلق بهذه المبهمات أن تكون عامة، وأن يتعظ الناس بها جميعاً دون أن تكون مخصوصة بصاحبها"[(١)].

وبناء على نظرتهم هذه، فقد عاب كثيرٌ منهم ما قام به بعض المفسرين من تبيين لتلك المبهمات، ورأوا أنه كان من الواجب عليهم أن يدركوا الحكمة من ذلك الإبهام، ويتفهموه ويقفوا عنده[(٢)]، قال جمال البنا: "ولكن المفسرين- سامحهم الله- افتاتوا على القرآن، وغلبتهم الطلعة والفضول أو فاتهم المعنى المقصود، واعتقدوا أنهم يحسنون صنعاً بالتعيين"[(٣)].

ولما كان محمد شحرور كغيره من منكري السنة يطلقون الأحكام المبالغ فيها، فهو يقول: "ولا يخفى على الراصد للمدارس التفسيرية انشغالها المفرط(!!) في البحث عن تفاصيل المسكوت عنه في السرد القصصي، وما صاحبه من التفات إلى مواضيع ألصقت بالقصص استكمالاً لما يُعتقد أنه فات الوحي ذكره، مما أدى-بالتالي- إلى إضعاف التركيز على فهم رواية الوحي الذاتية لمواضيع القصص"[(٤)].

ورأوا أن سعي المفسرين في بيان مبهمات القرآن قد ألجأهم إلى النقل عن كتب أهل الكتاب، واعتبروه تجاوزاً جعل المفسرين يدخلون في التفسير ما ليس

(١) تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص١٠٠.

(٢) ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤) القصص القرآني(١)، ص ٣٦.

منه، قال محمد شحرور:"ولكن ثمة تجاوز واستثناء ما تم تمريره تحت تواطؤ العلماء وصمتهم فيما يخص توظيف الروايات الكتابية لخدمة الأدوات التفسيرية لما أبهمه القرآن"(١).

ومن ناحية أخرى نجد أن نيازي-كعادته- في التقول على المفسرين، ورميهم بما لم يقعوا فيه، وإصداره الأحكام العامة، بدون برهان أو دليل، يقول: "وامتدت أقلامهم إلى كتابة قصص عن الأنبياء على لسان الرسول ﷺ نقلاً كاملاً عن كتب أهل الكتاب المحرفة، والتغيير في أسلوبها، الأسلوب الإلهي، فأتت خالية من العبرة التاريخية، والغاية الإلهية من إيراد القصة في القرآن، وهي وجود الموعظة الخفية من الله للناس، بل وردت محشوة بتفاصيل تافهة، وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان. فقد حددوا على سبيل المثال كتابة قصة أهل الكهف، وحددوا لنا عددهم الحقيقي، وما كانوا يلبسون بالتحديد، وما كان اسم كلبهم، وما ألوان شعره!....، كذلك فعلوا بباقي القصص القرآني فأضافوا تفاصيل لا لزوم لها ولا تسمن أو تغني من جوع"(٢).

ولما كان مصطفى المهدوي ممن يرى عدم انشغال المفسر ببيان مبهمات القرآن، فإنه في تفسيره لسورة يوسف، يقول: "لا حاجة لنا في اسم امرأة العزيز التي كانت تراود فتاها عن نفسه، ولا حاجة لنا في وصف جمالها وأثاثها، بل يكفي أولي الألباب الذين أنزل إليهم الكتاب أنها بإنوثتها وسلطانها لم تقو على

(١) المرجع السابق، ص٥٨.
(٢) إنذار من السماء، ص٥٤.

إغواء فتى يعتصم بحبل الله، رغم أنه كان ما يزال مستضعفاً في بيتها"(١).

وفي قصة نبي الله نوح عليه السلام يقول: "لا حاجة لنا في وصف سفينة نوح، وقياس أبعادها، وأسماء الذين حملهم فيها، بل يكفي أولي الألباب الذين أنزل إليهم الكتاب أنه حمل فيها من كل زوجين اثنين"(٢).

وما قاله المهدوي مما لا خلاف عليه؛ لأنه لم يرد نص صحيح يوضح ذلك، إلا أننا نجد القرآنيين -كعادتهم في مجاوزة الحدود- رفضوا ما عينته الأحاديث الصحيحة، فالمهدوي عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾[التوبة: ٤٠]، قال: "من هو هذا الصحابي، إنه مهاجر مع الرسول من أهل مكة، سبّاقٌ إلى الخير من الذين آمنوا، صحابي جليل استأثر من الرسول بما لم يستأثر به أحد من المؤمنين، وذكر معه في القرآن كما لم يذكر معه أحد من أصحابه، وحسبنا ذلك مما علمنا ربنا، وهو أعلم به، ولا حاجة لنا اليوم إلاَّ أن نسعى ليكون لنا لقاء به في الصالحين"(٣).

وبناء على ما قعده علماء التفسير في أن بيان المبهم يعتمد على النقل المحض، فإنه قد ورد تعيين لهذا الصحابي الجليل في هذه الآية، من أثر صحيح أورده الإمام البخاري في صحيحه، قال الإمام البخاري رحمه الله: "قَالَتْ عَائِشَةُ، وَأَبُو

---

(١) البيان بالقرآن، (٢/٥١٤).

(٢) المرجع السابق، (٢/٥١٤).

(٣) المرجع السابق، (٢/٦٣٥).

سَعِيدٍ(١)، وَابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: "وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَارِ"(٢)، ثم روى الإمام البخاري في الباب نفسه حديث الهجرة، وفيه بيان الرجل المبهم في الآية، وهو أبو بكر الصديق ﷺ(٣)، وإنما قصد بالإبهام في الآية تعظيم الصديق ﷺ بالوصف، وتشريفه تشريفاً لا يجاريه فيه أحد(٤).

وعند بيان مصطفى المهدوي لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٨]، قال: "ثلاثة من عباد الله المؤمنين خلفوا، تركوا، من هم الثلاثة الذين تركوا، أين، وكيف تركوا...ذلك من الجدل الذي لا يغني عنك شيئاً، ولا يؤدي بك إلا إلى تيه بعيد، ولكن الذي يهمنا أنهم تركوا فأهملوا فلم يجدوا لهم أحداً يتولى أمرهم"(٥).

وهذه القصة من القصص المشهورة التي ورد في السنة الصحيحة بيان المبهم

---

(١) سعد بن مالك بن سنان الخدريّ، الأنصاري، الخزرجي، أبو سعيد: صحابي جليل، ولد (١٠ ق.ه)، كان من ملازمي النبي ﷺ وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة، توفي في المدينة، سنة (٧٤ه).التاريخ الأوسط، البخاري، (١/١٣٩)، معجم الصحابة، ابن قانع، (١/٢٥٨)، الإصابة في تمييز الصحابة، (٣/٦٥).

(٢) صحيح البخاري، (٥/٣).

(٣) ينظر: صحيح البخاري، برقم، (٣٦٥٢)، (٥/٣)، وأيضاً أورده الإمام البخاري في كتاب التفسير من صحيحة عند تفسير الآية، ينظر: (٦/٦٦).

(٤) ينظر: تفسير مبهمات القرآن، محمد بن علي البلنسي، (١/٥٤٥)،البرهان في علوم القرآن، (١/١٦٠)، الإتقان في علوم القرآن، (٤/٩٤).

(٥) البيان بالقرآن، (٢/٧٥٦، ٧٥٧).

في الآية، ومن هم الثلاثة المعنيون فيها في صحيح البخاري[١]، وصحيح مسلم[٢]، وأهم الصحابة الأجلاء: كَعْب بن مَالِك[٣]، مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ العَمْرِيُّ[٤]، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ[٥] رضي الله عنهم.

الأساس الخامس: المنهج العقلي.

بعد أن عرض الباحث في المبحث السابق أصول القرآنيين في التفسير، وبيَّن مكانة العقل عندهم، وأنه يمثل أصل أصولهم، والركيزة الأساسية التي انبعث عنها جميع تفسيراتهم، بحيث استأثر على بقية الأصول الأخرى-التي زعم القرآنيون أنهم يبنون تفاسيرهم عليها- وجعلها أداة يستعملها ليطرح من خلالها جميع ما يريده من أفكار، يبقى لنا النظر في كيفية تطبيقهم لهذا الأصل في

---

(١) ينظر: صحيح البخاري، برقم (٤٤١٨)، (٦/٣).

(٢) ينظر: صحيح مسلم، برقم، (٢٧٦٩)، (٤/٢١٢٠).

(٣) كعب بن مالك بن عمرو بْنِ الْقَيْنِ ، الخزرجي، الأنصاري السَّلَمِيُّ، أبو بشير: صحابي جليل، من أكابر الشعراء في الجاهلية والإسلام، شهد مع رسول الله ﷺ أكثر الوقائع، عمي في آخر عمره، كانت وفاته سنة (٥٠ هـ). ينظر: التاريخ الكبير، (٧/٢١٩)، تهذيب الأسماء واللغات، (٢/٦٩)، معجم الصحابة، البغوي، (٥/١٠٤).

(٤) مرارة بن الربيع، وقيل: ابن ربيعة الأنصاري العمري، من بني عَمْرو بْن عوف، صحابي مشهور، شهد بدرا. ينظر: أسد الغابة، (٥/١٢٩)، الإصابة، (٦/٥٢)، الاستيعاب، (٣/١٣٨٢).

(٥) هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصاري الواقفي. شهد بدرًا وما بعدها، وكان هلال قديم الإسلام، كسر أصنام بني واقف، كانت معه رايتهم يوم الفتح. ينظر: معرفة الصحابة، أبو نعيم، (٥/٢٧٤٩)، الثقات، ابن حبان، (٣/٤٣٥)، الاستيعاب، (٤/١٥٤٢).

تفسيرهم للآيات القرآنية.

ومما يجدر التنبيه عليه هنا، أن هذه الطائفة التي ندرس منهجها العقلي في التفسير قد أفادت إفادة مباشرة وكبيرة من جهود أسلافها من مفسري المدرسة العقلية القديمة التي أسسها المعتزلة، وأفادت –كذلك– من نتاج المدرسة العقلية الحديثة التي أسسها جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده المصري، وهي مع كل ذلك لم تهمل الإفادة من نتاج الفكر الإلحادي عند الباطنية، والفرق المنحرفة الأخرى.

إن من يطالع كتابات منكري السنة النبوية، ومدعي القرآنية، وما قاموا به من تفسير للآيات القرآنية يلحظ ملاحظة هامة، وهي أن القوم في تعاملهم مع كتاب الله –تعالى– لم يسلكوا الطريق المنهجي الصحيح، وذلك من خلال النظر في آيات القرآن ابتداءً والاعتماد عليها، واستنباط هداياتها، والاسترشاد بمدلولاتها، ولكنهم جعلوا عقولهم هي الأساس وما قررته عقولهم بالاعتماد على خلفياتهم الفكرية هي الأصل، ومن ثم ذهبوا إلى القرآن يبحثون عن أدلة قرآنية تدعم الأفكار التي وضعتها عقولهم مسبقاً.

ومع أنهم حاولوا الرجوع إلى الآيات القرآنية، إلا أنهم وجدوها لا تسعفهم ولا تدعم فكرهم المنحرف، وما يريدون الوصول إليه من الإلحاد، بل وجدوا آيات القرآن تناقض فكرهم، وتهدم أصولهم، وبدا لهم التنافر الحقيقي بين القرآن الكريم وما لديهم من أفكار، فما كان منهم إلا أن سلكوا مسلك الفرق

المنحرفة وعلى رأسهم الباطنية[١]، فاعتمدوا على التأويل وتعسفوا فيه أشد التعسف؛ كي يخرجوا القرآن عن غاياته ومقاصده إلى ما يريدون من أهداف وغايات.

لقد طغى المنهج العقلي في فكر القرآنيين، وترك أثراً بارزاً في تفسيرهم لآيات القرآن الكريم، يحاول الباحث في السطور القادمة العرض لبعض تلك الآثار مع التمثيل لها:

١- صرف الآيات عن ظاهرها بالجنوح إلى التمثيل والتخييل، ومثاله: قوله تعالى:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١]، قال محمد أبو زيد: "تمثيل للاستعداد الذي كونهم الله عليه"[٢].وفي قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ [البقرة: ٣٤]، قال محمد أبو زيد عن الملائكة: "رسل النظام، وعالم السنن، وسجودهم للإنسان معناه: أن الكون مسخر له"[٣].

٢- تأويل الآيات وصرفها عن ظاهرها إذا صعب على عقولهم فهمها، وإن فسرها الحديث النبوي الصحيح، ومثاله: قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ [الفرقان: ٣٤]، قال ابن قرناس: "وليس المقصود هنا أن يحشر الكافر وهو يمشي على وجهه بدل رجليه، كما قال بذلك

---

(١) وهذا ما أشار إليه الشيخ محمد رشيد رضا في رده على محمد أبو زيد الدمنهوري في مقال نشرته مجلة المنار، تحت عنوان: إلحاد في القرآن ودين جديد بين الباطنية والإسلام، ينظر المنار، مجلد(٣١) ص٦٧٣.

(٢) الهداية والعرفان، ص٦.

(٣) المرجع السابق، ص٧.

الحديث التالي:...، عن قتادة[١]، حدثنا أنس بن مالك[٢] رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يَا نَبيَّ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ: (أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ). قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى، وَعِزَّةِ رَبِّنَا[٣].

قال ابن قرناس: لكن المقصود بالوجه هو نفس المعنى الذي تقوله الآية التالية: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢]،...، ثم قال: فتسليم الوجه في الآية(٢٢) من سورة لقمان يعني الطاعة[٤].

من الواضح أنه لمَّا صعب على عقله القاصر استيعاب ما أخبر به تعالى عَنْ سُوءِ حَالِ الْكُفَّارِ فِي مَعَادِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَحَشْرِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ، فِي أَسْوَأِ الْحَالَاتِ وَأَقْبَحِ الصِّفَاتِ مقلوبين أو مسحوبين على وجوههم حقيقة[٥]، مع

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم، النجاري، الخزرجي، الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة: خادم رسول الله ﷺ أمه أم سليم بنت ملحان. ولد بالمدينة سنة (١٠ ق.ه)، أسلم صغيرًا، خدم النبي ﷺ إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها، (٩٣ه). وكان آخر من مات بالبصرة من الصحابة. ينظر: الاستيعاب، (١/١٠٩)، سير السلف الصالحين، إسماعيل الأصبهاني، ص٢٧٤، أسد الغابة، (١/٢٩٤).

(٣) الحديث متفق عليه، صحيح البخاري، برقم، (٤٤٨٢)، (٤/١٧٨٤)، وصحيح مسلم، برقم، (٢٨٠٦)، (٤/٢١٦١).

(٤) الحديث والقرآن، ص١٢٤، ١٢٥.

(٥) كما حكاه المفسرون، ينظر: تفسير ابن كثير، (٦/١١٠)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، =

توضيح وتأكيد الحديث لمعنى الآيات، قام فصرفه عن حقيقته، وهو السوق على الوجوه إذلالاً للكفار وتحقيراً لهم، إلى معنى آخر غير متبادر من الآية، وهو الطاعة، ولو كان عنده إيمان لاكتفى ببيان الرسول ﷺ؛ إذ ليس بعد بيانه بيان، ولعلم أنه إذا (جَاءَ نَهْرُ اللهِ بَطَلَ نَهْرُ مَعْقِلٍ)[1].

٣- ومنها صرفهم ألفاظ القرآن الكريم عن ظاهرها إلى معان بعيدة بدون دليل، ومثاله: ما قاله ابن قرناس في تفسير سورة الفيل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾ [الفيل: ١ – ٥]، قال ابن قرناس: يدخل في معنى (طَيْرًا أَبَابِيلَ) الحمم البركانية إذا قذف بها البركان عند ثورانه، وهذا المعنى لـ (طير) هو المقصود في سورة الفيل، وليس الطير بمعنى الطيور القادرة على الطيران والهبوط[2].

وهذا المعنى الذي رآه ابن قرناس بعيد كل البعد عن مراد الآية الكريمة، لقد سولت لابن قرناس نفسه أن يصرف اللفظ القرآني إلى غير مراد الله، وعلى خلاف ما عرفه العرب -الذين نزل فيهم القرآن- من لغتهم، وعلى خلاف ما تقرر عند علماء التفسير من القواعد المتعلقة بالألفاظ القرآنية، فمن المتقرر عند

=

الثعالبي، (٢١٠/٤)، جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، (١٥٥/٣)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٢١٧/٦).

(١) مثل عربي، ينظر: مجمع الأمثال، الميداني، (٨٧/١)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور الثعالبي، ص٣٠.

(٢) سنة الأولين، ص٨٩٢.

علماء التفسير أن الأصل في نصوص القرآن أن تحمل على ظواهرها، وتفسر حسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ، ولا يجوز أن يعدل بألفاظ الوحي عن ظاهرها إلا بدليل واضح يجب الرجوع إليه[١]، فتأويله الطير بأنها الحمم البركانية مخالف لظاهر النص، وللغة العرب الذين نزلت عليهم تلك الآيات، فما أدري هل العرب الذين نزل عليهم القرآن إذ أطلق عليهم لفظ (الطير) انصرف ذهنهم إلى الحمم البركانية!! لقد استنكر هذه الطريقة علماء التفسير رحمهم الله تعالى، ومنهم الرازي[٢]، حيث قال: "إِنَّ صَرَفَ اللَّفْظَ عَنْ ظَاهِرِهِ بِغَيْرِ دَلِيلٍ بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلِأَنَّا إِنْ جَوَّزْنَا ذَلِكَ انْفَتَحَتْ أَبْوَابُ تَأْوِيلَاتِ الْفَلَاسِفَةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ يُفْضِي إِلَى رَفْعِ الشَّرَائِعِ وَفَسَادِ الدِّينِ"[٣].

ومما يجدر الإشارة إليه أن رجال المدرسة العقلية الحديثة وإن كانوا قد شذوا في تفسيرهم لآيات هذه السورة[٤] إلا أن ابن قرناس لم يرتض ذلك القول الذي جاؤوا به، واعتبره لم يخرج عن أقوال المفسرين السابقين، قال ابن قرناس: "وجميع المفسرين–تقريباً– على مر العصور نقلوا تلك التفاسير، ولم يشذ إلا القليل عن تلك القاعدة. حتى إن جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، قد قالا كلاماً حول حادثة الفيل لا يمكن أن يتلاءم مع ما نعتا به من عقلانية،...، إن

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين الحربي، (١/١٣٧).

(٢) سبق الترجمة له.

(٣) ينظر: التفسير الكبير، (٣٠/٦١٣).

(٤) ينظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، (٢/٧١٨).

محمد عبده قال: إن الطير الأبابيل جاءت بمايكروبات الجدري.

ويكون محمد عبده وافق المفسرين الأوائل بأن هناك طيوراً أرسلت من السماء وأنها تحمل عذاباً لجيش أبرهة[١]، وإن اختلفت معهم بأن ما تحمله لم يكن حجارة بحجم الحمص أو مخططة أو كجزع ظفار، ولكنها كانت تحمل موادًّا جرثومية تتمثل في ميكروبات الجدري، ويكون قد استعار ثقافة مفسري الجيل الأول في عالم القرنين التاسع عشر والعشرين"[٢].

٤- ومن فواقرهم تأويل النصوص القرآنية، وما دلت عليه إذا كانت تخالف فكرهم الذي يسيرون عليه، ومثاله، ما قام عليه فكر منكري السنة النبوية من بغض صحابة رسول الله ﷺ ورفض ما أجمعت عليه الأمة من عدالتهم[٣]، فإنهم عندما يجدون آية تذكر فضائلهم وتبين مترلتهم في الإسلام، تقودهم عقولهم إلى تأويلها وصرفها إلى معانٍ أخرى لا تدل عليها، وهو ما قام به عدنان الرفاعي، عند قوله تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠]، قال :"إن استشهادهم على عدالة جميع الصحابة(حسب مصطلحاتهم الوضعية التي اختلفوا فيها)، بالآية الكريمة:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، لبناء نتيجة مسبقة الصنع هي تعديل جميع

---

(١) أَبْرَهَةُ بنُ الصَّبَّاحِ، وهو أبو يَكْسُوم مَلِكُ الحَبَشَةِ، صاحِبُ الفِيلِ المَذْكورِ في القرآنِ، سافَرَ به إلى بيتِ اللّهِ الحَرَام فأَهْلَكَه اللّهُ تعالى، ويُلَقَّبُ بالأَشْرَمِ . ينظر: تاج العروس، (٣٦/٣٤٠).

(٢) سنة الأولين، ص٨٩٠، ٨٩١.

(٣) ينظر: محطات في سبيل الحكمة، ص١١.

الصحابة، هذا الاستشهاد ليس سليماً، فالآية لا تحمل من الدلالات ما يذهبون إليه. كلمة (أُمَّةٍ) في كتاب الله، تعني: المنهج الفكري، وهذا ما نراه جلياً في قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزخرف:٢٢ – ٢٣]"[١].

وهذا التأويل مخالف لما عليه أهل التفسير من أن المراد بالمخاطبين بهذه الآية هم أصحاب رسول الله ﷺ [٢]، قال ابن عطية رحمه الله، بعد عرضه للأقوال في معنى الآية: "فهذا كله قول واحد، مقتضاه أن الآية نزلت في الصحابة، قيل لهم: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾، فالإشارة بقوله: (أُمَّةٍ) إلى أمة محمد معينة، فإن هؤلاء هم خيرها"[٣].

٥-ومن آثار تحكيم عقولهم ما أدت بهم إلى إنكار المعجزات، وتأويلها وصرفها عن كونها معجزة، قال محمد شحرور: "المعجزة عند كل الأنبياء قبل محمد ﷺ هي تقدم في عالم المحسوس(ظاهرة طبيعية) عن عالم المعقول السائد وقت المعجزة(كشق البحر)، ولكنها ليست بحال خروجاً عن قوانين الطبيعة أو

---

(١) محطات في سبيل الحكمة، ص٢٥٠.

(٢) ينظر: معالم التنزيل، (٢/٨٩)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٤/١٧١)، التحرير والتنوير، (٤/٤٨).

(٣) المحرر الوجيز، (١/٤٨٩)، ولا تعارض في دخول بقية الأمة المحمدية كما قاله جمع من أهل التفسير، إلا أن المقدمين في هذه الأفضلية هم الصحابة ﷺ، بخلاف ما ذهب إليه الرفاعي من صرفها عن الصحابة ﷺ وغيرهم، وجعلها منهجاً فكرياً.

خرقاً لها؛ لقوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[الرعد: ٣٨]، ودائماً يدخل الإذن ضمن قوانين الطبيعة الصارمة، أي: هي عبارة عن قفزة زمنية إلى الأمام في تطويع قوانين الطبيعة"(١).

ومثاله، قوله تعالى: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٩]، قال شحرور: "ولرُبَّ سائل يسأل: ألا يُعدُّ إحياء المسيح للموتى خرقاً لقانون الطبيعة؟ أقول: لا ليس بخرق؛ لأنه يوم القيامة سيبعث الناس جميعاً، وهم في عداد الأموات، فما عملية إحياء المسيح للميت إلا قفزة زمنية ترينا إمكانية إحياء الموتى مادياً، وهو الذي سيحصل يوم البعث، وكذلك نار إبراهيم عليه السلام فهذا يعني أن النار تحوي صفتين متضادتين في آن واحد، وهما الحرق، وعدم الحرق، فالصفة الأولى لنا، والصفة الثانية جاءت لإبراهيم"(٢).

وقال محمد أبو زيد في الآية السابقة:"(كَهَيْئَةِ) يفيدك التمثيل؛ لإخراج الناس من ثقل الجهل وظلماته إلى خفة العلم ونوره"(٣).

وقال عن معجزة عيسى التي أخبر بها قومه، ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ قال: "يعلمهم التدبير المترلي"(٤).

---

(١) الكتاب والقرآن، ص١٨٥.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) الهداية والعرفان، ص٤٥.

(٤) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

٦- ومنها أنهم قاموا بتأويل الآيات القرآنية التي تحدثت عن الأمور الغيبية بما لا يتناسب مع ظاهر اللفظ، ومخالف لما أثر عن سلف الأمة، ومثاله: في قصة آدم وإبليس في سورة البقرة، قال شحرور عن إبليس والشيطان بأنهما رمز[1]، وقال محمد أبو زيد عن إبليس:"اسم لكل مستكبر على الحق، ويتبعه لفظ الشيطان والجان"[2].

وقال ابن قرناس عن أجنحة الملائكة في قوله تعالى:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: ١]، "إنهم ذوو قدرات(أجنحة) متفاوتة،...، ولديهم قدرات، تعتبر في العرف البشري، خارقة للعادة، ومن ذلك قدرتهم على إحداث كوارث طبيعية في وقت محدد، من زلازل وبراكين وأعاصير ورياح"[3].

وقال مصطفى المهدوي عن السحر الذي جاء به سحرة فرعون: "إن السحر الذي جاء به هؤلاء هو من قبيل التنويم المغناطيسي، حيث يمكن لإنسان أن يسيطر على مجموعة من الناس فيجعلهم يتخيلون أشياء لا وجود لها في الحقيقة"[4].

وخلاصة الأمر: أن القرآن ونصوصه لو تركت للآراء والفهوم مطلقاً، لأصبح القرآن ألعوبة لأصحاب الأهواء والضلالات؛ كل يأتي بباطله وخرافاته،

---

(١) القصص القرآني(١)، ص٢١٧.

(٢) الهداية والعرفان، ص٧.

(٣) سنة الأولين، ص١٠٩.

(٤) البيان بالقرآن، (٢/٥٦٢)، وينظر أيضاً: (٢/٦٦٤).

ويسميها معقولاً، لكنَّ الواجب في الألفاظ التوقيفية أن تحمل على ظاهرها، إلا أن يأتي خبر من الرسول ﷺ بإحالة حكم ظاهره إلى معنى آخر، فيجب التسليم حينئذ لحكم الرسول ﷺ إذ هو المبين عن مراد الله تعالى(١).

أما من لا يهتم بهذا الأصل فيخشى عليه أن يدخل في الذين وصفهم الله بأنهم﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٦]،أي: يَتَأَوَّلُونَه عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، وَيُفَسِّرُونَهُ بِغَيْرِ مُرَادِ اللَّهِ ﷻ على مقتضى أهوائهم، قَصْدًا مِنْهُمْ وَافْتِرَاءً(٢) .

الأساس السادس: الإلحاد في النصوص القرآنية.

"الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب، بأي وجه كان: إما بإنكارها وجحودها، وتكذيب من جاء بها، وإما بتحريفها وتصريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معان لها، ما أرادها الله منها"(٣).

إذا تأمل عاقل في تفسير منكري السنة للآيات القرآنية يجد أنَّ هذه التفاسير يسعى أصحابها من خلالها إلى الإلحاد في الآيات القرآنية ومدلولاتها، لقد ضاق القوم ذرعاً بالآيات القرآنية التي تخالف كثيراً من أفكارهم وآرائهم، وتهدم أهدافهم فحرفوها عن مواضعها "ولا ريب أن القوم أخذوا العبارات الإسلامية

---

(١) ينظر: جامع البيان، (٣/٤٠٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٢/٣٢٣)، جامع البيان، الإيجي، (١/٣٦٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص٧٥٠، وينظر أيضاً في تعريف الإلحاد في آيات الله: تفسير السمعاني، (٢/٢٣٦)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٥/٣٦٦)، فتح القدير، (٤/٥٩٤)، فتح البيان في مقاصد القرآن، (١٢/٢٥٧)، مذكرة على العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، ص١٢.

القرآنية والسُّنية فجعلوا يضعون لها معاني توافق معتقدهم، ثم يخاطبون بها، ويجعلون مراد الله–تعالى–ورسوله ﷺ من جنس ما أرادوا، فحصل بهذا من التلبيس على كثير من أهل الملة، ومن تحريف الكلم عن مواضعه، ومن الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته، ما الله به عليم، ولهذا قد يوافقون المسلمين في الظاهر، ولكنهم في الباطن زنادقة منافقون"[١].

إن الهدف من هذه التأويلات والتفسيرات العبثية التي يقومون بها هو هدم أحكام الدين، والإلحاد في كتاب الله المبين، إنهم لم يجدوا طريقاً يوصلهم إلى مرادهم إلا عن طريق تأويل الآيات القرآنية والإلحاد فيها، فراحوا ينظرون في كتاب الله نظرة حُرَّة لا تتقيد بأىّ أصل من أصول التفسير، ثم أخذوا يهذون بأفهام فاسدة، تتنافى مع ما قرره أئمة اللُّغة وأئمة الدين، ولأول نظرة يتضح لمن يطلع عليها أنها لا تستند إلى حُجَّة، ولا تتكئ على دليل[٢].

إنهم يسعون إلى تأويلات تتماشي مع أهوائهم، وتدعم علمانيتهم وماركسيتهم وإلحادهم، أرادوا تأويلات تغير الأصول والقواعد، وتعتمد على آراء الملاحدة والزنادقة، لقد جاؤوا "بتفاسير لا تقوم على أسس شرعية ولا علمية، وليس لها سند لا في القديم ولا في الحديث، ولا صلة بين معاني ألفاظها ومعاني ألفاظ القرآن، ولا مطابقة لغوية ولا معنوية ولا شكلية، فجاؤوا بهذيان كهذيان المحموم تسأله عن حاله فيجيبك بذكر اسم صديق له أو قريب أو

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ابن تيمية، ص٢٣٥.

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون، (٢/٣٨٣).

بكلام غير مفهوم"(١).

وبعد هذا، يمكن أن أضع بين أيديكم بعض تأويلاتهم للآيات القرآنية، التي تدل على إلحادهم، ومنها:

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]، فمصطفى المهدوي، يقول: "الزانية والزاني بأل التعريف كقولك الفارس والطبيب ليغنيك عن بيان من هو الفارس أو من هو الطبيب، وكيف يمكن أن تكون المرأة أو الرجل هذا الفارس أو ذلك الطبيب، فهل ترى أنك قد أصبحت ذلك الفارس إذا امتطيت صهوة جواد مرة أو مرتين أو عشر مرات، وهل ترى أنك أصبحت ذلك الطبيب إذا عالجت أهلك من صداع أو جرح أو غثيان. لا نظن أن أل التعريف قد وردت زائدة في قول الله تبارك وتعالى (الزانية والزاني) وليس في القرآن كله حرف واحد زائد أو ليس مسطوراً في الكتاب لحكمة بالغة، فهذا كتاب الله الذي أتقن كل شيء"(٢).

ومحمد أبو زيد يقول في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠]، أي: الربا الفاحش، وبمعنى آخر: الربح الزائد عن حده في رأس المال، وتقدره كل أمة بعرفها"(٣).

وقال ابن قرناس في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ

---

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (٣/١٠٦٤).

(٢) البيان بالقرآن، (١/٣٤٨).

(٣) الهداية والعرفان، ص٥٣.

﴿ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣﴾ [النساء: ٣]، فهذه الآية ليست لتشريع تعدد الزوجات؛ لأنها لا تقول تزوجوا بأربع. ولكنها تخاطب وبكل وضوح من أراد الزواج بيتيمة مكسورة الجناح لكي يسلبها ما تملك من مال، ولا يعطيها ما فرض الله لها من حقوق مثلها مثل أي فتاة أخرى.

وتبين الآية أن الزواج مبني على القسط في التعامل، وهو ما يعني التعامل الإنساني العادل، ومن لم يستطع معاملة الفتاة اليتيمة بمنتهى الإنسانية ويوفر لها حقوقها فيجب عليه صرف النظر عن الزواج بفتيات أخريات، ومن دون تحديد عدد؛ فمثنى وثلاث ورباع لا تعني الاكتفاء بأربع، بل تقول: تزوج بما شئت من غير اليتامى، وبالعدد الذي ترغب كما جرت العادة في ذلك الوقت. مثنى أو ثلاث أو رباع أو أقل أو أكثر"[1].

وقال مصطفى المهدوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، "العمرة: هي عمارة المسجد الحرام، وهي واجبة للمساجد جميعاً، وأولى المساجد بالعمارة هو أولها جميعاً ذلك الذي شيده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]، وإنما تكون عمارة المساجد بالبناء والترميم والتطهير والفرش والإضاءة والمصاحف

---

(١) سنة الأولين، ص٧٥٠.

والصلاة فيها والخلود إلى ذكر الله بها، وغير ذلك مما تظل به المساجد عامرة بالخيرات داعية إلى اجتماع المسلمين بها على طاعة الله"[١].

ومن ذلك ما قاله ابن قرناس في قصة تكسير إبراهيم عليه السلام: وقد أثار تكسيرها حفيظة قومه، وهددوا بحرقه في النار: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۝٦٨﴾ [الأنبياء: ٦٨]، ولم يتم إلقاؤه في النار، كما تخيل المفسرون نقلاً عن الإسرائيليات، وكأن هذا ما يعنيه قوله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٨ – ٦٩]، واختلقوا قصصًا كثيرة عجيبة، تظهر أن إبراهيم قد سُجِّرت له نارٌ عظيمة وألقي فيها، لكنه خرج يمشي منها، ولم يمسه سوء. ولو كان هذا ما حدث فقد تحول إبراهيم في تلك اللحظة إلى مخلوق آخر، لا تؤثر فيه النار، ولم يعد من البشر، الذين خلقوا من لحم ودم، يسهل على النار التهامهم، حتى لو كانوا رسلاً لله. وفاتهم أن الآية تخبر بأسلوب القرآن الفريد، عن عدم تنفيذ القوم تهديدهم بالحرق، وبدل أن تقول الآيات إنه لم يحرق، ولم يلق في النار، قالت: إن الله أنجاه من النار. كما يقال: كيف وصلت لهذا المكان؟ فيأتي الجواب: لقد أنار الله لي الطريق"[٢].

(١) البيان بالقرآن، (١/٩٤، ٩٥).

(٢) أحسن القصص، ص١٦٦، ١٦٧.

الفصل الثالث

موقف القرآنيين من تفاسير المسلمين وأصولهم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف القرآنيين من التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

المبحث الثاني: موقف القرآنيين من التفاسير المعتبرة.

المبحث الثالث: موقف القرآنيين من أصول التفسير عند علماء التفسير.

المبحث الأول
موقف القرآنيين من التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

أولاً: موقف القرآنيين من التفسير بالمأثور.

يعتبر تفسير القرآن الكريم بالمأثور أشهر طرق تفسير القرآن الكريم، وأكثرها شيوعاً واستخداماً بين علماء التفسير، وقد عرَّفه شيخنا الأستاذ الدكتور محمد الشايع، **بأنه** "بيان معاني القرآن الكريم بما ورد في السنة، أو روي عن الصحابة أو التابعين"(١).

والصحيح منه أصلٌ عوَّل عليه جُلُّ أئمة التفسير في بيان معاني القرآن، ومعرفة أحكامه الشرعية، وهذه الطريقة التفسيرية تظهر أهميتها من خلال عدة أمور(٢):

أولها: أن تفسير القرآن بالمأثور مما اتفقت الأمة على قبوله، وتلقاه المسلمون بالقبول والرضا، وهو الأصل الأصيل الذي تهفو إليه أفئدة جمهرة المسلمين في شتى الأمصار الإسلامية(٣).

---

(١) معجم مصطلحات علوم القرآن، ص٦٠، وينظر في تعريفه أيضاً: علم التفسير، د.محمد الذهبي، ص٤٠، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، مرجع سابق، ص٢٠٠، مناهج المفسرين، د. مصطفى مسلم، ص٢٣، التفسير أساسياته واتجاهاته، د.فضل حسن عباس، ص١٨٣، أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي، د. مساعد آل جعفر، ص٧٢.

(٢) يقصد الباحث بذلك الصحيح الثابت، وليس غيره.

(٣) ينظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، د. حكمت بشير ياسين، (٦/١، ٧)، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، د. عبد المجيد المحتسب، ص٤١.

ثانيها: اهتمام العلماء به، فالمتتبع لكثير من كتب التفسير يلحظ اهتماماً بالغاً بهذا النوع، فقد أولاه علماء التفسير من السلف والخلف عناية كبيرة؛ فأوردوا في تفاسيرهم الكثير منه(١).

ثالثها: ومما يدل على أهمية هذا النوع من التفسير، وعلو مكانته؛ أنه تفسير للقرآن بما ورد عن إمام المتقين ﷺ، والأئمة المهديين من السلف الصالحين رحمهم الله، الذين تميزوا بمميزات عدة، وانفردوا -عن غيرهم- بمنقبات جمّةٍ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى:"هَذَا فِيمَا انْفَرَدُوا بِهِ عَنَّا، أَمَّا الْمَدَارِكُ الَّتِي شَارَكْنَاهُمْ فِيهَا مِنْ دَلَالَاتِ الْأَلْفَاظِ وَالْأَقْيِسَةِ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ قُلُوبًا، وَأَعْمَقَ عِلْمًا، وَأَقَلَّ تَكَلُّفًا، وَأَقْرَبَ إلَى أَنْ يُوَفَّقُوا فِيهَا لِمَا لَمْ نُوَفَّقْ لَهُ نَحْنُ؛ لِمَا خَصَّهُمْ اللَّهُ -تَعَالَى- بِهِ مِنْ تَوَقُّدِ الْأَذْهَانِ، وَفَصَاحَةِ اللِّسَانِ، وَسَعَةِ الْعِلْمِ، وَسُهُولَةِ الْأَخْذِ، وَحُسْنِ الْإِدْرَاكِ وَسُرْعَتِهِ، وَقِلَّةِ الْمُعَارِضِ أَوْ عَدَمِهِ، وَحُسْنِ الْقَصْدِ، وَتَقْوَى الرَّبِّ تَعَالَى؛ فَالْعَرَبِيَّةُ طَبِيعَتُهُمْ وَسَلِيقَتُهُمْ، وَالْمَعَانِي الصَّحِيحَةُ مَرْكُوزَةٌ فِي فِطَرِهِمْ وَعُقُولِهِمْ، وَلَا حَاجَةَ بِهِمْ إلَى النَّظَرِ فِي الْإِسْنَادِ وَأَحْوَالِ الرُّوَاةِ وَعِلَلِ الْحَدِيثِ وَالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، وَلَا إلَى النَّظَرِ فِي قَوَاعِدِ الْأُصُولِ وَأَوْضَاعِ الْأُصُولِيِّينَ، بَلْ قَدْ غُنُوا عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَيْسَ فِي حَقِّهِمْ إلَّا أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى كَذَا، وَقَالَ رَسُولُهُ كَذَا، وَالثَّانِي: مَعْنَاهُ كَذَا وَكَذَا، وَهُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهَاتَيْنِ الْمُقَدِّمَتَيْنِ، وَأَحْظَى الْأُمَّةِ بِهِمَا، فَقُوَاهُمْ مُتَوَفِّرَةٌ مُجْتَمِعَةٌ عَلَيْهِمَا"(٢).

---

(١) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (٢/٥١٩).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، (٤/١١٤).

رابعها: ومن جهةٍ أخرى، فإن أئمة التفسير بالمأثور اتصفوا بالورع والتحري عند تفسيرهم لكتاب الله تعالى، فلا يتكلمون فيما لا يعلمون، ولا يخوضون فيما يجهلون، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فَهَذِهِ الْآثَارُ الصَّحِيحَةُ وَمَا شَاكَلَهَا عَنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ مَحْمُولَةٌ عَلَى تَحَرُّجِهِمْ عَنْ الْكَلَامِ فِي التَّفْسِيرِ بِمَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ، فَأَمَّا مَنْ تَكَلَّمَ بِمَا يَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ لُغَةً وَشَرْعًا فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا رُوِيَ عَنْ هَؤُلَاءِ وَغَيْرِهِمْ أَقْوَالٌ فِي التَّفْسِيرِ وَلَا مُنَافَاةَ؛ لِأَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا فِيمَا عَلِمُوهُ وَسَكَتُوا عَمَّا جَهِلُوهُ، وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ فَإِنَّهُ كَمَا يَجِبُ السُّكُوتُ عَمَّا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ فَكَذَلِكَ يَجِبُ الْقَوْلُ فِيمَا سُئِلَ عَنْهُ مِمَّا يَعْلَمُهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وَلِمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ مِنْ طُرُقٍ: (مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ)(١)"(٢).

خامسها: التأكيد من قبل أهل العلم على وجوب الاعتماد عليه، والتعويل عند تفسير كتاب الله عليه، وأنَّ الإعراض عنه من الخطأ البيِّن، بل عده ابن تيمية من البدعة، قال رحمه الله: "فَإِنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ وَالْأَئِمَّةَ إذَا كَانَ لَهُمْ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ قَوْلٌ وَجَاءَ قَوْمٌ فَسَّرُوا الْآيَةَ بِقَوْلٍ آخَرَ لِأَجْلِ مَذْهَبٍ اعْتَقَدُوهُ، وَذَلِكَ الْمَذْهَبُ لَيْسَ مِنْ مَذَاهِبِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ صَارُوا مُشَارِكِينَ

---

(١) مسند الإمام أحمد، برقم، (٧٥٧١)، (١٣/١٨)، سنن ابن ماجة، (٢٦٤)، (١/٩٧)، سنن أبي داوود، برقم، (٣٦٥٨)، (٣/٣٢١)، مسند البزار، (٩٣٠٠)، (١٦/١٨٣)، والحديث قال عنه الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم، (٦٢٨٤)، (٢/١٠٧٧).

(٢) مجموع الفتاوى، (١٣/٣٧٥).

لِلْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ فِي مِثْلِ هَذَا. و"فِي الْجُمْلَةِ" مَنْ عَدَلَ عَنْ مَذَاهِبِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَفْسِيرِهِمْ إِلَى مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ كَانَ مُخْطِئًا فِي ذَلِكَ بَلْ مُبْتَدِعًا، وَإِنْ كَانَ مُجْتَهِدًا مَغْفُورًا لَهُ خَطَؤُهُ، فَالْمَقْصُودُ بَيَانُ طُرُقِ الْعِلْمِ وَأَدِلَّتِهِ وَطُرُقِ الصَّوَابِ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْقُرْآنَ قَرَأَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَتَابِعُوهُمْ وَأَنَّهُمْ كَانُوا أَعْلَمَ بِتَفْسِيرِهِ وَمَعَانِيهِ كَمَا أَنَّهُمْ أَعْلَمُ بِالْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ فَمَنْ خَالَفَ قَوْلَهُمْ وَفَسَّرَ الْقُرْآنَ بِخِلَافِ تَفْسِيرِهِمْ فَقَدْ أَخْطَأَ فِي الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ جَمِيعًا"(١).

سادسها: أن التفسير بالمأثور لم تخالطه التأويلات الكلامية، والانحرافات الفلسفية التي أوقعت كثيراً من الفرق في الانحراف في تفسير كلام الله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فَكَانَ الْقُرْآنُ هُوَ الْإِمَامَ الَّذِي يُقْتَدَى بِهِ؛ وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنْ السَّلَفِ أَنَّهُ عَارَضَ الْقُرْآنَ بِعَقْلٍ وَرَأْيٍ وَقِيَاسٍ وَلَا بِذَوْقٍ(٢) وَوَجْدٍ(٣) وَمُكَاشَفَةٍ(٤) وَلَا قَالَ قَطُّ قَدْ تَعَارَضَ فِي هَذَا الْعَقْلُ

(١) مجموع الفتاوى، (٣٦٢/١٣)، مقدمة في أصول التفسير، ص٣٨.

(٢) الذوق عند الصوفية: عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه؛ يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب ولا غيره، وقال ابن عربي: "والذوق أول مبادئ التجليات الإلهية". مختصر اصطلاحات الصوفية، ابن عربي، ص٥، التعريفات، ص١٠٧، التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص١٧٢، دستور العلماء، الأحمد نكري، (٩٠/٢).

(٣) الوَجْدُ في اصطلاح الصوفية: مصادفة الباطن من الله–تعالى–واردًا يورث فيه حزنًا أو سرورًا أو يغيّره عن هيئته ويغيبه عن أوصافه بشهود الحق. وقيل: هو ما يصادف القلب من الأحوال المغنية له عن شهوده. كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، (١٣٦٦/٢)، مختصر اصطلاحات الصوفية، مرجع سابق، ص٤، وينظر: التعرف لمذاهب أهل التصوف، أبو بكر الكلاباذي، ص١٣٢.

(٤) المكاشفة عند الصوفية: يقال لها رفع الحجاب، الذي بين الروح الجسماني، الذي لا يمكن إدراكه =

وَالنَّقْلُ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَقُولَ: فَيَجِبُ تَقْدِيمُ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ -يَعْنِي الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ وَأَقْوَالَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ- إِمَّا أَنْ يُفَوِّضَ وَإِمَّا أَنْ يُؤَوِّلَ. وَلَا فِيهِمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ لَهُ ذَوْقًا أَوْ وَجْدًا أَوْ مُخَاطَبَةً أَوْ مُكَاشَفَةً تُخَالِفُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ"(١).

سابعاً: أنّ هذا النوع من التفسير لا يمكن أن يستغني عنه المفسرون في أي عصر من العصور، قال د. غانم قدوري الحمد: "على المفسر المعاصر الذي يتحرى الدقة في تفسيره أن يطيل النظر في تفاسير الأجيال الأولى من علماء الأمة، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وأن يتخذ من فهمهم للقرآن منطلقاً لتوضيح معاني الآيات الكريمة التي يفسرها، ولا يعني هذا أن عليه أن يأخذ بكل ما روي في التفسير المأثور، فقد سبق أن أشرنا إلى ما في بعض المرويات من ضعف، وما شاب بعضها الآخر من الروايات الإسرائيلية، ولكن وراء ذلك علم بالقرآن دقيق، وفهم لآياته أصيل لا يستغني عنه المفسر"(٢).

ومن خلال ما سبق بيانه عن أهمية التفسير بالمأثور، يتبين أنه الطريق السليم لفهم كتاب الله، وأنه لا يمكن الاستغناء عنه أو الاهتداء بغيره، فهو حجة متبعة لا تسوغ مخالفتها، بل إن تركه والاعتماد على غيره كان سبب الانحراف والضلال الذي وقع فيه بعض أهل التفسير.

=

بالحواس الظاهرة. وقال ابن عربي: تطلق بإزاء الأمانة بالفهم، وتطلق بإزاء تحقيق زيادة الحال، وتطلق بإزاء تحقيق الإشارة. كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، (١٧٥٧/٢)، مختصر اصطلاحات الصوفية، ص٦.

(١) مجموع الفتاوى، (٢٩/١٣).

(٢) محاضرات في علوم القرآن، د. غانم قدوري الحمد، ص٢٣٣.

أما عن موقف منكري السنة النبوية من هذا النوع من التفسير، فقد وجهوا انتقاداتهم الشديدة إلى تفاسير القرآن القائمة على هذا المنهج، وليس هذا الأمر بمستغرب منهم، وذلك تبعاً لخلفيتهم الفكرية، ومنهجهم المعرفي القائم على هدم أصل من أصول الإسلام الأساسية، وركن التفسير بالمأثور الأول، وأساسه المتين، السنة النبوية، وبناء عليه، فقد استنكر جمال البنا قيام المفسرين بالاعتماد على الروايات والأقوال المنقولة عن رسول الله ﷺ والصحابة ﷺ والتابعين -رحمهم الله-، فقال: "ما هذا أيها السادة! كيف تُحكِّمون الأخبار الركيكة والأحاديث الموضوعة في كلام الله ثم تأتون بكلام من زيد أو عمرو من الصحابة-ثم لا تقفون، بل تضمون إليهم التابعين؟ هل جعلتم كلام الله-تجاريب وتمارين ومجالات يذهب فيها من يشاء كما يشاء! ألا اتقيتم الله، وجعلتم لكم في رسول الله أسوة حسنة، وقد رأيتم كيف كان يعرف للقرآن قدره لا يحكم فيه برأيه أو جعلتم في أبي بكر أسوة، وهو الذي لم يجد أرضاً تقله، ولا سماء تظله إذا قال في القرآن برأيه(١). وأنتم تهرعون، وفي كل وادٍ تهيمون"(٢).

ويرى محمد شحرور أن التفسير النقلي (المأثور) قائم على العواطف الجياشة، وينعدم فيه البحث العلمي، قال: "التيار الذي نسميه تيار النقل، وقد

---

(١) يشير إلى الأثر المروي عن الصديق ﷺ، وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور، (٢٥١/١٥)، وابن أبي شيبة في المصنف، برقم، (٣٠١٠٣)، (١٣٦/٦)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن، ص٣٧٥، والمُسْتَغْفِرِي، فضائل القرآن، (٣٠٧/١)، وابن كثير في تفسيره، (١١/١)، وقال عنه: منقطع.

(٢) تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، ص٩٠.

اعتمد هذا التيار على ناحيتين مهمتين، وما زال يستعملها حتى الآن، وهما:

أ- العواطف الجياشة النبيلة للمسلمين في حبهم للنبي ﷺ والصحابة، وقد استغلت هذه العاطفة وما زالت تستغل إلى اليوم على صورة لا ترضي النبي ﷺ.

ب- انعدام البحث العلمي لدى هذا الاتجاه؛ حيث كان البحث العلمي عندهم يعتمد على (هكذا قال عمر)، والمشكلة الأساسية عندهم هي: قال أم لم يقل. أي: صدق الرواية"(١).

وبناءً على هذا الفهم السقيم، فإن محمد شحرور لا يرى أي قيمة علمية للتفسير بالمأثور أبداً، حيث قال: "وبذلك أصبح الإسلام ديناً، ومات العقل والنظرة النقدية إلى النصوص، وعند مشايخنا فهم القرآن هو عن..عن، وقال مجاهد وعكرمة وابن عباس وابن كثير والزمخشري، علماً بأن أقوال هؤلاء ليس لها قيمة علمية كبيرة بالنسبة لنا، ولكن لها قيمة تراثية أكاديمية بحته. والقيمة الحقيقية هي للنص القرآني الحي المتشابه. وهكذا يمكن لنا أن نقدم التبرير العلمي لإصرار النبي ﷺ على تدوين الوحي، وبنفس الوقت إصراره على عدم تدوين أقواله الشخصية؛ لأن الله هو الحي المطلق، ومحمد ﷺ نبي، ولكنه إنسان. هكذا فقط، يمكن أن نقول بكل جرأة علمية: إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان"(٢).

إن هذه الانطلاقة قد قادتهم إلى تصوير التفسير بالمأثور، وكأنه يؤدي إلى

---

(١) الكتاب والقرآن، ص٥٦٧، ٥٦٨.

(٢) الكتاب والقرآن، ص٢٠٩.

أمور خطيرة في تفسير القرآن، صرح البعض منهم بما يؤول إليه استعمال هـــذه الطريقة في التفسير، يذكر الباحث بعضاً منها:

١- أنَّ هذه الطريقة كانت الحائل بين تفاعل الإنسان مع القرآن، قال محمد شحرور:"ومما لا شك فيه أن المنظومة الدينية السائدة تشكل حائلاً ومانعاً للتفاعل بين الإنسان والتتريل الحكيم من جهة"(١)، وقال الرفاعي: "حينما نؤسس فكرنا الإسلامي على معايير تاريخية ظنية، مادتها العاطفة والعصبية، فإننا بذلك نضع حاجزاً بيننا وبين حقيقة الدلالات التي يحملها النص القرآني، ونوقف التاريخ عند عتبة النتاج الفكري لعصر إنتاج تلك المعايير التاريخية"(٢).

٢- أنَّ المفسرين سعوا جاهدين إلى تشويش فهم القرآن على الناس من خلال وضع الروايات، قال شحرور: "ولسنا نشك في اختلاط المفاهيم لدى السلف في ما يتعلق باعتمادهم لروايات من العهود السابقة مشوّشين ما جاء في التتريل الحكيم، وحاجبين رؤية هذا الأخير، مما خلق خلطاً خطيراً أدّى إلى ترقية الأساطير إلى درجة المقدس بدل أن يتوسلوا بالصحيح المعتمد من القرآن الكريم نفسه"(٣).

٣- ورأى شحرور أن من النتائج المترتبة على هذه الطريقة في التفسير هو تقزيم النص القرآني، حيث قال: "ومن هنا أصبح الواقع الإنساني المعيش بعيداً

---

(١) القصص القرآني(١)، ص٢٥.

(٢) المعجزة الكبرى(إحدى الكبر)، ص٤٩٣.

(٣) القصص القرآني(١)، ص٨٤.

كل البعد عن التتريل الحكيم، ذلك أن النص نفسه تقزّم ليصبح جزءاً من ركام نصوص تاريخية تعكس فكر أصحاب التفاسير المعتمدة فقط"(١).

٤- ومن ناحية أخرى رأى جمال البنا أن هذه الطريقة تقطع النص القرآني، وتحول بينه وبين بلوغ المسلم لهداياته، فقال عن المفسرين: "إلهم عمدوا إلى تقطيع أوصال القرآن كل آية على حدة في حين أن القرآن لا يحدث أثره أو يحقق رسالته إلا نتيجة لتلاحم آياته بعضها ببعض، وتقطيع أوصال القرآن كان يعني قتله، ثم العكوف على دراسة كل شلو من أشلائه، وهو ما يمكن أن يقدم لنا مادة أو معلومة، ولكنه لا يقدم حياة، ولا يثير عاطفة ولا يبعث على عمل، ولا يؤدي إلى هداية"(٢).

٥- وعلى نفس المسار من وضع الشكوك والشبهات، وإطلاق الألفاظ المنفرة حول التفسير بالمأثور سار نيازي عز الدين، وتجرأ -كعادته- في إطلاق الألفاظ الدالة على ما يحويه عقله من فكر معوج، في التعامل مع الأمور المهمة في الدين، فوصف التفسير بالمأثور بأنه أسلوب شيطاني، وأن المؤمن به "يرمي بكتاب الله وراء ظهره، ويتبع كتب الحديث التي تحجبه عن معرفة ما في القرآن الكريم، وتمثل كلام الله مباشرة من الله -تعالى- دون وساطة، إنه الآن إن قرأ القرآن وأراد أن يفهم المعنى لجأ إلى أحد التفاسير القديمة أم الحديثة ليأخذه المفسر إلى معان ما أنزل الله بها من سلطان، فيفهم القرآن كما شاء له الشيطان

---

(١) المرجع السابق، ص١٠٧.

(٢) تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، ص١٢٢، ١٢٣.

لا كما شاء الله ﷻ"[١].

٦- ولأجل إزاحة التفاسير المعتمدة على المأثور من محلها، واستبدالها بمناهج أخرى تقوم على الرأي المذموم، والعقل المأفون[٢] نادى القرآنيون بالفصل بين القرآن والتفسير بالمأثور، فقال شحرور: "فإننا نرى لزوم فك الارتباط بين التنزيل وما ألصق به وهيمن عليه لقرون طويلة، وإذا نجحنا في فك هذا الارتباط وإعادة فتح التنزيل الحكيم أمام تداول وقراءة وفهم من نوع جديد بأدوات جديدة، فإننا نعيد بذلك فتح الباب أمام تأويله وفق نسقنا المعرفي ونسقنا الثقافي، وهذا هو المطلوب، وهذا هو مبتغى القراءة المعاصرة"[٣].

وحاصل هذا الفصل بين القرآن وما ورد في تفسيره من الروايات المأثورة، يعني عندهم"عدم الالتزام بما رووه من أحاديث عن الرسول، ومن باب أولى عدم الالتزام بما جاء من كلام الصحابة؛ لأن الصحابة ليسوا مشرعين، بل إن الرسول نفسه ليس مشرعاً إلا فيما كلفه الله به صراحة دون تأويل، **وحصيلة هذا**، هدم تفسير المأثور، وهو أكبر مراجع التفسير"[٤].

إنهم يظهرون أهدافهم ولا يخفونها، ويعممون ولا يخصصون، ويؤكدون على كلامهم ويصرون، قال جمال البنا:"فإذا كان التفسير بالمأثور منسوباً إلى الرسول، وقد أوردنا تحفظاتنا عليه، فإن ما يورد عن الصحابة أجدر بالتحفظ،

(١) إنذار من السماء، ص٤٠٤، ٤٠٥.

(٢) المَأْفونُ: هو ضَعيف العقل والرأي. ينظر: الصحاح، (٤/١٥٧٣)، تاج العروس، (٥/٢٤٩).

(٣) القصص القرآني(١)، ص١١٠.

(٤) تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص٩٠.

أما عن التابعين فيفترض أن لا ينظر فيه أحد إلا إذا كان تفسيراً بالرأي؛ لأن الشقة قد بعدت ما بين الرسول والتابعين بحيث يكون من الصعب على ما يرويه هؤلاء أن يقال عنه تفسير بالمأثور"(١).

ولما كانت نظرتهم إلى التفسير بالمأثور كذلك، فإنهم رأوا أن بقاء هذه الروايات والأقوال في التفسير تسيء إلى القرآن أكثر مما تفيد، فالواجب-كما يقولون- تجريد كتب التفاسير منها واستبعادها(٢)، قال نيازي عز الدين: "استبعاد كل النصوص الأخرى عن القرآن، مثل نصوص أهل الكتاب وكتبهم المقدسة التي أعلمنا سبحانه عن تبديلهم وتحريفهم لها، مع إبعاد كل النصوص المنسوبة للرسول وللصحابة والتي نقول عنها اليوم: الأحاديث النبوية الشريفة، أو الأحاديث القدسية"(٣).

ولعل العرض المتقدم عن موقف القرآنيين من التفسير بالمأثور قد أعطانا مؤشراً واضحاً عن مدى الصورة المشوهة التي يعرض لها القرآنيون في كتاباتهم عن التفسير بالمأثور، بأنه حائل وحاجب، ومعيق لفكر المسلم من فهم القرآن على الوجه الصحيح، وهذه التصورات التي يحكيها منكرو السنة النبوية عن التفسير المأثور لا توجد إلا في مخيلاتهم وعقولهم التي نظرت إلى التفاسير من زاوية مظلمة، ولا يمكن أن توجد أصلاً في واقع التفاسير المعتمدة على الروايات

---

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص١٢٧، إله واحد ودين واحد، ص٥٣، ٥٤.

(٣) إله واحد ودين واحد، ص٩٧.

المأثورة[1].

ومن جانب آخر نستخلص أن فكر منكري السنة فكر هدَّام أكثر من كونه بناء، إنه فكر يريد أن يهدم معالم الإسلام، وما ارتبط به من تراث أشرقت بنوره أرجاء المعمورة.

إنهم يريدون أن يهدموا بناء التفسير القائم على أصول وأعمدة ثابتة؛ ليبنوا مكانه بناءً هشاً قائماً على الخيالات والأفكار المنحرفة، يتقلب مع تقلب العقول والأهواء البشرية.

إن منكري السنة في حقيقة أمرهم إنما يعبرون عن نزواقم العدائية لكل الجوانب المتعلقة بالشريعة الإسلامية، إنهم يريدون الوصول إلى هدم شريعة الوحي، ثم ينتهي الأمر بالمسلمين إلى سراب.

ثانياً: موقفهم من التفسير بالرأي.

يعد التفسير بالرأي النوع الثاني من أنواع التفسير، ويقصد به: أن يُعْمِلَ المفسر عقله في فَهْمِ القرآن، والاستنباط منه، مستخدماً آلات الاجتهاد التي تعينه على ذلك، كمعرفته لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر[1].

---

(١) سبق أن بيَّن الباحث أهمية التفسير بالمأثور بداية المبحث.

(١) ينظر: التفسير والمفسرون، (١/١٨٣)، علم التفسير، د. الذهبي، ص٤٧، مقالات في علوم القرآن =

وله مصطلحاتٌ مرادفةٌ في التفسير، وهي: التفسير العقلي، والتفسير الاجتهادي، والتفسير بالدراية(١).

وبعد سبر العلماء لهذا النوع من التفسير رأوا أنه ينقسم إلى قسمين:

الأول: التفسير بالرأي المحمود: وهو المستمد من القرآن ومن سنة الرسول ﷺ، الموافق فيه العقل الصريح النقل الصحيح، وكان صاحبه عالماً بقواعد الشريعة وأصولها، عالماً باللغة العربية، خبيراً بأساليبها، وهذا النوع مقبول محمود في الجملة(٢).

الثاني: التفسير بالرأي المذموم: وهو التفسير الذي لا يستند إلى نصوص الشريعة، أعرض فيه صاحبه عن النقل الصحيح والعقل الصريح، وخالف أصولاً متفقاً على ثباتها في التفسير، واعتمد على رأيه وهواه، وهذا النوع من التفسير حرام لا يجوز، وأكثر من اعتمد عليه أهل الأهواء والبدع(٣).

=

وأصول التفسير، د. مساعد الطيار، ص٢٠٩، معجم مصطلحات علوم القرآن، ص٦٥، دراسات في علوم القرآن الكريم، د. فهد الرومي، ص١٦٠، الواضح في علوم القرآن، مصطفى البغا، محيى الدين مستو، ص٢٣٦.

(١) ينظر: المراجع السابقة.

(٢) ينظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، د. فهد الرومي، ٧٨، معجم مصطلحات علوم القرآن، ص٦٥، أصول التفسير وقواعده، ص١٧١، علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، ص٨٧.

(٣) ينظر: مقدمة في أصول التفسير، ص٤٦، مناهل العرفان، (٢/٥٠)، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ص٨٠، معجم مصطلحات علوم القرآن، ص٦٥، فصول في أصول التفسير، ص٥٠، دراسات في علوم القرآن الكريم، مرجع سابق، ص١٦٠، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، أبو شهبة، ص٨٢.

إن الاهتداء بالعربية وعلومها في فهم القرآن وتفسيره يعتبر من أهم المسالك التي سلكها كثيرٌ من أهل التفسير لبيان معاني آيات القرآن الكريم[١]؛ كون القرآن نزل بلغة العرب، وقد "درج الصحابة ﷺ في فهم كثير من معاني القرآن على ما عرفوه من لغتهم التي نزل بها القرآن، ووجوه مخاطباتهم، ولم يكن النبي ﷺ ينكر عليهم ذلك التعويل على اللغة؛ كما كانوا يستدلون أحياناً على تقرير المعنى بشيء من أشعار العرب، وعلى هذا السبيل جرى التابعون وأتباعهم دون نكير"[٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره"[٣].

قال د. خالد السبت: "ولا يخفى أن اللغة لها مدخل في الأنواع الثلاثة الأُول"[٤].

وقد اهتم العلماء ببيان أهمية اللغة العربية وعلومها، وكذلك بيان مراتبها

(١) منهم على سبيل المثال: أبو حيان في البحر المحيط، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه، والزمخشري في الكشاف، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم، والبيضاوي في أنوار التتريل وأسرار التأويل، وغيرهم.

(٢) قواعد التفسير، (١/٢٣٨، ٢٣٩).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان، (٥/٦)، جامع البيان، (١/٧٠)، النكت والعيون، الماوردي، (١/٣٦).

(٤) قواعد التفسير، (١/٢٣٩).

وأهميتها في بيان القرآن الكريم، كما أوضح السكاكي[١] أهمية علمي المعاني والبيان وأن "الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى، وتقدس من كلامه، مفتقر إلى هذين العلمين (المعاني والبيان) كل الافتقار، فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل"[٢].

وليس هذا محل بسط الكلام عن أهميتها، وما نريد الحديث عنه هنا هو موقف منكري السنة من هذا النوع من التفسير القائم على الرأي المبني على أصول معتبرة.

إن الناظر في مؤلفات منكري السنة يجد أنهم قد ولعوا بالنقد لكل ما هو أصيل في تفسير القرآن من مناهج مبنية على قواعد وأصول قبِلها العلماء، وساروا عليها في تفاسيرهم، وكثيراً ما نرى بعض منكري السنة يقومون بحملة شديدة على مناهج التفسير، وليس عن علم ودراية، وإنما على أوهام أرادوا من خلالها الوصول إلى إلغاء النتاج التفسيري لعلماء الأمة، ومن تلك المناهج التي تعرضت لحملة شديد تفاسير القرآن المبنية على اللغة العربية وعلومها، حيث اعتبروه مُخرجاً للقرآن عن مقاصده وأهدافه، قال جمال البنا: "وقع المفسرون

(١) يوسف بن أبي بكر بن محمد، أبو يعقوب السكاكي، عالم بالعربية والمعاني والبيان والأدب والعروض والشعر، متكلم فقيه متفنن في علوم شتى. ولد بخوارزم سنة (٥٥٤هـ)، وتوفي فيها سنة (٦٢٦ هـ)، له مصنفات من أجودها: مفتاح العلوم، في اثني عشر علماً، وله غير ذلك. ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، (٢٨٤٦/٦)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، (٢٢٥/٢)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (٣٦٤/٢).

(٢) مفتاح العلوم، السكاكي، ص١٦٢.

القدامى خلال تفسيراهم العديدة في مزالق نتيجة لاختلاف المنهج الذي نهجه كل فريق وأبرز هذه المناهج، هو ما قام على أساس اللغة، وما تولاه اللغويون– وهو أمر يبدو مفهوماً؛ لأن الإعجاز اللغوي أسبق إلى الأذن وأظهر إلى العين من إعجاز المعاني الذي يتطلب إعمال الذهن، ومن ثم تركز الاهتمام الأعظم لكثير من المفسرين على اللغة والأسلوب والصياغة والنحو والصرف"(١).

وقال: "وعثرة اللغويين من المفسرين نشأت من أهم ركزوا العناية على الصناعة اللغوية والنحوية بصورة تفرغ الأسلوب من المضمون، فقالوا: إن في آية: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ [هود: ٤٤] عشرين ضربًا من البديع، وأن قوله تعالى: ﴿ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ ﴾ [البقرة: ١٢٤] قد جمع الخبر والطلب والإثبات والنفي والتوكيد والحذف والوعد والوعيد، وفضلوا الآية: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ١٧٩ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، على التعبير العربي القديم (القتل أنفى للقتل)(٢)، وتقصوا ما في القرآن من تشبيه واستعارة وكناية وتعريض وإيجاز وإطناب وخبر وإنشاء الخ... وألفت كتب كاملة عديدة في أنواع ذلك"(٣).

وبينما جمال البنا–كما ذكر سابقاً– ينتقد المفسرين بالرأي المحمود الذين تناولوا القرآن من جهة بيان أوجه إعجازه اللغوي، نجده وغيره–من أتباع طائفة

---

(١) تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص٥٩.

(٢) يفضل كلام العرب على كلام الله، لا يحتاج إلى تعليق!! فالأمر ظاهر، نسأل الله السلامة من الضلال.

(٣) تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص٥٩.

منكري السنة-في المقابل أشادوا بأصحاب التفسير بالرأي المذموم من أتباع الفكر الإعتزالي القديم والحديث، ووصفوهم بأنه أرباب الفكر النقدي الحر الذين طرحوا مسائل في التفسير لم يطرحها حتى الصحابة بشكل مؤكد، ففهمها الفقهاء على أنها خروج عن الإسلام[١].

وهم أيضاً لا يدخرون وسعاً في الإعلاء من منزلة المدرسة الاعتزالية، واعتبار رجالها هم من يمثلون الاتجاه العقلي، قال محمد شحرور: "وأما التيار الأساسي الثاني فهو: تيار العقل: وقد تمثل في المعتزلة حيث إن الإسلام عندهم تفاعل مع معطيات العصر وتحدياته، وأنتج فكراً نيراً حراً نقدياً"[٢].

ومما يلفت الانتباه أن أصحاب هذه الطائفة معجبون بكل منهج يخالف المنهج الصحيح في التفسير، ويؤثرونه على ما سواه، ومن ذلك وقوف جمال البنا موقف إجلال وإشادة لرجال المدرسة العقلية الحديثة وما قدموه من تفاسير خالفوا في بعضها أئمة التفسير من السلف والخلف[٣]، فقال عن محمد عبده: "كان الشيخ محمد عبده هو رائد النهضة في مجال الفكر الإسلامي، قدر ما كان الأفغاني هو الرائد في مجال اليقظة السياسية"[٤].

وقال عنه في موضع آخر: "ومن حق الإمام محمد عبده أن نقول: إنه أكبر

---

(١) ينظر: الكتاب والقرآن، ص٥٦٧.

(٢) المرجع السابق، ص٥٦٩.

(٣) للوقوف على بعض مخالفاتهم في تفسير بعض الآيات القرآنية، ينظر كتاب الدكتور فهد الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير.

(٤) تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص١٣٥.

أزهري عقلاني، و لم يبلغ عقلانيته أحد آخر"[١].

وبينما يستفيض في مدح محمد عبده، يورد تبريراً في غاية الغرابة لما أقدم عليه في تفسيره من أقوال أنكر فيها المعجزات، وخالف ما عليه المفسرون في تفسير الآيات القرآنية، واعتبر ذلك أمراً لا يؤثر عليه، فقال: "إنه بحكم ثقافته وروح العصر رفض التسليم بكثير من الثوابت في التفسير، كرفض المعجزة في تصوير (الطير الأبابيل، وحجارة من سجيل) مع أن هذا لم يكن ليضيره كمفكر عقلاني مسلم"[٢].

ومن جهة أخرى، فإن جمال البنا أعجب بجرأة محمد عبده وما قام به من إنكار المعجزات والخروج عن الثوابت، فقال: "إن هذا الاتجاه الذي أقدم عليه الشيخ غير هياب ولا وجل هو ما يستحق التقدير، وبصرف النظر عن مدى الصواب والخطأ فيه"[٣].

ونتيجة للعداء السافر الذي يحمله جمال البنا للسنة النبوية، فإنه صوب ما ذهب إليه محمد عبده من أقوال رد فيها السنة الصحيحة، في قصة سحر النبي ﷺ[٤]، فقال: "وقد أنكر الشيخ ما حفلت به التفاسير عن سحر يهودي[٥] للرسول، وقد كان في هذا أدني إلى الصواب من معارضيه"[١].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٣٨.

(٤) الحديث في صحيح البخاري، برقم، (٥٤٣٣)، (٥/٢١٧٦).

(٥) هو: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ اليهودي، كما ورد في الحديث. ينظر: المرجع السابق.

(١) تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين ، ص١٣٧.

وينكشف لنا تماماً موقفهم من التفسير بالرأي، وهو أنهم يريدون هدم التفسير بالرأي القائم على أصول صحيحة، ويرفعون من شأن التفسير بالرأي المذموم القائم على الهوى والإلحاد، ودليل ذلك إشادة جمال البنا بتفسير محمد شحرور الذي بناه على الإلحاد والأفكار الماركسية، فقال عنه: "إنه جهد صادق ومضن، يحدوه الأمل في الخروج بالفكر العربي والفقه الإسلامي من أزمته الخانقة والتوصل إلى استنباط منهج مبتكر في كيفية تناول كتاب الله بالدراسة والفهم الموضوعيين"(١).

وزكى عمل شحرور، في كتابه المسمى(الكتاب والقرآن) بقوله:"ولا شك أن كتاب الدكتور شحرور يمثل محاولة توفر لها الإخلاص، والعلم، والدأب، والرغبة العارمة في تفهم آفاق القرآن الكريم؛ ولهذا فإنه اتسم بالأصالة وتوصل إلى ما لم يتوصل إليه غيره"(٢).

كما أثارت د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ(٣) جمال البنا عندما انتقدت

---

(١) المرجع السابق، ص٢٠٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠٨.

(٣) عائشة عبد الرحمن الشهيرة ببنت الشاطئ، ولدت في مدينة دمياط في (٦/ ذي الحجة/١٣٣١هـ)،(٦/نوفمبر/ ١٩١٣م)، تلقت تعليمها الأول في بيتها المشهور بالعلم والصلاح، ومن ثم انتقلت إلى التعليم الرسمي، فواصلت دراستها حتى حصلت على الدكتوراه، وتزوجت بأستاذها أمين الخولي، صدر لها عدة مؤلفات، منها: التفسير البياني للقرآن الكريم، الإعجاز البياني ومسائل نافع بن الأزرق، القرآن وقضايا الإنسان، وغيرها. توفيت في(١٣/شعبان/ ١٤١٩هـ)، (١/ديسمبر/ ١٩٩٨م). ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (٣/٩٢٤)، المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلاب العلم، ص١٣٩.

التفسير العصري الذي قدمه الطبيب مصطفى محمود[١]، الحاوي على كثير من الضلالات والشطحات[٢]، فقال: "وما أشبه الدكتورة والشيوخ الذين يضيقون بهذا النشء الجديد من(الهواة) و (العلمانيين) الذين يكتبون بطريقة جديدة بالأرستقراطية[٣] التي حدثنا عنها القرآن، وكانت تضيق بمن يتبع الأنبياء من الفقراء والمستضعفين والشباب ويطالبون الأنبياء بطردهم، وهذه كلها بعيدة عن مذهب الإسلام وخلق العلماء، وهو وأدٌ لملكات يمكن أن تتفتح ولمحاولات يمكن أن تنجح، ولقد قال العرب عن أكثر من شاعر: ما زال هذا الغلام يهذي حتى قال الشعر، فما ضر الدكتورة وأمثالها لو تركوهم؛ إنْ حسابهم إلا على الله، وهذا أضعف الإيمان، ولو أحسنوا لشجعوهم بالكلمة الطيبة حينًا، والتوجيه

(١) مصطفى كمال محمود حسين آل محفوظ، ولد في شبين الكوم، بمحافظة المنوفية، عام (١٩٢١م)، طبيب وكاتب، درس الطب، وتخرج عام (١٩٥٣م)، ولكنه تفرّغ للكتابة والبحث عام ١٩٦٠م، ألّف ٨٩ كتاباً منها الكتب العلمية والدينية والفلسفية والاجتماعية والسياسية، إضافة إلى الحكايات والمسرحيات وقصص الرحلات، بالإضافة إلى برنامجه التلفزيوني(العلم والإيمان). له عدد من الكتب فيها كثير من الشطحات والفلسفات الكفرية منها: كتاب (الله والإنسان)، وكتاب (الشفاعة)، وكتاب (محاولة لفهم عصري للقرآن)، وقد أصيب بجلطة مخية عام ٢٠٠٣م، وعاش منعزلاً وحيداً، توفي عام، (٢٠٠٩م). موقع الدرر السنية، www. dorar.net

(٢) للوقوف على ضلالات مصطفى محمود في تفسيره العصري، ينظر: كتاب الدكتوره عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، القرآن والتفسير العصري (هذا بلاغٌ للناس)، وكتاب شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم، عبد المتعال محمد الجبري، وكتاب د.فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (١١١٧/٣).

(٣) الأرستقراطيَّة: طبقة الأشراف أو النبلاء ذوي الامتيازات. معجم اللغة العربية المعاصرة، (٨٤/١).

السليم حيناً آخر، ولشكروا لهم هذا الاتجاه الإسلامي في وقت أخذت فيه الدنيا زينتها وتبرجت وشاعت فيها الشهوات وتفحشت، وقد يكون منهم بعد من يدافع عن الإسلام في مجالات لا يستطيع غيرهم الدفاع عنه فيها، ومن يغني غناء لا يقوم به غيره"[١].

ومما لاشك فيه أنها محاولة سافرة للتقليل من عظمة القرآن ومكانته، وهو هجم صريح أراد به جمال البنا أن يجعل من القرآن كلأً مباحاً لكل متطفل زنديق، يبث من خلاله أفكاره، ومايدريه أن التفسير هو الرواية عن الله عز وجل[٢]،وأنَّ "الواجب على المسلم في تفسير القرآن أن يشعر نفسه حين يفسر القرآن بأنه مترجم عن الله-تعالى، شاهد عليه بما أراد من كلامه فيكون معظمًا لهذه الشهادة خائفًا من أن يقول على الله بلا علم، فيقع فيما حرم الله، فيخزى بذلك يوم القيامة"[٣]، وأن الخوض فيه بدون علم إلحاد في آيات الله، وتحريف للكلم عن مواضعه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ أَوْ الْحَدِيثَ وَتَأَوَّلَهُ عَلَى غَيْرِ التَّفْسِيرِ الْمَعْرُوفِ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَهُوَ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ مُلْحِدٌ فِي آيَاتِ اللَّهِ، مُحَرِّفٌ لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَهَذَا فَتْحٌ لِبَابِ الزَّنْدَقَةِ وَالْإِلْحَادِ"[١]. وهذا الحظر على السفهاء والجهال مما

---

(١) تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص١٧٤.

(٢) هذا القول مأثور عن مسروق رحمه الله. ينظر: فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام، ص٣٧٧، مقدمة في أصول التفسير، ص٥٠، مجموع الفتاوى، (١٣/ ٣٧٤).

(٣) أصول في التفسير، ابن عثيمين، ص٢٤.

(١) مجموع الفتاوى، (١٣/٢٤٣).

انعقد إجماع العلماء عليه، قال النووي رحمه الله: "ويحرم تفسيره بغير علم والكلام في معانيه لمن ليس من أهله، والأحاديث في ذلك كثيرة، والإجماع منعقد عليه"[١].

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، ص١٦٥، المجموع شرح المهذب، (٢/١٧٠).

المبحث الثاني
موقف القرآنيين من التفاسير المعتبرة

مما لا شك فيه أن الكتابة والتأليف في تفسير كلام الله ﷻ وبيان معاني كلامه، ومشكل ألفاظه، عمل عظيم، وقربة إلى الله ﷻ، فإن "شرف العلم على قدر شرف المعلوم"(١).

ومن هنا كانت هذه المهمة لا تتأتى إلا لمن اختارهم الله-تعالى-من العلماء الصادقين، الذين هم بالحق ناطقين، وعنه ذابين، وللباطل مجتنبين، وعنه محذرين.

ولأهمية علم التفسير في فتح ما استغلق على المسلمين من معاني الآيات، كان "لا بد من وجود المفسر، ولما لم يكن كل مسلم صالحاً للتفسير، وإنما هي مؤهلات بعينها ينبغي لمن يتصدى لتفسير الكتاب العزيز أن يتحلى بها، فقد كان على صفوة الصحابة ممن عايشوا الرسول ﷺ أن يقوموا بتلك المهمة كل قدر استعداده"(٢)، وكذلك التابعون، ومن بعدهم إلى يومنا هذا.

فكان الاهتمام بالتفسير وبكتابته أمراً على جانب كبير من الأهمية، بل إن "علم التفسير من أقدم العلوم الإسلامية نشأة وتدوينًا، فقد ارتبطت نشأته بنزول القرآن الكريم وتعلمه وتلاوته، وكان رسول الله ﷺ أول مفسر للقرآن، ثم خلفه من بعده العلماء من أصحابه، لا سيما عبد الله بن عباس الملقب بترجمان القرآن،

---

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية، (١/٣٤).

(٢) مناهج التأليف عند العلماء العرب، د. مصطفى الشكعة، ص٣٨.

ثم أخذ التابعون العلم عن الصحابة، وظهر منهم مفسرون مشهورون، ظلت جهودهم في التفسير موضع تقدير العلماء من بعدهم"[١]، و لم ينقطع جهد علماء المسلمين في توضيح معاني القرآن في أي عصر من العصور[٢]،فـ"كانت حصيلة تلك الجهود الكبيرة التي بذلها المفسرون من لدن عصر الصحابة حتى وقتنا الحاضر ثروة علمية أخذت أكبر مساحة في المكتبة العربية الإسلامية، وأنتجت مئات المؤلفات المتعددة المناهج والأحجام"[٣].

إنه تراث غزيز متنوع يمتاز بالتفوق في مضمونه وكميته، وضع فيه علماؤنا الأجلاء-رحمهم الله- خلاصة أفكارهم وإبداعاتهم، فحملت صفحاته كل علم نافع، وتفسير ماتع.

بيد أن منكري السنة النبوية لم يسعدهم هذا الأمر، بل أزعجهم رجوع المسلمين وعلماء الأمة إلى هذا التراث الحافل[٤]، فكان أن وقف منظروهم منه موقفاً عدائياً، فصوبوا سهام شبهاتهم وشكوكهم حوله، وسلطوا أقلامهم للنيل من تلك المؤلفات، فقل أن يخلو مؤلف من مؤلفاتهم من همز أو لمز وغمط لتلك الكتب ومؤلفيها، فالقارئ لمؤلفاتهم ومقالاتهم يدرك أنهم يبذلون المحاولات

---

(١) محاضرات في علوم القرآن، د. غانم الحمد، ص١٦٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) محاضرات في علوم القرآن، ص١٦٦.

(٤) حيث اعتبروه مشكلة، قال جمال البنا: "ولما كان هذا التفسير-أي التفاسير السلفية المأثورة- هو أقرب إلى قلوب الناس على ما فيه من هذه المؤتفكات، وأكثرها اشتهاراً فقد أصبح ذلك مشكلة". تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، ص١٢٣.

الدائمة للحط من شأن علماء التفسير من السلف ومن تبعهم ممن سار على نهجهم واقتفى آثارهم، وتشويه تفاسيرهم، ورد أقوالهم، والازدراء من نتاجهم التفسيري.

إنهم يحاولون أن يقدموا عن تلك التفاسير المعتبرة صورة شائهة شائنة، تطمس ضياءها، وتغيب بهجتها، وتهبط بأغلبها إلى مستوى الحضيض؛ لينفر عنها عامة المسلمين، فيزهدون الناس عن تلقيها وتعلمها؛ كونها لا يصدر عنها إلا الضلال، حسب قول مصطفى المهدوى: "وقد يجتهد قوم في دراسة الذكر باتباع آخرين، درسوا الكتاب نيابة عنهم، فهم يهرعون إلى ما يكتبونه في كراريسهم، ويتهافتون على حلقات دروسهم، وقد يتلقون عنهم الضلالة دون أن يدرسوا الكتاب بعقولهم أو يمحصوه بأفهامهم أو يجتهدوا في تحصيله بأنفسهم، فيقولوا لك: قال سيدنا فلان فاتبعناه، وتلك الوصاية المرفوضة، ولا يقبل الاعتذار بها يوم القيامة"(١).

وقال محمد أبو زيد الدمنهوري:" وقد بلغ الدس والحشو في التفاسير أنك لا تجد أصلاً من أصول القرآن إلا وتجد بجانبه رواية موضوعة؛ لهدمه وتبديله، والمفسِّرون قد وضعوا هذا في كتبهم من حيث لا يشعرون"(٢).

ولأجل صد الناس عن الاطلاع على ما فيها من جواهر ودرر، وعلم وفير، وتفسير غزير، مدعم بالمنقول الصحيح، والمعقول الصريح، يحاولون تنفير

---

(١) البيان بالقرآن، (١/٢٧).

(٢) الهداية والعرفان، المقدمة، ب، ج.

القلوب عن التطلع لقراءتها، فيقول جمال البنا: "وقد كانت ثمرة مطالعاتي للتفاسير عبر خمسين عاماً مخيبة، بل رأيت فيها شيئاً من التطفل[١] على القرآن، بل والجناية عليه؛ لأن التفسير لا بد وأن يتضمن نفساً من مزاج وثقافة واتجاهات المفسر، ما من ذلك بُدّ، ولا عنه مفر؛ لأنه طبيعة الأشياء، ومن هنا يأتي الخطر؛ لأن المفسر كائناً ما كان ليس ملاكاً، ولا هو معصوم من الضعف البشري والقصور الإنساني"[٢].

وهذا النص خطير يوضح الهدف الذي يسعى إليه جمال البنا إنه يحاول أن يقنع أبناء المسلمين أن الأمر قد لُبِّسَ عليهم، وأن التفاسير ليست كما كانوا يتصورون، بل إنها خطر وتجني على القرآن، إنه يتوسل بهذا الكلام إلى الوصول إلى غايته، وهي إغلاق الباب أمام الأجيال المعاصرة أن تطلع على تلك التفاسير، باعتبارها-من وجهة نظره- تسيئ إلى القرآن، حيث يقول: "ومطالعة الأجيال المعاصرة لهذه التفاسير يسيء إساءة مضاعفة إساءة تتعلق بفهم القرآن، وإساءة تتعلق بإبعاد الجيل عن عالمه وعصره الذي يعيش فيه، والذي لا يمكن تجاهله أو الفرار منه، وستكون نتيجة مثل هذه المطالعة التعقيد أو الانحراف والنكوص"[٣].

ومن الواضح أن القرآنيين(منكري السنة) ساءهم اهتمام الناس وإقبالهم الكبير على كتب التفسير السلفية، فحاولوا صرفهم عن ذلك بأي قول، فقال

---

(١) يقال: "تطفَّل الرَّحلُ: تدخّل فيما لا يعنيه أو ما ليس من اختصاصه". معجم اللغة العربية المعاصرة، (١٤٠٥/٢).

(٢) تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٢٩.

نيازي عز الدين عمن يريد أخذ علم الكتاب الكريم من كتب التفسير بأنه يطلب الماء من السراب، أو يطلب العلم من غير مظانه[١]؛ لأنه -من وجهة نظره-"لا حاجة لكتب التفسير لفهم القرآن"[٢].

ومن جهة أخرى، يتخذ هؤلاء القرآنيون(منكرو السنة) غالب الروايات الضعيفة والموضوعة، والإسرائيليات الموجودة في كتب التفسير تكأة ينطلقون منها للطعن في كتب التفسير، وليس-في الحقيقة- هدفهم تنقية التفاسير من تلك الروايات-وهو أمرٌ مطلوب- وإبقاء الصحيح والأخذ به، بل هدفهم هو النيل من علم التفسير ذاته، والتنصل من كتب التفسير، وما هذه الأقوال التي يقولونها إلا ستاراً يختبئون خلفها لنيل مآربهم الممقوتة، والتنفيس عما تُكنه قلوبهم وتخفيه صدورهم، فمن أقوالهم التي يصورون كتب التفاسير بأنها حافلة بالخرافات والمنكرات، ما قاله جمال البنا: "وهذه الفقرات تصور المناخ الذي سيطر على المفسرين وجعلهم يوردون هذه الخرافات، في حين أن ذلك يمكن أن يغرس الشك في صحة ما يرويه الرواة، وبعضهم من كبار وتقاة الرواة-خاصة- وأن ما أوردناه ليس إلا مثالاً عارضاً، وإلا فإن معظم كتب التفسير حافلة بأمثال هذه المنكرات"[٣].

وقال محمد شحرور: "فبعيداً عن التفاصيل الخرافية التي حشا المفسرون بهـــا

(١) ينظر: إنذار من السماء، ص٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص٣٥.

(٣) تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص١٠٣.

رؤوس الأمة"[١].

وقال شحرور: "فكتب التفسير تعتمد على مرويات لا يخفى على القارئ أنها من الإسرائيليات"[٢].

وقال نيازي عز الدين: "إنها كتب محشوة بأوهام وخيالات، خالية من العلم والمنطق، تعزز التواكل، وتعطل العقل، وتنشف آخر أمل للمسلمين في الإصلاح والنهضة"[٣].

وقال شحرور: "وساهمت التفاسير المركبة على الأساطير البابلية والإسرائيليات في إعطاء دفعة إيديولوجية للنظرة المغلقة إلى التاريخ"[٤].

وقال شحرور: "كما أن الباحث في الكتب الأخرى لأهل الكتاب كالتلمود[٥] والأناجيل يجد أن هذه الكتب كانت المصدر الرئيس لما جاءت به التفاسير"[٦].

وقال جمال البنا: "وعندما يفكر الإنسان ملياً فيما فعله المفسرون وما عكفوا عليه القرون الطوال فإن الحيرة تتملكه كيف هان عليهم القرآن حتى يقحموا

---

(١) السنة الرسولية، ص٣٣.

(٢) القصص القرآني (١)، ص٧٩.

(٣) إنذار من السماء، ص١٨.

(٤) القصص القرآني (١)، ص١٦٥.

(٥) سبق بيان معناه.

(٦) القصص القرآني (١)، ص٢١٤.

هذه النقول الركيكة، والأقوال السقيمة والمزاعم المسفة"[١].

وقال أيضاً: "الإسلام الذي جاء به القرآن سمح مرن، وهو يتسع للكثير، وهذا معنى أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، ولكن تفسير المفسرين وأحكام الفقهاء ضيقت سعته وعسرت يسره، وجمدت مرونته ورفضت ما تسمح به الصياغة القرآنية المعجزة، وحدث هذا لأن روح العصر القديم باستبداده وجهالته، وظلمه، ما كانت تسمح بالحرية والمساواة والانفتاح التي أرادها القرآن، ونحن اليوم نعيد للإسلام حيويته وفعاليته بالعودة إلى القرآن مباشرة دون تقيد بما جاء في تفسيرات المفسرين أو أحكام الفقهاء"فهم رجال ونحن رجال" ونحن نعترف لهم بفضل السبق، وأنهم أفنوا أعمارهم للدفاع عن الإسلام ونقر لهم بما اتصفوا به من ورع وتقوى(فدائية) ومع هذا فقد نفضلهم في مجال البحث بما بين أيدينا من وسائل وأدوات لم تتح لهم، فضلاً عن تحرر العصر"[٢].

ولا ريب أن هذه الأقوال التي يقولها منكرو السنة النبوية بعيدة كل البعد عن الحقيقة، إن القول بمثل هذه الأقوال هجم صريح لا ينبني على أية أدلة ولا برهان نجد فيه نوعاً من المصداقية، إنه تحامل لم ينبني على عمق في البحث والنظر في تلك الكتب والتفاسير، وإنما هو تعبير عن مزاجية ملؤها الكره والبغض لنتاج علماء هذه الأمة أسسه له أساتذهم من المستشرقين، إنه إسراف في النقد خرج به أصحابه عن الموضوعية العلمية مما جعل الشك والريبة تعلوه.

---

(١) تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص١٢٣.

(٢) المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء، جمال البنا، المقدمة، ص٨.

ومن الطريف -حقاً- أن هؤلاء القوم يحاولون -عادة- تصوير أنفسهم أنهم أحرص الناس على القرآن، ويظهرون أمام الناس أنهم يدافعون عنه، وعن الإساءة إليه من خلال تفسيره بالاعتماد على تلك التفاسير التي هي مرجع عامة المسلمين لفهم كتاب ربهم، وأن مهمتهم قائمة على "إزالة الغشاوات التي أحاط بها المفسرون القرآن"(١)، قال جمال البنا: "إزالة الغشاوات التي أهالها الأسلاف أكداساً على القرآن الكريم،...، وكيف أنها حرفت بعض المعاني، وحجبت معاني أخرى وميعت الصياغة المحكمة التي تحدث الأثر الذي أراده القرآن"(٢)، وقال محمد شحرور: "فمنذ القرون الأولى سيَّجت(٣) مدرسة الرواية نص التنزيل بنصوص بشرية ليست من نوعه، ولا بنيته، ولا على منواله، ناهيك عن اختلافها عنه في المصدر والموثوقية التاريخية. وقامت المنهجية السلفية في تعاملها التعسفي مع التنزيل بتطويع ما أسموه وحياً ونقلاً، وهو تاريخ جملة وتفصيلاً، أصلاً وفرعاً"(٤).

وقال جمال البنا: "والمعركة الحامية التي لا بد أن نتصدى لها عندما نقول: (ارفعوا أيديكم عن القرآن) أو (أطلقوا سراح القرآن من قضبان التفسير)

---

(١) الأصلان العظيمان، ص١١.

(٢) تثوير القرآن، ص٩٦.

(٣) سيَّج المكانَ: أقام حوله سورًا من أسلاك شائكة أو حجارة أو غيرهما منعاً لتسلقه أو الوصول إليه. ينظر: المعجم الوسيط، (٤٦٧/١)، معجم اللغة العربية المعاصرة، (١١٤٥/٢).

(٤) القصص القرآني(١)، ص٢١.

أو (أو دعونا ننقذ القرآن ..حتى ينقذنا القرآن)"[١].

وبناء على هذه النظرة المعتمة إلى التفاسير السلفية، فهم يسعون إلى التخلي عن كل تفسير للقرآن ورد عن السلف ومن بعدهم، وعلى رأس تلك التفاسير ما نقل عن رسول الله ﷺ وصحابته ﷺ وتحرير القرآن منها، قال شحرور: "لقد كانت الفصول السابقة التي تعرضنا لها في هذا الكتاب ضرورة ملحة لتقديم قراءة تحرر التتريل الحكيم من هذه التلبسات الإيديولوجية والثقافية التي منعته من أداء دوره التصحيحي والمعرفي"[٢].

هذا هو تصوره عن التفاسير، يتصور أنها مليئة بالترعات النفسية، والميولات السلبية، وأنه لا يستطيع أحد تفسير القرآن ولا بيان معناه حتى من وكله الله لهذه المهمة الرسول ﷺ، بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ [النحل: ٤٤]. قال محمد شحرور: "ومن هنا نفهم أنه لا يوجد أي إنسان على الإطلاق قادر على تأويل القرآن، حتى النبي (ص) نفسه، لذا فإن التفاسير المتوفرة هي فهم مؤقت تاريخي فيه من الوهم أكثر مما فيه من الحقيقة، ويفتقر إلى منهجية علمية في التعامل مع التتريل الحكيم"[٣].

وفي رأي جمال البنا الخاص عن التفاسير السلفية إنها ليست ضرورية، بل إنها

---

(١) تثوير القرآن، ص٩٨.

(٢) القصص القرآني (١)، ص١٦٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٧٦.

تسيء إلى القرآن أكثر مما تفيد[١].

وتمتد حملة التشويه من قبل هؤلاء المنحرفين لكتب التفسير بأن وصفوها بأنها تقلب المفاهيم القرآنية، وتبعد الناس عن القرآن الكريم، قال نيازي عز الدين: "لكن يشترط عدم الاستعانة بأي تفسير للقرآن؛ لأن التفسير يقلب مفاهيم الله ﷻ إلى تعاليم خاصة بالمفسر"[٢].

وقال شحرور: "ومن هنا أصبح الواقع الإنساني بعيداً كل البعد عن التنزيل الحكيم، ذلك أن النص نفسه تقزّم ليصبح جزءاً من ركام نصوص تاريخية تعكس فكر أصحاب التفاسير المعتمدة فقط"[٣].

ويبدو أن أصحاب هذا الفكر المنحرف قد باءت جميع أقوالهم في صرف الناس عن كتب التفسير بالفشل مما دعاهم إلى إصدار أحكام أشد قسوة، وأبعد عن العقلانية، حيث يقولون عن التفاسير فيها كل شيء ما عدا التفسير، قال محمد شحرور: "لذا فإننا نجد في التفاسير التراثية كل شيء ما عدا التفسير"[٤].

وقال جمال البنا: "وامتلأت كتب التفاسير بهذه الأقاصيص وغيرها كأن ذكر ذلك هو القصد وليس تفسير القرآن بعينه، حتى صح على بعضها ما قيل عن تفسير الرازي[٥]: فيه كل شيء إلا التفسير"[٦].

(١) ينظر: تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص١٢٩.
(٢) إنذار من السماء، ص٧٧٣.
(٣) القصص القرآني (١)، ص١٠٧.
(٤) السنة الرسولية، ص٧٤.
(٥) سبق التعريف به.
(٦) تثوير القرآن، ص٣٩.

وبعد هذا العرض لموقف منكري السنة النبوية من التفاسير المعتبرة ينكشف لكل ذي عقل متدبر هدفهم من هذه الحملة الشنيعة على هذه المراجع، فليس الهدف من هذا النقد هو البناء والتشييد، بل محاولة سافرة تسعى إلى تخريب ما أنتجه علماء الأمة الأماجد، والتقليل من شأن وأهمية هذا الإرث العظيم الذي يبهر عيون المسلمين وغيرهم، إنهم يحاولون إزاحة هذه الكتب من الساحة العلمية الإسلامية، وبعد ذلك يخلوا لهم ولكل منحرف هاو للإفساد في تفسير كتاب الله المكان، فيخرجون للناس الفساد الكبير، والشر المستطير الذي ظهر من خلال كتبهم، التي حوت على كل ضلال، وامتلأت بكل انحراف.

ولكن ما زالت الأمة بخير، تعرف كثيراً من أعدائها، ولن تتنازل عن علم الراسخين من علمائها، وهو ما يعرف ورفاقه، قال جمال البنا: "وهذه التفاسير التي تحمل أسماء مقدسة، إن لم تكن موثنة، مثل ابن جرير الطبري، وابن كثير، والقرطبي، والزمخشري، تعد قدس الأقداس، وهناك عشرات الألوف من الشباب السذج المتحمسين الذين يفضلون الموت الزؤام على المساس بها، ووراءهم الأئمة الأعلام الذين يشغلون أرقى المناصب ولا يترددون في الإفتاء بتكفير من يريد الخلاص من هذه التفاسير أو يرون في هذا مؤامرة على الإسلام"(١).

---

(١) المرجع السابق، ص٩٧.

المبحث الثالث

موقف القرآنيين من أصول التفسير عند علماء التفسير

تعد أصول التفسير بمثابة الركن الركين، والأصل المحوري الذي يعتمد عليه المفسر في بيان كلام الله تعالى، وهذه الأصول التي لا تزال الأمة تقتبس منها شعلة الحق في بيان القرآن، وإذا انطفأت هذه الأصول فقدت التفاسير قوتها وميزتها.

وعلى الرغم من الأهمية الفائقة لهذه الأصول إلا أن القرآنيين وبناء على فكرهم المنحرف القائم على القول بأن القرآن هو المصدر الوحيد للشريعة الإسلامية، وهو- أيضاً- الأصل الوحيد الذي يُعتمد عليه في بيان القرآن وتفسيره- سعوا جاهدين إلى محاولة العبث في الأصول الأخرى التي يقوم عليها التفسير، وإزاحتها عن مكانتها في بيان معاني القرآن، وهذا-في الحقيقة- فتح بابًا كبيرًا من أبواب هدم علم التفسير بتكدير منابعه وتشويه أصوله، وفيما يلي يحاول الباحث عرض موقفهم من هذه الأصول:

١- يرى محمد شحرور أن هذه الأصول شكلت حاجزاً مانعاً لفهم النص القرآني، وسهولة التعامل معه، حيث قال: "ومما لا شك فيه أن المنظومة السائدة تشكل حائلاً ومانعاً للتفاعل المنفتح بين الإنسان والتنزيل الحكيم من جهة، وبين الإنسان وواقعه من جهة ثانية، وبين التنزيل والواقع من جهة ثالثة"[١].

---

(١) القصص القرآني(١)، ص٢٥.

٢- يرون أن هذه الأصول التي حاول العلماء تأبيد إلزاميتها أساس المشكلة[١]، كونها تؤدي إلى القراءة الخاطئة للتنزيل، قال شحرور: "لقد ذكرنا في كتبنا السابقة التي صدرت على مدى تسعة عشر عاماً الكثير من إشكاليات القراءة الخاطئة للتنزيل الحكيم، وربطنا في حل المواضيع بين السقف المعرفي للسلف وبين تقعيد فهمهم للتنزيل، والذي سمي أصولاً في ما بعد"[٢].

٣- أن هذه الأصول تؤدي إلى جعل القرآن الكريم نصاً تاريخياً، فتنقطع الصلة بين التنزيل والقارئ المعاصر، قال شحرور:"فكل تلك الأدوات تجعل من التنزيل الحكيم نصاً تاريخياً ذا فهم مشروط بتاريخ وثقافة محددة، فتراهم يقولون: قال الله، وعند الشرح يظهر كما لو أن محمداً هو المؤلف، إن الله يخاطب الناس إلى أن تقوم الساعة، فهو خطاب من حي إلى أحياء كما بيّنا سابقاً، ومحمد(ص) كان يخاطب من حوله من الناس فقط"[٣].

وقال شحرور أيضاً: "إن ركام السحب التي أثارتها أدوات التفسير المفروضة على التنزيل الحكيم كأداة لقارئه قد أسَّس لمنهجية تقطع الصلة بين اللاتاريخي من التنزيل، وبين زمان ومكان القارئ المعاصر. فالممارس للقراءة المعاصرة في ميزان العقل السلفي لا شرعية لوجوده البتة، وليس له من مناص إلا أن يتواطأ ليصبح امتداداً لمنهج السلف في معادلة قراءة النص. ومن هنا يحظر العقل السلفي

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص٢٨.

(٣) القصص القرآني(١)، ص٩٩ ،١٠٠.

على القارئ أي محاولة لإعادة قراءة النص وظروف تكوّنه وتشكل أفهام السلف حوله، فعلى كل من أمسك بالمصحف أن يحتكم إلى القــراءة التاريخيــة الــتي أنتجتها تواريخ أسلافه، وإلا رُمي على أحسن تقدير بصنوف الفسق والزندقة والابتداع، بل والكفر أحياناً"(١).

٤- وفكرة ارتباط المفسرين بأصول التفسير والتعامل معها وفق منهج أهل السنة وفهم سلف الأمة، تعد عند محمد شحرور فشل في مواجهــة تحــديات العصر وهروب عن الواقع، قال شحرور: "ولقد كرّس الفكر الطوباوي الأعمى تغلغل الصور الرومنسية(٢) عن الماضي التليد، والتي تراها مســتدعاة بشــكل صارخ في مواعظ الدعاة وحملة الخطاب الديني؛ من أجل الدلالة علــى الحالــة النموذجية والاستثنائية لحياة السلف"(٣).

وقال أيضاً:"وسيطر الفكر المثالي الماضوي والمهدوي المستقبلي، وتحكــم في تشكيل أنماط التفكير لدى المسلمين، فحملتهم هذه الأنمــاط المعيقــة للفعــل التاريخي والوعي بسيرورته إلى الهروب إلى الأريحية على أرائك وهمية في غياهب التاريخ، وكرست مواعظ الدعاة الحنين إلى الماضي السحيق هروبًا من الحاضــر

---

(١) المرجع السابق، ص١٠٧.

(٢) الرومانسية: مذهب أدبي يهتم بالنفس الإنسانية وما تزخر به من عواطف ومشاعر وأخيلــة أيــاً كانت طبيعة صاحبها مؤمناً أو ملحداً، مع فصل الأدب عن الأخلاق،....، وهو مذهب متحرر من قيود العقل والواقعية اللذين نجدهما لدى المذهب الكلاسيكي الأدبي، وقد زخرت بتيارات لا دينية وغير أخلاقية. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/٨٥٩).

(٣) القصص القرآني(١)، ص٢٣.

الساحق ومتاهاته. ومن أجل ذلك فإن نزوع العقل السلفي إلى تمجيد الماضي يدفع بالمسلمين إلى القناعة بأن المخرج من مأزق التاريخ لا يتأتي لهم إلا باسترجاع الأيام الخوالي التي تمثل النموذج المثالي وتتبع خطى السلف دون إدراك لعاملي الزمان والمكان وسنن التطور والتغير الاجتماعي في جميع المجالات"(١).

وقال أيضاً: "هذا الحنين لدى العقل السلفي إلى العودة إلى الماضي وتتبع خطى السلف ناتج عن فشله في مواجهة تحديات عصره"(٢).

وأصحاب هذا الفكر يرون أن الرسول ﷺ لم يكلف ببيان القرآن وتوضيح معانيه، إنما مهمته الأساسية هي البلاغ، والبيان يكون للناس، قال أحمد صبحي منصور:"على أن مسؤولية الرسالة تنحصر في النهاية في التبليغ فقط، ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [المائدة: ٩٩]. ومن اقتصار مهمة النبي على التبليغ للرسالة كما هي دون زيادة أو نقصان يمكن أن نستنتج أن تدبر الكتاب والاجتهاد في فهم معانيه هو مسؤولية الناس بعد أن أوصل لهم النبي الرسالة، وهذا الاستنتاج العقلي قد أثبته القرآن قبلنا، فالله تعالى يقول:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩]، فالنسق اللغوي في الآية يقتضي أن يقال للنبي: كتاب أنزلناه إليك مبارك لتتدبر آياته، ولكن التدبر في الكتاب مسؤولية الناس كما أن التبليغ مسؤولية الرسول. ويؤكد القرآن على مسؤوليتنا نحن في

(١) المرجع السابق، ص٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣، ٢٤.

التدبر في الكتاب، فيقول تعالى بتعبير الاستفهام الإنكاري: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤]"(١).

وتمتد نظرة الشذوذ والانحراف في فكر القرآنيين إلى القول بأن اعتبار السنة أصلاً من أصول التفسير أكبر مأساة في تاريخ الفكر الإسلامي(٢)، أدت إلى تغييب العقل أمام سبل تدبر كتاب الله تعالى(٣)، وأن العلماء باعتمادهم على السنة في بيان القرآن "التفوا على دلالاته من خلال تفاسير وتأويلات لآياته الكريمة، تتكئ على روايات تاريخية تمَّ نسبتها للسنة الشريفة، فأصبحت-عندهم-معايير لتفسير كتاب الله تعالى، وبالتالي تُغيَّبُ الدلالات الحق لكتاب الله-تعالى-في الوقت ذاته الذي تُقرأُ فيه آياتُه"(٤).

ولجمال البنا موقف شديد الانتقاد والهجوم على أصول التفسير، حيث دعا إلى التحفظ على أقوال الصحابة والتابعين، بل ورفضها والتخلي عنها بالكلية؛ كونها خطأ أصولي، قال جمال البنا: "كيف تحكمون الأخبار الركيكة والأحاديث الموضوعة في كلام الله ثم تأتون بكلام من زيد أو عمرو من الصحابة، ثم لا تقفون بل تضمون إليهم التابعين؟ هل جعلتم كلام الله تجاريب وتمارين ومجالات يذهب فيها من يشاء كما شاء! ألا اتقيتم الله وجعلتم لكم في

---

(١) القرآن وكفى، ص٤٩.

(٢) ينظر: محطات في سبيل الحكمة، ص٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص١١.

(٤) المرجع السابق ، ص٨.

رسول الله أسوة حسنة، وقد رأيتم كيف كان يعرف للقرآن قدره لا يحكم فيه برأيه أو جعلتم في أبي بكر أسوة، وهو الذي لم يجد أرضاً تقله، ولا سماءً تظلـه إذا قال في القرآن برأيه"(١).

وقال أيضاً: "فإذا كان التفسير بالمأثور منسوباً إلى الرسول، وقـد أوردنـا تحفظاتنا عليه، فإن ما يورد عن الصحابة أجدر بالتحفظ، أمـا عـن التـابعين فيفترض أن لا ينظر فيه أحد إلا إذا كان تفسيراً بالرأي؛ لأن الشقة قد بعدت ما بين الرسول والتابعين بحيث يكون من الصعب على ما يرويه هؤلاء أن يقال عنه تفسير بالمأثور"(٢).

ثم إننا نجد شحرور قد ولع بالاستطالة في كلامه على ساداته أئمة الهدى من الصحابة ﷺ فزعم أنه لا يسعه ما وسع الصـحابة في فهـم القـرآن الكـريم وتفسيره؛ كون المستوى المعرفي- حسب زعمه- في تلك الفترة كان بـدائياً، فكيف يحل للمفسر الاعتماد عليه، قال شحرور: "فإذا سألني سـائل الآن: ألا يسعك ما وسع الصحابة في فهم الكتاب والقرآن؟ فجوابي بكل جرأة ويقـين هو: كلا لا يسعني ما وسعهم؛ لأن أرضيتي العلمية تختلـف عـن أرضـيتهم. ومناهج البحث العلمي عندي تختلف عنهم. وأعيش في عصر مختلف تماماً عـن عصرهم. والتحديات التي أواجهها تختلف عن تحدياهم"(٣).

(١) تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص٩٠.

(٢) تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص٩٠.

(٣) الكتاب والقرآن، ص٥٦٧.

ولم يقتصر غلوهم على ذلك، بل ذهب شحرور إلى أبعد من ذلك حيث ذهب شحرور إلى أنه أفهم من الصحابة ﷺ في فهم القرآن الكريم، قال شحرور: "هل نحن أفهم من الصحابة في فهم الكتاب؟

في الجواب على هذا السؤال يجب أن نكون جريئين في الحق بدون خوف.

الجواب هو: نعم، ولا في آن واحد.

فالجواب نعم: نحن على يقين بأننا في أواخر القرن العشرين في مشاكلنا المعاصرة والتي لا يعرف الصحابة عنها شيئاً، وبوجود الكتاب الذي لا ريب فيه بين أيدينا، قادرون على نقله من عالم المطلق[١] إلى عالم النسبية[٢] الذي نعيشه نحن، وقادرون أن نتحرك ضمن الحدود بشكل يتناسب مع عصرنا، وفي هذا نحن أقدر منهم، وليس من الضروري أبداً الاعتماد على أقوالهم وتحريها فوضعنا منهم هو: إن كانت أقوالهم تناسبنا أخذناها، وإن كانت لا تناسبنا تركناها.

والجواب لا: لأنهم فهموا الإسلام حسب شروطهم وظروفهم أفضل من فهمنا التاريخي للإسلام، وهو متفاعل مع ظروف القرن السابع في شبه جزيرة العرب"[٣].

وقال شحرور:"إن المغالطة الكبرى هي أننا نريد أن نفهم الإسلام فنرجع

---

(١) نظرية المطلق تقابل النسبية، وهي رأي من يذهبون إلى أن معايير القيم، أخلاقية كانت أو جمالية، مطلقة وموضوعية وخالدة فوق الإنسان. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص١٨٦.

(٢) مذهب النسبية: مذهب يرى أن المعارف والقيم الإنسانية ليست مطلقة، بل تختلف باختلاف الظروف والاعتبارات. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص١٨٠.

(٣) الكتاب والقرآن، ص٥٦٦.

من القرن العشرين إلى القرن السابع في طريقة تفكيرنا. أي أننا نريد أن نفكر كما فكروا هم، وهذا مستحيل"(١).

وقال شحرور عن فهم الصحابة ﷺ: "فإن مستواهم المعرفي البدائي تبنّاه المفسرون على أنه الفهم الصحيح والوحيد للتتريل الحكيم من خلال ما رووه أو ما نسب إليهم من أحاديث"(٢).

وقال سامر إسلامبولي: "فالمسلمون قاموا -عن غير قصد- بتغييب القسم الأكبر من الرسالة الإلهية والتعتيم عليها من خلال طرح الموروث الثقافي دون فرز له، وهذا الموروث كان له صورة التفاعل الممكن للإنسان العربي وقتئذٍ حسب بيئته الصحراوية، وأميّته العلمية، وغياب المدنية، وهيمنة العقل الاتصالي(٣) حينئذ، والنظر إلى الأشياء من حوله بواسطة العقل الانفصالي(٤)"(٥).

وقال جمال البنا: "إن الأسلاف رغم نبوغهم وعكوفهم وتجردهم ليسوا معصومين، ولا كاملين، وأنهم كانوا أبناء عصرهم المغلق الذي تسود فيه الخرافة كما يسود الاستبداد، وكانت وسائل المعرفة محدودة وصعبة قبل ظهور المطبعة وتيسير وسائل الانتقال"(١).

---

(١) المرجع السابق ، ص٥٦٦.

(٢) السنة الرسولية، ص٦٩.

(٣) قال سامر في الحاشية: العقل الاتصالي: المقصود به العقل الذي يقوم على النقل فقط.

(٤) قال سامر في الحاشية: العقل الانفصالي: المقصود به العقل الذي يفصل الأحداث عن بعضها ولا يفهمها ضمن نظرة كلية وشمولية قائمة على السنن.

(٥) المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص١٤.

(١) تثوير القرآن، ص٩٨.

٥- ولا يقتصر الأمر عند منكري السنة على ما سبق بل يظهرون أهدافهم، ويبرزون غاياتهم بالسعي لفك الارتباط بين التفسير وأصوله، ووضع أصول جديدة بدلاً عنها، قال شحرور: "لذلك فإننا نرى لزوم فك الارتباط بين التتريل وما ألصق به وهيمن عليه لقرون طويلة. وإذا نجحنا في فك هذا الارتباط وإعادة فتح التتريل الحكيم أمام تداول وقراءة وفهم من نوع جديد وبأدوات جديدة، فإننا نعيد بذلك فتح الباب أمام تأويله وفق سقفنا المعرفي ونسقنا الثقافي، وهذا هو المطلوب وهذا مبتغى القراءة المعاصرة"(١).

وقال نيازي عز الدين:"تلك المبادئ الخمسة التي ذكرتها لك تستلزم استبعاد كل النصوص الأخرى عن القرآن، مثل نصوص أهل الكتاب وكتبهم المقدسة التي أعلمنا سبحانه عن تبديلهم وتحريفهم لها، مع إبعاد كل النصوص المنسوبة للرسول وللصحابة"(٢).

الرد عليهم:

الناظر فما كتبه منكرو السنة النبوية من أقوال يدرك يقيناً أن فيها مزالق خطيرة، كانت في أساسها صدى لتلك الأفكار التي تلقاها القرآنيون عن أساتذتهم من المستشرقين والعلمانيين الداعين إلى نقد التراث الإسلامي بشكل عام، وهدم الأصول المؤسسة لتلك العلوم، ومنها علم أصول التفسير بوجه خاص، وهذا الأمر يستوجب ضرورة كشف النقاب عنها، والرد عليها بالقدر

(١) القصص القرآني(١)، ص١١٠.

(٢) إله واحد ودين واحد، ص٩٧.

الذي يكون كافياً في تفنيدها:

أولاً: ما ادعوه من أن أصول التفسير شكلت حاجزاً عن فهم النص القرآني، وتؤدي إلى القراءة الخاطئة للتتريل.

لقد حاول القرآنيون تصوير أصول التفسير بأنها حاجز عن فهم القرآن، وأن ما تؤول إليه القراءة المعتمدة على تلك الأصول تكون خاطئة، وهذه الدعوى لا تصح أصلاً؛ كونها تنبئ عن جهل بأهمية أصول التفسير، ولبيان أهمية هذه الأصول، وما ينتج عن الاعتماد عليها من فوائد جمة للمفسر، نذكر ما يلي:

١- أن أهمية أصول التفسير تنبع من كونها "مجموعة من القواعد والأصول التي تبين للمفسر طرق استخراج أسرار هذا الكتاب الحكيم، بحسب الطاقة البشرية"[(١)] فتكون بذلك هذه الأصول معينًا على فهم معاني القرآن وإدراك عبره وأسراره، وترسم المناهج لتعرّفها، وتضع القواعد ليسير المفسر على منهاجها القويم في تفسيره أثناء تفسيره[(٢)]، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي-رحمه الله- في مقدمة كتابه: (القواعد الحسان لتفسير القرآن): "فهذه أصول وقواعد في تفسير القرآن الكريم، جليلة المقدار، عظيمة النفع، تعين قارئها ومتأملها على فهم كلام الله، والاهتداء به، ومخبرها أجل من وصفها؛ فإنها تفتح للعبد من طرق التفسير، ومنهاج الفهم عن الله ما يعين على كثير من التفاسير الخالية من

---

(١) أصول التفسير وقواعده، ص١١.

(٢) ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

هذه البحوث النافعة"(١).

٢- أنَّ هذه الأصول تمكن الإنسان من الكلام بعلم وعدل، وتبعده عن الوقوع في الخطأ والانحراف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْإِنْسَانِ أُصُولٌ كُلِّيَّةٌ تُرَدُّ إلَيْهَا الْجُزْئِيَّاتُ لِيَتَكَلَّمَ بِعِلْمِ وَعَدْلٍ ثُمَّ يَعْرِفُ الْجُزْئِيَّاتِ كَيْفَ وَقَعَتْ؟ وَإِلَّا فَيَبْقَى فِي كَذِبٍ وَجَهْلٍ فِي الْجُزْئِيَّاتِ وَجَهْلٍ وَظُلْمٍ فِي الْكُلِّيَّاتِ فَيَتَوَلَّدُ فَسَادٌ عَظِيمٌ"(٢).

٣- وهذه الأصول تعتبر للمفسر قانوناً عاماً يعول عليه عند تفسيره، قال الزركشي رحمه الله: "ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة، وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض، لبلاغته ولطف معانيه، ولهذا لا يستغني عن قانون عام يعول في تفسيره عليه، ويرجع في تفسيره إليه، من معرفة مفردات ألفاظه، ومركباتها، وسياقه، وظاهره، وباطنه، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم، ويدق عنه الفهم"(٣).

٤- ولأهمية مكتسبات الأمة من التفسير كان لزاماً على الأمة وضع أصولٍ يرجع إليها عند إرادة تفسير القرآن بقصد حماية النص القرآني من التفسيرات الشاذة، والأفكار المنحرفة التي يسعى أصحابها لنشرها من خلال نصوص القرآن عن طريق تأويل آياته، وتحريف مدلولاته، وهذا الأمر فتح على المسلمين باب

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٧.

(٢) مجموع الفتاوى، (١٩/٢٠٣)، منهاج السنة النبوية، (٥/٨٣).

(٣) البرهان في علوم القرآن، (١/١٥).

شر، قال خالد العك: "إن مما لا شك فيه أن إخضاع تفسير القرآن الكريم لميول شخصية، ومذاهب ذات مفاهيم مغالية؛ فتح على المسلمين باب شرّ خطير، ولج منه أعداء الإسلام للدس فيه وتشويه صورته وإفساد عقائده، كما أنه دلف منه أصحاب البدع إلى ترويج بدعهم، متسترين بآيات الله تعالى"(١).

٥- ويبدو أنّ ما ينشر من تفاسير مصادمة للأصول والقواعد، مخالفة لمراد الله، جعل العلماء يشددون على وجوب استصحاب هذه الأصول عند التفسير "لما في ذلك من التقوى وأمن السلامة، والحماية من الزيغ والزلل والضلال، وعدم التقدم إلى التعامل مع أي قضية والنظر فيها، قبل التحقق بالمرجعية الشرعية"(٢).

٦- نتيجة لتهافت كثير من الناس على تفسير كلام الله بدون التسلح بالمنهجية العلمية الصحيحة سبب ذلك انحرافاً معرفياً عند المسلمين، فكانت هذه الأصول بمثابة الآلة المساعدة على العودة إلى المنهج العلمي السليم، وتقلل من الاختلاف في فهم القرآن، فالاهتمام بأصول التفسير وقواعده "تقعيدًا وتأصيلاً، ودراسةً، وتحليلاً، وتحريرًا، وتأكيدًا على وجوب الالتزام بها، وتحذيرًا من مغبة مخالفتها، وتشنيعًا على كل تفسير لا يقوم عليها، يساعد على العودة إلى المنهج العلمي السليم، ويقلل من الاختلاف في فهم القرآن، كما يجعل التفسير موزونًا

---

(١) أصول التفسير وقواعده، ص٢٢٧.

(٢) أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، المقدمة، د. أحمد بن عبد العزيز الحليبي، ص١١.

بميزان الله، ويفتح السبل أمام المتخصصين للدفع بعجلة البحث في هذا المضمار"(١).

٧-ويمكن-أيضًا- أن ندرك أهمية معرفتها في أنها تُمكّن من تصفية وتنقية كتب التفسير مما قد علق ببعضها، من أقوال شاذة أو ضعيفة، أو مدسوسة فيها لمذهب عقدي أو فكري فاسد، ونحو ذلك(٢).

ثانياً: دعواهم أنَّ هذه الأصول تؤدي إلى جعل القرآن نصاً تاريخياً، وتقطع الصلة بين القرآن والقارئ المعاصر.

وهذا القول فيه اعتساف وانحراف، وبُعد عن الحقيقة؛ "فبنية النص الشرعي وأسلوبه قادر على استيعاب جميع القضايا والحوادث المستجدة التي قد تستجد في حياة البشر، فهو نص مفتوح يسع ويشمل ما تستحدثه البشرية من نظم وعادات، وكل ما اشتملت عليه نصوص الكتاب والسنة من كليات وجزئيات ومقاصد عامة، فهي مستقرة ودائمة وغير قابلة للتبديل ولا للتغيير، فما أحل الله في كتابه وسنة نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرم الله في كتابه وسنة نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة"(٣).

وكذلك فإن مروجو هذه الدعاوى الباطلة يسعون -في حقيقة الأمر- إلى إيقاع المسلمين في مغالطة ظالمة؛ "فالنص الشرعي يتعالى على مقولة الزمان

---

(١) مقال: هل أصول الفقه تصلح أن تكون قواعد هامة للتفسير، عبدالغني الكعبوني، ملتقى أهل التفسير، بتاريخ، (٢٨/٩/ ٢٠٠٧م).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، (١/ ٤٠).

(٣) ظاهرة التأويل في الفكر العربي المعاصر، ص١٩.

والمكان ولا ينتظم في فلكهما، فإعمال النص بالنسبة للعصر المدني المبكر أو إعماله في العصر الحديث المعقد سِيان، فالنصوص متعلقة بالإنسان حيث خلقه الله"[(١)].

وهناك جانب آخر غير ما سبق، وهو أن"النصوص قد اعتمدت في صياغتها على تجاوز الصيغة التاريخية للنص، ونزعت إلى الإطلاق"[(٢)].

وعليه يمكن القول: إن "البيان النبوي الذي تعهد الله بحفظه، وفهم القرون المشهود لها بالخيرية من الرسول-عليه الصلاة والسلام- له صفة الخلود والامتداد، ومقاصده مجردة عن قيود الزمان والمكان أيضاً؛ لأنه بيان النص الخالد"[(٣)].

ثالثاً: وأما عن دعواهم بأن اعتماد السنة النبوية أصلاً في تفسير القرآن أكبر مأساة في تاريخ الفكر الإسلامي؛ كونها تغيب العقل عن فهم القرآن. وأن مهمة الرسول ﷺ الأساسية هي البلاغ، وللرد عليهم، نقول:

١-إنهم يحاولون سلب الرسول ﷺ مهمة البيان، وحصر مهمته في البلاغ فقط، وهذا مخالف لنصوص القرآن الكريم الصحيحة والصريحة التي تثبت أن مهمة الرسول البلاغ والبيان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ

(١) المرجع السابق، ص٢٣- ٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢٤.

(٣) أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق ،ص١٠.

﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٤]، فهما مهمتان متصلتان متكاملتان لا انفصال بينهما، قال ابن القيم: "وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَ غَايَةَ الْبَيَانِ الَّذِي لَا بَيَانَ فَوْقَهُ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ ﷺ الْبَلَاغَ الْمُبِينَ فَبَلَّغَ الْمَعَانِيَ كَمَا بَلَّغَ الْأَلْفَاظَ، وَالصَّحَابَةُ بَلَّغُوا عَنْهُ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا، وَكَانَ تَبْلِيغُهُ لِلْمَعَانِي أَهَمَّ مِنْ تَبْلِيغِهِ لِلْأَلْفَاظِ"(١).

٢- وأما ما زعمه من أن السنة تغيب العقل وتقف أمام تدبر القرآن، وأنها تلتف على دلالاته، فهذا تصور ينبني عن تعامي وجهل عن أهمية السنة، فهي"تقرر نصوص القرآن وتكشف معانيها كشفاً مفصلاً، وتقرب المراد وتدفع عنه الاحتمالات، وتفسر المجمل منه وتبينه وتوضحه؛ لتقوم حجة الله به، ويُعلم أنَّ الرسول بيّن ما أنزل إليه من ربه، وأنه بلغَ ألفاظهُ ومعانيه بلاغاً مبيناً حصل به العلم اليقينُّ، بلاغاً أقامَ الحجةَ، وقطع المعذرة وأوجب العلم، وبينه أحسنَ البيانِ وأوضحه"(٢).

رابعاً: وأما زعمهم التحفظ على أقوال الصحابة ﷺ والرفض لأقوال التابعين، وأنه لا يسعهم فهم الصحابة للقرآن؛ باعتبار بدائية الفهم عند الصحابة والتابعين، وضعف المستوى المعرفي.

فهذا الأمر يعبر من خلاله القرآنيون عن نزعتهم العدائية لسلف الأمة من الصحابة والتابعين الذي كانوا على منزلة عالية من العلم والفهم، وليس كما

(١) مختصر الصواعق المرسلة، ص٣٩٠.

(٢) المرجع السابق، ص٥٣٢.

يصورهم أعداء الصحابة الذين هم بحق شرار الخلق، كما ورد ذلك عن رسول الله ﷺ حيث قال: (شرار أمتي أجرؤهم على صحابتي)[١].

وكيف يتحفظ على فهم الصحابة للقرآن، وهم "كانوا خيرَ هذه الأمة؛ أبرَّها قلوبًا، وأعمقَها علمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيِّه ﷺ ونقل دينه"[٢].

إن جيل الصحابة يبقى الجيل المثال الذين استحقوا الخيرية والأسبقية والأفضلية، لقد هيأهم الله-تعالى-ليحفظوا دينه، فحفظوا نصوصه، وفهموا مضمونه، وطبقوا مفهومه، وعملوا لتنفيذه، وتمثيله، والجهاد لإقامته، والحرص على نقله وبثه والدعوة إليه بالقول والعمل[٣].قال شيخ الإسلام: "فَهَذِهِ الطَّبَقَةُ -صحابة رسول الله- كَانَ لَهَا قُوَّةُ الْحِفْظِ وَالْفَهْمِ وَالْفِقْهِ فِي الدِّينِ وَالْبَصَرِ وَالتَّأْوِيلِ؛ فَفَجَّرَتْ مِنْ النُّصُوصِ أَنْهَارَ الْعُلُومِ، وَاسْتَنْبَطَتْ مِنْهَا كُنُوزَهَا، وَرُزِقَتْ فِيهَا فَهْمًا خَاصًّا،....، فَهَذَا الْفَهْمُ هُوَ بِمَنْزِلَةِ الْكَلَأِ وَالْعُشْبِ الَّذِي أَنْبَتَتْهُ الْأَرْضُ الطَّيِّبَةُ، وَهُوَ الَّذِي تَمَيَّزَتْ بِهِ هَذِهِ الطَّبَقَةُ عَنْ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ، وَهِيَ الَّتِي حَفِظَتْ النُّصُوصَ فَكَانَ هَمُّهَا حِفْظَهَا وَضَبْطَهَا؛ فَوَرَدَهَا النَّاسُ وَتَلَقَّوْهَا بِالْقَبُولِ؛ وَاسْتَنْبَطُوا مِنْهَا وَاسْتَخْرَجُوا كُنُوزَهَا"[١].

---

(١) الحديث مروي عن أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-، أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، (٢/١٨٣)، كتر العمال، برقم، (٣٢٤٨٥)، (١١/٥٣٢).

(٢) حلية الأولياء، (١/٣٠٥)، شرح السنة، البغوي، (١/٢١٤).

(٣) ينظر: السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي، ص٩٢.

(١) نقض المنطق، ابن تيمية، ص٧٩.

إن الصدر الأول للإسلام لا يزال هو صدر التفسير، يرجع إليه ليستقى منه العلم والمعرفة والتفسير؛ فالصحابة ﷺ "أعلم الناس بالقرآن الكريم بعد رسول الله ﷺ لأنهم شاهدوا نزول الوحي، وعلموا ظروف النصوص القرآنية كل على انفراد فيعلمون كل ما يحيط النصوص من ظروف، أضف إلى أن القرآن نزل بلغتهم،...، وعالج أحوالهم التي كانوا عليها فمنها ما أخرها ومنها ما أمرهم بتركها فتركوها، فهم أعلم بما ابقوا وما نبذوا، ولذا فإن أحسن الناس علمًا بتفسير القرآن الكريم هم الصحابة على تفاوت بينهم"(١).

والصحابة ﷺ أفقه الناس وأعلمهم بمراد الله ورسوله ﷺ ولا يساويهم من بعدهم، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وَالْمَقْصُودُ أَنَّ أَحَدًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ-أي: بعد الصحابة- لَا يُسَاوِيهِمْ فِي رَأْيِهِمْ، وَكَيْفَ يُسَاوِيهِمْ وَقَدْ كَانَ أَحَدُهُمْ يَرَى الرَّأْيَ فَيَنْزِلُ الْقُرْآنُ بِمُوَافَقَتِهِ؟ كَمَا رَأَى عُمَرُ فِي أُسَارَى بَدْرٍ أَنْ تُضْرَبَ أَعْنَاقُهُمْ فَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِمُوَافَقَتِهِ،....، إلى أن قال: وَحَقِيقٌ بِمَنْ كَانَتْ آرَاؤُهُمْ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ أَنْ يَكُونَ رَأْيُهُمْ لَنَا خَيْرًا مِنْ رَأْيِنَا لِأَنْفُسِنَا، وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الرَّأْيُ الصَّادِرُ مِنْ قُلُوبٍ مُمْتَلِئَةٍ نُورًا وَإِيمَانًا وَحِكْمَةً وَعِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَفَهْمًا عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنَصِيحَةً لِلْأُمَّةِ، وَقُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ نَبِيِّهِمْ، وَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَهُمْ يَنْقُلُونَ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ غَضًّا طَرِيًّا لَمْ يَشُبْهُ إشْكَالٌ، وَلَمْ يَشُبْهُ خِلَافٌ، وَلَمْ تُدَنِّسْهُ مُعَارَضَةٌ، فَقِيَاسُ رَأْيِ غَيْرِهِمْ بِآرَائِهِمْ مِنْ أَفْسَدِ الْقِيَاسِ"(١).

(١) مناهج المفسرين، د. مساعد جعفر، ص٤١-٤٢.

(١) إعلام الموقعين، (١/٦٤-٦٥).

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله- مبيناً مكانة علم الصحابة وأهمية الأخذ بأقوالهم : "هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل، وكل سبب ينال به علم أو يدرك به هدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا"(١).

وقال ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى: "فأما أصحاب رسول الله ﷺ فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله ﷻ لصحبة نبيه ﷺ ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه، فرضيهم له صحابة، وجعلهم لنا أعلامًا وقدوة، فحفظوا عنه ﷺ ما بلغهم عن الله ﷻ وما سنّ وشرع وحكم وقضى وندب وأمر ونهى وحظر، ووعوه وأتقنوه، ففقهوا في الدين، وعلموا أمر الله ونهيه ومراده، بمعاينة رسول الله ﷺ ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله، وتلقفهم منه واستنباطهم عنه، فشرفهم الله ﷻ بما منّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة فنفى عنهم الشكّ والكذب والغلط والرّيبة والغمز، وسمّاهم عدول الأمة، فقال ﷻ في محكم كتابه: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ** ﴾ [البقرة: ١٤٣]"(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: "فعاد الصواب إلى تفسير الصحابة، وهم أعلم الأمة بكتاب الله، ومراده منه"(٣).

وتبقى ملاحظة مهمة تجدر الإشارة إليها بخصوص الرجوع إلى أقوال

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، (٥/٧٣).

(٢) الجرح والتعديل، (١/٧).

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، ص٣٨٣.

السلف، وهي أن من المتقرر في منهج أهل السنة والجماعة ضرورة الرجوع إلى فهم السلف الصالح لنصوص الكتاب من الصحابة والتابعين، والأخذ بأقوالهم والاسترشاد بها، والاحتجاج بها، والتحاكم إليها[١]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "من طريق أهل السنة والجماعة اتِّباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً، واتِّباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار"[٢].

وتأتي أقوال التابعين في التفسير بعد أقوال الصحابة في المنزلة؛ لما لهم من فضل ومزية على من بعدهم في العلم، فقد كان عهدهم قريباً من عصر النبوة، وحملوا العلم عن أصحاب النبي ﷺ كما تلقوه هم عن النبي ﷺ وتتلمذوا عليهم، وتأدبوا بأدبهم، مع ما أوتوا وعرفوا به من الدين، والصدق والأمانة، وصحة الاعتقاد، وسلامة المنهاج، والبعد عن التكلف، فكان علمهم وفهمهم هو النور المبين لما في كتاب الله تعالى[٣]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إِذَا لَمْ تَجِدِ التَّفْسِيرَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ وَلَا وَجَدْتَهُ عَنِ الصَّحَابَةِ، فَقَدْ رَجَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي ذَلِكَ إِلَى أَقْوَالِ التَّابِعِينَ"[١].

---

(١) ينظر: المنهج السلفي، د. مفرح القوسي، ٣٦١. مجمل اعتقاد أئمة السلف، د. عبد الله التركي، ص٨٦.

(٢) مجموع الفتاوى، (٣/١٥٧).

(٣) ينظر: التفسير والمفسرون، (١/٧٦)، بحوث في أصول التفسير، د. فهد الرومي، ص٣٥، تفسير التابعين، د. محمد الخضيري، (١/٥٠-٥١)، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، الجديع، ص٣٠٨، المنهج السلفي، مرجع سابق، ص٣٦٤.

(١) مجموع الفتاوى، (١٣/٣٦٨).

وقال ابن القيم رحمه الله: "فَتَاوَى الصَّحَابَةِ أَوْلَى أَنْ يُؤْخَذَ بهَا مِنْ فَتَاوَى التَّابِعِينَ، وَفَتَاوَى التَّابِعِينَ أَوْلَى مِنْ فَتَاوَى تَابِعِي التَّابِعِينَ، وَهَلُمَّ جَرًّا، وَكُلَّمَا كَانَ الْعَهْدُ بِالرَّسُولِ أَقْرَبَ كَانَ الصَّوَابُ أَغْلَبَ،....،إلى أن قال: فَإِنَّ التَّفَاوُتَ بَيْنَ عُلُومِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ كَالتَّفَاوُتِ الَّذِي بَيْنَهُمْ فِي الْفَضْلِ وَالدِّينِ"(١).

ويقرر ابن رجب(٢)-رحمه الله- أن أفضل العلوم في التفسير ما أثر عن الصحابة والتابعين، حيث قال: "فأفضل العلوم في تفسير القرآن، ومعاني الحديث، والكلام في الحلال والحرام، ما كان مأثورًا عن الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى أن ينتهي إلى زمن أئمة الإسلام المشهورين المقتدى بهم"(٣).

واعتبر شيخ الإسلام من عدل عن تفسير الصحابة والتابعين كان مخطئاً، بل مبتدعاً، قال رحمه الله: "وفي الجملة من عَدَل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئًا في ذلك، بل مبتدعًا، وإن كان مجتهدًا مغفورًا له خطؤه. فالمقصود بيان طرق العلم وأدلته، وطرق الصواب. ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه،

---

(١) إعلام الموقعين، (٤/٩٠).

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، الواعظ. الإمام الحافظ، المحدّث، الفقيه، ولد في بغداد سنة (٧٣٦هـ)، نشأ بدمشق وتوفي بها، سنة(٧٩٥هـ)، له مصنفات عديدة، منها: شرح الترمذي، طبقات الحنابلة، فتح الباري شرح صحيح البخاري لم يتمه، وجامع العلوم والحكم وغيرها. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (٣/١٠٨)، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، تقي الدين ابن فهد الهاشمي العلويّ، ص١١٨، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، ابن مفلح ، (٢/٨١).

(٣) فضل علم السلف على الخلف، ابن رجب الحنبلي، ص٢٩.

كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعًا"(١).

وكان شيخ الإسلام يشدِّد على من فسَّر القرآن بغير ما عرف عن الصحابة والتابعين، ويرى أن من فعل ذلك فهو مفتر على الله ملحدٌ في آياته، مُحرّف للكلم عن موضعه، قال رحمه الله: "وَقَدْ تَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ أَوْ الْحَدِيثَ وَتَأَوَّلَهُ عَلَى غَيْرِ التَّفْسِيرِ الْمَعْرُوفِ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَهُوَ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ مُلْحِدٌ فِي آيَاتِ اللَّهِ مُحَرِّفٌ لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَهَذَا فَتْحٌ لِبَابِ الزَّنْدَقَةِ وَالْإِلْحَادِ، وَهُوَ مَعْلُومُ الْبُطْلَانِ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ"(٢).

بل إن ابن الأنباري(٣) عدَّ "مَنْ قَالَ فِي مُشْكِلِ الْقُرْآنِ بِمَا لَا يَعْرِفُ مِنْ مَذْهَبِ الْأَوَائِلِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَهُوَ مُتَعَرِّضٌ لِسَخَطِ اللَّهِ"(٤).

خامساً: وثمة أمرٌ آخر، وهو أن من علامات أهل الزيغ والانحراف الفكري على مر العصور، وفي زمننا هذا، رميهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين بالجهل تارة، وبُعد الفهم والسذاجة تارة، وببدائية الفهم والمعرفة تارة أخرى،

---

(١) مجموع الفتاوى، (٣٦١/١٣).

(٢) المرجع السابق، (٢٤٣/١٣).

(٣) محمد بن القاسم بن بشار بن محمد، أبو بكر الأنباري، المقرئ النحوي اللغوي، ولد في الأنبار، سنة (٢٧١هـ)، وتوفي ببغداد، سنة (٣٢٨هـ)،كان من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، له مؤلفات، منها: ايضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، الأضداد، غريب الحديث، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات. ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، (٢٠١/٣)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص٢٨٢، معجم الأدباء، (٢٦١٤/٦)، معرفة القراء الكبار ، ص١٥٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٣٢/١).

وقلة المعرفة أحياناً أخرى، وهذا المسلك يقطع على طالب العلم شرف الوصول إلى علوم هؤلاء السلف وأفهامهم، بل قد يجعله ينظر إلى أقوالهم نظر المقلّل من شأنها، ويرى أن تفسيراتهم سطحية، ولا عمق فيها، ولا تقرير!! وهذا خطأ محض، ومجانبة للصواب؛ فلقد امتاز العرب بصفاء القريحة وحدة الذهن، وقوة الذاكرة، وكان لصحابة النبي ﷺ النصيب الأوفر من هذه الصفات السامية مالم يؤت أحدٌ بعدهم، ولا عجب، فهم العرب الخلص، وبلسانهم نزل القرآن[١]، قال الذهبي: "جزمت بأن المتأخرين على إياس من أن يلحقوا المتقدمين في الحفظ والمعرفة"[٢]

وقال ابنُ رَجَب: "وقد ابتلينا بجَهَلةٍ من النّاس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم؛ فمنهم من يظن في شخص أنه أعلم من كل من تقدم من الصحابة ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله، ومنهم من يقول هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين... وهذا تنقُّص عظيم بالسلف الصالح، وإساءة ظن بهم، ونسبته لهم إلى الجهل وقصور العلم"[٣].

وقال: "فلا يوجد في كلام من بعدهم من حق إلاّ وهو في كلامهم موجود بأوجز لفظ وأخصر عبارة، ولا يوجد في كلام من بعدهم من باطل إلاّ وفي كلامهم ما يبين بطلانه لمن فهمه وتأمله، ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة

(١) ينظر: أسباب الخطأ في التفسير، (٥٧/١)، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص٣٠٤، مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، د. مساعد الطيار، ص١٥٧.

(٢) تذكرة الحفاظ، الذهبي، (١٠٦/٣).

(٣) فضل علم السلف على الخلف، ص٢٧.

والمآخذ الدقيقة ما لا يهتدي إليه من بعدهم ولا يلم به، فمن لم يأخذ العلم من كلامهم فاته ذلك الخير كله مع ما يقع في كثير من الباطل متابعةً لمن تأخر عنهم"[(١)].

وقال غيره: "عليكم بآثارِ مَنْ سَلَفَ؛ فإنهم جاؤوا بما يكفي وما يشفي، ولم يحدث بعدهم خير كامن لم يعلموه"[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابنُ تيمية: "ومَنْ آتاه اللهُ علماً وإيماناً عَلِمَ أنّه لا يكون عند المتأخرين من التحقيق إلا ما هُو دونَ تحقيقِ السلفِ لا في العلم ولا في العمل"[(٣)].

سادساً: وأما فك الارتباط بين التفسير وأصوله، وهو الذي يسعى القرآنيون من أجله؛ فإن غياب الأصول وعدم وضوحها بالشكل المطلوب يؤدي -إلى جانب وجود الفكر المنحرف المملوء بالهوى والشهوات- لظهور كثير من الأقوال الشاذة، والآراء المنحرفة في تفسير كلام الله تعالى، وهذا أمر لا سبيل إليه أبداً.

والذي نخلص إليه من خلال العرض السابق، هو:

لما كان أهم ما يهتم به القرآنيون المنحرفون فكرياً هو السعي لبث فكرهم، وتثبيت آرائهم، ونشر انحرافاتهم، نراهم يركزون على قضايا وأصول هامة تمس

(١) المرجع السابق، ص٣٠.

(٢) مجموع الفتاوى، (١٥٨/٤).

(٣) الإيمان، ابن تيمية، ص٣٣٩.

ما يريدون تأكيده ونشره بين الناس، فبادروا إلى محاولة التخلص من أصول التفسير وإزاحتها؛ ليتمكنوا من اختراق علم التفسير؛ ليتسنى لهم بث أفكارهم، وأقوالهم المنحرفة المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة من خلال تأويل كتاب الله -تعالى- على غير مراده.

على أن ما يهمنا بالدرجة الأولى تأكيده أن البيان النبوي المعصوم، أو ما صح من البيان المأثور، الذي توفرت له ضوابط النقل والتوثيق، من فُهوم وتطبيقات القرون المشهود لها بالخيرية، هو الذي يشكل المرجعية الشرعية، والمعيارية لفهم آيات القرآن الكريم في كل زمان ومكان.. فللإنسان المسلم أن يمتد بالرؤية القرآنية إلى آماد وآفاق وفضاءات حضارية واسعة، وينظر إلى المشكلات الإنسانية، ويجتهد في إيجاد الحلول الملائمة لها، ويبصر مسارات المستقبل، ويرسم معالمها في ضوء هدايات ومعارف الوحي، شريطة ألا يعود ذلك بالنقض أو الإلغاء للبيان المحفوظ، الذي يشكل المرجعية، التي لم تكتف بوضع الإطار، ورسم المسارات، ووضع المنهج للفهم القرآني، وإنما أقامت المنارات، ووضعت الإشارات الهادية للحماية من السقوط أثناء السير في الطريق[(١)].

---

(١) ينظر: أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص١٠.

الباب الثالث

جناية القرآنيين على التفسير

وفيه فصلان.

الفصل الأول: المخالفات المنهجية العلمية في تفسيرهم للقرآن الكريم.

الفصل الثاني: جناية القرآنيين على التفسير والرد عليها.

الفصل الأول

المخالفات المنهجية العلمية في تفسيرهم للقرآن الكريم

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: إنكارهم كون السنة أصلاً في تفسير القرآن الكريم.

المبحث الثاني: إهمال الأدلة الصحيحة في تفسير الآيات القرآنية.

المبحث الثالث: الانتقائية في اختيار المصادر والمراجع .

المبحث الرابع: التفسير المتعسف والتأويل المتكلف للنصوص القرآنية.

المبحث الخامس: البعد عن المنهج العلمي في تناول الموضوعات القرآنية والخضوع للهوى .

المبحث السادس: التشكيك في الأمور المعلومة من الدين بالضرورة.

المبحث الأول

إنكارهم كون السنة أصلاً في تفسير القرآن الكريم[١]

تتميز المنهجية الإسلامية بمنطلقات أساسية تمثل الركائز التي تضيء الدروب أمام الباحث في العلوم الشرعية، ومن هذه المنطلقات وجوب الرجوع إلى تلك الأصول العلمية التي جعلها أهل كل تخصص المعول عليها في ذلك التخصص، وكذا الرجوع إلى أهل كل فن ومعرفة ما سطروه من أقوالهم وما كتبوه في مؤلفاتهم، هذا أمرٌ متقرر عند العلماء، قال د. طاهر يعقوب:" لكل بحث منهج، ولكل علم أصول، ولك فن رجال، فلا بد من تحديد المنهج الذي يسار عليه، ومن تعيين المسلك الذي يتمسك به، ومن معرفة أولئك الرجال الذين يؤخذ من أفواههم ومن تراثهم الذي خلفوه لنا"[٢].

كان سبب هذا التوجه المنهجي الذي سار عليه العلماء هو خوفهم الشديد من الوقوع في الأخطاء التي تؤثر على العلم والمعرفة الإسلامية، التي قد تؤثر على الأجيال في المستقبل، فـــ"إن الدين بلا علم ومعرفة يورث تديناً مغشوشاً، والعلم بلا قيم تضبط مسيرته وتوجه رحلته وتحدد هدفه يدمر صاحبه ويشقي أمته"[٣].

ولا شك أن الشعور بهذه الإشكالية قد ظهر باديًا على الساحة العلمية

---

(١) كما سبق بيانه في مبحث: كون السنة أصلاً في تفسير القرآن وفهمه.

(٢) أسباب الخطأ في التفسير، (٤٩/١).

(٣) توطين العلوم في الجامعات العربية والإسلامية، د. على القريشي، المقدمة، ص١٠.

الإسلامية منذ القرون الأولى، بدءاً بالخوارج، ومروراً بأحفادهم من المنكرين للسنة في زماننا هذا، فالمتأمل في مسيرة العمل التفسيري الذي تقوم به طائفة منكري السنة النبوية يبصر أنَّ هذه الأعمال أبعد ما تكون عن مسار التفسير، إنها أعمال تنذر بشر مستطير؛ لما تقوم به تلك المجموعة من عبث ومخالفة للمناهج العلمية المعروفة عند أهل هذا الفن وغيرهم من وجوب الاعتماد في كل فنٍ على أهله.

إنَّ من أبرز الأخطاء المنهجية عند منكري السنة النبوية إنكارهم كون السنة أصلاً يرجع إليه عند تفسير القرآن الكريم، وهم في عملهم قد خالفوا ما أجمع عليه علماء الأمة من وجوب الرجوع إلى هذا المصدر التفسيري الأصيل، الذي تنبثق أقواله من معين الدوحة النبوية، قال ابن تيمية: "وَلِيُعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ الْأَئِمَّةِ -الْمَقْبُولِينَ عِنْدَ الْأُمَّةِ قَبُولًا عَامًّا- يَتَعَمَّدُ مُخَالَفَةَ رَسُولِ اللَّهِﷺ فِي شَيْءٍ مِنْ سُنَّتِهِ؛ دَقِيقٍ وَلَا جَلِيلٍ. فَإِنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ اتِّفَاقًا يَقِينِيًّا عَلَى وُجُوبِ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺوَعَلَى أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، إلَّا رَسُولَ اللَّهِﷺ "(١).

ولا يمكن هنا إغفال ما سطره علماء الأمة-رحمهم الله تعالى- في هذا الشأن، حيث إنهم قد أجمعوا على ضرورة الرجوع إلى تصانيف أهل الفنون، وأن العمدة في كل فن أهله، ولكي يستبين الأمر، ويتضح المنهج، نعرض لأقوال بعض هؤلاء العلماء حول هذا الأمر:

قال السخاوي: "اتَّفَقُوا عَلَى الرُّجُوعِ فِي كُلِّ فَنٍّ إِلَى أَهْلِهِ، وَمَنْ تَعَاطَى

(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ابن تيمية، ص٩.

تَحْرِيرَ فَنٌّ غَيْرِ فَنِّهِ فَهُوَ مُتَعَنٌّ[(١)]"[(٢)].

وقال ابن الوزير: "وقد أجمعت الأمةُ على الرجوع إلى تصانيفِ أهلِ الفنون"[(٣)].

وقال-أيضاً- رحمه الله تعالى: "تقديمُ كلامِ أهل كُلِّ فَنٍّ على كلام غيرهم في ذلك الفن الذي اختصُّوا به، وقطعُوا أعمارَهم فيه، فإنَّك متى نظرتَ وأنصفتَ، وجدتَ لِكُلِّ أهل فَنٍّ من المعرفةِ به، والضبطِ له، والتسهيل لجمع مسائِله، والتقييدِ لشوارد فوائِده، والإحاطةِ بغرائبه، والتذليل لما يَصْعُبُ على طالبه ما لم يُشاركْهُمْ فيه غيرُهم ممن هو أفضل منهم مِن أئمة الدين، وكُبراء المسلمين"[(٤)].

وقال ابن القيم: "الِاعْتِبَارَ فِي الْإِجْمَاعِ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ بِأَهْلِ الْعِلْمِ بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ، كَمَا لَمْ يُعْتَبَرْ فِي الْإِجْمَاعِ عَلَى الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ إِلَّا الْعُلَمَاءُ بِهَا دُونَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالنُّحَاةِ وَالْأَطِبَّاءِ، كَذَلِكَ لَا يُعْتَبَرُ فِي الْإِجْمَاعِ عَلَى صِدْقِ الْحَدِيثِ وَعَدَمِ صِدْقِهِ إِلَّا أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ وَطُرُقِهِ وَعِلَلِهِ، وَهُمْ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْحَدِيثِ الْعَالِمُونَ بِأَحْوَالِ نَبِيِّهِمْ، الضَّابِطُونَ لِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ"[(٥)].

وقال د. فاروق حمادة: "إن الباحث الحق، وهو يجول في رحاب الفكر

---

(١) تعنى الرجل: نصب وأُصيب بالتعنية. المعجم الوسيط، (٦٣٣/٢).

(٢) فتح المغيث شرح ألفية الحديث، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، (٢٨٩/١).

(٣) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، (٤٣٥/٢).

(٤) المرجع السابق، (٤٢٩/٢)، وينظر أيضاً للمؤلف الروض الباسم، (١٥٦/١).

(٥) مختصر الصواعق، ص٥٦٣.

ويصول، يجب عليه أن يرجع في كل علم إلى أهله، ويأخذ معلوماته من مصادرها الأصلية الصحيحة، المعتمدة في ميدانها. فأهل كل علم مقدمون على غيرهم فيه، بل لا يلتفت فيه إلى سواهم، لأن أهل كل علم هم الذين جمعوا مسائله، وضبطوا أصوله، وألفوا كتبه، وذللوا صعابه"(١).

هذا عن أهل العلوم والفنون، فكيف بمن أوكل الله إليه تلك المهمة البيانية، وجاءه الوحي من ربه لبيان ما أشكل على أمته من تفسير آياته؟ فكيف يمكن عزله عن مهمته، وعدم الرجوع إلى قوله، وما روي عنه، وما استنبط من سنته؟

إنَّ فكرة إنكار كون السنة النبوية أصلاً في تفسير القرآن تعد مخالفة للمنهجية العلمية التي سار عليها المفسرون منذ زمن رسول الله ﷺ مروراً بالصحابة ﭫ والتابعين-رحمهم الله- وإلى زماننا هذا، إنَّ الرجوع إلى أقوال النبي ﷺ في التفسير منهجية علمية استفاضت واشتهرت بين العلماء، وتعددت أقوالهم في تأصيلها وبيان أهميتها، ومما يدلل على ذلك ما يذكره الباحث من أقوال العلماء في هذا الأمر:

فهذا حبر الأمة عبد الله بن عباس ﭬ كان "إِذَا سُئِلَ عَنِ الْأَمْرِ فَكَانَ فِي الْقُرْآنِ، أَخْبَرَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ وَكَانَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَ بِه، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ، فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-فَإِنْ لَمْ يَكُنْ، قَالَ فِيهِ بِرَأْيِهِ"(٢).

---

(١) منهج البحث في الدراسات الإسلامية، د. فاروق حمادة، ص٤٥.

(٢) سنن الدارمي، برقم، (١٦٨)، (١/٢٦٥).

وقال ابن أبي حاتم الرازي[1] رحمه الله: "فإن قيل: كيف السبيل إلى معرفة ما ذكرت من معاني كتاب الله ﷻ ومعالم دينه؟

قيل: بالآثار الصحيحة عن رسول الله ﷺ"[2].

وابن العربي-رحمه الله-في تفسير قول الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر: ٨٧]، وبعد ذكره للخلاف، وذكر ما جاء عن الرسول ﷺ في بيان الآية، قال: "وَبَعْدَ تَفْسِيرِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا تَفْسِيرَ. وَلَيْسَ لِلْمُتَعَرِّضِ إلَى غَيْرِهِ إلَّا النَّكِيرُ، وَقَدْ كَانَ يُمْكِنُ لَوْلَا تَفْسِيرُ النَّبيِّ ﷺ أَنْ أُحَرِّرَ فِي ذَلِكَ مَقَالًا وَجِيزًا، وَأُسْبِكَ مِنْ سَنَامِ الْمَعَارِفِ إبْرِيزًا، إلَّا أَنَّ الْجَوْهَرَ الْأَغْلَى مِنْ عِنْدِ النَّبيِّ ﷺ أَوْلَى وَأَعْلَى"[3].

وقال ابن تيمية رحمه الله: "إنَّ أصحَّ الطُّرُق فِي ذَلِكَ أنْ يُفَسَّرَ القرآنُ بالقرآنِ، فَمَا أُجْمِلَ فِي مكَانٍ فإنه قد بُسِطَ في مَوْضِعٍ آخرَ، فإن أعْياكَ فَعَلَيْكَ بالسُّنَّة؛ فَإِنَّهَا شَارِحةٌ للقُرْآنِ وَمُوَضِّحةٌ لَهُ"[4].

وقال العز بن عبد السلام[5] في بيانه للتفسير والترجيح فيه: "وقد يتردد بين

(١) سبق التعريف به.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل، (١/٢).

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي، (١١٣/٣).

(٤) مقدمة في أصول التفسير، ص٣٩.

(٥) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم، السُلمي الدمشقي، عز الدين، الملقب بسلطان العلماء، من فقهاء الشافعية، كان مولده بدمشق، سنة (٥٥٧٧)، انتقل إلى القاهرة، وتولى القضاء بها، ثم تركه لمرضه، توفي بها، سنة (٥٦٦٠)، له مؤلفات كثيرة، منها: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، الإلمام في أدلة الأحكام، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، وغيرها. ينظر: طبقات الشافعية =

محامل كثيرة يتساوى بعضها مع بعض، ويترجح بعضها على بعض، وأولى الأقوال ما دل عليه الكتاب في موضع آخر أو السنة، أو إجماع الأمة"(١).

وقال أبو منصور الماتريدي(٢): "هذا، وقد بدأ الصحابة شارعين في تفسير القرآن الكريم -على تخوف وتحرج- بعد وفاة رسول اللّٰه ﷺ معتمدين في تفسيرهم على القرآن الكريم نفسه،أو على تفسير النبي ﷺ لبعض الآيات وتشريعاته الأخرى"(٣).

وقال أبو زهرة(٤): "فأعلى المراتب تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن كتاب متكامل، ما يجمله في موضع يفسره في آخر، وهكذا. وتلي هذه المرتبة تفسير النبي ﷺ"(٥).

والجدير بالتنبيه في هذا المقام، أن السبب في وقوع هؤلاء القوم في هذا

=

الكبرى، (٢٠٩/٨)، طبقات الشافعيين، ص٨٧٣، رفع الإصر عن قضاة مصر، ص٢٣٩، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، (٢٨٦/٧).

(١) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عز الدين بن عبد السلام، ص٢٢٠.

(٢) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي: نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند)، من علماء الحنفية المتكلمين، له كتب، منها: تأويلات أهل السنة (تفسير)، وأوهام المعتزلة، وشرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة، مات بسمرقند، سنة (٣٣٣هـ). ينظر: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، (١٣٠/٢)، تاج التراجم، ص٢٤٩، طبقات المفسرين، للأدنه وري، ص٦٩.

(٣) تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، (٢١١/١).

(٤) سبق التعريف به.

(٥) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٣٠/١).

الخبط المنهجي العقيم هو أهم دخلاء على هذا العلم(١)، و"لَا آفَةَ على الْعُلُوم وَأَهْلها، أضرُّ من الدخلاء فِيهَا، وهم من غيرِ أَهلِهَا؛ فَإِنَّهُم يجهلون ويظنون أَنَّهم يعلمُونَ، ويفسدون ويُقَدِّرُون أَنَّهم يُصْلحُون"(٢).

قال الشاطبي: "قلما تقع المخالفة لعمل المتقدمين، إلا ممن أدخل نفسه في أهل الاجتهاد، غلطاً، أو مغالطة"(٣).

وقال الجرجاني(٤): "إذا تعاطَى الشيءَ غيرُ أهلِه، وتولَّى الأمرَ غيرُ البصير به، أَعْضَلَ الداءُ، واشتدَّ البلاءُ"(٥).

وقال بكر بن عبد الله أبو زيد(٦)عن أدعياء العلم، من أمثال هؤلاء وغيرهم:

---

(١) فكثير منهم من أصحاب التخصصات العلمية، كالطب، والهندسة، والزراعة، وغيرها، كما بين الباحث ذلك في مبحث: أشهر القرآنيين الذين خاضوا في التفسير، وأبرز مؤلفاتهم.

(٢) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ابن حزم، ص٢٣.

(٣) الموافقات، (٢٨٧/٣).

(٤) عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر، واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة، من أهل جرجان، توفي سنة، (٤٧١هـ)، له مؤلفات، منها: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، وإعجاز القرآن. ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص٢٦٤، إنباه الرواة على أنباه النحاة، (١٨٨/٢)، فوات الوفيات، (٣٦٩/٢) .

(٥) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص٤٨٢.

(٦) بكر بن عبد الله أبو زيد، من مشاهير علماء المملكة العربية السعودية، والعالم الإسلامي ، ولد عام(١٣٦٥هـ)، تخرج في كلية الشريعة بالرياض، وأتم دراسته حتى تحصل على شهادة العالمية العالية (الدكتوراه) من المعهد العالي للقضاء، عام(١٤٠٣ هـ)، له مؤلفات، منها: فقه القضايا المعاصرة، التقريب لعلوم ابن القيم، الجناية على النفس وما دونها، حلية طالب العلم، وغيرها، توفي سنة (١٤٢٩/١/٢٧هـ). ينظر: جهود الشيخ العلامة بكر أبو زيد في الدعوة إلى الله تعالى، =

"فهؤلاء المــُنازِلُونَ في ساحة العلم، وليس لهم من عُدَّةٍ فيه سوى "القلم والدواة" هم: الصَّحْفِيةُ المتعالمون، من كل من يدعي العلم وليس بعالم، شخصية مؤذية، تتابعت الشكوى منهم على مدى العصور، وتوالي النُّذر، سلفاً وخلفاً....إنهم زيادة على أنصباء أهل العلم كواو عمرو، ونون الإلحاق. فهذا القطيع حقاً هم غول(١) العلم، بل دُودةٌ لزِجَةٌ(٢)، متلبدةٌ أسرابُها في سماء العلم، قاصرةٌ من سمو أهله، وامتداد ظله، متعثرة دواليب حركته، حتى ينطوي الحقُّ، ويمتدَّ ظلُّ الباطل وضلاله، فما هو إلا فجر كاذب، وسهم كابٍ حسير"(٣).

وقال رحمه الله: "فحرامٌ ثم حرام على من لا يهتدي لدلالةِ آي القرآن، ولا يدري السُّنن والآثار، ان يَتَسَنَّم جنابَ العلم، ويحل في حَرَمِهِ، معول هدم لحماه، وخرق لسِيَاجِهِ وحُرْمَتِهِ، وهذا هو المعثر المخذول، علمه وبال، وسعيه ضلال، نعوذ بالله من الشقا"(٤).

إن العدول عن السنة النبوية الصحيحة في تفسير القرآن الكريم خطأ منهجي، أوقع منكري السنة في مزالق خطيرة، ومفاسد في التفسير عظيمة،

=

عمر الخرماني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، موقع صـيد الفوائـد، http://saaid.net ، مقال: شَيْخُ العُلَماءِ وبَلِيْغُ الأُدَبَاءِ بَكْرٌ أبو زَيْدٍ، (ابنُ القَيِّمِ الصَّغِيْرُ)، شـبكة نـور الإسـلام، www.islamlight.net.

(١) غول: غاله الشَّيْء غولا، واغتاله: أهلكه. المحكم والمحيط الأعظم، (٥٩/٦).

(٢) لزجة: (لَزِجَ) الشَّيْءُ (كفَرِحَ: تَمَطَّطَ وتَمَدَّدَ). تاج العروس، (١٨٧/٦).

(٣) التعالم وأثره في الفكر والكتاب، ص٨، ٩.

(٤) المرجع السابق، ص٣١، ٣٢.

يحاول الباحث عرض بعضها باختصار من خلال النقاط الآتية:

١- أنهم بإنكارهم السنة النبوية وقعوا في الخطأ والانحراف في التفسير.

لا شك أنَّ السنة النبوية الصحيحة منبع صافٍ، ومعين لا ينضب لمريد تفسير كتاب الله تعالى، ومن عدل عن سبيلها، وطرح أدلتها، واستغنى بعقله عن بيانها؛ أدى به ذلك إلى الانحراف في تفسيره.

إن المتأمل في انحراف المنحرفين عن الحق يجد أن من أسباب انحرافهم اقتصارهم على الكتاب، وإنكارهم للسنة، وطرحهم لأدلتها، فأداهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة، وتأويل القرآن على غير ما أنزل[(١)].

الاجتهاد في تفسير الآيات القرآنية مع وجود النص المفسر لها من الكتاب أو السنة النبوية أو أقوال الصحابة أو أقوال التابعين، من أظهر أسباب الخطأ في التفسير[(٢)]، وقد نص العلماء على أن"كل معنى يخالف الكتاب والسنة فهم باطل وحجته داحضة"[(٣)].

إنَّ من الواجب أن يُعلم أن السنة النبوية كالسفينة من ركبها أفلح ونجا، "وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا وَابْتَغَى الْحَقَّ فِي غَيْرِهَا مِمَّا يَهْوَاهُ، أَوْ يَرُومُ سِوَاهَا مِمَّا تَعَدَّاهُ؛ أَخْطَأَ فِي اخْتِيَارِ بُغْيَتِهِ وَأَغْوَاهُ، وَسَلَكَهُ سَبِيلَ الضَّلَالَةِ، وَأَرْدَاهُ فِي مَهَاوِي الْهَلَكَةِ فِيمَا يَعْتَرِضُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَدَفْعِهِمَا

---

(١) ينظر: الموافقات، (٤/٣٢٥-٣٢٦)، مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، عبد الرحمن اللويحق، (١/٩٩).

(٢) ينظر: أسباب الخطأ في التفسير، (١/٩٦).

(٣) مجموع الفتاوى، (١٣/٢٤٣).

بِأَنْوَاعِ الْمِحَالِ، وَالْحَيْدَةِ عَنْهُمَا بِالْقِيلِ وَالْقَالِ، مِمَّا لَمْ يُنَزِّلِ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ، وَلَا عَرَفَهُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ وَاللِّسَانِ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ عَاقِلٍ بِمَا يَقْتَضِيهِ مِنْ بُرْهَانٍ، وَلَا انْشَرَحَ لَهُ صَدْرُ مُوَحِّدٍ عَنْ فِكْرٍ أَوْ عِيَانٍ، فَقَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، وَأَحَاطَ بِهِ الْخِذْلَانُ، وَأَغْوَاهُ بِعِصْيَانِ الرَّحْمَنِ، حَتَّى كَابَرَ نَفْسَهُ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ"(١).

قال ابن أبي العز الحنفي: "وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّهُمْ قَدَّمُوهَا عَلَى نُصُوصِ الْوَحْيِ، وَعَزَلُوا لِأَجْلِهَا النُّصُوصَ، فَأَقْفَرَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ الِاهْتِدَاءِ بِالنُّصُوصِ، وَلَمْ يَظْفَرُوا بِالْعُقُولِ الصَّحِيحَةِ الْمُؤَيَّدَةِ بِالْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ وَالنُّصُوصِ النَّبَوِيَّةِ، وَلَوْ حَكَّمُوا نُصُوصَ الْوَحْيِ لَفَازُوا بِالْمَعْقُولِ الصَّحِيحِ، الْمُوَافِقِ لِلْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ"(٢).

إنهم حاولوا أن يتحرروا من السنة النبوية ففقدوا العلم الصحيح والعقل الرجيح، فأوقعهم ذلك في مزالق الانحراف في التفسير، فحمَّلوا القرآن في تفسيره ما لا تحتمله آياته من أقوال ومذاهب ونظريات هي أقرب إلى التعسف والتحريف منها إلى التفسير(٣).

فقد وضح من كتابات هؤلاء أنهم يتابعون أسلافهم من الملاحدة الباطنيين، الذين كانوا لَا يَرْجِعُونَ فِي قَوْلِهِمْ إِلَى آيَةٍ مِنَ التَّنْزِيلِ مُحْكَمَةٍ، وَلَا رِوَايَةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَحِيحَةٍ وَلَا سَقِيمَةٍ، فَهُمْ فِي الظُّلُمَاتِ يَخْبِطُونَ، وَفِي الْعَمْيَاءِ

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (٨/١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص٣٥٤.

(٣) ينظر: نحو منهج لتفسير القرآن، محمد الصادق عرجون، ص١٨-٢٠.

يَتَرَدَّدُونَ، وإنما عمدهم في ذلك عقولهم الضالة التي قدموها على نصوص الوحي، فهم في الظلمات يتخبطون، وفي بحر الغواية يسبحون(١).

وهذا هو مدخلنا إلى المزلق الثاني من مزالق إنكارهم السنة النبوية، وهو:

٢- أنهم بإنكارهم كون السنة النبوية أصلاً في التفسير قالوا في القرآن بغير علم.

من الأمور الـمُسَلّم بها أن من ترك الأدلة الشرعية، والأصول التفسيرية، ورفض الاعتماد عليها، فإن هذا سيؤول به إلى الاكتفاء برأيه، والعمل على تحكيمه في كتاب ربه، وهذا الأمر قد حذر منه العلماء، وهذا عين ما وقع فيه القرآنيون عندما ألقوا هذه الأصول وراء ظهورهم، وشرعوا في تأويل القرآن بالاعتماد على أهوائهم، فحرفوا الكلم عن مواضعه تارة، ولوّوا أعناق النصوص تارة أخرى؛ كي تعضد أقوالهم، وتوافق آراءهم، وهذا الأمر ذمه العلماء، وحرموه؛ لأنه قول على الله بلا علم، وقد تضافرت النصوص الشرعية من كتاب وسنة، وأقوال علماء الأمة على تحريمه، والوعيد الشديد على من تجرأ على ذلك؛ لأنه سبب الضلال والهوى، ومن تلك الأدلة:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]. فحرم الله على الخلق جميعًا بهذا الخبر أن يقولوا على الله مالا يعلمون، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَجْعَلَ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ

---

(١) ينظر: جامع البيان، (٩/٤٦٣).

كُتُبَهُ هُوَ الْحَقَّ الَّذِي يَجِبُ اتِّبَاعُهُ، فَيُصَدِّقُ بِأَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَمَا سِوَاهُ مِنْ كَلَامِ سَائِرِ النَّاسِ يُعْرَضُ عَلَيْهِ، فَإِنْ وَافَقَهُ فَهُوَ حَقٌّ، وَإِنْ خَالَفَهُ فَهُوَ بَاطِلٌ[(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، ففي الآية نهى الله الخلق جميعًا، فلم يحاش نبيًا مرسلاً ولا صديقًا ولا عبدًا مؤمنًا أن يقولوا ما لا يعلمون، فإذا نُهِيَ النَّبي ﷺ مع حكْمتِه وعِلْمِهِ وتوفيق اللَّهِ إيَّاهُ- أن يقول بما لا يعلم، فكيف سائر أمَّتِه والمسرفين على أنْفُسِهم[(٢)].

ومن الأحاديث الواردة في ذلك:

قوله ﷺ: (مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)[(٣)].

وقوله ﷺ: (مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ)[(٤)]، قال ابن كثير:

---

(١) ينظر: الحيدة والاعتذار، مرجع سابق، ص٤٩، إعلام الموقعين، (١/٣١)، شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٠١.

(٢) ينظر: الحيدة والاعتذار، ص٧٥، الفصل في الملل والنحل، (٥/٦٩)، معاني القرآن، الزجاج، (٣/٢٣٩)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/٧٤).

(٣) مسند الإمام أحمد، برقم، (٢٠٦٩)، (٣/٤٩٦)، سنن الترمذي، برقم، (٢٩٥٠)، (٥/١٩٩)، مصنف ابن أبي شيبة، برقم، (٣٠١٠١)، (٦/١٣٦)، مسند البزار، برقم، (٤٧٥٧)، (١١/٦١)، والحديث ضعفه الشيخ الألباني، ضعيف سنن الترمذي، برقم، (٥٦٩)، ص٣٥٩، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، برقم، (٥٧٣٧)، ص٨٢٧.

(٤) سنن أبي داود، برقم، (٣٦٥٢)، (٣/٣٢٠)، سنن الترمذي، برقم، (٢٩٥٢)، (٥/٢٠٠)، السنن الكبرى، النسائي، برقم، (٨٠٣٢)، (٧/٢٨٦)، والحديث ضعفه الشيخ الألباني، مشكاة المصابيح، برقم، (٢٣٥)، (١/٧٩)، ضعيف سنن الترمذي، برقم، (٥٧١)، ص٣٦٠.

"أيْ أخطأ؛ لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أُمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر، لكنه قد أخطأ لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهلٍ، فهو في النار، وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر"(١).

وللعلماء أقوال في ذلك، يذكر الباحث بعضاً منها:

ما قاله ابن جرير بعد عرضه لبعض الأحاديث التي تنهى عن القول في القرآن بغير علم، حيث قال رحمه الله: "وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ شَاهِدَةٌ لَنا عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَا، مِنْ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ الَّذِي لَا يُدْرَكُ عِلْمُهُ، إِلَّا بِنَصِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ بِنَصْبِهِ الدَّلَالَةَ عَلَيْهِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ الْقِيلُ فِيهِ بِرَأْيِهِ، بَلِ الْقَائِلُ فِي ذَلِكَ بِرَأْيِهِ، وَإِنْ أَصَابَ الْحَقَّ فِيهِ، فَمُخْطِئٌ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِهِ بِقِيلِهِ فِيهِ بِرَأْيِهِ؛ لِأَنَّ إِصَابَتَهُ لَيْسَتْ إِصَابَةَ مُوقِنٍ أَنَّهُ مُحِقٌّ، وَإِنَّمَا هُوَ إِصَابَةُ خَارِصٍ وَظَانٍّ، وَالْقَائِلُ فِي دِينِ اللَّهِ بِالظَّنِّ قَائِلٌ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ، وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ عَلَى عِبَادِهِ، فَقَالَ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. فَالْقَائِلُ فِي تَأْوِيلِ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُدْرَكُ عِلْمُهُ إِلَّا بِبَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ بَيَانَهُ، قَائِلٌ بِمَا لَا يَعْلَمُ، وَإِنْ وَافَقَ قِيلُهُ ذَلِكَ فِي تَأْوِيلِهِ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ مِنْ مَعْنَاهُ، لِأَنَّ الْقَائِلَ فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، قَائِلٌ عَلَى اللَّهِ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ"(٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/١١).

(٢) جامع البيان، (١/٧٢-٧٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد تبيّن بذلك أن من فسّر القرآن أو الحديث وتأوّله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مُفْتَرٍ على الله، ملحد في آيات الله محرّف للكلم عن مواضعه. وهذا فَتْحٌ لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام"(١).

وقال النووي: "ويحرم تفسيره بغير علم، والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها، والأحاديث في ذلك كثيرة، والإجماع منعقد عليه. وأما تفسيره للعالم فجائز حسن، والإجماع منعقد عليه.

فمن كان من أهل التفسير جامعاً للأدوات التي تعرف بها معناه، وغلب على ظنه المراد، فسّره إن كان مما يدرك بالاجتهاد كالمعاني والأحكام الخفية والجلية، والعموم والخصوص، والإعراب وغير ذلك، وإن كان مما لا يدرك بالاجتهاد، كالأمور التي طريقها النقل وتفسير الألفاظ اللغوية، فلا يجوز الكلام فيه إلا بنقل صحيح من جهة المعتمدين من أهله"(٢).

وقال الزركشي:"وَلَا يَجُوزُ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ وَالِاجْتِهَادِ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ"(٣).

وقال ابن عثيمين: "الواجب على المسلم في تفسير القرآن الكريم أن يُشعِرَ نفسه حين يُفسر القرآن بأنه مترجم عن الله–تعالى، شاهد عليه بما أراد من

---

(١) مجموع الفتاوى، (١٣/٢٤٣).

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن، ص١٦٥-١٦٦.

(٣) البرهان في علوم القرآن، (٢/١٦١).

كلامه فيكون معظماً لهذه الشهادة خائفاً من أن يقول على الله بلا علم، فيقع فيما حرم الله، فيخزى بذلك يوم القيامة"[١].

ونخلص من ذلك: أن منكري السنة قد دخلوا في التفسير وهم بعيدون عن أصوله وأدواته فوقعوا في المحاذير الجسيمة، ومنها القول على الله بغير علم، وهذا إثمه عظيم، وصاحبه مخطئ، قال القرطبي: "من قال فيه بما سنح في وهمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ، وإنَّ من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح"[٢].

٣- إحداث البلبلة والحيرة في ذهن المسلم:

إن من أبرز المخاطر التي نتجت عن إنكار كون السنة النبوية أصلاً في التفسير هو ما أحدثته هذه الفتنة من إثارة للبلبلة والحيرة في أذهان كثير من أبناء الإسلام، حيث وجدوا أنهم يقفون على أقوالٍ مخالفة لما عهدوه في كتب التفسير وأقوال العلماء الراسخين؛ فأدى ذلك الأمر عند من لا علم عنده، ولا معرفة إلى الحيرة والشك.

ولم يكن غريباً أن يصدر هذا النتاج عن هذا الفكر المنحرف الذي يسعى دائماً في كل مقالاته إلى زرع الشكوك والريب في كل مُسَلَّمةٍ من مُسَلَّمات الدين الإسلامي، بقصد تشويه صورة الإسلام، وصد الناس عن التقرب من القرآن، إنهم خرجوا على الناس بتأويلات باطلة، وتفسيرات غريبة عما عرفه

(١) أصول في التفسير، محمد بن صالح العثيمين، ص٢٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (١/٣٣).

المسلمون منذ زمن النبي ﷺ يقصدون من وراء ذلك"إحداث البلبلة في ذهن المسلم، فما إن يستقر المعنى الصحيح للآية القرآنية في ذهن المسلم حتى يسمع من مفسر يحسبه من علماء الأمة تفسيراً جديداً مخالفاً كل المخالفة لما استقر في ذهنه أولاً، وقد لا يستطيع بعضهم التفريق بين الحق والباطل"(١).

إن الناظر إلى فكر منكري السنة النبوية يجد أنهم عبارة عن مجرد نقلة للأفكار الهدامة الموجودة عند أصحاب الفرق والتيارات المنحرفة؛ أتوا بها ليروج لها في أوساط المسلمين بلباس آخر، ولم يكن عند حاملي هذا الفكر من العلم الشرعي، وصحة المعتقد، والورع الديني ما يردعهم عن فعالهم القبيحة، ورحم الله علماء الأمة حيث جعلوا من شروط المفسر "صِحَّةَ الاعتقاد أولاً، ولزومَ سنة الدين، فإن مَنْ كان مغموصاً عليه في دينه، لا يُؤْتَمَنُ على الدُّنْيا فكيف على الدين!. ثم لا يُؤْتَمَنُ مِنَ الدِّين على الإخبار عن عالم، فكيف يُؤتَمَنُ في الإخبار عن أسرار الله تعالى!. ولأنه لا يُؤْمَنُ إنْ كان مُتَّهماً بالإلحاد أن يبغي الفتنة، ويغر الناس بليِّه وخداعه، كدأب البَاطِنيَّة وغُلاة الرَّافِضَة. وإنْ كان متهماً بهوى لم يُؤْمَنْ أن يحملَه هواه على ما يوافق بِدْعَتَه، كدأب القَدَرِيَّة، فإنَّ أحدهم يُصَنِّفُ الكتابَ في التفسير، ومقصوده منه الإيضاع خلال المساكين، ليصدهم عن اتباع السلف، ولزوم طريق الهدى"(٢).

(١) تحريف المصطلحات القرآنية وأثره في انحراف التفسير، د. فهد الرومي، ص٨٧.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، (٤/٢٠٠-٢٠١).

وقال أحد العلماء[١]: "اتَّقُوا اللَّهَ؛ فَإِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ رَقَّ فِيهِ الْوَرَعُ، وَقَلَّ فِيهِ الْخُشُوعُ، وَحَمَلَ الْعِلْمَ مُفْسِدُوهُ، فَأَحَبُّوا أَنْ يُعْرَفُوا بِحَمْلِهِ، وَكَرِهُوا أَنْ يُعْرَفُوا بِإِضَاعَتِهِ، فَنَطَقُوا فِيهِ بِالْهَوَى، لَمَّا أَدْخَلُوا فِيهِ مِنَ الْخَطَإِ، وَحَرَّفُوا الْكَلِمَ عَمَّا تَرَكُوا مِنَ الْحَقِّ إِلَى مَا عَمِلُوا بِهِ مِنْ بَاطِلٍ، فَذُنُوبُهُمْ ذُنُوبٌ لَا يُسْتَغْفَرُ مِنْهَا، وَتَقْصِيرُهُمْ تَقْصِيرٌ لَا يُعْتَرَفُ بِهِ، كَيْفَ يَهْتَدِي الْمُسْتَدِلُّ الْمُسْتَرْشِدُ إِذَا كَانَ الدَّلِيلُ حَائِرًا؟"[٢].

إن صيرورة التفسير إلى أمثال هؤلاء مما يفسد الدنيا والآخرة، فهم ليسوا من أهله، قرؤوا عنه قليلاً، ونذروا أنفسهم ليكون مرجعاً للمسلمين فيه بدون أساس علمي، وبصر شرعي، وصدق من قال: "أَكْثَرُ مَا يُفْسِدُ الدُّنْيَا: نِصْفُ مُتَكَلِّمٍ، وَنِصْفُ مُتَفَقِّهٍ، وَنِصْفُ مُتَطَبِّبٍ، وَنِصْفُ نَحْوِيٍّ، هَذَا يُفْسِدُ الْأَدْيَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ الْبُلْدَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ الْأَبْدَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ اللِّسَانَ"[٣].

فهذا إفساد صاحب النصف، فكيف بمن هو خالي الوفاض من العلوم الضرورية لفهم كلام رب البرية، ممن لم يعرف عنه -أصلاً- أنه ينسب إلى هذا العلم؟ بل نسبته إلى علوم لا صلة بها بهذا العلم أشهر، كالهندسة والطب والزراعة، وغيرها.

والخلاصة: أن هؤلاء بتغييبهم السنة النبوية العاصمة للمسلمين من الضلال،

---

(١) هو: عَبَّادِ بْنِ عَبَّادٍ الْخَوَّاصِ الشَّامِيِّ.

(٢) سنن الدارمي، برقم، (٦٧٥)، (٥٠٦/١).

(٣) مجموع الفتاوى، (١١٩/٥).

يهدفون إلى إحداث الحيرة في عقول أبناء الأمة، بما يأتون به في تفاسيرهم من عجائب تنفِرُ عنها النفوس، ويأباها القرآن أشد الإباء، إنها حرب حقيقية لكتاب الله، أرادوا بها صرف كل من يقرأ تفسيراً من التفاسير عما يريده الله في كتابه هداية البشر إلى حكايات وأقوال باطلة، وتفسيرات تستهوي الضعفاء من العلم الشرعي، فتصد الناس عن الفهم السليم لكتاب الله، وما أراده من خلقه في كتابه(١).

٤- عزل الرسول ﷺ عن مهمة البيان.

أنزل الله ﷻ القرآن هداية للناس في أمور دينهم ودنياهم، وقد وكل الله–تعالى–نبيه الكريم محمداً ﷺ أن يبلغ القرآن للناس، وأن يبين لهم بقوله وفعله ما يحتاج إلى بيان، فكانت هذه المهمة لرسول الله ﷺ من ربه ﷻ عينه فيها، وأمره بالقيام بها شرحاً وتبييناً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤].

وهو -عليه الصلاة والسلام- إذ يبين للناس كتاب الله لا يصدر عن نفسه، ولكنه يتبع ما يوحي إليه من ربه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ – ٤].

وعليه، فمن البدهي أن الشرح والبيان هو شيء زائد على التلاوة، وتكون للرسول ﷺ مهمتان، البلاغ والبيان، وكلاهما قام به الرسول ﷺ على أكمل

---

(١) ينظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية، (٢/٦٩٤)، الإسلام والدعوات الهدامة، أنور الجندي، ص٢٣٦.

وجه(١).

بيد أن منكري السنة النبوية أنكروا أن تكون سنة الرسول ﷺ مبينة للقرآن، وأرادوا بذلك تجريد الرسول ﷺ عن هذه الوظيفة الجليلة، وعزله عن موجب رسالته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وهذا مناقض لما أوجبه الرسول من الإيمان بأخباره، وأنه في الحقيقة عزل للرسول عن موجب رسالته"(٢).

إنَّ عزل الرسول ﷺ عن هذه الوظيفة مخالف للمنهج الحق، من عدة وجوه، أهمها:

١-أنه مخالف لأصول الإسلام المقررة عند علماء الإسلام، قال الإمام أحمد رحمه الله: "الأصول أربعة: دالٌّ ودليل ومبيِّن ومستدل، فالدالّ هو الله، والدليل هو القرآن، والمبيِّن الرسول، ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، والمستدِل هم أولوا العلم، وأولوا الألباب الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم"(٣).

٢-أن بيانه ﷺ أكمل بيان وأتمه؛ فهو أعلم الناس بكتاب ربه جملة

---

(١) ينظر: دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، (١/١٢)، الحديث والمحدثون، محمد أبو زهو، ص٣٧-٣٨، مفاتيح للتعامل مع القرآن، د. صلاح الخالدي، ص١٣٠، السنة النبوية وعلومها، د. أحمد عمر هاشم، ص٣٠، معالم على طريق السنة، د. أحمد عمر هاشم، ص٢١، دراسة أصولية في السنة النبوية، محمد الحفناوي، ص٤٥.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، (٥/٣٤٥).

(٣) النبوات، ابن تيمية، (١/٢٤٨)، طريق الوصول إلى العلم المأمول، مرجع سابق، ص٨٦.

وتفصيلاً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الرسول أعلم الخلق بالحق، وأقدر الناس علي بيان الحق، وأنصح الخلق للخلق؟ وهذا يوجب أن يكون بيانه للحق أكمل من بيان كل أحد"(١).

٣- أنه أول مفسر للقرآن، وخير من يمكن أن يفسر القرآن، وأحق من يرجع إليه في بيانه؛ لأنه عاش بالقرآن عملياً، وكان يحرص على أن يلتزم توجيهاته وأحكامه، فكان هو بسيرته أول مفسر للقرآن(٢).

٤-أن لبيانه ﷺ مزية أخرى غير ما سبق، وهي كونه صواباً لا يتطرق إليه الغلط، وحقاً لا يطرأ عليه الخطأ، ثم إن له من الوضوح والسهولة ما ليس لغيره، فوجب تقديمه، ولزم قبوله، فإذا ثبت عنه تفسير في آية من الآيات فلا قول لأحد مع قوله، ولا رأي لأحد مع قوله ﷺ(٣)، قال ابن تيمية رحمه الله: "ومما ينبغي أن يعلم: أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث، إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم"(٤).

٥- ومنها، أن من الآيات القرآنية ما لا سبيل إلى فهمها، وإدراك معانيها

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، (٢٣/١)، وينظر: الرد على المنطقيين، ص٢٥١، مجموع الفتاوى، (٢١٠/٩).

(٢) ينظر: مفاتيح للتعامل مع القرآن، ص١٣٠، محاضرات في علوم القرآن، د. غانم قدوري، ص١٦٥، التفسير المأثور، د. جمال النجار، ص٩٣.

(٣) ينظر: أسباب الخطأ في التفسير، (٥٧/١).

(٤) مجموع الفتاوى، (٢٨٦/٧)، الإيمان، ابن تيمية، ص٢٢٤.

إلا عن طريق رسول الله ﷺ، قال ابن جرير رحمه الله: "فَقَدْ تَبَيَّنَ بِبَيَانِ اللَّهِ-جَلَّ ذِكْرُهُ-أَنَّ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ، عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ مَا لَا يُوصَلُ إِلَى عِلْمِ تَأْوِيلِهِ، إِلَّا بِبَيَانِ الرَّسُولِ ﷺ وَذَلِكَ تَأْوِيلُ جَمِيعِ مَا فِيهِ، مِنْ وجُوهِ أَمْرِهِ: وَوَاجِبِهِ، وَنَدْبِهِ، وَإِرْشَادِهِ وَصُنُوفِ نَهْيِهِ، وَوَظَائِفِ حُقُوقِهِ، وَحُدُودِهِ، وَمَبَالِغِ فَرَائِضِهِ، وَمَقَادِيرِ اللَّازِمِ بَعْضَ خَلْقِهِ لِبَعْضٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ آيِهِ، الَّتِي لَمْ يُدْرَكْ عِلْمُهَا إِلَّا بِبَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأُمَّتِهِ. وَهَذَا وَجْهٌ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ الْقَوْلُ فِيهِ، إِلَّا بِبَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِتَأْوِيلِهِ، بِنَصٍّ مِنْهُ عَلَيْهِ، أَوْ بِدَلَالَةٍ قَدْ نَصَبَهَا دَالَّةً أُمَّتَهُ عَلَى تَأْوِيلِهِ"[١].

وثمة أمرٌ آخر، ينبغي أن يعلم "أَنَّ عُلُومَ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: عِلْمٌ لَمْ يُطْلِعِ اللَّهُ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ مَا اسْتَأْثَرَ بِهِ مِنْ عُلُومِ أَسْرَارِ كِتَابِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ كُنْهِ ذَاتِهِ وَغُيُوبِهِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ الْكَلَامُ فِيهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ إِجْمَاعًا.

الثَّانِي: مَا أَطْلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ نَبِيَّهُ مِنْ أَسْرَارِ الْكِتَابِ وَاخْتَصَّهُ بِهِ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ الْكَلَامُ فِيهِ إِلَّا لَهُ ﷺ أَوْ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ... الثَّالِثُ: عُلُومٌ عَلَّمَهَا اللَّهُ نَبِيَّهُ مِمَّا أَوْدَعَ كِتَابَهُ مِنَ الْمَعَانِي الْجَلِيَّةِ وَالْخَفِيَّةِ وَأَمَرَهُ بِتَعْلِيمِهَا"[٢].

وأخيراً، فإنه لا يمكن الاستغناء عن البيان النبوي، ولا يمكن فصل الكتاب عن صاحبه وحامله إلى أمته إلا بإنكار الكتاب نفسه، لذا قال الشافعي رحمه

---

(١) جامع البيان، (١/٦٨)، وينظر منه: (١/٨٢) ، (١/٨٨).

(٢) الإتقان في علوم القرآن، (٤/٢٢٠).

الله: "فكل من قَبِل عن الله فرائضه في كتابه، قبل عن رسول الله سننه، بفرض الله طاعة رسوله على خلقه، وأن ينتهوا إلى حكمه. ومن قبل عن رسول الله فعن الله قبل، لما افترض الله من طاعته. فيجمع القبولُ لما في كتاب الله ولسنة رسول الله، القبولَ لكل واحد منهما عن الله، وإن تفرقت فروع الأسباب التي قبل بها عنهما"(١).

٥- تحويل التفسير عن مساره الصحيح:

لم يكن المنهج التفسيري عند القرآنيين يسير على منهج أئمة التفسير المستمد من أصول التفسير المعتبرة، بل كان يختلف اختلافاً كلياً، فقد سلك أصحابه طريقاً معوجاً، ومساراً منحرفاً، حيث رفضوا تلك الأصول التي قامت عليها التفاسير، وأخذوا يحكِّمون عقولهم، ويستمدون أفكارهم في تفسير كتاب الله من الأفكار التي أشربتها عقولهم، وتحكمت في نفوسهم من تأويلات الفرق المنحرفة، كالباطنية والمعتزلة، والآراء الضالة المستمدة من الثقافات الغربية كالعلمانية والماركسية.

لقد سعى القوم جاهدين إلى تحويل التفسير عن مساره الصحيح، وتكدير مشاربه، فأتوا بتأويلات جديدة، وأقوال مريضة، وأفكار خبيثة لا تتفق مع مدلولات الآيات القرآنية، وتتصادم مع الأحكام الشرعية الواردة في الكتاب والسنة.

إنهم يهدفون إلى إدخال القيم المنحرفة التي يؤمنون بها، ويحاول تغطية هذا

---

(١) الرسالة، ص٣٢.

بحجج واهية، ودعاوى زائفة، كالدعوة إلى التجديد، ومسايرة روح العصرية، لقد حولوا التجديد عن مساره الذي عرفه أهل الإسلام على مر العصور، وقامت بعرض أفكار للتجديد بعيدة عن المنهج الإسلامي السويّ، وقامت بنشر مقالات فيها كثير من المغالطات كما يحلو لها، ودعت في مقالاتها إلى تجديد أصول التفسير، وأصول الفقه، وأصول الحديث، وتجديد العلوم الإسلامية، لا بطريقة عرض تلك العلوم عرضاً سهلاً وإيجاد الأحكام الشرعية لمواجهة المستجدات، وإنما انصبت الدعوة على تغيير الأفكار الإسلامية، وتغيير أصول العلوم الإسلامية، وعابوا اعتماد المسلمين على التفاسير السلفية التي أنتجها الأئمة العدول، وزعموا أنها تفاسير تاريخية أنتجتها العقلية المعرفية الصحراوية، التي لا تناسب العصور الحديثة، وقالوا عنها: إنها بليت وذهبت مع أهلها، وقالوا: إنه يجب على المسلمين المعاصرين أن يأتوا بأفكار جديدة، وأصول جديدة للتفسير والعلوم الإسلامية تناسب المسلم المعاصر[١].

لقد جنت هذه الدعوة إلى العصرية الحديثة على "الأمة الإسلامية جناية كبيرة؛ فقد اتخذها دثارًا كل من أراد أن يغير في الدين ويدخل فيه ما ليس منه!! فقطع يد السارق، وتعدد الزوجات، والربا، ورجم الزاني المحصن، وجلد شارب الخمر.. و.. و... إلخ، كلها أمور لا تناسب العصر الحديث؛ فلتُغيّرْ ولتُبدّلْ، فلا تقطع يد السارق حتى تتعدد سرقاته، ويقيد تعدد الزوجات بشروط ثقيلة لا

---

(١) ينظر: مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين، د. محمود الطحان، ص٤-٥.

يستطيعها أحد، بل ليختصر الأمر فيمنع التعدد، أما الربا فالمراد به الربا الفاحش؟! أما رجم الزاني المحصن فلم يرد في الكتاب؟! كلها أمور بزعمهم تتنافى مع العصر الحديث.

وبهذا يكون هذا الأسلوب مطية يركبها الناصح الجاهل والملحد الخبيث، وهو أمر ما زالت الأمة الإسلامية تعاني منه"(١).

٦- فساد عقولهم:

إضافة إلى المزالق السابقة، ثمة أمر هام، وهو أن من حكمة الله ﷻ في خلقه إفساد عقول من خالفوا رسله، فكلما كان الرجل عن الرسل أبعد كان عقله أقل وأفسد، ولذلك كان أكمل الناس عقولاً أصحاب الرسل، وأفسدهم عقولاً المعرضين عنهم، وعما جاءوا به، ولهذا كان أهل السنة والحديث أعقل الأمة، وهم في الطوائف كالصحابة في الناس(٢).

ومن أعظم معصية العقل إعراضه عن تفسير رسول الله ﷺ فأي فساد أعظم من فساد هذا العقل، إذ قدم تفسيره على تفسير رسول الله ﷺ المؤيد بالوحي، الذي أخبر عنه تعالى بقوله:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: ٣ – ٤]، ورحم الله ابن القيم عندما قال: "مَا عَارَضَ أَحَدٌ الْوَحْيَ بِعَقْلِهِ إِلَّا أَفْسَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَقْلَهُ حَتَّى يَقُولَ: مَا يُضْحِكُ الْعُقَلَاءَ"(٣).

---

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (١١٤١/٣).

(٢) موقف المدرسة العقلية الحديثة من السنة النبوية، (٨٥/١).

(٣) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، (١٠٠٢/٣) مختصر الصواعق، ص١٥٨.

ومن هنا كان لإعراضهم عن البيان النبوي أن جنوا على عقولهم فأفسدوها؛ وأتوا في أقوالهم وتفسيرهم للقرآن ما يعجب منه العقلاء، ويكفي هنا أن نذكر بعض تفسيراتهم؛ لتوضيح ذلك، فهذا شحرور، يقول في تفسير الشرك: "فالشرك بتعريفه العام:"هو الثبات في هذا الكون المتحرك"، إنكاراً لقانون التسبيح ووقوف ضد التطور، وهذا شرك الربوبية، وتثبيت لتشريع غير الله، وهذا شرك الألوهية، كتثبيت مذهب أو مذاهب فقهية معينة، وعدم تطوير التشريع بشكل عام؛ لكي يتناسب مع الشروط الموضوعية المتطورة دائماً،....،فسكونية الفكر والفقه والتفسير هي من أول مظاهر الشرك الخفي عند العرب، حيث إنهم أعطوا الموروث صفة المطلق، وأكبر مظاهر الشرك قاطبة هو سكونية الفكر. فالتخلف شرك، والتقدم توحيد، أي: إن الإنسان المسلم حتى يبتعد عن الشرك فعليه أن ينكر ظاهرة الثبات في الأشياء، وفي المجتمعات، وفي القوانين التشريعية، ويجب أن يؤمن أن كل شيء متحرك، ما عدا العبادات والحدود في شكلها ومحتواها، والأخلاق في محتواها التي تشكل الصراط المستقيم(الثابت). وأن أي ظاهرة أو قانون يعيق التطور والتقدم فعلى المسلم أن يكافحها بشدة، ويحنف عنهما، فلا ثوابت في المجتمعات، وفي الدول، وفي القانون، وفي السياسة؛ لأنه حيث نثبت فإننا نقع في الشرك والظلم"(١).

قال عبد الرحمن الميداني في رده عليه: "أقول: حين كتب هذه المقولة وتوابعها هل كان في حالة صحو من سكر، أو جنون، أو غيبوبة مخدرات؟!!

---

(١) الكتاب والقرآن، ص٤٩٦-٤٩٧.

ما علاقة الشرك بالثبات؟! وما علاقة التوحيد بالتطور؟! عقلياً أو لغوياً أو خيالياً أو وهمياً؟!!

ما هذه العبقرية الشاذة المتجاوزة حدود المعقول؟!!

كيف يكون الثبات على نظام رباني واحد أنزله الله في كتابه لنعمل به في حياتنا ومعاملاتنا وسياستنا واقتصادنا شركاً في عبادته؟!!

وكيف يكون التطور في تعديل أحكام الله وتبديلها كل حقبة من الزمن- كل سبع سنوات كما ذكر- هو التوحيد؟!!

ألم يخش لدى إطلاقه هذه المقولة أن يسخر منه تلاميذه الذين يدرسهم في المدارس الإعدادية والثانوية؟!

ألم يخف أن يقولوا: لقد جُنَّ الرجل وفقد كل عقله، فعلى أهل الرشد أن يضعوه في مستشفى المرضى بعقولهم وأدمغتهم"[١].

أليس من الدليل على فساد عقولهم حجرهم على الرسول ﷺ البيان للقرآن، ونزولهم إلى هذا الميدان، بدون أصول ولا قواعد تنير لهم طريق الوصول إلى معرفة القرآن.

ومن فساد عقولهم أنهم زعموا أن الرسول ﷺ لا يطلعه الله على الغيب[٢]، مع وجود الأدلة في القرآن على ذلك، غير أن بعضهم يزعم أن الله أطلعه على الغيب بعد معرفته للقرآن، قال مصطفى المهدوي:"ويحدثنا الله ﷻ أنه ينبغي لنا

---

(١) التحريف المعاصر في الدين، عبد الرحمن الميداني، ص٢٠٤.

(٢) ينظر: القرآن وكفى، ص٥١، نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، ص١٥٦، ص٢٠٢.

أن نعلم الكتاب علم اليقين، وأننا إذا بلغنا هذه الدرجة فسوف نرى كل غيب علمه الله لنا رأي العين..حتى لنرى نهاية المكذبين من قبل أن نراهم في الآخرة"[١].

ومما يبين فساد عقولهم ما زعمه محمد شحرور من أن الناسخ والمنسوخ في حقل الحلال هو من مهمة البرلمانات، واعتبرها المفهوم المعاصر للسنة النبوي، فقال: "بينما مفهوم السنة النبوية الحقيقي فإن الناسخ والمنسوخ في حقل الحلال هو مهمة البرلمانات في كل دول العالم، فهي التي تشرع ثم تلغي أو تعدل، وهذا ما فعله النبي. أي أن الاستفتاءات والبرلمانات هي المفهوم المعاصر للسنة النبوية"[٢].

ومن فساد عقولهم إباحتهم للمرأة أن تؤم الرجال في الصلاة، وكأنهم بعيدون كل البعد عن ما يحدثه ذلك من فتن، ومخالفة شرعية لما ورد في النهي عن اختلاط الرجال بالنساء في الأماكن العامة، فكيف تجعل المرأة إماماً للرجال، وهم يصلون خلفها[٣].

---

(١) البيان بالقرآن، (٥٣/١).

(٢) نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، ص١٥٢.

(٣) ينظر: كتاب جمال البنا، جواز إمامة المرأة للرجال.

المبحث الثاني
إهمال الأدلة الصحيحة في تفسير الآيات القرآنية

تعد أصول التفسير النقلية بأقسامها الأربعة، القرآن الكريم، السنة النبوية، أقوال الصحابة، والتابعين، الأدلة الصحيحة، والأهم الذي تستقي منه صحاح التفاسير أدلتها، وهذا هو المنهج القويم الذي يسير عليه المفسرون من أهل السنة والجماعة؛ لعلمهم أن الرسول ﷺ تركهم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، والمحجة البيضاء تتضح بتفسير القرآن بالقرآن، والسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، كما شهد لهم الله ﷻ ورسوله الكريم ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال رسول الله ﷺ: (خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،....، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ)(١).

ومن خلال الآية والحديث يتبين فضل علم هؤلاء، ومزية فهم السابقين عن اللاحقين، وهذا ما جعل علماء أهل السنة يتمسكون بأقوالهم، ويعضون عليها بالنواجذ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكان من أعظم ما أنعم الله عليهم -يعني: أهل السنة- اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها

---

(١) صحيح البخاري، برقم، (٦٠٦٤)، (٥/٢٣٦٢).

بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده؛ فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم"[١].

وقال الشاطبي: "فَإِنَّ السَّلَفَ الصَّالِحَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ يَلِيهِمْ كَانُوا أَعْرَفَ بِالْقُرْآنِ وَبِعُلُومِهِ وَمَا أُودِعَ فِيهِ"[٢].

لقد أرسى علماء المسلمين للتفسير أصولاً راسخة، ورسموا له منهجاً علمياً متميزاً؛ لتكون سبيلاً لمن يريد الاسترشاد، ومعرفة ما يريده الله -تعالى- من العباد، بأوضح برهان، وأقرب الطرق لمعرفة معاني القرآن، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فَمَنْ بَنَى الْكَلَامَ فِي الْعِلْمِ -الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ- عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْآثَارِ الْمَأْثُورَةِ عَنْ السَّابِقِينَ فَقَدْ أَصَابَ طَرِيقَ النُّبُوَّةِ، وَكَذَلِكَ مَنْ بَنَى الْإِرَادَةَ وَالْعِبَادَةَ وَالْعَمَلَ وَالسَّمَاعَ الْمُتَعَلِّقَ بِأُصُولِ الْأَعْمَالِ وَفُرُوعِهَا مِنْ الْأَحْوَالِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْأَعْمَالِ الْبَدَنِيَّةِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ وَالْهَدْيِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فَقَدْ أَصَابَ طَرِيقَ النُّبُوَّةِ وَهَذِهِ طَرِيقُ أَئِمَّةِ الْهُدَى"[٣].

إن الاعتماد على الأصول الصحيحة، والأدلة الصريحة، والاعتناء بها من أوجب واجبات علماء الأمة، فهي تمثل اللبنة الأساس لسلامة التفسير من

---

(١) مجموع الفتاوى، (٢٨/١٣).

(٢) الموافقات، (١٢٧/٢).

(٣) مجموع الفتاوى، (٣٦٣/١٠).

الانحراف، فالدليل الصحيح يعصم صاحبه من الزلل، ويقيه من الوقوع في الخطأ والخلل، وفيه الكفاية لمن همه بلوغ الحق وبه اشتغل، قال ابن رجب: "فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها، والتقيد في ذلل بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث،....، والاجتهاد عَلَى تمييز صحيحه من سقيمه أولاً، ثم الاجتهاد عَلَى الوقوف عَلَى معانيه وتفهمه ثانيًا، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع عني واشتغل"(١).

وحيث إن الأدلة الصحيحة لها مترلتها في الوصول إلى الحق، وهي من الأسس المنهجية التي تثبت به الأحكام ويعتمد عليه في التفسير، وهي -أيضاً- معيار لقبول التفسير أو رده، فقد أجمع أئمة أهل العلم أن الاستدلال بالأدلة غير الصحيحة لا يجوز، قال ابن تيمية: "فإن الِاسْتِدْلَالَ بِمَا لَا تُعْلَمُ صِحَّتُهُ لَا يَجُوزُ بِالِاتِّفَاقِ، فَإِنَّهُ قَوْلٌ بِلَا عِلْمٍ، وَهُوَ حَرَامٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ"(٢).

وانطلاقاً من هذا يمكن القول: إن الناظر فيما كتبه منكرو السنة في تفسير آيات من القرآن الكريم، يلحظ بكل بساطة أنهم أهملوا الأدلة الصحيحة، بل ورفضوها، واعتمدوا على آرائهم، وأخذوا يفسرون القرآن تبعاً لأهوائهم، فكانت النتيجة المتوقعة عند ذلك ظهور الانحراف في أقوالهم، وغياب المنهجية العلمية في تفاسيرهم.

---

(١) فضل علم السلف على الخلف، ص٣٥.

(٢) منهاج السنة النبوية، (١٦٨/٧).

وهكذا نرى أنَّ عدم إدراك هذه الحقيقة البدهية التي أدركها علماء الأمة؛ ينتج عنه عواقب وخيمة في تفسير الآيات القرآنية الكريمة، لعل من أخطرها حجب المتلقين عن هدايات القرآن، وصرفهم إلى متاهات التأويلات الباطلة التي أنتجها أصحاب هذا الفكر المنحرف، وهو-أيضاً- يولد الاختلاف والتضارب بين التفاسير، ومن ثم يؤدي إلى الشك والاضطراب لدى كثير من المتلقين، مما قد يؤدي إلى التطاول على الدين وكتابه الكريم.

وتوضيحاً لهذا نعرض لبعض الآيات التي أهملوا الأدلة الصحيحة عند تفسيرهم لها:

١ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧].

قال محمد أبو زيد في تفسيرها: " (ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ) المعاندين الذين يكرهون الحق، (ٱلضَّآلِّينَ) التائهين عن الحق"(١).

وهذا تأويل مخالف للأدلة الصحيحة، فقد ثبت من خلال النصوص الصريحة، والأدلة الصحيحة من السنة، وأقوال الصحابة والتابعين، أن المراد بـ(ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ): اليهود، و(ٱلضَّآلِّينَ): النصارى. وجاء ذلك مفسرًا عن النبي ﷺ في حديث عدي بن حاتم(٢) وقصة إسلامه، قال عدي: قال لي رسول الله ﷺ : (إِنَّ

(١) الهداية والعرفان، ص٢.

(٢) عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي، أبو وهب، وأبو طريف: أمير، صحابي، من الأجواد العقلاء. كان رئيس طيئ في الجاهلية والإسلام. كان إسلامه سنة(٥٩)، وقيل غير ذلك، شهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة، توفي سنة(٥٦٨). ينظر: معجم الصحابة، (٢/٢٩٢)، معرفة الصحابة، =

الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ، وإِنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى)[1].

وحديث عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَقِيقٍ[2]: (أَنَّهُ أَخْبَرَهُ مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ بِوَادِي الْقُرَى، وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْقَيْنِ[3]، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ، وَأَشَارَ إِلَى الْيَهُودِ، وَالضَّالُّونَ هُمُ النَّصَارَى)[4].

وبه قال: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وناس من الصحابة[5]،

=

(٢١٩٠/٤)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (١٠٥٧/٣).

(١) مسند الإمام أحمد، برقم، (١٩٣٨١)، (١٢٣/٣٢)، صحيح ابن حبان، (٦٢٤٦)، (١٤٠/١٤)، والحديث صحيح، ينظر: السلسلة الصحيحة، برقم، (٣٢٦٣)، (٧٨١/٧).

(٢) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيُّ، الْبَصْرِيّ، تابعي، روى عن عائشة، وعمر بن الخطاب، وأبو هريرة، وغيرهم ﭫ، وَتُوُفِّيَ سنة(١٠٨ه) . ينظر: الطبقات الكبرى، (٩٠/٧)، التاريخ الكبير، (١١٦/٥)، الجرح والتعديل، (٨١/٥).

(٣) بني القين: قبيلة كبيرة من قضاعة، يُنسبون إلى القين بن جسر، وهو جد جاهلي، اشتهر بلقبه(القين)، والنسبة إليه(قينيّ)، نسله بطون كثيرة. ينظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، (٤٥٤/٢)، فتح الباري، ابن حجر،(٧٤/٨)، مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، بدر الدين العينى، (٤٤٣/٢)، الأعلام، (٣٧/٨).

(٤) مسند الإمام أحمد، برقم، (٢٠٣٥١)، (٤٦٠/٣٣)، وعبد الرزاق في تفسيره، (١٥٦/١)، وابن جرير الطبري في تفسيره، (١٨٧/١)، والحديث صحيح، ينظر: السلسلة الصحيحة، برقم، (٣٢٦٣)، (٧٨١/٧).

(٥) ينظر: جامع البيان، (١٨٨/١)، (١٩٦/١).

ومجاهد بن جبر(١)(٢)، والربيع بن أنس(٣)(٤)، وعبد الرحمن بن زيد(٥)(٦).

وهو اختيار ابن جرير الطبري، حيث قال: "فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: فَمَنْ هَؤُلَاءِ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ أَمَرَنَا اللَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِمَسْأَلَتِهِ أَنْ لَا يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ؟

قِيلَ: هُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فِي تَنْزِيلِهِ، فَقَالَ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: ٦٠]، فَأَعْلَمَنَا -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِمَنِّهِ مَا أَحَلَّ بِهِمْ مِنْ عُقُوبَتِهِ بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، ثُمَّ عَلَّمَنَا، مِنَّةً مِنْهُ عَلَيْنَا، وَجْهَ السَّبِيلِ إِلَى النَّجَاةِ، مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِنَا مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ، وَرَأْفَةً مِنْهُ بِنَا.

---

(١) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكيّ، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة، ولد سنة (٥٢١). قال الذهبي: الإمام، شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، استقر في الكوفة، ومات بمكة، وهو ساجد سنة (٥١٠٤). ينظر: الكنى والألقاب، الإمام مسلم، (٢٦٢/١)، مشاهير علماء الأمصار، ص١٣٣، سير أعلام النبلاء، (٤٤٩/٤).

(٢) ينظر: جامع البيان، (١٨٩/١)، (١٩٥/١).

(٣) الربيع بن أنس بن زياد البكري، سكن مرو، سَمِعَ: أَنَسَ بنَ مَالِكٍ، وَأَبَا العَالِيَةِ الرِّيَاحِيَّ- وَأَكْثَرَ عَنْهُ- وَالحَسَنَ البَصْرِيَّ، وَكَانَ عَالِمَ مَرْوَ فِي زَمَانِهِ، قال الذهبي: "يُقَالُ: تُوُفِّيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلاَثِيْنَ وَمائَةٍ". ينظر: الثقات، لابن حبان، (٣٠٠/٦)، مشاهير علماء الأمصار، ص٢٠٣، سير أعلام النبلاء، (١٧٠/٦).

(٤) ينظر: جامع البيان، (١٨٩/١)، (١٩٦/١).

(٥) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ العُمَرِيُّ، المَدَنِيُّ، كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَاحِبَ قُرْآنٍ وَتَفْسِيْرٍ، جَمَعَ تَفْسِيْراً فِي مُجَلَّدٍ، وَكِتَاباً فِي النَّاسِخِ وَالمَنْسُوْخِ، وَحَدَّثَ عَنْ: أَبِيْهِ، وَابْنِ المُنْكَدِرِ، توفي(٥١٨٢). ينظر: سير أعلام النبلاء، (٣٤٩/٨)، لسان الميزان، (٢٨٠/٧)، تهذيب التهذيب، (١٧٧/٦).

(٦) ينظر: جامع البيان، (١٨٩/١)، (١٩٦/١).

فَإِنْ قِيلَ: وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُمْ أُولَاءِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ وَذَكَرَ نَبَأَهُمْ فِي تَنْزِيلِهِ عَلَى مَا وَصَفْتَ؟ قِيلَ:..."(١)، ثم ذكر الأدلة من السنة التي سبق ذكرها.

وقال ابن أبي حاتم: "وَلا أَعْلَمُ بَيْنَ الْمُفَسِّرِينَ فِي هَذَا الْحَرْفِ اخْتِلافًا"(٢).

وقال القرطبي: "الجمهور أن المغضوب عليهم اليهود، والضالين النصارى، وجاء ذلك مفسرًا عن النبي ﷺ في حديث عدي بن حاتم وقصة إسلامه،.....، وقيل: المغضوب عليهم: باتباع البدع، والضالين: عن سنن الهدى. قلت: وهذا حسن، وتفسير النبي ﷺ أولى وأعلى وأحسن"(٣).

وقال الشوكاني، بعد إيراده لحديث عدي المتقدم: "وَالْمَصِيرُ إِلَى هَذَا التَّفْسِيرِ النَّبَوِيِّ مُتَعَيِّنٌ، وَهُوَ الَّذِي أَطْبَقَ عَلَيْهِ أَئِمَّةُ التَّفْسِيرِ مِنَ السَّلَفِ"(٤).

قال د. محمد الخضيري: "هذا إجماع صحيح، دل عليه نصٌّ حديث عدي، وجملةٌ من الآيات المبينة أن الغضب من أخصِّ أوصاف اليهود، وأن الضلال من أخص أوصاف النصارى"(٥).

٢- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر: ٨٧].

قال مصطفى المهدوي: "الفاتحة من القرآن العظيم، وبتتريله على قلبه ﷺ

(١) جامع البيان، (١/١٨٥- ١٨٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (١/٣١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (١/١٤٩-١٥٠).

(٤) فتح القدير، (١/٣٠).

(٥) الإجماع في التفسير، د. محمد الخضيري، ص١٤١.

أصبح رسولاً، وهو من قبل أن يقضى إليه وحيه بشراً سوياً، بالسبع المثاني، وهي:العينين، والأذنين، واليدين، والرئتين، والكليتين، واللوزتين، والرجلين، فهو ﷺ بشر بالسبع المثاني، كان يسمع ويرى بعينين وأذنين، يأخذ ويعطي بيدين كريمتين، يتنفس برئتين، ويتقدم ويتأخر برجلين طاهرتين، وهو ﷺ رسول بالقرآن العظيم من سورة الفاتحة إلى سورة الناس..فتلك السبع المثاني، وذلك هو القرآن العظيم"(١).

وقال عدنان الرفاعي: "وهكذا نرى أن الله-تعالى-أعطى رسوله ﷺ والعقل البشري القدرة على الغوص في أعماق النص القرآني سبع درجات؛ لاستنباط السنَّة من أعماق القرآن الكريم، هذا ما نقرؤه بشكل جلي في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر: ٨٧].إذاً، جزئيات الكليات التي يحملها القرآن الكريم، تكمن في العمق المتشابه الباطن للقرآن الكريم، كشعائر العبادات وغيرها، حيث مهمة السنة استخراجها من أعماق النص القرآني، فالله أعطى رسوله ﷺ القدرة على الغوص في الأعماق الباطنة للقرآن الكريم سبع درجات، يرفع بها سبعةَ أغطية من أغطية الأعماق الباطنة فيه، ليرى الأحكام الكامنة في تلك الأعماق ويستخرجها سنة للناس"(٢).

وقال محمد شحرور:" لقد عطف القرآن على السبع المثاني، فهذا يعني أن القرآن شيء والسبع المثاني شيء آخر، وأن السبع المثاني ليست جزءاً من

(١) البيان بالقرآن، (١٢٧/١).

(٢) محطات في سبيل الحكمة، ص٩٦.

القرآن، وقد وضعها الله ﷻ قبل القرآن حيث ميزها عليه بالأفضلية من ناحية المعلومات.

لا يمكن أن يكون القرآن جزءاً من السبع المثاني؛ لأن السبع المثاني سبع آيات، والقرآن أكثر من ذلك،.......،يبدو لنا أنه من خلاف الأولى أن نسمي الفاتحة بالسبع المثاني؛ لأن الفاتحة هي سبع آيات في فاتحة واحدة هي فاتحة الكتاب. ولكن السبع المثاني هي سبع آيات، كل منها فاتحة، أي هي سبع آيات، وهي في الوقت نفسه سبع فواتح. فيبقى احتمال واحد، بما أن الكتاب واحد، وبما أنه مؤلف من ١١٤ سورة، فيلزم أن تكون السبع المثاني هي سبع فواتح، كل منها منفصلة في ذاتها"[(١)].

السبع المثاني هي سورة الفاتحة، ووجه تسميتها بذلك؛ فلأنها سبع آيات، لا خلاف بين الجميع من القراء، والعلماء فيه[(٢)].

ومن الأدلة الواردة في ذلك، ما رواه أبو هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أُمُّ القُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ)[(٣)].

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى[(٤)]، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ

(١) الكتاب والقرآن، ص٩٦، ٩٧.

(٢) ينظر: أسماء سور القرآن وفضلها، د. منيرة الدوسري، ص١١٩.

(٣) صحيح البخاري، برقم، (٤٤٢٧)، (٤/١٧٣٨).

(٤) الحارث بن أوس بن المعلى بن لوذان بن حارثة، أبو سعيد الأنصاري، صحابي جليل، اختلف في اسمه، فقيل الحارث. وقيل رافع، وهو الأكثر فيه، توفي سنة(٥٧٣).ينظر: الاستيعاب، (١/٢٨١)، أسد الغابة، (٢/٤٨)، تهذيب الكمال، (٣٣/٣٤٨)، تهذيب التهذيب، (١٣/١٠٧).

اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: (أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[الأنفال: ٢٤]. ثُمَّ قَالَ لِي: (لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ. ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: (أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ)، قَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الفاتحة: ٢]، (هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ)[١].

وهناك أحاديث أخرى، وأما الصحابة فمن روي عنه أنه يرى أن السبع المثاني هي الفاتحة، عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب[٢]،

وعبد الله بن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب رضي الله عنهم[٣].

وهذا القول مأثور عن جمع من التابعين[٤]، منهم: الحسن البصري، وأبو العالية[٥]، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي[٦]، ومجاهد، وقتادة.

---

(١) صحيح البخاري، برقم، (٤٢٠٤)، (١٦٢٣/٤).

(٢) ينظر: جامع البيان، (١١٣/١٤).

(٣) ينظر: جامع البيان، (١١٦/١٤).

(٤) ينظر أقوالهم: جامع البيان، (١١٤/١٤- ١١٨).

(٥) رفيع بن مهران الْبَصْرِيّ، أَبُو الْعَالِيَة الرِيَاحي، مولى امْرَأَة من بنى يَرْبُوع من بنى رِيَاح، اسْلَمْ لِسنتَيْنِ خلتا من خلَافَة أَبِي بكر رضي الله عنه يروي عَن علي رضي الله عنه وابْن عَبَّاس رضي الله عنه روى عَنهُ قَتَادَة، وَأهل الْبَصْرَة، مَاتَ سنة (٥٩٣). ينظر: الثقات، (٢٣٩/٤)، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم، الدار قطني، (٨١/٢)، رجال صحيح البخاري، (٢٥٣/١).

(٦) إبراهيم بن يزيد بن الأسود بْنِ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ.يكنى أبا عمران، أحد الأئمة المشاهير، تابعي رأي عائشة -رضي الله عنها، ودخل عليها، وهو صغير، كان أعور، كان من أعلم الناس بعلم ابن =

وهذا القول هو الذي رجحه كثير من المفسرين، منهم: ابن جرير الطبري، حيث قال:" وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي السَّبْعُ اللَّوَاتِي هُنَّ آيَاتُ أُمِّ الْكِتَابِ، لِصِحَّةِ الْخَبَرِ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"(١).

وقال ابن كثير بعد إيراده الأحاديث في الدلالة على أن المراد بها الفاتحة: "فَهَذَا نَصٌّ فِي أَنَّ الْفَاتِحَةَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ"(٢).

وقال القرطبي: "والصحيح الأول-أنها الفاتحة؛ لأنه نص. وقد قدمنا في الفاتحة أنه ليس في تسميتها بالمثاني ما يمنع من تسمية غيرها بذلك، إلا أنه إذا ورد عن النبي ﷺ وثبت عنه نص في شيء لا يحتمل التأويل كان الوقوف عنده"(٣).

وقال الطاهر بن عاشور: "وَالْأَصَحُّ أَنَّ السَّبْعَ الْمَثَانِي هِيَ سُورَةُ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ.... وَهَذَا الَّذِي ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (أَنَّ أُمَّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي)(٤). فَهُوَ الْأَوْلَى بِالِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ"(٥).

=

مسعود رضي الله عنه، مات سنة (٥٩٦). ينظر: الطبقات، خليفة بن خياط، ص٢٦٦، وفيات الأعيان، (٢٥/١)، إكمال تهذيب الكمال، (٣١٧/١).

(١) جامع البيان، (١٢١/١٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥٤٧/٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٥٥/١٠).

(٤) سبق تخريج الحديث.

(٥) التحرير والتنوير، (٨٠/١٤).

٣-قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر: ١].

قال مصطفى المهدوي:" فالله يمن على رسوله بأنه أعطاه الكثير، وأي شيء أكبر رحمة من القرآن العظيم، وأي كوثر أكثر من أن يعلم رسوله القرآن، ليعلمه للناس كافة"(١).

وهذا تفسير مخالف للأدلة الصحيحة؛ فقد رويت أحاديث تبين المقصود بالكوثر، وأنه نهر في الجنة أعطاه الله نبيه محمداً ﷺ، فقد روي عن أَنَس بْن مَالِكٍ(٢)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ-أَوْ طِيبُهُ- مِسْكٌ أَذْفَرُ)(٣).

وحديث أَنَسٍ الآخر، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْكَوْثَرِ، فَقَالَ: (نَهَرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَفِيهِ طَيْرٌ كَأَعْنَاقِ الْجُزُرِ(٤)). فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ تِلْكَ لَطَيْرٌ نَاعِمَةٌ. فَقَالَ: (أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا يَا عُمَرُ)(٥).

---

(١) البيان بالقرآن، (١/ ١٥).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) صحيح البخاري، برقم، (٦٢١٠)، (٥/ ٢٤٠٦).

(٤) قوله: (كَأَعْنَاقِ الْجُزُرِ): بِضَمِّ الْجِيمِ وَالزَّايِ، جَمْعُ جَزُورٍ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ أُعِدَّ لِلنَّحْرِ؛ لِيَأْكُلَ مِنْهُ أَصْحَابُ شُرْبِ ذَلِكَ النَّهْرِ، فَإِنَّهُ يَتِمُّ عَيْشُ الدَّهْرِ.مرقاة المفاتيح، ملا على القاري، (٩/ ٣٥٩١).

(٥) مسند الإمام أحمد، برقم، (١٣٣٣٠)، (٣/ ٢٢٠)، سنن النسائي الكبرى، برقم، (١١٧٠٣)، (٦/ ٥٢٣)، البعث والنشور، البيهقي، برقم، (٢٦٥)، ص١٨٣، والحديث صحيح، ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم، (١٢٩٨٣)، (٢/ ١١٧٧).

قَرَأَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١].قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ يَجْرِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ)، قَالَ ﷺ: (فَضَرَبْتُ بِيَدِي فَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ، وَإِذَا حَصْبَاؤُهُ اللُّؤْلُؤُ)(١).

وحديث ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الْيَاقُوتِ وَالدُّرِّ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ)(٢). وغيرها من الأحاديث.

وهو قول عدد من الصحابة(٣)، منهم: ابن عمر، وابن عباس، وعائشة، وأنس،ﷺ، ومن التابعين(٤): مجاهد، وأبو العالية.

وهو ما رجحه علماء التفسير، منهم ابن جرير، حيث قال: "وَأَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ عِنْدِي، قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ اسْمُ النَّهْرِ الَّذِي أُعْطِيَهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَصَفَهُ اللَّهُ بِالْكَثْرَةِ؛ لِعِظَمِ قَدْرِهِ. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ، لِتَتَابُعِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ"(٥).

---

(١) مسند الإمام أحمد، برقم، (١٣٥٧٨)، (٢١/٢٠٠)، صحيح ابن حبان، برقم، (٦٤٧١)، (١٤/٢٨٩)، مسند أبي يعلى الموصلي، برقم، (٣٥٢٩)، (٦/٢٣٦)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، برقم، (٣١٦٦٢)، (٦/٣٠٦)، سنن ابن ماجة، برقم، (٤٣٣٤)، (٢/١٤٥٠)، والحديث صحيح، ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم، (٤٦١٥)، (٢/٨٤٦).

(٣) ينظر أقوالهم: جامع البيان، (٢٤/٦٧٩ -٦٨١).

(٤) ينظر أقوالهم: جامع البيان، (٢٤/٦٨١).

(٥) المرجع السابق، (٢٤/٦٨٥).

وقال الواحدي[١]: " أكثر المفسرين على أن الكوثر نهر في الجنة"[٢].

وقال ابن حجر: "ثَبَتَ تَخْصِيصُهُ-أي: الكوثر- بِالنَّهَرِ مِنْ لَفْظِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا مَعْدِلَ عَنْهُ"[٣].

وقال الشوكاني: "فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْكَوْثَرَ هُوَ النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ، فَيَتَعَيَّنُ الْمَصِيرُ إِلَيْهَا، وَعَدَمُ التَّعْوِيلِ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنْ كَانَ مَعْنَى الْكَوْثَرِ: هُوَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، فَمَنْ فَسَّرَهُ بِمَا هُوَ أَعَمُّ مِمَّا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺفَهُوَ تَفْسِيرٌ نَاظِرٌ إِلَى الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ ......،وَهَذَا التَّفْسِيرُ مِنْ حَبْرِ الْأُمَّةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه نَاظِرٌ إِلَى الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ كَمَا عَرَفْنَاكَ، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ فَسَّرَهُ فِيمَا صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ، وَإِذَا جَاءَ نَهْرُ اللَّهِ بَطَلَ نَهْرُ مَعْقِلٍ"[٤].

قال القاضي عياض: "أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول

---

(١) علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية، أبو الحسن الواحدي: المفسر، النحوي، اللغوي، توفي بنيسابور، سنة (٤٦٨هـ)، كان له معرفة بفنون من العلم. وله مصنفات كثيرة شهيرة، منها: البسيط، والوسيط، والوجيز، كلها في التفسير، وشرح ديوان المتنبي، وأسباب النزول، وغيرها. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، (١/٥٢٣)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص٢٠٠، طبقات المفسرين، السيوطي، ص٧٨، طبقات المفسرين، الداوودي، (١/٣٩٤).

(٢) التفسير الوسيط، (٤/٥٦٠).

(٣) فتح الباري، (٨/٧٣٢).

(٤) فتح القدير، (٥/٦١٦).

ولا يختلف فيه، وحديثه متواتر النقل، رواه خلائق من الصحابة"(١).

وأخيراً يمكن القول: إن أهمال الأدلة الصحيحة سمة بارزة من سمات منكري السنة النبوية، وأنهم في أغلب الأحيان كانوا يهملون الأدلة الصحيحة الواردة في تفسير الآية، ويتجاهلونها، بهدف صرف الآيات عن معناها الصحيح، وهذا ظاهر في كثير من كتبهم(٢).

وقد أدى بهم هذا المنهج المعيب من قبل العلماء إلى الوقوع في انحرافات في التفسير، والجناية على تفسير الآيات.

وهكذا يرى الباحث: أن أي جهدٍ تفسيري يعرض عن هذه الأدلة الصحيحة الواردة في تفسير الآيات القرآنية فإن ضرره في التفسير أكثر من نفعه.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، (١٥/٥٣).

(٢) ينظر: إهمال أحمد صبحي في كتابه القرآن وكفى، ص٨٦ للحديث المبين لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ [النور: ١١]، حادثة الإفك في صحيح البخاري مع علمه به، وصرف الآية إلى غير ما علم من الأخبار أنها نزلت في أم المؤمنين عائشة–رضي الله عنها، وكذلك إهمال ابن قرناس في كتابه الحديث والقرآن، ص٢٧٥، للحديث الوارد في صحيح البخاري في بيان قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وغيرها كثير.

المبحث الثالث
الانتقائية في اختيار المصادر والمراجع

من القواعد المقررة في المناهج البحثية لدى العلماء أن أي باحث يرغب الخوض في فن من فنون المعرفة، ليبحث عن مسألة من مسائله، فإن عليه أولاً الرجوع إلى كتب ذلك الفن، وتفحص كل ما كتب حول موضوعه، من خلال البحث والتتبع والاستقراء لجزئيات المسألة، ومن ثم استخلاص النتائج[١].

إن مصادر البحث ومراجعه تمثل في البحوث العلمية أهم الأسس التي يقوم عليها البحث، وهي التي يتم بها بنيانه، و بها يؤتي نتائجه وثماره؛ ذلك أنها التي تمد الباحث بمادة بحثه، ويأخذ منها آراء العلماء ووجهات نظرهم، وبها يستطيع تحديد نتائج بحثه وصياغة أفكاره[٢].

إنها خير معين له في نجاح بحثه وشموله، ولها أثر فاعل في النتائج والاستنباطات، ومعرفة المصادر عامل مهم في النقد البنَّاء، بل إن الدراسة القيمة تتوقف على قيمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث في دراسته[٣].

إن المصادر التي تعتمد عليها الدراسة كلما كانت أصيلة وذات علاقة

---

(١) ينظر: لمحة في المكتبة والبحث والمصادر، محمد عجاج الخطيب، ص١٠٧، أصول البحث العلمي، د. أحمد عبد المنعم حسن، (٣٧/١)، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، مهدي فضل الله، ص٥٨، كيف تكتب بحثاً أو رسالة، د. أحمد شلبي، ص٦١.

(٢) ينظر: البحث العلمي، د. الربيعة، (٩٧/١)

(٣) موقف المستشرقين من الصحابة، د.سعد بن عبد الله الماجد، ص٥٠.

مباشرة بموضوع البحث، فإنها تؤدي إلى حصول المراد من البحث، وفي خروج نتائج صحيحة، وعلى العكس من ذلك، فمن عرف بحقائق وقضايا علم ما، واعتمد في ذلك على مصادر غير معتمدة، ولا موثوقة لم يكن لبحثه أي قيمة علمية، ولا لمن يفعل ذلك مكان بين العلماء المحترمين(١)، قال د. قصي الحسين: "وتعتبر المصادر العلمية التي يعتمد عليها الباحث في دراسته من أهم المقاييس في تقدير صحة البحث، وجودته. فإذا كانت هذه المصادر المعتمدة صادقة كان للبحث وزنه وقيمته العلمية"(٢).

وعلى الرغم من الأهمية الواضحة لهذه المنهجية في كتابة الأبحاث العلمية إلا أن الباحث يجد فيما كتبه منكرو السنة النبوية جناية عظيمة؛ فقد خالفوا تلك القواعد والأسس التي وضعت ليسير عليها الباحثون في كتاباتهم، ومن أخطر تلك المخالفات التي قام بها هؤلاء القوم الانتقائية في اختيار المصادر والمراجع، إذ المتفق عليه عند علماء المنهجية العلمية هو الرجوع في كل بحث إلى الأصول العلمية الأصيلة التي تُعنى بهذا الموضوع، وحظر الرجوع إلى المراجع الثانوية عند وجود المصادر الأصلية وكفايتها لما يراد بحثه.

إنَّ القارئ لما كتبه منكرو السنة النبوية يجد إعراضهم الشديد عن المصادر الأصلية، والرجوع إلى مصادر قد لا يكون لها صلة بالبحث المراد إلا من خلال بعض المفردات، التي تكون قد درست من قبل غير المتخصصين، إلا أنها كانت

---

(١) ينظر: السنة النبوية ومكانتها، د. السباعي، ص٢٨.

(٢) كتابة البحوث العلمية والأكاديمية، د. قصي الحسين، ص٦٦.

عمدتهم في كثير من كتبهم وأبحاثهم.

وإن مما يثير العجب والدهشة قيام هؤلاء بالاعتماد على كتابات غير أهل الإسلام في تفسير كتاب الله، وبيان قصصه، والإعراض عن مصادر التفاسير الأصيلة، وهذا عين ما قام به المهندس محمد شحرور في كتابه (القصص القرآني(٢))، فعند كلامه عن قصة نوح –عليه السلام- نجد في ثبت مراجعه أنه رجع في جميع ذلك إلى غير المصادر الأصلية، واعتمد في أكثرها على ما كتبه غير المسلمين، ولكي تتجلى الصورة أكثر عن تعمده الانتقائية، والعدول عن المصادر الأصلية، نورد جميع تلك المراجع التي رجع إليها في كلامه عن قصة نوح، وهي:

١-مغامرة العقل الأولى، فراس السواح.

٢-من ألواح سومر، صموئيل كريمر.

٣-ملحمة جلجامش، طه باقر.

٤-الواقع والأسطورة في التوراة، زينون كاسيدوفسكي.

٥-الطوفان العظيم، كونداتوف.

٦-ملحمة جلجامش، د. نائل حنون.

٧-المزارعون الأوائل، د. سلطان محيسن.

٨-نشوء الحضارات القديمة، برودهارد برينتس.

٩-آثار بلاد الرافدين، سيتون لوين[1].

(١) ينظر: القصص القرآني، (٢)، ص٥٩.

وبعد عرض قائمة مراجعه في كلامه عن قصة نوح الطَّيْلاً، يلاحظ أنه لم يرجع إلى أي مصدر من المصادر المعتمد عليها في بيان قصص القرآن، كالتفاسير المأثورة، وكتب السنة، ولا الكتب التي تحدث أصحابها فيها عن القصص القرآني من كتب التاريخ الإسلامي المعتمدة، التي اعتمدت على الرواية والأقوال الصحيحة في الغالب.

وعند كلامه عن قصة إبراهيم الطَّيْلاً ذكر في ثبت مراجعه، المراجع التي اعتمد عليها في كتابته تلك، وهي:

١-العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة.

٢-الواقع والأسطورة في التوراة، زينون كاسيدوفسكي.

٣-التوراة والتراث السوري، مفيد عرنوق.

٤-مملكة ماري وفق أحدث الكشوفات الأثرية، د. بشار خليف.

٥-كتاب التوراة.

٦-الإنجيل.

٧-خفايا التوراة، كمال الصليبي.

٨-ثقافة أجاريت، إسحاق شيفمان[1].

المثال الثاني: ابن قرناس من خلال كتابه (سنة الأولين).

ففي الباب الأول، والذي تحدث فيه عن الدين في قوله تعالى:﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟

(١) ينظر: المرجع السابق، ص١٨٣.

فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣].

والعنوان الآخر الذي سماه، بـــ (وحدة الأديان)، واستشهد له بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢].

وفي ثبت مراجعه لهذا الباب، ذكر الكتب التالية:

١-سيرة ابن هشام.

٢-تاريخ الطبري.

٣-البداية والنهاية، ابن كثير.

٤-البحث عن يسوع، كمال الصليبي.

٥-التوراة جاءت من جزيرة العرب، كمال الصليبي.

٦-خفايا التوراة، كمال الصليبي.

٧-موجز تاريخ الأديان، فيليسيان شالي.

٨-تاريخ الصابئة المندائيين، محمد عمر حمادة.

٩-الصابئون في حاضرهم وماضيهم، عبد الرزاق الحسني.

١٠-من قاموس الأديان، أسعد السحمراني.

١١-الصابئون المندائيون، الليدي دراور.

١٢-المندائيون الصابئون، محمد الجزائري.

١٣-تاريخ الأديان وفلسفتها، طه الهاشمي.

١٤-جامع البيان، الطبري.

١٥-الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

١٦-تفسير القرآن العظيم، ابن كثير.

١٧-التفسير المنسوب إلى ابن عباس، الفيروز آبادي.

١٨-موطأ مالك.

١٩-كتاب البخاري.

٢٠-كتاب مسلم.

٢١-مسند أحمد.

٢٢-سنن الترمذي.

٢٣-سنن أبو داوود.

٢٤-العقيدة الطحاوية، أبو جعفر الوراق الطحاوي.

٢٥-الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر.

٢٦-الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر.

٢٧-سير أعلام النبلاء، الذهبي.

٢٨-القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي.

٢٩-الكتاب المقدس.

٣٠-النسخة الانجليزية من الكتاب المقدس(١).

والناظر في هذه المراجع يجد أن ابن قرناس حاول إيهام القارئ أنه عاد إلى المراجع التي تطمئن إليها نفوس المسلمين من أمثال كتب الصحاح والمسانيد،

(١) ينظر: سنة الأولين، ص٤٨، ٤٩.

وتفسير ابن جرير، ولكنه في الحقيقة لم ينقل من كتب الصحاح غير حديث واحد[١]، وأثر واحد، نقله من جامع البيان للطبري[٢]، وكان عمدته على أهل الكتاب، وغيرها من الكتب التي ليس لها علاقة بالتفسير.

المثال الثالث: من مصادر التاريخ الإسلامي، مذكرة علمية انتقادية، د.إسماعيل أحمد أدهم.

والكتاب كما يقول مؤلفه عنه: "يبحث في ماهية الحديث والرواية ونشأتها، وحلقات تطورهما من عصر الرسول إلى القرن الثالث الهجري، ويخرج من ذلك بأدلة قاطعة على انتحال الأحاديث والأسانيد"[٣].

ومن الغريب أنه لم يوجد في مصادره كتاب واحد من كتب المصطلح أو الجرح والتعديل، التي هي العمدة في الحكم على الرواة ومعرفة الأسانيد، أو الكتب التي دونت البدايات الأولى لتدوين الحديث، وغيرها من الأمور المتعلقة بالسنة النبوية، ولعل الباحث يذكر بعض الكتب التي هي في الحقيقة عمدته في هذه الدراسة المحققة التي خرجت بتلك النتائج القاطعة كما يقول؟!![٤]:

١-الأصنام، للكلبي.

---

(١) ينظر: سنة الأولين، ص٤٤، والحديث :(إذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير....). في سنن الترمذي برقم، (١٠٧١)، (٣٨٣/٣).

(٢) ينظر: سنة الأولين، ص٣١، والأثر هو:(إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله {بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ}. في جبهة إسرافيل). جامع البيان، (٢٨٧/٢٤).

(٣) من مصادر التاريخ الإسلامي، واجهة الكتاب.

(٤) ينظر: ثبت المصادر من كتاب من مصادر التاريخ الإسلامي، ص٣٩، وما بعدها.

٢-الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني.

٣-البيان والتبيين: للجاحظ.

٤-تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، بندلي الجوزى.

٥-تاريخ آداب العرب، مصطفى الرافعي.

٦-تاريخ الفكر العربي، إسماعيل مظهر.

٧-دائرة المعارف الإسلامية: للمستشرقين.

٧-دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدي.

٨-الرسالة مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون.

٩-فجر الإسلام، أحمد أمين.

١٠-في الأدب الجاهلي: د. طه حسين.

١١-ماهية التاريخ، إسماعيل مظهر.

١٢-المعرفة: مجلة شهرية أدبية علمية.

١٣-مجلة التاريخ التركي.

١٤-المقتضب من كتاب جمهرة النسب: ياقوت الحموي.

١٥-المقتضب: مجلة شهرية علمية أدبية صناعية.

وأما مراجعه الأجنبية التي كتبها المستشرقون فقد بلغت من الرقم (٥١) إلى الرقم(٧٥)، وهي في حقيقتها عمدته فيما كتب، فقد صرح في أول كتابه أنه راجع"جل ما كتبه المستشرقون بالألمانية، والروسية، والإيطالية، والإنجليزية،

والفرنسية"[(١)].

وهنا أمرٌ هام يجب التنبيه إليه، هي أن المؤلف أثبت في مصادره بعض المصادر المهمة، من أمثال:

أسامي رواة صحيح البخاري: للسيد بن حسن المعروف بصوفي زادة.

تنوير الحوالك شرح موطأ مالك: السيوطي.

إرشاد الفحول: محمد الشوكاني.

إرشاد الساري: القسطلاني، وغيرها.

فعند الرجوع إلى حواشي الكتاب، لمعرفة ماذا نقل من هذه الكتب نجد أنه حاول إيهام القارئ أن هذا الكلام موجود في طيات هذه المصادر، وهي في الحقيقة من كلامه، ولكنه حاول التدليس من خلال ذكر هذه المراجع في أسفل الصفحة؛ ليغر بها ضعفاء العلم من المسلمين، وإظهار أن الكاتب رجع في بحثه إلى كتب موثوق بها عند المسلمين، وهو في حقيقة الأمر، لم يعد إليها، وإنما كان منبعه في ذلك كتب أساتذته من المستشرقين، والمتأثرين بفكرهم من أبناء المسلمين من العلمانيين.

المثال الرابع: كتاب أضواء على السنة المحمدية، لمحمود أبو رية.

من خير الكتب التي قامت بنقده، وتمييز بهرجه وزيفه، كتاب (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي)، للدكتور مصطفى السباعي، فحين تحدث عن مراجعه، قال: "ومن الملاحظ أنه أكثر من «ثبت» المصادر التي رجع إليها في

---

(١) من مصادر التاريخ الإسلامي، ص٤.

بحثه، لِيُوهِمَ قُرَّاءَهُ بأهمية كتابه، ومنها كتب في التفسير والحديث والفقه، وعلوم القرآن وَالسُنَّةِ، ليس فيها كلمة واحدة من نتائج بحثه الذي انتهى إليه، وكلها تكذّبه في دعاويه، ومنها مصادر تاريخية ليست من المصادر التي يعتبرها العلماء مرجعاً للتحقيق في تدوين السُنّة ورواقما وعلمائها، ومن المصادر التاريخية مصادر لا يوثق بها أبداً لدى جمهور المُحَقِّقِينَ، ومنها كتب في الأدب واللغة والنحو والشعر لا رابطة بينها وبين هذا الموضوع الخطير.

بقي أن نذكر المصادر الجديرة بالاهتمام عنده، وهي التي تدلنا على صحة «تحقيقه العلمي» ومصادر وحيه في هذا التحقيق، ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وإليك هي:

١ – تاريخ التمدن الإسلامي: لجرجي زيدان.

٢ – العرب قبل الإسلام: لجُرجي زيدان.

٣ – دائرة المعارف الإسلامية: للمستشرقين.

٤ – الحضارة الإسلامية: لكريمر.

٥ – السيادة العربية: لفلوتن.

٦ – حضارة الإسلام في دار السلام: لإبراهيم اليازجي.

٧ – تاريخ العرب المطول: لفليب حتي، وإدوار جرجس، وجبرائيل جبور.

٨ – تاريخ الشعوب الإسلامية: لكارل بروكلمان.

٩ – المسيحية في الإسلام: للقس إبراهيم لوقا.

١٠ – وجهة الإسلام: لجماعة من المُسْتَشْرِقِينَ.

١١ – العقيدة والشريعة في الإسلام: لجولدتسيهر.

ومع ذلك فهو يَدَّعِي في آخر كتابه أنه أيد بحوثه بأقوم البراهين وأقوى الأسانيد (ص ٣٥٤) وأنه رجع إلى مصادر ثابتة لا يرقى الشك إليها ولا يدنو الريب منها! (ص ١٩٧)."[1].

وبعد العرض السريع لمصادر بعض مؤلفات منكري السنة النبوية، يتضح بشكل جلي أهم لا يعولون في كتاباهم على مصادر أساسية في بحوثهم، وإنما يغلب عليها البعد عن الموضوع المبحوث من قبلهم، إذ ليس من أهدافهم في بحوثهم البحث عن الحقيقة، والأخذ بها، وإنما يريدون النقض والهدم لكل ما كتبه أئمة أهل العلم في مجال علوم الشريعة، وتشكيك أبناء المسلمين في ذلك التراث الزاخر، والحط من مكانته في نفوس النشء.

(١) السنة النبوية ومكانتها، ص١٩، ٢٠ .

المبحث الرابع
التفسير المتعسف(١) والتأويل المتكلف(٢) للنصوص القرآنية

"مُني الإسلام من زمن بعيد بأناس يكيدون له، ويعملون على هدمه بكل ما يستطيعون من وسائل الكيد، وطرق الهدم، وكان من أهم الأبواب التي طرقوها ليصلوا منها إلى نواياهم السيئة: تأويلهم للقرآن الكريم على وجوه غير صحيحة، تتنافى مع ما في القرآن من هداية، وتناقض ما هو عليه من محجة بيضاء، وتهدف إلى ما سوَّلته لهم نفوسهم من نِحَلٍ خاسرة وأهواء باطلة!!

مُني الإسلام بهذا من أيامه الأولى، ومُني بمثل هذا في أحدث عصوره، فظهر في هذا العصر أشخاص يتأوَّلون القرآن على غير تأويله، ويلوونه إلى ما يوافق شهواتهم، ويقضي حاجات في نفوسهم، فأدخلوا في تفسير القرآن آراء سخيفة، ومزاعم منبوذة، تقبَّلها بعض المخدوعين من العامة وأشباه العامة، ورفضها بكل إباء مَن حفظ الله عليهم دينهم وعقولهم"(٣).

كان من شرارهم، أولئك الذين سمّوا أنفسهم بالقرآنيين، حيث سلطوا

---

(١) التعسف: حمل الكلام على معنى لا تكون دلالته عليه ظاهرة. التعريفات، ص٨٥، التعاريف، ص١٨٧.

(٢) التكلف: يقال: تكلّف الشيء: إذا تجشمه على مشقة، وهو: حمل النفس على إتيان ما يشق عليها . ينظر: شمس العلوم، (٥٨٩٠/٩)، النهاية في غريب الحديث، (١٩٦/٤)، معجم لغة الفقهاء، مرجع سابق، ص١٤٣.

(٣) التفسير والمفسرون، (٣٨٣/٢).

معول التعسف في التفسير، والتكلف في التأويل على نصوص القرآن الكريم، فحمَّلوا ألفاظه ما لا تحتمل، مخالفين ما أثر عن الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم والتابعين، وكذا ما لم يفهمه العربي الذي نزل القرآن بلغته.

لقد علم هؤلاء أن التفاسير المأثورة تحول دون بلوغهم غاياتهم، وتنفيذ أهدافهم، فأعرضوا عنها كلياً، وسلكوا سبيلاً مخالفين فيه أئمة العلم الراسخين، الذين كانت نفوسهم ترى لآيات القرآن حرمتها، ويرون أن من تعظيمهم للقرآن الوقوف في فهمه عند مراد الله ورسوله ﷺ، قال الإمام الشافعي رحمه الله: "آمنت بالله، وبما جاء عن الله، وعلى مراد الله، وآمنت برسول الله ﷺ، وبما جاء به رسول الله ﷺ، وعلى مراد رسول الله ﷺ"[(١)].

فكان ذلك الإيمان والتسليم من أبرز ما تميز به بعض العلماء، فقيل في ترجمة أحدهم[(٢)]: "كان حسن الاعتقاد على مذهب السلف، يرى الكف عن التأويل، ويؤمن بما جاء عن الله-تعالى- ورسوله على مرادهما"[(٣)].

وأهل العلم لا يفتأون يحذرون من التعسف في التفسير، والتكلف في التأويل، ويرون أنه فتح باب عظيم لإفساد الدين، وتدمير عقائد المسلمين، والعبث في التفسير، فابن أبي العز-رحمه الله- يخاطب الذين فتحوا باب التأويل في كتاب الله، بقوله: "لقد فتحتم عليكم باباً لأنواع المشركين والمبتدعين، لا

---

(١) لمعة الاعتقاد، ابن قدامة، ص٧، العين والأثر في عقائد أهل الأثر، تقي الدين البعلي، ص٦٢.

(٢) وهو: عُثْمَان بن عبد الرَّحْمَن بن عُثْمَان بن مُوسَى بن أبي نصر الإِمَام، المتوفي، سنة (٧١٥هـ).

(٣) تاريخ الإسلام، (٤٥٥/١٤)، الدرر الكامنة، (٢٦٣/٥).

تقدرون على سدّه، فإنكم إذا سوغتم صرف آيات القرآن عن دلالته المفهومة بغير دليل شرعي فما الضابط فيما يسوغ تأويله وما لا يسوغ؟

فإن قلتم: ما دل الدليل القاطع على استحالته تأولناه، وإلا أقررناه.

قيل لكم: وبأي عقل نزن القاطع العقلي؟ ...."(١).

إن التفسير مردود متى عُلِمَ باليقين أنه تأويل متعسف؛ لأن خطره عظيم، وجرمه جسيم، إذ أصل خراب الدين والدنيا، إنما هو من التأويل الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه، ولا دل عليه أنه مرادُهُ، فلا يجوز لأحد أن يخبر عن مراد الله -تعالى- بغير أن يخبر بذلك الله أو رسوله ﷺ، ولا يجوز لأحد أن يفسر كلام الله إلا بكلامه أو بكلام رسوله ﷺ، أو بلغة العرب التي أخبر الله أنه أنزل بها القرآن؛ لأن في الإقدام على الإخبار عن مراد الله بلا علم، قول على الله بلا علم، وهذا أصل الفساد، والبعد عن سبيل أهل الرشاد(٢).

إنه وبعد قراءة ما كتبه منكرو السنة النبوية من تفسير لآيات القرآن الكريم، ومقارنته بكتب التفسير المنطلقة من أصول وأسس وقواعد وضعها العلماء الأجلاء، تبين أن أغلب تفسيراتهم لآيات الكتاب الحكيم مبنية على التعسف في التفسير، وأنها تحمل أخطاء تفسيريه عدة، جرت إلى الوصول إلى نتائج شنيعة، والوقوع فيما حظره الله -تعالى- على الناس، من القول عليه بلا علم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص٢١٦.

(٢) ينظر: إعلام الموقعين، (١٩٢/٤)، المحلى، لابن حزم، (٢٩١/٣)، و (١٥٣/٧)، العواصم والقواصم، (٢٦٢/٨).

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، ولتوضيح ما وقع فيه القوم من تعسف وتكلف في تفسيرهم لآيات كتاب الله الحكيم، يذكر الباحث بعض الأمثلة على ذلك، منها:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[النور: ٣١].

قال محمد شحرور: "فهذا يعني أن هناك بالضرورة زينة مخفية من جسد المرأة. فالزينة الظاهرة هي ما ظهر من جسد المرأة بالخلق، أي: ما أظهره الله ﷻ في خلقها كالرأس والبطن والظهر والرجلين واليدين، ونحن نعلم أن الله ﷻ خلق الرجل والمرأة عراة دون ملابس"[(١)].

فالمهندس شحرور تعسف في تفسيره، وصرف لفظ الزينة الظاهرة إلى الزينة المخفية، وما هذا التعسف من شحرور إلا لهدف يريد تحقيقه، وغاية يريد الوصول إليها، وهي: بث أفكار يعتقدها، وشرور يسعى لترويجها بين أبناء المسلمين، ومنها الدعوة إلى العري والتفسخ من الملابس، وفي هذا تعسف شديد، ومخالفة ظاهرة لمدلول كلمة الزينة في القرآن الكريم، وفي كلام العرب، وقد أجاد علماء التفسير-رحمهم الله تعالى- في بيان هذه الآية، ومنهم العلامة الشنقيطي-رحمه الله- حيث قال بعد ذكره لأقوال العلماء في المقصود من الزينة الظاهرة والزينة الباطنة: "وَقَدْ رَأَيْتَ فِي هَذِهِ النُّقُولِ الْمَذْكُورَةِ عَنِ السَّلَفِ أَقْوَالَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الزِّينَةِ الظَّاهِرَةِ وَالزِّينَةِ الْبَاطِنَةِ، وَأَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ رَاجِعٌ فِي الْجُمْلَةِ

(١) الكتاب والقرآن، ص٦٠٦ .

إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ؛ كَمَا ذَكَرْنَا:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالزِّينَةِ مَا تَتَزَيَّنُ بِهِ الْمَرْأَةُ خَارِجًا عَنْ أَصْلِ خِلْقَتِهَا، وَلَا يَسْتَلْزِمُ النَّظَرُ إِلَيْهِ رُؤْيَةَ شَيْءٍ مِنْ بَدَنِهَا؛ كَقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَمَنْ وَافَقَهُ: إِنَّهَا ظَاهِرُ الثِّيَابِ؛ لِأَنَّ الثِّيَابَ زِينَةٌ لَهَا خَارِجَةٌ عَنْ أَصْلِ خِلْقَتِهَا، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ بِحُكْمِ الِاضْطِرَارِ، كَمَا تَرَى.

وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ أَظْهَرُ الْأَقْوَالِ عِنْدَنَا وَأَحْوَطُهَا، وَأَبْعَدُهَا مِنَ الرِّيبَةِ وَأَسْبَابِ الْفِتْنَةِ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ بِالزِّينَةِ: مَا تَتَزَيَّنُ بِهِ، وَلَيْسَ مِنْ أَصْلِ خِلْقَتِهَا أَيْضًا، لَكِنَّ النَّظَرَ إِلَى تِلْكَ الزِّينَةِ يَسْتَلْزِمُ رُؤْيَةَ شَيْءٍ مِنْ بَدَنِ الْمَرْأَةِ، وَذَلِكَ كَالْخِضَابِ وَالْكُحْلِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ النَّظَرَ إِلَى ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ رُؤْيَةَ الْمَوْضِعِ الْمُلَابِسِ لَهُ مِنَ الْبَدَنِ، كَمَا لَا يَخْفَى.

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالزِّينَةِ الظَّاهِرَةِ بَعْضُ بَدَنِ الْمَرْأَةِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَصْلِ خِلْقَتِهَا؛ كَقَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِمَا ظَهَرَ مِنْهَا الْوَجْهُ وَالْكَفَّانِ، وَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَاعْلَمْ أَنَّنَا قَدَّمْنَا فِي تَرْجَمَةِ هَذَا الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ أَنَّ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَيَانِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا أَنْ يَقُولَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي الْآيَةِ قَوْلًا، وَتَكُونُ فِي نَفْسِ الْآيَةِ قَرِينَةٌ دَالَّةٌ عَلَى عَدَمِ صِحَّةِ ذَلِكَ الْقَوْلِ، وَقَدَّمْنَا أَيْضًا فِي تَرْجَمَتِهِ أَنَّ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَيَانِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا أَنْ يَكُونَ الْغَالِبُ فِي الْقُرْآنِ إِرَادَةَ مَعْنًى مُعَيَّنٍ فِي اللَّفْظِ، مَعَ تَكَرُّرِ ذَلِكَ اللَّفْظِ فِي الْقُرْآنِ، فَكَوْنُ ذَلِكَ الْمَعْنَى هُوَ الْمُرَادُ مِنَ

اللَّفْظِ فِي الْغَالِبِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْمُرَادُ فِي مَحَلِّ النِّزَاعِ؛ لِدَلَالَةِ غَلَبَةِ إِرَادَتِهِ فِي الْقُرْآنِ بِذَلِكَ اللَّفْظِ، وَذَكَرْنَا لَهُ بَعْضَ الْأَمْثِلَةِ فِي التَّرْجَمَةِ.

وَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَيَانِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَاهُمَا فِي تَرْجَمَةِ هَذَا الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ، وَمَثَّلْنَا لَهُمَا بِأَمْثِلَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ كِلَاهُمَا مَوْجُودٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، الَّتِي نَحْنُ بِصَدَدِهَا.

أَمَّا الْأَوَّلُ مِنْهُمَا، فَبَيَانُهُ أَنَّ قَوْلَ مَنْ قَالَ فِي مَعْنَى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا أَنَّ الْمُرَادَ بِالزِّينَةِ: الْوَجْهُ وَالْكَفَّانِ مَثَلًا، تُوجَدُ فِي الْآيَةِ قَرِينَةٌ تَدُلُّ عَلَى عَدَمِ صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ، وَهِيَ أَنَّ الزِّينَةَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، هِيَ مَا تَتَزَيَّنُ بِهِ الْمَرْأَةُ مِمَّا هُوَ خَارِجٌ عَنْ أَصْلِ خِلْقَتِهَا: كَالْحُلِيِّ، وَالْحُلَلِ. فَتَفْسِيرُ الزِّينَةِ بِبَعْضِ بَدَنِ الْمَرْأَةِ خِلَافُ الظَّاهِرِ، وَلَا يَجُوزُ الْحَمْلُ عَلَيْهِ، إِلَّا بِدَلِيلٍ يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ، وَبِهِ تَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَ مَنْ قَالَ: الزِّينَةُ الظَّاهِرَةُ: الْوَجْهُ، وَالْكَفَّانِ خِلَافُ ظَاهِرِ مَعْنَى لَفْظِ الْآيَةِ، وَذَلِكَ قَرِينَةٌ عَلَى عَدَمِ صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ، فَلَا يَجُوزُ الْحَمْلُ عَلَيْهِ إِلَّا بِدَلِيلٍ مُنْفَصِلٍ يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا نَوْعُ الْبَيَانِ الثَّانِي الْمَذْكُورِ، فَإِيضَاحُهُ: أَنَّ لَفْظَ الزِّينَةِ يَكْثُرُ تَكَرُّرُهُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مُرَادًا بِهِ الزِّينَةُ الْخَارِجَةُ عَنْ أَصْلِ الْمُزَيَّنِ بِهَا، وَلَا يُرَادُ بِهَا بَعْضُ أَجْزَاءِ ذَلِكَ الشَّيْءِ الْمُزَيَّنِ بِهَا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا﴾ [الكهف: ٧]، ......، فَلَفْظُ الزِّينَةِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ كُلِّهَا يُرَادُ بِهِ مَا يُزَيَّنُ بِهِ الشَّيْءُ وَهُوَ لَيْسَ مِنْ أَصْلِ خِلْقَتِهِ،

كَمَا تَرَى، وَكَوْنُ هَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْغَالِبُ فِي لَفْظِ الزِّينَةِ فِي الْقُرْآنِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَفْظَ الزِّينَةِ فِي مَحَلِّ النِّزَاعِ يُرَادُ بِهِ هَذَا الْمَعْنَى، الَّذِي غَلَبَتْ إِرَادَتُهُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ"(١).

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤].

قال أحمد زكي أبو شادي: "إنَّ روح الإسلام التي تُقِرُ مبدأ التصالح العام بل تقدِّسه، تسمح في هذا العصر بأنْ تكون المرأة قوامة على الرجل، بقدر ما تسمح بأنْ يكون الرجل قَوَّامًا على المرأة، إذ إنَّ مَرَدَّ ذلك إلى الاعتبار الاقتصادي لا أكثر ولا أقل، بخلاف ما كان عليه الحال في فجر الإسلام"(٢).

وإليه ذهب سامر إسلامبولي فزعم أن الرجولة وصف ينطبق على الذكر أو الأنثى في حالة كون المنفق أحدهما، فمن أنفق على الأسرة-ذكراً أو أنثى- كان الرجل، وكانت له القوامة في كل الأحوال(٣).

وفي هذا الكلام تعسف وبعد في تفسير الآية القرآنية، حاول من خلاله إبطال حكم إلهي ورد في الآية، من أجل تحقيق أفكاره وإرضاء أساتذته من

(١) أضواء البيان، (٥/٥١٥-٥١٦).

(٢) ثورة الإسلام، ص٢٤.

(٣) ينظر: المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص١١٩-١٢١.

العلمانيين والمستشرقين وغيرهم ممن يريدون هدم أحكام الإسلام، بدعاوى باطلة، منها: تحرير المرأة، والتوافق مع الحياة الغربية، وبدعوى تغير العصر، وعليه يجب أن تكون الأحكام الشرعية متطورة ومتغيرة بتغير الزمان والمكان، وهم يرون في ثبات الأحكام الشرعية عائقاً أمام تحقيق غاياتهم، إنهم يريدون إقناع المسلمين أن تطور الأحكام مما تقره الشريعة الإسلامية ولا تتعارض معه، إن هؤلاء هم رسل المنصرين والمستشرقين، الذي قال أحدهم(١) :"تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم، ومن بين صفوفهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها"(٢).

إنهم يريدون أن يتخلى المسلم عن أحكام الإسلام واحداً تلو الآخر، ومن ثم يتخلى عن جميع الأحكام الإسلامية، حيث صرحوا بهذا فقالوا: "إن الغاية التي نرمي إليها إخراج المسلمين من الإسلام؛ ليكون أحدهم ملحداً أو مضطرباً في دينه، وعندها لا يكون مسلماً له عقيدة يدين بها، وعندها لا يكون للمسلم من الإسلام إلا الاسم"(٣).

إن الأحكام الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية أزلية، لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ولا بتطور النظم الاقتصادية، والأحوال الاجتماعية "فالله العليم الخبير الحكيم الرحيم يدعوهم-وهو العليم بهم وبما حولهم من خلق السماوات

---

(١) هو زويمر.

(٢) الغارة على العالم الإسلامي، ا.ل شاتليه، ترجمة: مساعد اليافي، ومحب الدين الخطيب، ٨٠.

(٣) الإسلام في وجه التغريب، أنور الجندي، ص٧٢.

والأرض- يدعوهم إلى الكلمة الثابتة، والمنهج المستقر التام الذي شرعه لنفوسهم وعقولهم وأرواحهم وأبدانهم ومجتمعاتهم يكفل لهم ولفطرهم، ولهذه الحياة والأحياء العدل والصدق في العقيدة والشريعة، فلا ظنون ولا أوهام، ولا جهل ولا ضلال، ولا ضياع ولا تغيير، ولا تبديل، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥]"[١].

وأما عن تفسير آية: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤]. فيقول علماء التفسير فيها: هذا أَصْلٌ تَشْرِيعِيٌّ كُلِّيٌّ، فَمُحَاوَلَةُ اسْتِوَاءِ الْمَرْأَةِ مَعَ الرَّجُلِ فِي جَمِيعِ نَوَاحِي الْحَيَاةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَحَقَّقَ؛ لِأَنَّ الْفَوَارِقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ كَوْنًا وَقَدَرًا أَوَّلًا، وَشَرْعًا مُنَزَّلًا ثَانِيًا- تَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ مَنْعًا بَاتًّا[٢]، قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: "أما النساء في عصرنا، فقد ملأهن الكبر والغرور والطغيان؛ بما بث أعداؤنا المبشرون والمستعمرون في نفوسهن، بالتعليم المتهتك الفاسق. فزعمن لأنفسهن حق المساواة بالرجال في كل شيء! في ظاهر أمرهن، وهنَّ على الحقيقة مستعليات طاغيات، يرْدن أن يحكمْن الرجال في الدار وخارج الدار، وأن يعتدين على التشريع الإسلامي، حتى فيما كان فيه النصوص الصريحة من الكتاب والسنة. بل يردْن أن يكن حاكمات فعلاً، يتولين من شؤون الرجال ما ليس لهن، وأن يخرجن على ما أمر الله به ورسوله. بل يكفرن بأن الرجال

(١) الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، عابد السفياني، ص٨٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، (٥/٣٧)، أضواء البيان، (٧/٤١٥)

قوامون على النساء، ويكفرن بأنه (لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً)[١]، حتى طمعن في مناصب القضاء وغيرها، وساعدهنَّ الرجال الذين هم أشباه الرجال. ولم يخش هؤلاء ولا أولئك ما وراء ذلك من فساد وانهيار، ثم من سخط الله وشديد عقابه"[٢].

المثال الثالث: ومن ذلك التعسف، ما قاله نيازي عز الدين عند قوله تعالى:﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، قال:"ومعنى الآية: أنّ الشيطان يطلب من الإنسان الاعتماد على الأوهام بدل الاعتماد على الحقائق النورانية، ويدفعه إلى اتخاذ موقف سلبي من أوامر الله سبحانه. ويغريه بالتوقف عن السعي، ويوهمه أن الدنيا ليست دار سعي للمؤمن، وأن على المؤمن أن يعمل لآخرته فحسب، والشيطان يزهده بالحياة الدنيا، ولا يسمح له أن يتبصر بالحقائق الموجودة في القرآن الكريم، ويوهمه أن اتباعه الأحاديث المروية عن الرسولﷺ هو ما يريده الله سبحانه...."[٣].

وفي هذا التأويل تكلف وتعسف واضح، يتضح من وجوه:

الأول: أنه خالف جمهور المفسرين في معنى الآية، وذهب بعيداً في تأويلها، فعلماء التفسير، يقولون في بيانها: إن الآية في سياق الأمر بالإنفاق والصدقة، فإنه تعالى لما بيَّن فضل الإنفاق في سبيله، وحث على الإنفاق من أجود ما يملكه

(١) الحديث في صحيح البخاري، برقم، (٤١٦٣)، (٤/١٦١٠).

(٢) عمدة التفاسير من الحافظ ابن كثير، أحمد محمد شاكر، (١/٥٠٠).

(٣) إنذار من السماء، ص٤٠٤.

الإنسان، حذره من وسوسة الشيطان؛ لأنه يدعوه إلى الشح والبخل في الإنفاق والصدقة، ويوسوس له بأنك إذا أنفقت الأجود، وأكثرت من الصدقة افتقرت[(١)]، قال ابن عباس في الآية: اثْنَانِ مِنَ اللَّهِ، وَاثْنَانِ مِنَ الشَّيْطَانِ، (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ)، يَقُولُ: لَا تُنْفِقْ مَالَكَ، وَأَمْسِكْهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّكَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، (وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ)، (وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ) عَلَى هَذِهِ الْمَعَاصِي (وَفَضْلًا) فِي الرِّزْقِ"[(٢)].

وقال ابن القيم: "هذه الآية تتضمن الحض على الإنفاق، والحث عليه بأبلغ الألفاظ وأحسن المعاني. فإنها اشتملت على بيان الداعي إلى البخل، والداعي إلى البذل والإنفاق وبيان ما يدعو إليه داعي البخل، وما يدعو إليه داعي الإنفاق، وبيان ما يدعو به داعي الأمرين.

فأخبر سبحانه أن الذي يدعوهم إلى البخل والشح هو الشيطان، وأخبر أن دعوته هي بما يعدهم به، ويخوفهم من الفقر إن أنفقوا أموالهم. وهذا هو الداعي الغالب على الخلق. فإن أحدهم يهم بالصدقة والبذل فيجد في قلبه داعيًا يقول له: متى أخرجت هذا دعتك الحاجة إليه، وافتقرت إليه بعد إخراجه، وإمساكُه خير لك، حتى لا تبقى مثل الفقير، فغناك خير لك من غناه. فإذا صور له هذه الصورة أمره بالفحشاء، وهي البخل الذي هو من أقبح الفواحش. وهذا إجماع

---

(١) ينظر: جامع البيان، (٥/٥)، الهداية إلى بلوغ النهاية، (١/٨٩٤)، تفسير الراغب الأصفهاني، (١/٥٦٨)، البحر المحيط، (٢/٦٨٨)، مفاتيح الغيب، (٧/٥٥).

(٢) جامع البيان، (٥/٥).

من المفسرين: أن الفحشاء، هنا البخل. فهذا وعده، وهذا أمره. وهو الكاذب في وعده، الغار الفاجر في أمره. فالمستجيب لدعوته مغرور مخدوع مغبون. فإنه يدلي من يدعوه بغروره. ثم يورده شر الموارد"[١].

الثاني: أن في الآية بيانَ أن الشيطان يوسوس لابن آدم بالاهتمام بأمر الدنيا، والحرص على جمع المال، ويمنيه بطول الأمل ببقائه فيها، ويخوفه حصول الفقر، وفي هذا سوء ظن بالله، وينسيه أمر الآخرة، وما أعده الله له من جزاء موفور في الدنيا بزيادة الرزق، وفي الآخرة بمغفرة الذنوب[٢]، وهذا بخلاف ما قاله نيازي من أن الشيطان يغري الإنسان عن التوقف عن السعي في كسب الدنيا، والزهد فيها.

الثالث: أنّ نيازي لشدة عداوته لسنة رسول الله ﷺ، ولسيطرة هذه العداوة على فكره ووجدانه يحاول التعسف في الآية، وصرف دلالتها من الحث على الإنفاق إلى حث الشيطان على اتباع السنة، فهو يزعم أن الشيطان في هذه الآية يدعو للعمل بالسنة واتباعها!!!، وما أدري من أين أتى بهذا التفسير العجيب، والاستنباط الغريب؟!! الذي لم يسبق إليه!! بل الأمر على خلاف ذلك، فالشيطان هو من زين لنيازي ولإخوانه في الفكر الفاسد عداوة السنة النبوية، وجرأهم على النيل منها، وصد الناس عنها، عصمنا الله والمسلمين من وساوسه، وزين في قلوبنا حب رسوله ﷺ واتباع سنته.

---

(١) تفسير القرآن الكريم، ابن القيم، ص١٧٠.

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم، (٢/٥٣٠)، تأويلات أهل السنة، (٢/٢٦٠).

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦﴾ [الزمر: ٦].

قال محمد شحرور: "هذه الآية تحمل فكرة متكاملة. فالفكرة هي تاريخ خلق البشر ومراحل تطوره حتى أصبح بالشكل الذي نراه عليه الآن. وهذا الموضوع لا يمكن فهمه وإخراج نظرية نشوء الإنسان على الأرض إلا من خلال الترتيل أولاً، ثم فهم كل آية على حدة؛ لأنها تحوي"حلقة كاملة في نظرية الخلق".

فلنأخذ هذه الآية على سبيل المثال، لنفهم منها حلقة من حلقات وجود البشر على الأرض. تبدأ الآية ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: أي أن أساس الخلق أحادي دون قانون الزوجية، فعندما وجدت الحياة على الأرض، وجدت خلية واحدة تكاثرت عن طريق الانقسام الذاتي لا عن طريق التلاقح الزوجي. وبعد ذلك تطورت وحيدة الخلية هذه لتصبح كثيرة الخلايا مع اختلافها بالنوع؛ لذا قال ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢]، وقد مرت الحياة حتى نضج فيها البشر بثلاث مراحل من الخلق(التصميم): المرحلة الأولى: المرحلة البحرية. المرحلة الثانية: المرحلة البحرية البرية. المرحلة الثالثة: المرحلة البرية. ففي ثلاث مراحل يوجد ظلمة: الظلمة البحرية، الظلمة البحرية البرية، الظلمة البرية "الرحم". فحتى وصل الإنسان إلى الشكل الذي نراه عليه الآن مرت الحياة العضوية على الأرض بهذه المراحل الثلاث، فكان الإنسان وليد المرحلة البرية،

وفي هذه المرحلة كان التكاثر زوجياً، أي: عن طريق اللقاح بين الذكر والأنثى....."[١].

نتيجة لتأثر المهندس محمد شحرور بنظرية التطور وإيمانه بها، فإنه يسعى من خلال كتبه إلى التعسف في فهم الآيات القرآنية؛ من أجل جعل القرآن يوافق نظرية النشوء والتطور التي ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي على يد داروين[٢]، والتي كانت لها آثار سيئة، منها:

١- نظرية التطور والنشوء يقصدون بها "أن كل أمر في هذا الوجود يتطور ويتقدّم إلى الأمام في خطوات متتابعة إلى ما لا نهاية-بزعمهم، ويستدلون على ذلك بما قرروه من أن الإنسان كان مائيًّا ثم برمائيًّا ثم بريًّا"[٣] فيكون "الإنسان جاء نتيجة تحولات عضوية نوعية جرت في المادة منذ انبثت فيها الحياة في صورها البسيطة، وكانت المصادفة أو الظروف المحيطة والعوامل المتعددة كالوراثة، والتحول، والصراع من أجل البقاء، وانتخاب الأصلح وراء تلك التحولات. أما أن الإنسان خلق خلقاً مستقلاً، وكان وراء خاصيته الوجودية حكمة معينة، فهذا لدى التطوريين خطأ محض"[٤].

٢- أن هذه النظرية تشكل الأساس والقاعدة لجميع الفلسفات المناهضة

---

(١) الكتاب والقرآن، ص٢٠١.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) المذاهب الفكرية المعاصرة، د. غالب العواجي، (١٠٩٥/٢).

(٤) مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، د. عبد الرحمن الزنيدي، ص٤٨٣، ينظر: أصل الأنواع، تشارلس داروين، ترجمة: مجدي المليجي.

للدين، وقد أثرت هذه النظرية على كثير من المسلمين، فذهبوا يحرفون الدين ليتسق معها، مؤولين خلق آدم عليه السلام بيدي الله، وتعليمه الأسماء، وسجود الملائكة له؛ بأنه سيق لمجرد التمثيل، وليس حقيقة واقعة، وأن الغاية منه التنبيه على كرامة آدم على المخلوقات الأخرى(١).

٣- "السبب الرئيسي في الاستماتة في الدفاع عن نظرية التطور طوال قرن كامل، وبإصرار وعناد، هو محاولة القيام بتفسير الكون والحياة دون الحاجة إلى خالق، لذا فإن من الأصح النظر إلى نظرية التطور، كجزء من الدعاية المادية، وليس كنظرية مستقلة"(٢).

لقد درس هذه النظرية كثير من العلماء الغربيين والعلماء المسلمين، وأظهرت دراساتهم زيف هذه النظرية، فمن العلماء الغربيين سير آثر كيث الذي قال: "إن نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علمياً، ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان، ونحن لا نؤمن بها"(٣).

وقال محمد فتح الله:"مهما تكلم بعض المحافل العلمية وبعض العلماء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، ومهما أبدوا من اهتمام، ومهما ورد في بعض

---

(١) ينظر: خديعة التطور، هارون يحيى، المقدمة. وممن تأثر بهذه النظرية وحاول الترويج لها منكرو السنة النبوية، ابتداءً من الطبيب محمد توفيق صدقي، وإسماعيل أدهم، ومحمد شحرور، عدنان الرفاعي، نيازي عز الدين.

(٢) دارون ونظرية التطور، شمس الدين آق بلوت، ترجمه عن التركية: اورخان محمد علي، ص١٠٠.

(٣) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ص٣٦.

كتبهم أو في محاضراتهم فلا يوجد أي سند قوي ولا أي برهان أو حجة قوية في تأييد نظرية التطور"[١].

وهذه النظرية باطلة بالكتاب والسنة، وإجماع علماء الأمة، وينبذها العقل الصحيح، فالمولى جل وعلا أخبرنا "في كتابه الكريم- الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه- أنه بدأ خلق الإنسان بخلق أبي البشر آدم الذي خلقه من التراب، الذي أصبح طيناً يعجنه بالماء، ثم حمأ مسنوناً، أي طيناً مخمراً، ثم سواه الله بأن خلقه بيديه سبحانه، ثم أصبح آدم، وهو في صورته الطينية صلصالًا كالفخار، وهو الطين إذا يبس وجف، ثم نفخ الله فيه الروح فأصبح بشراً حياً[٢]، ثم أمر الملائكة بالسجود له بعد أن أصبح كذلك، ثم خلق الله من أحد أضلاعه زوجته حواء-كما جاء ذلك في الحديث النبوي- فهي أنثى مخلوقة من عظام زوجها.

والله يخلق ما يشاء مما يشاء كيف يشاء، ثم لما عصى آدم بأكله من الشجرة التي نهاه الله أن يأكل منها، أهبطه الله إلى الأرض، ثم جعل الله تناسل آدم من اجتماع ماء الرجل وماء المرأة، والعرب تسمي المني الذي يقذفه الرجل في رحم الأنثى ماء، وسماه الله في القرآن (ماء مهيناً). وكل ذلك موجود في القرآن الكريم،......، وقد خلق الإنسان الأول آدم من طين من غير أنثى أو ذكر،

---

(١) حقيقة الخلق ونظرية التطور، محمد فتح الله كولون، ص١٢٨.

(٢) ولمزيد من المعلومات عن مراحل خلق آدم، ينظر: المسائل العقدية المتعلقة بـآدم عليه السلام، ألطاف الرحمن بن ثناء الله، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية ، ص١٠٨.

وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق سائر الخلق من اجتماع الذكر والأنثى، فسبحان من له القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة، وهذا كله يدل على الخلق المستقل للإنسان، وأنه لا ينتمي إلى حيوانات هذه الأرض"(١).

المثال الخامس: ومن أمثلة التعسف ما قام به عدنان الرفاعي من تعسف في تفسير لفظة ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾، ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ في القرآن، حيث فرق من خلال الرسم لكلمات القرآن بين مرحلتين من حياته، الأولى: قبل الإنجاب، والثانية: بعد الإنجاب وحصول الأولاد، ولننقل كلامه لتتضح الصورة، قال المهندس الزراعي عدنان الرفاعي: "حياة إبراهيم عليه السلام تقسم إلى قسمين: قسم تابع للمرحلة الأولى التي مركزها نوح عليه السلام، وهي حياته قبل أن ينجب.

وقسم تابع للمرحلة الثانية، وهي حياته بعد أن أنجب.

هذه الحقيقة القرآنية تتجلى في كتاب الله-تعالى- من خلال رسم كلمة (إبراهيم) في القرآن الكريم، فلو نظرنا إلى رسم كلمة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، لوجدناها ترسم بشكلين متمايزين ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ ،﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، ففي بداية القرآن الكريم في سورة البقرة ترسم ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ دون حرف ياء، ومن ثم –بعد سورة البقرة- ترسم ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ بوجود حرف ياء.

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، عبد المحسن المطيري، ص٣١٨-٣٢٠، وينظر: حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، د. محمود زقزوق، ص٢٦٣.

وهذا التمايز في الرسم هو إشارة من الله –تعالى– إلى مرحلتي حياة إبراهيم عليه السلام فكلمة: ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ دون حرف ياء، تتبع للمرحلة الأولى التي نحن بصدد الحديث عنها، حيث إبراهيم (قبل إنجابه) هو آخر رسول من رسل المرحلة الأولى، وكلمة: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ بوجود حرف ياء تتبع للمرحلة الثانية التي سنتحدث عنها لاحقاً، حيث إبراهيم عليه السلام أبو أنبياء المرحلة الثانية"(١).

وهذا تعسف ظاهر، يسير عليه عدنان الرفاعي في فهمه لآيات القرآن الكريم، وإن الإنسان ليعجب من هذا الجرأة في استنباط ما يشذ عن الآيات، وكيف سولت له نفسه استنباط أمور مخالفة لظاهر النصوص، وتكليف النصوص مالا تحتمله، وهو قول بلا علم لم تدل عليها آيات القرآن، ولا وردت عن المعصوم ﷺ، ويزعم أنها حقائق قرآنية؛ من أجل أن يدعم ما يروج له من نظرية الإعجاز العددي في القرآن، وغيرها من مفترياته، ويتمثل خطؤه من عدة جوانب، منها:

أولاً: الناظر في تلك الآيات التي أخبر أنها تشير إلى حياة إبراهيم عليه السلام قبل أن يكون له أولاد وبعد، يجد أن الآيات التي يقول إنها تشير إلى حياة إبراهيم عليه السلام قبل أن يكون له أولاد، وهي الموجودة في سورة البقرة تتحدث عن إبراهيم عليه السلام ومعه أولاد، وهي قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: ١٢٤]، ففي الآية دلالة أن إبراهيم عليه السلام قد أصبح لدية ذرية وأولاد، إذ لو لم يكن له أولاد كيف

---

(١) محطات في سبيل الحكمة، ص٢٦-٢٧.

يطلب من الله أن يكون في ذريته من يقتدى بهم، ويكونوا أئمة للناس؟

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [البقرة:١٢٥]، وهذه الآية في سورة البقرة-كما هو معلوم- وفيها أمر الله لإبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام بتطهير البيت الحرام، وهذا خلاف الحقيقة التي زعمها الرفاعي، فإبراهيم أصبح عنده ولد اسمه إسماعيل.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧] فيها ذكر لرفع إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام لقواعد البيت؟!!.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٢].فيها ذكر وصية إبراهيم عليه السلام لأبنائه بالإسلام، وهذا دليل على أن الآية تتحدث عن حياته بعد أن وهب الله له الأولاد.

ثانياً: وهو أن في الآيات التي فيها زيادة الياء في غير سورة البقرة تتحدث عن مرحلة إبراهيم عليه السلام قبل الأولاد، ومثالها، قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [هود: ٦٩ – ٧١].وقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾

[مريم: ٤١ - ٤٢]، ففي هذه الآية بيان لبداية دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام، وهو في بداية المرحلة لم يكن لديه أولاد.

فالعجب من هذا التعسف، ومن استخفاف المهندس الزراعي بقرائه، وهل كان يظن أن مثل هذه الأكذوبة تمر على من قرأ كتاب الله بتدبر وفهم؟!!!

ثالثاً: قَرَأَ ابْن عَامر(١) (إبراهام) بفتح الهاء، وألف بعدها(٢) كل مَا فِي سُورَة الْبَقَرَة، وَفِي النِّسَاء بعد المئة، وَفِي الْأَنْعَام حرفا وَاحِدًا(مِلَّة إبراهام)، وَفِي التَّوْبَة بعد المئة (إبراهام)، وَفِي سُورَة إِبْرَاهِيم (إبراهام)، وَفِي النَّحْل وَمَرْيَم كلهَا(إبراهام)، وَفِي العنكبوت الثَّانِي(إبراهام)، وعسق (إبراهام)، وَفِي سور الْمفصل كلها (إبراهام)، إِلَّا فِي سُورَة الْمَوَدَّة {إِلَّا قَول إِبْرَاهِيم} بِالْيَاء، وَفِي سبح{صحف إِبْرَاهِيم}(٣). وهذا خرق واضح لحقيقة الرفاعي المزيفة، التي بناها

---

(١) هو الإمام عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي، أبو عمران، أحد القراء السبعة، كان إمام أهل الشام في القراءة، وإليه انتهت مشيخة الإقراء بها، كان إمامًا كبيراً، وتابعيًا جليلاً، ولد سنة (٥٨)، وأمَّ المسلمين بالجامع الأموي سنين كثيرة في أيام عمر بن عبد العزيز وقبله وبعده ،فكان يأتم به وهو أمير المؤمنين، وجمع له بين الإمامة والقضاء، ومشيخة الإقراء بدمشق، توفي سنة (١١٨ه). ينظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص٨٦، معرفة القراء الكبار، ص٤٦، غاية النهاية في طبقات القراء، (٤٢٣/١).

(٢) عدها أبو عمرو الداني، فقال:" (إبراهام) بفتح الهاء وألف بعدها في ثلاثة وثلاثين موضعًا، وما عداها وجملته ستة وثلاثون موضعًا بكسر الهاء وياء بعدها". جامع البيان في القراءت السبع، أبو عمرو الداني، (٨٨٥/٢)،

(٣) ينظر: الحجة في القراءة السبع، أبو علي الفارسي، (٢٢٦/٢)، المبسوط في القراءات العشر، ابن مهران النيسابوري، ص١٣٥-١٣٦، حجة القراءات، ابن زنجلة، ص١١٣، جامع البيان في =

على خياله.

رابعاً: أَن إِبْرَاهِيم اسْم قديم أعجمي دخل فِي كَلَام الْعَرَب، وقد تكلمت به، وَالْعرب إِذا أعربت اسْما أعجميًا تَكَلَّمت فِيهِ بلغات، فَمنها: إِبْراهامُ، وإِبْراهُوم، وإِبْراهَمُ، وإِبراهُم، وإِبْراهِم، وأَبْرَهَم، وإِبْرُهُم[(١)].

المثال السادس: قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥١].

استدل بها منكرو السنة النبوية على إنكار السنة النبوية، واعتبروا أنها أمر من الله –تعالى– للاكتفاء بالقرآن، ونبذ السنة، قال مصطفى المهدوي: "ومتى كان الأمر كذلك، وكان الله –تبارك وتعالى– قد حفظ لنا كتابه، وفيه الدين كله مفصلا، وفيه السنة–أيضاً– فيما توصف به الآيات الكريمات خُلقَ الرسول الكريم، وأفعاله وأقواله، فيجب أن نكتفي بذلك، ونهجر ما سواه، نزولاً عند قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥١][(٢)].

وهذا تعسف في التفسير، وإنزال للآية في غير سياقها، وغير ما أنزلت من

=

القراءات السبع، مرجع سابق، (٢/٨٨٥)، الوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة، أبو علي الأَهْوَازي، ص١٣٣، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، أبو القاسم الهُذَلي، ص٤٩٢.

(١) حجة القراءات، مرجع سابق، ص١١٤، بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، (٦/٣٢)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، (٤/٢).

(٢) البيان بالقرآن، (١/١١).

أجل بيانه، فعند النظر في سياق الآية، نجد أن الآيات تتحدث عن طلب كفار قريش من الرسول بأن يأتيهم بمعجزات حسية إلى جانب القرآن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٤٧ – ٥١]، قال ابن جرير:" يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَقَالَتِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ: هَلَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ تَكُونُ حُجَّةً لِلَّهِ عَلَيْنَا، كَمَا جُعِلَتِ النَّاقَةُ لِصَالِحٍ، وَالْمَائِدَةُ آيَةً لِعِيسَى، قُلْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ، لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِهَا غَيْرُهُ ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ، أُنْذِرُكُمْ بَأْسَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ عَلَى كُفْرِكُمْ بِرَسُولِهِ. وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ {مُّبِينٌ} يَقُولُ: قَدْ أَبَانَ لَكُمْ إِنْذَارَهُ"(١).

ثم تأتي هذه الآيات التي استشهدوا بها على الاكتفاء بالقرآن: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١].

قال ابن جرير: "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَوَ لَمْ يَكْفِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ، الْقَائِلِينَ: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ، مِنَ

---

(١) جامع البيان، (١٨/٤٢٨).

الْآيَاتِ وَالْحُجَجِ ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ هَذَا ﴿ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، يَقُولُ: يُقْرَأُ عَلَيْهِمْ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً﴾،يَقُولُ: إِنَّ فِي هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ لَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَذِكْرَى يَتَذَكَّرُونَ بِمَا فِيهِ مِنْ عِبْرَةٍ وَعِظَةٍ"(١).

وبعد هذا العرض، يخلص الباحث إلى: أن أصحاب هذا الاتجاه المتسمين بالقرآنية خاضوا فيما لا علم به ولا تصور، وأقدموا على تأويل آيات الله بلا مستند ولا دليل شرعي، وإنما اعتمدوا على عقولهم وأهوائهم، فكان سعيهم ضلالاً، وتفاسيرهم وبالاً، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٠﴾ [القصص: ٥٠].

إنهم لم يلتزموا أدب العلم ومنهجه، بإعطاء القوس باريها، ورد العلم إلى أهله، ومما يجب التنبيه عليه أن استمرارهم في هذا السبيل عبارة عن دخول في سراب من التيه والضلال؛ فما يقومون به محاولة للتعامل مع علم لم يعرفوا أصوله وقواعده، ولم يملكوا أدواته ومناهجه الملائمة له، إنهم أرادوا فتح الباب بغير مفاتيحه الصحيحة، فباؤوا بالفشل، وجاءت مغالطاتهم مخالفة لمراد الله عز وجل.

(١) المرجع السابق، (١٨/٤٢٨).

المبحث الخامس
البعد عن المنهجية العلمية في تناول الموضوعات القرآنية

تتجلى أهمية الاعتماد على المنهج العلمي في تناول الموضوعات القرآنية من خلال كونه يشكل منارات معرفية يستطيع المفسر من خلالها الوصول إلى العلم الحق، والسلامة من أي عمل يشوبه الخطأ والخلط، وهذا المنهج العلمي هو الطريق السليم "للعمل على ضبط الجهود العميلة والفكرية، ووضع الأطر والإجراءات أو التصورات، والقواعد العامة التي يمكن اعتمادها بما يكفل الوصول إلى الحقيقة، وهذا يجري-بطبيعة الحال- على كل ميادين المعرفة المختلفة"[(١)].

وعليه فإن أيَّ إصابة للمنهج العلمي في أي جانب من جوانبه المتعددة يؤدي إلى الخلل، مما قد يؤثر عكسيًا على الأفكار التي طرحت للدراسة؛ ولذا "درج العلماء على تقسيم مختلف ما أُلِفَ عن تفسير القرآن إلى إسهامات مقبولة، وهي المنضبطة علميًا، وكتابات منحرفة، وهي التي تكون ناتجة عن جهل بالعلم أو هادفة إلى تقرير مذهب فاسد. وهذا التقسيم إنما وضعوه حين أرادوا الكلام عن اتجاهات التفسير وبدعه؛ والهدف منه تمييز تراث المبتدعة المنسوب إلى علم تفسير القرآن عن التفاسير العلمية السليمة المنهج"[(٢)].

---

(١) دراسات في منهج النقد عند المحدثين، محمد علي قاسم العمري، ص٤٠.

(٢) علم التفسير في كتابات المستشرقين، د. عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، مجلة جامعة أم القرى، العدد (٢٥)، ج(١٥)، ص١٠٣، تفسير القرآن في كتابات المستشرقين، د. عبد =

ومن خلال النظر في كتابات القرآنيين-منكري السنة- عن تفسير القرآن الكريم نجد أنهم يسلكون به طريقًا غير طريقه، ويُلبسونه ثوبًا غير نسجه، فلم تتسم كتاباتهم بالمنهجية العلمية، بل غلب عليها غياب المنهج العلمي، وسيطرت عليها الفوضى المنهجية، وظهر عليها الخبط، وفقدان كل صور الموضوعية العلمية، ولذلك مظاهر متعددة، يشير الباحث إلى بعضها على سبيل الإيجاز:

أولها: إخضاع النصوص القرآنية للفكرة التي يعتقدونها مسبقًا دون دليل شرعي.

إن الجرثومة الخطيرة التي تفت في عضد المنهج العلمي، وتؤدي به إلى الخلل والانحراف هو دخول عالم القرآن بمقررات فكرية مسبقة، والتعامل معه من خلالها، وليِّ أعناق النصوص لتكون شاهدةً لما يحملونه من باطل وضلال! [(١)].

والمسألة التي لا يمكن إغفالها في هذا الجانب هي أن القرآنيين لم يرسموا لأنفسهم نحلة دينية، ولم يسيروا على عقيدة معروفة، ولكن لعبت برؤوسهم الغواية، وتسلطت على قلوبهم وعقولهم أفكار وآراء من نحل مختلفة فانطلقوا إلى القرآن الكريم، وهم يحملون في قلوبهم ورؤوسهم هذه الأمشاج من الآراء، فأخذوا يؤولون القرآن بما يتفق معها، تأويلاً لا يقره العقل ولا يرضاه الدين[(٢)].

=

الرزاق بن إسماعيل هرماس، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد(٦٧)، ص١٥٢.

(١) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص٤٩٦.

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون، (٢/٣٨٣).

ومن هنا كانت إساءتهم للقرآن أكثر من إفادتهم، لقد ولدت هذه الطريقة المدخول فيها في عالم القرآن إلى جعل صورة التفسير شائهة، كونها انتجت شروحًا لكثير من النظريات والأفكار والمذاهب المنحرفة عند تفسير القرآن الكريم، فأصبح التفسير للنظريات لا للآيات، واعتمد على القرآن في تدعيم الأفكار، لا لاستخراج الأحكام.

لقد انطلق القرآنيون إلى القرآن ليفسروه ورؤوسهم مملوءة بتلك الأفكار التي تلقوها من الفرق والمذاهب المادية المنحرفة، كالباطنية، والمعتزلة، والخوارج، والماركسية، والعلمانية، والاشتراكية، وغيرها، وبعد الارتواء من تلك الأفكار التي أصبحت تشكل ترسانة للأفكار المسبقة والجاهزة والمهيمنة، دخلوا عالم القرآن[١]،وبدأوا يدورون حولها ويبحثون عن سبل نصرها[٢].

إن هذه المنهجية معيبة، وهذا الأسلوب مشين؛ عابه علماء الأمة قديمًا وحديثًا، ونبذوه في كثير من مؤلفاتهم وأقوالهم، والتي يذكر الباحث طرفًا منها:

قال ابن قتيبة-رحمه الله-في بيانه لمنهج المبتدعة في التفسير: "وَفَسَّرُوا الْقُرْآنَ بِأَعْجَبِ تَفْسِيرٍ، يُرِيدُونَ أَنْ يَرُدُّوهُ إِلَى مَذَاهِبِهِمْ، وَيَحْمِلُوا التَّأْوِيلَ عَلَى نِحَلِهِمْ"[٣].

---

(١) وقد حاول محمد شحرور التنكر لهذا المنهج، فقال: "إذ إننا لم نحاول أثناء تحليلنا للقصص الالتفاف على المنهج من أجل تثمير قراءتنا بما يخدم الغايات التي افترضناها، وإنما التزمنا منهجنا في قراءة النص الذي سرنا عليه منذ كتابنا الأول". القصص القرآني(١)، ص٢١٤، ٢١٥.

(٢) ينظر: العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، ص١٩٥.

(٣) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، ص١١٩.

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله- في بيان طريق أهل الضلال: "يَجْعَلُونَ الْأَلْفَاظَ الَّتِي أَحْدَثُوهَا وَمَعَانِيهَا هِيَ الْأَصْلَ، وَيَجْعَلُونَ مَا قَالَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ تَبَعًا لَهُمْ فَيَرُدُّونَهَا بِالتَّأْوِيلِ وَالتَّحْرِيفِ إِلَى مَعَانِيهِمْ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ نُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِالْعَقْلِ وَاللُّغَةِ يَعْنُونَ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ مَعْنًى بِعَقْلِهِمْ وَرَأْيِهِمْ ثُمَّ يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ بِمَا يُمْكِنُهُمْ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ وَالتَّفْسِيرَاتِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِتَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ. . . ، وَهَذِهِ الطَّرِيقُ يَشْتَرِكُ فِيهَا جَمِيعُ أَهْلُ الْبِدَعِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ"(١).

وقال خالد العك في بيانه لعوامل الانحراف في التفسير: "الثاني: أن يعتقد المفسر معنى من المعاني، ثم يريد أن يحمل ألفاظ القرآن الكريم على ذلك المعنى الذي يميل إليه ويعتقده"(٢).

وقال د. عبد الرحمن الزنيدي: "وهكذا دارس نصوص الشريعة، ينبغي أن يتلقى منها مقرراتها كما جاءت، فيكون تلميذاً بين يديها لا يتقدم عليها كما هو شأن غير المسلمين وغير طالب الحق.

إن من أسباب انحراف الفهم في دراسة النصوص الشرعية، هو أن بعض المسلمين ينفعل بواقع معين أو منهج فكري معين في عصر من العصور فيستولي على مشاعره ويأخذ منه موقفًا معينًا: إما بالقبول والإعجاب والتحمس لنشره، أو بالرفض والمناوأة والتحمس لرده.

ثم يأتي الباحث للنصوص بهذه المسبقات الفكرية ليوجه النصوص؛ كي تخدم

---

(١) مجموع الفتاوى، (١٧/٣٥٥).

(٢) أصول التفسير وقواعده، ص٢٢٧.

موقفه الذي تبناه بتأثير من خارج هذه النصوص"[١].

وقال د. صلاح الخالدي: "ولا مانع من أن يدرسَ أيُّ إنسان القرآن، والقرآنُ لا يخشى من أن يدرسه أيُّ إنسان، سواء كان مسلمًا أو يهوديًا أو نصرانيًا، قسيسًا أو باحثًا أو عالمًا، لكنه يشترط على الذي سيدرسه شرطًا واحدًا، هو: أن لا يُقْبِلَ على القرآن بمقرر فكريٍّ أو عقيديٍّ مسبق، وأن لا يَحملَ فكرةً يريد إثباتها في القرآن! إنّه إن فعل ذلك تكون دراستُه منحازةً متحاملة، ومن ثَمَّ سيخرجُ من هذه الدراسة بنتائج خاطئة، تقوم على التحامل والهوى والمزاجية"[٢].

ولهذا كان الطريق: "الأمثل في فهم القرآن وتفسيره، وفي التصور الإسلامي وتكوينه. . أن ينفض الإنسان من ذهنه كل تصور سابق، وأن يواجه القرآن بغير مقررات تصورية أو عقلية أو شعورية سابقة، وأن يبني مقرراته كلها حسبما يصور القرآن والحديث حقائق هذا الوجود"[٣].

لقد تناول منكرو السنة الآيات القرآنية بالتفسير من خلال أفكارهم المسبقة، ومثاله:

ما قام به شحرور من تفسير لآيات القرآن بمنظار نظرية المعرفة الماركسية، فكتابه (الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة) "مصوغ صياغة لا يشك قارئه المطلع

(١) مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، مرجع سابق، ص٤٣٢.

(٢) القرآن ونقض مطاعن الرهبان، د. صلاح الخالدي، ص١٦.

(٣) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (١٠٣٦/٣).

على الكتب الماركسية في أنه يسير ضمن أساليبها الفكرية، وألفاظها ومصطلحاتها، وقد اجتهد كاتبه أو من أملاه عليه في أن يفسر القرآن المجيد وآياته بمنظار نظرية المعرفة عند الماركسيين، أي: اجتهد في أن يحرف كتاب الله ليساير بتحريفه الفكر الماركسي اليهودي الصُّنْع، بأساليب تضليلية تحايلية لولبية مهرها الماركسيون أكذب خلق الله"[١].

ومثال ذلك قضية التعدد، فالماركسيون يرون أنه يجب على الرجل أن يتزوج بزوجة واحدة فقط، ولكن تعدد الصديقات والخيانة الزوجية يظلان من امتيازات الرجال[٢]، وعليه بنى الماركسيون حرمة تعدد الزوجات، وأخذ عنهم تلامذهم من منكري السنة النبوية هذا الفكر وحظروا على الأمة التعدد، ولم يسمحوا به إلا في إطار ضيق، مع وضع العقبة الكؤود التي تصد عنه، وقد تحدث كثير منهم عن هذه المسألة وأخذت نصيبًا وافرًا من اهتماماتهم[٣]، ونأخذ نموذجًا واحدًا منهم، هو المهندس المدني محمد شحرور، ونعرض لموقفه من التعدد، من خلال كتابه الكتاب والقرآن[٤]، حيث يرى في التعدد ما يأتي:

---

(١) التحريف المعاصر في الدين، ص١٩-٢٠.

(٢) ينظر: أسباب سقوط الشيوعية(الماركسية)، أحمد بن عبد الله الغامدي، (٢/٥٩٠)، رسالة ماجستير جامعة أم القرى.

(٣) ينظر: الهداية والعرفان، ص٥٣، الزواج والطلاق المدني في القرآن، محمد أبو زيد، ص٢٢، سنة الأولين، ص٧٥٠، المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص٦١- ٦٨، المعجزة الكبرى(حوار أكثر من جريء)، ص٤٦٥.

(٤) ينظر: الكتاب والقرآن، ص٥٩٧- ٦٠٢.

١- أن تعدد الزوجات من أهم المشاكل التي تواجه المرأة العربية الإسلامية بشكل خاص، وتواجه الإسلام أمام العالم بشكل عام.

٢- أن منع تعدد الزوجات وقوف عند حدود الله في الكم دون أن نتعداها، ولا يوجد أي حرمة في ذلك.

٣- إفترى على المفسرين، فزعم أنهم رجحوا بأن أساس العدد في الزواج واحدة، وقالوا: إن تعدد الزوجات يكون ضمن ظروف اضطرارية.

٤- لا يكون التعدد في الزوجات إلا من الأرامل ذوات الأولاد، وأن يتزوجهن الرجل ويأخذهن كزوجات مع أولادهن.

٥- المراد بالعدل في الآية هو العدل بين الأولاد (أولاده وأولاد زوجاته الأرامل).

٦-لا يجوز أن يتزوج إنسان أرملة وعندها أولاد، ويأخذها دون أولادها، وسماه خروجًا عن حدود الله، ولا يجوز أن يسمح به التشريع الإسلامي أبدًا.

٧- وعندما اصطدم بسنة الرسول ﷺ وقيامه بالتعدد، وكانت إحدى تلك الزوجات بكرًا، قال: ولقد كانت زيجاته من سنن الأولين، وليس من سننا نحن، وقال: إن هذا الزواج من قبل الرسول ﷺ يسبب حرجًا على النبي وعلينا، فرأى أن المخرج منها، بأمرين:

أ- أن البحث في زيجات النبي ﷺ هو ضرب من العبث.

ب- أن النبي ﷺ في زيجاته لا يعتبر أسوة لنا أبدًا، وكذلك زوجاته لا يعتبرن أسوة لنساء المسلمين.

وللإجابة عن ذلك، يقول الباحث: نتيجة لجهله بمقاصد الشريعة، وإصابته

بلوثة فكرية، وتأثره بالحضارة الغربية من ماركسية وعلمانية، وأفكارها الهدامة التي تحرم التعدد، سعى إلى محاكمة النصوص القرآنية وحجبها عن طريق التأويل، لكي توافق الأفكار المسبقة التي أشربها عقله، ولنا مع هذا الكلام وقفات، منها:

الأولى: أنه في حظره التعدد يسعى لبث الفكر الماركسي ونظرته للزواج والتعدد، الذي حظر التعدد، وأباح غيره من المحرمات، كالصديقة، وغيرها.

الثانية: قوله: التعدد مشكلة تواجه النساء المسلمات، قول باطل من وجهين:

١- أن في إباحة التعدد مصلحة تعود على جنس النساء، فإنهن غالبًا أكثر من الرجال، ففي إباحة التعدد من مصلحة إحصانهن والقيام عليهن ما يفوت كثيراً منه لو منع التعدد؛ فبمنع التعدد تحرم كثير من النساء الزواج والذرية، فتعيش الصالحة العفيفة منهن أيِّما مسكينة محرومة، وتعيش الأخرى فاجرة عاهرة يتلاعب المجرمون بعرضها(١).

٢- "أما الغيرة والحزن الذي تحس به الزوجة حينما يأخذ زوجها الأخرى فهو أمر عاطفي، والعاطفة لا يصح أن تقدم في أي أمر من الأمور على الشرع، ويمكن للمرأة أن تشترط لنفسها قبل عقد الزواج أن لا يتزوج عليها زوجها، فإذا قبل لزمه الشرط، وإذا قرر الزواج عليها فلها الخيار في البقاء أو الفسخ، ولا

---

(١) ينظر: منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبد العزيز معمر، (٢/٦٧٠)، دين الحق، عبد الرحمن عمر، ص١٠٢.

يأخذ شيئًا مما أعطاها"(١).

الثالثة: أن الإسلام رخص في التعدد، وحث عليه، قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]، فظاهر الآية يدل على أن المراد إباحة الجمع بين أربع من النساء فأقل، وهذا مقام امتنان من الله لعباده وإباحة كما قال -ذلك- ابن عباس رضي الله عنهما(٢).

وقال ابن حجر في الآية: "وجه الاستدلال: أنها صيغة أمر تقضي الطلب، وأقل درجاته الندب فثبت الترغيب"(٣).

وقال أحمد شاكر: "إن القرآن نص صراحة على تحليله؛ بل جاء إحلاله بصيغة الأمر التي أصلها للوجوب...وشرط العدل في هذه الآية...شرط شخصي لا تشريعي، أعني أنه شرط مرجعه لشخص المكلف لا يدخل تحت سلطان التشريع والقضاء، فإن الله قد أذن للرجل-بصيغة الأمر-أن يتزوج ما طاب له من النساء"(٤).

وقال الشنقيطي: "وَمِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ إِبَاحَتُهُ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ إِلَى أَرْبَعٍ،....، وَلَا شَكَّ أَنَّ الطَّرِيقَ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الطُّرُقِ وَأَعْدَلُهَا، هِيَ إِبَاحَةُ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ لِأُمُورٍ مَحْسُوسَةٍ يَعْرِفُهَا كُلُّ الْعُقَلَاءِ"(٥).

---

(١) دين الحق، مرجع سابق، ص١٠٣.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/٢٠٩).

(٣) فتح الباري، ابن حجر، (٩/١٠٤).

(٤) عمدة التفسير، (٣/١٠٣).

(٥) أضواء البيان، (٣/٢٢).

الرابعة: أن الآية القرآنية لم تخصص الزواج ببكر أم ثيب، وإنما تركت الأمر للإباحة، وهذا التقييد من شحرور، إنما هو محاولة لوضع المعوقات أمام التعدد، وهو على خلاف ما ورد من فعله ﷺ من زاوجه بأم المؤمنين عائشة–رضي الله عنها– وهي بكرٌ، وهو قدوتنا في كل أمر–إلا ما خصه الله به– بل إن النبي ﷺ كان يرشد أصحابه عند الزواج بالزواج من البكر، فعندما تزوج جابر بن عبد الله(١) رضي الله عنه بثيب، فقال له النبي ﷺ: (هَلاَّ تَزَوَّجْتَ بِكْرًا تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ)(٢). فالْحَدِيث دَلِيل عَلَى اِسْتِحْبَاب نِكَاح الْأَبْكَار إِلَّا لِمُقْتَضٍ لِنِكَاحِ الثَّيِّب كَمَا وَقَعَ لِجَابِرٍ(٣)، قال القاضي عياض: "وفى الحديث فضل تزويج الأبكار، ولاسيما للشباب"(٤).

الخامسة: أجمعت الأمة قولاً وعملاً منذ عهد النبي ﷺ إلى يومنا الحاضر على حل تعدد الزوجات، وهو حجة تشريعية بعد الكتاب والسنة، و لم ينقل عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم والأئمة وعلماء الدين خلاف ذلك(٥).

السادسة: أما قوله: إن المقصود بالعدل، هو أن يكون بين أولاد الزوجات

---

(١) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الخزرجي السلمي، أبو عبد الله، صحابي ابن صحابي، شهد العقبة مع أبيه وهو صبي، وقيل: إنه شهد بدرًا، كان من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ، توفي سنة، (٥٧٨). ينظر: أسد الغابة، (٤٩٢/١)، معجم الصحابة، البغوي، (٤٣٨/١)، معجم الصحابة، ابن قانع، (١٣٦/١).

(٢) صحيح البخاري، برقم، (٢٨٠٥)، (١٠٨٣/٣)، صحيح مسلم، برقم، (٧١٥)، (١٢٢١/٣).

(٣) نيل الأوطار، (١٢٦/٦).

(٤) إكمال المعلم، (٣٤٨/٤).

(٥) ينظر: لماذا الهجوم على تعدد الزوجات، أحمد الحصين، ص١٧.

فغير صحيح لأمرين:

١-أن الآية تحدثت عن العدل بين النساء، وليس عن العدل بين الأولاد، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء: ١٢٩]، ففي الآية تصريح من المولى-جل وعلا-بنفي الاستطاعة في العدل بين النساء، بأن تُسووا بينهن في الحب وميل القلب، (وَلَوْ حَرَصْتُمْ) على العدل[١]، وليس للأولاد في الآية ذكر ولا إشارة.

٢-أن أخذ الزوج لعيال الأرملة هو من باب التفضل والكرم منه والشفقة عليهم، وليس من باب الإلزام.

السابعة: قوله: إن المفسرين قالوا أساس العدد واحد في الزواج، فغير صحيح، لأن جمهور العلماء، قالوا: المراد به إباحة الثنتين إن شاء، والثلاث إن شاء، والأربع إن شاء، وأنه مخير في أن يجمع من هذه الأعداد ما شاء، فتقدير الكلام: تخيروا في هذه الأعداد[٢].

ومن أمثلة دخولهم عالم القرآن بمقررات سابقة يحاولون إثباتها من خلال القرآن الكريم، نظرية الانفجار العظيم، التي تبناها محمد شحرور، بقوله: "إننا نتبنى النظرية العلمية القائلة بأن ظهور الكون المادي كان بنتيجة انفجار هائل أدى إلى تغير طبيعة المادة"[٣]. ومن ثم حاول تتريلها على آية القرآن، فقال:

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (٥/٤٠٧)، معالم التتريل، (١/٧٠٩).

(٢) أحكام القرآن، الكيا الهراسي، (٢/٢١٦).

(٣) الكتاب والقرآن، ص٢٣٤.

"فالخلق الأول بدأ بانفجار كوني هائل حيث قال: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ [الفجر: ١ - ٣]، حيث إن الفجر هو الانفجار الكوني الأول، ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ معناه أن المادة مرت بعشر مراحل للتطور حتى أصبحت شفافة للضوء، لذا أتبعها بقوله: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾، حيث إنَّ أول عنصر تكون في هذا الوجود، وهو الهيدروجين، وفيه الشفع في النواة والوتر المدار، وقد أكد هذا في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، والهيدروجين هو مولد الماء، أي بعد هذه المراحل العشر أصبح قابلاً للإبصار؛ لذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١]"(١).

ولا ريب أن ما ذهب إليه المهندس شحرور في تفسير الآيات، ليس من التفسير في شيء؛ لأن الآيات في معزل عن هذه النظرية سواء صحت أم لم تصح، ولا تسمح بهذا التأويل الفاسد، وبيان ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾، الآية تتحدث عن الفجر، وقد ورد خلاف بين السلف في بيان هذا الفجر على أقوال(٢) إلا أن المشهور من اللفظ أنه يطلق على أول النهار، وقد يكون ذكر صلاة الفجر مرادًا به ذكر أفضل عمل يتضمنه الفجر، لا تفسير معنى الفجر(٣).

---

(١) المرجع السابق، ص٢٣٥.

(٢) فقيل، هو: فجر الصبح، وقيل: النهار، وقيل: صلاة الفجر. ينظر: جامع البيان، (٢٤/٣٤٤، ٣٤٥)، تفسير جزء عم، د. مساعد الطيار، ص١٣٧.

(٣) تفسير جزء عم، مرجع سابق، ص١٣٧.

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، وفي الآية يقسم ربنا بليالٍ عدها عشر، وهي ليالي عشر من ذي الحجة[١]، وهذا ما رجحه ابن جرير، بقوله: "وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنَّهَا عَشْرُ الْأَضْحَى، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَيْهِ"[٢].

٣- قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾، قال ابن جرير: "إِنَّ اللَّهَ-تَعَالَى ذِكْرُهُ- أَقْسَمَ بِالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ نَوْعًا مِنَ الشَّفْعِ وَلَا مِنَ الْوَتْرِ دُونَ نَوْعٍ بِخَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ، وَكُلُّ شَفْعٍ وَوَتْرٍ فَهُوَ مِمَّا أَقْسَمَ بِهِ،

مِمَّا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ إِنَّهُ دَاخِلٌ فِي قَسَمِهِ هَذَا لِعُمُومِ قَسَمِهِ"[٣].

ثانيها: عدم تحصيلهم للعلم وأدواته التي تعين على فهم القرآن فهمًا صحيحًا.

مما لا شك فيه أن المعارف البشرية جميعها يتوقف استيعابها على الإحاطة بكلياتها وفروعها، ولا يوجد نوع من هذه المعارف يمكن تحصيلها دون طلب، والحرص على الطلب مع المواظبة والاستمرار يورث العلم، ثم إن جميع العلوم لها أصول وقواعد، والطريق الذي سلكه العلماء كيفما كانوا هو أولاً التحصيل من مصادره ومظانه، ثم الانضباط لقواعد العلوم وأصوله. . . فالذي لم يسلك طريق التحصيل أولاً جاهل ولو ادعى خلاف ذلك.

---

(١) المرجع السابق، ص١٣٧.

(٢) جامع البيان، (٢٤/٣٤٨).

(٣) المرجع السابق، (٢٤/٣٥٥).

والذي لا ينضبط لقواعد العلم وأصوله وآدابه مخالف لمقتضى العلم-وإن سبق له التحصيل- فلا يؤمن أن يخلد إلى هواه(١).

وعند العودة إلى كتابات منكري السنة (القرآنيين) نجد أنهم دخلوا هذا الميدان وهم ليسوا من أهله، بل هم من تخصصات أخرى مختلفة، فمحمد توفيق صدقي طبيب بشري، ومحمد شحرور مهندس معماري، وأحمد صبحي كاتب تاريخي، وعدنان الرفاعي مهندس مدني، وجمال البنا كاتب عمالي، ونيازي عز الدين عسكري،....، وغيرهم، فأساؤوا إلى علم التفسير بكتابتهم فيه، وهم لا يملكون أساسياته، ولا يعرفون أصوله وقواعده، فخرجت كتاباتهم تشكو فقرها المعرفي، وتبدي جهلها لبدهيات هذا العلم، ومع هذا لا يفقهون مناهج الاستدلال ولا يقدرون على الوصول إلى حقائق القرآن الكريم.

وهذا السبيل يأباه المنهج العلمي في أي جانب من العلوم والمعارف الإنسانية، فكيف يقبل عند التعامل مع كلام رب البرية سبحانه وتعالى؟

ومن هذا الطريق كان الانحراف والخطأ الذي لا يأتي عادة من أهل الاختصاص الراسخين في العلم، قال الشاطبي: "إن كل راسخ لا يبتدع أبدًا، وإنما يقع الابتداع ممن لم يتمكن من العلم الذي ابتدع فيه، . . . ، فإنما يؤتى الناس من قبل جهالهم الذين يحسبون أنهم علماء"(٢).

---

(١) علم التفسير في كتابات المستشرقين، مرجع سابق، ص١٠٤، تفسير القرآن في كتابات المستشرقين، مرجع سابق، ص١٥٤.

(٢) الاعتصام، (١/ ١٩٢).

إن تحصيل هؤلاء لبعض العلوم العلمية، وتفوقهم فيها؛ قد غرهم إلى الدخول في هذا العلم، وظنوا أن مقدراتهم العقلية، وخبراتهم في العلوم المادية، سوف تؤهلهم إلى الخوض في علم التفسير، اكتفاءً بما عندهم من العلم، فضل سعيهم، وجنوا على التفسير بجهلهم، قال عبد العزيز الطريفي: "وكما أن العلم مراتب، كذلك فالجهل بالمعلومات يتفاوت، وأعظم الجهل خطرًا الجهل بحقائق الدين المنوط به الخلق وسبب الإيجاد، وكثير من أهل العقل والمعرفة الدنيوية طُلقاء الجسد محبوسو العقل عن إدراك حقائق الوحي ومعرفة مقاصده، ويمنع أحدهم من ذلك أنه يقوم بإطلاق ذهنه وتفكيره بلا قيد في باب من أبواب العلوم المادية أو الغيبية، ويتوسع فيها حتى يغتر بنفسه، فيظن أنه ممن يملك النظر في علوم أخرى، وهذا ممتنع في أصول العلوم، فكيف في فروعها ودقائقها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝٧ ﴾ [الروم: ٧]، فلا يعني إدراك الماديات والدقة فيها فهم ما وراءها بنفس الذكاء والعقل"[(١)].

قال ابن عباس في تأويل آية سورة الروم السابقة: "يعرفون عمران الدنيا، وهم في أمر الدين جُهّال"[(٢)].

ثالثها: غياب القراءة الجامعة.

القراءة الجامعة من أهم الأسس لفهم النص الشرعي وتفسيره واستنباط الأحكام منه، ويقصد بها أن يكون النظر والتحليل للنص ضمن إطاره الكلي من

(١) العقلية الليبرالية، عبد العزيز الطريفي، ص١١٣-١١٤.

(٢) جامع البيان، (١٨/٤٦٢).

حيث علاقته بالنصوص الأخرى-قرآنًا وسنة- ومن حيث سياقه المقامي واللغوي وأسباب نزوله، وفهم السلف من الصحابة والتابعين(١).

ولعل من الـــمُسَلَّم به عند أصحاب المناهج العلمية أن من أسلم طرق البحث الاعتماد على القراءة الجامعة التي تقوم على جمع المادة المتعلقة بالموضوع المراد بحثه من خلال التتبع والاستقراء، ومن ثم التحليل واستخلاص النتائج، والخروج برؤى وتصور واضح عن كل ما يريد الباحث الوصول إليه، وهذه السمة هامة جدًا في ميادين البحوث، وغيابها يمثل خطرًا يؤدي إلى نتائج غير مرضية في ميادين البحث.

ومن هذا المنطلق، يجد الناظر في كتابات منكري السنة النبوية بروز هذه الظاهرة بشكل كبير، حيث اعتمدوا على بتر النصوص واجتزائها، والتخير من الأدلة والنصوص ما يوافق أهواءهم ويدعم فكرهم، وإهمال النصوص الأخرى التي تشكل مع هذه النصوص وحدة متكاملة، يظهر من خلالها بيان النص القرآني في أكمل صوره، إن هذا العمل في حقيقته"نوع من أنواع تحريف الكلم عن مواضعه، فالتحريف لا ينحصر في تبديل الألفاظ فحسب، بل يندرج تحته كل ما يمكن أن يغير المعنى، والمراد من المقصود"(٢).

إن كتابات منكري السنة النبوية في التفسير لم تتسم بالشمول والقراءة

---

(١) ينظر: الأسس العامة لفهم النص الشرعي، د. عبد المجيد السوسوة، ص٢٧، تفسير النصـــوص في الفقه الإسلامي، د. محمد أديب الصالح، (١/٦٦).

(٢) أثر القراءة العضين وتداعياتها في فهم السنة النبوية، د. رقية طه العلواني، (١/ ١٤٧).

الجامعة للنصوص القرآنية، بل غلب عليها تقطيع النصوص وإبعادها عن سياقها، وفصل الكلمة القرآنية عن أخواتها، وهذا من أكبر العيوب في تفسير القرآن؛ لأن "من وجوه الدقة في النص القرآني، هي استحالة تفسير صيغة من صيغه أو عبارة من عباراته، مبتورة من سياقها الخاص في الآية والسورة، ومن سياقها العام في المصحف كله"[1].

وهذا ما قام به منكرو السنة النبوية في تفسيرهم لآيات القرآن، فأخذوا الآيات وبتروها من سياقها واستشهدوا بها على ما يؤيد فكرهم، ومثاله: ما قام به أحمد صبحي منصور في الاستشهاد بالآيات القرآنية على إنكار السنة والنكير على متبعيها، وتتريل الآيات عليهم، وهي ليست كذلك، قال أحمد صبحي منصور: "يقول تعالى عن أعداء الأنبياء من أصحاب الوحي الشيطاني: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢]، ثم يتحدث المولى -تعالى- عن الأتباع من العامة لهذا الوحي الشيطاني[2]: ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٣]، ثم يقول تعالى عن كتابه الذي ينبغي أن نحتكم إليه، وهو الكتاب المفصل الذي يعلم أهل الكتاب أنه الحق من ربهم: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأنعام: ١١٤]، ثم يصف

---

(١) القرآن والتفسير العصري، ص٥٣.

(٢) يقصد به السنة النبوية.

القرآن بأنه تام غير ناقص، وصادق غير كاذب؛ لأنه كلمة الله﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٥]، ثم يبين المولى ﷻ أن أكثرية البشر ضالة مضلة تتبع أحاديث آحاد تفيد الظن ولا تفيد اليقين، ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٦]"[١].

الناظر في سياق هذه الآيات يجد أنها تتحدث عن مشركي مكة، ولا تتحدث عن السنة النبوية وأتباعها، قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، يقولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: اتَّبِعْ يَا مُحَمَّدُ مَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ فِي وَحْيِهِ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَيْكَ، فَاعْمَلْ بِهِ، وَانْزَجِرْ عَمَّا زَجَرَكَ عَنْهُ فِيهِ، وَدَعْ مَا يَدْعُوكَ إِلَيْهِ مُشْرِكُو قَوْمِكَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ.

وتستمر الآيات الكريمات في بيان حال رسول الله ﷺ مع المشركين، إلى أن قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٢]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُسَلِّيَهُ بذَلِكَ عَمَّا لَقِيَ مِنْ كَفَرَةِ قَوْمِهِ فِي ذَاتِ اللَّهِ، وَحَاثًّا لَهُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَا نَالَ فِيهِ: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نبيٍّ عَدُوًّا)، يَقُولُ: وَكَمَا ابْتَلَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ بِأَنْ جَعَلْنَا لَكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ أَعْدَاءً شَيَاطِينَ (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ)؛ لِيَصُدُّوهُمْ بِمُجَادَلَتِهِمْ إِيَّاكَ بِذَلِكَ عَنِ اتِّبَاعِكَ

(١) الصلاة بين القرآن والمسلمين، ص١٦.

وَالْإِيمَانِ بِكَ وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ.

فالآية تتحدث عن مشركي مكة، وليس عن أتباع السنة الذين يسميهم أحمد صبحي أتباع الوحي الشيطاني، ثم بعد ذلك تتحدث الآية التي تليها عن حال أولئك الذين اتبعوا أقوال شياطين الإنس والجن، فيقول: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾[الأنعام: ١١٣]، يقول: ولتميل إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة.

ثم يقول تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ﴾، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِاللَّهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، الْقَائِلِينَ لَكَ: كُفَّ عَنْ آلِهَتِنَا وَنَكُفَّ عَنْ إِلَهِكَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ عَلَيَّ بِذِكْرِ آلِهَتِكُمْ بِمَا يَكُونُ صَدًّا عَنْ عِبَادَتِهَا، (أَفغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا)، أَيْ قُلْ: فَلَيْسَ لِي أَنْ أَتَعَدَّى حُكْمَهُ وَأَتَجَاوَزَهُ، لِأَنَّهُ لَا حُكْمَ أَعْدَلَ مِنْهُ، وَلَا قَائِلَ أَصْدَقَ مِنْهُ. (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً)، يَعْنِي: الْقُرْآنَ، مُفَصَّلاً يَعْنِي: مُبَيَّنًا فِيهِ الْحُكْمُ فِيمَا تَخْتَصِمُونَ فِيهِ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِكُمْ.

ثم يقول تعالى: وَكَمَلَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ، يَعْنِي الْقُرْآنَ. (صِدْقًا وَعَدْلاً)، يَقُولُ: كَمَلَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ مِنَ الصِّدْقِ وَالْعَدْلِ، (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ)، يَقُولُ: لَا مُغَيِّرَ لِمَا أَخْبَرَ فِي كُتُبِهِ أَنَّهُ كَائِنٌ مِنْ وُقُوعِهِ فِي حِينِهِ وَأَجَلِهِ الَّذِي أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ وَاقِعٌ فِيهِ.

ثم يحذر الله نبيه عن اتباع المشركين: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام: ١١٦]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: لَا تُطِعْ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِاللَّهِ الْأَنْدَادَ يَا مُحَمَّدُ فِيمَا دَعَوْكَ إِلَيْهِ مِنْ

أَكْلِ مَا ذَبَحُوا لِآلِهَتِهِمْ، وَأَهَلُّوا بِهِ لِغَيْرِ رَبِّهِمْ وَأَشْكَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ، فَإِنَّكَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَمَحَجَّةِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ فَيَصُدُّوكَ عَنْ ذَلِكَ(١).

وقال أحمد صبحي منصور: "يقول الله-تعالى-عمن لا يكتفي بالقرآن كلام الله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١]، فالاكتفاء بالقرآن كتابًا يعادل الاكتفاء بالله -تعالى- إلهًا، والمؤمن الحقيقي هو من يكتفي بالقرآن كتابًا وبالله-تعالى- إلهًا لا شريك له، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، والله-تعالى- هو الحق، وقرآنه هو الحق، وفي ذلك الكفاية للمؤمن: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [العنكبوت: ٥٢]"(٢).

وهذه الآيات-أيضًا-تتحدث عن المشركين، فقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَوَ لَمْ يَكْفِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ، الْقَائِلِينَ: لَوْلَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ، مِنَ الْآيَاتِ وَالْحُجَجِ (أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ)، هَذَا (الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ)، يَقُولُ: يُقْرَأُ عَلَيْهِمْ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً)، يَقُولُ: إِنَّ فِي هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ لَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَذِكْرَى

(١) جامع البيان، (٩/٤٧٩-٥٠٩)، باختصار.

(٢) الصلاة بين القرآن والمسلمين، ص١٧.

يَتَذَكَّرُونَ بِمَا فِيهِ مِنْ عِبْرَةٍ وَعِظَةٍ(١).

وأما قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦]، فمعناها: أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ مُحَمَّدًا وَأَنْبِيَاءَهُ مِنْ قَبْلِهِ مَا خَوَّفَتْهُمْ أُمَمُهُمْ مِنْ أَنْ تَنَالَهُمْ آلِهَتُهُمْ بِسُوءٍ(٢).

وأما قوله تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٢]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْقَائِلِينَ لَكَ: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ آيَةٌ مِنْ رَبِّكَ، الْجَاحِدِينَ بِآيَاتِنَا مِنْ قَوْمِكَ: كَفَى اللَّهُ يَا هَؤُلَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَاهِدًا لِي وَعَلَيَّ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ الْمُحِقَّ مِنَّا مِنَ الْمُبْطِلِ، وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِيهِمَا، وَهُوَ الْمُجَازِي كُلَّ فَرِيقٍ مِنَّا بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، الْمُحِقَّ عَلَى ثَبَاتِهِ عَلَى الْحَقِّ، وَالْمُبْطِلَ عَلَى بَاطِلِهِ، بِمَا هُوَ أَهْلُهُ (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ)، يَقُولُ: صَدَّقُوا بِالشِّرْكِ، فَأَقَرُّوا بِهِ (وَكَفَرُوا بِاللَّهِ)، يَقُولُ: وَجَحَدُوا اللَّهَ (أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)، يَقُولُ: هُمُ الْمَغْبُونُونَ فِي صَفْقَتِهِمْ(٣).

فلو قرأ أحمد صبحي هذه الآيات قراءة جامعة من خلال النظر في سابقها ولاحقها لاستبان له موضوع الآيات وما تحدثت عنه، ولظهر له مقصد الآيات،

(١) جامع البيان، (١٨/٤٢٨).

(٢) المرجع السابق، (٢٠/٢٠٩)، باختصار.

(٣) المرجع السابق، (١٨/٤٣٠).

وعند ذلك يعرف من المعني بها، ولا يترلها في متبعي سنة النبي ﷺ؛ لأنهم متبعون للحق والصواب، مستمدون ذلك من وحي الكتاب.

رابعها: فقدان الأمانة العلمية.

لقد أضل الحقد القرآنيين فخانوا المنهج العلمي، عندما أقدموا على النصوص والأقوال، فأخذوا منها ما يظنونه يدعم فكرهم، وتركوا بقية النصوص التي تخالف فكرهم، وتأتي على منهجهم من القواعد فتزيله، وهذه الظاهرة قد بلغت أشدها عند القوم، حتى قال د. عبد الحليم محمود(١) عن أحد كبار منكري السنة: "وأشهد أني لا أعلم أحدًا من أشد المستشرقين تعصبًا ودسًا بلغت جرأته في تحريف النصوص والتلاعب فيها كما بلغت جرأة أبي رية"(٢).

وقال د. مصطفى السباعي(٣) بعد عرضه لخيانات أبي رية للمنهج العلمي الذي كان يدعيه لنفسه: "أفهذا هو المنهج العلمي؟ أهذه هي الدراسة التي قامت على قواعد التحقيق العلمي، وهي الأولى من نوعها، ولم ينسج أحد من قبل على منوالها؟!. . إني لأشهد أن أحدًا من العقلاء الذين يحترمون أنفسهم ويحترمون عقولهم وعقول قُرَّائِهِمْ لم ينسج من قبل، على هذا المنوال! وَحَسْبُ «أَبِي رَيَّةَ» هذا الشرف!. . بَلْ حَسْبُهُ من الشرف أن ينفق على كتابه جهد ثلاثين سَنَةٍ وتزيد. ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

---

(١) فقيه أصولي، أحد مشايخ الأزهر، توفي سنة(١٩٧٨م). ينظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم، ص٢١٠.

(٢) القرآن والنبي، ص٣٩٥.

(٣) سبق التعريف به.

﴿يُحْسِنُونَ صُنْعًا ١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤]. وبعد فقد اتضح لنا مِمَّا سبق أن كتاب أَبِي رَيَّةَ ليست له أية قيمة علمية، لأمرين بارزين فيه:

١ - خُلُوُّ الكتاب من المنهج العلمي.

٢ - وَخُلُوُّ مُؤَلِّفِهِ من الأمانة العلمية، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ٤﴾ [الأحزاب: ٤]"[١].

ومثاله، تفسير مصطفى المهدوي لقوله تعالى: ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ [الفتح: ٢٥]، بأن الهدي هو: تقديم هدية إلى البيت الحرام، من الثريات أو الفرش أو خزانات المصاحف أو غير ذلك[٢]، واستشهد بقول البيضاوي، فقال: "ويقول القاضي ناصر الدين البيضاوي في تفسيره لقوله تعالى من سورة الفتح: ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾، الهدي ما يهدى إلى مكة، فهو يتفق معنا في معنى الهدي، ويختلف مع الذين يظنون أنه ذبح الأنعام"[٣].

والحق أن المهدوي لم يكن أمينًا في نقله إذ أخذ جزءًا من كلام البيضاوي، وترك الباقي، فالبيضاوي-رحمه الله- يقول: "يدل على أن ذلك كان عام الحديبية، (والهدي) ما يهدى إلى مكة. وقرئ «الهدي» وهو فعيل بمعنى مفعول، ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره، والمراد مكانه المعهود، وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز أن ينحر في غيره"[٤]. فيكون مراد البيضاوي من الهدي ما يهدى إلى

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص٣٧٢-٣٧٣.

(٢) ينظر: البيان بالقرآن، (٩٦/١).

(٣) البيان بالقرآن، (٩٧/١).

(٤) أنوار التتريل وأسرار التأويل، (١٣٠/٥).

مكة من الأنعام؛ بدليل ذكره لفظ (النحر)، ومكان النحر(منى)، فكيف تنحر الثريات، والفرش، وخزانات المصاحف في منى الذي هو مكان النحر؟ وإنما عمد المهدوي إلى الخيانة العلمية واجتزأ كلام البيضاوي، وكذلك لم يأخذ كلام البيضاوي في الموضع الآخر الذي يقول فيه عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾[البقرة: ١٩٦]، فعليكم ما استيسر، أو فالواجب ما استيسر، أو فاهدوا ما استيسر. والمعنى إن أحصر المحرم، وأراد أن يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه، من بدنة أو بقرة أو شاة حيث أحصر عند الأكثر؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل"[(١)].

ومن أمثال خيانتهم العلمية، ما قاموا به من الاستدلال لإنكار السنة النبوية وعدم جواز الاحتجاج بها بأحاديث مرفوعة وأخرى موقوفة على الصحابة، ومقطوعة على التابعين، وكلها تنهى عن كتابة السنة، ومحو ما كتب منها، وجمعوا تلك الأحاديث من كتب الأئمة وهم يستعرضونها تمهيدًا للرد عليها، فنقلوا هذه الأحاديث التي تشير إلى شبهتهم، ولم ينقلوا الرد[(٢)].

فالحافظ الخطيب البغدادي في كتابه (تقييد العلم)، عقد بابا بعنوان"الآثار والأخبار الواردة عن كراهة كتابة العلم"، ثم أتبعه بباب ثان بعنوان "وصف العلة في كراهة كتابة الحديث"، ثم أتبعه بباب ثالث بعنوان "الآثار والأخبار

---

(١) المرجع السابق، (١/١٢٩).

(٢) هذا الكلام وما بعده نقلاً عن كتاب السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، (١/٢٥٧، ٢٥٨).

الواردة عن إباحة كتابة العلم"[١].

وكذلك فعل الحافظ ابن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم وفضله" عقد بابا بعنوان "ذكر كراهية كتابة العلم وتخليده في الصحف" ثم أتبعه بباب عنوانه "بيان أن السلف كانوا يكرهون كتابة الحديث "وبعده باب بعنوان "ما ورد في كراهية السلف كتابة العلم، وإنما كانوا يعتمدون على الحفظ"، وبعده باب "ذكر الرخصة في كتابة العلم"، وأخيرًا باب"استحباب السلف كتابة العلم خشية النسيان"[٢].

هذا فضلا عن الأبواب التي تحدثوا فيها عن حجية السنة، فما على خصوم السنة إلا بنقل الباب الذي يؤيدهم في دعواهم "الآثار والأخبار الواردة عن كراهة كتابة العلم" وغض الطرف عن بقية الأبواب التي تفحمهم وتفضح كذبهم وتقيم عليهم الحجة كـ"باب وصف العلة في كراهة كتابة الحديث" وباب "الآثار والأخبار الواردة عن إباحة كتابة العلم".

وهذا دأب أعداء الإسلام دائمًا يتصيدون أدلتهم من تراثنا الإسلامي الخالد، ولا يكلفون أنفسهم شيئًا-فهو قوم تخصصوا في الخيانة العلمية، وإلباس الحق ثوب الباطل.

(١) ينظر: تقييد العلم، ص ٢٩ -١١٣.

(٢) ينظر: جامع بيان العلم، (١/٦٣-٧٧).

ومن سلك ذلك المسلك واستدل بتلك الشبهة من أعداء السنة: توفيق صدقي(١)، ومحمود أبو رية(٢)، وأحمد صبحي منصور(٣)، وإسماعيل منصور(٤)، ومحمد شحرور(٥)، وجمال البنا(٦)، ومصطفى المهدوي(٧)، ونيازي عز الدين(٨).

خامسها: المغالطات الجدلية.

ويقصد بها: "اصطناع مقدمات مزيفة مزخرفة تُوهم بصحتها، فتسوق فكر من يُراد إقناعه بالباطل من حيث لا يشعر، حتى توقعه في الغلط، وهو يحسب أنّه على الصواب، فيقبل الباطل الذي يُساقُ إلى الاقتناع به، ويظنُّه حقًا، فيعتقد صوابه، ويؤمن به، ثم يدافع عنه ويبشر به"(٩).

وللمغالطات الجدلية صور متعددة، منها:

الاستشهاد بالسنة النبوية على إنكار السنة، وهذا ما نجده يتكرر كثيرًا في مواضع عدة من كتبهم، فهم يستشهدون بأحاديث نبوية، وأقوال للصحابة

---

(١) ينظر: مجلة المنار المجلد(٩/ ٩١٣).

(٢) ينظر: أضواء على السنة، ص ٤٦.

(٣) ينظر: حد الردة ص ٨٩، وعذاب القبر، ص ٥، ٦.

(٤) ينظر: تبصير الأمة بحقيقة السنة، ص ٧، ١٤، ٢٢٥.

(٥) ينظر: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص ٥٤٦، ٥٦٥.

(٦) ينظر: الأصلان العظيمان، ص ٢٦٨، ٢٦٩، والسنة ودورها في الفقه الجديد، ص ٧.

(٧) ينظر: البيان بالقرآن، (١/ ٢٥).

(٨) ينظر: إنذار من السماء، ص ١١٧، ١٣٤.

(٩) كواشف زيف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبد الرحمن الميداني، ص١٢٣.

مروية عند الحاجة لتدعيم رأي أو تفسير آية، والاستشهاد بسبب نزول على تفسير الآيات[١]، ومن العرف لدى أصحاب الرأي أن دليل الإثبات إذا دخله الشك كعدم الثقة مثلاً بَطُلَ الاستدلال به[٢]، فكيف يستدلون بالأحاديث التي يرفضون-قطعًا-نسبتها إلى الرسول ﷺ؟

ومنها: الإيهام بأن المعارض لهم يعتقد الذي يرفضونه، ومثاله: أنهم يوهمون الناس أن أهل السنة والجماعة، يقولون: إن السنة النبوية نزلت نصًا على الرسول ﷺ، وهم لا يقولون ذلك، قال إيهاب حسن: "والآيات بخلاف ما سقناه هنا بالعشرات كلها تفيد أن المترل على النبي(نصًا) هو الكتاب، وأتحدى المخالف أن يأتي بآية واحدة نصّ في نزول شيء غيره على النبي ﷺ"[٣].

وهذا منه مغالطة واضحة؛ فمن الذي يقول بذلك؟

المتقرر عند العلماء-رحمهم الله تعالى-أن القرآن الكريم نزل بلفظه ومعناه، وأما الحديث فترل بمعناه دون لفظه على الصحيح[٤]، قال ابن حزم: "الوحي ينقسم من الله ﷻ إلى رسوله ﷺ على قسمين:

(١) ينظر على سبيل المثال: السنة الرسولية، ص٤٩، ص١٤٩، سنة الأولين، ص٢٩٤، ص٥٤٨، الكتاب والقرآن، ص٧١، القصص القرآني، (٢)، ص١١٩، إنذار من السماء، ص١١٥، السنة غير الحديث، ص٢٤.

(٢) ينظر: البرهان من السنة والقرآن، (٨٢/١).

(٣) استحالة عذاب القبر، ص٢٠.

(٤) ينظر: مصطلح الحديث، ابن عثيمين، ص٥، الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة، ص٤٦، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص٢٤، مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان علي حسن، ص٢٣.

أحدهما: وحي متلو مؤلف تأليفًا معجز النظام، وهو القرآن.

الثاني: وحي مروي منقول غير مؤلف، ولا معجز النظام، ولا متلو، لكنه مقروء، وهو الخبر الوارد عن رسول الله، وهو المبين عن الله ﷻ مراده منا"(١).

ومن تلك المغالطات، عندما يقال لهم عند إنكارهم للسنة كيف سيعرف المسلم أحكام الدين والعبادات، من صلاة، وصيام، وزكاة، وغيرها، لأن القرآن لم يبين ذلك، وإنما أوكله إلى الرسول ﷺ؟

يدعون أن ذلك تكذيب بالقرآن، واهام لرب العزة والجلال، ونعوذ بالله من قولهم هذا، وفي هذا يقول أحمد صبحي منصور: "المكذبون بالقرآن لا يتوانون عن اهام رب العزة وقرآنه الكريم بالتفريط والعوج والنقص والغموض، ويسارعون بالسعي في آيات الله -تعالى- معاجزين متسائلين أين تفصيلات الصلاة في القرآن؟ أين كذا وكذا في القرآن؟

نقول منذ البداية إن هذا الكتاب لن يفلح في إصلاح اعوجاجهم مهما تكاثرت الآيات القرآنية فيه؛ لأهم ببساطة لا يؤمنون بالقرآن الكريم"(٢).

والناظر في كلام أحمد صبحي يرى أنه يحاول بكلامه هذا المغالطة والتعمية على ضعفاء العقول من أبناء المسلمين، وإلا فطلب مثل هذه الأمور في الرد على منكري السنة ليس فيه تكذيب بالقرآن، بل هو تصديق بالقرآن وصاحبه الذي نزل عليه، فالقرآن أوضح أن مهمة البيان مهمة رسول الله ﷺ، فيبين المجملات في القرآن،

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، (٩٧/١).

(٢) الصلاة بين القرآن والمسلمين، ص١٧.

ويوضح العبادات للمسلمين، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٤].

واهامه لمتبعي السنة بأهم مكذبون بالقرآن همة خطيرة، وجرأة عظيمة كفَّر بها عموم المسلمين منذ زمن الرسول ﷺ إلى يومنا هذا، وإلى أن تقوم الساعة، وليس من الدين ولا العقل ولا من المنطق في شيء أن كل من اتبع السنة فقد كذب بالقرآن.

المبحث السادس
التشكيك في الأمور المعلومة من الدين بالضرورة(١)

(١) المعلوم من الدين بالضرورة، **عرفه الإمام الشافعي**، بقوله: "العلم علمان: علم عامةٍ لا يسع بالغًا غير مغلوبٍ على عقله جهله، مثل: الصلوات الخمس، وأن لله على الناس صوم شهر رمضان، وحج البيت إذا استطاعوه، وزكاة في أموالهم، وأنه حرم عليهم الزنا والقتل والسرقة والخمر، وما كان في معنى هذا، مما كلّف العباد أن يعقلوه ويعملوه ويعطوه من أنفسهم وأموالهم، وأن يكفوا عما حرم عليهم منه. وهذا الصنف كله من العلم موجود نصًا في كتاب الله، وموجود عامًا عند أهل الإسلام، ينقله عوامهم عن من مضى من عوامهم، يحكونه عن رسول الله، ولا يتنازعون في حكايته ولا وجوبه عليهم. وهذا العلم العام الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر، ولا التأويل، لا يجوز فيه التنازع". الرسالة، بتصرف يسير، ص٣٥٧-٣٥٨.

وعرفه ابن حجر الهيتمي، فقال: "هو أن يكون قطعيًا مشهورًا بحيث لا يخفى على العامة المخالطين للعلماء بأن يعرفوا بداهة من غير افتقار إلى نظر واستدلال". الفتاوى الحديثية، ص١٤١.

وقال أبو مظفر السمعاني: "العلم بأحكام الشريعة ضربان: أحدهما: ما وجب فرض العلم به على الأعيان، وهو ما لا يخلو مكلف من التزامه والعمل به من أفعال وتروك، كالصوم، والصلاة، ووجوب الزكاة، والحج، لمن يجد المال، وتحريم الزنا، وإباحة النكاح، وتحريم الربا، وإباحة البيع، وتحريم الخمر، والقتل، والسرقة، وكذلك كل ما يكثر مواقعته من المحظورات، ويجب على كل مكلف أن يعلم وجوبها عليه؛ لاستدامة التزامها". قواطع الأدلة في الأصول، أبو مظفر السمعاني، (٢٥/١).

وقال المرداوي: "ومعنى كونه معلومًا بالضرورة: أن يستوي خاصة أهل الدين، وعامتهم في معرفته حتى يصير كالمعلوم بالعلم الضروري في عدم تطرق الشك إليه ،لا أنه يستقل العقل بإدراكه فيكون علمًا ضروريًا". التحبير شرح التيسير في أصول الفقه، المرداوي، (١٦٨٠/٤).

=

من خلال استقراء كتابات القرآنيين يجد الباحث أن هذه النابتة التي عادت للظهور في الآونة الأخيرة قد تسترت بالقرآن، وجعلت نسبتها إليه-زورًا وبهتانًا؛ ليتسنى لها من خلاله التسلل إلى الأعماق؛ فتحقق الأهداف المناط بها تحقيقها، بضرب الإسلام وأحكامه، وقد اتخذت لنفسها طريقًا في التعامل مع النصوص والأحكام الشرعية غير سوية، لا تليق بنصوص الشريعة ومترلتها العلية، وبمترلة الكتاب الذي يدَّعون نسبتهم إليه، ولا بالعلم الذي يزعمون مزاولتهم له-علم التفسير-فأصبحوا متبذلين في أفكارهم، مستهترين في تفاسيرهم، ينتهكون حرمة النص الشرعي، ويشككون المسلمين في الأحكام التي عُلمت من الدين بالضرورة، متبعين في ذلك لأهوائهم وشهواهم، ويعبثون في كل جانب من جوانب تفسير القرآن عبث الفاتك الجريء الذي لا يخاف الله، ولا يخشى عقابه.

لقد سلطوا عقولهم على مسلَّمات الدين، وما علم منه بالضرورة، وجعلوه موضع النقاش والجدال، ورهن النقد، وحولوها من أحكام مجمع على ثبوها، إلى موضع الشك وعدم اليقين في تقريرها، إنه فكر هدام تواصى متبعوه على زعزعة المسلَّمات، والتشكيك في الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، وجعلوه فرضًا، وطبقوه فعلاً في كتاباهم، قال جمال البنا وهو يتحدث عن الحرية: "وأكثرهم تحررًا يقف عند (الثوابت)، في حين أنه لا معنى لحرية الفكر إذا حرمنا عليها

=

وعرفه محمد أنور الهندي، بقوله: "ما علم كونه من دين محمد ﷺ بالضرورة، بأن تواتر عنه واستفاض، وعلمته العامة". إكفار الملحدين في ضروريات الدين، محمد أنور الهندي، ص٢.

مناقشة الثوابت، إذ إن أهم ما يفترض أن تتجه إليه الحرية هو هذه الثوابت بالذات، التي وإن كانت تقوم بالحفاظ والاستقرار للمجتمع، وتمسكه من الانزلاق أو التحلل، إلا أن عدم مناقشتها يجعلها تتجمد، بل وتوثن وتأخذ قداسة الوثن المعبود، وهذا كله بفرض أن الثوابت هي دائمًا صالحة لازمة، ولكنها لا تكون كذلك دائمًا"(١).

وقال نيازي عز الدين: "ولا بد من الإشارة هنا إلى موضوع آخر هام يجب وضعه في الاعتبار على الدوام، وهو موضوع البدهيات، والأفكار الثابتة عند الإنسان، فالإنسان تسيطر على مخيلته أفكار ثابتة يعدّها مع الزمن من البدهيات التي لا تحتاج إلى مناقشة أو برهان، وإن أعظم الأوهام وأكثر أسباب الجمود وعدم التطور تأتي من تلك الأفكار الثابتة. فينبغي أن يؤمن الإنسان بأن لا شيء ثابت مع الزمن إلا ما ثبته وأكد تثبيته الله ﷻ ومما ورد ثباته مفصلاً في القرآن الكريم، كالصراط المستقيم وبنوده العشرة والمحرمات، وحدود الله، أما ما عدا ذلك فيجب أن يؤمن أن كل شيء قابل للمناقشة والتغيير حتى في أحكام القرآن الكريم، وهذا ما حاول الله أن يعلمنا إياه بالنسخ والإنساء"(٢).

وفي هذا المبحث يحاول الباحث أن يعرض لبعض الأمور المعلومة من الدين بالضرورة التي قاموا بالتشكيك فيها(٣)، وفيما يلي عرض لبعضها:

---

(١) الإسلام والحرية والعلمانية، جمال البنا، ص٣-٤، الحرية في الإسلام، جمال البنا، ص٢٠٣.

(٢) إنذار من السماء، ص٥٩-٦٠.

(٣) وإن كان القرآنيون حاولوا التشكيك في أغلب ما علم من دين الإسلام بالضرورة.

التشكيك في البيان النبوي وأهميته.

شكك القرآنيون في مترلة البيان النبوي، وطعنوا في قيمته العلمية في تبيين القرآن الكريم، بحجج باطلة، وأقوال زائفةٍ، مفادها أن المهمة الرسمية للمصطفى ﷺ تتمثل في البلاغ فقط، وأن ذلك البيان النبوي إنما هو عبارة عن أساطير وخيالات أتى بها الرواة [الصحابة ﷺ]؛ ليحجبوا بها القرآن، ويحرفوا دلالاته عما أراد الله-تعالى، وأقوالهم في هذا كثيرة، يعرض الباحث لبعضها.

قال ابن قرناس عن مهمة رسول الله ﷺ: "كُلِّفَ بإيصال رسالة ربه للناس كما أرادها الله وضمنها آياته، دون زيادة أو نقصان، بل وحتى دون شرح وبيان، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٨]، فلم يكن هناك تفسير لمحمدٍ؛ لأن القرآن تكفل الله ببيانه، ولن يكون تفسير محمد أكثر وضوحًا من بيان الله"[(١)].

وقال مصطفى المهدوي: "والذين يجعلون للرسول وكالة في الدين إنما يريدون في الحقيقة أن تكون لهم الوكالة في الدين بغير حق، وشهد الله أنه لم يبعث رسوله على الناس وكيلاً، ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الإسراء: ٥٤][(٢)].

وقال أحمد صبحي منصور: "لا شأن للنبي بهم بعد أن أدى مهمته في التبليغ، تفهم هذا من قوله تعالى:﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: ١٠٤]"[(٣)].

(١) الحديث والقرآن، ص١٤.

(٢) البيان بالقرآن، (٦٥٣/٢).

(٣) القرآن وكفى، ص٤٩.

واعتبر عدنان الرفاعي أن اعتماد البيان النبوي: "لإدراك دلالات كتاب الله–تعالى–هو تحجيم لدلالات النص القرآني عند سقف لا يتجاوز العبثية الفكرية لتلك الأجيال"(١).

ورأى المهندس شحرور أنه لا حاجة للبيان النبوي، ما دام القرآن واضحاً ومفصلاً(٢)، فإن ذلك البيان، هو في حقيقته التفاعل الأول للناس في ذلك الزمان، وهو الاحتمال الأول للقرآن، وليس الوحيد، ولا الأخير(٣).

قال نيازي: "فمن أكبر أخطاء المسلمين ظنهم الخاطئ أن القرآن لا يمكن تفسيره إلا عن طريق السنة النبوية، وذلك إجماع كبير على خطأ جسيم لا يغتفر، إذ كيف يجمعون على أن الله سبحانه أرسل وحيين وكتابين وسنتين: واحدة لله، والأخرى للرسول، إشراك واضح لا يراه المسلمون؛ لأنهم قنعوا أن موضوع السنة والحديث قد أصبح من البدهيات التي لم تعد تقبل المناقشة"(٤).

ومن ثَمَّ اعتبر هؤلاء القوم أن البيان للقرآن شأن للناس فقط، ولا علاقة لرسول الله ﷺ به، وما قام به الرسول ﷺ من بيان في زمنه، لا يفيد إلا تلك المرحلة الزمنية التي عاش فيها فقط(٥).

---

(١) محطات في سبيل الحكمة، ص١١٢.

(٢) ينظر: نحو أصول جديدة في الفقه الإسلامي، ص٩٨.

(٣) ينظر: الكتاب والقرآن، ص٣٦.

(٤) إنذار من السماء، ص٦٠.

(٥) ينظر: الكتاب والقرآن، ص٣٦، نحو أصول جديدة في الفقه الإسلامي، ص٩٨، محطات في سبيل الحكمة، ص١١٢.

إن هذا تشكيك في أمر معلوم من الدين بالضرورة "فإن هذا الأصل-أي بيان الرسول ﷺ للدين، وأصوله وفروعه، باطنه وظاهره، علمه وعمله-هو أصل أصول العلم والإيمان، وكل من كان أعظم اعتصامًا بهذا الأصل كان أولى بالحق علماً وعملاً"(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "مما علم بالاضطرار أن الرسول ﷺ جاء بها، وما كان معلومًا بالاضطرار من دين الإسلام امتنع أن يكون باطلاً، مع كون الرسول رسول الله حقًا، فمن قدح في ذلك وادعي أن الرسول لم يجيء به، كان قوله معلوم الفساد بالضرورة من دين المسلمين"(٢).

وقال عبد الرحمن المعلمي: "نعم، نحن المسلمين لا نفرق بين الله ورسله، بل نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، المبلغ لدين الله، والمبين لكتاب الله بسنته، بقوله وفعله وغير ذلك مما بين به الدين، ونؤمن وندين بما بلغنا إياه بالكتاب وبالسنة، والأحاديث أخبار عن السنة، إذا ثبتت ثبت ما دلت عليه السنة، ولسنا نحن بالجاعلي السنة بهذه المرتبة، بل الله ﷻ جعلها. وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة"(٣).

وقال د. أحمد هاشم: "وهكذا نرى وجوب الأخذ بالسنة، وأن منكر ما جاءت به منكر لأمر معلوم من الدين بالضرورة"(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى، (١٩/١٥٥-١٥٦).

(٢) درء التعارض، (١/١٩٥).

(٣) الأنوار الكاشفة، ص١٦.

(٤) منهج الدفاع عن السنة النبوية، ص١٦٥.

ومن الأهمية بمكان التأكيد على أن البيان النبوي محفوظ وتناقلته الأمة، ولا يمكن بحال ضياعه، قال ابن حزم رحمه الله: "فبالضروري ندري أنه لا سبيل البتة إلى ضياع شيء قاله رسول الله ﷺ في الدين، ولا سبيل البتة إلى أن يختلط به باطل موضوع اختلاطًا لا يتميز عن أحد من الناس بيقين؛ إذ لو جاز ذلك لكان الذكر غير محفوظ، ولكان قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩]، كذبًا ووعدًا مخلفًا، وهذا لا يقوله مسلم"(١).

التشكيك في وجوب طاعة الرسول ﷺ.

تعد عداوة الرسول ﷺ من أبرز السمات الظاهرة في فكر منكري السنة النبوية، ومظهرًا بينًا في كتاباتهم، فهم لا يكلون من الطعن في سنته، ولا ينتهون عن التنزيل من مكانته، والتشكيك في أوامر الله التي جاءت تأمر بوجوب طاعته.

وانطلاقًا من هذا الحرص، سعوا لآيات الطاعة مؤولين، ولوجوب الطاعة صارفين، وأحدثوا الشكوك في أوساط ضعفاء النفوس من المسلمين، فكثير من منكري السنة النبوية يرون أن طاعة الرسول ﷺ واجبة على أهل زمانه من الصحابة ﷺ وأما غيرهم فلهم الخيرة في الطاعة أو الرفض(٢)، قال مصطفى

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، (١/١٢١-١٢٢).

(٢) ينظر: حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، ص٦١، القرآن وكفى، ص٢٦، الحديث والقرآن، ص٣١٩، محطات في سبيل الحكمة، ص٨١، السنة الرسولية، ص١١٠، سنة الأولين، ص٦٦٢، إنذار من السماء، ص٤٠، الصلاة بين القرآن الكريم والمسلمين، ص٧٨.

المهدوي: "لا تنبغي طاعة في الدين إلا لله بما أوحى إلى عباده المرسلين، وكل طاعة في الدين لغير وحي الله فهي ضلالة"[(١)].

وهم يرون أن طاعة رسول الله ﷺ شرك، قال ابن قرناس:"ولو أطعنا الرسول في تشريع خارج القرآن لأشركنا الرسول في العبادة مع الله"[(٢)].

وعند قوله تعالى:﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١]، ذهب أحمد صبحي منصور إلى أن المراد بطاعة الرسول أي طاعة القرآن، فقال: "جاء هنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع طاعة الله-تعالى- ورسوله، أي: طاعة القرآن؛ توضيحًا لإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة"[(٣)].

وهذا التشكيك منهم مخالف لما أجمع عليه علماء الأمة، وعلم من دين الله بالضرورة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ونحن نعلم يقينًا بالاضطرار من دين الإسلام أن محمدًا رسول الله ﷺ أوجب الله-تعالى-علينا طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، ولم يأمر بطاعة غيره إلا إذا وافق طاعته، لا نبيًا ولا غير نبي"[(٤)].

وأنكر محمد رشيد رضا ما قاله محمد أبو زيد الدمنهوري في تفسيره من

(١) البيان بالقرآن، (٢/٧٢٢).

(٢) الحديث والقرآن، ص٣١٩، وينظر: البيان بالقرآن، (٢/٧٢٤).

(٣) الصلاة بين القرآن الكريم والمسلمين، ص٧٨.

(٤) الصفدية، (١/٢٥٨).

جواز الإعراض عن طاعة رسول الله ﷺ، بقوله: "إن أفظع ما خالف به إجماع المسلمين فيما هو معلوم من دين الله بالضرورة إجازته عصيان رسول الله ﷺ بالرأي والمصلحة، فيما كتبه عند قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]، فقد كتب عندها ما نصه:(عَنْ أَمْرِهِ): يفيدك أن المخالفة هي التي تكون للإعراض عن أمره، وأما التي تكون للرأي والمصلحة فلا مانع منها، بل هي من حكمة الشورى"(١).

وقال محمد لقمان السلفي: "فلا يحل لمسلم أن يقتصر على أخذ أحكام دينه من القرآن وحده دون السنة؛ لأنه بذلك يقتصر إسلامه، ويخرج من حظيرة المسلمين بإجماع فقهاء الأمة، حيث إنه ترك طاعة الرسول ﷺ التي هي اتباعه في حياته، واتباع حديثه بعد وفاته"(٢).

التشكيك في منزلة الصحابة رضي الله عنهم.

تضافرت أقوال منكري السنة النبوية على الطعن في صحابة رسول الله ﷺ، والإقلال من شأنهم، والإلحاح المستمر على ضرورة إهمال أقوالهم، وعدم الالتفات إلى سيرهم، والاقتداء بهم، والتشكيك في عقلياتهم، وصفاء قريحتهم، وهذا الأمر يدل على خبثهم، وسوء طويتهم، وشدة تأثرهم بأفكار من سلفهم

(١) مقال: إلحاد في القرآن ودين جديد بين الباطنية والإسلام، مجلة المنار، مجلد (٣١) ص٦٧٣.

(٢) السنة حجيتها ومكانتها في التشريع، ص١٩.

من الخوارج والمعتزلة والرافضة، فابن قرناس كثيرًا ما يصفهم بالجهل(١)، وأن الإيمان لم يتغلغل في قلوب بعضهم(٢)، وقال عن مجتمع الصحابة: إنهم جهلة بحقائقه العلمية المزعومة؟ فقال: "مرة أخرى ينقل لنا جهل القرون الأولى بالحقائق العلمية على شكل أحاديث منسوبة للرسول، حيث تقول الأحاديث الأربعة بأن التثاؤب، ونهيق الحمار من الشيطان(٣)"(٤).

وقال جمال البنا: "وإذا وضعنا في تقديرنا أن هذا المجتمع الذي خرج لتوه من البيئة الصحراوية الساذجة"(٥).

ويطعن أحمد صبحي في رواة الحديث من الصحابة، بقوله: "كان من بين رواة الأحاديث منافقون ظاهرون معرفون للنبي لا يتورعون عن الكيد للإسلام"(٦).

أما سامر إسلامبولي فيستنكر تعامل الصحابة مع القرآن بأنها كانت حسب

---

(١) ينظر: الحديث والقرآن، ١٣٤، ص٣٥٣.

(٢) كجرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، ينظر: المرجع السابق، ص٥١.

(٣) يشير إلى الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، برقم، (٥٨٦٩)، (٥/٢٢٧٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّـهَ، فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ).

(٤) الحديث والقرآن، ١٣٨.

(٥) الأصلان العظيمان، ص٤٤، تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص٥٢.

(٦) القرآن وكفى، ص٧٥.

بيئتهم الصحراوية، وأميتهم العلمية، وغياب المدنية[١].

ووصفهم شحرور بأوصاف، لا تليق أن تطلق على مسلم شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فكيف تطلق على أصحاب خاتم الأنبياء ﷺ؟! حيث وصفهم بأنهم أوغاد[٢]، وأنهم أصنام[٣]، وأنهم سفهاء[٤].

إن جذور المأساة غائرة بعيدة، لا يخطئ المتدبر أن أصول بذرتها يهودية ورافضية، لقد أدت بهم إلى جرأة لا مثيل لها، فقد طعنوا في من عُلم علو مكانتهم بالضرورة من دين الإسلام، إنهم الجيل الرائد، والصحابة المختارون من الله تبارك وتعالى لصحبة نبيه ﷺ، وبين يدينا نصٌ طويلٌ، ولكنه يجلي الصورة بوضوح، عن مترلة الصحابة الكرام رضي الله عنهم ننقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث قال: "ومِنَ المعلومِ بالضَّرورةِ لمنْ تدبَّرَ الكتابَ والسنَّةَ، وما اتَّفقَ عليهِ أهلُ السنَّةِ والجماعةِ منْ جميعِ الطوائفِ: أنَّ خيرَ قرونِ هذهِ الأمَّةِ-في الأعمالِ والأقوالِ، والاعتقادِ وغيرِهَا منْ كلِّ فضيلةٍ أنَّ خيرَها-: القرنُ الأوَّلُ، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم، كما ثبتَ ذلكَ عَنِ النبيِّ ﷺ منْ غيرِ وجهٍ، وأنَّهم أفضلُ مِنَ الخلفِ في كلِّ فضيلةٍ: منْ علمٍ وعملٍ وإيمانٍ وعقلٍ ودينٍ وبيانٍ وعبادةٍ، وأنَّهم

(١) ينظر: المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص١٤.

(٢) ينظر: السنة الرسولية، ص١٨٦.

(٣) ينظر: القصص القرآني (١)، ص٢٣.

(٤) ينظر: السنة الرسولية، ص٢٠٦. وينظر طعنهم في الصحابة: الحديث والقرآن، ص١٣٤، ص٣٥٣، ص٣٧٨، والسخرية من موافقات عمر، المرجع السابق، ص٤٤٣، محطات في سبيل الحكمة، ص٣٢٩، وغيرها كثير.

أولى بالبيانِ لكلِّ مُشْكِلٍ. هذا لا يدفعهُ إلَّا منْ كابرَ المعلومَ بالضَّرورةِ منْ دينِ الاسلامِ، وأضلَّهُ الله على علمٍ؛ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ ﷺ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ؛ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ: أَبَرُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقُهَا عِلْمًا، وَأَقَلُّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمْ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَتَمَسَّكُوا بِهَدْيِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ"[١].

وما أحسن ما قالَه الشافعيُّ-رحمه الله- في بيان مكانتهم وعلمهم: "هم فوقنا في كلِّ علمٍ وعقلٍ ودينٍ وفضلٍ، وكلِّ سببٍ يُنالُ به علمٌ أو يدركُ به هدًى، ورأيهم لنا خيرٌ منْ رأينا لأنفسنا"[٢].

وتأتي خطورة التشكيك في مترلة الصحابة، والطعن فيهم، من كونها طعناً في القرآن؛ إذ هم وسائطنا في نقله، فإذا طعن في عدالتهم، فممن نأخذ القرآن؟، وكيف نثق بأنه القرآن المترل على النبي ﷺ.

والتشكيك فيهم هو في حقيقته تشكيك في تربية الرسول ﷺ، بل في اصطفاء الله لهم، واختيارهم ليكونوا صحابة رسول الله ﷺ[٣]، قال أبو زرعة الرازي رحمه الله: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا

---

(١) مجموع الفتاوى، (٤/١٥٧-١٥٨).

(٢) درء تعارض العقل والنقل، (٥/ ٧٣).

(٣) ينظر: الصحبة والصحابة في تحقيق عدالة الصحابة، د. أحمد الإمام، ص٨٤.

هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة"[١].

وقد حذر أئمة الإسلام من هذا المنهج ونبذوا أهله، فقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتّهمه على الإسلام"[٢].

وقال الطحاوي رحمه الله: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من واحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"[٣].

تشكيك المسلمين في عباداتهم.

على الرغم مما تحتله العبادات في نفوس المسلمين من اهتمام بالغ، ومكانة عظيمة إلا أن مما يدهش القارئ لكتب القرآنيين أنه يجد أنهم -كعادتهم- يسعون إلى تشكيك أهل الإسلام في كل ما يتعلق بدينهم وعباداتهم، ولا غرو، فإنهم رسل أعداء الإسلام ليقضوا على الإسلام، من خلال تشكيك أبنائه في أحكامه وعباداته، ومحاولة السعي لتبديل ما عرف بينهم من تلك الأحكام، ومحاولة

(١) الكفاية في علم الرواية، ص ٤٩.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (١٣٢٦/٧)، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، (٣٩٧/٢).

(٣) العقيدة الطحاوية، ص٨١.

تصوير ما كانوا عليه وآباؤهم من قبل بأنه مغاير لحقيقة الإسلام، فالمهندس محمد شحرور، يقول: "هناك نوعان من الكتب: النوع الأول، وهو الذي يتعلق بسلوك الإنسان، ككتاب الصلاة الذي يتألف من الوضوء، والقيام، والركوع، والسجود، وهذه الكتب غير مفروضة على الإنسان حتمًا، بل له القدرة على اختيار الالتزام بها أو عدم التقيد بها"[1].

ومغزى هذا الكلام لا يخفى على كل مسلم عاقل يعرف أهمية الصلاة ومكانتها وأحكامها في الدين، إنهم يريدون خلع حب الصلاة من قلوب أبناء المسلمين، والتشكيك في منزلتها، وأنها عبارة عن سلوك يقوم بها الإنسان عن اختيار ودون إلزام، فله حق القيام بها أو عدمه.

وفي الصلاة: شككوا المسلمين في عدد ركعاتها، وأنها ليست كما يصليها المسلمون، بل إنما هي ركعتان في جميع الفروض، قال مصطفى المهدوي: "وقد فرضت بركعتين اثنتين لكل صلاة سواء كانت في الفجر أم في الصبح[2] أم في الظهر أم في العصر أم في الدلوك إلى الليل أو نفلاً بالليل أو النهار"[3].

ويظهر أن أصحاب هذا الفكر لا يهتمون بالصلاة، ولا يعيرون لها اهتمامًا، وليس لها مكانة عندهم، فلذلك لا يرضون تلك الأقوال التي تعلي من شأنها، قال محمد شحرور: "لقد قرر بعضهم أن الصلاة -وهي بلا شك رأس

---

(١) الكتاب والقرآن، ص٥٤.

(٢) يقصد بصلاة الصبح، صلاة العيد، ينظر: البيان بالقرآن، (١/١٠٨).

(٣) البيان بالقرآن، (١/١٢٢).

العبادات.والعبادات كلها من التقوى الفردية- هي أهم من أي شيء آخر في الإسلام. أقول هذا غير صحيح"(١).

وهم يشككون المسلمين في منزلة الصلاة في ميزان الأعمال، ويزعمون أنها ليست سببًا من أسباب دخول الجنة، قال ابن قرناس: "وكل من تبع أوامر القرآن، واجتنب نواهيه فسيدخل الجنة، ولو لم يصل البردين(٢)"(٣).

ومن جهة أخرى، فإنهم يشككون المسلمين فيما ثبت في الشرع الحكيم من مبطلات للصلاة، والأشياء التي تمنع المسلم من الصلاة عند وجود هذا الأمر فيه، فعلى سبيل المثال:

عندما تكون المرأة حائضًا، فإنها تمتنع من الصلاة والصيام، لكنهم يرون عكس ما ثبت عن الصادق المصدوق ﷺ وعلم من الدين بالضرورة، ويزعمون أن الحيض لا يمنع المرأة من الصلاة، ولا الصيام، قال مصطفى المهدوي: "أما الحيض فهو ينقض الوضوء؛ لأنه من الغائط وإليه بغير شبهة، وهو يمنع المرأة عن زوجها حتى تطهر منه نهائيًا، ولكنه لا يمنعها من الصلاة، ولا من الصيام"(٤).

ومن تلك الأحكام التي سعوا إلى تشكيك المسلمين فيها، أحكام الطهارة

---

(١) الكتاب والقرآن، ص٥١٩-٥٢٠.

(٢) يشكك في حديث رسول الله ﷺ الوارد في فضل هاتين الصلاتين(الفجر والعصر)، وهو:(مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ). الحديث أخرجه البخاري، برقم، (٥٤٨)، (١/٢١٠)، ومسلم، برقم، (٢١٥)، (١/٤٤٠).

(٣) الحديث والقرآن، ص٣٠٣.

(٤) البيان بالقرآن، (١/١١٧).

والاغتسال، فيرى إيهاب حسن أن الجنابة الناتجة عن المعاشرة الزوجية ليس عليهما غسل، حيث قال: "وقد جاء التشريع الرباني بسورة النساء والمائدة؛ ليبين أن اللقاء الجنسي لا يترتب عليه لا نجاسة ولا غسل، وبرغم ذلك فقد تسرب نفس هاجس محرفي ومبدلي العهد القديم إلى كتب حديث الرواة، ففي موطأ مالك، (إذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل)(١)، وبوب البخاري بابًا لذلك، فقال: "باب إذا التقى الختانان"(٢)، والموضوع كله مؤلف ومخترع، فلا ختان في الإسلام(٣)، ولا غسل على من لامس امرأة، وما يهمنا هنا هو أن التطابق واقع بين حكم اليهود القدامى، ومن هاد إليهم من أهل الرواية.

عقلاً، لم يكن هذا أبدًا من شرع الله، فكيف سيشرع الله الزواج، بما فيه من لقاء جنسي، ثم يكون من فعل ذلك نجسًا، ويلزمه أن يغتسل، ولو في برد طوبة؟!"(٤).

وقال مصطفى المهدوي: "ولعله من نافلة القول أن ننبه إلى أنه ليس من المنطق في شيء أن نقيس الاحتلام بالجنابة، كما يقول البعض، فيفرض الاغتسال من الاحتلام، كما فرض الاغتسال من الجنابة، ونرى أن القياس في هذه الحالة،

---

(١) موطأ مالك، برقم،(٧١)، ص٤٥.

(٢) صحيح البخاري، (١/ ١١٠).

(٣) وفي هذا تشكيك لسنة من سنن الفطرة، سنة الختان، والتي أخبر عنها الرسول ﷺ، بقوله:(الْفِطْرَةُ خَمْسٌ أَوْ خَمْسٌ مِنْ الْفِطْرَةِ الْخِتَانُ وَالِاسْتِحْدَادُ وَنَتْفُ الْإِبْطِ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَقَصُّ الشَّـــارِبِ). صحيح البخاري، برقم،(٥٤٣٩)،(١٨/ ٢٤٥)، ومسلم، برقم،(٤٩)،(١/ ٢٢١).

(٤) أحكام مبدلة، إيهاب حسن، ص١-٢.

وفضلاً عن أنه في غير موضعه، فإنه قول لا يستند إلى استنباط صحيح من القرآن الكريم"[١].

ومن ذلك تجويز جمال البنا للمرأة إمامة الرجال في الصلاة[٢].

لقد تعدى القوم الحرمات، وشككوا في المسلمات، التي علمت بالضرورة من دين الإسلام، قال ابن الوزير رحمه الله:" وإنما يكفر من استحلّه، وهو يعلم حرمته بالضرورة، مثل: تحريم الصلاة على الحائض إلى أمثالٍ لذلك كثيرة"[٣].

وليس خافياً أن"وُجُوب الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ مِنَ الْمَعْلُومِ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالإِْجْمَاعِ. فَمَنْ جَحَدَهَا كُلَّهَا أَوْ بَعْضَهَا فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ"[٤]، قال ابن حجر الهيتمي، وهو يتكلم عن المعلوم من الدين بالضرورة:" وَمِنْهَا: فِي العملي وجوب الْوضُوء، وَالْغسْل من الْجَنَابَة، وَالتَّيَمُّم، وانتقاض الطَّهَارَة بِنَحْوِ الْبَوْل، وَحُصُول الْجَنَابَة بِنَحْوِ الْجِمَاع وَالْحيض، وَوُجُوب الصَّلَوَات الْخمس وَعدد ركعاتها، وَوُجُوب نَحْو الرُّكُوع وَالسُّجُود فِيهَا، وبطلانُها بتعمدُّ نَحْو الْحَدث"[٥].

وأما إمامة المرأة للرجال فمن المجمع عليه عند علماء الأمة أنها لا تجوز[٦]،

---

(١) البيان بالقرآن، (١/١١٤).

(٢) ينظر: كتابه جواز إمامة المرأة للرجال.

(٣) العواصم والقواصم، (٤/١٧٤).

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، (٤/٢٦٩).

(٥) الفتاوى الحديثية، ص١٤٢.

(٦) ينظر: معالم السنن، (١/١٧٤)، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، =

وهو أمر علم من الدين بالضرورة، قال الشافعي: "وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ امْرَأَةٌ إِمَامَ رَجُلٍ فِي صَلَاةٍ بِحَالٍ أَبَدًا"(١).

وذكر النووي أن منع إمامة المرأة للرجال هو مذهب جماهير العلماء من السلف والخلف، والفقهاء السبعة(٢)، والأئمة الأربعة، وقال أبو حامد(٣): هو

=

(٢٠٢/٣)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، (١١٢/٤)، حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، أبو بكر الشاشي القفال،(١٧٠/٢)، اختلاف الأئمة العلماء، يحيى بن هُبَيْرَة، (١٣٣/١).

(١) الأم، الشافعي، (١٩١/١).

(٢) الفقهاء السبعة من أهل المدينة، هم: سعيد بن المسيب، ت: (٩٣هـ)، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، ت: (٩٤هـ)، وعروة بن الزبير بن العوام، ت: (٩٤هـ)، وأبوبكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، ت: (٩٤هـ)، وسليمان بن يسار مولى ميمونة رضي الله عنها، ت: (١٠٠هـ)، وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، ت: (١٠٠هـ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، ت: (١٠٦هـ)، ينظر: مقدمة ابن الصلاح، ص٣٠٤، شرح التبصرة والتذكرة(ألفية العراقي)، الحافظ العراقي، (١٦٤/٢)، فقه الفقهاء السبعة وأثره في فقه الإمام مالك، عبد الله بن صالح الرسيني، رسالة ماجستير، ص٢١.

(٣) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، فيلسوف، متصوف، من فقهاء الشافعية، ولد في مدينة طوس، سنة (٤٥٠ه)، وتوفي سنة (٥٠٥ه)، له مصنفات كثيرة، منها: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، الاقتصاد في الاعتقاد، وغيرها.قال د.محمد رشاد سالم: سمي بحجة الإسلام وبالإمام، مع أن ثقافته الإسلامية كانت محدودة خاصة في علم الحديث، ولذلك كثرت الأحاديث الضعيفة في كتبه عامة، وفي كتاب الإحياء بوجه خاص، قال عنه الطرطوشي:"شحن أبو حامد الإحياء بالكذب على رسول الله ﷺ فلا أعلم كتابًا على بسيط الأرض أكثر كذبًا منه". ينظر:طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة،(٢٩٣/١)، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ =

مذهب الفقهاء كافة[١].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: "لا تصح إمامة المرأة للرجال؛ لأن الإمامة في الصلاة من العبادات، والعبادات مبنية على التوقيف، والسنة العملية تدل على إمامة الرجل للرجال، ولا نعلم دليلاً يدل على أن المرأة تؤم الرجال"[٢].

الصيام:

قال محمد شحرور، وهو يتكلم عن الصيام: "أما عندنا، نحن الأمة المحمدية، فيتمثل رمضان، وهو عندنا شعيرة اختيارية، فديتها إطعام مسكين كحد أدنى عن كل يوم، لهذا قال في الآية السابقة من سورة البقرة، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]"[٣].

وفيما قاله شحرور مخالفة لما عليه جمهور علماء المسلمين، وتشكيك للمسلمين في عباداتهم، فمن المعلوم من الدين بالضرورة أن الصيام أحد أركان الإسلام، وفرض من فروض الله المعلومة بالضرورة من دين الإسلام. بل من العلم العام الذي توارثته الأمة خلفًا عن سلفٍ. وقد دل عليه الكتاب والسنة

=

نيسابور، تَقِيُّ الدِّيْنِ العِرَاقِيُّ، الصَّرِيْفِيْنِيُّ، ص٧٦، سير أعلام النبلاء، (٣٣٤/١٩) ، مؤلفات الغزالي، عبد الرحمن بدوي، ص٢١، مقارنة بين الغزالي وابن تيمية، د. محمد رشاد سالم، ص٧، وما بعدها.

(١) ينظر: المجموع شرح المهذب، (٢٥٥/٤).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الأولى، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، (٣٩٦/٧).

(٣) السنة الرسولية والسنة النبوية،ص١٢٧.

والإجماع[1]. ومن المعلوم عند علماء المسلمين أن فريضة الصيام مرت بمراحل، وهي:

الحال الأولى، والطور الأول: تخيير العبد بين الصيام وبين الإفطار والإطعام عن كل يوم مسكينًا، والصيام أفضل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة: ١٨٤]، بعد قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٤].

الحالة الثانية، والطور الثاني: إيجاب الصيام حتمًا على المقيم الصحيح القادر المكلف، لكن إذا حضر الإفطار وغابت الشمس، ثم نام قبل أن يفطر، أو صلى العشاء حَرُم عليه الطعام والشراب والنساء إلى الليلة المقبلة، فحصل عليهم حرج، ومشقة شديدة.

الحال الثالثة، والطور الثالث: إباحة الأكل والشرب والنساء في ليل الصيام من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، وأنزل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ

(١) ينظر: حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي،(٣/٣٤٤)، الإحكام شرح أصول الأحكام، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي، (٢/٢١٤)، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، الشوكاني، (١/٢٧٩).

﴿ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وفي بيان تلك المراحل قال سلمة بن الأكوع(١) ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٤]، كان من أراد أن يفطر، ويفتدي، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها(٢).

وعنه ﷺ أنه قال: كنَّا في رمضان على عهد رسول الله ﷺ من شاء صام، ومن شاء أفطر، فافتدى بطعام مسكين حتى أنزلت هذه الآية: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٥](٣).

وبهذه النصوص يتبين أن الذي استقرت عليه الشريعة في صيام رمضان، هو وجوب الصوم على المكلف القادر الصحيح المقيم حتمًا، ولا يجوز له الفطر في نهار رمضان، وأن الله أباح الفطر للصائم في ليلة الصيام من غروب الشمس إلى طلوع الفجر(٤).

---

(١) سَلَمَةُ بن عَمْرِو بن سِنَانِ بن عَبْدِ اللَّهِ بن قُشَيْرٍ الأَسْلَمِيُّ الْمَدَنِيُّ، أَبُو مُسْلِم، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدُ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، غزا مع النبي ﷺ سبع غزوات، وأردفه النبي ﷺ، ومسح وجهه واستغفر له، ثم كان أحد من كان يفتي بالمدينة من الصحابة، ويحدثون من وفاة عثمان حتى مات سنة(٧٤ه). ينظر: تاريخ الإسلام، (٨١٧/٢)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، السخاوي، (٤١٢/١)، معرفة أسامي أرداف النبي ﷺ، ابن منده، ص٥٥.

(٢) صحيح البخاري، برقم، (٤٢٣٧)، (١٦٣٨/٤)، صحيح مسلم، برقم، (١٤٩)، (٨٠٢/٢).

(٣) صحيح مسلم، برقم، (١٥٠)، (٨٠٢/٢).

(٤) ينظر: الإلمام بشيء من أحكام الصيام، د. عبد العزيز الراجحي، ص١٥– ١٧.

الحج:

ومن جملة الأمور التي سعى القرآنيون لتشكيك المسلمين فيها، وهي من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، لباس المحرم بالحج أو العمرة، فقد قال مصطفى المهدوي: "ولا نجد فيما أوحي إلى محمد بن عبد الله ﷺ من كتاب ربه ما يقيد الحاج بلباس معين، لا يجوز الحج بغيره"[١].

ومنها أيضًا كيفية الطواف، قال المهدوي: "وقد يتساءل البعض عن الطواف في القرآن عن يمين الكعبة أم عن يسارها، وسيان الطواف بالبيت عن اليمين أو عن اليسار، والناس تطوف والكعبة عن يسارها ولا تثريب عليهم في ذلك"[٢].

من المعلوم أن الرسول ﷺ بيّن لأمته أحكام العبادات، ومنها الحج، فقال:(خذوا عني مناسككم)[٣]، فبين الرسول لأمته أحكام الحج، ومنها ما يلبسه المحرم في حجه أو عمرته، فمن المعلوم من الدين بالضرورة أنه يُسن للمحرم أن يلبس ثوبين أبيضين نظيفين-إزارًا ورداء- جديدين أو غسيلين، فالرداء على كتفه، والإزار وسطه[٤]؛ لما ورد عن رسول الله ﷺ :(وَلْيُحْرِمَ

(١) البيان بالقرآن، (١/١٠٣).

(٢) المرجع السابق، (١/١٠٣-١٠٤).

(٣) الحديث صحيح، رواه مسلم بلفظ:(لتأخذوا مناسككم)، برقم، (١٢٩٧)، (٢/ ٩٤٣)، وغيره بهذا اللفظ الذي ذكرناه، مسند الشافعي، برقم، (٩٠٤)، (١/٣٥٠)، السنن الكبرى، البيهقي، برقم، (٩٥٢٤)، (٥/٢٠٤)، إرواء الغليل، برقم، (١٠٧٤)، (٤/٢٧١).

(٤) ينظر: الأم، الشافعي، (٢/٢٤١)، الشرح الكبير على متن المقنع، ابن قدامة المقدسي الحنبلي،(٣/٢٢٩)، كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتى الحنبلي،(٢/٤٠٧)، الإقناع لطالب الانتفاع، لأبي النجا الحجاوي المقدسي، (١/٥٥٨).

أَحَدُكُمْ فِي إِزَارٍ وَرِدَاءٍ)[١]، ويتجرد الرجل عن المخيط، فأما المرأة فلها لُبْسُ المخيط في الإحرام، وبين الرسول ﷺ مالا يلبسه المحرم، فقد ثبت أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ مِنَ الثِّيَابِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَلْبَسُوا الْقُمُصَ، وَلَا السَّرَاوِيلَاتِ، وَلَا الْبَرَانِسَ[٢]، وَلَا الْخِفَافَ إِلَّا أَحَدٌ لَا يَجِدُ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسْ خُفَّيْنِ فَلْيَكْشِفْهُمَا حَتَّى يَكُونَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ)[٣].

فكل ما ذكر في هذا الحديث فمجمع عليه أنه لا يلبسه المحرم ما دام على إحرامه[٤]، ومن شكك فيه فقد شكك في أمر معلوم من الدين بالضرورة.

الزكاة:

ومنها التشكيك في مقدار الزكاة المفروض على المسلمين، فقد شرع الله على لسان رسوله ﷺ مقدار الزكاة، ومتى تكون، وفي أي نوع من أنواع المال، وعلِمهُ المسلمون، وأجمعوا على العمل به، لكن منكري السنة سعوا إلى تشكيك المسلمين في ذلك الأمر الذي أصبح من المعلوم من الدين بالضرورة، فقد قال

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، برقم، (٤٨٩٩)، (٨/٥٠٠)،وهو في المنتقى، لابن الجارود، برقم، (٤١٦)، ص١١١، وصحيح ابن خزيمة، برقم، (٢٦٠١)، (٤/١٦٣)، والحديث صحيح، ينظر: إرواء الغليل، برقم،(١٠٩٦)،(٤/٢٩٣).

(٢) الْبُرْنُسُ: بِضَم النُّون، قَلَنْسُوَةٌ طَوِيلَةٌ، وَالْجَمْعُ الْبَرَانِسُ، وهي كل ثوب رَأسه ملتزق بِهِ، فَهُوَ برنس دراعة كَانَ أو جُبة أو ممطرًا.ينظر: النهاية في غريب الحديث، (١/١٢٢)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي،(١/٤٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض، (١/٨٥).

(٣) صحيح البخاري، برقم، (٥٤٦٦)، (٥/٢١٨٦)، صحيح مسلم، برقم، (١١٧٧)، (٢/٨٣٤).

(٤) ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (٤/٢١٤)، الاستذكار، ابن عبد البر، (٤/١٤)

أحمد صبحي، وهو يتحدث عن الزكاة: "فالصدقة واجبة عليك بمجرد أن يأتيك رزق من الله-عندها يجب إخراج حق الله-تعالى- فيه دون انتظار لمرور عام أو الحول، كما يقول الفقهاء، بل بمجرد الحصول عليه، أو بالتعبير القرآني ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤١]، فالحصاد ليس فقط في الزرع، وإنما يشمل مجيء الرزق من مرتب أو مكسب تجاري أو ريع آت من تأجير عقار وغيره"(١).

وقال أيضًا: "وخلافًا لما قاله الفقهاء، فإن الله-تعالى- لم يحدد نسبة معينة لإخراج الصدقة؛ لأن الأساس فيها هو التنافس في الخير والسعي لتزكية النفس، والتعامل المباشر مع الله تعالى"(٢).

وهذان قولان باطلان؛ إذ من المعلوم عند أهل الإسلام أن الزكاة لا تجب إلا بشروط خمسة، ومنها: امتلاك النصاب، فلا تجب فيما دون النصاب، وهو قدر معلوم من المال، بينه العلماء في كتب الفقه، كل نوع من المال بحسبه، فلا بد أن يملك نصابًا، فلو لم يملك شيئًا كالفقير فلا شيء عليه، ولو ملك ما هو دون النصاب فلا شيء عليه، ولأن ما دون النصاب لا يحتمل المواساة(٣)، ودليل

---

(١) الصلاة بين القرآن والمسلمين، ص٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص٥٧.

(٣) ينظر: الكافي في فقه الإمام أحمد، ابن قدامة، (١/٣٨١)، المبدع في شرح المقنع، ابن مفلح، (٢/٢٩٤)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي الحنبلي،(٣/١٢)، الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن عثيمين، (٦/١٦)، الملخص الفقهي، د. صالح الفوزان،(١/٣٢٢)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني الحنفي، (٢/٥١)، خلاصة الجواهر الزكية في فقه المالكية، أحمد المنشليلي المالكي، ص٣٨.

اشتراط ملك النصاب، ما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال:(ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة، ولا فيما دون خمسة ذود صدقة، ولا فيما دون خمسة أواق صدقة)(١).

ومن شروطها: مضي الحول على المال، فلا زكاة حتى يحول على المال الحول، لحديث عَائِشَةَ-رضي الله عنها- قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (لَا زَكَاةَ فِي مَالٍ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ)(٢).

وقد أجمع العلماء على اشتراط الحول في الماشية والنقد(٣)، وفي هذا حكمة ربانية عظيمة، ورحمة بالأمة المحمدية، غفل عنها أعداء الإسلام من المتسمين بالقرآنية، وكشف عنها علماء الإسلام، ومنهم الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، حيث قال: "ولأننا إن لم نقدر زمنًا فهل يقال: تجب في كل يوم، أو كل شهر، أو كل أسبوع، أو كل عشرة أعوام، فلا بد من تقدير، ولأننا لو أوجبنا الزكاة كل شهر، لكان ضررًا على أهل الأموال، ولو أوجبناها كل سنتين لأضررنا بأهل الزكاة"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، برقم، (١٣٧٨)، (٥٢٤/٢)، ومسلم، برقم، (٩٧٩)، (٦٧٣/٢).

(٢) سنن ابن ماجة، برقم،(١٧٩٢)،(٥٧١/١)، مسند البزار، برقم،(٣٠٤)،(٢٥٩/١٨)، سنن الدار قطني، برقم، (١٨٩٤)، (٤٧٠/٢)، السنن الكبرى، البيهقي، برقم،(٧٢٧٤)،(١٦٠/٤). والحديث صحيح. ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم،(٧٤٩٧)، (١٢٤٧/٢).

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم، (٥٣/٧)، فتح الباري، ابن حجر، (٣١١/٣) شرح الزرقاني على الموطأ، (١٤٢/٢).

(٤) الشرح الممتع، (١٨/٦).

التشكيك في المحرمات:

ومن أجل هدم أخلاق شباب المسلمين، ونشر الإباحية بينهم، فإن منكري السنة يلجؤون إلى التشكيك فيما علم تحريمه من الدين بالضرورة، ومن أمثلة ذلك، ما يلي:

ومما يؤرق هؤلاء القوم، ويثير اهتمامهم ما دعا إليه الشرع الحكيم من وجوب التزام المرأة المسلمة بالحجاب، وحرمة الاختلاط بين الرجال والنساء، فسعوا جاهدين إلى التشكيك في حرمته، وبث ثقافة السفور، والإباحية، والاختلاط، والعلاقات غير الأخلاقية بين الرجال والنساء، فالمهندس شحرور يرى أن "أي علاقة بين ذكر وأنثى لا تنتهي بالجماع الجنسي فهي ليست من الفواحش، وإنما ينظر إليها من باب الأعراف (الآداب العامة)، فالفرج هو الذي يصدق الفاحشة أو يكذبها"[١].

واعتبر جمال البنا أن الاختلاط: "ضروري، ومن الطبيعة والفطرة؛ لأن الفصل بين الجنسين عملية وحشية، فقد عشنا في الثلاثينيات من القرن الماضي مرحلة كان يتمنى فيها أي شاب أن يجلس ولو على البعد مع امرأة، لا يريد أن يفعل شيئًا سيئًا، ولكن لمجرد أن يتعرف على هذا الكائن الذي كان مجرد الجلوس إليه مستحيل. وقال: ليس حدوث أشياء خاطئة مبررًا؛ لأن نمنع بسببها الاختلاط"[٢].

---

(١) الكتاب والقرآن، ص٥٠٩.

(٢) مقال تحت عنوان :فصل الجنسين عملية وحشية، وإمامة المرأة جائزة، جمال البنا، موقـــع الـــــ" =

وقال جمال البنا: "رغم أن اتجاه القرآن نحو المرأة وتصوير بعض الآيات لمجتمع المؤمنين(إن المؤمنين والمؤمنات ألخ... كانت توحي بمجتمع مختلط، فلم يوجب القرآن صراحة ولم يحرمه صراحة اختلاطًا في إطار القيم الإسلامية، ثم جاء الرسول فأباح أو أمر بصور من الاختلاط المحدود كحضور الصلوات والأعياد أو الحج الخ..."(١).

وقد علم ضرر الاختلاط، وأصبح ضرره من المعلومات من الدين بالضرورة، قال ابن القيم رحمه الله: "وَلَا رَيْبَ أَنَّ تَمْكِينَ النِّسَاءِ مِنْ اخْتِلَاطِهِنَّ بِالرِّجَالِ: أَصْلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَشَرٍّ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نُزُولِ الْعُقُوبَاتِ الْعَامَّةِ، كَمَا أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ فَسَادِ أُمُورِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَاخْتِلَاطُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ سَبَبٌ لِكَثْرَةِ الْفَوَاحِشِ وَالزِّنَا، وَهُوَ مِنْ أَسْبَابِ الْمَوْتِ الْعَامِّ، وَالطَّوَاعِينِ الْمُتَّصِلَةِ،....،فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْمَوْتِ الْعَامِّ: كَثْرَةُ الزِّنَا، بِسَبَبِ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنْ اخْتِلَاطِهِنَّ بِالرِّجَالِ، وَالْمَشْيِ بَيْنَهُمْ مُتَبَرِّجَاتٍ مُتَجَمِّلَاتٍ، وَلَوْ عَلِمَ أَوْلِيَاءُ الْأَمْرِ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ فَسَادِ الدُّنْيَا وَالرَّعِيَّةِ-قَبْلَ الدِّينِ- لَكَانُوا أَشَدَّ شَيْءٍ مَنْعًا لِذَلِكَ"(٢).

وقال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: "فيجب على كل مؤمن ومؤمنة بهذا الدين، الحذر الشديد من دعوات أعدائه من داخل الصف أو خارجه الرامية إلى

=

www.alarabiya.net" يوم الخميس ٩ صفر ١٤٢٧هـ - ٩ مارس ٢٠٠٦م.

(١) المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء، ص٢٩.

(٢) الطرق الحكمية، ص٢٤٠.

التغريب، وإخراج نساء المؤمنين من حجابهنَّ تاجِ العفة والحصانة إلى السفور والتكشف والحسور، ورميهنَّ في أحضان الرجال الأجانب عنهن، وأن لا يغتروا ببعض الأقاويل الشاذة، التي تخترق النصوص، وتهدم الأصول، وتنابذ المقاصد الشرعية من طلب العفة والحصانة وحفظهما، وصد عاديات التبرج والسفور والاختلاط، الذي حلَّ بديار القائلين بهذا الشذوذ"[١].

إباحة زوج المتعة:

يهتم القرآنيون(منكرو السنة) ببذل المحاولات للبحث عن الأقوال الشاذة عند بعض الفرق المنحرفة، ومحاولة نشرها في أوساط شباب الأمة، وتشكيكهم في حرمتها، ومن ذلك إباحتهم لزواج المتعة الذي علم من الدين بالضرورة حرمته، وإنما هو في الحقيقة سفاح وزنا، فقال ابن قرناس:"لو استوفى شروط الزواج الشرعي واشترط الزوجان مدة معينة للزواج، فلا يوجد في كتاب الله ما يمنع ذلك، مثل اشتراط عدم الإنجاب أو أي شرط آخر"[٢].

وقال شحرور: إن الرسول ﷺ نهى عن نكاح المتعة، و لم يحرمه[٣].

وقد أجمع على حرمة نكاح المتعة الصحابة والتابعون والفقهاء[٤]، ومن بعدهم من علماء أهل السنة والجماعة، وغيرهم من علماء الأمة، وشذ عن ذلك

---

(١) حراسة الفضيلة، بكر أبو زيد، ص٥٣.

(٢) الحديث والقرآن، ص١٦٠.

(٣) ينظر: السنة الرسولية، ص١٦٦.

(٤) ينظر: رسالة في تحريم نكاح المتعة، لأبي الفتح المقدسي الشافعي، ص٧٦-٧٨.

علماء طائفة الشيعة الاثني عشرية، ومن تابعهم من المنحرفين فكريًا، كالقرآنيين؛ وقد حكى الإجماع على تحريم نكاح المتعة غير واحد من الأئمة، كما نقل ذلك ابن حجر، عن عدد من أهل العلم، فقال: "قَالَ ابن الْمُنْذِرِ(١): جَاءَ عَنِ الْأَوَائِلِ الرُّخْصَةُ فِيهَا، وَلَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ أَحَدًا يُجِيزُهَا إِلَّا بَعْضُ الرَّافِضَةِ(٢)، وَلَا مَعْنَى لِقَوْلٍ يُخَالِفُ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ. وَقَالَ عِيَاضٌ: ثُمَّ وَقَعَ الْإِجْمَاعُ مِنْ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ عَلَى تَحْرِيمِهَا إِلَّا الرَّوَافِضَ......،وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: تَحْرِيمُ الْمُتْعَةِ كَالْإِجْمَاعِ إِلَّا عَنْ بَعْضِ الشِّيعَةِ، وَلَا يَصِحُّ عَلَى قَاعِدَتِهِمْ فِي الرُّجُوعِ فِي الْمُخْتَلِفَاتِ إِلَى عَلِيٍّ وَآلِ بَيْتِهِ، فَقَدْ صَحَّ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهَا نُسِخَتْ، وَنَقَلَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بن مُحَمَّدٍ(٣) أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْمُتْعَةِ فَقَالَ هِيَ الزِّنَا بِعَيْنِهِ،....،وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: الرِّوَايَاتُ كُلُّهَا مُتَّفِقَةٌ عَلَى أَنَّ زَمَنَ إِبَاحَةِ الْمُتْعَةِ لَمْ يَطُلْ، وَأَنَّهُ حَرُمَ ثُمَّ أَجْمَعَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ عَلَى تَحْرِيمِهَا إِلَّا مَنْ لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ مِنَ الرَّوَافِضِ"(٤).

---

(١) محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، أبو بكر: الفقيه الشافعي المجتهد، المجمع على إمامته في الفقه والحديث، كان شيخ الحرم بمكة. ولد سنة (٢٤٢هـ)، له مصنفات تدل على تمكنه في علمي الحديث والفقه، منها: المبسوط في الفقه، والأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، وتفسير القرآن، وغيرها، توفي بمكة، سنة (٣١٩هـ). ينظر: طبقات الفقهاء، الشيرازي،ص ١٠٨، تهذيب الأسماء واللغات، (١٩٦/٢)، طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، (١٠٢/٢)، الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عبد الله المراغي، (١٦٨/١).

(٢) ينظر: في تفنيد شبهات الشيعة، تحريم المتعة في الكتاب والسنة، يوسف جابر المحمدي، نكاح المتعة دراسة وتحقيق، محمد عبد الرحمن الأهدل، الكافي في نقض المتعة، يعقوب القطامي.

(٣) سبق التعريف به.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، باختصار، (١٧٣/٩)، وينظر: شرح السنة، البغوي، (١٠٠/٩)، شرح =

التشكيك في معجزات الرسول ﷺ الحسية.

إن القرآنيين وقد طغت على عقليتهم البغض لرسول الله ﷺ ومحاولة تجريده من كل منحة إلهية، ومزية ربانية، قاموا بتشكيك المسلمين في تلك المعجزات الحسية الباهرة التي أيد الله بها رسوله ﷺ، وهذه المعجزات مما علم من الدين بالضرورة، وتناقله الأئمة الأعلام، وعرفه كثير من العوام، ومن تلك المعجزات الحسية، نبع الماء من بين يديه الشريفتين[1]، فقد قال مصطفى المهدوي: "لم يكن ﷺ في حاجة إلى ماء يتفجر من بين يديه، فإن جهاد الذين عميت أبصارهم عن النور الذي أنزل إليه يكفيه، ولم يكن في حاجة إلى غير القرآن، واتباع آياته دليلاً على صدق رسالته،...، القرآن هو آية صدقه"[2].

وبعد إيراد ابن قرناس لأحاديث حنين الجذع[3]، وغيرها من المعجزات الحسية التي وقعت لرسول الله، قال: "والنقطة الأخرى التي جانب التوفيق فيها القاص، هو تعارض قصته مع

عشرات الآيات التي تنفي نفيًا قاطعًا أن يكون الرسول محمد قد أوتي

=

السنة، البربهاري، ص٩٢، شرح معاني الآثار، أبو جعفر الطحاوي، (٢٦/٣) ، نيل الأوطار، الشوكاني، (١٦٢/٦-١٦٣).

(١) القصة ثابتة في الصحيحين، صحيح البخاري، برقم، (١٩٧)، (١٨٤/١)، وصحيح مسلم، برقم، (٢٢٧٩)، (١٧٨٤/٤).

(٢) البيان بالقرآن، (٦٢٧/٢).

(٣) القصة ثابتة في سنن الدارمي، برقم،(٣٢)، (١٧٩/١)، وصحيح ابن حبان، برقم، (٦٥٠٦)، (٤٣٥/١٤).

معجزة حسية(آية)"(١).

وهذه محاولة سافرة في التشكيك بمعجزات الرسول ﷺ الحسية، "والحقيقة أن محمدًا عليه السلام جاء بمعجزات غير معجزة القرآن التي هي أعظم المعجزات. وقد سجل كتاب الله نفسُه ذلك، ألم يحدث القرآن عن إسراء الله بنبيه من المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ليريه من آياته؟ ألم يقص القرآن علينا قصة أصحاب الفيل، وما وقع لهم من الطير الأبابيل التي ترميهم بحجارة من سجيل؟ وما كان ذلك إلا إرهاصًا لميلاد الرسول عليه السلام وإيلافًا لقومه؟ ألم يتحدث القرآن عن إمداد الله رسوله في بدر وأحد بالملائكة مسومين يقاتلون معه أعداء الدين؟ ألم يقل عليه السلام إنه نصر بالرعب مسيرة ثلاثة أيام؟ ألم يتحدث عليه السلام عن المعراج، والصعود إلى السماء؟ ألم ترد أحاديث مختلفة عن تكثير الطعام وإبراء المرضى، وغير ذلك مما صرح العلماء بأن مجموعه ثابت ثبوت التواتر المعنوي؟

وإذن فما الموجب لإنكار أن يكون للرسول عليه السلام معجزة، وهي ليست بدْعًا من أخلاق الرسل ولا مما جاؤوا به؟ ولماذا نؤمن بمعجزات موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء ولا نؤمن بمعجزات محمد؟"(٢).

وقال محمد أبو شهبة: "ومن هؤلاء من يتلطف فيقول: إنه ما دام القرآن آية دالة على صدق النبي ﷺ، فنحن في غنية عن غيره من الآيات، ولا سيما والكثير

(١) الحديث والقرآن، ص٣٦٢، وينظر: ص٣٦٥.

(٢) الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور محمد الجابري، عبد السلام البكاري، الصديق بوعلام، ص١٩-٢٠ .

منها لم يثبت إلا بالطرق الأحادية التي لا تفيد اليقين، ومنهم من يجاهر فينكر المعجزات الحسية جملة!!.

وأحب أن أقول لهؤلاء وأولئك: إن موقفهم من المعجزات الحسية وإنكارها، حدا ببعض المبشرين والمستشرقين إلى الطعن في النبي، وتفضيل غيره من الأنبياء عليه، بحجة أن النبي محمدًا-عليه الصلاة والسلام- ليس له من المعجزات الحسية المتكاثرة ما لموسى وعيسى-عليهما الصلاة والسلام، وهكذا نراهم قد أعطوا لأعداء النبي- وإن لم يقصدوا-متكأ لهمزه ولمزه.

وأما أنا-اتباعا للمنهج العلمي الصحيح- فلن أجاريهم في هذا، فالشيء ما دام من الممكنات العقلية، ثم أخبر بوقوعه الرواة الموثوق بهم عدالة، وضبطًا، وأمانة، فلا يجوز أن ننكره استنادًا إلى استبعاده في العادة، وهل المعجزات إلا أمور خارقة للعادة"[1].

ومن ذلك **التشكيك في كفر اليهود والنصارى**، ومثاله ما قاله محمود أبو رية: "مما نذكره والأسى يملأ جوانحنا أن هناك فكرة خطيرة أعرقت فينا، وكان لها ولا ريب أثر كبير في الخلاف بيننا وبين إخواننا من غير المسلمين، تلك الفكرة، هي أن بعض رجال الدين من المسلمين-كما بيَّنا في مقدمة هذه الرسالة- يعتبرون اليهود والنصارى مشركين أو كافرين، وأنه يجب أن يعاملهم المسلمون على ذلك!"[2].

---

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد أبو شُهبة، (٢٣/١).

(٢) دين الله واحد محمد والمسيح أخوان، أبو رية، ص٧٤، وينظر: الكتاب نفسه، ص١٤.

وكذلك التشكيك في عدم دخولهم النار، وأنهم سيدخلون الجنة، قال محمود أبو رية: "كنت في مجلس ضم بعض المشايخ، وجرى الحديث فيمن سيدخلون الجنة، ومن سيحرمونها! فقلت لهم: ما قولكم في أديسون[١] مخترع النور؟ فقالوا: إنه سيدخل النار! فقلت لهم: بعد أن أضاء العالم حتى مساجدكم وبيوتكم باختراعه؟! فقالوا: ولو؛ لأنه لم ينطق بالشهادتين، فقلت لهم: إذا كان مثل هذا الرجل العظيم وغيره من الذين وقفوا حياتهم على ما ينفع البشرية جمعاء بعلومهم ومخترعاتهم، لا يمكن -بحسب فهمكم- أن يدخلوا الجنة شرعًا- لأنهم لا ينطقون بالشهادتين- أفلا يمكن أن يدخلوها بفضل الله ورحمته عقلاً؛ ما داموا يؤمنون بخالق السماوات والأرض؟ قالوا: ولا هذه!!"[٢].

اليهود والنصارى الذين لم يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، هم أهل كفر، وهم أهل ضلال، وكفرهم معلوم من دين الإسلام بالضرورة، وقد أخبر الله عن كفرهم، فقال عن النصارى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(١) أديسون، توماس، مخترع أمريكي من أصل هولندي، ولد في مدينة ميلان أوهايو سنة (١٨٤٧م)، تلقى دروسه الأولى في الأدب والحساب، فظهر اهتمامه باكرًا بالميكانيك، ومن ثم درس الميكانيك والفيزياء والكيمياء، له عدة مخترعات، كان أولها اختراع آلة لقتل الصراصير، وتتابعت مختراعاته، حتى سجل في ست سنوات (١٢٢) اختراعًا، كان من أشهرها الضوء الكهربائي، وعند وفاته عام (١٩٣١م) ترك اكتشافات عديدة. ينظر: موسوعة المكتشفين والمخترعين، د. موريس شربل، ص٤٤، أشهر المخترعين ومخترعاتهم، فليتشر برات، ترجمة: محمد عبد الفتاح إبراهيم، ص٩١-٩٨.

(٢) دين الله واحد محمد والمسيح إخوان، ص١٨.

﴿ ٧٣﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال عن اليهود: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٩]، فمنذ بعثة النبي ﷺ لا يقبل الله دينًا من أحد إلا دين الإسلام، فمن لقي الله بدين آخر غير دين الإسلام كان من الكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، وكما ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: (وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يهودي وَلاَ نصراني ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بالذي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)(١)، وفي الحديث الآخر عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْمَعُ بِي مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَلاَ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، وَلاَ يُؤْمِنُ بِي إِلاَّ دَخَلَ النَّارَ) فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَيْنَ تَصْدِيقُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ حَتَّى وَجَدْتُ هَذِهِ الآيَةَ ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧]، قَالَ: الأَحْزَابُ الْمِلَلُ كُلُّهَا(٢).

فمن لم يكفر اليهود والنصارى، أو شك في كفرهم، أو سوغ اتباع دينهم أو صحح ما هم عليه من اعتقادات باطلة فهو كافر(٣).

قال ابن حزم: " وَاتَّفَقُوا على تَسْمِيَة الْيَهُود وَالنَّصَارَى كفَّارًا "(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى كُفَّارٌ كُفْرًا مَعْلُومًا

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، برقم، (٢٤٠)، (١/١٣٤).

(٢) المستدرك على الصحيحين، برقم، (٣٣٠٩)، (٢/٣٧٢).

(٣) ينظر: منهج ابن تيمية في مسألة التكفير، د. عبد المجيد المشعبي، (١/١٤٨).

(٤) مراتب الإجماع، ابن حزم، ص١١٩.

بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ "[١].

وقال الدكتور ناصر العقل: "من المعلوم من الدين بالضرورة تكفير اليهودي، وتكفير النصراني، وتكفير المشرك، وتكفير من لم يسلم، ولا يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فهذا تكفيره ليس محل البحث،....،ولا يجوز لأحد أن يتردد في كفرهم؛ لأن هذا من المعلوم من الدين بالضرورة، ومن المجمع عليه عند المسلمين جميعًا، حتى الفرق الضالة تقول بكفر الكفار الخلص من اليهود والنصارى والمشركين"[٢].

وأما عن دخولهم الجنة، فقد وردت آيات كثيرة تدل على أن الله حرم الجنة على الكافرين، ومنها: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: ٤٠].

قال الشوكاني رحمه الله: "أَيْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ الْمُكَذِّبِينَ الْمُسْتَكْبِرِينَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَلِهَذَا عَلَّقَهُ بِالْمُسْتَحِيلِ، فَقَالَ: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾، وَهُوَ لَا يَلِجُ أَبَدًا"[٣].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف: ٥٠].

---

(١) مجموع الفتاوى، (٣٥/٢٠١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ص٤.

(٣) فتح القدير، (٢/٢٣٤).

الفصل الثاني
جناية القرآنيين على التفسير والرد عليها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الآيات المتعلقة بالعقائد.

المبحث الثاني: الآيات المتعلقة بالعبادات.

المبحث الثالث: الآيات المتعلقة بالمعاملات.

المبحث الرابع: الآيات المتعلقة بالجنايات.

المبحث الأول
الآيات المتعلقة بالعقائد

لعل من الأمور الهامة التي تلفت القارئ لكتاب الله-تعالى-اهتمامه الكبير بالتوحيد، وتصحيح العقائد، فلا تخلو سورة منه دون إشارة أو بيان لذلك، بل ولا آية من آياته، وفي هذا يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: "إِنَّ كُلَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ، شَاهِدَةٌ بِهِ، دَاعِيَةٌ إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ: إِمَّا خَبَرٌ عَنِ اللَّهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبَرِيُّ، وَإِمَّا دَعْوَةٌ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلْعُ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْإِرَادِيُّ الطَّلَبِيُّ، وَإِمَّا أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَإِلْزَامٌ بِطَاعَتِهِ فِي نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ، فَهِيَ حُقُوقُ التَّوْحِيدِ وَمُكَمِّلَاتُهُ، وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لِأَهْلِ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ جَزَاءُ تَوْحِيدِهِ، وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ، وَمَا يَحِلُّ بِهِمْ فِي الْعُقْبَى مِنَ الْعَذَابِ، فَهُوَ خَبَرٌ عَمَّنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ التَّوْحِيدِ. فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي التَّوْحِيدِ وَحُقُوقِهِ وَجَزَائِهِ"(١).

وهذا يدفع المسلم إلى الاهتمام بأمر العقيدة، وتصحيح ما يشوها أو يكدر صفوها، وبعد ذلك يسعى إلى الدفاع عنها، وبيان الحق والصواب فيما يعتقد غيره في مسائلها، معتمدًا في ذلك على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.

---

(١) مدارج السالكين، (٣/٤١٨).

وفي هذا المبحث يبين الباحث جناية القرآنيين على آيات العقيدة، حيث خاضوا غمار هذا الباب بدون نور من علم ولا هدى، مصطحبين معهم الهوى والشبهات، ينثرونها في تأويلهم للآيات، فجاءت كتبهم مليئة بالضلالات العقدية، وخاضوا فيما لا يجوز الخوض فيه، فلا يكاد أصل من أصول العقيدة يسلم من تحريفهم، ابتداءً من أسماء الله وصفاته، أو ما يتعلق بالرسالة والرسول والنبوة، والملائكة، إلى الجن والشياطين، وسائر الغيبيات التي أخبر الله بها في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ(١).

ويرجع سبب وقوعهم في هذه المزالق الخطيرة في نظر الباحث–بعد إنكارهم للسنة– إلى سببين رئيسين، هما:

الأول: كثير من منكري السنة النبوية لم يتلق العقيدة الإسلامية الصحيحة، ولم يتثقف بها، ولذا لم يدر حرمة الخوض في أسماء الله وصفاته وتحريفها وتعطيلها، وتناولها تناول أهل الإلحاد والزندقة.

الثاني: إنَّ لتحكم العقل عند منكري السنة أثره في فساد أقوالهم في تفسير آيات العقيدة، فلا يلتزمون فهمًا صحيحًا، ولا قولاً سديدًا، فكل ما يرونه يصطدم مع عقليتهم وأهوائهم التي هي متأثرة بالعقلية المادية الغربية، والتي لا تكاد تؤمن إلا بالمحسوس، حاولوا بكل وسيلة إلى إخضاعه إلى تلك المقررات العقلية، ولو أدى بهم إلى تعطيل النصوص وتحريفها(٢).

---

(١) ينظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة، د. ناصر العقل، ص٣٦٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

ولما كانت (القرآنية) شعارًا خادعًا تخفي وراءه الحرب على الدين، نجد أن القرآنيين استخدموا ثقافتهم الماركسية والعلمانية، ورياضتهم العقلية في تأويل معنى الآيات، وأخضعوا فهم الآيات للمعنى الاعتزالي، والجهمي، والصوفي، فلم يتركوا شيئًا يطعن في عقيدة التوحيد الصافية إلا أتوا به وأكدوا عليه(١).

وفيما يلي يعرض الباحث لبعض جنايتهم في آيات العقيدة، ولن يذهب الباحث إلى استقصاء تفسيراتهم وسردها هنا، إذ البحث فيما كتبه القرآنيون (منكرو السنة النبوية) من تحريفات ومناقشتها يستلزم رسالة علمية مستقلة، إلا أن الباحث يقتصر على بعض الآيات التي تظهر مدى جنايتهم على آيات العقيدة، ومنها:

(١) قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال محمد شحرور: "وهذا هو علم الله الكلي (الكرسي)، فالاتجاهات كلها متكافئة بالنسبة إلى الراصد"(٢).

وقال عن الكرسي أيضًا: "الذي يمثل علم الله الشامل المطلق، فإذا تحول أحد هذه الاحتمالات الكلية الممكنة إلى واقع، أي من بعدية المستقبل، إلى قبلية الماضي، انتقل من العلم الكلي (الكرسي) بالنسبة إلى أحداث الإنسان الواعية إلى الإمام المبين، ودخل في الإطار الذي سيحاسب الإنسان على أساسه"(٣).

---

(١) ينظر: ما قاله جمال البنا في كتابه جناية قبيلة حدثنا، ص٨٥، ٨٦.

(٢) القصص القرآني(١)، ص١٤٩، ١٥٠.

(٣) القصص القرآني، (١)، ص١٥٤، ١٥٥.

وقال نيازي: "يظن الكاتب أن الله يسكن في السماء السابعة، ولا يعلم أن الله موجود في كل مكان، وليس في الكون مكان لا وجود لله فيه، فيظن لذكر الكرسي والعرش في القرآن أنهما مثل عرش الملك، وأن الله مخلوق مادي له بدن ورأس ويدان، وأنه يجلس فوق الكرسي، لتخيله هذه الأشياء حسب ظنه، مع أنها لا زالت في غيب الله فلا نعلم عنها شيئًا، فالملاك الذي يصعد إلى السماء السابعة يقابل الله ويجده فيها، والذي يصعد للسماء الأولى يجده فيها، ونحن على الأرض والله معنا أيضًا على الأرض، فالله موجود في كل مكان"(١).

يتضح من هذه النصوص ما يأتي:

١- القول بأن الكرسي هو علم الله تعالى.

٢- إنكار الكرسي، والقول بأن الله ﷻ في كل مكان.

وقد كان لهذا التوجه المنهجي الذي سارت عليه هذه الفرقة في تحكيمها للعقل والابتعاد عن السنة النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين الأثر العظيم في تأويلاتهم الباطلة، ومنها تلك التي يقرأها الناظر في كتبهم من تحريف لنصوص القرآن، وتعطيل لصفات الله تعالى، وصرفها عن ظاهرها اتباعًا لعقولهم ومسايرة لأهوائهم، وفيما ذكر في تفسير الآية السابقة بعد عن الحق من وجوه، أهمها:

١- أن القول بأن الكرسي علم الله تعالى(٢)، فيه مجانبة للصواب، وبعد عن

---

(١) إنذار من السماء، ص٢٤٤.

(٢) هذا القول ينسب إلى الجهمية. ينظر: العرش، الذهبي، (١/٣٤٨)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، د. صالح الفوزان، (٢/٣٣٢).

الحق؛ لأن من المتفق عليه عند أهل العلم أن الأصل في نصوص القرآن الكريم أن تحمل على ظاهرها، وتفسيرها على حسب ما يقتضيه ظاهر النص، ولا يجوز أن يُعدل بألفاظ الوحي عن ظاهرها إلا بدليل واضح يجب الرجوع إليه[1] ففي هذه الآية الأصل حمل الكرسي على حقيقته، ولا يصح صرفه إلى أمر معنوي (العلم) إلا بدليل، و لم يقم الدليل على ذلك.

٢- إن كان معتمدهم في هذا القول ما روي عن ابن عباس-رضي الله عنهما- من كون الكرسي هو علمه تعالى[2]- وإن لم يذكروا ذلك- فقد ذكر جمع من أهل العلم أن هذا الأثر ضعيف ولا تقوم به حجة[3]، إذ هو مطعون في سنده، قال أبو منصور الأزهري[4]: "والذي يروي عن ابن عباس أنه العلم فليس

(١) ينظر: جامع البيان، (٣/ ٤٠٤)، قواعد الترجيح عند المفسرين، (١/١٣٧).

(٢) ينظر: نقض الدارمي على المريسي، (١/٤١٠)، العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، الذهبي، ص١١٧، جامع البيان، (٤/٥٣٧)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (٣/٤٤٩)، الأسماء والصفات، البيهقي، (١/٣٠٨).

(٣) منهم: الذهبي في كتاب العلو للعلي الغفار، ص١١٧، والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات، (٢/٢٧٢)، الدارمي في الرد على المريسي، (١/٤١١)، وابن تيمية في كتاب بيان تلبيس الجهمية، (٨/٣٦٣). والألباني في السلسلة الضعيفة، (١/٢٢٦).

(٤) محمد بن أحمد بن الأزهري، أبو منصور، اللغوي ، الشافعي، كان من كبار أئمة الأدب واللغة، ولد بهراة بخرسان، سنة، (٢٨٢هـ)، ووفاته بها، سنة (٣٧٠)، له مصنفات، منها: تهذيب اللغة، الذي يدل على جلالة قدره ، غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء، شرح مُشكل أَلْفَاظ مُخْتَصر الْمُزنِيّ، وغيرها. ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص٢٣٧، طبقات الفقهاء الشافعية، ابن الصلاح، (١/٨٣)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص٢٥٢.

مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار"[١].

٣- أن المروي عن ابن عباس-رضي الله عنهما- الثابت عنه في بيان الكرسي هو خلاف القول الأول، فقد ثبت عنه قوله: (الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يُقَدِّرُهُ إِلَّا اللهُ ﷻ)[٢].

٤- إذا قلنا: وسع علمه السماوات والأرض، وعلم الله وسع كل شيء، فإذا فسر الكرسي بالعلم صار ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥] صار العلم ما يسع إلا السماوات والأرض، مع أن العلم كما قال الله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧][٣]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وطائفة اشتبه عليها ففسروا الكرسي بالعلم، مع أن هذا لا يعرف في اللغة البتة، والله سبحانه وتعالى أحاط بكل شيء علماً فلا يختص علمه بالسماوات والأرض، والمقصود بيان عظمة الرب سبحانه، وهو بكل شيء عليم، ويعلم ما كان وما يكون فليس في تخصيص علمه بالسماوات والأرض مدح ولا لهذا نظير في القرآن، فالرب لا

---

(١) تهذيب اللغة، الأزهري، (٣٣/١٠).

(٢) ينظر: الرد على المريسي، (٤٠٠/١)، السنة، عبد الله بن الإمام أحمد، (٣٠١/١)، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، الملطي، ص١٠٣، العرش، الذهبي، (٣٢٨/١)، جامع البيان، (٥٣٨/٤)، التوحيد، ابن خزيمة، (٢٤٨/١)، الصفات، الدار قطني، ص٢٠، الرد على الجهمية، ابن منده، ص٣١، إبطال التأويلات، محمد بن الحسين ابن الفراء، (٤٦/١)، الأربعون في دلائل التوحيد، عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، ص٥٧، الأثر صحيح، ينظر: مختصر العلو للذهبي، الألباني، ص١٠٢، سلسلة الأحاديث الصحيحة، (٣٠٧/٢).

(٣) شرح الحموية لابن تيمية، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، ص٣.

يذكر اختصاص علمه بذلك قط"[١].

٥- الكرسي ثابت بالكتاب والسنة وإجماع جمهور السلف، والذي تدل عليه الأحاديث النبوية، وآثار السلف وأخبارهم أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء، وهو موضع قدمي الرب ﷻ[٢].

٦- وأما قوله: إن الله في كل مكان[٣]، فهذا قَوْلٌ بَاطِلٌ، وضَلَالٌ مُبِينٌ، وَجَهْلٌ بِاللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَمْكِنَةِ الْمَوْجُودَةِ أَحْقَرُ وَأَصْغَرُ مِنْ أَنْ يَحِلَّ فِي شَيْءٍ مِنْهَا رب السَّمَاوَات وَالْأَرْض الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَعْلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ، فَالسَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فِي يَدِهِ- جَلَّ وَعَلَا-أَصْغَرُ مِنْ حَبَّةِ خَرْدَلٍ فِي يَدِ أَحَدِنَا، وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى، فَلَوْ كَانَتْ حَبَّةُ خَرْدَلٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ حَالٌ فِيهَا، أَوْ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهَا. لَا وَكَلَّا، هِيَ أَصْغَرُ وَأَحْقَرُ مِنْ ذَلِكَ، وقد وصف الله ﷻ نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بِالْعُلُوِّ وَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ وَالْفَوْقِيَّةِ فِي كِتَابِهِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ أَكَابِرِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ: فِي الْقُرْآنِ أَلْفُ دَلِيلٍ، أَوْ

(١) بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، (٣٦٣/٨).

(٢) ينظر: العرش وما رُوي فيه، محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ص١١١، العرش، الذهبي، (٣٥٣/١)، مجموع الفتاوى، (٥٨٤/٦)، المحرر الوجيز، (٣٤٣/١)، التسهيل لعلوم التنزيل، (١٣٢/١)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٧٨/٣).

(٣) هذا قول الجهمية. ينظر: الرد على الجهمية والزنادقة، ص١٤٤، الإيمان، ابن تيمية، ص٢٩٨، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، ص٤٥.

أَزْيَدُ: تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ–تَعَالَى– عَالٍ عَلَى الْخَلْقِ، وَأَنَّهُ فَوْقَ عِبَادِهِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: فِيهِ "ثَلَاثُمِائَةِ" دَلِيلٍ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ[1].

(٢) قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قال ابن قرناس: "ويقرأ المسلم ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. ثم يؤمن بأن الناس سيرون الله"[2].

وقال أيضًا: "وفوق هذا فإنه يستحيل أن يرى البشر الله سبحانه"[3].

وقال أيضًا: "والإنسان خلقه الله بقدرات جسدية وعقلية محدودة جدًا لا تمكنه من رؤية الله ﷻ ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾"[4].

وقال جمال البنا: "فحملت قبيلة حدثنا العقيدة برؤية الله–تعالى– في الآخرة، والله–تعالى– يقول: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾"[5].

يتضح من أقوال ابن قرناس، وجمال البنا أنهما ينفيان رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، ويجعلان ذلك مستحيلاً؛ معللين ذلك بكون قدرات الإنسان محددة، لا تمكنه من رؤية الله تعالى، وللرد على هذه الأقوال:

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، (١٢١/٥)، إعلام الموقعين، (٢١٧/٢)، أضواء البيان، (٤٧١/١).

(٢) سنة الأولين، ص٣٩٤– ٣٩٥.

(٣) المرجع السابق، ص٩٢٥.

(٤) المرجع السابق ، ص٩٢٨.

(٥) جناية قبيلة حدثنا، ص٨٥.

أولاً: من معتقد أهل السنة والجماعة(١) أن المؤمنين سوف يرون رهم يوم القيامة،

بل هي من أعظم النعم التي يجدها المؤمنون في نفوسهم يوم أن يتجلى لهم رهم سبحانه، وهذه المسألة من المسائل التي تضافرت على إثباها الأدلة من الكتاب والسنة، والنصوص فيها قطعية الثبوت والدلالة(٢).

ثانيًا: أنه-تعالى- أراد في الآية نفي وقوع الرؤية في الدنيا؛ لِضَعْفِ قُوَى الْبَشَرِ فِيهَا عَنْ رُؤْيَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَلَوْ كَانَتِ الرُّؤْيَةُ مُمْتَنِعَةً لِذَاتِهَا؛ لَقَالَ: إِنِّي لَا أُرى، أَوْ لَا يَجُوزُ رُؤْيَتِي، أَوْ لَسْتُ بمرئيٍّ وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ(٣).

ثالثًا: ما استدل به ابن قرناس في استحالة الرؤية هذه الآية لا متمسك له منها؛ لأن المنفي في هذه الآية هو نفي الإدراك المشعر بالإحاطة، فمعنى الآية: أي لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه، ولا تكتنفه من جوانبه كما تحيط

(١) وأما معتقد المعتزلة، والجهمية، والرافضة، والخوارج، فهم ينكرون رؤية الله ﷻ. ينظر: الانتصار في الرد على المعتزلة، (٣/٦٣٧)، الرد على الجهمية والزنادقة، ص١٣٢، لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، عبد الملك الجويني، ص١١٥، الإباضية، عبد العزيز آل عبد اللطيف، ص١٣.

(٢) ينظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية، (٢/٦٤٢)، (٢/٦٤٨)، الاقتصاد في الاعتقاد، المقدسي، ص١٢٥، الإيمان، ابن تيمية، ص٣١٥، أصول الإيمان، محمد بن عبد الوهاب، ص٥٥، التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، عبد الله بن محمد بن حميد، ص٥٣، شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، ص٤٤٩، اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث، محمد بن عبد الرحمن الخميس، ص٨٦.

(٣) ينظر: الانتصار في الرد على المعتزلة، (٢/٦٤٨)، الاعتقاد، البيهقي، ص١٢٢، شرح الطحاوية، ص١٩١، العواصم والقواصم، (٥/١٠٧)، شرح العقيدة الواسطية، هراس، ص١٥٨.

الرؤية بالأجسام[١].

ومن هنا يظهر أن الرؤية لا تستلزم الإدراك؛ ألا ترى أن الرجل يرى الشمس ولا يحيط بها إدراكًا؟! فإذا أثبتنا أن الله-تعالى- يرى، لم يلزم أن يدرك بهذه الرؤية؛ لأن الإدراك أخص من مطلق الرؤية[٢].

رابعًا: "اتَّفَقَ الْعُقَلَاءُ عَلَى أَنَّ نَفْيَ الْأَخَصِّ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الْأَعَمِّ، فَانْتِفَاءُ الْإِدْرَاكِ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ انْتِفَاءُ مُطْلَقِ الرُّؤْيَةِ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ-تَعَالَى-لَا يُدْرِكُ كُنْهَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْوَجْهِ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى مَرْفُوعًا:(حِجَابُهُ النُّورُ أَوِ النَّارُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ)[٣]، فَالْحَدِيثُ صَرِيحٌ فِي عَدَمِ الرُّؤْيَةِ فِي الدُّنْيَا، وَيُفْهَمُ مِنْهُ عَدَمُ إِمْكَانِ الْإِحَاطَةِ مُطْلَقًا"[٤].

(٣) قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [النمل: ١٢].

---

(١) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، ص٤٧، تيسير الكريم الرحمن، ص٢٦٨.

(٢) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، مرجع سابق، ص٤٧، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية، (٢/٦٤٨)، العواصم والقواصم، (٤/١٣٤)، دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، الشنقيطي، ص٩٢، شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، ص٤٥٧، شرح العقيدة الواسطية، هراس، ص١٥٧.

(٣) صحيح مسلم، برقم، (١٧٩)، (١/١٦١).

(٤) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص٩٢.

قال نيازي عز الدين: "ففي الآية الأولى إشارة إلى(يد الله)، وفي الثانية إشارة إلى يد الإنسان، ونحن نعرف يد الإنسان لكننا لا نتصور(يد الله)، والتعبير مجاز عقلي، الهدف منه تقريب صورة عطاء الله وقوته إلى أذهاننا نحن البشر، فاليد في مفهومنا هي التي تعطي أو تمنع، وهي التي تعاقب أو تكافئ؛ لأنها وسيلة تنفيذ ما تمليه رغباتنا وعقولنا، فأحب تعالى أن يقرب لنا صورة أعماله بالأسلوب الذي نفهمه"[١].

وقال ابن قرناس: "ومعنى اليد في الآية (٦٤) من سورة المائدة[٢] تعني أن الله كريم وذو فضل عظيم على خلقه"[٣].

وقال جمال البنا، وهو يعدد جناية من سماهم (قبيلة حدثنا)[٤]: "وفرضت على العقيدة الإيمان بالصفات، واستبعدت المجاز والتفويض، وأن لله-تعالى-يدين حقيقتين ليستا كأيدي الناس دون أن يخطر ببالهم أن هذا هو محض الشرك"[٥].

من خلال النصوص السابقة يتبين أن منكري السنة النبوية ساروا على نهج سلفهم من المبتدعة[٦]، وأهل الانحراف في تأويل آيات الصفات، ويريدون

(١) إنذار من السماء، ص٦٤٢.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

(٣) الحديث والقرآن، ص٤٢٦.

(٤) يقصد بهم أهل السنة والجماعة، لاهتمامهم بالحديث وإسناده، التي أحد ألفاظه:(حدثنا).

(٥) جناية قبيلة حدثنا، ٨٥-٨٦.

(٦) ذهبت المعتزلة والجهمية إلى أن اليد بمعنى النعمة والقدرة. ينظر: الإبانة، الأشعري، ص١٢٧، الفصل في الملل والنحل، (١٢٧/٢)، العرش، الذهبي، (٣٣٥/٢)، أقاويل الثقات،ص ١٣٩.

صرفها عن حقيقتها إلى معان مجازية، ومعنوية، وهذا تعطيل لصفات الله تعالى، وهو من التأويلات الباطلة، وقد وقعوا في ثلاثة انحرافات:

١- أنهم قالوا: إن المراد من التعبير باليد مجاز عقلي، الهدف منه تقريب صورة عطاء الله وقوته إلى أذهان البشر.

٢- صرف اليد عن حقيقتها إلى معنى القوة والكرم والفضل.

٣- استنكار جمال البنا على أهل السنة والجماعة عدم صرفهم الصفات عن حقيقتها إلى المجاز والتفويض.

وللرد على هذه الانحرافات، يقول الباحث:

أولاً: من القواعد المقررة عند علماء التفسير وغيرهم أن الأصل في كلام العرب أن يحمل على الحقيقة، ولا يجوز العدول به عنها، وله فيها محمل صحيح، وعليه: فيجب حمل نصوص الوحي وتفسيرها على حقائقها، ولا يعدل عنه إلى المجاز إلا حال الضرورة عند وجود دليل صحيح، ونقل صريح يضطر منه إلى المجاز(١)، وأن العدول به عنها قدح في علم المتكلم، قال ابن القيم رحمه الله: وإن حمل نصوص الوحي على خلاف ظاهرها، وخلاف حقائقها يقدح في علم المتكلم بها، وفي بيانه، وفي نصحه، وفي فصاحته(٢).

---

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، (١/٣٨٧)، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، (٣/١٣٥)، كتاب القواعد، تقي الدين الحصيني، (١/٣٩٣)، أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام، الملا علي القاري، ص١١٠، شرح قواعد الأصول ومعاقد الفصول، د. سعد الشثري، ص١٣٠.

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة، (١/٣٢٤).

ثانيًا: إنهم يريدون بحملهم آيات الصفات على المجاز، وصرفها عن الحقيقة تحريف الآيات القرآنية التي تخالف معتقداتهم وأفكارهم.

ثالثًا: أنه لا يمكن حمل لفظ (اليد) على المجاز في هذه الآية؛ لأن الأدلة من الكتاب والسنة قد تضافرت على إثبات أن لله ﷻ يدين حقيقيتين يليقان به ﷻ، وأن المجاز غير مراد في الآية(١).

رابعًا: أنه لو كان المراد باليدين القوة والكرم والفضل، لصح أن يقال: في قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك: ١]، تبارك الذي كرم الله وفضله الملك، وكذلك، قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[الحجرات: ١]، لا تقدموا بين قوة الله ورسوله، وهل يجوز أن تتأول جميع الآيات التي ذكرت فيها صفة اليد على القوة والكرم والفضل؟

هذا ممتنع، بل هو من الباطل، والتحريف للكلم عن مواضعه.

وأخيرًا، فإن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن لله-تعالى- يدين اثنتين، ويعتقدون أنهما يدان حقيقيتان تليقان بجلال الله-تعالى، ولا تماثلان أيدي المخلوقين، وهما من صفات الله-تعالى- الذاتية، الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف، ويتبرؤون من الطريقتين: الطريقة الأولى: التي هي تحريف اللفظ

---

(١) ينظر في الأدلة على إثبات صفة اليدين لله تعالى: العقيدة رواية أبي بكر الخلال، أحمد بن حنبل، ص١٠٤، اعتقاد أئمة الحديث، أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني، ص٥٦، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، ابن جماعة، ص٦٧، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد الحكمي، (١/١٠١)، شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، ص٢٩٩، تسهيل العقيدة الإسلامية، ابن جبرين، (١/١٣٦).

بتعطيل معناه الحقيقي المراد إلى معنى غير مراد. والطريقة الثانية: وهي طريقة أهل التفويض، فهم لا يفوضون المعنى، كما يقول المفوضة بل يقولون: نحن نقول: ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾ أي: يداه الحقيقيتان. ﴿مَبْسُوطَتَانِ﴾، وهما غير القوة والنعمة. فعقيدة أهل السنة والجماعة بريئة من التحريف ومن التعطيل[1]، قال ابن عبد البر: "أهل السّنة مجمعون على الْإِقْرَار بالصِّفَاتِ الْوَارِدَة كلهَا فِي الْقُرْآن وَالسّنة، وَالْإِيمَان بهَا وَحملهَا على الْحَقِيقَة لَا الْمجَاز"[2].

(٤) قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢٤ - ١٢٥].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩].

قال محمد شحرور: "والواضح أن هذه الآلاف (٣/٥/١) ليست أرقامًا إحصائية بقدر ما هي البشرى والتثبيت وإثارة مشاعر الصمود والصبر"[3].

فالمهندس شحرور في كلامه السابق نفى أن تكون هذه الأرقام أرقامًا إحصائية، مع أن لفظ الثلاثة، والخمسة، والألف ألفاظٌ لا تحتمل غير مسماها، وهي من ألفاظ القرآن التي لا تحتمل إلا معنى واحدًا، فتكون من الألفاظ التي

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، ص٩٢، فتح رب البرية بتلخيص الحموية، ابن عثيمين، ص٦٩، تسهيل العقيدة الإسلامية، ابن جبرين، (١٣٦/١).

(٢) التمهيد، (١٤٥/٧).

(٣) القصص القرآني (٢)، ٥٢.

تفيد اليقين بمدلولها قطعًا، وفي طريقته هذه سلب للفظ القرآني معناه المراد[١].

ثم إنه حمل هذه الألفاظ على أن المراد بها البشرى والتثبيت، وإثارة مشاعر الصمود والصبر، وهذا غير مدلول الأرقام، مع أن هذه الأشياء (البشرى والتثبيت) هي من مهام الملائكة إلى جانب مباشرة القتال بأنفسهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢].

وأخيرًا فإن السنة الصحيحة وأقوال الصحابة -بعد دلالة القرآن الواضحة في الآية السابقة- تدل على أن الملائكة باشرت القتال، ومن هذه الأدلة ما رواه ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: (هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ)[٢].

وعن الرَّبِيعِ بن أَنَسٍ[٣] -رحمه الله- قَالَ: "كَانَ النَّاسُ يَوْمَ بَدْرٍ يَعْرِفُونَ قَتْلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ قَتْلَى النَّاسِ بِضَرْبٍ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ، وَعَلَى الْبَنَانِ مِثْلَ وَسْمِ النَّارِ"[٤].

وهنا أمرٌ آخر، وهو أن شحرور يشكك في مباشرة الملائكة القتال بأنفسهم[٥]، وقد بين بعض العلماء الحكمة من قتال الملائكة مع رسول الله ﷺ

---

(١) ينظر: الصواعق المرسلة، (٢/٦٧٠).

(٢) صحيح البخاري، برقم، (٣٧٧٣)، (٤/١٤٦٨).

(٣) سبق التعريف به.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم، (٥/١٦٦٨)، دلائل النبوة، البيهقي، (٣/٥٦).

(٥) وممن شكك -أيضًا- في كون الإمداد مادي، محمد رشيد رضا في تفسير المنار، (٤/٩٢)، ومحمد حجازي في التفسير الواضح، ص٢٨٧.

مع قدرة جبريل‌‌‌‌‌‌عليه السلام أن يهلكهم بطرف جناحه، وممن أجاب عن هذا الأمر تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ[١]، فقال: "سُئِلْتُ عَنْ الْحِكْمَةِ فِي قِتَالِ الْمَلَائِكَةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ أَنَّ جِبْرِيلَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ الْكُفَّارَ بِرِيشَةٍ مِنْ جَنَاحِهِ؟ فَقُلْتُ: وَقَعَ ذَلِكَ لِإِرَادَةِ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَتَكُونَ الْمَلَائِكَةُ مَدَدًا عَلَى عَادَةِ مَدَدِ الْجُيُوشِ؛ رِعَايَةً لِصُورَةِ الْأَسْبَابِ وَسُنَّتِهَا الَّتِي أَجْرَاهَا اللَّهُ-تَعَالَى-فِي عِبَادِهِ، وَاللَّهُ-تَعَالَى- هُوَ فَاعِلُ الْجَمِيعِ. وَالله أعلم"[٢].

وقال البيهقي: "وَأَمَّا قِتَالُ الْمَلَائِكَةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّهَا كَرَامَةٌ خَالِصَةٌ عَرَّضَهُ اللهُ لَهَا بِفَضْلِهِ دَلَالَةً عَلَى نَفَاسَةِ قَدْرِهِ وَعَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ"[٣].

وقال مصطفى البغا في تعليقه على صحيح البخاري: "الله-تعالى- ورسوله أعلم بكيفية قتال الملائكة، وأدوات حربهم، وأفراسهم، والحكمة من قتالهم، مع أنهم قادرون على إهلاك الكافرين بجناح واحد من أجنحتهم، وليس علينا إلا الإيمان بما أتانا به الخبر الصادق من كتاب أو سنة مما يقبله العقل، ويقره المنطق

(١) تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي، والد بهاء الدين وعبد الوهاب السبكي. فقيه شافعي، مفسِّر، حافظ أصولي، نحوي لغوي. ولد بسُبْك- قرية مصرية- وإليها ينسب، سنة (٦٨٣هـ)، له مصنفات كثيرة، منها: تفسير القرآن، وشرح المنهاج في الفقه للنووي، شرح المنهاج في أصول الفقه، توفي بالقاهرة، سنة، (٧٥٦هـ). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، (١٠/١٣٩)، معجم الشيوخ، تاج الدين السبكي،ص٢٧٧، المعجم المختص بالمحدثين، ص١٦٦، أعيان العصر وأعوان النصر، (٢/٣٩٨).

(٢) فتح الباري، ابن حجر، (٧/٣١٣).

(٣) شعب الإيمان، (٣/٧٣).

السليم المنطلق من الإيمان بالله -تعالى- وقدرته وحكمته"[١].

(٥) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

قال محمد أبو زيد: "إبليس اسم لكل مستكبر على الحق، ويتبعه لفظ الشيطان والجان، وهو النوع المستعصي على الإنسان تسخيره"[٢].

وقال أيضًا: "الملائكة: رسل النظام، وعالم السنن"[٣].

وقال شحرور في قوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧]، "ويعتقد كثيرون تحت تأثير المعلومات المغلوطة التي يبثها السدنة[٤] والهامانات؛ لإبعاد الشبهات عن أنفسهم أن إبليس مخلوق كريه المنظر والرائحة له قرون طويلة وذنب طويل وحوافر، والحقيقة غير ذلك. فقد يكون إبليس سادنًا في معبد أو كاهنًا[٥] في كنيسة أو مؤذنًا في مسجد، يرتدي الملابس البيضاء النظيفة، سبحته في يده، ولسانه لا يتوقف عن التمتمة، وفي اليد الأخرى مجمرة تعطر الجو بروائح المسك والبخور"[١].

---

(١) صحيح البخاري، بتعليق: مصطفى البغا، (٤/١٤٦٨).

(٢) الهداية والعرفان، ص٧.

(٣) المرجع السابق، ص٧.

(٤) السادِنُ: خادم الكعبة وبيت الأصنام، والجمع السَدَنَةُ. الصحاح، (٥/٢١٣٥).

(٥) الكاهِنُ: الَّذِي يَتَعاطَى الخَبَر عَنِ الكائِنات فِي مُسْتَقْبَل الزَّمَانِ، ويَدَّعي مَعْرِفَةَ الأسْرار. النهاية في غريب الحديث، (٤/٢١٤).

(١) القصص القرآني(٢)، ص١٦٥.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١].

قال نيازي: "والنفس هي شيطاننا: ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ أليست الشهوات إذًا من عمل النفس الأمارة بالسوء؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، والشيطان هو الذي يزين للنفس أعمالها: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]، ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ﴾ [القصص: ١٥]، أليس من عمل النفس أن تسول للإنسان قتل أخيه؟.

من كل ما ذكرنا نكتشف أن الشيطان والنفس الأمارة بالسوء هما اسمان مختلفان لفظًا، متفقان معنى، أو أنهما اسم لشيء واحد هو النفس الأمارة بالسوء"[(١)].

إن فتنة إنكار الملائكة، والجن، والشياطين وتأويلها بما يتنافى مع النصوص القرآنية الصريحة الواردة في مواضع كثيرة، وصرفها من الحقيقة إلى التمثيل، لا شك في ضلاله؛ كونه يصرف أخبار القرآن عن ظاهرها وحقائقها إلى أوهام يتخيلها، وهذا ما وقع فيه منكرو السنة النبوية، وما سبق عرضه من بعض أقوالهم عن الملائكة والجن والشياطين دليلٌ على ذلك، فقد صرف لفظ الملائكة إلى رسل النظام، وإبليس إلى كل مستكبر عن الحق، والشيطان إلى النفس الإنسانية وما تقوم به من أعمال، وهذه التفسيرات الباطلة–بلا شك– ناشئة عن قلة التسليم للنصوص، وضعف الإيمان بالغيبيات.

(١) إنذار من السماء، ص٧٥.

وعليه، فإن كل صاحب عقلٍ سليم، وفهم صحيح لا يتردد في الحكم على تأويلاتهم بالبطلان، ومخالفتها لظاهر آيات القرآن، إذ الواجب على المفسر في مثل هذه النصوص القطعية الدلالة، والتي لا تعني إلا معنى واحدًا فقط، ولا تقبل التأويل بصرفها عن ذلك المعنى، ألا يتعدى ويتأولها ويصرفها عن ذلك المعنى إلى معنى آخر؛ لأنها وضعت لتدل على معنى معين لا يحتمل غيره، ولا يجوز صرفها عنه، وإنما يجب تفسيرها بحسب دلالتها[1].

(٦) قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

قال ابن قرناس: "...ويتم ذلك بالنفخ في الصور[2] مرتين، مرة لنهاية الكون الحالي، ومرة لقيام كون آخر ليتواءم مع الحياة يوم القيامة ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

والنفخ في الصور يعني انهيار الكون، وكأنه قد نفخت كواكبه فتطايرت من دون ضوابط ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ [الحاقة: ١٣ - ١٥]، ... ويكون الصور هو الكون، وليس كما تصوره كتب الأخبار التي تأثرت بالثقافة اليهودية، وما جاء في كتبهم المقدسة، والتي تقول بأن إعلان يوم القيامة يتم عبر النفخ في بوق يشبه البوق (القرن)

---

(١) ينظر: التفسير والمفسرون، (٣٩٦/٢)، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (٣٨٤/١)، أسباب الخطأ في التفسير، (٥٨٦/١)، العلاقة بين حاكمية الوحي واجتهاد العقل، ص٥٥-٥٦.

(٢) قال في الحاشية: الصور في القرآن هو الكون. سنة الأولين، ص٩٢٨.

الذي يستخدمه اليهود في مناسباهم الدينية.

...ويكون النفخ في الصور مماثلاً لما حدث عند بداية الخلق، والمسمى بالانفجار العظيم، وهو نفخ لا يمكن تصور أعظم نفخ منه.

والنفخة الأولى نفخة تؤدي إلى الهيار الكون(الصور) الذي يسير عليه تداخل مسار الكواكب والشموس، أما النفخ في الصور(الكون) مرة ثانية فلخلق الكون الجديد ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]"[(١)].

وقال مصطفى المهدوي: "الصور جمع صورة كما جاء في تفسير البيضاوي[(٢)]؛ لقوله تعالى:﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ [طه: ١٠٢]، قال هو جمع صورة، وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، قال الصور جمع صورة، ولا يسعنا إلا أن نتفق مع البيضاوي في هذا التفسير، فإننا لا نجد من بين أيدينا ولا من خلفنا شيئًا إلا وقد خلقه الله على صورة من الصور سواءً كان نباتًا أم حيوانًا أم جمادًا أم غير ذلك"[(١)].

---

(١) سنة الأولين، ص٩٢٨-٩٢٩، وينظر: الحديث والقرآن، ص١٨٢.

(٢) عبد الله بن عمر بن محمد، أبو الخير البيضاوي، الشافعي، ولد في مدينة البيضاء (بفارس-قرب شيراز)، وتوفي بها، سنة (٦٨٥هـ)، له مصنفات، منها: تفسيره المسمى: أنوار التتريل وأسرار التأويل، اختصر الكشاف للزمخشري، وكتاب الغاية القصوى في دارية الفتوى، وشرح مختصر ابن الحاجب في الأصول، وغيرها. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، (١٥٧/٨)، طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، (١٧٢/٢)، الوافي بالوفيات، (٢٠٦/١٧)، طبقات المفسرين، للداودي، (٢٤٨/١).

(١) البيان بالقرآن، (٨٢١/٢)، وينظر: (٨٢٤/٢).

وفي هذا التأويل لمعنى الصور الذي قال به منكرو السنة النبوية بُعد عن المراد من الآية القرآنية، ويظهر ذلك من وجوه:

أولها: أنَّ ما قاله ابن قرناس من أن (الصور في القرآن هو الكون) قولٌ سقيم، لا أدري من أين أتى به، فالذي عليه جماهير أئمة التفسير من السابقين واللاحقين على خلافه، بل لم أجد من خلال اطلاعي على كثيرٍ من كتب التفسير من قال بهذا القول، بل الذي عليه أكثر المفسرين أن الصور: القرن الذي ينفُخ فيه إسْرافيلُ[(١)]، وممن حكى أن هذا قول جمهور المفسرين، ابن عطية[(٢)]، حيث قال: "والصُّور: في قول الجمهور وظاهر الأحاديث الصحاح، هو القرن الذي ينفخ فيه للقيامة"[(١)].

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، (٥٤٧٤/٨)، التفسير الوسيط، الواحدي، (٣٨١/٤)، الوجيز، الواحدي، ص٦٧٢، معالم التتريل، البغوي، (٣٦٦/٨)، مفاتيح الغيب، (٢٨/١٣)، التسهيل لعلوم التتريل، (٤٧٥/١)، الدر المصون، (٥٤٢/١٠)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢٨١/٣)، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، (٤٢٣/١٨)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، (٤٢٩/١)، فتح القدير، (٤٢٩/٤)، محاسن التأويل، القاسمي، (٣٩٨/٤).

(٢) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، أبو محمد، القاضي الأندلسي، الفقيه المالكي، المحدث، المفسر، من أهل غرناطة، ولد سنة، (٤٨١هـ)، وتوفي بلورقة، سنة، (٥٤٢هـ)، صاحب التفسير، المسمى: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ينظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أبو جعفر الضبي، ص٣٩١، تاريخ قضاة الأندلس، أبو الحسن المالقي الأندلسي، ص١٠٩، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، (٥٧/٢).

(١) المحرر الوجيز، (٥٤٤/٣).

وقال الخازن(١): "ولإجماع أهل السنة أن المراد بالصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل نفختين،

نفخة الصعق، ونفخة البعث للحساب"(٢).

وقال الثعالبي(٣): "والصُّور في قول الجمهور، وظاهر الأحاديثِ الصِّحَاحِ: هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل للقيامة"(٤).

ثانيها: ما قاله مصطفى المهدوي من كون الصور جمع صورة، تابعًا في ذلك البيضاوي(١) في تفسيره، فلنا معه وقفات، منها:

١-هذا القول نقل عن أبي عبيدة(٢)، حيث قال: (الصُّوْر) بسكون الواو

(١) علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، أبو الحسن،عُرف بالخازن؛ لأنه كان أمينًا لمكتبة في دمشق. وُلد في بغداد، سنة، (٥٦٧٨)، وتوفي بحلب، سنة، (٥٧٤١)، كان عالما بالتفسير والحديث، والفقه، ترك مصنفات منها: لباب التأويل في معاني التنزيل، وعدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام، مقبول المنقول. ينظر: طبقات المفسرين، للأدنه وي، ص٢٦٧، الأعلام، (٥/٥)، معجم المؤلفين، (١٧٧/٧).

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (١٢٥/٢).

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، أبو زيد الثعالبي، مُفسِّر جزائري، ولد في الجزائر، سنة، (٥٧٨٦) ورحل في طلب العلم إلى المشرق ثم عاد إلى بلاده بعلم غزير. اتفق الناس في عهده على صلاحه وإمامته؛ فقد كان عالمًا زاهدًا، توفي سنة (٨٧٦)، له مصنفات، من أبرزها: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز. ينظر: الضوء اللامع، (١٥٢/٤)، الأعلام، (٣٣١/٣)، مُعجَمُ أعلام الجزائِر، عادل نويهض، ص٩٠.

(٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، (٥٤٤/٣).

(١) سبق التعريف به.

(٢) معمر بن المثنّى التيمي البصري، النحوي اللغوي، كنيته أبو عبيدة، ولد في البصرة، سنة (٥١١٢)، =

جمع صورة، كما يقال: سور المدينة جمع سورة، والصوف جمع صوفة، وبسر جمع بسرة. وقال: المراد النفخ في الصور، وهي الأجساد، لتعاد فيها الأرواح(١).

٢-وأما عن قوله: (الصور جمع صورة)، فقد أجاب عن ذلك الزجاج(٢)، فقال: لا يحتمل هذا؛ لأن الصور-على سكون الواو-ليس هو من أفراد الصور، ولا من جمعها؛ لأن الفرد هو صوره بالهاء، وجمع الصوره صور- بتحريك الواو- على ما ذكر في الآية: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾، وقال أيضًا: ولو كان جمع صُورة لقال أيضًا: ثم نُفِخَ فِيهَا أُخْرَى، لأنك تقول: هذه صُور، ولا تقول هَذَا صُوَر إلا على ضَعْفٍ فهو عَلَى ما جاء في التفسير(١).

٣- وهذا القول خلاف ما عليه العلماء من أهل السنة، إذ هم -كما سبق ذكره- مجمعون على أن الصور بوق ينفخ فيه، بل وأبطل بعض أئمة التفسير هذا القول، واعتبره خطأ فاحشًا من قائله(٢).

=

كان عالمًا بالشعر والغريب والأخبار والنسب، له مصنفات، منها: مجاز القرآن، إعراب القرآن، الأمثال، غريب الحديث، وغيرها. ينظر: الثقات، ابن حبان، (١٩٦/٩)، أخبار النحويين البصريين، السيرافي، ص٥٤، إنباه الرواة، (٢٨٠/٣).

(١) الكشف والبيان، (١٥٩/٤)، تفسير ابن فورك، ص٣٢٣.

(٢) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة والأدب. ولد ببغداد، سنة (٢٤١هـ). ومات بها، سنة (٣١١هـ)، كان في فتوته يخرط الزجاج، ومال إلى النحو فعلمه المبرد. له مؤلفات، منها: معاني القرآن، والاشتقاق، وإعراب القرآن، وغيرها. ينظر: معجم الأدباء، (٥١/١)، إنباه الرواة، (١٩٤/١)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص٥٩.

(١) ينظر: معاني القرآن، الزجاج، (٢٢/٤).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، (٢٨/١٣)، الدر المصون، (٦٩٣/٤)، اللباب في علوم الكتاب، (٢٢٦/٨).

٤ -أن الله تعالى قال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]، فقد أخبر الحق أنه ينفخ في الصور مرتين، ولو كان المراد بالصور النفخ في الصُّوَر التي هي الأبدان لما صح أن يقال: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ)؛ لأن الأجساد تنفخ فيها الأرواح عند البعث مرة واحدة(١).

٥-وفي قولهم هذا بأن الصور جمع صورة، يدل على ميلهم إلى كون الصور تمثيلاً، ويريدون إنكار الصور، قال الآلوسي: "ظاهر في أن الصور ليس جمع صورة، وإلا لقال سبحانه (فيها) بدل (فيه)، وارتكاب التأويل يجعل الكلام من باب التمثيل، ظاهر في إنكار أن يكون هناك صور حقيقة، وهو خلاف ما نطقت به الأحاديث الصحاح)"(٢).

ثالثها: أنّ هذين التفسيرين مخالفان لما ورد عن رسول الله ﷺ، فقد روى عَبْدِ اللَّهِ بن عَمْرٍو عَنِ النبي ﷺ قَالَ :(الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ)(١).

وفي لفظ آخر، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الصُّورُ؟ (قَالَ: قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ)(٢).

---

(١) ينظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي، ص٤٨٧، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (٩/٢٩٩)، روح المعاني، (١٠/٢٤٠).

(٢) روح المعاني، (١٠/٢٤٠).

(١) سنن أبي داود، برقم، (٤٧٤٢)، (٤/٢٣٦)، والحديث صحيح، السلسلة الصحيحة، برقم، (١٠٨٠)، (٣/٦٨).

(٢) مسند أحمد، برقم، (٦٥٠٧)، (١١/٥٣)، سنن الدارمي، برقم، (٢٨٤٠)، (٣/١٨٤٤)، سنن =

(٦) قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣].

قال نيازي: "فيظن أن الجنة موجودة قبل يوم البعث، لما قرأ في القرآن آيات بأسلوب الله الذي يجعل المستقبل ماضيًا، وحاضرًا كنوع من أساليب التعبير الإعجازي في القرآن، فيتوهم أن الجنة والنار موجودتان فعلاً الآن في السماء"(١).

وقال ابن قرناس: "إن الجنة والنار لم تخلق بعد؛ لأن الله ﷻ يقول بأن الجنة ستكون بعرض الكون الحالي ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣] ، ولأن عالم الآخرة مختلف عن هذا العالم، وسوف يفنى هذا الكون ثم ينشأ كون الآخرة المختلف ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ [يونس: ٤]"(١).

نتيجة لسيطرة الرؤية العقلية على فكر منكري السنة، وتحكيمها في كل النصوص الشرعية، فقد حجبتهم عن الوصول إلى الحق، والتعرف عليه، وإن

=

الترمذي، برقم، (٢٤٣٠)، (٦٢٠/٤)، السنن الكبرى، برقم، (١١٢٥٠)، (١٦٦/١٠)، والحديث صحيح، ينظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، برقم، (٧٢٦٨)، (٣٣٨/١٠).

(١) إنذار من السماء، ص٢٤٤.

(١) سنة الأولين، ص٩٢٨.

كان ظاهرًا مثل الشمس، لذلك نجد في الكلام السابق لمنكري السنة(القرآنيين) إنكارهم لوجود الجنة والنار الآن، وأنهما لم تخلقا بعد، مع ظهور الأدلة من الكتاب والسنة، وإجماع جمهور علماء الأمة على ذلك.

أما الأدلة من القرآن الكريم، فمنها قوله تعالى:﴿ **فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٤]، قال الرازي في قوله تعالى:﴿ **أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾: "فهذا صريحة فِي أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ"[١].

وقال ابن سعدي[٢]: "وفي قوله:﴿ **أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ ونحوها من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة

والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان خلافًا للمعتزلة"[١].

ومنها قوله تعالى:﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا**

---

(١) مفاتيح الغيب، (٣/٣٥٦).

(٢) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي. العالم، الفقيه الحنبلي، المفسّر، ولد بعنيزة، منطقة القصيم، بالمملكة العربية السعودية، سنة (١٣٠٧هـ). طلب العلم وجدّ فيه، وحصل علمًا كثيرًا، فاشتهر أمره، وعلت مترلته، وكثر تلاميذه، ترك عدة كتب نافعة، منها: تفسيره المسمى (تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن)، القواعد الحسان لتفسير القرآن، منهج السالكين وتوضيح الفقة في الدين، وغيرها. ينظر: الأعلام، (٣/٣٤٠)، مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ص٢٥٦، علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله البسام، (٣/٢١٨)، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، حمد الجاسر، ص٣٤١.

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٤٥.

﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢٥﴾ [البقرة: ٢٥]، قال ابن عادل(١): "هذه الآياتُ صريحةٌ في أنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقَتَانِ؛ لأنه تعالى قال في صفَة النَّار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، وقال في صفَة الجنَّة في آية أخْرَى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وقال ها هنا: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾، وهذا إخبار عن وُقُوع هذا المُلْك وحُصُوله، وحُصُول المُلْك في الحالِ يقْتَضي حصُولَ المَمْلُوك في الحال؛ فَدَلَّ على أنَّ الجنَّة والنَّار مخْلُوقَتَان"(٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣]، قال الغزالي(٣): "فَقَوله تَعَالَى:﴿أُعِدَّتْ﴾ دَلِيلٌ عَلى أَنَّهَا مخلوقة فَيجب إجراؤه على الظَّاهِر، إِذْ لَا استِحَالَة فِيهِ، ولا يُقَال: لَا فَائِدَة فِي خلقهما قبل يَوْم الْجَزَاء؛ لِأَن الله تَعَالَى ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣](١).

وقال ابن عادل: "وظاهر الآية يدل على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن"(٢).

---

(١) عمر بن علي بن عادل، أبو حفص الدمشقي الحنبلي، توفي سنة، (٨٨٠ه) تقريبًا، هو صاحب التفسير الكبير، اللباب في علوم الكتاب. ينظر: الأعلام، (٥/٥٨)، معجم المؤلفين، (٧/٣٠٠)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (٢/١٥٤٣)، هدية العارفين، إسماعيل بن محمد البغدادي، (١/٧٩٤).

(٢) اللباب في علوم الكتاب، (١/٤٤٥).

(٣) سبق التعريف به.

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، (١/١١٥)، قواعد العقائد، الغزالي، ص٢٢٤.

(٢) اللباب في علوم الكتاب، (٥/٥٣٩).

وقال الخازن: "﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ أي: هيئت للمتقين، وفيه دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن"(١).

وقال البيهقي: "بَابُ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ، وَالنَّارَ قَدْ خُلِقَتَا، وَأُعِدَّتَا لِأَهْلِهِمَا فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا﴾، فَوَصَفَ عَرْضَهَا، وَالْعَرْضُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِمَخْلُوقٍ فَأَمَّا الْمَعْدُومُ، فَلَا عَرْضَ لَهُ، وَأَخْبَرَ بِأَنَّهَا أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، وَالْمُعَدَّةُ لَا تَكُونُ إِلَّا مَخْلُوقَةً، وَقَالَ فِي صِفَةِ النَّارِ ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ فَأَخْبَرَ أَنَّهَا أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ، وَالْمُعَدَّةُ لَا تَكُونُ إِلَّا مَوْجُودَةً"(٢).

وأما من السنة النبوية، فقد تواترت الأحاديث الدالة على ذلك، منها:

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ:(أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: ١٧])(٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الجَنَّةِ، فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا ....، قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ؛ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، ....)(١).

---

(١) لباب التأويل في معاني التتريل، (١/٢٩٧).

(٢) البعث والنشور، ص١٣٢.

(٣) صحيح البخاري، برقم، (٣٠٧٢)، (٣/١١٨٥)، صحيح مسلم، برقم، (٢٨٢٤)، (٤/٢١٧٤).

(١) مسند الإمام أحمد، برقم، (٨٣٨٩)، (١٤/١٢٥)، سنن أبي داود، برقم، (٤٧٤٤)، (٣/٢٣٦)، =

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ:

هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(١).

وأخيرًا، فإن جمهور المسلمين من أهل السنة متفقون على أن الجنة والنار مخلوقتان، وهما موجودتان الآن(٢)، قال الآجري(٣): "اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ، أَنَّ الْقُرْآنَ شَاهِدٌ أَنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ-عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَخَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلاً، وَلِلنَّارِ أَهْلاً، قَبْلَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا، لَا يَخْتَلِفُ فِي هَذَا مَنْ شَمِلَهُ الْإِسْلَامُ، وَذَاقَ حَلَاوَةَ طَعْمِ الْإِيمَانِ، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا"(١).

وقال ابن القيم: "قد اتّفق أهل السّنة وَالْجَمَاعَة على أن الْجنَّة وَالنَّار

=

وسنن الترمذي، (٢٥٦٠)، (٦٩٣/٤)، وسنن النسائي، (٣٧٦٣)، (٣/٧)،قال الألباني: الحديث حسن. مشكاة المصابيح، برقم، (٥٦٩٦)، (١٥٨٧/٣).

(١) صحيح البخاري، برقم، (١٣١٣)، (٤٦٤/١)، صحيح مسلم، برقم، (٢٨٦٦)، (٢١٩٩/٤).

(٢) ينظر فيمن حكى الإجماع: الفصل في الملل والنحل، (٦٨/٤)، شرح الطحاوية، ابن أبي العز، ص١٣٢، قوت المغتذي على جامع الترمذي، جلال الدين السيوطي، (٧٥١/٢)، الاستذكار، (١٠٣/١)، حادي الأرواح، ص ١١، مفتاح دار السعادة، (١٧/١)، الكلمَاتُ البَيِّنَاتُ في قَولِهِ تَعَالى: {وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ}، مرعي بن يوسف المقدسي الحنبلي، ص٧٣، الجنة والنار، عمر الأشقر، ص١٣.

(٣) سبق التعريف به.

(١) الشريعة، الآجري، (١٣٤٣/٣).

مخلوقتان"(١).

(٧) **قوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف: ٢١].

قال مصطفى المهدوي: "يشهد الله بالقول الفصل للذين أصروا على أن يتخذوا عليهم مسجدًا بأنهم غلبوا على أمرهم، والله لا يشهد إلا بالحق ولا غلبة في الأرض بالحق إلا لله ورسوله﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢١]، ولا غلبة في الأرض بالحق إلا لحزب الله ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، ولا غلبة في الأرض بالحق إلا لجند الله﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣]، فإذا شهد الله-تبارك وتعالى- في كتابه العزيز لهؤلاء بأنهم قوم غلبوا على أمرهم فقد شهد لهم بأنهم قوم آمنوا بالله ورسوله، وكانوا حزبه وجنده الغالبين، وأصبح رأيهم الذي رأوا سنة حميدة من سنن الصالحين التي يجب اتباعها، لم يوافقوا على إقامة بنيان بل أصروا بلام التوكيد ونونها على أن يتخذوا عليهم مسجدًا، وما يزال المسلمون يقيمون النصب التذكارية والتماثيل والأضرحة والصروح، وأولى بهم أن يتبعوا سنن الذي غلبوا على أمرهم فلا يتخذون على أحداثهم العظيمة التي يريدون أن تظل ظاهرة في الأرض، وآية يتذكرها الناس جيلاً بعد جيل إلا مساجد يذكر فيها اسم الله ويعمرها الصالحون من عباده، ومن سعى في خرابها فأولئك من أظلم الناس في

---

(١) مفتاح دار السعادة، (١/١٧).

الأرض"[١].

وفي هذا الكلام استدلال من مصطفى المهدوي بالآية على جواز اتخاذ المساجد على قبور الصالحين[٢]، ووصل به الغلو إلى درجة خطيرة جدًا حيث زعم أن هذا العمل سنة حميدة يجب اتباعها، والاهتمام بها، لأن من قام بها هم حزب الله وجنده، واعتبر من سعى في خرابها من أظلم الناس، وما ذكره مصطفى المهدوي من تأويل للآية باطل من وجوه:

الأول: أن الآية لا تدل على أن من قام بهذا العمل هم عباد الله الموحدون، المتبعون لآثار النبيين، ونهج التوحيد الذي جاء به المرسلون، بل يبدو أنهم كانوا من أهل الشرك الوثنيين؛ حيث لم يأت شرع نبي من الأنبياء-عليهم السلام- يجوّز بناء المساجد على القبور؛ لأنها من أعمال أهل الشرك قديمًا وحديثًا، قال الشنقيطي: "وَقَدْ قَالَ أَبُو جَعْفَرِ بن جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، مَا نَصُّهُ: "وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي قَائِلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، أَهُمُ الرَّهْطُ الْمُسْلِمُونَ أَمْ هُمُ الْكُفَّارُ؟ فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ فَلَا إِشْكَالَ فِي أَنَّ فِعْلَهُمْ لَيْسَ بِحُجَّةٍ؛ إِذْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بِالِاحْتِجَاجِ بِأَفْعَالِ الْكُفَّارِ كَمَا هُوَ ضَرُورِيٌّ. وَعَلَى الْقَوْلِ: بِأَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ كَمَا يَدُلُّ لَهُ ذِكْرُ الْمَسْجِدِ؛ لِأَنَّ اتِّخَاذَ

---

(١) البيان بالقرآن، (٢/٧٣٢).

(٢) بناء المساجد على القبور دأب الشيعة، وتبعهم على ذلك الصوفية. ينظر: دراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير، ص٩٨، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، ص٢٢٢، ص٤٢٧، القبورية في اليمن، أحمد بن حسن المعلم، مبحث: الصوفية ربيبة الشيعة ناشرة القبورية في الأمة المحمدية.

الْمَسَاجِدِ مِنْ صِفَاتِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَخْفَى عَلَى أَدْنَى عَاقِلٍ أَنَّ قَوْلَ قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ: إِنَّهُمْ سَيَفْعَلُونَ كَذَا، لَا يُعَارِضُ بِهِ النُّصُوصَ الصَّحِيحَةَ الصَّرِيحَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا مَنْ طَمَسَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ فَقَابَلَ قَوْلَهُمْ: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾، بِقَوْلِهِ ﷺ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ قَبْلَ انْتِقَالِهِ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى بِخَمْسٍ:(لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)[١]... يَظْهَرُ لَكَ أَنَّ مَنِ اتَّبَعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فِي اتِّخَاذِهِمُ الْمَسْجِدَ عَلَى الْقُبُورِ، مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ ﷺ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ، وَمَنْ كَانَ مَلْعُونًا عَلَى لِسَانِهِ ﷺ، فَهُوَ مَلْعُونٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ كَمَا صَحَّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ:﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾؛ وَلِهَذَا صَرَّحَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: بِأَنَّ الْوَاصِلَةَ وَالْوَاشِمَةَ، وَمَنْ ذُكِرَ مَعَهُمَا فِي الْحَدِيثِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مَلْعُونَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ"[٢].

وقد رجح الشيخ الألباني-رحمه الله-كونهم كفارًا أو فجارًا، واعتبره الأقرب للصواب[١].

الثاني: وعلى اعتبار أن ذلك الفعل كان من شريعة من قبلنا، فالشيخ الألباني يرى "أن الصحيح المتقرر في علم الأصول أن شريعة من قبلنا ليست شريعة لنا؛ لأدلة كثيرة منها قوله ﷺ: (أعطِيتُ خمسًا لم يُعطَهُنَّ أحد من الأنبياء قبلي... (فذكرها، وآخرها)، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبُعثتُ إلى الناس

---

(١) صحيح البخاري، برقم، (١٢٦٥)، (٤٤٦/١)، صحيح مسلم، برقم،(٥٢٩)، (٣٧٦/١).

(٢) أضواء البيان، (٣٠١/٢)، ولم يجد الباحث ما نقله الشيخ الشنقيطي-رحمه الله- عن الإمام ابن جرير-رحمه الله- في تفسيره.

(١) ينظر: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص٥٨.

كافة)[١]. فإذا تبين هذا فلسنا ملزمين بالأخذ بما في الآية لو كانت تدل على أن جواز بناء المسجد على القبر كان شريعة لمن قبلنا!"[٢].

الثالث: أن الله-تعالى-يخبر في الآية عن الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف على وجه الذم لهم أنهم قالوا لنتخذن حولهم مصلى يقصِده الناس ويتبركون بهم[٣]، قالَ شَيْخُ الإسْلامِ ابْنُ تَيْمية: "فبيوْتُ الأَوْثانِ، وَبيوْتُ النيرَانِ، وَبيوْتُ الكوَاكِبِ، وَبيوْتُ المقابرِ: لَمْ يَمْدَحِ اللهُ شيْئًا مِنْهَا، وَلَمْ يَذْكرْ ذلِكَ إلا في قِصَّةِ مَنْ لعنهُمُ النَّبيُّ ﷺ، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ۝٢١﴾ [الكهف: ٢١]. فهؤُلاءِ الذِيْنَ اتخذُوْا على أَهْلِ الكهْفِ مَسْجدًا: كانوْا مِنَ النَّصارَى الذِينَ لعنهُمُ النَّبيُّ ﷺ، حَيْثُ قالَ: (لعَنَ اللهُ اليهُوْدَ وَالنَّصارَى اتخذُوْا قبوْرَ أَنبيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)، وَفي رِوَايةٍ (وَالصّالحِين)[١]"[٢].

الرابع: وأما قوله عن أهل الغلبة بأنهم حزب الله وجنده، فالآية لم تدل على ذلك، بل إنَّ اللهَ ﷻ لمْ يَصِفْ أُوْلئِكَ المتغلبيْنَ، بوَصْفٍ يُمْدَحُوْنَ لأَجْلِهِ، وَإنمَا وَصَفهُمْ بِالغلبةِ! وَإطلاقهَا دُوْنَ قرْنِهَا بعَدْلٍ أَوْ حَقّ: يدُلُّ عَلى التَّسلطِ وَالهوَى وَالظلمِ، وَلا يدُلُّ عَلى عِلمٍ وَلا هُدَى، وَلا صَلاحٍ وَلا فلاح[٣]، قالَ ابْنُ رَجَبٍ

(١) صحيح البخاري، برقم، (٣٢٨)، (١/١٢٨)، صحيح مسلم، برقم،(٥٢١)، (١/٣٧٠).

(٢) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص٥٥.

(٣) ينظر: الملخص في شرح كتاب التوحيد، د. صالح الفوزان، ص١٩٢.

(١) الحديث سبق تخريجه قريبًا.

(٢) الاستغاثة في الرد على البكري، (٢/٤٧٢-٤٧٣).

(٣) ينظر: مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور، عبد العزيز بن فيصل الراجحي، ص١٢٨.

في شَرْحِهِ عَلى صَحِيْحِ البُخاري عَلى حَدِيْثِ: (لعَنَ اللهُ اليَهُوْدَ، اتخذُوْا قبورَ أنبيَائِهِمْ مَسَاجِد)[(١)]: "وَقدْ دَلَّ القرْآنُ عَلى مِثْلِ مَا دَلَّ عَليْهِ هَذَا الحدِيْثُ، وَهُوَ قوْلُ اللهِ ﷻ في قِصَّةِ أَصْحَاب الكهْفِ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ۝٢١﴾ [الكهف: ٢١]. فجَعَلَ اتخاذَ القبوْرِ عَلى المسَاجِدِ، مِنْ فِعْلِ أَهْلِ الغلبةِ عَلى الأُمُوْرِ، وَذلِكَ يشْعِرُ بأَنَّ مُسْتندَهُ: القهْرُ وَالغلبةُ وَاتباعُ الهوَى، وَأنهُ ليْسَ مِنْ فِعْلِ أَهْلِ العِلمِ وَالفضْلِ، المتبعِينَ لِمَا أَنزَلَ اللهُ عَلى رُسُلِهِ مِنَ الهدَى"[(٢)].

فيكون الفريق الأول متمسكين بعهد نبيهم، واقفين عند حده، والفريق الثاني أهل جهل وغلو وعدوان، يشرعون ما لم يأذن به الله -تعالى- ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا[(١)].

الخامس: وما استدل به مصطفى المهدوي من هذه الآية على جواز اتخاذ المساجد على القبور، مع كونه مخالفًا للأحاديث المتواترة الناهية عن ذلك، فهو -أيضًا- مخالف لإجماع علماء المسلمين، في القول بتحريم اتخاذ المساجد على القبور، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإنَّ بناءَ المسَاجِدِ عَلى القبوْرِ، ليْسَ مِنْ دِيْنِ المسْلِمِيْن، بَلْ هُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ بالنُّصُوْصِ الثابتَةِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ وَاتفاق أَئِمَّةِ الدِّين. بَلْ لا يَجُوْزُ اتِّخاذُ القبوْرِ مَسَاجِدَ، سَوَاءٌ كانَ ذلِكَ ببناءِ المسْجدِ

---

(١) الحديث سبق تخريجه قريبًا.

(٢) فتح الباري، ابن رجب، (١٩٣/٣).

(١) ينظر: عمارة القبور، عبد الرحمن المعلمي، ص٢٩٥.

عَلَيْهَا، أَوْ بقصْدِ الصَّلاةِ عِنْدَهَا. بَلْ أَئِمَّةُ الدِّينِ مُتَّفِقوْنَ عَلى النَّهْيِّ عَنْ ذلك"(١).

السادس: وأما قوله بأن اتخاذ المساجد على القبور سنة حسنة، قول باطل؛ فإن بناء المساجد على القبور سنة سيئة؛ فهي من أعظم الوسائل المفضية إلى الشرك بالله، فالشارع الحكيم عندما نهى عن الشرك، نهى -أيضًا- وحذر من الوسائل المفضية إليه، ومنها اتخاذ القبور مساجد، وقد نهانا رسولنا ﷺ من أن نتشبه بهؤلاء الذين اتخذوا على أهل الكهف مسجدًا(٢).

والحاصل: أن ما ذهب إليه مصطفى المهدوي من وجوب اتخاذ المساجد على القبور، لا يخفى مغزاه على كل فطن يخاف على عقيدته، واستدلاله بهذه الآية تحريف لكتاب الله، وتبديل لعقيدة المسلمين، وما ذهب إليه قول باطل، بل وصف الآلوسي من استدل بالآية على جواز اتخاذ المساجد على القبور، بأن قوله "باطل عاطل فاسد كاسد"(١).

تبين مما مضى موقف القرآنيين من آيات العقيدة، وأنهم يسعون إلى تحريف عقائد المسلمين، وتعطيل أسماء الله وصفاته، والجناية على الغيبيات وتأويلها تأويلات مخالفة للكتاب والسنة، وأنهم يدعون إلى نشر القبور في أوساط المسلمين، لتنتشر الشركيات والخرافات، فكانت هذه الطائفة من أضل البرية، مع دعواهم أنهم متبعون للقرآن، والقرآن منهم براء.

---

(١) مجموع الفتاوى، (٢٧/٤٨٨).

(٢) ينظر: جامع المسائل، ابن تيمية، (٣/٤٥)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، د. صالح الفوزان، ص٣٠٩، سد الذرائع في مسائل العقيدة، عبد الله شاكر، ص٢١٦.

(١) روح المعاني، (٨/٢٢٥).

المبحث الثاني
الآيات المتعلقة بالعبادات

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا (١٠١) وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٠٢) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (١٠٣) ﴾ النساء: [١٠١ - ١٠٣].

قال مصطفى المهدوي: "عند تلاوتك لهذه الآيات البينات من سورة النساء فإنك قد تظن كما يظن كثير من الفقهاء والمفسرين أنها صلاة الخوف، ولكن أحدًا لا يستطيع أن ينكر أنه حديث قد فصل في الكتاب تفصيلاً، ولئن كان هذا الحديث كما زعموا عن صلاة الخوف ولا شأن له بصلاة الاطمئنان، ويعلم أولو النهى أنهم قد لا يلجؤون إلى صلاة الخوف في حياتهم إلا مرة أو مرتين، وقد لا يضطرون إليها في حياتهم أبدًا، فكيف يفسر لنا هؤلاء أن يفصل الله سبحانه وتعالى صلاة الخوف ولا يفصل لنا صلاة الاطمئنان التي فرضت علينا كل يوم كتابًا موقوتًا، إن هذا الحديث قد فصل صلاة الخوف كما صلاها أتباع الرسول ﷺ من ورائه في صلاة جامعة، فأين صلاة الاطمئنان تفصيلاً في الكتاب كما

فصلت صلاة الخوف، ألا إنها في صلاة الإمام أقامها بتمامها و لم يقصر منها شيئًا، فإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة، وما كان للإمام أن يقصر من الصلاة شيئًا؛ لأن ظهره في حماية المصلين تقصيرًا من ورائه فلا حق له في الرخصة من بعد زوال سببها. أما الذين قصروا من الصلاة بسبب الخوف فهم المسلمون الذين صلوا معه في طائفتين.

نستخلص من هذه الآيات الكريمة الأحكام الآتية:

أولاً: إن صلاة الجماعة من سنن الرسول-عليه الصلاة والسلام- التي يجب الاقتداء به فيها: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ﴾.

ثانيًا: إن إقامة الصلاة واجبة في حالات الاطمئنان ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وقد فرضت بركعتين اثنتين لكل صلاة سواء كانت في الفجر أم في الصبح أم في الظهر أم في العصر أم في الدلوك إلى الليل أو نفلاً بالليل أو النهار.

ثالثًا: وإن التقصير في الصلاة رخصة في حالة ما إذا كان المسلم يضرب في الأرض، ويخاف على نفسه أو ماله من فتنة الأعداء﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾، أما إن كان يضرب في الأرض مطمئنًا فلا رخصة له، وعليه إقامة الصلاة، ويكون التقصير من الصلاة بركعة واحدة لكل صلاة في ميقاتها المعلوم في صلاة جامعة، طائفة في حراسة الأخرى من وراء إمام لا رخصة له في تقصيرها.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي أن الرسول

عليه السلام سيقيم الصلاة إقامة كاملة"[١].

وقال أحمد منصور: "واضح في الآيات أن قصر الصلاة يكون فقط في حالة السفر المرتبط بالخوف ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وأن القصر من الصلاة الكاملة المعتادة المعروفة، وأن مقدار الركعات التي تقصر من الصلاة متروك حسب ظروف المواجهة"[٢].

ومن خلال تفسيرهم للآية السابقة، يتضح أمور، منها:

١- أن الآية لا تتحدث عن صلاة الخوف، وإنما تتحدث عن الصلاة في حالة الاطمئنان. وللرد عليه، يقال:

(١) ذكر الله-تعالى- في الآيات السابقة شيئًا من أحكام الجهاد، ثم أتبع ذلك بذكر قصر الصلاة في السفر، وكيفية صلاة الخوف؛ لأن كلاً من الجهاد والهجرة غالبًا يحتاجان إلى السفر، وكل منها مظنة الخوف، فتكون هذه الآيات في بيان صلاة الخوف وكيفية أدائها[١].

(٢) المفسرون مجمعون على أن هذه الآية نزلت في بيان مشروعية صلاة الخوف[٢]، حينما صلى النبي ﷺ بأصحابه بـــ (عُسْفَان[٣] فاستقبلهم المشركون،

---

(١) البيان بالقرآن، (١/١٢٢).

(٢) الصلاة بين القرآن الكريم والمسلمين، ص١٥٠.

(١) ينظر: قصر الصلاة في السفر والخوف، د. سليمان اللاحم، ص٨.

(٢) ينظر: جامع البيان، (٧/٤٠٦)، تفسير ابن أبي حاتم، (٤/١٠٥٤)، تفسير القرآن العظيم، ابـــن كثير، (٢/٣٩٣)، تفسير القرآن العزيز، (١/٤٠٢)، الإكليل في اســتنباط التريــل، ص١٠٠، محاسن التأويل، (٣/٣١١)، أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (١/٥٣٥).

(٣) عُسْفَان: بضم العين المهملة، وسكون السين المهملة أيضًا، على وزن فُعْلان، بلدة تاريخية عامرة، =

وكانوا بينهم وبين القبلة، فصلى بهم صلاة الظهر، فقال المشركون: قد كانوا على حال لو أصبنا غرَّتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية بين الظهر والعصر(١).

٢-أن الرسول ﷺ صلى صلاته كاملة، ولم يقصر منها شيء.

وللإجابة عن ذلك، يقال:

(١) إن الآيات واردة في بيان رخصة قصر الصلاة في السفر، ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ومن المعلوم أن القصر في الصلاة خلاف إتمامها، والرسول ﷺ يدخل ضمن الخطاب القرآني، ولا يصح خروجه من عموم هذا الخطاب إلا بدليل، ولا دليل على ذلك.

(٢) ومن جانب آخر، فقد روى صحابة رسول الله الذين صلوا معه كيف صلى، وظهر منها أنه قصر بأصحابه، ومن تلك الأحاديث: حديث عَبْدَ اللَّهِ بن عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَوَازَيْنَا العَدُوَّ، فَصَافَفْنَا لَهُمْ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا، فَقَامَتْ طَائِفَةٌ مَعَهُ

=

تقع شمال مكة على ثمانين كيلاً، على الجادة إلى المدينة المنورة، وهي مجمع ثلاث طرق مُرَفَّتة: طريق إلى المدينة، وقبيله إلى مكة، وآخر إلى جُدَّة، وقيل في سبب تسميتها: لعسف السيول فيها. ينظر: معالم مكة التأريخية والأثرية، عاتق البلادي، ص١٨٨، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق البلادي، ص٢٠٨، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن القطيعي البغدادي، (٩٤٠/٢)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، أبو الحسن السمهودي، (١١٥/٤).

(١) ينظر: جامع البيان، (٤٢٠/٧)، تفسير ابن أبي حاتم، (١٠٥٣/٤)، أسباب النزول، الواحدي، ص١٨٠، الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل بن هادي الوادعي، ص٧٧.

تُصَلِّي، وَأَقْبَلَتْ طَائِفَةٌ عَلَى العَدُوِّ، وَرَكَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَكَانَ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَمْ تُصَلِّ، فَجَاءُوا، فَرَكَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهِمْ رَكْعَةً وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَرَكَعَ لِنَفْسِهِ رَكْعَةً وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ)(١). ووجه الدلالة من الحديث أن الرسول ﷺ صلى ركعتين، وصلى الفريقان ركعتين.

(٣) أن قوله هذا مخالف لسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمُتَوَاتِرَةُ عَنْهُ، الَّتِي اتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى نَقْلِهَا عَنْهُ «أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي الرُّبَاعِيَّةَ فِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ»، وَلَمْ يُصَلِّهَا فِي السَّفَرِ أَرْبَعًا قَطُّ، وَلَا أبو بكر وَلَا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لَا فِي الْحَجِّ وَلَا فِي الْعُمْرَةِ وَلَا فِي الْجِهَادِ(٢).

(٤) أنه يريد من قوله هذا أن يثبت أن الصلوات إنما هي ركعتان فقط، وهذا قول فاسد، فقد ثبت أن الصلاة كانت في أول فرضيتها ركعتين، ثم أقرت في السفر، وزيدت في الحضر، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قالت: (إِنَّ الصَّلَاةَ أَوَّلُ مَا فُرِضَتْ رَكْعَتَيْنِ فَزِيدَتْ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ، وَأُقِرَّتْ فِي صَلَاةِ السَّفَرِ) (١)، وقد استدل العلماء بما روته أم المؤمنين عائشة على وجوب القصر في السفر فرضًا، "وقالوا: لا يجوز لأحد أن يصلي في السفر إلا ركعتين ركعتين كل صلاة أربع. . . ، فأما المغرب والصبح فلا خلاف بين العلماء أنهما كذلك فرضتا

(١) صحيح البخاري، برقم، (٩٠٠)، (٣١٩/١).

(٢) القواعد النورانية الفقهية، ابن تيمية، ص٦٣.

(١) صحيح البخاري، برقم، (١٠٤٠)، (٣٦٩/١)، صحيح مسلم، برقم، (٦٨٥)، (٤٧٨/١).

وأنهما لا قصر فيهما في السفر ولا غيره"[(١)].

٣- أن الصلاة واجبة في حالة الاطمئنان فقط.

وللرد عليه، يقول الباحث: الصلاة واجبة، ولا تسقط بعذر السفر، ولا بعذر الجهاد وقتال العدو، ولكن رخص فيها على ما تقدم بيانه في قصر صلاة الخوف، فالصلاة لا تسقط عن المسلم ما دام يعقل[(٢)]، قال ابن حزم: "وَاتَّفَقُوا أَن الصَّلَاة لَا تسْقط وَلَا يحل تَأْخِيرهَا عمدًا عَن وَقتهَا عَن الْبَالِغ الْعَاقِل بِعُذْر أصلاً[(٣)]، وَأَنَّهَا تُؤَدِّي على حسب طَاقَة الْمَرْء من جُلُوس أَو اضطجاع بإيماء أَو كَيْفَمَا أمكنه"[(١)].

٤-أن القصر في السفر لا يكون إلا مع وجود الخوف، وأما في حالة الأمن فلا تقصر الصلاة.

ليس له متمسك في هذا الشرط﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾؛ لأن أهل العلم، قالوا: "ظَاهِرُ هَذَا الشَّرْطِ أَنَّ الْقَصْرَ لا يجوز في السفر إِلَّا مَعَ خَوْفِ الْفِتْنَةِ مِنَ الْكَافِرِينَ لَا مَعَ الْأَمْنِ، وَلَكِنَّهُ قَدْ تَقَرَّرَ بِالسُّنَّةِ أَنَّ النبي ﷺ قَصَرَ مَعَ الْأَمْنِ. . . ، فَالْقَصْرُ مَعَ

---

(١) التمهيد، (١٦/٢٩٤).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (٥/٣٦٤).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (نقد مراتب الإجماع)، ص ٢٨٩: "النزاع معروف في صور: منها: حال المسايفة: فأبو حنيفة يوجب التأخير، وأحمد في إحدى الروايتين يجوزه. ومنها: المحبوس في مصر. ومنها: عادم الماء والتراب: فمذهب أبي حنيفة، وأحدُ القولين في مذهب مالك أنه لا يصلي، رواه مَعنٌ عن مالك، وهو قول أصبغ، وحكي ذلك قولا للشافعي، ورواية عن أحمد. وهؤلاء في الإعادة لهم قولان، هما روايتان في مذهب مالك وأحمد، والقضاء قول أبي حنيفة".

(١) مراتب الإجماع، ابن حزم، ص٢٥.

الْخَوْفِ ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ، وَالْقَصْرُ مَعَ الْأَمْنِ ثابت بِالسُّنَّةِ، وَمَفْهُومُ الشَّرْطِ لَا يَقْوَى عَلَى مُعَارَضَةِ ما تواتر عنه ﷺ مِنَ الْقَصْرِ مَعَ الْأَمْنِ"[١]، فعَنْ يَعْلَى بن أُمَيَّةَ[٢]، قَالَ: قُلْتُ لِعُمَرَ بن الْخَطَّابِ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾، فَقَدْ أَمِنَ النَّاسُ، فقَالَ: عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتُ مِنْهُ، فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: (صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ)[٣]، وكان ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: "صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فكَانَ لاَ يَزِيدُ فِي السَّفَرِ عَلَى رَكْعَتَيْنِ، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ كَذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ"[١].

قال ابن القيم: "وَالتَّأْوِيلُ الَّذِي تَأَوَّلَتْهُ قَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ، فَقِيلَ ظَنَّتْ أَنَّ الْقَصْرَ مَشْرُوطٌ بِالْخَوْفِ فِي السَّفَرِ، فَإِذَا زَالَ الْخَوْفُ زَالَ سَبَبُ الْقَصْرِ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ غَيْرُ صَحِيحٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَافَرَ آمِنًا وَكَانَ يَقْصُرُ الصَّلَاةَ، وَالْآيَةُ قَدِ أُشْكِلَتْ عَلَى عمر وَعَلَى غَيْرِهِ، فَسَأَلَ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَجَابَهُ بِالشِّفَاءِ، وَأَنَّ هَذَا صَدَقَةٌ مِنَ اللَّهِ وَشَرْعٌ شَرَعَهُ لِلْأُمَّةِ، وَكَانَ هَذَا بَيَانَ أَنَّ حُكْمَ الْمَفْهُومِ غَيْرُ مُرَادٍ، وَأَنَّ الْجُنَاحَ مُرْتَفِعٌ فِي قَصْرِ الصَّلَاةِ عَنِ الْآمِنِ وَالْخَائِفِ"[٢].

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (١/٥٨٥).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) صحيح مسلم، برقم، (٦٨٦)، (١/٤٧٨).

(١) صحيح البخاري، برقم، (١٠٥١)، (١/٣٧٢)، و صحيح مسلم بلفظ قريب منه، برقم، (٦٨٩)، (١/٤٧٩).

(٢) زاد المعاد، (١/٤٤٨، ٤٤٩).

(٢) قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[الأنعام: ١٤١].

قال أحمد صبحي منصور: "فالحصاد ليس فقط في الزرع، وإنما يشمل مجيء الرزق من مرتب، أو مكسب تجاري، أو ريع آت من تأجير عقار وغيره. ولقد تكرر في القرآن كلمة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ٣]"(١).

وقال ابن قرناس: "ليس في القرآن تصريح ولا تلميح لنصاب زكاة الأنعام (الإبل، والبقر، والغنم) الذي قال به الفقهاء، وليس في القرآن تصريحٌ ولا تلميح لزكاة النقد، وليس في القرآن تصريح ولا تلميح لنصاب أي نوع مما أطلق عليه الفقهاء الزكاة، والتي يعرفها المسلمون اليوم.

وليس في القرآن تصريح ولا تلميح أن الزكاة لا تجب إلا فيما حال عليه الحول، وليس في القرآن أي من التفاصيل التي ذكرها الفقهاء عن الزكاة المعروفة اليوم على الإطلاق"(١).

وقال مصطفى المهدوي: "وليس في القرآن ما يقصرها على الربع من العشر يخرجه المسلم من ماله فتبرأ به ذمته، ويطهر به قلبه"(٢).

وقال محمد أبو زيد: "زمن تحصيله، وكما أمر المالكين بإيتاء هذا الحق أمر الحاكم العام بأخذه، والعمل على جبايته لبيت المال، وقد ترك التقدير للأمة بحسب الحالة"(٣).

---

(١) الصلاة بين القرآن الكريم والمسلمين، ص٥٥.

(١) سنة الأولين، ص٣٤١، ٣٤٢.

(٢) البيان بالقرآن، (١/٢٥٤).

(٣) الهداية والعرفان، ص١٥٠.

استدل منكرو السنة النبوية (القرآنيون) بالآية السابقة على أمور:

الأول: إنكار النصاب.

الثاني: إنكار الحول.

الثالث: أن تقدير الزكاة يرجع إلى الأمة بحسب حالها.

وللرد عليهم، يقول الباحث:

أولاً: "هَذِهِ الْآيَةُ خَاصَّةٌ فِي مُخْرَجَاتِ الْأَرْضِ مُجْمَلَةٌ فِي الْقَدْرِ، فَبَيَّنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الَّذِي أُمِرَ بِأَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: (فِيمَا سَقَتْ السَّمَاءُ الْعُشْرُ، وَمَا سُقِيَ بِنَضْحٍ أَوْ دَالِيَةٍ نِصْفُ الْعُشْرِ) (١)؛ فَكَانَ هَذَا بَيَانًا لِمِقْدَارِ الْحَقِّ الْمُجْمَلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ"(١).

ثانيًا: العلماء مجمعون(٢) على أنَّ اشتراط الحول يكون فيما عدا زكاة الزروع والثمار(٣)؛ "وذلك لأن حصاد الزرع بمنزلة حولان الحول؛ لأنه الوقت الذي تتشوف إليه نفوس الفقراء، ويسهل حينئذ إخراجه على أهل الزرع، ويكون الأمر فيها ظاهرًا لمن أخرجها، حتى يتميز المخرج ممن لا يخرج"(٤).

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر، برقم، (١٤١٢)، (٢/٥٤٠).

(١) أحكام القرآن، ابن العربي، (٢/٢٨٢).

(٢) ينظر: الإجماع، ابن عبد البر، ص١١٣، ١١٤.

(٣) ينظر: رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، (٢/٢٦٧)، اللباب في شرح الكتاب، عبد الغني الدمشقي الميداني الحنفي، (١/١٥٠)، نهاية المطلب في دراية المذهب، عبد الملك الجويني، (٣/٣٦٢)، فتح العزيز بشرح الوجيز في الفقه الشافعي، عبد الكريم الرافعي، (٦/١٠٣)، المغني، ابن قدامة، (٢/٤٦٧)، الشرح الكبير على متن المقنع، ابن قدامة، (٢/٤٥٦).

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص٢٧٦.

ثالثًا: من خلال كلامهم يظهر جهلهم المطبق بحكم الله ومقاصد شرعه الجليل، فمن حكمة الله ﷻ وإتقانه في فرضه وشرائعه، أنه جعل لها شروطًا؛ أي: أوصافًا معينة لا تجب إلا بوجودها؛ لتكون الشرائع منضبطة، لا فوضى فيها.

إذ لو لم يكن هناك شروط لكان كل شخص يقدر أن هذا واجب، وهذا غير واجب فإذا أتقنت الفرائض بالشروط، وحددت لم يكن هناك اختلاف، وصار الناس على علم وبصيرة، فمتى وجدت الشروط في شيء ثبت، ومتى انتفت انتفى.

وعليه: فمن شروط إخراج الزكاة ملك نصاب، ويقصد بالنصاب: القدر الذي رتب الشارع وجوب الزكاة على بلوغه، وهو يختلف، فلا بد أن يملك نصابًا، فلو لم يملك شيئًا كالفقير فلا شيء عليه، ولو ملك ما هو دون النصاب فلا شيء عليه.

ودليل اشتراط ملك النصاب، قوله ﷺ: (لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ، وَلَا فِيمَا دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ صَدَقَةٌ، وَلَا فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ صَدَقَةٌ) (١)، وقال في الغنم: (إذا بلغت أربعين شاةً شاةٌ) (٢)، وغير ذلك من الأدلة، ولأن ما

(١) صحيح البخاري، برقم، (١٣٩٠)، (٥٢٩/٢)، صحيح مسلم، (٩٧٩)، (٦٧٣/٢)، واللفظ لمسلم.

(٢) الموطأ، برقم، (٢٤)، (٢٥٩)، الجامع، ابن وهب، برقم، (١٧٨)، (١٠٥/١)، المستدرك، برقم، (١٤٤٤)، (٥٥٠/١)، السنن الكبرى، برقم، (٧٢٥٧)، (١٥٣/٤)، والحديث صحيح. ينظر: إرواء الغليل، برقم، (٧٩٣)، (٢٦٧/٣).

دون النصاب لا يحتمل المواساة[١].

رابعًا: إن من مهمة رسول الله ﷺ كما سبق بيانه، تبيين الشرائع والأحكام، فبين أنه لا تجب زكاة في مال إلا بعد مضي الحول: أي: تمام الحول؛ فقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول)[٢]. وفي هذا دليل على أن المال إذا نقص وزنه عن تمام النصاب، وإن كان شيئًا يسيرًا، لم تجب فيه الزكاة، وهو ما أجمع عليه الفقهاء[١]. وهذا من جميل محاسن الشريعة الإسلامية؛ إذ لو لم نقدر زمنًا فهل يقال: تجب في كل يوم، أو كل شهر، أو كل أسبوع، أو كل عشرة أعوام، فلا بد من تقدير، ولأننا لو أوجبنا الزكاة كل شهر، لكان ضررًا على أهل الأموال، ولو أوجبناها كل سنتين لأضررنا بأهل الزكاة[٢]، قال ابن قدامة: "وَلِأَنَّ الزَّكَاةَ تَتَكَرَّرُ فِي هَذِهِ الْأَمْوَالِ، فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ ضَابِطٍ، كَيْ لَا يُفْضِيَ إلَى تَعَاقُبِ الْوُجُوبِ فِي الزَّمَنِ الْوَاحِدِ مَرَّاتٍ، فَيَنْفَدَ مَالُ الْمَالِكِ"[٣].

خامسًا: نتيجة لأن منكري السنة لا يؤمنون بالسنة، ولا يعظمون صاحبها

---

(١) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، ابن عثيمين، (٦/١٤).

(٢) سنن ابن ماجة، برقم، (١٧٩٢)، (١/٥٧١)، سنن الدار قطني، برقم، (١٨٩٤)، (٢/٤٧٠)، السنن الكبرى، البيهقي، برقم، (٧٢٧٤)، (٤/١٦٠)، والحديث صحيح. ينظر: إرواء الغليل، برقم، (٧٨٧)، (٢/٢٥٤).

(١) ينظر: معالم السنن، (٢/٣٠)، الاستذكار، (٣/١٣٤).

(٢) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، (٦/١٨).

(٣) المغني، (٢/٤٦٧).

ﷺ، فقد حاول محمد أبو زيد سلب تقدير الزكاة من رسول رب العالمين الذي أخبر عنه بأنه لا ينطق عن الهوى، وأوكل تقديرها إلى الأمة، وفي هذا فساد عظيم، وضرر على الأمة جسيم، فالناس مختلفون في عقولهم وأفكارهم، وعند أن يترك أمر التشريع للبشر يحدث الخلل، ومن أجل هذا جعل الله أمر تقدير الزكاة إلى رسوله الكريم ﷺ، قال الخطابي: "بيان الشريعة قد يقع من وجهين، أحدهما: ما تولى الله بيانه في الكتاب العزيز وأحكم فرضه فيه، فليس به حاجة إلى زيادة من بيان النبي عليه السلام وبيان شهادة الأصول. والوجه الآخر: ما ورد ذكره في الكتاب مجملاً ووكل بيانه إلى النبي ﷺ فهو تفسيره قولاً وفعلاً "(١).

(٣) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: ٦٠].

قال ابن قرناس: "وقد حصر الفقهاء المستفيدين من الزكاة بالثمانية أصناف المذكورين في الآية الستين من سورة التوبة، مع أن هناك آيات تدعو إلى أن يستفيد من العطايا أصناف أخرى، ومن ذلك: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦]، والإحسان هنا يشمل الهبة المالية والعينية كما ذكرنا، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥]، وهاتان

---

(١) معالم التنزيل، (٢/٦٠).

الآيتان تؤكدان أن اليتامى يجب أن يعطوا، ولكن الفقهاء لم يدخلوهم ضمن الأصناف الذين يعطون من الزكاة، في الوقت نفسه الذين قالوا فيه إن الزكاة تجب للعاملين عليها، ولو كان غنيًا، مبررين ذلك بأن عطاءه مقابل عمله، وليس لأنه فقير. فأوجبوا أن يعطى العامل على الزكاة (الجابي) ولو لم يكن بحاجتها، بينما جعلوا إعطاء اليتيم الذي لا معيل له يندرج تحت ما سموه بالصدقة، التي تعني أنه يكون تحت رحمة الغني إن شاء أعطاه، وله الشكر والتفضل والعرفان في الدنيا، والأجر من الله في الآخرة، وإن شاء تركه يتضور[(١)] جوعًا، دون أن يكون الغني عرضة لأي عقاب من الله، على الرغم من حاجة اليتيم الماسة إلى حياة كريمة تخفف عنه مشاعر اليتم، وفقد الوالدين"[(١)].

ومن خلال تفسيرهم لآية أصناف مصارف الزكاة، يتبين ما يأتي:

سوء فهمهم للآيات القرآنية، وجهلهم الشديد في معرفة معاني الآيات، وإن كانت واضحة، ودليل ذلك، ما يأتي:

١-قولهم: إن الفقهاء هم الذين حصروا مصارف الزكاة في المصارف الثمانية.

٢-قولهم: إن الفقهاء هم الذين أوجبوا إعطاء العاملين عليها من الزكاة مقابل عملهم.

٣-قولهم: إن الفقهاء حجروا على اليتامى أن يعطوا من مال الزكاة مع

---

(١) قال الخليل: "التَضَوّرُ: صياحٌ وتَلَوٍّ عند وَجَع من ضَرْبٍ". العين، (٧/٥٤).

(١) سنة الأولين، ص٣٤٢.

حاجتهم إليها.

وللرد عليهم:

(١)- دلت الآية الكريمة أن مصارف الزكاة محصورة في الأصناف الثمانية المذكورين فيها، وقد تولى قسمتها المولى ﷻ، ولا دخل في تقسيمها، للنبي ﷺ على شرفه ورفيع مترلته، ولا للفقهاء، وقد أكد هذا الحصر ما ورد في الحديث عن زِيَادَ بن الْحَارِثِ الصُّدَائِيِّ(١)، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَبَايَعْتُهُ، فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلاً، قَالَ: فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فقَالَ: أَعْطِنِي مِنَ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ-تَعَالَى-لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ نَبِيٍّ وَلَا غَيْرِهِ فِي الصَّدَقَاتِ، حَتَّى حَكَمَ فِيهَا هُوَ، فَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءٍ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ أَعْطَيْتُكَ حَقَّكَ) (١).

قال المناوي(٢) في شرحه للحديث: "(إن الله)، أي: اعلم يا من جاءنا يطلب من الصدقة أن الله قد اعتنى بأمر الصدقة، وتولى قسمتها بنفسه، (لم يرض بحكم نبي) مرسل (ولا غيره) من ملك مقرب أو جهبذ مجتهد (في الصدقات)، أي: في

---

(١) زياد بن الحارث الصدائي، والصداء حي من اليمن، له صحبة، وهو حليف لبني الحارث بن كعب، بايع النبي ﷺ وأذّن بين يديه. روى عنه زياد بن نعيم الحضرمي. ينظر: التاريخ الكبير، (٣/٣٤٤)، الجرح والتعديل، (٣/٥٢٨)، الاستيعاب، (٣/٥٢٠).

(١) رواه أبو داود، برقم، (١٦٣٠)، (٢/١١٧)، والحديث ضعيف كما قال الشيخ الألباني، ينظر: ضعيف أبي داود، برقم، (٢٩٠)، (٢/١٢٤)، السلسلة الضعيفة، برقم، (١٣٢٠)، (٣/٤٨٨).

(٢) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي، ثم المناوي القاهري، زين الدين: ولد بالقاهرة، سنة(٩٥٢ه)، وعاش بها، وتوفي بها، سنة، (١٠٣١ه)، له مصنفات، منها: كنوز الحقائق، فيض القدير، وشرح الشمائل للترمذي، وغيرها. ينظر: الأعلام، (٣/٦٥)، معجم المؤلفين، (٤/١٩٦).

قسمتها على مستحقيها (حتى حكم فيها هو)، أي: أنزلها مقسومة في كتابه واضحة جليلة"(١).

وقال الشنقيطي: "المرادُ بالصدقاتِ هنا: زكواتُ المالِ الواجبةُ، فَاللَّهُ-جل وعلا-بَيَّنَ في هذه الآيةِ من سورةِ براءة مصارفَ زكاةِ المالِ التي هي إحدى دعائمِ الإسلامِ الخمسِ، جَعَلَهَا ثمانيةً، وهي: الفقراءُ، والمساكينُ، والعاملونَ عليها، والمؤلفةُ قلوبُهم، وفي الرقابِ، والغارمونَ، وفي سبيلِ اللَّهِ، وابنُ السبيلِ، هي ثمانيةٌ، و (إنما): أداةُ حصرٍ وإثباتٍ، يعنِي: لاَ يَثْبُتُ استحقاقُ الزكاةِ لشيءٍ غيرِ واحدٍ من هذه المصارفِ الثمانيةِ بإجماعِ العلماءِ"(١).

(٢)- وأما قولهم لماذا يعطى العاملون عليها، وإن كانوا أغنياء.

يقال: من المتفق عليه بين الفقهاء أنه لا يشترط في العامل على جمع الزكاة أن يكون فقيرًا، فيجوز كونه غنيًا ويأخذ نصيبه من الزكاة مع الغنى؛ لأن الله-تعالى-جعل العامل صنفًا مستقلاً غير الفقراء والمساكين، حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾، فلا يشترط فيه وجود معنى الفقير والمسكين، وإلا لا فائدة من ذكر العاملين منفصلاً عن الآخرين، وهو فرع نفسه لهذا العمل فمن حقه أن يأخذ منها سهمه سواء أكان فقيرًا أم غنيًا(٢)، ويؤيد

---

(١) فيض القدير، المناوي، (٢/٢٥٣)، التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، (١/٢٥٩).

(١) العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، محمد الأمين الشنقيطي، (٥/٥٨٧).

(٢) ينظر: شرح السنة، البغوي، (٦/٩٩٠)، المغني، ابن قدامة، (٦/٤٧٤)، الهداية على مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، محفوظ بن أحمد الكلوذاني، ص١٤٩، مصارف الزكاة في الإسلام، حسن علي كوركولي، ص١٥٨.

هذا قول رسول الله ﷺ: (لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ إِلَّا لِخَمْسَةٍ: لِغَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ لِعَامِلٍ عَلَيْهَا. . . . .)[١].

فدل الحديث على أن الزكاة تحل لهؤلاء الموصوفين، وهم أغنياء؛ لأنهم أخذوها بوصف آخر[٢]، قال ابن عبد البر: "أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الصَّدَقَةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَهِيَ الزَّكَاةُ الْوَاجِبَةُ عَلَى الْأَمْوَالِ لَا تَحِلُّ لِغَنِيٍّ غَيْرَ الْخَمْسَةِ الْمَذْكُورِينَ فِي هَذَا الحديث الموصوفين فيه"[١].

(٣)- وأما قولهم: إن الفقهاء حجروا على اليتامى أن يعطوا من مال الزكاة مع حاجتهم إليها.

فيقال: من المعلوم أن اليتيم ليس من مصارف الزكاة بصفة اليتم، ولكن قد يكون من أحد المصارف الثمانية إن انطبقت عليه أوصافهم، فإن كان فقيرًا يعطى من هذه الزكاة، ويدخل ضمن مصرف الفقراء[٢]، وكذلك قد تتحقق في اليتيم شروط أحد مصارف الزكاة الأخرى، فيعطى منها.

---

(١) موطأ مالك، برقم، (٢٩)، (١/٢٦٨)، مصنف عبد الرزاق، برقم، (٧١٥١)، (٤/١٠٩)، سنن ابن ماجة، برقم، (١٨٤١)، (١/٥٩٠)، والحديث صحيح، ينظر: صحيح الجامع الصغير، برقم، (٧٢٥٠)، (٢/١٢١٤).

(٢) ينظر: شرح الزرقاني على الموطأ، (٢/١٨٣).

(١) الاستذكار، (٣/٢٠٤)، وبه قال ابن رشد في بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (٢/٣٧).

(٢) ينظر: عمدة القاري، (٩/٣٨).

(٤) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

قال أحمد صبحي منصور: "نزل تشريع الصيام على العرب الذين كانوا يصومون شهر رمضان، نزل في المدينة، وكان شهر رمضان معروفًا للمسلمين بأنه شهر القرآن، فهو الذي نزل فيه القرآن مرة واحدة على قلب النبي محمد حين كان في مكة"(١).

وقال: "العرب كانوا يصومون رمضان، بل وكانوا يتخذون منه عادة اجتماعية للهو واللعب بدون مراعاة للتقوى كما نفعل الآن. لذا تخبر الآية الأولى في التشريع القاعدة الأولى، وهي تأدية الصوم كما اعتادوه بنفس ما كان في ملة إبراهيم ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الامتناع عن الأكل والشرب واللقاء الجنسي، وهو الذي كانوا يفعلونه أنفسهم في مكة قبل أن يترل التشريع القرآني بهذا التصحيح والتنقيح"(٢).

يظهر من خلال كلام أحمد صبحي منصور أنه يحاول إثبات أن صيام رمضان شعيرة من شعائر العرب التي كانت تقوم بها قبل الإسلام، وأن الرسول ﷺ لم يكن له دور في هذا إلا أنه قام بالتصحيح والتنقيح.

يقول الباحث: لقد عمد أحمد صبحي في هذا الكلام على التأكيد أن ما يقوم به المسلمون من عبادات لا تخرج عما اعتاده العرب قبل الإسلام، و لم تتغير

(١) الصلاة بين القرآن والمسلمين، ص١٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٦، ١٣٧.

هيئاتها، وأعدادها، وفي الحقيقة أن هذه الشبهة هي واحدة من أهم الشبه حضورًا في كتابات منكري السنة، التي يحاولون الترويج لها؛ مقابل التخلص من الأسئلة الكثيرة التي تطرح عليهم عند إنكارهم للسنة، وهي كيف يستطيع المسلم القيام بالعبادات التي أمر بها في القرآن الكريم، والتي وردت في كثير من الأحيان مجملة، وإنما قامت السنة التي ينكرونها بتفصيلها؟.

والجواب عن قول أحمد صبحي: إن صوم رمضان كان معروفًا عند العرب قبل الإسلام، يكون من وجوه عدة، منها:

الأول: ادعى أحمد صبحي أن صوم رمضان كان معروفًا عند العرب، وأنهم كانوا يصومونه قبل الإسلام، وهذا أمرٌ لا أدري من أين أتى به؛ وذلك أنه لم يذكر-كعادته-أي برهان أو أدلة على صحة وموثوقية ما ادعاه، ومن المعلوم أن الإخبار عن قضية-وبالذات فيما يتعلق بالدين- دون الإتيان لها بأدلة من الكتاب والسنة أو نقل صحيح، فهي دعوى باطلة، قال الشاعر[1]:

والدعاوى ما لم تقيموا عليها * بينات أبناؤها أدعياء[2]

الثاني: ثم إننا لم نجد في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية، ولا في أخبار العرب ما يشير إلى أن العرب في مكة أو غيرها كانوا قبل الإسلام يصومون رمضان، وصيام شهر رمضان ليس بالأمر الهين حتى لا نجد عن العرب ولا عن غيرهم من ينقل عنهم أنهم كانوا يصومونه، إذ لو كانوا يصومونه لنقل إلينا كما

(١) هو البوصيري، صاحب البردة، والهمزية.

(٢) نيل المراد في تشطير الهمزية والبردة وبانت سعاد، عبد القادر الرافعي الحنفي، ص٤٠.

نقل غيره من أنواع الصيام، كصيام يوم عاشوراء.

الثالث: إن مما نقل عن العرب صومه في الجاهلية هو صوم يوم عاشوراء، فقد نقلت دواوين السنة وشروحها أن العرب كانوا يصومونه، قالت أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها: (كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه في الجاهلية، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه)[١].

الرابع: ومما نقل أهل التاريخ عن العرب في شأن الصيام، أن أهل مكة-ولا سيما الأحناف منهم والتجار كانوا على معرفة بصيام أهل الكتاب، وبصيام الرهبان، المتمثل في السكوت والتأمل والجلوس في خلوة؛ للتفكير في ملكوت السماوات والأرض. ويظهر من أخبار أهل الأخبار أن من الجاهليين من اقتدى بهم، وسلك مسلكهم. فكان يصوم، صوم السكوت والتأمل والامتناع عن الكلام والانزواء في غار حراء، وفي شعاب جبال مكة[٢].

الخامس: ومما يدل على أن العرب لم يكونوا يصومون رمضان قبل الإسلام، أنه لم يؤثر عن الرسول ﷺ منذ مبعثه إلى أن فرض عليه الصيام في السنة الثانية من الهجرة[٣] أنه صام شهر رمضان قبل ذلك، ومعلوم أن الرسول ﷺ من

---

(١) الأثر في صحيح البخاري، برقم، (١٨٩٨)، (٢/٧٠٤).

(٢) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، (١١/٣٣٩).

(٣) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (٤/٢٤٦)، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، (٢/٣٥٥)، شرح النووي على مسلم، (١/١٧٨)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (١/١٢١).

أحرص الناس على الفضائل والقرب التي يتقرب بها إلى الله تعالى.

(٥) قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وفي هذه الآية يرى مصطفى المهدوي أن الصائم لا يفطر حتى يكون الظلام الكامل الذي يبدأ به الليل(١)، وقال: "إن الليل لا يبدأ إلا بغياب آخر ما يستتر في المغرب من الشفق الأحمر، فإذا انسلخ الشفق الأحمر من الأفق الغربي تمامًا، وأقبل الليل أفطر الصائم، وحل له الطعام والشراب والرفث"(٢).

يتضح من خلال كلام مصطفى المهدوي أنه يرى أن إفطار الصائم ينقضي بغياب الشفق الأحمر، وحل الظلام الكامل، الذي يظهر فيه النجوم، وإن لم يصرح بظهور النجوم، وفي تفسيره هذا مخالفة لما ورد في ظاهر الآية، ولما جاء من بيان الرسول ﷺ للآية، ولما أجمع عليه علماء الأمة من المفسرين وغيرهم، وبيان ذلك يتضح من وجوه:

الأول: أن حقيقة الليل الوارد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾، هو عبارة عن زمن غيبة الشَّمس؛ بدليل أنَّ الله-تعالى-سمَّاها بعد المغرب ليلاً مع بقاء الضَّوء فيه؛ فثبت أنه يكون الأمر في الطَّرف الأوَّل من النهار كذلك؛ فيكون قبل طلوع الشمس-أيضًا- ليلاً، وألا يوجد النَّهار إلاَّ عند طلوع الشمس، وعليه فإنه لا يلزم أن يكون آخر النَّهار على زعمهم غياب الشَّفق

---

(١) ينظر: البيان بالقرآن، (١/١٨٦).

(٢) المرجع السابق، (١/١٨٨).

الأحمر؛ لأنَّه آخر أثر للشمس؛ كما أن طلوع الفجر هو أوَّل طلوع آثار الشَّمس، وإذا بطل هذا، بَطَل ذاك، ومن النَّاس من قال: آخر النهار غيابُ الشَّفَق، ولا يجوز الإفطار إلاَّ عند طلوع الكواكب، وكلُّها مذاهب باطلةٌ(١).

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾، غَايَةٌ اخْتِيرَ لَهَا (إِلَى) لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَعْجِيلِ الْفِطْرِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ؛ لِأَن (إِلَى) لَا تَمْتَدُّ مَعَهَا الْغَايَةُ بِخِلَافِ حَتَّى، فَالْمُرَادُ هُنَا مُقَارَنَةُ إِتْمَامِ الصِّيَامِ بِاللَّيْلِ(٢).

الثالث: من المتقرر عند العلماء أنه إذا غاب جميع القرص أفطر الصائم، ولا عبرة بالحمرة الشديدة، الباقية في الأفق، فإنه إذا غاب جميع القرص، ظهر السواد من المشرق(٣).

الرابع: أجمع العلماء على أن الصوم الشرعي ينقضي ويتم بتمام الغروب، ولا يوصف المرء بأنه صائم شرعًا وإن واصل صيامه؛ لأنه بغروب الشمس خرج النهار، وليس الليل محلاً للصوم(٤)، ودليل ذلك قوله ﷺ: (إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَا هُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ)(٥).

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، (٣/٣١٦).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، (٢/١٨٤).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، (٢٥/٢١٥).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/٥١٧)، شرح النووي على صحيح مسلم، (٧/٢٠٩)، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي، (٣/٤٢٢)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (٤/١٣٨٢)، الإحكام شرح أصول الأحكام، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي، (٢/٢٥٧)،

(٥) صحيح البخاري، برقم، (١٨٥٣)، (٢/٦٩١)، صحيح مسلم، برقم، (١١٠١)، (٢/٧٧٢).

الخامس: أنَّ ما ذهب إليه مصطفى المهدوي من تأخير الإفطار مخالف لما أمر به رسول الله ﷺ أمته من تعجيل الفطر، بقوله: (لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ)(١)، وهو ما سارع إلى تنفيذه الصحابة ﷺ، فقد قيل عنهم: (كان أصحاب محمد ﷺ أسرعَ الناس إفطارًا وأبطأهم سحورًا) (٢).

السادس: أنَّ قول مصطفى المهدوي بوجوب تأخير الإفطار وقوع فيما حذر منه رسول الله ﷺ أمته من ذهاب الخيرية عنها إن هي اقترفت ذلك، ومشابهة لليهود والنصارى(٣)، حيث قال الرسول ﷺ: (لَا تَزَالُ أُمَّتِي عَلَى سُنَّتِي مَا لَمْ تَنْتَظِرْ بِفِطْرِهَا النُّجُومَ) (٤).

وقوله ﷺ: (لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ، إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ) (٥).

---

(١) صحيح البخاري، برقم، (١٨٥٦)، (٣٦/٢)، صحيح مسلم، برقم، (١٠٨٩)، (٧٧١/٢).

(٢) مصنف عبد الرزاق، برقم، (٧٥٩١)، (٢٢٥/٤)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، برقم، (٤٨٧٤)، (١٥٤/٣).

(٣) ومن الجدير ذكره في هذا المقام، هو أن هذه الصفة من تأخير الإفطار حتى تظهر النجوم واقع فيها الشيعة الرافضة، حيث يتعمدون تأخير الإفطار، وكذلك صلاة المغرب؛ زعماً منهم أنه من الحيطة، وليس الأمر كذلك بل هو من التنطع في الدين، ومخالفة سنة رسول الله، ولا يدرون أن خير الهدي هدي محمد ﷺ.

(٤) صحيح ابن خزيمة، برقم، (٢٠٦١)، (٢٧٥/٣)، صحيح ابن حبان، برقم، (٣٥١٠)، (٢٧٨)، المستدرك على الصحيحين، برقم، (١٥٨٤)، (٥٩٩/١)، والحديث صحيح كما قاله الشيخ الألباني في تعليقه على صحيح ابن خزيمة.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة، برقم، (٨٩٤٤)، (٢٧٧/٢)، مسند أحمد، برقم، (٩٨١٠)، (٥٠٣/١٥)، =

(٦) قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال مصطفى المهدوي: "ولقد دلت الآية الكريمة على أن ميقات الحج إنما ينعقد خلال عدة أشهر معلومات، وتأكد ذلك بما ورد في قوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ [البقرة: ١٩٧]بصيغة الجمع، فليس صحيحًا أن الحج لا يجوز إلا في اليوم التاسع من ذي الحجة بالوقوف في عرفة، وإن صح باعتبار أن شهر ذا الحجة من الأشهر التي يجوز فيها الحج، ولئن كان الرسول ﷺ قد فرض حجه في هذا الشهر، وتصادف أن وقف بعرفة يوم التاسع منه، وهو ﷺ لم يحج إلا مرة واحدة حسبما أثبته الفقهاء والمؤرخون، فليس من شأن ذلك إهدار عدة الأشهر المعلومة التي يجوز فيهن الحج عملاً بالأصل المقرر في القرآن، ولا يدري أحد متى كان الرسول سيقف بعرفة لو أنه حج مرة أخرى"(١).

ويرى مصطفى المهدوي أن أشهر الحج المعلومة، هي أربعة أشهر: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وزعم أن هذه الأشهر لا يمكن إلا أن تكون متواصلة بأيامها ولياليها غير منقطعة ولا مؤجلة(٢).

قال محمد شحرور: "والإشارة واضحة في لفظة (معلومات) إلى الأشهر

=

سنن أبي داود، برقم، (٢٣٥٣)، (٢/٣٠٥)، صحيح ابن خزيمة، برقم، (٢٠٦٠)، (٣/٢٧٥)، والحديث صحيح كما قاله الشيخ الألباني في تعليقه على صحيح ابن خزيمة.

(١) البيان بالقرآن، (١/٨٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (١/٨٧، ٨٨).

الحرم، وهي رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، محرم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[التوبة: ٣٦]، والإشارة واضحة-أيضًا- إلى أن هذه الأشهر الحرم معروفة ومعلومة عند العرب قبل البعثة المحمدية"[١].

وقال شحرور: "الحج، ويتم فيه أداء الشعائر في أي (أيام معلومات) من الأشهر الحرم، وفيه الوقوف بعرفات في أي يوم من أيام الأشهر الحرم؛ لقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾"[٢].

وقال شحرور: "أما الحج كشعيرة فيمكن أداؤه في الأشهر الأربعة الحرم دون تفضيل أيام على أيام؛ لأنه كما جرت فيه التوسعة في المكان جرت فيه التوسعة في الزمان أيضًا ممتدًا إلى أربعة أشهر، في أيام معدودات خلال هذه الأشهر"[٣].

يتضح من كلامهم هذا أمور:

١- قولهم: إن الأصل المقرر في القرآن أن الحج يكون في أربعة أشهر.

٢- أن الحج يصح دون الوقوف بعرفة في اليوم التاسع من ذي الحجة، وأن وقوف الرسول ﷺ بعرفة في يوم التاسع من ذي الحجة كان مصادفة، ولو حج سنة أخرى لم يقف في ذلك التاريخ.

---

(١) القصص القرآني، (٢)، ص١٣٠.

(٢) المرجع السابق، (٢)، ص١٣٢.

(٣) المرجع السابق، (٢)، ص١٤٤، ١٤٥.

وهذا الكلام باطل من وجوه:

أولها: أنهم لم يفرقوا بين الأشهر الحرم، وبين أشهر الحج، فمن المعلوم كما أخبر النبي ﷺ أن الأشهر الحرم كما جاء في الحديث: (إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا: مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثٌ مُتَوَالِيَاتٌ، ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحَجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ)[١].

وأما أشهر الحج: فهي شوال، وذو القعدة، وعشرة أيام من ذي الحجة[٢]، قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ–رضي الله عنهما: هِيَ شَوَّالٌ، وَذُو القَعْدة، وَعَشْرٌ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ[٣]، وإليه ذهب جمهور الصحابة والتابعين[٤]، وهي ما رجحه ابن جرير الطبري، بقوله: "وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ مَعْنَى ذَلِكَ الْحَجُّ شَهْرَانِ وَعَشْرٌ مِنَ الثَّالِثِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ خَبَرٌ عَنْ مِيقَاتِ

---

(١) الحديث أخرجه البخاري، برقم، (٣٠٢٥)، (١١٦٨/٣)، مسلم، برقم، (١٦٧٩)، (١٣٠٥/٣).

(٢) ومن العلماء من يقول إنها ثلاثة أشهر كوامل، وهو المشهور عن الإمام مالك، والشافعي في القديم. ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥٤٢/١)، شرح النووي على مسلم، (١٤٩/٨)، فتح الباري، ابن حجر، (٦٠٩/٣)، عمدة القاري، (١٩١/٩).

(٣) صحيح البخاري، (٥٦٤/٢).

(٤) منهم علي، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وَهُوَ الْمَنْقُول عَن عَطاء وطاووس وَمُجاهد وَإِبْرَاهِيم النَّخعِيّ وَالشعْبِيّ وَالْحسن وَابْن سِيرِين وَمَكْحُول وَقَتَادَة وَالضَّحَّاك وَالربيع بن أنس وَمُقَاتِل بن حَيَّان، وَهُوَ مَذْهَب أبي حنيفَة وَالشَّافِعِيّ وَأحمد وَأبي يُوسُف وَأبي ثَوْر. ينظر أقوالهم: جامع البيان، (٤٤٤/٣–٤٤٨)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (١٩١/٩).

الْحَجِّ، وَلَا عَمَلَ لِلْحَجِّ يُعْمَلُ بَعْدَ انْقِضَاءِ أَيَّامِ مِنًى، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَعْنِ بِذَلِكَ جَمِيعَ الشَّهْرِ الثَّالِثِ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَعْنِيًا بِهِ جَمِيعُهُ صَحَّ قَوْلُ مَنْ قَالَ: وَعَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ"(١).

ومن خلال ذلك يتبين أن من الأشهر الحرم ما ليس من أشهر الحج، وهي: المحرم ورجب، ومن أشهر الحج ما ليس من الأشهر الحرم، وهو شوال، وفي قولهم هذا خلط، وجهل بأحكام الحج، وميقاته الزماني، وكذا المكاني كما سيأتي قريبًا.

وعليه: فإن جمهور العلماء على أنه لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج إلا في أيامه المعلومة، وأما أعمال الحج فلا تجوز قبل أشهر الحج بلا خلاف(٢)، قال ابْن عَبَّاس: "لَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يُحرِمَ بِالْحَجِّ إلا فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، مِنْ أَجْلِ قول الله: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾"(٣)، قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: "والتحقيق الذي يدل عليه القرآن هو قول من قال: إن الحج لا ينعقد في غير زمنه، كما أن الصلاة المكتوبة لا ينعقد إحرامها قبل وقتها"(٤).

ثانيًا: وأما قوله: إن الحج يصح دون الوقوف بعرفة في اليوم التاسع من ذي الحجة، وأن وقوف الرسول ﷺ بعرفة في يوم التاسع كان مصادفة.

---

(١) جامع البيان، (٣/٤٥١).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/٥٤١)، أضواء البيان، (٤/٤٩٨)، أحكام القرآن، الجصاص، (١/٣٧٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (١/٣٤٥).

(٤) أضواء البيان، (٤/٤٩٩).

والإجابة عن ذلك من وجوه:

أولها: كَانَ الْحَجُّ مَعْلُومًا عِنْدَ الْعَرَبِ مَشْهُورًا لَدَيْهِمْ، وَكَانَ مِمَّا يُرْغَبُ فِيهِ لِأَسْوَاقِهَا وَتَبَرُّرِهَا وَتَحَنُّفِهَا، وكان من مناسكهم التي يقومون بأدائها في أيام الحج، أنهم كانوا يقفون بعرفة، سوى قريش[(١)]، أخرج ابْن جرير عَن ابْن عَبَّاس-رضي الله عنهما، قَالَ: (كَانَت الْعَرَب تقف بِعَرَفَة، وَكَانَت قُرَيْش دون ذَلِك بِالْمُزْدَلِفَةِ) [(٢)].

ثانيها: أن الوقوف بعرفة من شريعة أبينا إبراهيم عليه السلام التي تلقتها العرب، فكانوا إذا حجوا وقفوا بعرفة، إلا قريش ومن دان بدينهم، ولما كان رسول الله ﷺ يحج قبل الهجرة، وقبل أن يفرض الحج يقف بعرفة، وَلَمْ يُغَيِّرْ مِنْ شَرْعِ إِبْرَاهِيمَ مَا غَيَّر قومه[(٣)]، ودليل ذلك ما صح أن جبير بن مطعم[(٤)]، قال: أَضْلَلْتُ بَعِيرًا لِي يَوْمَ عَرَفَةَ، فَخَرَجْتُ أَطْلُبُهُ بِعَرَفَةَ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاقِفًا مَعَ النَّاسِ

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٤٢/٤)، الهداية إلى بلوغ النهاية، (٦٦٦/١)، تفسير الراغب الأصفهاني، (٤٢١/١).

(٢) جامع البيان، (٥٢٦/٣).

(٣) ينظر: أحكام القرآن، ابن العربي، (٣٧٤/١)، الجامع لأحكام القرآن، (١٤٣/٤).

(٤) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، صحابي جليل رضي الله عنه، أسلم قبل فتح مكة، مات بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة (٥٩هـ)، كان أنسب العرب للعرب، وكان يقول: إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان أبو بكر أنسب العرب. ينظر: الطبقات، خليفة بن خياط، ص٣٨، معجم الصحابة، البغوي، (٥١٦/١)، طبقات النسابين، بكر أبو زيد، ص١٥.

بِعَرَفَةَ، فَقُلْتُ: هَذَا مِنَ الْحُمْسِ[١] ماله هنا؟! [٢].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها، قالت: "كَانَتْ قُرَيْشٌ، وَمَنْ دَانَ بِدِينِهَا يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ، وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ الْحُمْسَ، وَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفَةَ"[٣].

قال ابن جزي: "وقد كان النبي ﷺ قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة توفيقًا من الله -تعالى- له"[٤].

وقال ابن العربي: "كَانَ الْحَجُّ مَعْلُومًا عِنْدَ الْعَرَبِ مَشْرُوعًا لَدَيْهِمْ، فَخُوطِبُوا بِمَا عَلِمُوا وَأُلْزِمُوا مَا عَرَفُوا، وَقَدْ حَجَّ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ قَبْلَ فَرْضِ الْحَجِّ؛ فَوَقَفَ بِعَرَفَةَ، وَلَمْ يُغَيِّرْ مِنْ شَرْعِ إبْرَاهِيمَ مَا غَيَّرُوا حَيْثُ كَانَتْ قُرَيْشٌ تَقِفُ بِالْمُزْدَلِفَةِ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ الْحَرَمِ فَلَا نَخْرُجُ مِنْهُ، وَنَحْنُ الْحُمْسُ"[٥].

ثالثها: من المعلوم أن الحج إنما فرض في السنة التاسعة من الهجرة، فبعث النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه ليحج بالناس، وعلّمَ أبا بكر جميع مناسك الحج، ومنها الوقوف بعرفة، فوقف أبو بكر الصديق رضي الله عنه ووقف الناس بعرفة، ونفذ فيه

---

(١) كَانَت قُرَيْش، وَبَنُو كنَانَة يسمون الحمس؛ لأَنهم تحمسوا فِي دينهم: أي تشددوا، والحماسة: الشدَّة فِي كل شَيْء. كشف المشكل من حديث الصحيحين، (٤/٤٥).

(٢) صحيح البخاري، برقم، (١٥٨١)، (٢/٥٩٩)، صحيح مسلم، برقم، (١٥٣)، (٢/٨٩٤).

(٣) صحيح البخاري، برقم، (٤٢٤٨)، (٤/١٦٤٣)، صحيح مسلم، برقم، (١٢١٩)، (٢/٨٩٣).

(٤) التسهيل لعلوم التتريل، (١/١١٥).

(٥) أحكام القرآن، ابن العربي، (١/٣٧٤).

مناسك الحج على مقتضى شرع الإسلام[١]، قال أبو شهبة: "وقد خطب الصدّيق قبل يوم التروية معلّما الناس مناسكهم، ثم خطب يوم عرفة، ويوم النحر"[٢].

رابعها: ومن المؤكدات-أيضًا-على أن الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج، ولا يصح أن يتغير يوم الوقوف من يوم التاسع من ذي الحجة إلى غيره، هو أن الرسول ﷺ علم المسلمين مناسك الحج، ونقلوه عنه، بقوله: (لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ) [٣]، والأخذ عنه أن يفعل كما فعل، فوجب الاقتداء به والانتهاء إلى ما سنه ﷺ، فهو المبين عن الله مراده[٤]، قال النووي رحمه الله: "وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: (لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ)، فَهَذِهِ اللَّامُ لَامُ الْأَمْرِ وَمَعْنَاهُ خُذُوا مَنَاسِكَكُمْ. . ، وَتَقْدِيرُهُ هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي أَتَيْتُ بِهَا فِي حَجَّتِي مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْهَيْئَاتِ هِيَ أُمُورُ الْحَجِّ وَصِفَتُهُ، وَهِيَ مناسككم فخذوها عني واقبلوها واحفظوها وَاعْمَلُوا بِهَا وَعَلِّمُوهَا النَّاسَ، وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي مَنَاسِكِ الْحَجِّ"[٥].

---

(١) ينظر: صحيح البخاري، (١٦٧/٥)، فتح الباري، ابن حجر، (٨٢/٨)، عمدة القاري، (١٧/١٨)، الشرح الممتع على زاد المستقنع، (١٤/٧).

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، (٥٣٦)، وينظر: الروض الأنف، (٣١٨/٤).

(٣) صحيح مسلم، برقم، (١٢٩٧)، (٩٤٣/٢).

(٤) ينظر: المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي، (٢٨٩/٢).

(٥) شرح النووي لصحيح مسلم، (٤٥/٩).

خامسها: أن الرسول ﷺ أمر أصحابه بلزوم تلك المناسك التي علمهم إياها، ومنها الوقوف بعرفة، وأنها من إرث أبينا إبراهيم، فقد جاء في الحديث عن يَزِيد بن شَيْبَانَ[١]، قَالَ: كُنَّا وُقُوفًا مِنْ وَرَاءِ الْمَوْقِفِ مَوْقِفًا يَتَبَاعَدُهُ عَمْرٌو مِنَ الْإِمَامِ، فَأَتَانَا ابْنُ مِرْبَعٍ الْأَنْصَارِيُّ[٢]، فَقَالَ: إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، يَقُولُ لَكُمْ: (كُونُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ هَذِهِ؛ فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ إِبْرَاهِيمَ)[٣].

وقد بيَّن أبو سليمان الخطابي معنى الحديث وسببه، فقال: "يريد ﷺ قفوا بعرفة خارج الحرم؛ فإن إبراهيم هو الذي جعلها مَشْعَرًا موقفًا للحاج، وكان عامة العرب يقفون بعرفة، وكانت قريش من بينها تقف داخل الحرم،...، وكانوا يزعمون ألا نخرج من الحرم ولا نخليه، فرد رسول الله ﷺ ذلك من فعلهم، وأعلمهم أنه شيء قد أحدثوه من قبل أنفسهم، وأن الذي أورث إبراهيم من سنته هو الوقوف بعرفة"[٤].

---

(١) يزيد بن شيبان الأَزْدِيّ، وقيل: الديلي، لَهُ صحبة، ينظر: أسد الغابة، (٤٦١/٥)، تهذيب الكمال، (١٦٢/٣٢).

(٢) زَيْدُ بن مِرْبَعٍ، وَيُقَالُ يَزِيدُ، وَهُوَ ، زَيْدُ بن مِرْبَعِ بن قَيْظِيٍّ بن عَمْرِو بن زَيْدِ بن الْأَوْسِ، له صحبة روى عنه يزيد بن شيبان. ينظر: الجرح والتعديل، (٣٢٩/٩)، معجم الصحابة، ابن قانع، (٢٣٠/١)، معرفة الصحابة، (١١٧٩/٣).

(٣) مسند الحميدي، برقم، (٥٨٧)، (٤٩١/١)، مسند أحمد، برقم، (١٧٢٣٣)، (٤٦٨/٢٨)، سنن ابن ماجة، برقم، (٣٠١١)، (١٠٠١/٢)، سنن الترمذي، برقم، (٨٨٣)، (٢٢١/٣)، المستدرك على الصحيحين، برقم، (١٦٩٩)، (٦٣٣/١)، وقال الحاكم: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ".

(٤) معالم السنن، (٢٠٢/٢).

سادسها: أن الصحابة كانوا أحرص الناس على متابعة رسول الله ﷺ في جميع أفعاله، وهم-أيضًا- أعلم الناس بأمور الدين، حيث كانوا بعد موت رسول الله ﷺ يقفون بعرفة، فدل على أن الوقوف بعرفة في اليوم التاسع من ذي الحجة سُنَّة ماضية، وشرعة جارية لا تتغير، فمما روي في ذلك، ما روي عَن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أَنه إِذا أَهْدى هَديًا من الْمَدِينَة قَلّدهُ بذِي الحليفة، يقلده قبل أَن يشعره، وَذَلِكَ فِي مَكَان وَاحِد، وَهُوَ مُتَوَجّه إِلَى الْقبْلَة يقلده بنعلين، ويشعره من الشق الْأَيْسَر ثمَّ يساق مَعَه حَتَّى يُوقف بِهِ مَعَ النَّاس بِعَرَفَة، ثمَّ يدْفع بِهِ فَإِذا قدم غَدَاة النَّحْر نَحره)[1].

ونخلص من هذا أن الوقوف بعرفة رُكن من أركان الحج لا يتم الحج إلاّ به، ولا يجزىء إلّا بفعله إجماعًا في اليوم التاسع من ذي الحجة[2]، قال ابن رشد[3]:

(١) موطأ مالك، برقم، (١٤٥)، (٣٧٩/١)، السنن الكبرى، البيهقي، برقم، (١٠١٧١)، (٣٧٩/٥).

(٢) ينظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الحطاب الرُّعيني المالكي، (١٠/٣)، سبل السلام، ابن الأمير، (٦٤٦/١).

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، أبو الوليد، الشهير بابن رشد الحفيد، ولد بقرطبة سنة، (٥٢٠هـ)، وتوفي بمراكش سنة، (٥٩٥هـ)، من كبار فقهاء المالكية، درس الفِقه حتّى بَرَع فِيهِ، وأقبل على عِلم الكلام، والفلسفة، وعلوم الأوائل، حتّى صار يُضْرَبُ به المَثَل فيها، وَكَانَ-أَيْضًا-متميزا فِي علم الطِّبّ، له مصنفات، منها: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ومنهاج الأدلة في الأصول، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد. ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، (٧٣/٢)، تاريخ الإسلام، (١٩٦/٤٢)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ص٥٣٠، الديباج المذهب، (٢٤٨/٢).

"أَمَّا حُكْمُ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ فَإِنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْحَجِّ، وَأَنَّ مَنْ فَاتَهُ فَعَلَيْهِ حَجٌّ قَابِلٌ"(١) لقول النبي ﷺ: (الحج عرفة) (٢)، وفي رواية (الحج يوم عرفة، ومن جاء ليلة جَمْع قبل طلوع الفجر، فقد أدرك الحج) (٣).

(٧) قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝٢٩﴾ [الحج: ٢٩].

قال مصطفى المهدوي: "ليس هناك عدد محدد للطواف ولا لأشواطه، بل إن المشهد ذاته لا يسمح لمن كان له قلب أن يحصي على الله طوافه مرات أو أشواطًا. وإنما ترك الأمر لكل حاج بحسب طاقته، ولو شاء الله أن يقيد الحاج بعدد محدود من الطواف أو الأشواط لجاء به كما جاء في صيام الكفارة ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وإنما يلاحظ أن الله أمر بالطواف بقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ بتشديد الطاء، الأمر الذي يتطلب الوفرة والإكثار من الطواف بغير عدد أو إحصاء. فمرتين أو ثلاثة في الفجر، ومثلها في الصبح والعشي ومرات بالليل، كل حسبما يتيسر له

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد، (٢/١١٢).

(٢) مسند أحمد، برقم، (١٨٧٧٤)، (٣١/٦٤)، سنن ابن ماجة، برقم، (٣٠١٥)، (٢/١٠٠٣)، سنن الترمذي، برقم، (٨٨٩)، (٣/٢٢٨)، سنن النسائي، برقم، (٣٠١٦)، (٥/٢٥٦)، والحديث صحيح، ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم، (٣١٧٢)، (١/٦٠٦).

(٣) مسند أحمد، برقم، (١٨٧٧٣)، (٣١/٦٣)، سنن أبي داود، برقم، (١٩٤٩)، (٢/١٩٦)، السنن الكبرى، البيهقي، برقم، (٩٦٨٣)، (٥/٢٤٧)، والحديث صحيح، ينظر: صحيح أبي داود، برقم، (١٧٠٣)، (٦/١٩٥).

بقدر طاقته عملاً بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦]"(١).

ويتضح من كلام مصطفى المهدوي أنه يرى أن عدد أشواط الطواف غير محددة.

ويكون الجواب عنه في ذلك من وجوه:

الأول: أن المقصود بالطواف في هذه الآية هو طواف الإفاضة، قال ابن جرير رحمه الله: "وَعُنِيَ بِالطَّوَافِ الَّذِي أَمَرَ-جَلَّ ثَنَاؤُهُ-حَاجَّ بَيْتِهِ الْعَتِيقِ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ طَوَافُ الْإِفَاضَةِ الَّذِي يُطَافُ بِهِ بَعْدَ التَّعْرِيفِ، إِمَّا يَوْمَ النَّحْرِ، وَإِمَّا بَعْدَهُ، لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ"(٢).

الثاني: أن هذا النوع من الطواف مقيد بعدد محدد، ورد ذلك التقييد من فعل رسول الله ﷺ، فقد ورد في حديث جابر-رضي الله عنه، قَالَ: "لما قدم النَّبي ﷺ مَكَّة دخل الْمَسْجِد فاستلم الْحجر، ثُمَّ مَضَى عَلَى يَمِينِهِ، فَرَمَلَ ثَلَاثًا، وَمَشَى أَرْبَعًا"(٣).

فدل الحديث على أن رسول الله ﷺ حدد أعداد أشواط الطواف بالبيت، وبناء على ذلك، فإن الزيادة على العدد الذي حدده رسول الله ﷺ غلو في الدين، وابتداع فيه، وقد حذر رسول الله ﷺ من ذلك بقوله: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ) (٤)، وبقوله: (مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا

(١) البيان بالقرآن، (١/٩٠-٩١).

(٢) جامع البيان، (١٦/٥٣١).

(٣) صحيح مسلم، برقم، (١٢١٨)، (٢/٨٩٣).

(٤) صحيح البخاري، برقم، (٢٥٥٠)، (٢/٩٥٩)، صحيح مسلم، برقم، (١٧١٨)، (٣/١٣٤٣).

فَهُوَ رَدٌّ)[(١)]، وكذلك العلماء حذروا من مخالفة هدي رسول الله ﷺ في كل الأمور الشرعية، ومن ذلك ما روي أن رجلاً أتى مالكاً بن أنس[(٢)]، فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة[(٣)]، من حيث أحرم رسول الله ﷺ فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل؛ فإني أخشى عليك الفتنة، فقال: فأي فتنة في هذه؟ إنما هي أميال أزيدها. قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ إني سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣][(٤)].

الثالث: أن الطواف بالبيت من أفضل الأعمال، ويندب الإكثار منه؛ كونه صلاة، لما جاء في الحديث: (الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ صَلَاةٌ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَبَاحَ فِيهِ الْمَنْطِقَ)[(٥)]،

---

(١) صحيح مسلم، برقم، (١٧١٨)، (٣/١٣٤٣).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) ذو الحُليفة: بضم الحاء، فلام مفتوحة، فياء ساكنة، ففاء مفتوحة، وآخر الحروف هاء تأنيث، تصغير حلفاء، الميقات المدني، ويعرف اليوم ببيار علي، وهي على تسعة أكيال من المدينة على طريق مكة، وهو أبعد المواقيت كلها. ينظر: الأماكن، ما اتفق لفظه وافترق مسماه، محمد بن موسى الهمداني، ص٣٧٧، وفاء الوفاء، مرجع سابق، (٢/١٥٩)، النفحة المسكية في الرحلة المكية، أبو البركات السويدي، ص٣١٤، معالم مكة التأريخية والأثرية، عاتق بن غيث البلادي، ص١٦١.

(٤) الاعتصام، (٢/٥٣٤).

(٥) سنن الدارمي، برقم، (١٨٨٩)، (٢/١١٦٥)، سنن النسائي، برقم، (٢٩٢٢)، (٥/٢٢٢)، المنتقى، برقم، (٤٦١)، (١/١٢٠)، صحيح ابن حبان، برقم، (٣٨٣٦)، (٩/١٤٣)، المعجم الكبير، الطبراني، برقم، (١٠٩٥٥)، (١١/٣٤). والحديث صحيح، كما قاله الشيخ الألباني، =

لكن العلماء يرون أنه لا ينبغي للإنسان أن يكثر من الطواف في موسم الحج، اقتداء برسول الله ﷺ فإنه حين حج لم يطف إلا طواف النسك، طواف القدوم، وطواف الإفاضة، وطواف الوداع، وذلك من أجل إفساح المجال للطائفين(١).

(٨) قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

قال مصطفى المهدوي: "مقام إبراهيم عليه السلام هو المكان الذي يقوم فيه إبراهيم مصليًا، وهو معروف من الكعبة بالضلع ذي الباب الذي يؤدي إلى داخلها. والدليل على أن المقام في البيت الحرام يأخذ مكانه الصحيح من الكعبة كما حفظه الله، وورود المقام مرتبطًا بتطهير الكعبة في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، فحين يدخل المسلمون لتطهير البيت أو يخرجوا منه بعد تطهيره فإنهم يصلون من قبل أو من بعد باتخاذ هذا الضلع قبلة، وهذا هو الموضع الطبيعي والمنطقي إذ لا يتصور أن يذهبوا بعيدًا عن الباب بحثًا عن ضلع آخر، والكعبة كلها قبله"(٢).

وقال ابن قرناس: "وقد كان لإبراهيم مقام يصلي فيه عرف باسمه من كثرة تواجده"(٣).

ومن خلال تفسيرهم للآية يتضح أنهم يعنون بمقام إبراهيم عليه السلام مكان صلاته.

=

ينظر: التعليقات الحسان على ابن حبان، برقم، (٣٨٢٥)، (٦/٤٩).

(١) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، (٢٢/٢٥٩).

(٢) البيان بالقرآن، (١/٩١-٩٢).

(٣) سنة الأولين، ص٩٣٦.

ويجاب عن ذلك، بما يأتي: وردت أقوال في المراد بمقام إبراهيم[1] إلا أنه لم يرد منها ما ذكره منكرو السنة من أنه مكان صلاته، فيكون قولهم ذلك مخالفاً لأقوال العلماء والمفسرين.

وقد عرف جمهور من المفسرين المقام، فقالوا: المقام مفعل من القيام، يراد به المكان، أي: مكان قيامه، وهو الحجر المعروف الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام عند بنائه الكعبة، حين ارتفع بناؤه، وضعف عن حمل الحجارة، فكان إسماعيل عليه السلام يناوله الحجارة، وكَانَ أثر أصَابِع رجليه بَيِّنَة فِيهِ، واندرس من كَثْرَة مسح الْأَيْدِي[2]، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: "رَأَيْتُ الْمَقَامَ فِيهِ أَثَرُ أَصَابِعِهِ عليه السلام وإخْمَص قَدَمَيْهِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَذْهَبَهُ مَسْحُ النَّاسِ بِأَيْدِيهِمْ"[3].

وعامة ما ورد فيه ذكر المقام من الأحاديث والآثار وكلام السلف والأئمة يبين ذلك[4]، وهذا القول في التعريف بمقام إبراهيم هو القول المصحح والمرجح عند جمهور أئمة التفسير[5]، قال ابن جرير الطبري: "وأولى هذه الأقوال

---

(١) منها: الحج كله، وقيل: عرفة ومزدلفة والجمار، وقيل: الحرم كله. ينظر: أحكام القرآن، الجصاص، (٩٢/١)، أحكام القرآن، ابن العربي، (٣٧٢/١)، المحرر الوجيز، (٢٠٨/١)، اللباب في علوم الكتاب، (٤٦٣/٢)، نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، محمد صديق خان، ص٢٠.

(٢) ينظر: جامع البيان، (٥٢٦/٢)، البحر المحيط، (٥٩٧/١)، تفسير القرآن، السمعاني، (١٣٧/١)، الهداية إلى بلوغ النهاية، (٤٣١/١).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢٩٤/١)، أخبار مكة، الفاكهي، (٤٥٠/١).

(٤) مقام إبراهيم، عبد الرحمن المعلمي، ص٤١.

(٥) ينظر: النكت والعيون، (١٨٧/١)، معالم التتريل، (١٦٣/١)، زاد المسير في علم التفسير، (١٠٩/١)، لباب التأويل، (٧٧/١)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، (٣٩٢/١)، إرشاد العقل السليم، (١٥٧/١).

بالصواب عندنا، ما قاله القائلون: إن مقام إبراهيم هو المقام المعروف بهذا الاسم، الذي هو في المسجد الحرام "[١].

وقال الرازي: "القول الأول: إنه موضع الحجر الذي قام عليه إبراهيم ﷺ واتفق المحققون على أن القول الأول أولى"[٢].

وقال القرطبي: "واختلف في تعيين المقام على أقوال، أصحها- أنه الحجر الذي تعرفه الناس اليوم الذي يصلون عنده ركعتي طواف القدوم"[٣].

وقال الشوكاني: "وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ تَدُلُّ عَلَى: أَنَّ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ هُوَ الْحَجَرُ الَّذِي كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقُومُ عَلَيْهِ لِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ لَمَّا ارْتَفَعَ الْجِدَارُ، أَتَاهُ إِسْمَاعِيلُ بِهِ لِيَقُومَ فَوْقَهُ، كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ مُلْصَقًا بِجِدَارِ الْكَعْبَةِ"[٤].

ومقام إبراهيم ﷺ في زمننا هذا، هو المقام المنصوب عليه زجاج، وشبك مذهب، تجاه الكعبة من جهة الشرق عن يمين الكعبة[٥]، ذكر أنه كان ملتصقًا بجدار الكعبة، حتى أخره عمر رضي الله عنه في إمارته إلى ناحية الشرق؛ ليتمكن الطائفون من الطواف، ولا يشوشون على المصلين عنده بعد الطواف[٦].

---

(١) جامع البيان، (٢/٥٢٨).

(٢) مفاتيح الغيب، (٤/٤٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٢/١١٢).

(٤) فتح القدير، (١/١٦٤).

(٥) ينظر: أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، د. إبراهيم بن صالح الخضيري، (١/١٣٣)، المعالم الأثرية في السنة والسيرة، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، ص٢٧٧.

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٢/٧٩)، عمدة القاري، (٩/٢١٢)، فتح القدير، (١/١٦٤).

المبحث الثالث
الآيات المتعلقة بالمعاملات

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

قال محمد أبو زيد: "أي الربا الفاحش، وبمعنى آخر الربح الزائد عن حده في رأس المال، وتقدره كل أمة بعرفها"(١).

ويرى محمد توفيق صدقي أن الفوائد المصرفية حلال، وأنها ليست من الربا المحرم، وركز الاهتمام بقضية الأضعاف المضاعفة، وأن الآية التي تحرم الربا تقصد هذا بالذات(٢).

وقال محمد شحرور: "لا يوجد في النظام المصرفي الإسلامي قرض مفتوح الأجل قد تبلغ الفوائد فيه أكثر من ضعف المبلغ، لذا فإن أجل القرض في المصارف الإسلامية كحد أعلى هو حتى تبلغ الفائدة ضعف المبلغ، ففي هذه الحالة يجب أن يكون المبلغ مسدداً، وفي الحالات التي تبلغ فيها الفائدة أكثر من ضعف المبلغ الأصلي فيحق للمدين الامتناع عن دفع ما زاد عن الضعف.

هذه هي أساس النظام المصرفي الإسلامي، حيث إن المصارف هي عصب الاقتصاد الحديث من تجارة وصناعة وزراعة. ففي حالة تقيد المصارف بهذه

---

(١) الهداية والعرفان، ص٥٣.

(٢) ينظر: الربا وعلاقته بالممارسات المصرفية والبنوك الإسلامية، جمال البنا، ص٣٥.

القاعدة فلا مانع أن يضع المسلم ماله في هذه المصارف لكي تديره ويأخذ عليه الفوائد"[١].

ومن خلال هذا يتضح أنهم يرون جواز الربا اليسير، وذلك لأن الآية الكريمة إنما حرمت الربا الفاحش ﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ الذي تكون نسبة الربا فيه مرتفعة، وقولهم هذا باطلٌ من وجوه:

أولها: أن قوله تعالى: ﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾، لَيْسَ لِتَقْيِيدِ النَّهْيِ لِمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ تَحْرِيمِ الرِّبَا عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلَكِنَّهُ جِيءَ بِهِ بِاعْتِبَارِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعَادَةِ الَّتِي يَعْتَادُونَهَا فِي الرِّبَا[٢]، قال ابن جرير:" يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثناؤُهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا فِي إِسْلَامِكُمْ، بَعْدَ إِذْ هَدَاكُمْ لَهُ، كَمَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَهُ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ، وَكَانَ أَكْلُهُمْ ذَلِكَ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَكُونُ لَهُ عَلَى الرَّجُلِ مَالٌ إِلَى أَجَلٍ، فَإِذَا حَلَّ الْأَجَلُ طَلَبَهُ مِنْ صَاحِبِهِ، فَيَقُولُ لَهُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَالُ: أَخِّرْ عَنِّي دَيْنَكَ وَأَزِيدُكَ عَلَى مَالِكَ فَيَفْعَلَانِ ذَلِكَ، فَذَلِكَ هُوَ الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، فَنَهَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِسْلَامِهِمْ عَنْهُ"[٣].

ثانيها: أن التحريم في هذه الآية (جزئي) لا (كلي)؛ لأنه تحريم لنوع من الربا الذي يسمى (الربا الفاحش)، وهو الربا الذي بلغ في الشناعة والقبح الذروة العليا، وبلغ في الإجرام النهاية العظمى، حيث كان الدَّيْنُ فيه يتزايد حتى يصبح

---

(١) الكتاب والقرآن، ص٤٧٠.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، (٢/٨٤)، فتح القدير، (١/٤٣٦)، فتح البيان في مقاصد القرآن، (٢/٣٢٩)، محاسن التأويل، (٢/٤١١).

(٣) جامع البيان، (٦/٤٩).

أضعافاً مضاعفة، يضعف عن سداده كاهل المستدين، الذي استدان لحاجته وضرورته، وهو يشبه تحريم الخمر في المرحلة الثالثة حيث كان التحريم جزئياً لا كلياً في أوقات الصلاة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣]، ثم نزل التحريم الكلي القاطع، الذي لا يفرّق فيه القرآن بين قليل أو كثير، والذي تدل النصوص الكريمة على أنه قد ختم فيه التشريع السماوي بالنسبة إلى حكم الربا، فقد نزل قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩].وهذه الآيات الكريمة التي كانت المرحلة النهائية في تحريم الربا[1].

ثالثها: أن السنة قد ورد فيها من النصوص ما يدل على تحريم الربا بجميع أنواعه، ومنها: حديث: (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ)، وَقَالَ: (هُمْ سَوَاءٌ)[2]. ومنها قوله ﷺ:(اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ)[3].

رابعها: الإجماع منعقد على حرمة الربا قليله وكثيره، وهذه بعض أقوال

---

(١) روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، باختصار يسير، (٣٩٠/١).

(٢) صحيح مسلم، برقم، (١٥٩٨)، (١٢١٩/٣).

(٣) صحيح البخاري، برقم،(٢٦١٥)، (١٠١٧/٣)، صحيح مسلم، برقم، (٨٩)، (٩٢/١).

أهل العلم في ذلك:

قال ابن المنذر[١]: "أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْمُسَلِّفَ إذَا شَرَطَ عند السلف، هَدِيَّةً أو زيادة، فَأَسْلَفَ عَلَى ذَلِكَ، أَنَّ أَخْذَ الزِّيَادَةِ ربا"[٢].

قال ابن قدامة[٣]: "وَكُلُّ قَرْضٍ شَرَطَ فِيهِ أَنْ يَزِيدَهُ، فَهُوَ حَرَامٌ، بِغَيْرِ خِلَافٍ"[٤].

وقال شيخ الإسلام: "اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْمُقْرِضَ مَتَى اشْتَرَطَ زِيَادَةً عَلَى قَرْضِهِ كَانَ ذَلِكَ حَرَامًا"[٥].

وقال العيني: "وَقد أجمع الْمُسلمُونَ بِالنَّقْلِ عَن النَّبِي ﷺ أَن اشْتِرَاط الزِّيَادَة فِي السّلَف ربا حرَام"[٦].

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) الإجماع، ابن المنذر، ص١٣٦، وينظر: الإقناع، ابن المنذر، (٢/٥٧٨).

(٣) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، الحنبلي. فقيه، محدّث، ولد بجماعيل، وهي قرية بجبل نابلس بفلسطين، سنة (٥٤١هـ). كان حجة في المذهب الحنبلي. برع وأفتى وناظر وتبحر في فنون كثيرة. قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية:"ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من ابن قدامة". له كتب كثيرة أشهرها: المغني في شرح الخرقي في الفقه، الكافي في الفقه، المقنع في الفقه، الهداية، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، توفي، سنة (٦٢٠هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ، (٤/١٥٩)، ذيل طبقات الحنابلة، (٢/٢٨١)، الوافي بالوفيات، (١٧/٢٣).

(٤) المغني، (٤/٢٤٠).

(٥) مجموع الفتاوى، (٢٩/٣٣٤).

(٦) عمدة القاري، (١٢/٤٥).

وقال الشوكاني: "أَمَّا إِذَا كَانَتْ الزِّيَادَةُ مَشْرُوطَةً فِي الْعَقْدِ فَتَحْرُمُ اتِّفَاقًا"(١).

خامسها: أن الله ﷻ أتى بقوله: ﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ توبيخًا لهم على ما كانوا يفعلون، وإبرازاً لفعلهم السيئ، وتشهيرًا به، وقد جاء مثل هذا الأسلوب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النور: ٣٣]. فليس الغرض أن يحرم عليهم إكراه الفتيات على البغاء في حالة إرادهن التحصن، وأن يبيحه لهم إذا لم يردن التحصن، ولكنه يبشع ما يفعلونه ويشهر به، ويقول لهم: لقد بلغ بكم الأمر أنكم تكرهون فتياتكم على البغاء وهن يردن التحصن، وهذا أفظع ما يصل إليه مولى مع مولاته، فكذلك الأمر في آية الربا، يقول الله لهم: لقد بلغ بكم الأمر في استحلال أكل الربا أنكم تأكلونه أضعافاً مضاعفة، فلا تفعلوا ذلك(٢).

سادسها: أن "كلمة الربا كلُ زيادةٍ على رأس المال قلّت أو كثرت، وهذا هو المعنى الحقيقي والاشتقاقي للكلمة. أما تخصيصها بالربا الفاحش فهو اصطلاح أوروبي حادث، يعرف ذلك كل مطلع على تاريخ التشريع"(٣).

"وخلاصة القول، أن كل محاولة يراد بها إباحة ما حرمه الله، أو تبرير ارتكابه بأي نوع من أنواع التبرير، بدافع المجاراة للأوضاع الحديثة أو الغربية، والانخلاع عن الشخصية الإسلامية، إنما هي جرأة على الله، وقول عليه بغير

---

(١) نيل الأوطار، (٥/٢٧٥).

(٢) تفسير القرآن، العشرة الأجزاء الأولى، محمود شلتوت، ص١٢٣، وينظر: إرشاد العقل السليم، (٦/١٧٣).

(٣) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، (٣/٦٢).

علم، وضعف في الدين، وتزلزل في اليقين"(١).

(٢) قال تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾[البقرة: ٢٨٢].

قال ابن قرناس: "وليس في كتاب الله ما يدل على أن شهادة المرأة لا تساوي شهادة الرجل، بما في ذلك شهادة توثيق المداينات، والمعاملات المالية، التي وردت في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ......﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وهذه الشهادة جاءت عندما كان التوثيق يتم من خلال شهادة الشهود، وعندما كان مجال المال والأعمال من اختصاص الرجال في تلك الأيام، على الغالب، بينما للمرأة مجالات أخرى تشغل بالها أكثر من التجارة، وهذا قد يتسبب في نسيانها تفاصيل ما حدث؛ لأن الإنسان ينسى الأشياء والأحداث التي لا يهتم بها أسرع من نسيانه لما يثير اهتمامه"(٢).

وهذا تأويل باطل؛ لأمور:

الأول: أن هذا القول مخالف لظاهر الآية، فقد دلت الآية أنه عند عدم وجود الرجل الثاني يعدل إلى المرأتين مقابل الرجل﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾، قال صديق حسن خان(٣): "وفيه أن المرأتين في الشهادة برجل، وأنها لا تجوز شهادة النساء

---

(١) تفسير القرآن، شلتوت، ص١٢٤.

(٢) سنة الأولين، ص٨٥٠، ٨٥١.

(٣) محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني القِنَّوجي، أبو الطيب: ولد ونشأ في قنوج (بالهند)، سنة، (١٢٤٨ه)، وتعلم في دهلي. له مصنفات عدة، منها: فتح البيان في مقاصد القرآن، نيـــل =

إلا مع الرجل لا وحدهن، إلا فيما لا يطلع عليه غيرهن للضرورة"(١).

الثاني: أنه مخالف لما ورد عن رسول الله ﷺ من كون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل، فقد جاء في الحديث، قال : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: (يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ)، فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ)، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ)، قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: (فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ)، قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: (فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا)(٢). قال شارح صحيح البخاري: "وأشار بقوله:(مثل نصف شهادة الرجل) إلى قوله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ﴾؛ لأن الاستظهار بأخرى يؤذن بقلة ضبطها، وهو يشعر بنقص عقلها"(٣).

الثالث: أجمع العلماء على القول بظاهر هذه الآية فأجازوا شهادة النساء مع الرجال(٤)، وعليه فإنه لا يجوز العدول إلى قولٍ غيره بجعل شهادة المرأة تساوي شهادة

=

المرام من تفسير آيات الأحكام، أبجد العلوم،وغيرها. توفي سنة، (١٣٠٧هـ). ينظر: الأعلام، (١٦٧/٦)، معجم المؤلفين، (٩٠/١٠)، إيضاح المكنون، (١٠/٢)، هدية العارفين، (٣٨٨/٢).

(١) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، ص١١٧.

(٢) صحيح البخاري، برقم، (٢٩٨)، (١١٦/١).

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، (٣٤٦/١).

(٤) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (٢٦٦/٥).

الرجل كما قال ابن قرناس.

الرابع: أن رسالة المرأة في حياتها اليومية تستلزم بقاءها في البيت في غالب الأوقات، وبخاصة أوقات البيع والشراء، ووجودها حيث تجري المعاملات المالية بين الناس لا تقع إلا نادراً، وما كان كذلك فليس من شأنها أن تحرص على تذكره حين مشاهدتها؛ لأنها غالباً ما تمر عابرة لا تلقي له بالاً، فإذا جاءت تشهد كان احتمال نسيانها وارداً، فإذا شهدت معها أخرى زال احتمال النسيان(١).

الخامس: آية الدين ترشد إلى أكمل وجوه الاستيثاق، ومن المعلوم أن المرأة في الغالب لا تشغل بالها بالمعاملات المالية، فما لم تعتده أو تشتغل به فإن احتمال النسيان في حقه وارد، بخلاف الأمور التي تعنيها من شؤون النساء والمترل(٢).

(٣) قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [النور: ٤].

قال ابن قرناس: "والزنا مثله مثل كل المجالات الأخرى، ومما استنبطه فقهاء المذاهب الأربعة من أدلة الزنا، عدم قبول شهادة النساء في الزنا وفي غير الزنا؛ لأنهن نساء، وليس لأن اشتراط شهادة الرجال للزنا جاء، لأن المرأة الصالحة لا يتوقع منها -عادة- أن تتجرأ وتتجاسر لتكون في وضع يسمح لها بالتأكد من أن

---

(١) حقوق المرأة في ضوء السنة النبوية، د. نوال العيد، ص٣٦٦.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

ميل الرجل قد دخل في مكحلة المرأة؛ لأن حياءها الفطري يمنعها، كما يمنعها حياؤها التلفظ بالعبارات الجنسية الصريحة التي تتطلبها الشهادة في حالة الزنا: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤)﴾ ولو حدث وتجرأت امرأة بالشهادة على حالة زنى، على غير عادة النساء، فليس هناك ما يمنع قبول شهادها؛ لأن قوله تعالى:﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾، وقوله:﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ [النساء: ١٥]، ليس فيها ما يدل على أها موقوفة على الرجال، فلو كان الشهود الأربعة مكونين من رجل وثلاث نساء، أو رجلين وامرأتين، أو ثلاث رجال وامرأة، فسيطلق عليهم(أربعة شهداء)"[(١)].

ومن خلال كلام ابن قرناس يتضح أنه يسعى إلى جعل شهادة النساء في حد الزنى مقبولة، وقوله هذا باطل من وجوه:

الأول: أن قوله تعالى: (شُهَدَاءَ): جمع شاهد، أي يشهدون عليهن بوقوع الزنى، والمراد بالشهداء الرجال؛ لأن الآية ذكرت العدد مؤنثاً(بأربعة)، ومن المعلوم أن الهاء بعد الثلاثة إلى العشرة إنما تدخل في عدد المذكر دون المؤنث، فالعدد يؤنث إذا كان المعدود مذكراً، ويُذكَّر إذا كان المعدود مؤنثاً فتقول: (أربع نسوة، وأربعة رجال)[(٢)].

الثاني: وأما استشهاده بقوله تعالى: (أَرْبَعَةً مِنْكُمْ)، فهذا عليه لا له، فَلَفْظُ

(١) سنة الأولين، ص٨٥٠.

(٢) ينظر: البيان في مذهب الشافعي، العمراني، (٣٢٤/١٣)، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، (٥٦/٢).

أَرْبَعَةٍ نَصٌّ فِي الْعَدَدِ وَالذُّكُورَةِ، كما قال العلماء(١).

الثالث: إجماع الصحابة في زمن النبي ﷺ والخليفتين من بعده على عدم جواز شهادة النساء، قال الزُّهْرِيِّ(٢) رحمه الله تعالى: "مَضَتْ السُّنَّةُ مِنْ لَدُنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ لَا تَجُوزَ شَهَادَةُ النِّسَاءِ فِي الْحُدُودِ"(٣).

الرابع: إجماع العلماء قديماً وحديثاً على اشتراط الذكورة في شهود الزنى، فلا بد أن يكونوا رجالاً كلهم(٤).

قال ابن قدامة: "وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونُوا رِجَالًا أَحْرَارًا، فَلَا تُقْبَلُ شَهَادَةُ النِّسَاءِ وَلَا الْعَبِيدِ"(٥).

الخامس: أن الحكمة من تشديد الشارع الحكيم في شهادة الزنا؛ هو الحفاظ

---

(١) ينظر: العناية شرح الهداية، جمال الرومي البابرتي، (٣٩٦/٧)، قرة عين الأخيار، ابن عابدين، (٤٨٥/٧).

(٢) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شِهَاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر: ولد سنة، (٥٨هـ)، كان أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعي، من أهل المدينة. كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه. مات بشَغْب، آخر حدّ الحجاز وأول حد فلسطين، سنة، (١٢٤هـ). ينظر: الطبقات الكبرى، متمم التابعين، ابن سعد، ص١٥٧، التاريخ الكبير، البخاري، (٢٢٠/١)، ذكر أسماء التابعين، الدار قطني، (٣١٣/١)، الإمام الزهري المحدث، سليمان الحازمي، ص٢٢.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، برقم، (٢٨٧١٤)، (٥٣٣/٥).

(٤) ينظر: البناية شرح الهداية، العيني، (٣٤٦/٦)، البيان في مذهب الإمام الشافعي، العمراني، (٣٥١/١٣)، الإقناع، ابن المنذر، (٣٤٤/١)، رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، (٧/٤)، أضواء البيان، (٣٧٣/٥)، الموسوعة الفقهية الكويتية، (٢٧/٢٤).

(٥) المغني، (١٣٠/١٠).

على الأعراض، وسد باب الظلم، ودرء الشبهات، ولأنه قد يكون في الشهادة على الزنا إزهاق للأرواح؛ فجعلها مختصة بالرجال دون النساء؛ لِأَنَّ فِي شَهَادَةِ النِّسَاءِ ضَرْبًا مِنْ الشُّبْهَةِ فَإِنَّ الضَّلَالَ وَالنِّسْيَانَ يَغْلِبُ عَلَيْهِنَّ وَيَقِلُّ مَعَهُنَّ مَعْنَى الضَّبْطِ وَالْفَهْمِ بِالْأُنُوثَةِ[1].

(٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ..... ﴾[النساء: ١١].

قال ابن قرناس: "هذا ما قالته سورة النساء عن المرأة، والذي يمكن إجماله بالتالي:.... ...أن المرأة لا تقل عن الرجل في كل شيء، ولذلك فهي ترث مثله، كما أن كونها يتيمة لا يعني هضم حقوقها (الآيات٢-١٤)"[2].

قال محمد شحرور: "الحد الأعلى للذكر والحد الأدنى للأنثى، بمعنى أنه مهما بلغ التفاوت في تحمل الأعباء الاقتصادية للأسرة أي أن الرجل مسؤول مسؤولية كاملة والمرأة لا تتحمل أية مسؤولية، بمعنى المسؤولية الاقتصادية ١٠٠% على الرجل وصفر على المرأة، ففي هذه الحالة جاءت حدود الله لتعطينا أن يأخذ الذكر ضعف الأنثى، فهنا الحد الأدنى للأنثى ٣٣،٣%، والحد الأعلى للذكر ٦٦،٦% ، فإذا أعطينا الذكر ٧٥%، والأنثى ٢٥% نكون قد تجاوزنا حدود الله، وأما إذا أعطينا الذكر ٦٠%، والأنثى ٤٠% فلا نكون قد تجاوزنا حدود الله بل بقينا ضمنها. وبما أن الله قد أعطانا الحد الأعلى للذكر والحد الأدنى

(١) ينظر: المبسوط، السرخسي، (١٦/١١٤).

(٢) سنة الأولين، ص٧٥٧.

للأنثى فيأتي دور الاجتهاد حسب الظروف الموضوعية التاريخية بتقريب الفرق بينهما، وهذا التقريب مسموح حتى التساوي الكامل فيما بينهما طبقاً للحالات الإرثية المنفردة كل على حدة أو طبقاً للوضع التاريخي التطوري العام أو طبقاً للاثنين معاً، وهذا التقريب بينهما يحتاج إلى بينات مادية إحصائية، لا إلى عواطف جياشة مع المرأة أو مع الرجل"(١).

ومما سبق من كلام منكري السنة النبوية عن الآية القرآنية التي تحدد الفروض المقدرة للورثة، يتبين موقفهم من الإرث وقسمته فيما يأتي:

١- أنهم يدعون إلى المساواة المطلقة بين الذكر والأنثى في قسمة الإرث.

٢- أن هذه الأنصبة المقدرة المفروضة من الله قد تتغير من الأعلى إلى الأدنى، ومن الأدنى إلى الأعلى، والأمر راجع فيها إلى الاجتهاد.

٣- أن التغيير في الأنصبة لا يكون إلا في صالح الأدنى(الأنثى) بمعنى أن النقص من نصاب الذكر لتعطاه الأنثى جائز، وأما العكس فهذا تعد لحدود الله تعالى.

وهذا القول الذي ذهب إليه منكرو السنة باطلٌ ومردودٌ من وجوه:

الأول: قولهم هذا مخالف لصريح الآية السابقة، فظاهر الآية يقول: "يَعْهَدُ إِلَيْكُمْ رَبُّكُمْ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْكُمْ، وَخَلَّفَ أَوْلَادًا ذُكُورًا وَإِنَاثًا، فَلِوَلَدِهِ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ مِيرَاثُهُ أَجْمَعُ بَيْنَهُمْ، لِلذَّكَرِ مِنْهُمْ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ وَارِثٌ غَيْرُهُمْ، سَوَاءٌ فِيهِ صِغَارُ وَلَدِهِ وَكِبَارُهُمْ وَإِنَاثُهُمْ فِي أَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ

(١) الكتاب والقرآن، ٤٥٨، ٤٥٩.

لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ"(١).

الثاني: لأهمية الفرائض وتقديرها تولى الله ﷻ توزيعها على النحو المبين في كتابه، توزيعاً عدلاً، وفصلها -غالباً- في آيات معلومة؛ لكيلا يضل الناس، وإن ضلوا فعن بينة؛ إذ الأموال وقسمتها محط أطماع الناس، وهي -في أغلبها- مظنة الظلم؛ لاختلاف أصناف الورثة من ذكر وأنثى، وكبير وصغير، وغني وفقير، وقوي وضعيف، وفي هذا التقسيم حكم جليلة، فلا ينبغي للآراء والأهواء أن تتدخل في قسمتها(٢)، قال الإمام الشافعي رحمه الله: "فَهَذِهِ الْآيُ فِي الْمَوَارِيثِ كُلِّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ انْتَهَى بِمَنْ سَمَّى لَهُ فَرِيضَةً إلَى شَيْءٍ، فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَزِيدَ مَنْ انْتَهَى اللَّهُ بِهِ إلَى شَيْءٍ غَيْرِ مَا انْتَهَى بِهِ، وَلَا يَنْقُصُهُ"(٣).

الثالث: أن محمد شحرور في محاولته مساواة الرجل بالمرأة في الميراث لا يسير وراء المساواة العادلة، بل يسير وراء المساواة الظالمة، حيث سار في تعامله مع الأنصبة الشرعية المقدرة بميزان غير عادل، حكم فيه هواه، واتبع فيه شيطانه، فزعم أن الأنصبة الشرعية المقدرة في سورة النساء تنقسم إلى حدين الحد الأعلى (ميراث الذكر)، وهذا لا تجوز الزيادة عليه، ويجوز النقص منه، وجعل الحد الأدنى(ميراث الأنثى)، وهذا الحد يجوز الزيادة فيه، ولا يجوز فيه النقص، وهذا ظلم منه وتلاعب؛ حيث أباح في أحد النصيبين ما لم يجزه في الآخر، فنقص من

---

(١) جامع البيان، (٦/٤٥٦، ٤٥٧).

(٢) ينظر: تنظيم الإسلام للمجتمع، محمد أبو زهرة، ص١٣٧، مختصر الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم التويجري، ص٨٧٩.

(٣) الأم، (٤/٨٠).

نصيب الذكر، وزاد في نصيب الأنثى، واعتبر أن ذلك الأمر ليس فيه مجاوزة لحدود الله، وأما إذا حصل العكس بالزيادة في نصيب الذكر والنقص من نصيب الأنثى فاعتبار ذلك تعدياً لحدود الله، فكيف يكون ذلك، مقياسين في آن واحد؟ إنّ هذا له الظلم بذاته، والجور بعينه.

الرابع: أن القسمة الإلهية في توزيع المواريث، هي القسمة العادلة والموافقة للفطرة الإنسانية؛ "ذلك لأن التكليفات المالية التي تطالب بها المرأة دون التكليفات المالية التي يطالب بها الرجل، وذلك في كل الأمم في غالب الأحوال، فهو المطالب بنفقة الأولاد وإصلاحهم، ويمدهم بحاجاتهم، وإن الفطرة الإنسانية هي التي جعلت المرأة قوامة على البيت، والرجل كادحاً لتوفير القوت، فكان هذا داعياً لأن يطالب هو بتقديم المال، وتطالب هي بتدبير البيت، وهذا بلا شك يجعل حاجة البنت إلى المال دون حاجة الابن، وحاجة الأخ الشقيق أو الأب دون حاجة الأخت الشقيقة أو لأب"(١).

(١) تنظيم الإسلام للمجتمع، مرجع سابق، ص١٣٥.

المبحث الرابع
الآيات المتعلقة بالجنايات

تهدف الشريعة الإسلامية من خلال تشريعها للعقوبات والحدود على الجنايات إلى إقامة مجتمع سليم، خال من الأمراض الاجتماعية التي تؤدي إلى الإضرار بأفراده، والإخلال بأمنه واستقراره، وكان الشارع الحكيم قد سن تلك الحدود لحِكَمٍ بالغة، ومقاصد عالية، إلا أن منكري السنة النبوية قد سعوا من خلال كتاباتهم إلى التلاعب بتلك الحدود، وحاولوا وضع الكثير من العراقيل أمام إقامتها، من خلال التأويل لآياتها، والتشكيك في شرعيتها، ويرجع السبب في ذلك-من وجهة نظر الباحث- إلى أمرين:

الأول: محاولة التقرب من الحضارة الغربية، من خلال التنصل من الحدود والعقوبات الشرعية، كي يظهروا أمامها أكثر انفتاحاً وتطوراً.

الثاني: نشر الفساد والفوضى في أوساط المجتمعات الإسلامية؛ تحقيقاً لرغبات أسيادهم من الغربيين، وليس غريباً على هؤلاء القوم؛ فالقارئ لكتبهم يجد أنهم في أغلبها يدعون إلى هدم أخلاق الأمة[1].

ولكي تتضح الصورة أكثر عن موقفهم من الحدود الشرعية، يعرض الباحث لبعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن الجنايات والحدود الشرعية، وكيف قاموا

---

(١) ينظر في ذلك على سبيل المثال: الكتاب والقرآن، ص٦٠٤ - ٦١٥، الحديث والقرآن، ص٦٢، ٨٨، ١١٤، ٢٥٦، تذكير الأصحاب بتحريم النقاب، د. إسماعيل منصور، ص٢٦، المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء، جمال البنا، ص٢٨.

بتأويلها تأويلاً فاسداً، مخالفين بذلك تفاسير علماء الأمة من السلف والخلف.

(١) قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: ٣٢].

قال أحمد صبحي منصور: "القرآن هنا لا يتحدث عن مجرد جريمة القتل، وإنما يتحدث عن الجريمة الأخطر والأفدح، وهي الافتاء بالقتل ظلماً، أو بالتعبير القرآني الذي هو محور القصة﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾ [المائدة: ٣٠] أي فالذي يفتي بقتل نفس لم تقتل أو غير مستحقة للقتل أو قتل نفس خارج القصاص فكأنما قتل الناس جميعاً؛ لأنه باختصار أصدر فتوى قابلة للتنفيذ والتطبيق في كل عصر وفي كل مكان، أي أصدر فتوى تقتل الناس جميعاً"(١).

ويتضح من كلام أحمد صبحي منصور أنه يريد صرف معنى الآية الظاهر إلى معنى آخر يريد تسويقه من خلال الآية القرآنية، وهو أن علماء الأمة عندما يفتون بقتل المرتد(٢)، فإنه يعتبر ذلك القتل للمرتد ظلماً، فصرف الآية من قتل ابن آدم لأخيه إلى الفتوى بقتل المرتد.

إن القرآنيين عندما ينظرون إلى الآية القرآنية التي يريدون تأويلها لا يتعبون أبصارهم بالنظر إلى الآيات التي تسبقها والتي تليها، لكي يتبين لهم عن أي شيء

---

(١) حد الردة، ص٦٢.

(٢) سيتم الحديث-إن شاء الله- عن حد الردة في آخر هذا المبحث.

تتحدث هذه الآية وما علاقتها بسياقها، إنما همهم النظر إلى الآية التي يظنون أنها قد تعينهم على بث فكر أو رأي منحرف، وإن كان لا يتصل بالآية من قريب أو بعيد، لقد غلب على تأويلاتهم السطحية، والخلل في الفهم؛ لأنهم حرموا أنفسهم المعين الصافي للتفسير، وهو الفهم النبوي للآيات، وفهم أئمة السلف ومن تبعهم من أئمة التفسير الذين كانوا أعلم الناس بالقرآن، فهو صرف معنى الآية وما شرعه الله على بني إسرائيل في حكم قتل النفس الإنسانية ظلماً إلى الفتوى بقتل المرتد.

هذه الآية هي في سياق الحديث عن قصة ابني آدم عليه السلام وقد عقبها الله سبحانه، بقوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، قال ابن كثير رحمه الله: "يَقُولُ تَعَالَى: ﴿مِنْ أَجْلِ﴾ قَتْلِ ابْنِ آدَمَ أَخَاهُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا: ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أَيْ: شَرَعْنَا لَهُمْ وَأَعْلَمْنَاهُمْ ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أَيْ: وَمَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ سَبَبٍ مِنْ قِصَاصٍ، أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ، وَاسْتَحَلَّ قَتْلَهَا بِلَا سَبَبٍ وَلَا جِنَايَةَ، فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا؛ لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَ نَفْسٍ وَنَفْسٍ، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ أَيْ: حَرَّمَ قَتْلَهَا وَاعْتَقَدَ ذَلِكَ، فَقَدْ سَلِمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ مِنْهُ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾"(١). فالآية لا تتحدث عن الفتوى بالقتل.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٩٢/٣).

(٢) قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الإسراء: ٣٣].

قال أحمد صبحي: "ومعناه أن الله-تعالى-حرم قتل النفس، وتلك هي القاعدة الأساسية، والاستثناء الوحيد هو القصاص الذي نزل في كلام الله الحق"(١).

وقال محمد شحرور: "هنا وضع الوصية الخامسة، وشرح معنى (إِلَّا بِٱلْحَقِّ)، وهو أنه عقوبة من يقتل إنساناً ظلماً أي بدون ذنب اقترفه ويستحق عليه القتل(النفس بالنفس)"(٢).

ومن خلال كلامهما يفهم أنهم يذهبون في تفسير (إِلَّا بِٱلْحَقِّ) إلى أن الحق في قتل النفس لا يكون إلا عن القتل للنفس فقط، وهذا أمر صحيح، ولكن أوجب الشرع حقوقاً أخرى توجب القتل عند اقترافها، ومنها الردة والزنى بعد إحصان، قال ابن جرير رحمه الله: "وَقَوْلُهُ: (إِلَّا بِٱلْحَقِّ)، يَعْنِي: بِمَا أَبَاحَ قَتْلَهَا بِهِ مِنْ أَنْ تَقْتُلَ نَفْسًا فَتُقْتَلَ قَوَدًا بِهَا، أَوْ تَزْنِيَ وَهِيَ مُحْصَنَةٌ فَتُرْجَمَ، أَوْ تَرْتَدَّ عَنْ دِينِهَا الْحَقِّ فَتُقْتَلَ، فَذَلِكَ الْحَقُّ الَّذِي أَبَاحَ اللَّهُ-جَلَّ ثَنَاؤُهُ- قَتْلَ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ قَتْلَهَا بِهِ"(٣)، وهذا الذي جاء مبيناً في السنة النبوية، فقد جاء عن رَسُولُ اللَّهِﷺ أنه قال: (لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ

(١) حد الردة، ص٦٦.

(٢) الكتاب والقرآن، ص٥١١.

(٣) جامع البيان، (٩/٦٦٢).

الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ)[١].

(٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨)﴾ [البقرة: ١٧٨].

قال مصطفى المهدوي: "ومعنى الآية الكريمة واضح كل الوضوح من قوله تبارك وتعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ فالخطاب لأولي الأمر الذين جعل الله لهم سلطاناً في قتل من يقتل مظلوماً بغير الحق دون أن يسرفوا في القتل. وبيان هذا القصاص أنه ينفذ حر بحر، وعبد بعبد، وأنثى بأنثى، فلا يسلم القاتل الحر لعبد ينفذ فيه عقوبة القتل، ولا يسلم القاتل العبد لحر ينفذ فيه هذه العقوبة، ولا تسلم الأنثى القاتلة للرجال يقتصون منها بل تسلم لأنثى تقتلها، ويتفق هذا الحكم مع الفطرة التي فطر الناس عليها"[٢].

ووجه استدلال مصطفى المهدوي بالآية أنه قال لا يسلم القاتل الحر لعبد ينفذ فيه عقوبة القتل، ولا يسلم القاتل العبد لحر ينفذ فيه هذه العقوبة، ولا تسلم الأنثى القاتلة للرجال يقتصون منها بل تسلم لأنثى تقتلها، واعتبر ذلك أنه الموافق للفطرة، وهذا الفهم فاسد؛ لأنه خلاف ما فهمه الأئمة من أهل التفسير وغيرهم من الآية، حيث قالوا في معنى الآية "يَقُولُ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ العدلُ

---

(١) صحيح البخاري، برقم، (٦٤٨٤)، (٦/٢٥٢١)، صحيح مسلم، برقم، (١٦٧٦)، (٣/١٣٠٢).

(٢) البيان بالقرآن، (١/٣٤٢).

فِي الْقِصَاصِ-أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ-حُرّكم بَحُرِّكُمْ، وَعَبْدُكُمْ بِعَبْدِكُمْ، وَأُنْثَاكُمْ بِأُنْثَاكُمْ، وَلَا تَتَجَاوَزُوا وَتَعْتَدُوا، كَمَا اعْتَدَى مَنْ قَبْلَكُمْ وَغَيَّرُوا حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ"[١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَقْتُلُونَ الرَّجُلَ بِالْمَرْأَةِ، وَلَكِنْ يَقْتُلُونَ الرَّجُلَ بِالرَّجُلِ، وَالْمَرْأَةَ بِالْمَرْأَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ)، فَجَعَلَ الْأَحْرَارَ فِي الْقِصَاصِ سَوَاءً فِيمَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَمْدِ رِجَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ فِي النَّفْسِ، وَفِيمَا دُونَ النَّفْسِ، وَجَعَلَ الْعَبِيدَ مُسْتَوِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَمْدِ فِي النفس وفيما دون النفس رجالهم وَنِسَاؤُهُمْ"[٢].

وأما من يقيم الحد على القاتل، فلا خلاف بين جمهور العلماء أن الأمر موكل إلى ولي الأمر[٣]، قال القرطبي: "لا خلاف أن القصاص في القتل لا يقيمه إلا أولو الأمر الذين فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود وغير ذلك؛ لأن الله-سبحانه-خاطب جميع المؤمنين بالقصاص، ثم لا يتهيأ للمؤمنين جميعاً أن يجتمعوا على القصاص، فأقاموا السلطان مقام أنفسهم في إقامة القصاص وغيره من الحدود"[٤].

وقال أيضاً: "اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتص من أحد حقه دون السلطان، وليس للناس أن يقتص بعضهم من بعض، وإنما ذلك

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/٤٨٩).

(٢) جامع البيان، (٣/١٠٠)، تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (١/٢٩٤).

(٣) ينظر: الكافي في فقه الإمام أحمد، (٤/١٠٦)، بداية المجتهد، (٤/٢٢٨)، كشاف القناع عن متن الإقناع، (٦/٧٨)، نيل الأوطار، (٧/١٤٧)، الموسوعة الفقهية الكويتية، (١٤/٧٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، (٢/٢٤٥، ٢٥٥).

لسلطان أو من نصَّبه السلطان لذلك، ولهذا جعل الله السلطان ليقبض أيدي الناس بعضهم عن بعض"[١].

وأما من ينفذ القصاص فهذا راجع إلى ولي الأمر يأمر بتنفيذه من يحسنه[٢]، جاء في فقه السنة[٣] "وعلى الحاكم أن يتفقد آلة القتل التي يقتص بها مخافة الزيادة في التعذيب، وأن يوكل التنفيذ إلى من يحسنه"، ودليل ذلك عمل رسول الله ﷺ حيث قال: (وَاغْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا)[٤].

والإجماع قائم على أن ولي الأمر يختار لإقامة الحدود رجلاً[٥]، قال الشيخ عبد الكريم الخضير: "الحدود من أعمال الرجال لا النساء، وإلا ما قال: اذهبي يا فلان إلى امرأة هذا، والمرأة بالنسبة للمرأة، يعني لو كان الأمر يقبل نيابة المرأة في مثل هذا لقال: اذهبي يا فلانة، يعني للتحقيق مع هذه المرأة، فدل على أن هذا من عمل الرجال لا النساء"[٦].

وهذا هو الأسلم والأقرب والموافق للفطرة، بأن يوكل القيام بكل عمل من يحسنه، وأما أن تقوم المرأة بالقصاص فهذا خلاف الفطرة؛ إذ من المعلوم أن المرأة ضعيفة عن القيام بهذه المهمة، وفيه ضرر عليها وعلى من تقوم بإقامة الحد

---

(١) المرجع السابق، (٢/٢٥٦).

(٢) ينظر: الشرح الممتع، (٩/٣٤٤).

(٣) لسيد سابق، (٢/٥٣٨).

(٤) صحيح البخاري، برقم، (٢١٩٠)، (٢/٨١٣)، صحيح مسلم، برقم،(١٦٩٧)، (٣/١٣٢٤).

(٥) ينظر: موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، سعدي أبو جيب، (١/٣٢٨).

(٦) شرح بلوغ المرام، عبد الكريم الخضير، دروس مفرغة، ص٢١.

عليها، وعليه فإن الحق خلاف ما ذهب إليه مصطفى المهدوي.

(٤) قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ﴾ [النور: ٢].

قال مصطفى المهدوي: "يستنبط مما تقدم أن (أل) التعريف لا ترد في القرآن ارتجالاً، بل ترد في موضعها لتفيد الدوام والاستقرار والثبات"(١).

وقال أيضاً: "(أل) التعريف ليست نفلاً في القرآن الكريم ولا ترد في الكتاب ارتجالاً، سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، ولذلك فإن الزانية والزاني هما اللذان أعدّا للفاحشة بيتاً يركن إليه بصفة ثابتة وبنظام مستقر، هذان يجلدان مائة جلدة دون رأفة، وجلداً علنياً يشهده طائفة من المؤمنين"(٢).

وقال محمد أبو زيد: "يطلق هذا الوصف على المرأة والرجل إذا كانا معروفين بالزنا، وكان من عادهما وخلقهما، فهما بذلك يستحقان الجلد"(٣).

وقال سامر إسلامبولي: "الزنى:كلمة تدل على وجود طاقة داخلية تدفع الإنسان(الذكر أو الأنثى) إلى ممارسة العلاقة الجنسية بصورة دائمة ومتنقلة من جهة إلى أخرى(دعارة)، حيث يشتهر عنه ذلك السلوك، ويعرف في وسطه الاجتماعي، ويوصف به (الزاني أو الزانية)، أما أن يمارس الزنى (الإشباع الجنسي من خلال دور الدعارة) دون امتهان ذلك أو الإدمان عليه، لا يكتسب

---

(١) البيان بالقرآن، (٣٥٢/١).

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) الهداية والعرفان، ص٢٧٤.

اسم الفاعل (الزاني)، وإنما يقال: إنه يمارس الزنى كفعل، وبالتالي لا يطبق عليه حد الزاني، وإنما يطبق عليه عقوبة رادعة مؤذية يختارها المجتمع، وإن كان متزوجاً، يطبق عليه حد الخيانة الزوجية"(١).

ويفهم من كلامهم أن الحد لا يقام على الزاني أو الزانية إلا إذا استمرا عليها وأصبحت خلقاً وعادة، وهذا قول نشاز باطل، وبيان بطلانه من وجوه:

الأول: أن النبي ﷺ أقام الحد على من اقترف هذه الفاحشة مرة واحدة، و لم يثبت أنه سأل من أقام عليه الحد هل هي المرة الأول أم الثانية، بل بمجرد الاعتراف أو الشهود، أقام عليه الحد، ودليله، حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي المَسْجِدِ، فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي زَنَيْتُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَتَّى رَدَّدَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ، دَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: (أَبِكَ جُنُونٌ؟) قَالَ: لاَ، قَالَ: (فَهَلْ أَحْصَنْتَ؟)، قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ)(٢).

الثاني: الحقيقة الشرعية تقتضي إطلاق الزاني على كل من زنى من غير شرط تكرر الزنا، فالزاني كل من زنى ولو مرة واحدة، ولم يرد اشتراط التكرار في القرآن ولا في السنة ولا في كلام أحد من السلف أو من الخلف فيما نعلم حتى جاء في هذا القرن الرابع عشر من يشترط تكرر الزنا(٣).

---

(١) حوارات ثقافية، ص١١٣.

(٢) صحيح البخاري، برقم، (٦٤٣٠)، (٦/٢٤٩٩)، صحيح مسلم، برقم، (١٦٩١)، (٣/١٣١٨).

(٣) ينظر: تحريف المصطلحات القرآنية، د. فهد الرومي، ص٥٨.

الثالث: أن كلمة (الزاني) اسم فاعل، تدل على ذات الفعل، وليس على تجدد قيام الوصف بالذات أو التعود عليه، وهو ما يختلف عن صيغة المبالغة التي تدل على معنى زائد في حدوث الصفة(١).

الرابع: وفي قولهم هذا إباحة للزنى والفجور، ودعوة خطيرة إلى تعطيل الحدود الشرعية التي يؤدي تعطيلها إلى تدمير المجتمعات الإسلامية، ونشر الفساد وانتهاك الحرمات والأعراض، وتجعل الإنسان خائفاً على انتهاك عرضه، من أناس لا يوجد من يردعهم عن ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء.

الخامس: أن إقامة حد الزنى من أول مرة فيه من الحكمة أنه يردع النفس التي تأمر بالفحشاء، ويكف الدوافع الداخلية عن ممارسة ذلك العمل مرة أخرى، قال الطاهر بن عاشور: "فبإقامة العقوبة على الجاني يزول من نفسه الخبث الذي بعثه على الجناية، والذي يظن أن عمل الجناية أرسخه في نفسه إذ صار عملياً بعد أن كان نظرياً"(٢).

(٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾﴾ [النور: ٨].

قال محمد شحرور: "فرغم أنه تعالى يعني بالعذاب في الآية الجلد المنصوص عنه صراحة في الآية الثانية من سورة النور بقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ..... وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور: ٢]، ورغم أن العذاب شيءٌ والقتل بالرمي بالحجارة شيءٌ آخر، فالعذاب يمكن شطره إلى نصفين كما في

---

(١) الانحراف الفكري في التفسير المعاصر، يحيى شطناوي، (١/٣٥٤).

(٢) مقاصد الشريعة، ص٥١٦.

حكم جلد الأمة الزانية في آية النساء(٢٥)[١]، وأما القتل والرمي بالحجارة حتى الموت فلا نصف له كما يقول الإمام الشافعي في كتاب الرسالة. نقول رغم ذلك كله يصر المفسرون والفقهاء على أن العذاب في الآية هو الرجم"[٢].

قال سامر إسلامبولي: "ومحل الشاهد هو كلمة (العذاب) التي ترجع في دلالتها إلى حد عقوبة الزنى مائة جلدة، فالمرأة أو الرجل إن مارسا الفاحشة(الخيانة الزوجية) وأثبت أحدهما ذلك من خلال الشهود الأربعة، يقام على الخائن منهما عقوبة مئة جلدة"[٣].

يفهم من كلامهما أن الحد الذي يقام على الزاني المحصن هو الجلد لا الرجم، وهذا قول باطل، يجاب عنه بما يأتي:

أولاً: الذي ذهب إليه جمهور العلماء أن المعني (بالعذاب) في الآية الكريمة، هو الحد،

فتجلد المرأة غير المدخول بها، وإن كانت مدخولاً بها ترجم[٤]، قال الضحاك بن مزاحم[٥] في قوله ﷻ:(وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ): "إن هي أبت أن تلاعن

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾[النساء: ٢٥].

(٢) القصص القرآني، (٢)، ٨٩.

(٣) حوارات ثقافية، ص١١٣.

(٤) ينظر: جامع البيان، (١٧/ ١٨٧)، الهداية إلى بلوغ النهاية، (٨/٥٠٤٠)، النكت والعيون، (٤/٧٧)، تفسير السمعاني، (٣/٥٠٤)، البحر المحيط، (٨/١٨)، محاسن التأويل، (٧/٣٣٤)، أيسر التفاسير، (٣/٥٥٠).

(٥) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، تابعي مولده ببلخ، وكان ممن عني بعلم القرآن عناية =

رجمت إن كانت ثيباً، وجلدت إن كانت بكراً"[١]. وقال مكي بن أبي طالب[٢]: "العذاب هنا: الرجم، ومعناه العذاب الذي عهدتم من فعل نبيكم، ولذلك أتى بالألف واللام"[٣].

"وهو قول أكثر أهل العلم بتأويل القرآن وأكثر فقهاء الأمصار"كما قاله ابن عبد البر[٤].

وقال بدر الدين العيني[٥]: "والعذاب الذي يدرأ للزوجة عن نفسها هو

=

شديدة مع لزوم الورع، مات سنة، (١٠٥هـ)، لم يسمع من ابن عباس ولا من أحد من الصحابة شيئاً، وانما لقى سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير، قال الذهبي:" وَهُوَ قوي فِي التَّفْسِير". ينظر: مشاهير علماء الأمصار، ص٣٠٨، المغني في الضعفاء، ص٣١٢، غاية النهاية في طبقات القراء، (٣٣٨/١).

(١) أحكام القرآن، الجصاص، (١٤٧/٥)، وفي مصنف ابن أبي شيبة، من قول مكحول، (٥٠٧/٥)، الاستذكار، (٩١/٦).

(٢) مكى بن أبى طالب حَمّوش القيسىّ المقرئ، يكنى أبا محمد، أصله من القيروان، وسكن قرطبة، كان من أهل التبحر فى علوم القرآن والعربية. حسن الفهم، جيد الدين كثير التأليف فى علوم القرآن والعربية. ولد سنة (٣٥٥هـ)، وتوفي سنة (٤٣٧هـ)، له مصنفات، منها: الكشف عن وجوه القراءات وعللها، الهداية إلى بلوغ النهاية، التبصرة في القراءات السبع، وغيرها. ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، (٣١٣/٣)، معرفة القراء الكبار، ص٢٢٠، طبقات المفسرين، الداوودي، (٣٣١/٢).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية، (٥٠٤٠/٨).

(٤) التمهيد، (٣٣/١٥).

(٥) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العينى الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في عينتاب، سنة (٧٦٢هـ)، توفي بالقاهرة، سنة (٨٥٥ه). له
=

الرجم، وأهل السنة مجمعون على أن الرجم من حكم الله"(١).

وقال ابن رشد: "والجمهور أنها تحد وحدها الرجم إن كان دخل بها ووجدت فيها شروط الإحصان، وإن لم يكن دخل بها فالجلد"(٢).

ثانياً: أن كلمة العذاب في قوله تعالى: (**وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ**)، لا يصح أن يراد بها الجلد؛ لأمرين: الأول: أن الجلد في الآية الأولى في بيان حق الزاني البكر، وليست في حق الزاني المحصن، ودليل ذلك ما جاء في الحديث أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ، وَالرَّجْمُ)(٣).

الثاني: يشهد لما قلنا من أن المراد بالعذاب الرجم، قوله ﷺ لخولة بنت قيس كما في بعض الروايات:(الرجم أهون عليك من غضب الله)(٤). حيث فسر رسول الله ﷺ العذاب المدروء عنها بالرجم(٥).

ثالثاً: أن قولهم هذا هو ما ذهب إليه الخوارج والمعتزلة من قبلهم، قال

=

مؤلفات، منها: عمدة القاري في شرح البخاري، مغاني الاخيار في رجال معاني الآثار، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. ينظر: نظم العقيان في أعيان الأعيان، ص١٧٤، البدر الطالع، (٢٩٢/٢)، فهرس الفهارس، (٨٣٩/٢).

(١) عمدة القاري، (١٧٠/٢٣).

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (١٣٨/٣).

(٣) صحيح مسلم، برقم، (١٦٩٠)، (١٣١٦/٣).

(٤) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، الزيلعي، (٤٢١/٢).

(٥) ينظر: تحفة الأحوذي، (٣٢٦/٤)،

الشنقيطي رحمه الله: "أجمع أهل العلم على أن من زنى، وهو محصن يرجم، ولم نعلم بأحد من أهل القبلة خالف في رجم الزاني المحصن، ذكرًا كان أو أنثى إلا ما حكاه القاضي عياض وغيره عن الخوارج، وبعض المعتزلة كالنظام وأصحابه، فإنهم لم يقولوا بالرجم، وبطلان مذهب من ذكر من الخوارج، وبعض المعتزلة واضح من النصوص الصحيحة الصريحة الثابتة عن رسول الله ﷺ وأصحابه بعده"[1].

(٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [النساء: ١٥ – ١٦].

قال مصطفى المهدوي: "فالحديث في هذه الآية الكريمة عن زوج أتت الفاحشة، وهي محصنة في بيت زوجها، ولا تثبت عليها الفاحشة إلا بأحد طريقين لا ثالث لهما أن يشهد على ذلك أربعة من المؤمنين ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾، أو أن يشهد الزوج أربع شهادات بالله أنه صادق فيما رماها به من إتيان الفاحشة، وشهادة خامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، وهو ما يسميه الفقهاء باللعان﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [النور: ٦ – ٧]، فإذا ثبت أنها قد اقترفت الفاحشة

(١) أضواء البيان، (٥/٣٧٢).

بأحد هذين الدليلين وجب أن يقضى بتحديد إقامتها في بيت من بيوت المؤمنين حتى يتوفاها الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً"(١).

وقال مصطفى المهدوي: "وقالوا بأن الزوجة إذا زنت وجب رجمها وأصر بعضهم على أن الرجم في هذه الحالة يعتبر من حدود الله ورووا في ذلك ما رووا من القصص والأحاديث، والله يشهد أنه ليس في القرآن رجم على الإطلاق، وقد بين الله حكم الزوجة التي تثبت عليها الفاحشة بما يغني عن الرد على ما يقولون، وإنما يعنينا أن نبين أن عقوبة الرجم لم يأت بها إلا اليهود فيما يروونه في أسفارهم"(٢).

ومن خلال كلام مصطفى المهدوي يفهم أنه يرى أن عقوبة الزانية المحصنة هي الحبس في البيت(٣)، وبطلان هذا الرأي من وجوه:

الأول: أن الآية تتحدث عن عقوبة الزناة في أول الإسلام قبل نزول الحدود، فكان الحكم الحبس في البيوت، والتعيير والأذى باللسان، وهذا لا خلاف عليه بين السلف(٤).

الثاني: أن ذلكم الحكم الوارد في الآيتين كان ممدوداً إلى غاية (حتى جعل الله

(١) البيان بالقرآن، (١/٣٤٤).

(٢) المرجع السابق، (١/٣٥٤).

(٣) وإليه ذهب سامر إسلامبولي. ينظر: حوارات ثقافية، ص١١٢.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (٣/٨٩٣)، أحكام القرآن، الجصاص، (٣/٤١)، الوجير، الواحدي، ص٢٥٥، معالم التنزيل، (١/٥٨٢)، السراج المنير، الشربيني، (١/٢٨٨)، المبسوط، (٩/٣٦).

لهن سبيلاً)، وهو رجم المحصن وجلد غير المحصن[١] الوارد في قوله ﷺ:(خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ، وَالرَّجْمُ)[٢].

فـ"التَّكْرِيرُ فِي قَوْلِهِ: (خُذُوا عَنِّي) يَدُلُّ عَلَى ظُهُورِ أَمْرٍ قَدْ خَفِيَ شَأْنُهُ، وَاهْتَمَّ بِبَيَانِهِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ: (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) مُبْهَمٌ فِي التَّنْزِيلِ، وَلَمْ يُعْلَمْ مَا تِلْكَ السَّبِيلُ، أَيِ: الْحَدُّ الثَّابِتُ فِي حَقِّ الْمُحْصَنِ، وَغَيْرِهِ"[٣].

وقال ابن سعدي: "وهذه الآية ليست منسوخة، وإنما هي مغياة إلى ذلك الوقت، فكان الأمر في أول الإسلام كذلك حتى جعل الله لهن سبيلاً، وهو رجم المحصن وجلد غير المحصن"[٤].

الثالث: أن السنة القولية والفعلية الواردة عن رسول الله ﷺ قد دلت على أن حد الزاني المحصن الرجم، وأمره ﷺ بإقامة الحد على الزاني المحصن بالرجم، كما في قصة ماعز بن مالك[٥]، والغامدية[٦]،

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص١٧١، شبهات حول أحاديث الرجم وردها، سعد المرصفي، ص٢٠.

(٢) سبق تخريج الحديث قريباً.

(٣) إرشاد الساري، (١٠/٢١)، مرقاة المفاتيح، (٦/٢٣٢٩).

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص١٧١.

(٥) سبق ذكر الحديث الوارد في ذلك.

(٦) عن بريدة ﷺ، أن رسول الله ﷺ:جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأَزْدِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي، فَقَالَ: «وَيْحَكِ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ» فَقَالَتْ: أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: «وَمَا ذَاكِ؟» قَالَتْ: إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزِّنَى، فَقَالَ: «آنْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، =

وغيرهما[١]، وعليه سار صحابته الراشدون من بعده، فقد جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن عمر ﷺ، قال: "إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ الحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا، رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: وَاللَّهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ، وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أُحْصِنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا قَامَتِ البَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ الحَبَلُ أَوِ الاعْتِرَافُ"[٢].

الرابع: أن حد الرجم على الزاني المحصن رجلاً كان أو امرأة قول جمهور أهل العلم من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من علماء الأمصار على جميع الأعصار، ولم يخالف في ذلك إلا الخوارج وبعض المعتزلة[٣]، ممن نقل ذلك ابن عبد البر، حيث قال: "وَأَجْمَعَ فُقَهَاءُ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَاؤُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْأَثَرِ

=

فَقَالَ لَهَا: «حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ»، قَالَ: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّةُ»، فَقَالَ: «إِذًا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ، قَالَ: فَرَجَمَهَا. صحيح مسلم، برقم، (١٦٩٥)، (٣/١٣٢٣).

(١) لما رواه جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أنه قال: "رَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ، وَرَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ، وَامْرَأَةً ". الحديث في مسند الإمام أحمد، برقم، (١٤٤٤٧)، (٢٢/٣٤٢).

(٢) صحيح البخاري، برقم، (٦٤٤٢)، (٦/٢٥٠٣).

(٣) ينظر: المغني، ابن قدامة، (٩/٣٥)، مراتب الإجماع، ص١٢٩، الإجماع، ابن عبد البر، ص٢٨٦، الشرح الكبير على متن المقنع، (١٠/١٥٥)، الإحكام في أصول الأحكام، (٦/١٦٨)، المقدمات الممهدات، أبو الوليد الباجي، (٣/٢٤٩).

مِنْ لَدُنِ الصَّحَابَةِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا أَنَّ الْمُحْصِنَ حَدُّهُ الرَّجْمُ"(١).

وابن بطال(٢)، قال: "أجمع الصحابة وأئمة الأمصار على أن المحصن إذا زنى عامداً عالماً مختاراً فعليه الرجم، ودفع ذلك الخوارج وبعض المعتزلة"(٣).

(٧) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ۝١٥ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ۝١٦﴾ [النساء: ١٥ - ١٦].

قال محمد أبو زيد: "(واللاتي...) إشارة إلى فعلة النساء بعضهن مع بعض"(٤).

وقال أيضاً: "(واللذان...) إشارة إلى فعلة الذكر مع الذكر"(٥).

قال ابن قرناس: "إذا اقترفت الفتاة فاحشة السحاق﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾[النساء: ١٩]، فعندها يطبق بحقها الحد الذي ورد في آية سابقة من

(١) التمهيد، (٩/٧٩).

(٢) علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن: عالم بالحديث، من أهل قرطبة، كَانَ من أهل الْعلم والمعرفة والفهم، مليح الْخط حسن الضَّبْط، عني بِالْحَدِيثِ الْعِنَايَة التَّامَّة، وَشرح صَحِيح البُخَارِيّ فِي عدَّة مجلدات وَرَوَاهُ النَّاس عَنهُ، وَكَانَ ينتحل الْكَلَام على طَرِيقَة الْأَشْعَرِيّ، توفي سنة(٤٤٩ه) . ينظر: الوافي بالوفيات، (٢١/٥٦)، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، قاسم بن قُطْلُوْبَغا، (٧/٢٠٤)، ديوان الإسلام، (١/٣٤٠).

(٣) فتح الباري، ابن حجر، (١٢/١١٨)، عون المعبود، (١٢/٥٩).

(٤) الهداية والعرفان، ص٦٣.

(٥) المرجع السابق، ص٦٣.

السورة نفسها، والمتمثل في حبسها في المترل حتى الموت أو يجعل الله لها سبيلاً، مثل أن تعالج نفسياً عن السحاق أو يتزوجها من سيحرص على مداواتها وإبعادها عن السحاقيات"(١).

وقال ابن قرناس: "أما الآية رقم(١٦) في سورة النساء نفسها فقد جاءت لتشريع حد لمن يفعل فعل قوم لوط من الرجال(وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ).والإيذاء يكون نفسياً، ويكون بمنعهما من الميزات المالية والعمل وفضح فعلهما ونشره على الملأ، وأي إيذاء آخر يسيء لسمعتهما له علاقة بما اقترفاه. وهذا العقاب أبلغ وأشد وأقسى من أي عقاب بدني كالجلد"(٢).

ويتضح من أقوالهم هذه أنهم جعلوا الآية الأولى في حكم السحاق بين النساء، والآية الثانية في بيان حكم اللواط بين الرجال(٣)، وقد أجيب عن هذا التأويل الفاسد من وجوه(٤):

الأول: أن المفسرين مجمعون على أن المراد بالفاحشة هنا الزنا.

الثاني: أنه روي في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال: (قد جعل الله لهن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد)(٥). وهذا يدل على أن هذه الآية نازلة في حق

---

(١) سنة الأولين، ص٧٥٢، وينظر: ص٧٥٦.

(٢) المرجع السابق، ص٨٦٠.

(٣) وهو-أيضاً- قول سامر إسلامبولي. ينظر: حوارات ثقافية، ص١١٢.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، (٥٢٩/٩)، البحر المحيط، (٤٥٥/٣)، النسخ في القرآن، مصطفى زيد، (٣٢٢/٢).

(٥) سبق تخريج الحديث قريباً.

الزناة.

الثالث: أن الصحابة اختلفوا في أحكام اللواط، ولم يتمسك أحد منهم بهذه الآية، فعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم إلى نص يدل على هذا الحكم من أقوى الدلائل على أن هذه الآية ليست في اللواطة.

الرابع: أنه لا يسوغ لغة أن تذكر الفاحشة في الآية الأولى بمعنى المساحقة، ثم يعاد الضمير عليها بمعنى اللواطة في الآية الثانية، مع أن العقوبة التي تشرعها الآيتان مختلفة!

الخامس: أنه لا يعقل ولا يتصور أن تكون عقوبة المساحقة الحبس حتى الموت، وعقوبة اللواط مجرد الإيذاء، مع أن جريمة اللواط أخطر على كيان المجتمع من المساحقة، ومع أن المساحقة لم يشرع لها حد، وشرع للواط قتل الفاعل والمفعول به، ومع أن الله ﷻ قد خسف الأرض بمرتكبيها، واستأصلهم بالعذاب بكرهم وثيبهم، ولم يوقع بالمساحقات بعض هذا!.

السادس: وأما قوله: إن العقاب النفسي أشد من العقاب الجسدي، فهذا لا يسلم به؛ لأن العذاب الجسدي قد شمل العقابين النفسي والجسدي معاً من خلال إقامة الحد وشهود المسلمين عليه.

(٨) قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨].

قال مصطفى المهدوي: "ما يقال عن السارق والسارقة إلا ما قد قيل عن الزانية والزاني، فقد ورد النص عليها في هذه الآية بأل التعريف،....، السارق والسارقة، هو كل من ينظم حياته ومعيشته على السرقة فيمشي بها بين الناس

مصراً عليها لا يعدل عنها ولا يريد أن يتحول إلى عمل صالح يرتزق منه في جماعة المسلمين، ويشيع أمره بين الناس حتى يعرف بالسرقة. هذان تقطع أيديهما، وليس يد كل منهما اليمنى أو اليسرى﴿ فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾، تقطع اليدان معاً بتراً بآلة حادة"[١].

وقال محمد أبو زيد: "(السارق والسارقة) تعطي معنى التعود، أي: أن السرقة صفة من صفاتهم الملازمة لهم، ويظهر لك من هذا المعنى أن من يسرق مرة أو مرتين ولا يستمر في السرقة، ولم يتعود اللصوصية لا يعاقب بقطع يده؛ لأن قطعها فيه تعجيز له، ولا يكون ذلك إلا بعد اليأس من علاجه"[٢].

قال محمد شحرور: "فإذا نظرنا في لفظ السارق، نجد أنها وردت بصيغة اسم الفاعل من فعل سرق، التي تدل على دوام وطول ممارسة الفاعل لهذا الفعل، كقولنا كاتب. ونفهم أنه سبحانه يعني السارق الذي داوم على السرقة ومارسها طويلاً حتى أصبحت مهنة له، ويحدد له جزاءه ذكراً كان أم أنثى بقطع الأيدي. ونفهم أنه تعالى لا يعني أبداً الإنسان الذي سرق مرة واحدة"[٣].

ومن خلال كلام منكري السنة النبوية السابق عن حد السرقة يفهم منه ما يلي:

-أن حد السرقة لا يقام إلا على من داوم على هذا الفعل، واستمر عليه

(١) البيان بالقرآن، (١/٣٥٦، ٣٥٧).

(٢) الهداية والعرفان، ص٨٨.

(٣) نحو أصول جديد للفقه الإسلامي، ص١٠١.

حتى أصبح صفة لازمة يعرف بها بين الناس، وأما من سرق مرة أو مرتين فلا يعد سارقاً.

-أن يد السارق لا تقطع إلا بعد اليأس من علاجه؛ لأن قطع يده من أول مرة فيه تعجيز له.

وهذه تأويلات فاسدة، يجاب عنها بما يلي:

أولاً: نرد على هذا بما قلنا في حد الزنا من أن مدلول كلمة (السارق) اللغوي لا يساعد على هذا الفهم؛ فالسارق اسم فاعل تدل على صفة قام بها السارق، وليس هناك ما يشير إلى ضرورة تجددها[1]. فمن المعروف أن معنى "السَّارِقُ الَّذِي سَرَقَ سَرِقَةً وَاحِدَةً، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ الْوَاحِدُ الِاعْتِبَارِيُّ الَّذِي هُوَ مَجْمُوعُ السَّرِقَاتِ، وَإِلَّا لَتَوَقَّفَ قَطْعُ السَّارِقِ عَلَى آخِرِ الْحَيَاةِ إذْ لَا يُعْلَمُ تَحَقُّقُ جَمِيعِ سَرِقَاتِهِ إلَّا حِينَئِذٍ، وَهُوَ بَاطِلٌ بِالْإِجْمَاعِ"[2].

ثانياً: ما قالوه من شرط الدوام والاستمرار لا يوجد له ما يثبته من دليل شرعي ثابت من الكتاب والسنة، إذ الثابت عن النبي ﷺ قولاً وفعلاً أنه أقام حد السرقة على من بلغه أنه سرق ما يستحق عليه إقامة الحد لأول مرة، فقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ البَيْضَةَ[3]

(١) ينظر: الانحراف الفكري في التفسير المعاصر، مرجع سابق، (١/٣٥٧).

(٢) شرح التلويح على التوضيح، التفتازاني، (١/٣٠٨).

(٣) قَالَ الأَعْمَشُ: "كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ بَيْضُ الحَدِيدِ، وَالحَبْلُ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْهَا مَا يَسْوَى دَرَاهِمَ". صحيح البخاري، (٨/١٥٩).

فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ)[١]. وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ "قطع سارقاً في مِجَنّ قيمته ثلاثة دراهم"[٢].

ثالثاً: أنهم يحاولون بقولهم هذا إظهار أنهم يرحمون السارق من أن يصبح عاجزاً عن كسب رزقه بعد قطع يده، فهم بهذا يرحمون شخصاً ويقسون على أمة بكاملها،؛ إذ عقاب "السارق بالقطع هو الرحمة، رحمة به من أن يأكل حراماً، وأن يغذي جسده وولده بالحرام فتكون النار أولى به، ورحمة بالأمة التي يصيبها القلق والفزع إذا حدثت سرقة في بيت من بيوتها. فإذا قُطِع السارق عرفوا أن لهم حارساً عادلاً، هو شرع الله، والقائمون على تنفيذه"[٣].

رابعاً: أن قولهم هذا بعدم تطبيق الحد على السارق إلا بعد مداومته واستمراره عليها، خلاف الحكمة والعقل والمنطق السليم؛ لأن من الحكمة أن تقطع يد السارق من أول مرة كبحاً لجماح نفسه الأمارة بالسوء عن دخول باب الشر، وليس -أيضاً- من العقل أن يقال: إن علاج السارق لا يكون إلا بعد الاستمرار والتكرار، فما يفيد العلاج بعد انتشار المرض وسيطرته على القلب، فإن من المنطق أن حسم المرض من أوله سهل علاجه، وأما التكرار فإنه يؤدي إلى تمكن حب السرقة من القلب والسيطرة على النفس، ويكون حاله كالماء يسقي الشجرة، فلا تزال شجرة حب السرقة تنمو حتى يفسد القلب

---

(١) صحيح البخاري، برقم، (٦٤٠١)، (١٥٩/٨)، صحيح مسلم، برقم، (١٦٨٧)، (١٣١٤/٣).

(٢) صحيح مسلم، برقم، (١٦٨٦)، (١٣١٣/٣).

(٣) آثار تطبيق الشريعة الإسلامية في منع الجريمة، د. محمد بن عبد الله الزاحم، ص١١٩.

وتعرض عن الفكر فيما أمر به، فيخرج بصاحبه إلى المحن، ويوجب ارتكاب المحظورات والفتن؛ والسبب أن السارق التذّت نفسه بأول سرقة فطلبت المعاودة، كأكل الطعام اللذيذ إذا تناول منه لقمة، ولو أنه غض أولاً لا ستراح قلبه وسلم(١).

خامساً: إن الباحث يؤكد باطمئنان كامل أن شرط منكري السنة لقطع يد السارق الدوام والاستمرار إنما هو محض تضليل وإغواء لفكر الأمة؛ يسعون من ورائه لمشروع خطير يهدمون به جميع الحدود الشرعية، وذلك من أجل نشر الفوضى، وبروز الفساد في أوساط الأمة، وامتلاك الخوف قلوب أبنائها، لخوفهم على أعراضهم، وخوفهم على أموالهم، قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: "إن من أكبر مقاصد الشريعة حفظ نظام الأمة، وليس يحفظ نظامها إلا بسد ثلمات الهرج والفتن والاعتداء، وأن ذلك لا يكون واقعاً موقعه إلا إذا تولته الشريعة ونفذته الحكومة، وإلا لم يزدد الناس بدفع الشر إلا شراً"(٢).

(٩) قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قال أحمد صبحي: "إن المعنى الواضح من الآية أنه لا إكراه في الدين، في كل الدين، فلا ينبغي أن يكون هناك إكراه في دخول الدين ولا إكراه في الخروج من الدين، ولا إكراه في إقامة شعائر الدين فيما يخص حقوق الله"(٣).

---

(١) ينظر: روضة المحبين، ابن القيم، ص٩٥.

(٢) مقاصد الشريعة، ابن عاشور، ص٥١٥.

(٣) حد الردة، ص٦٨.

وقال أحمد صبحي: "ليس هناك مجال في دولة الإسلام الحقيقي ما يعرف بحد الردة، وإلا كان النبي أول من طبقه وأول من ينفذه في المنافقين الذين قال عنهم رب العزة: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥)﴾ [النساء: ١٤٥]"[١].

وقال أيضاً: "ليس غريباً أن يخترع الفقه مدلولات جديدة لم يذكرها تشريع القرآن، وليس غريباً أن يخترع عقوبات تخالف تشريعات القرآن، ومنها ما اصطلحوا على تسميته بحد الردة"[٢].

وقال جمال البنا: "لا يوجد حد دنيوي عن الردة"[٣].

ويتضح من قولهم:

-أنهم يرون حرية الدخول في الدين والخروج منه.

-ليس في الإسلام حد دنيوي للردة؛ لأن النبي ﷺ لم يطبقه على المنافقين.

يجاب عن ذلك بما يأتي:

أولاً: من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز للمسلم أن يخرج من دينه، وإذا خرج منه وجب إقامة حد الردة عليه بعد استتابته، وعلى هذا سارت أمة الإسلام طيلة القرون الماضية، ولم تثر فيها مشكلة الردة، ولم يشكك أحد في حدها، حتى جاءت الإعلانات الدولية تجيز حرية الارتداد، وتكفله

(١) المرجع السابق، ص٤٥.

(٢) حد الرة، ص٢٨.

(٣) موقفنا من العلمانية، ص٢٦.

للإنسان وتجعله من حقوقه التي لا يؤاخذ بها، ونتيجة لتأثر بعض المنتسبين للإسلام بهذا الفكر، وعلى رأسهم طائفة القرآنيين في بلاد الهند التي نادت بفكرة إلغاء حد الردة من الفقه الإسلامي(١)، ومن ثم تسربت هذه الفكرة إلى القرآنيين العرب في مصر وغيرها، فنادى بهذه الفكرة محمد توفيق صدقي(٢)، وتبعه كثير منهم(٣)، وكان هذا الموضوع يحفل بكثير من الاهتمام في كتاباتهم، واعتبروا هذا الحد جريمة لم يثبت في القرآن حد دنيوي لها.

ثانياً: من المعلوم لمن يقرأ القرآن أن حد الردة لم يرد صراحة في القرآن، لكن بعض العلماء استنبط حد الردة من بعض الآيات، فقد قال الجصاص(٤) رحمه الله: "والأصل فيه-قتل المرتد- قول الله تعالى: ﴿ **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** ﴾ [التوبة: ٥]، والمرتد مشرك"(٥).

---

(١) ينظر: الاستدلال الخاطئ بالقرآن والسنة على قضايا الحرية، د. إبراهيم الحقيل، ص٣٢٩-٣٣١، القرآنيون وشبهاتهم، ص٣٢ وما بعدها.

(٢) دين الله في كتب أنبيائه، محمد توفيق صدقي، ص٢١١.

(٣) ينظر: حد الردة، أحمد صبحي منصور، تفنيد حد الردة، جمال البنا، حرية الفكر والاعتقاد، جمال البنا، الهداية والعرفان، ص٣٤، القصص القرآني،(١)، ص٧١، موقفنا من العلمانية والقومية، ص٣٠، وغيرها.

(٤) أحمد بن علي الرازي، أبو بكر الجصاص: فاضل من أهل الري، ولد سنة(٣٠٥ه)، سكن بغداد ومات فيها، سنة (٣٧٠هـ)، جد في طلب العلم حتى انتهت إليه رئاسة الحنفية، من مصنفاته: أحكام القرآن، الفصول في الأصول، شرح مختصر الطحاوي. ينظر:تاريخ بغداد،(٥/٧٢)،الجواهر المضية في طبقات الحنفية،(١/٨٤)،تاج التراجم، ص٩٦.

(٥) شرح مختصر الطحاوي، الجصاص، (٦/١١٣).

واستدل الطاهر بن عاشور، بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]، على أن حد الردة هو القتل، فقال: "وَقَدْ أَشَارَ الْعَطْفُ فِي قَوْلِهِ:(فَيَمُتْ) بِالْفَاءِ الْمُفِيدَةِ لِلتَّعْقِيبِ إِلَى أَنَّ الْمَوْتَ يَعْقُبُ الِارْتِدَادَ، وَقَدْ عَلِمَ كُلُّ أَحَدٍ أَنَّ مُعْظَمَ الْمُرْتَدِّينَ لَا تَحْضُرُ آجَالُهُمْ عَقِبَ الِارْتِدَادِ فَيَعْلَمُ السَّامِعُ حِينَئِذٍ أَنَّ الْمُرْتَدَّ يُعَاقَبُ بِالْمَوْتِ عُقُوبَةً شَرْعِيَّةً، فَتَكُونُ الْآيَةُ بِهَا دَلِيلًا عَلَى وُجُوبِ قَتْلِ الْمُرْتَدِّ"(١).

ثالثاً: من المتفق عليه بين علماء الإسلام أن السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع، وقد ورد عن النبي ﷺ تشريع وحكم بالقتل فيمن ارتد عن الإسلام ، ومن تلك الأحاديث، قوله عليه الصلاة والسلام: (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)(٢).

قال ابن عبد البر: "وَظَاهِرُ هَذَا الْحَدِيثِ يُوجِبُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَنْ غَيَّرَ دِينَ الْإِسْلَامِ أَوْ بَدَّلَهُ فَلْيُقْتَلْ وَيُضْرَبْ عُنُقُهُ"(٣).

وقال بدر الدين العيني: "هَذَا يدل على أن كل من بدل دينه يقتل"(٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: (لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ:النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ)(٥).

---

(١) التحرير والتنوير، (٢/٣٣٥).

(٢) صحيح البخاري، برقم، (٢٨٥٤)، (٣/١٠٩٨).

(٣) الاستذكار، (٧/١٥١).

(٤) عمدة القاري، (١٤/٢٦٤).

(٥) سبق تخريجه قريباً.

قال القاضي عياض: "قوله: (التارك لدينه المفارق للجماعة): عام في كل مفارق للإسلام بأي ردة كانت بينة"(١).

وقال ابن رجب(٢): "وَأَمَّا التَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ، فَالْمُرَادُ بِهِ مَنْ تَرَكَ الْإِسْلَامَ، وَارْتَدَّ عَنْهُ، وَفَارَقَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ"(٣).

وقال النووي: "فَهُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ مُرْتَدٍّ عَنِ الْإِسْلَامِ بِأَيِّ رِدَّةٍ كَانَتْ فَيَجِبُ قَتْلُهُ إِنْ لَمْ يَرْجِعْ إِلَى الْإِسْلَامِ"(٤).

رابعاً: أجمع الصحابة ﷺ على قتل المرتد، ودليل ذلك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ)، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: "فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ"(٥).

قال ابن بطال: "وكانت الردة على ثلاثة أنواع: قوم كفروا وعادوا إلى ما

---

(١) إكمال المعلم، (٥/٢٤٨).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) جامع العلوم والحكم، (١/٣١٨).

(٤) شرح صحيح مسلم، (١١/١٦٥).

(٥) صحيح البخاري، برقم، (٦٨٥٥)، (٦/٢٦٥٧)، وصحيح مسلم، برقم، (٢٠)، (١/٥١).

كانوا عليه من عبادة الأوثان، وقوم آمنوا بمسيلمة(١) وهم أهل اليمامة، وطائفة منعوا الزكاة، وقالوا: ما رجعنا عن ديننا، ولكن شححنا على أموالنا، فرأى أبو بكر رضي الله عنه قتال الجميع، ووافقه على ذلك جميع الصحابة بعد أن خالفه عمر في ذلك، ثم بان له صواب قوله، فرجع إليه"(٢).

وقال ابن قدامة: "وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى وُجُوبِ قَتْلِ الْمُرْتَدِّ. وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَمُعَاذٍ، وَأَبِي مُوسَى، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَخَالِدٍ، وَغَيْرِهِمْ، وَلَمْ يُنْكَرْ ذَلِكَ، فَكَانَ إجْمَاعًا"(٣).

خامساً: إجماع علماء الأمة على قتل المرتد:

قال ابن حزم: "وَاتَّفَقُوا أن من كَانَ رجلاً مُسلماً حراً بِاخْتِيَارِهِ وبإسلام أَبَوَيْهِ كليهمَا أَو تَمَادى على الإسلام بعد بُلُوغه ذَلِك، ثمَّ ارْتَدَّ إِلَى دين كفر كتابي أَو غَيره وأعلن ردته واستتيب فِي ثَلَاثِينَ يَوْمًا مائَة مرّة فتمادى على كفره، وَهُوَ عَاقل غير سَكرَان أَنه قد حل دَمه"(٤).

وقد نقل الإجماع على وجوب قتل المرتد كثير من العلماء(٥).

(١) مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة: متنبئ، من المعمرين. ولد ونشأ باليمامة، قتل سنة، (١٢هـ). ينظر: الأعلام، (٢٢٦/٧).

(٢) شرح صحيح البخاري، (٣٩١/٣).

(٣) المغني، (٣/٩).

(٤) مراتب الإجماع، ص١٢٧.

(٥) ينظر: شرح النووي لصحيح مسلم، (٢٠٨/١٢)، المغني، (٣/٩)، المبدع في شرح المقنع، (٤٧٩/٧)، شرح منتهى الإرادات، (٣٩٤/٣)، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى الرحيباني، (٢٧٥/٦)، الإحكام شرح أصول الأحكام، (٣٨٦/٤)، الموسوعة الفقهية =

سادساً: وأما قولهم لو كان هناك حد دنيوي للمرتد لطبق ذلك الرسول ﷺ على المنافقين، وفي قولهم هذا خلط بين مصطلحين متغايرين، وهما: المنافق والمرتد، فالمنافق: هو من يظهر الإسلام ويبطن الكفر(١)، والمرتد: هو الرَّاجِعُ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ بِإِجْرَاءِ كَلِمَةِ الْكُفْرِ عَلَى اللِّسَانِ، أَوْ فِعْلٍ يَتَضَمَّنُهُ بَعْدَ الْإِيمَانِ(٢)، وأما سبب عدم قتل النبي ﷺ فيبين ذلك شيخ الإسلام–رحمه الله– وننقل كلامه بطوله لنفاسته، قال رحمه الله: "فإن قيل: فلم لم يقتلهم النبي ﷺ مع علمه بنفاق بعضهم وقبل علانيتهم؟. قلنا: إنما ذاك لوجهين:

أحدهما: أن عامتهم لم يكن ما يتكلمون به من الكفر مما يثبت عليهم بالبينة بل كانوا يظهرون الإسلام ونفاقهم يعرف تارة بالكلمة يسمعها منهم الرجل المؤمن فينقلها إلى النبي ﷺ فيحلفون بالله أنهم ما قالوها أو لا يحلفون، وتارة بما يظهر من تأخرهم عن الصلاة والجهاد واستثقالهم للزكاة، وظهور الكراهية منهم لكثير من أحكام الله، وعامتهم يعرفون في لحن القول كما قال الله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [محمد: ٢٩–٣٠]، فأخبر سبحانه أنه لو شاء لعرفهم رسوله بالسيماء في وجوههم، ثم قال:﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾، فأقسم أنه لا بد أن يعرفهم في لحن القول، ومنهم من كان يقول القول أو يعمل العمل فيترل القرآن يخبر أن صاحب ذلك القول والعمل منهم كما في سورة براءة، ومنهم من كان

=

الميسرة، حسين العوايشة، (٩٣/٦)، فقه السنة، (٤٥٦/٢).

(١) ينظر: أصول السنة، ابن زمنين، ص٢٤٦، لوامع الأنوار البهية، (٩٣/١).

(٢) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، (٣٢/٢١)، الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي، (٥٥٧٦/٧).

المسلمون-أيضاً- يعلمون كثيرًا منهم بالشواهد والدلالات والقرائن والأمارات، ومنهم من لم يكن يعرف كما قال تعالى:﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠١]، ثم جميع هؤلاء المنافقين يظهرون الإسلام ويحلفون أنهم مسلمون، وقد اتخذوا أيمانهم جُنَّة، وإذا كانت هذه حالهم فالنبي ﷺ لم يكن يقيم الحدود بعلمه ولا بخبر الواحد ولا بمجرد الوحي ولا بالدلائل والشواهد حتى يثبت الموجب للحد ببينة أو إقرار،....، فكان ترك قتلهم مع كونهم كفاراً لعدم ظهور الكفر منهم بحجة شرعية.

ويدل على هذا أنه لم يستتبهم على التعيين، ومن المعلوم أن أحسن حال من ثبت نفاقه وزندقته أن يستتاب كالمرتد فإن تاب وإلا قتل، ولم يبلغنا أنه استتاب واحدًا بعينه منهم فعلم أن الكفر والردة لم تثبت على واحد بعينه ثبوتًا يوجب أن يقتل كالمرتد، ولهذا كان يقبل علانيتهم، ونكِلُ سرائرهم إلى الله، فإذا كانت هذه حال من ظهر نفاقه بغير البينة الشرعية فكيف حال من لم يظهر نفاقه؟ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ)[١]؛ لما استؤذن في قتل ذي الخويصرة[٢]، ولما استؤذن-أيضًا-في قتل رجل من المنافقين قال:(أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَيلَ: بَلَى، أَلَيْسَ يُصَلِّي؟ قيل: بَلَى، قال:(أُولَئِكَ الَّذِينَ نَهَانِي اللَّهُ عَنْ قَتْلِهِمْ)[٣] فأخبر- عليه

(١) صحيح البخاري، برقم، (٤٠٩٤)، (١٥٨١/٤)، صحيح مسلم، برقم، (١٠٦٤)، (٧٤٢/٢).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) موطأ مالك، برقم، (٨٤)، (١٧١/١)، مسند أبي داود الطيالسي، برقم، (١٢٠٦)، (٤٣٤/٢)، مسند الشافعي، ص٣٢٠، مصنف عبد الرزاق، برقم، (١٨٦٨٨)، (١٦٣/١٠)، مسند أحمد، برقم، (٢٣٦٧٠)، (٧٣/٣٩)، مجمع الزوائد، برقم، (٤٥)، (٢١٣/١)، وقال الهيثمي:"رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح".

الصلاة والسلام- أنه نهي عن قتل من أظهر الإسلام من الشهادتين والصلاة، وإن ذكر بالنفاق ورمي به وظهرت عليه دلالته؛ إذا لم يثبت بحجة شرعية أنه أظهر الكفر، وكذلك قوله في الحديث الآخر: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)(١)، معناه إني أمرت أن أقبل منهم ظاهر الإسلام، وأكل بواطنهم إلى الله، والزنديق والمنافق إنما يقتل إذا تكلم بكلمة الكفر وقامت عليه بذلك بينة، وهذا حكم بالظاهر لا بالباطن، وبهذا الجواب يظهر فقه المسألة.

الوجه الثاني: أنه ﷺ كان يخاف أن يتولد من قتلهم من الفساد أكثر مما في استبقائهم، وقد بين ذلك حيث قال: (لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ)(٢)، وقال: (إِذًا تَرْعَدُ لَهُ آنفٌ كَثِيرَةٌ بِيَثْرِبَ)(٣)، فإنه لو قتلهم بما يعلمه من كفرهم لأوشك أن يظن الظان أنه إنما قتلهم لأغراض وأحقاد، وإنما قصده الاستعانة بهم على الملك كما قال: (أَنْ تَقُولَ الْعَرَبُ لَمَّا ظَفِرَ بِأَصْحَابِهِ أَقْبَلَ يَقْتُلُهُمْ)(٤)، وأن يخاف من يريد الدخول في الإسلام أن يقتل مع إظهاره الإسلام كما قتل غيره.

وقد كان-أيضاً-يغضب لقتل بعضهم قبيلته، وناس آخرون فيكون ذلك

---

(١) صحيح البخاري، برقم، (٢٥)، (١/١٧)، صحيح مسلم، برقم، (٢٠)، (١/٥١).

(٢) صحيح البخاري، برقم، (٤٩٠٥)، (٦/١٥٤)، صحيح مسلم، برقم، (٢٥٨٤)، (٤/١٩٩٨).

(٣) جامع البيان، (٢٢/٦٦٦).

(٤) لم أجده بهذا اللفظ في كتب الصحاح والمسانيد والسنن.

سبباً للفتنة، واعتبر ذلك بما جرى في قصة عبد الله بن أبي[١] لما عرض سعد بن معاذ[٢] بقتله خاصم له أناس صالحون وأخذهم الحمية حتى سكتهم رسول الله ﷺ[٣] وقد بين ذلك رسول الله ﷺ لما استأذنه عمر في قتل ابن أبي، قال أصحابنا: ونحن الآن إذا خفنا مثل ذلك كففنا عن القتل.

فحاصله: أن الحد لم يقم على واحد بعينه لعدم ظهوره بالحجة الشرعية التي يعلمه بها الخاص والعام أو لعدم إمكان إقامته إلا مع تنفير أقوام عن الدخول في الإسلام وارتداد آخرين عنه، وإظهار قوم من الحرب والفتنة ما يربى فساده على فساد ترك قتل منافق، وهذان المعنيان حكمهما باق إلى يومنا هذا إلا في شيء واحد، وهو أنه ﷺ ربما خاف أن يظن الظان أنه يقتل أصحابه؛ لغرض آخر مثل أغراض الملوك فهذا منتف اليوم"[٤].

---

(١) عَبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول، أبو الحُبَاب، كبير المنافقين، هو الذي تولى كبره في حادثة الإفك، ونزل في ذمة آيات كثيرة مشهورة، وتوفي في زمن رسول الله ﷺ، وصلى عليه وكفنه في قميصه قبل النهي عن الصلاة على المنافقين، وإنما صلى عليه لكرامة ابنه وإحسانًا وكرمًا وحلمًا. ينظر: المؤتلف والمختلف، الدار قطني، (٤٨٠/١)، الإكمال، ابن ماكولا، (١٤٢/٢)، تهذيب الأسماء واللغات، (٢٦٠/١).

(٢) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، الأوسي الأنصاري: الصحابي الجليل، كان سيد الأوس، حمل لواءهم يوم بدر، وشهد أحداً، فكان ممن ثبت فيها. رمي بسهم يوم الخندق، فمات من أثر جرحه سنة(٥٥)، بعد وقعة بني قريظة. ودفن بالبقيع، وعمره سبع وثلاثون سنة. وحزن عليه النبي ﷺ، وقال يوم موته: (اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ). ينظر: الثقات، ابن حبان، (١٤٧/٣)، معرفة الصحابة، (١٢٤١/٣)، الاستيعاب، (٦٠٣/٢).

(٣) الحديث روته أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها، في حادثة الإفك، وهو في صحيح البخاري، برقم، (٢٥١٨)، (٩٤٢/٢)، صحيح مسلم، برقم، (٢٧٧٠)، (٢١٢٩/٤).

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص٣٥٥-٣٥٨.

سابعاً: وقد بين العلماء الحكمة من قتل المرتد؛ لأن الردة سلاح خطير، إذا استعمله الأعداء، فإن له أثره في زعزعة المسلمين، وتشكيك ضعاف الإيمان بدينهم، وإحداث البلبلة بينهم؛ ولذلك أصبح المرتد مفسداً في الأرض، لا يصلح للبقاء؛ فهو عضو فاسد؛ يضر المجتمع، ويسيء للدين(١).

***

(١) ينظر: تطبيق الحدود الشرعية وأثره على الأمن، د. فهد الرومي، ص٣٨، الملخص الفقهي، د. صالح الفوزان، (٢/ ٥٧٠).

الخاتمة

الحمد لله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته؛ على ما أنعم به وتفضل عليَّ من إتمام هذا البحث، فله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد ظهر لي بعد إتمام هذا البحث عدة نتائج، وهي على النحو الآتي:

١- ظهور منكري السنة النبوية بهذا الاسم (القرآنيون) ما هو إلا عبارة عن تمويه وخديعة لأبناء المسلمين؛ يسعون من خلاله العبث في أفكارهم، وتشكيكهم في مسلماتهم المتعلقة بالأحكام الشرعية.

٢- الفرق والطوائف المنحرفة عن منهج الإسلام الحق التي ظهرت على مر تاريخ الإسلام ما هي إلا سلسلة مترابطة، يتبع فيها الآخر الأول، ويستقي فكره، ويثير شبهاته.

٣- أعداء الأمة الإسلامية هم من يقفون وراء ظهور الفرق المنحرفة التي ظهرت في جسد الأمة الإسلامية تباعاً، وهم من يوفرون لها الدعم المالي والفكري؛ حتى تظهر على الساحة الإسلامية، مثيرة الغبار أمام الإسلام الحق؛ حتى لا يعرفه أبناء المسلمين.

٤- القرآن الكريم والسنة النبوية مصدرا الإسلام الأساسيان، ولا يمكن بأي حال أن ينفصلا؛ لأن بانفصالهما هدم للإسلام وشريعته.

٥- تعتبر السنة النبوية العقبة الكؤود أمام القرآنيين إن استطاعوا إقصاءها بلغوا مرادهم، وحققوا أهدافهم.

٦- أن فكر منكري السنة النبوية لا يحمل في طياته تعظيماً لكتاب الله، ولا حرمة لآياته، وإن حاولوا التظاهر بذلك.

٧- فكر القرآنيين يسيطر عليه الحقد على أتباع الدين الإسلامي ابتداءً من رسول الإسلام ﷺ وصحابته من بعده، وانتهاءً بكل مسلم متمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

٨- السنة النبوية مصدر هام من مصادر تفسير كتاب الله، وعليها يتوقف فهم كثير من الآيات القرآنية؛ ولذلك لا يمكن أن يستغنى عنها.

٩-اتفقت كلمة علماء الأمة من المتقدمين والمتأخرين على إنكار هذه الدعوة التي تدعو لرفض السنة النبوية، وأن من حاول الفصل بين القرآن والسنة فهو كافر خارج عن ملة الإسلام.

١٠- خوض القرآنيين في التفسير له أهداف كثيرة يسعون لتحقيقها، من أهمها بث فكرهم، وإلحادهم من خلال التفسير.

١١- دخل القرآنيون ميدان تفسير القرآن الكريم بلا علم ولا منهج سوي يسيرون عليه، ولا يملكون ما يؤهلهم لهذه المهمة، فهم دخلاء محرفون للكلم عن مواضعه.

١٢-السمة الغالبة في تفسير القرآنيين لآيات القرآن الكريم يغلب عليه التحريف والإلحاد، والبعد عن مراد الله تعالى.

١٣-ما قدمه القرآنيون من تفسير ليس تجديداً في التفسير، بل هو عبث، وتحريف لكلام الله تعالى.

١٤-يسعى منكرو السنة النبوية إلى عزل الرسول ﷺ وعلماء الأمة من

السلف والخلف عن تفسير كتاب الله، مع كونهم أعلم الناس بالقرآن؛ ليحلوا محلهم، وهذا برهان على فساد عقولهم، وجموح فكرهم.

وأخيراً، فإن فكر القرآنيين والدين الإسلامي نقيضان لا يجتمعان، وعدوان لا يتفقان، وظهور أحدهم هدم للآخر، ولا قبول لهذا الشعار (القرآن وكفى) في دين الإسلام.

وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

فهرس المصادر والمراجع

أولاً القرآن الكريم.

١. الإباضِيَّة وهل هم خوارج، عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام - تبوك، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ.

٢. أباطيل البهائية وبروتوكولات صهيون، د. عبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٣. الإبانة الكبرى (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة)، عبيد الله ابن محمد العُكْبَري، المعروف ابن بَطَّة العكبري الحنبلي ت: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، رضا بن نعسان معطي، يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل، حمد بن عبد الله التويجري، دار الراية، الرياض، ط: الثانية، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٤. الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، ت: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط: الأولى، ١٣٩٧هـ.

٥. أبحاث في الشرائع، اليهودية، النصرانية، والإسلام، د. فؤاد عبد المنعم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٦. أبحاث هيئة كبار العلماء، هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

٧. إبطال التأويلات لأخبار الصفات، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين الفراء، ت: محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية — الكويت.

٨. أبو بكر النقاش ومنهجه في تفسير القرآن الكريم، علي إبراهيم الناجم، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٩. أبو هريرة، عبد الحسين الموسوي، دار الزهراء، بيروت- لبنان، ط: الرابعة، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

١٠. اتجاهات التفسير في العصر الراهن، د. عبد المجيد المحتسب، منشورات مكتبة النهضة الإسلامية، عمان- الأردن، ط: الثالثة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١١. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

١٢. الاتجاهات الحديثة في الإسلام، محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية ومكتبتها.

١٣. الاتجاهات العقلانية الحديثة، د. ناصر العقل، دار الفضيلة- الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٤. اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر، د. حمد بن صادق الجمال، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٥. الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. جمعة الخولي، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

١٦. الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة النبوية في مصر، دار الكلم الطيب، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٧. الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، د. عادل بن علي الشدي، مدار الوطن- الرياض، ط: الأولى، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

١٨. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: مركز خدمة السنة والسيرة، بإشراف: د زهير بن ناصر الناصر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (بالمدينة) - ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية (بالمدينة)، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

١٩. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط: ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٢٠. آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد القزويني، دار صادر — بيروت.

٢١. آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، د. جابر قميحة، دعـــوة الحـــق، تصدرها رابطة العالم الإسلامي -مكة المكرمة، السنة العاشـــرة، العـــدد ١١٦، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٢٢. آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، د. محمد خليفة حســـن، عـــين للدراسات والبحوث الإجتماعية، مصر، ط: الأولى، ١٩٩٧م.

٢٣. آثار تطبيق الشريعة الإسلامية في منع الجريمة، د. محمد بن عبد الله الـــزاحم، دار المنار، القاهرة، ط: الثانية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٤. أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي، د. مساعد آل جعفر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٢٥. أثر الدلالات اللغوية عند الطاهر بن عاشور في كتابه (التحرير والتنوير)، مشرف الزهراني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ-١٤٢٧هـ.

٢٦. الإجماع في التفسير، د. محمد بن عبد العزيز الخضيري، دار الـــوطن، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٧. الإجماع، ابن عبد البر، جمع وترتيب، فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب، عبد الوهاب ابن ظافر الشهري، دار القاسم، الرياض.

٢٨. الإجماع، محمد بن إبراهيم بن المنذر، ت: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار المسلم، ط: الأولى، ١٤٢٥هـــ/ ٢٠٠٤م.

٢٩. أجْنِحَةُ المَكْرِ الثَّلَاثَةْ وَخوافيهَا ـــ التبشير - الاستِشراق — الاستِعمار، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم دمشق ط: الثامنة.

٣٠. الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ.

٣١. احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين السيد صالح، مكتبة الصحابة، الإمارات- الشارقة، مكتبة التابعين- القاهرة- عين شمس، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣٢. أحسن القصص، ابن قرناس، منشورات الجمل، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ٢٠١٠م.

٣٣. الأحكام الشرعية الكبرى، عبد الحق الأشبيلي، المعروف بابن الخراط، ت: حسين ابن عكاشة، مكتبة الرشد- السعودية / الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٤. أحكام القرآن للشافعي، جمع أحمد بن الحسين البيهقي، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، قدم له: محمد زاهد الكوثري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

٣٥. أحكام القرآن، أحمد بن علي، أبو بكر الجصاص، ت: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي — بيروت، ١٤٠٥ هـ.

٣٦. أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله، أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، راجعه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٧. أحكام القرآن، علي بن محمد، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي، ت: موسى محمد علي، وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٥هـ.

٣٨. أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، إبراهيم بن صالح الخضيري، وزارة الشئون الإسلامية- المملكة العربية السعودية، دار الفضيلة، ط: الثانية، ١٤٢١ه- ٢٠٠١م.
٣٩. الإحكام شرح أصول الأحكام، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي، ط: الثانية، ١٤٠٦ هـ.
٤٠. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ت: أحمد محمد شاكر، قدم له: د. إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٤١. أحكام مبدلة، إيهاب عبده حسن.
٤٢. إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة – بيروت.
٤٣. أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز رحمه الله وسيرته، محمد بن الحسين الآجري، ت: د. عبد الله عبد الرحيم عيلان، مؤسسة الرسالة ١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ، بيروت، سورية.
٤٤. أخبار العلماء بأخيار الحكماء، علي بن يوسف القفطي، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٤٥. أخبار القضاة، محمد بن حيان الضبي، ت: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، ط: الأولى، ١٣٦٦هـ -١٩٤٧م.
٤٦. أخبار النحويين البصريين، الحسن بن عبد الله السيرافي، ت: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي، ط: ١٣٧٣ هـ - ١٩٦٦ م.
٤٧. اختصار علوم الحديث، إسماعيل بن كثير، ت: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الثانية.
٤٨. اختلاف الأئمة العلماء، يحيى بن هُبَيْرَة الذهلي الشيبانيّ، ت: السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٤٩. أخطاء وأوهام في أعظم مشروع تعسفي لهدم السنة النبويـــة، د. عبـــد العظـــيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٥٠. الأخلاق والسير في مداواة النفوس، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلســـي، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٩هـــ - ١٩٧٩م.

٥١. الإخنائية (أو الرد على الإخنائي)، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: أحمد بـــن مونس العنزي، دار الخراز، جدة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـــ - ٢٠٠٠م.

٥٢. أدب الإملاء والاستملاء، عبد الكريم بن محمد السمعاني، شرح ومراجعة: سعيد محمد اللحام، دار ومكتبـــه الهـــلال ــ بـــيروت، ط: الأولى، ١٤٠٩ هـــــ - ١٩٨٩م.

٥٣. أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام، الملا علي القـــاري، ت: مشهور بن حسن بن سلمان، مكتبة الغرباء الأثرية - السعودية، ط: الأولى، ١٤١٣هـــ - ١٩٩٣هـــ.

٥٤. الأربعون في دلائل التوحيد، عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، ت: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤٠٤هـ.

٥٥. أرسطو طاليس المعلم الأول، ماجد فخري، المطبعة الكاثولوكية، بيروت.

٥٦. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط: السابعة، ١٣٢٣ هـــ.

٥٧. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد ابن مصطفى، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٥٨. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشـــوكاني، ت: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق، دار الكتاب العربي، ط: الأولى، ١٤١٩هـــــ - ١٩٩٩م.

٥٩. الإرشاد في معرفة علماء الحديث، أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله القـزويني، ت: د. محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد- الرياض، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ.
٦٠. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألبـاني، زهـير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
٦١. أسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر محمود محمد يعقـوب، دار ابـن الجـوزي، الدمام- المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ.
٦٢. أسباب سقوط الشيوعية(الماركسية)، أحمد بن عبد الله الغامدي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى. مكة المكرمة- السعودية، ١٤١٦هـ-١٤١٧هـ.
٦٣. أسباب نزول القرآن، علي بن أحمد الواحدي، ت: عصام بـن عبـد المحسـن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ط: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٦٤. الأستاذ المودودي، منهجه في تفسير القرآن، اليف الدين ترابي بن عـالم الـدين، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٢هـ- ١٤٠٣هـ.
٦٥. استحالة وجود عذاب القـبر، إيهـاب عبـده حسـن، ط: الأولى، ١٩٩٥م- ١٤١٦هـ.
٦٦. استدراكات السلف في التفسير في القرون الثلاثـة الأولى، نـايف بـن سـعيد الزهراني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمـة، المملكـة العربيـة السعوديـة، ١٤٢٦هـ-١٤٢٧هـ.
٦٧. الاستدلال الخاطئ بالقرآن والسنة على قضايا الحرية، د. إبراهيم الحقيل، مطبعـة البيان، ط: الأولى، ١٤٣٤هـ.
٦٨. الاستذكار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، ت: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٦٩. الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس، مازن المطبقاني، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٦ه.

٧٠. الاستشراق والتاريخ الإسلامي، د. فاروق فوزي، الأهلية، عمان، الأردن، ط: الأولى، ١٩٩٨م.

٧١. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود زقزوق، دار المعارف.

٧٢. الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، د. مصطفى السباعي، دار الوراق، المكتب الإسلامي.

٧٣. الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، فالح بن محمد الصغير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٧٤. الاستغاثة في الرد على البكري، شيخ الإسلام ابن تيمية، د. عبد الله بن دجين السهلي، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط: الأولى، ١٤١٧ه-١٩٩٧م.

٧٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٧٦. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير، ت: علي محمد معوض- عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٧٧. الإسرائيليات في التفسير والحديث، د. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة- القاهرة، ط: الرابعة، ١٤١١ه- ١٩٩٠م.

٧٨. الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، رمزي نعناعة، دار القلم- دمشق، دار الضياء- بيروت، ط: الأولى، ١٣٩٠ه- ١٩٧-م.

٧٩. الأسس العامة لفهم النص الشرعي، د. عبد المجيد محمد السوسوة، دار الجامعات اليمنية، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٨٠. الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية، د. يحيى هاشم فرغل، دار الفكر العربي.
٨١. الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي، دار الطليعة، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م.
٨٢. إسلام ضد إسلام، الصادق النيهوم، رياض الريس، ط: الثالثة، ٢٠٠٠م.
٨٣. الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
٨٤. الإسلام في الأسر، الصادق النيهوم، رياض الريس، ط: الثالثة، ١٩٩٥م.
٨٥. الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة، د. محمد البهى، مكتبة وهبة- القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠١هـ — ١٩٨١م.
٨٦. الإسلام في وجه التغريب: أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة.
٨٧. الإسلام والإيمان، د. محمد شحرور، الأهالي- دمشق، ط: الأولى، ١٩٩٦م.
٨٨. الإسلام والتجديد في مصر، تشارلز آدمس، ترجمة: عباس محمود، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية.
٨٩. الإسلام والحرية والعلمانية، جمال البنا، دار الفكر الإسلامي- القاهرة.
٩٠. الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، دار الفرقان.
٩١. الإسلام والدعوات الهدامة، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط الأولى ١٩٧٤.
٩٢. الإسلام والعقلانية، جمال البنا، دار الفكر الإسلامي- القاهرة.
٩٣. الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، محمد عبده، دار الحداثة- القاهرة، ط: الثالثة، ١٩٨٨م.

٩٤. الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، تعريب: د. ظفر الإسلام خان، ت: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة.
٩٥. الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، أبو الحسن الندوي، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٩٦. أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب المقدس، د. محمود عبدالرازق الرضواني، مكتبة سلسبيل، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
٩٧. أسماء سور القرآن وفضلها، د. منيرة محمد الدوسري، دار ابن الجوزي، السعودية- الدمام، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ.
٩٨. أسماء من يعرف بكنيته، أبو الفتح محمد بن الحسين الموصلي، ت: أبو عبدالرحمن اقبال، الدار السلفية- الهند، ط: الأولى، ١٤١٠ هـ — ١٩٨٩م.
٩٩. الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، ت: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
١٠٠. الإسناد في الحديث، د. أحمد صبحي منصور، مقال.
١٠١. الإشارات إلى معرفة الزيارات، علي بن أبي بكر الهروي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
١٠٢. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عز الدين بن عبد السلام، طبع القسطنطينية سنة ١٣١٣ هـ.
١٠٣. الأشباه والنظائر، عبد الوهاب السبكي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م
١٠٤. أشهر المخترعين ومخترعاتهم، فليتشر برات، ترجمة: محمد عبد الفتاح إبراهيم.

١٠٥. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.

١٠٦. أصل الأنواع، تشارلس داروين، ترجمة: مجدي المليجي، تقديم: سمير حنا صادق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط: الأولى، ٢٠٠٤م.

١٠٧. أصل الشيعة وأصولها، محمد الحسين آل كاشف الغطاء، دار الأضواء- بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٠٨. الأصلان العظيمان، جمال البنا، مطبعة حسان، القاهرة.

١٠٩. أصول الأحكام الإسلامية، د. أبو السعود عبد العزيز موسى، ط: الأولى، ١٤١٣هـ.

١١٠. أصول الإيمان، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، ت: باسم فيصل الجوابرة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط: الخامسة، ١٤٢٠هـ.

١١١. أصول البحث العلمي، د. أحمد عبد المنعم حسن، المكتبة الأكاديمية، الدقي، القاهرة، ط: الأولى، ١٩٩٦م.

١١٢. أصول البزدوي، المسمى (كنز الوصول الى معرفة الأصول)، علي بن محمد البزدوي الحنفي، مطبعة جاويد بريس- كراتشي.

١١٣. أصول التفسير وقواعده، خالد العك، دار النفائس، ط: الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١١٤. أصول الحديث ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١١٥. أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. أحمد بن عبد العزيز الحليبي، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف القطرية، ط: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١١٦. الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادي، ت: د. فيصل بدير عون، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٨م.

١١٧. أصول الدين عند أبي حنيفة، د. محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية.

١١٨. أصول الدين، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١١٩. أصول الرواية عند الشيعة الإمامية، د. عمر عبد المنعم الفرماوي، مكتبة جزيرة الورد- القاهرة، مكتبة الإيمان- المنصورة، ط: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٢٠. أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة، محمد بن عبد الله، المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، ت: عبد الله بن محمد البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.

١٢١. أصول الشريعة، محمد سعيد العشماوي، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط: الأولى، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

١٢٢. أصول الفقه، د. محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

١٢٣. أصول الفقه، محمد الخضري بك، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ط: الخامسة، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.

١٢٤. أصول الفقه، محمد رضا المظفر، مؤسسة الأعلمي، بيروت- لبنان، ط: الثانية، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٢٥. أصول في التفسير، محمد بن صالح العثيمين، ت: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، المكتبة الإسلامية، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٢٦. أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، مهدي فضل الله، دار الطليعة، بيروت- لبنان، الثانية، ١٩٩٨م.
١٢٧. أصول مذهب الإمام أحمد، د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤١٠ه- ١٩٩٠م.
١٢٨. الأصول من علم الأصول، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط:١٤٢٦هـ.
١٢٩. إضاءات بحثية في علوم السنة، د. حاتم الشريف، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٨ه – ٢٠٠٧م.
١٣٠. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
١٣١. الأضواء القرآنية فى اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخارى منها، السيد صالح أبو بكر، مطابع محرم الصناعية، ١٩٧٤م.
١٣٢. أضواء على الحركات الهدامة، ثلاث رسائل عن القاديانية، أبو الحسن الندوي، المودودي، محمد الخضر حسين، مكتبة دار البيان، الكويت.
١٣٣. أضواء على السنة المحمدية، أو دفاع عن الحديث، محمود أبو رية، دار المعارف، ط: السادسة.
١٣٤. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
١٣٥. الاعتصام، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، ت: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٣٦. اعتقاد أئمة الحديث، أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الجرجاني، ت: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة - الرياض، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

١٣٧. اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية، الكويت، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
١٣٨. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين بن، أبو بكر البيهقي، ت: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠١هـ.
١٣٩. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر، الملقب بفخر الدين الرازي، ت: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية – بيروت.
١٤٠. أعداء الإسلام ووسائل التضليل، د. جابر قميحة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة- مصر، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
١٤١. الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، زكي محمد مجاهد، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط: الثانية، ١٩٩٤م.
١٤٢. أعلام العراق، محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية، مصر، ١٣٤٥هـ.
١٤٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
١٤٤. أعلام النبوة، علي بن محمد بن حبيب، الشهير بالماوردي، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط: الأولى،١٤٠٩ هـ.
١٤٥. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني، دار ابن حزم- بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م.

١٤٦. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م.

١٤٧. أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، دار ماجد عسيري، جدة- السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٤٨. الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر- أيار / مايو ٢٠٠٢م.

١٤٩. أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ت: د: علي أبو زيد، د: نبيل أبو عشمة، د: محمد موعد، د: محمود سالم محمد، قدم له: مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

١٥٠. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، مرعي بن يوسف المقدسي الحنبلى، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٥١. الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٥٢. الإقناع لطالب الانتفاع، لأبي النجا الحجاوي المقدسي، د. عبد الله التركي، مركز البحوث بدار هجر، ط: الثالثة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٥٣. الإقناع، محمد بن إبراهيم بن المنذر، ت: د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، ط: الأولى، ١٤٠٨ هـ.

١٥٤. الأقوال الشاذة في التفسير، د. عبد الرحمن بن صالح الدهش، سلسلة إصدارات الحكمة، بريطانيا، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

١٥٥. إكفار الملحدين في ضروريات الدِّين، محمد أنور شاه الكشميري الهندي، المجلس العلمي، باكستان، ط: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٥٦. إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا)، محمد بن عبد الغني، ابن نقطة الحنبلي، ت: د. عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ.

١٥٧. إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى اليحصبي، دار الوفاء، المنصورة- مصر، ت: د. يحيى إسماعيل، ط: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٥٨. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مغلطاي بن قليج بن عبد الله المصري، ت: عادل بن محمد - أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.

١٥٩. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، ط: الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

١٦٠. إلحاد في القرآن ودين جديد بين الباطنية والإسلام، محمد رشيد رضا، مجلة المنار، مجلد(٣١)،

١٦١. ألقاب الصحابة والتابعين في المسندين الصحيحين، الحسين بن محمد الغساني، ت: د. محمد زينهم محمد عزب. ومحمود نصار، دار الفضيلة- القاهرة- مصر.

١٦٢. الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، عياض بن موسى اليحصبي السبتي، ت: السيد أحمد صقر، دار التراث/ المكتبة العتيقة- القاهرة / تونس، ط: الأولى، ١٣٧٩هـ - ١٩٧٠م.

١٦٣. الإلمام بشيء من أحكام الصيام، د. عبد العزيز الراجحي، دار الوطن، الريـــاض، ط: الأولى.
١٦٤. إله واحد ودين واحد، نيازي عز الدين، مكتبة مـــدبولي، القـــاهرة، ط: الأولى، ٢٠٠٦م.
١٦٥. الألوهية والحاكمية، سامر إسلامبولي، الأوائل، دمشـــق- ســـورية- ط: الأولى، ٢٠٠٠م.
١٦٦. الأم، محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
١٦٧. الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، محمد بن موسى، ت: حمد ابن محمد الجاسر، دار اليمامة، ١٤١٥ هـ.
١٦٨. الإمام الزهري المحدث، سليمان عبيد الحازمي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة- السعودية، ١٣٩٩-١٤٠٠ه.
١٦٩. الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، د. نصر حامد أبو زيـــد، ســـينا للنشر، ط: الأولى، ١٩٩٢م.
١٧٠. الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفســـيره التحرير والتنوير، محمد بن سعد القرني، رسالة ماجســـتير، جامعـــة أم القـــرى، السعودية، ١٤٢٧ه.
١٧١. إمامة المرأة للرجال، جمال البنا، دار بترا، سوريا-دمشق، ط: الأولى، ٢٠٠٨م.
١٧٢. إنباه الرواة على أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي، المكتبة العنصرية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ.
١٧٣. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، دار الإرشاد، ط: الأولى، ١٣٨٨ه- ١٩٦٩م.
١٧٤. إنتاج مواقع الإنترنت التعليمة رؤية ونماذج تعليمية معاصرة، أكرم مصطفى.

١٧٥. انتحار إسماعيل أدهم، سليمان الخراشي، بدون.

١٧٦. الانترنت والمنظومة التكنو اجتماعية، علي محمد رحومة.

١٧٧. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحيى بن أبي الخير العمـراني، ت: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

١٧٨. الانتصار لأصحاب الحديث، أبو المظفر، منصور بن محمد المروزى السمعاني، ت: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، مكتبة أضواء المنار- السـعودية، ط: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

١٧٩. الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب، القاضي أبو بكر الباقلاني، ت: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم — بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٨٠. الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفـة رضـي الله عنهم، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٨١. الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، عبد الـرحمن الرحمـة، دار الهجـرة، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٩هـ.

١٨٢. الانحراف الفكري في التفسير المعاصر دوافعه ومجالاته وآثاره، يحيى بـن ضـاحي شطناوي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.

١٨٣. الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر وآثارها في حياة الأمة، علي بن بخيت الزهراني، دار طيبة، المملكة العربية السعودية، ط: الثانيـة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١٨٤. إنذار من السماء، نيازي عز الدين، الأهالي- دمشق، ط: الأولى، ١٩٩٦م.

١٨٥. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علي بن سليمان المرداوي الحنبلي، دار إحياء التراث العربي.

١٨٦. الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، المطبعة السلفية ومكتبتها / عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

١٨٧. اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندًا ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين، د. محمد لقمان السلفي، دار الداعي- الرياض، ط: الثانية، ١٤٢٠ه.

١٨٨. أوائل المقالات في المذاهب المختارات، المفيد بن محمد النعمان، دار الكتاب الإسلامي، بيروت-لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٨٩. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، محمد بن إبراهيم ابن الوزير، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، ١٩٨٧م.

١٩٠. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٩١. إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، محمد بن إبراهيم بن جماعة، ت: وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار السلام- مصر، ط: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٩٢. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، اسماعيل باشا البابانى، عنى بتصحيحه وطبعه: محمد شرف الدين بالتقايا والمعلم: رفعت بيلكه الكليسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

١٩٣. إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، محمد بن علي السنوسي الخطابي، دار القلم، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م.

١٩٤. الإيمان الأوسط، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ت: محمود أبو سن، دار طيبة للنشر- الرياض،

١٩٥. الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، المكتبة العصرية، ط: الأولى.

١٩٦. الإيمان، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط: الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٩٧. البحث العلمي، د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة، السعودية- الرياض، ط: الثانية، ١٤٢٠ه- ٢٠٠٠م.

١٩٨. بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم، يوسف بن حسن ابن المِبْرَد الحنبلي، ت: الدكتورة: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

١٩٩. البحر المحيط في أصول الفقه، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار الكتبي، ط: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٠٠. البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ.

٢٠١. بحوث في أصول التفسير ومناهجه، د. فهد الرومي، مكتبة التوبة.

٢٠٢. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد بن رشد، بابن رشد الحفيد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٠٣. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٠٤. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية، ط: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٠٥. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة- بيروت.
٢٠٦. البرنامج الإسلامي، جمال البنا، دار الفكر الإسلامي، القاهرة.
٢٠٧. البرهان في عقائد أهل الأديان، عباس بن منصور السكسكي الحنبلي، ت: بسام علي العموش، مكتبة المنار، الأردن- الزرقاء، ط: الثانية، ١٩٩٦م- ١٤١٧هـ.
٢٠٨. البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
٢٠٩. البرهان من السنة والقرآن في الرد على صاحب البيان، رمضان جمعة البركي، دار الحكمة، طرابلس- ليبيا، ط: الأولى، ١٩٩٨م.
٢١٠. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، جـ ٦: ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
٢١١. البعث والنشور، أحمد بن الحسين البيهقي، ت: الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
٢١٢. البعث والنشور، أحمد بن، أبو بكر البيهقي، ت: عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٢١٣. البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهد عباس الأول وسعيد، الأمير عمر طوسون، مطبعة صلاح الدين- الإسكندرية.

٢١٤. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الثالثة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢١٥. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد، أبو جعفر الضبي، دار الكاتب العربي – القاهرة، ١٩٦٧ م.

٢١٦. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط: الانية، ١٣٩٩ه-١٩٧٩م.

٢١٧. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، دار سعد الدين، ط: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٢١٨. البناية شرح الهداية، محمود بن أحمد بن موسى، بدر الدين العينى، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢١٩. البهائية وموقف الإسلام منها، دخيل الله الأزوري، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٠٢ه- ١٩٨١م.

٢٢٠. البيان بالقرآن، مصطفى كمال المهدوي، الدار الجماهيرية-مصراته، دار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، ط: الأولى، ١٩٩٠م.

٢٢١. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: مجموعة من ت: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢٢٢. البيان في مذهب الإمام الشافعي، يحيى بن أبي الخير العمراني، ت: قاسم محمد النوري، دار المنهاج - جدة، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.

٢٢٣. بيضة الديك، نقد لغوي لكتاب الكتاب والقرآن، يوسف الصيداوي، المطبعة التعاونية، دمشق.

٢٢٤. تاج التراجم، قاسم بن قُطلُوبغا ت: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم- دمشق، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ -١٩٩٢م.

٢٢٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي ت: مجموعة من العلماء، دار الهداية.

٢٢٦. تاريخ ابن يونس المصري، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ.

٢٢٧. تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار نهضة مصر، القاهرة.

٢٢٨. تاريخ الأستاذ الإمام، محمد رشيد رضا، دار الفضيلة- القاهرة، ط: الثانية، ١٤٢٧ه – ٢٠٠٦م.

٢٢٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٢٣٠. التاريخ الأوسط، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، مكتبة دار التراث- حلب، القاهرة، ط: الأولى، ١٣٩٧ ه- ١٩٧٧م.

٢٣١. تاريخ الفرق الإسلامية، محمد خليل الزين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط: الثانية، ١٩٨٥.

٢٣٢. تاريخ الفقه الإسلامي، محمد علي السايس، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٢٣٣. تاريخ الفكر العربي الإسلامي، د. علي أحمد، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٤١٨ه- ١٩٩٧م.

٢٣٤. التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة، أحمد بن أبي خيثمة، ت: صلاح بن فتحي هلال،

٢٣٥. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

٢٣٦. تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

٢٣٧. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت

٢٣٨. تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط الليثي، ت: د. أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة - دمشق، بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٧هـ.

٢٣٩. تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، ت: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٢٤٠. تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، علي بن عبد الله بن محمد المالقي، ت: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة-بيروت/لبنان، ط: الخامسة، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٤١. تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، محمد بن عبد الله بن أحمد الربعي، ت: د. عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة - الرياض، ط: الأولى، ١٤١٠.

٢٤٢. تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي_بيروت، المركز الثقافي العربي- الدرا البيضاء، ط: الثانية، ١٩٩٦م.

٢٤٣. التأويل خطورته وآثاره، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط: الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٤٤. تأويل مختلف الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المكتب الاسلامي- مؤسسة الإشراق، ط: الثانية- مزيده ومنقحة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢٤٥. التبرج، نعمت صدقي، دار الاعتصام.

٢٤٦. التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى خالدي، د. عمر فروخ، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ١٣٧٢ه- ١٩٥٣م.

٢٤٧. التبصرة في أصول الفقه، إبراهيم بن علي الشيرازي، ت: د. محمد حسن هيتو، دار الفكر- دمشق، ط: الأولى، ١٤٠٣ه.

٢٤٨. تبصير الأمة بحقيقة السنة، إسماعيل منصور جودة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٤٩. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر، ت: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب- لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٥٠. التبيان في آداب حملة القرآن، يحيى بن شرف النووي، ت: محمد الحجار، دار ابن حزم- بيروت- لبنان، ط: الثالثة، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

٢٥١. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، علي بن الحسن ابن هبة الله المعروف بابن عساكر، دار الكتاب العربي- بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٤ه.

٢٥٢. تتمة الأعلام للزركلي، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٢ه- ٢٠٠٢م.

٢٥٣. تثوير القرآن، جمال البنا، دار الفكر الإسلامي، القاهرة.

٢٥٤. التجديد في التفسير مادة ومنهجًا، د. جمال أبو حسان.

٢٥٥. التجديد في التفسير، يحيى شطناوي، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد الثالث والعشرون، ١٤٣١ه-٢٠١٠م.

٢٥٦. تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تُلزم، جمال البنا، الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ٢٠١١م.

٢٥٧. تخفيف منابع الإرهاب، محمد شحرور، الأهالي، سورية- دمشق، ط: الأولى، ٢٠٠٨م.

٢٥٨. التحبير شرح التيسير في أصول الفقه، علي بن سليمان المرداوي الحنبلي، ت: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، مكتبة الرشد، السعودية- الرياض، ط: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٥٩. تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي-بيروت، ط: الرابعة.

٢٦٠. تحرير العقل من النقل، وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم. سامر الإسلامبولي، الأوائل، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٢٦١. التحرير والتنوير«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤هـ.

٢٦٢. تحريف المصطلحات القرآنية وأثره في انحراف التفسير، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، ط: الأولى، ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م.

٢٦٣. التحريف المعاصر في الدين، عبد الرحمن حسن الحبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط: الأولى، ١٤١٨ه-١٩٩٧م.

٢٦٤. تحريف معاني الألفاظ القرآنية، عميرة الرشيدي، دار كنوز أشبيليا، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٣٢ه-٢٠١١م.

٢٦٥. التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، سارة بنت حامد العبادي، دار طيبة الخضراء- مكة المكرمة، ط: الأولى، ١٤٢٤ه- ٢٠٠٣م.

٢٦٦. تحريم المتعة في الكتاب والسنة، يوسف جابر المحمدي، ط: الأولى، ١٤١٨ه- ١٩٩٧م.

٢٦٧. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٦٨. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الكتب العلميه، بيروت- لبنان، ط: الاولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٢٦٩. تحفة المحتاج في شرح المنهاج، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، ١٣٥٧ هـ - ١٩٨٣ م.

٢٧٠. تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي، ت: محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: : الأولى، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م.

٢٧١. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، الزيلعي، علي عمر بادحدح، جامعة أم القرى، مكة المكرمة- السعودية، ١٤١٦هـ-١٤١٧هـ.

٢٧٢. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.

٢٧٣. تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، محمد بن مطر الزهراني، دار الهجرة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢٧٤. تدوين السنة، إبراهيم فوزي، رياض الريس، ط: الثانية، ١٩٩٥م.

٢٧٥. تذكرة الأريب في تفسير الغريب(غريب القرآن الكريم)، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ت: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

٢٧٦. تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٧٧. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن القرطبي، ت: الدكتور: الصادق ابن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ.
٢٧٨. تذكير الأصحاب بتحريم النقاب، د. إسماعيل منصور.
٢٧٩. تراث الإسلام، جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث، ترجمة: د. محمد زهير السمهوري وآخرون، ت: د. شاكر مصطفى، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠م.
٢٨٠. التُّراث والتجديد من العقيدة إلى الثورة، د. حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، ط: الأولى، ١٩٨٨م.
٢٨١. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، عياض بن موسى اليحصبي ت: ابن تاويت الطنجي، وآخرون، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، ط: الأولى.
٢٨٢. ترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، ومحمد زياد بن عمر التكلة، دار أصالة الحاضر، الرياض- المملكة العربية السعودية.
٢٨٣. ترجمة موجزة لفضيلة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، د. عاصم القريوتي، دار المدني، جدة.
٢٨٤. تسمية فقهاء الأمصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم، أحمد بن شعيب النسائي، ت: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي – حلب، ط: الأولى، ١٣٦٩ه.
٢٨٥. تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، دار العصيمي، ط: الثانية.
٢٨٦. تسهيل الوصول إلى علم أسباب النزول، خالد بن عبد الرحمن العك، دار المعرفة- بيروت، ط: الأولى: ١٤١٩ه- ١٩٩٨م.

٢٨٧. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي، ت: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، ط: الأولى - ١٤١٦ هـ.

٢٨٨. التشريعات البابلية، عبد الحكيم الذنون، دار علاء الدين- دمشق، ط: الأولى: ١٩٩٢-٢٠٠٠م.

٢٨٩. تطبيق الحدود الشرعية وأثره على الأمن في المملكة العربية السعودية، د. فهد الرومي، مكتبة التوبة، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٩٠. تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور، محمد بن إسماعيل الصنعاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٩١. التعالم وأثره في الفكر والكتاب، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن الجوزي، السعودية، الدمام، ط:١، ١٤٣٣هـ.

٢٩٢. التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، ت: د. أبو لبابة حسين، دار اللواء- الرياض، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م.

٢٩٣. التعرف لمذهب أهل التصوف، محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٩٤. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د. صلاح الخالدي، دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت، ط: الثالثة، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٢٩٥. التعريفات، علي بن محمد الزين الشريف الجرجاني، ت: جماعة من العلماء بإشراف، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٩٦. تعظيم القرآن الكريم، أسعد الصاغرجي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، السعودية، ط: الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٢٩٧. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، محمد ناصر الدين الألباني، دار با وزير، جدة- المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٢٩٨. التغريب الثقافي في الإعلان التجاري، د. محمد بن علي السويد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٢٩٩. التغريب في التعليم في العالم الإسلامي، د. محمد عبد العليم مرسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض، ١٤٠٩هـ.

٣٠٠. تغليق التعليق على صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار- بيروت، عمان- الأردن، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٠١. التغير الاجتماعي والثقافي مع نماذج تطبيقية من المجتمع السعودي، د. عبد العزيز الغريب، ط: الأولى، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٣٠٢. تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون- آخر سورة السجدة، محمد بن الحسن ابن فورك، ت: علال عبد القادر بندويش، جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية، ط: ١٤٣٠- ٢٠٠٩ م.

٣٠٣. التفسير أساسياته واتجاهاته، د. فضل حسن عباس، مكتبة دنديس، عمان- الأردن، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٣٠٤. تفسير التابعين، د. محمد بن عبد الله الخضيري، دار الوطن.

٣٠٥. تفسير الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهانى، ت: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب- جامعة طنطا، وآخـــرون، ط الأولى: ١٤٢٠ هــ - ١٩٩٩م.

٣٠٦. تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربيــة السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٣ هــ.

٣٠٧. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئـــة المصـــرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

٣٠٨. تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله ابن أبي زَمَنِين المالكي، ت: حســـين بـــن عكاشة - محمد بن مصطفى الكتر، الفاروق الحديثة- مصر/ القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٣هــ - ٢٠٠٢م.

٣٠٩. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط: الثانية ١٤٢٠هــ - ١٩٩٩م.

٣١٠. تفسير القرآن العظيم، المطبوع باسم: بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندي، ت: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، د. زكريا عبد المجيـــد النـــوتي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٣ه — ١٩٩٣م.

٣١١. تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، ابن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى البـــاز، المملكـــة العربيـــة السعودية، ط: الثالثة - ١٤١٩ هــ.

٣١٢. تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزيـــة، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، بإشراف الشـــيخ إبـــراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ط: الأولى - ١٤١٠ هــ.

٣١٣. تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، جمال البنا، دار الفكر الإسلامي.

٣١٤. تفسير القرآن في كتابات المستشرقين، د. عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٣١٥. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٣١٦. تفسير القرآن، العشرة الأجزاء الأولى، محمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٣١٧. التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣١٨. تفسير الماتريدي(تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، ت: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٣١٩. التفسير المأثور، د. جمال مصطفى النجار، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط: الأولى.

٣٢٠. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

٣٢١. تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، د. محمد أديب الصالح، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الرابعة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣٢٢. التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد- بيروت، ط: العاشرة – ١٤١٣ هـ.

٣٢٣. تفسير جزء عم، د مساعد بن سليمان الطيّار، دار ابن الجوزي، ط: الثامنة، ١٤٣٠ هـ.
٣٢٤. تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، دار الكتب العلمية، ت: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
٣٢٥. تفسير مبهمات القرآن الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل، محمد بن علي البلنسي، ت: د. حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١١ه - ١٩٩١م.
٣٢٦. تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان البلخى، ت: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط: الأولى ١٤٢٣ هـ.
٣٢٧. التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.
٣٢٨. التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، يحيى بن شرف النووي، ت: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
٣٢٩. التقرير والتحبير، محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج، دار الكتب العلمية، ط: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٣٣٠. التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة، ناصر بن عبد الكريم العقل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٣٣١. تقييد العلم، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، إحياء السنة النبوية - بيروت.
٣٣٢. التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، ابن نقطة الحنبلي البغدادي، ت: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٣٣٣. تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي، نقله إلى العربية وعلــق عليــه: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقيــة، ط: الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م.

٣٣٤. التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بــن أبي بكــر القضــاعي البلنسي، ت: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة – لبنــان، ١٤١٥هــــ-١٩٩٥م.

٣٣٥. تكملة معجم المؤلفين، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٨ه- ١٩٩٧م.

٣٣٦. التكميل والإتمام، محمد بن علي الغساني (ابن عسكر)، ت: حســن مــروة، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنــان، دار الفكــر، دمشــق- ســورية، ط: الأولى، ١٤١٨ه- ١٩٩٧م.

٣٣٧. التلازم بين الكتاب والسنة من خلال الكتب الستة، صالح بن سليمان البقعاوي، دار المعراج الدولية، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٦ه- ١٩٩٦م.

٣٣٨. تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٣٣٩. التمهيد لشرح كتاب التوحيد، دروس ألقاها صالح بن عبد العزيز آل الشــيخ، ثم طُبعت، دار التوحيد، ط: الأولى، ١٤٢٤هـــ - ٢٠٠٣م.

٣٤٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن محمد القــرطبي، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقــاف والشؤون الإسلامية- المغرب، ١٣٨٧ هــ.

٣٤١. التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، محمد بن يحيى بن الأشعري المالقي، ت: د. محمود يوسف زايد، دار الثقافة - الدوحة – قطر، ط: الأولى، ١٤٠٥ه.

٣٤٢. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد المَلَطي العسقلاني، ت: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث- مصر.

٣٤٣. تنظيم الإسلام للمجتمع، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

٣٤٤. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، مع تخريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني - زهير الشاويش- عبد الرزاق حمزة، المكتب الإسلامي، ط: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٣٤٥. تنوير الأذهان وتبصير أهل الإيمان في الرد على أبي زيد في تفسيره المسمى الهداية والعرفان، جمعية حياة الإسلام- بدمنهور، مطبعة قضيب - دمنهور.

٣٤٦. تهافت القراءة المعاصرة، د. محامي منير محمد الشواف، دار الشواف، ط: الأولى، ١٩٩٣م.

٣٤٧. تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، علق عَلَيْهِ: مُحَمَّد بن جعفر شمس الدين، دار التعارف والمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٣٤٨. تهذيب الأسماء واللغات، يحيى بن شرف النووي، عنيت بنشره، شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٣٤٩. تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط: الأولى، ١٣٢٦هـ.

٣٥٠. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن المزي، ت: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٠ ه- ١٩٨٠م.

٣٥١. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط: : الأولى، ٢٠٠١م.

٣٥٢. توثيق السنة النبوية وعناية السلف بها، د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، ط: ١٤٢٨ه- ٢٠٠٧م.

٣٥٣. توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته، رفعت بن فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي بمصر، ط: الأولى.

٣٥٤. توجيه النظر إلى أصول الأثر، طاهر بن صالح الجزائري، ثم الدمشقيّ، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب، ط: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣٥٥. التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، عبد الله بن محمد بن حميد، ت: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة طبرية، ط: الأولى - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٣٥٦. توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، محمد بن إسماعيل بن الأمير الصنعاني، ت: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٣٥٧. توطين العلوم في الجامعات العربية والإسلامية، د. على القريشي، كتاب الأمة، قطر، العدد: ١٢٥، ط: الأولى، ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م.

٣٥٨. التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن علي المناوي، عالم الكتب، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٣٥٩. التيار العلماني الحديث وموقفهم من تفسير القرآن، منى بهي الدين الشافعي، دار اليسر- القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٩ه.

٣٦٠. التيارات الفكرية والعقدية في النصف الثاني من القرن العشرين، محمد فاروق الخالدي، دار المعالي، الأردن، ط: الأولى، ١٤٢٣ه-٢٠٠٢.

٣٦١. التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها، د. محمود مزروعة، دار مجد الإسلام.

٣٦٢. تيسير التحرير، محمد أمين بن محمود المعروف بأمير بادشاه الحنفي، دار الفكر- بيروت.

٣٦٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
٣٦٤. التيسير بشرح الجامع الصغير، محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي- الرياض، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٦٥. الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، عابد بن محمد السفياني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
٣٦٦. الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، قاسم بن قُطْلُوْبَغَا، ت: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان، صنعاء، اليمن، ط: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
٣٦٧. الثقات، محمد بن حبان أبو حاتم البُستي، ت: د. محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط: الأولى، ١٣٩٣ ه = ١٩٧٣م.
٣٦٨. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، دار المعارف – القاهرة.
٣٦٩. ثورة الإسلام، د. أحمد زكي أبو شادي، دار مكتبة الحياة- بيروت.
٣٧٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
٣٧١. جامع البيان في القراءات السبع، عثمان بن سعيد، أبو عمرو الداني، جامعة الشارقة – الإمارات، ط: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.
٣٧٢. جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن الإِيجي الشافعيّ، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

٣٧٣. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة– بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٧ ه – ١٩٨٧م.

٣٧٤. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٧٥. جامع المسائل لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ت: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٣٧٦. جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، ت: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٣٧٧. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٣٧٨. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، ت: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف – الرياض.

٣٧٩. الجامع، عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي، ت: الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب - الدكتور علي عبد الباسط مزيد، دار الوفاء، ط: الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥ م.

٣٨٠. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، محمد بن فتوح الأزدي الحَمِيدي، الدار المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.

٣٨١. جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث، جمال سلطان، مركز الدراسات الإسلامية، برمنجهام- بريطانيا، ط: الأولى، ١٤١٢ه -١٩٩١م.
٣٨٢. الجذور التاريخية لمنكري السنة النبوية وأماكن انتشارهم، د. عادل بن محمد الغرياني.
٣٨٣. الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية–بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م.
٣٨٤. جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات،
٣٨٥. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان بن محمود بن عبد الله الآلوسي، مطبعة المدني، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٣٨٦. جماع العلم، محمد بن إدريس الشافعي، دار الأثار، ط: الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٣٨٧. جمال الدين الأفغاني بين دارسيه، د. علي شلش، دار الشروق، ط: الأولى، ١٤٠٧- ١٩٨٧م.
٣٨٨. جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الأولى، ١٩٨٧م.
٣٨٩. جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض- السعودية، ١٤٢١ه-٢٠٠١م.
٣٩٠. جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ت: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٩٨٣/١٤٠٣م.
٣٩١. جناية قبيلة حدثنا، جمال البنا، دار الفكر الإسلامي، القاهرة.

٣٩٢. الجنة والنار، عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط: السابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٣٩٣. الجهمية والمعتزلة، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الوطن، الرياض- السعودية، ط: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٣٩٤. جهود الشيخ العلامة بكر أبو زيد في الدعوة إلى الله تعالى، عمر الخرماني، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣٠-١٤٣١هـ.
٣٩٥. جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الالحادي، د. محمود عبد الحكيم عثمان، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية.
٣٩٦. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ت: محمد علي معوض و عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ.
٣٩٧. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد، محيي الدين الحنفي، مير محمد كتب خانه – كراتشي.
٣٩٨. جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام، أنور الجندي، دار الاعتصام.
٣٩٩. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، مطبعة المدني، القاهرة.
٤٠٠. حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي، ط: الأولى - ١٣٩٧ هـ.
٤٠١. حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، ت: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
٤٠٢. حجة الله البالغة، أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، ت: السيد سابق، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

٤٠٣. حجة النبي-ﷺ-كما رواها عنه جابر ﷺ، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الخامسة – ١٣٩٩ه.
٤٠٤. الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، ت: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠١ هـ.
٤٠٥. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل، الملقب بقوام السنة، ت: محمد بن ربيع المدخلي، دار الراية- السعودية-الرياض، ط: الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٤٠٦. حجية السنة ودحض الشبهات التي تثار حولها، محمود بن أحمد طحان، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: السنة الرابعة- العدد الثالث - محرم ١٣٩٢هـ - فبراير١٩٧٢م.
٤٠٧. حجية السنة، د. عبد الغني عبد الخالق، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط: الأولى، ١٤٠٧ه- ١٩٨٦م.
٤٠٨. حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام، ربيع بن هادي بن محمد عمير المدخلي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
٤٠٩. حد الردة، أحمد صبحي منصور، الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ٢٠٠٨م.
٤١٠. الحديث الشريف وتحديات العصر، (ندوة علمية دولية ثانية) كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي- الإمارات العربية المتحدة، ط: الأولى، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م.
٤١١. الحديث النبوي، مصطفى أحمد الزرقا.
٤١٢. الحديث والقرآن، ابن قرناس، ١٤٩منشورات الجمل- بيروت، ط: الثانية، ٢٠١١م.

٤١٣. الحديث والمحدثون، محمد محمد أبو زهو، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: الثانية، ١٣٧٨هـ.
٤١٤. حِرَاسَةُ الْفَضِيلَةِ، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط: الحادية عشر، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٤١٥. حرية الفكر والاعتقاد، جمال البنا، دار الفكر الإسلامي، القاهرة.
٤١٦. الحرية في الإسلام، جمال البنا، الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ٢٠١١م.
٤١٧. الحسبة، دراسة أصولية تاريخية، د. أحمد صبحي منصور، مركز المحروسة، ط: الأولى، ١٩٩٥م.
٤١٨. حصاد العقل، المستشار محمد سعيد العشماوي، الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ط: الثالثة، ٢٠٠٤م.
٤١٩. الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، د. توفيق يوسف الواعي، دار الوفاء، المنصورة- مصر، ط: الأولى، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م.
٤٢٠. حفظ الله السنة، وصور من حفظ العلماء لها، أحمد بن فارس سلوم، دار البشائر، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٤ه- ٢٠٠٣م.
٤٢١. الحق المطلق، نظرية قرآنية في الروح القرآنية، عدنان الرفاعي، دار الفكر، دمشق- سورية، ط: الأولى، ٢٠٠٠م.
٤٢٢. حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، د. عبد الصبور مرزوق وآخرون، القاهرة، ١٤٢٣ه- ٢٠٠٢م.
٤٢٣. حقوق المرأة في ضوء السنة النبوية، د. نوال العيد، ط: الأولى، ١٤٢٧ه - ٢٠٠٦م.

٤٢٤. حقيقة الخلق ونظرية التطور، محمد فتح الله كولون، ترجمة: اورخان محمد علـي، دار النيل، القاهرة، ط: الثانية، ١٤٢٦ه-٢٠٠٦م.

٤٢٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله بن أحمد، أبو نعيم الأصبهاني، السعادة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٤٢٦. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن البيطار الميـداني، ت: محمد بهجة البيطار، دار صـادر، بـيروت، ط: الثانيـة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٤٢٧. حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، محمد بن أحمد، أبو بكر الشاشي القفال، ت: د. ياسين أحمد إبراهيم درادكة، مؤسسة الرسالة/ دار الأرقم - بـيروت / عمان، ط: الأولى، ١٩٨٠م.

٤٢٨. حوار حول: الإسلام هو القرآن وحده، محمد توفيق صدقي، رشيد رضـا، طـه البشري، جمع وتحقيق: هشام عبد العزيز، جداول، بيروت- لبنـان، ط: الأولى، ٢٠١١م.

٤٢٩. حوارات ثقافية، سامر إسلامبولي، ط: الأولى، ٢٠١١م.

٤٣٠. حوارات حول الشريعة، أحمد جودة،

٤٣١. الحور العين، نشوان بن سعيد الحميرى، ت: كمال مصطفى، مكتبة الخـانجي- القاهرة، ١٩٤٨ م.

٤٣٢. الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني، ت: علي بن محمد بن ناصر الفقهي، مكتبة العلـوم والحكـم، المدينـة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٤٣٣. خاص الخاص، عبد الملك بن محمد، أبو منصور الثعـالبي، حسـن الأمـين، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان.

٤٣٤. خديعة التطور، هارون يحيى، ترجمة: سليمان بابيارا.

٤٣٥. الخصائص الكبرى، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية- بيروت.

٤٣٦. خلاصة الجواهر الزكية في فقه المالكية، أحمد بن تُرْكي بن أحمد المنشليلي، مراجعة: حسن محمد الحفناوي، حاشية: الشيخ عبده يوسف الصفتي، المجمع الثقافي، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٢ م.

٤٣٧. خُلاصة المتون في أبناء ونبلاء اليمن الميمون، محمد بن محمد زبارة، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط: الأولى.

٤٣٨. خلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية- الرياض.

٤٣٩. الخوارج مناهجهم وأصولهم وسماتهم- قديماً وحديثاً وموقف السلف منها، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار القاسم، الرياض، ط: الثانية، ١٤١٧هـ.

٤٤٠. دارون ونظرية التطور، شمس الدين آق بلوت، ترجمه عن التركية: اورخان محمد علي، دار الصحوة، القاهرة.

٤٤١. دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية، أضاليل وأباطيل، د. إبراهيم عوض، مكتبة البلد الأمين، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤٤٢. دَائِرَة المعارف الإسلامية، ترجمة: مُحَمَّد ثَابت الأفندي وَجَمَاعَة، ١٣٥٢هـ-١٦٢٣م.

٤٤٣. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي، ت: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٤٤٤. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت.

٤٤٥. درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ت: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

٤٤٦. دراسات في السيرة النبوية، محمد سرور بن زين العابدين، دار الأرقم، ط: الثانية، ١٤٠٨ه – ١٩٨٨م.

٤٤٧. دراسات إسلامية ونقد كتاب ثورة الإسلام، محمد حسن بنجر.

٤٤٨. دراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير، دار الإمام المجدد، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٤٤٩. دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠ه- ١٩٨٠م.

٤٥٠. دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، ط: الثانية عشرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٤٥١. دراسات في منهج النقد عند المحدثين، محمد علي قاسم العمري، دار النفائس، الأردن.

٤٥٢. دراسات وبحوث فى الفكر الإسلامى المعاصر، د. فتحي الدرينى، دار قتيبة، بيروت- دمشق، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.

٤٥٣. دراسة أصولية في السنة النبوية، د. محمد إبراهين الحفناوي، دار الوفاء، المنصورة- مصر، ط: الأولى، ١٤١٢ه-١٩٩١م.

٤٥٤. دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)، د. أحمد محمد جلي، مركز الملك فيصل للبحوث، ط: الأولى، ١٤٠٦ه -١٩٨٦م.

٤٥٥. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر، ت: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر اباد/ الهند، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٤٥٦. دستور العلماء(جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٤٥٧. دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، عبد المحسن المطيري، دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

٤٥٨. الدعوة السلفية في القارة الهندية وأثرها في مقاومة الإنحرافات الدينية، عبد الوهاب خليل الرحمن، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

٤٥٩. دفاع عن السُنَّة ورد شبه المُسْتَشْرِقِينَ والكتاب المعاصرين، محمد بن محمد أبو شُهبة، مجمع البحوث الإسلامية – القاهرة، ط: الثانية، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥م.

٤٦٠. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، نهضة مصر، ط: السابعة، ٢٠٠٥م.

٤٦١. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، مكتبة الخراز – جدة، ط: الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦ م.

٤٦٢. دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتى الحنبلى، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٤٦٣. الدلالة العقلية في القرآن، د. عبد الكريم نوفان عبيدات، دار النفائس، الأردن، ط١، ١٤٢٠ه– ٢٠٠٠م.

٤٦٤. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني، القاهرة – دار المدني، جدة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٤٦٥. دلائل النبوة، الإمام البيهقي، ت: د. عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية ـــ ودار الريان للتراث، ط: الأولى، ١٤٠٨ هـــ / ١٩٨٨ م.
٤٦٦. دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك فى القرن العشرين، حسين أحمد أمين، دار الشروق، القاهرة، ط: الأولى. ١٤٠٣هـــ-١٩٨٣م.
٤٦٧. الدولة والمجتمع، د. محمد شحرور، الأهالي، ١٩٩٤م – ١٤١٤ه.
٤٦٨. الديباج المُذَهَّب في مصطلح الحديث، يُنسب لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ت: حسن الإنبابي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – بمصر، ١٣٥٠ هـــ - ١٩٣١ م.
٤٦٩. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي، ابن فرحون، ت: وتعليق: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
٤٧٠. دين الحق، عبد الرحمن بن حماد آل عمر، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط: السادسة، ١٤٢٠هـــ.
٤٧١. دين الرحمن(المدخل إلى الحقيقة)، نيازي عز الدين، مكتبة مدبولي- القاهرة، ط: الثانية، ٢٠٠٦م.
٤٧٢. دين السلطان (البرهان)، نيازي عز الدين، الأهالي، دمشق- سورية، بيسان، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٩٩٧م.
٤٧٣. دين الله في كتب أنبيائه، محمد توفيق صدقي، مطبعة مجلة المنار، مصر، ط: الأولى، ١٣٣٠ه- ١٩١٢م.
٤٧٤. دين الله واحد محمد والمسيح إخوان، محمود أبو رية، دار الكرنك، القاهرة.
٤٧٥. الدين في نظر العقل الصحيح، د. محمد توفيق صدقي، مكتبة المنار، مصر، ط: الثانية، ١٣٤٦ه.
٤٧٦. الدين والثورة في مصر، حسن حنفي، مكتبة مدبولي، القاهرة.

٤٧٧. ديوان الإسلام، محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، ت: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
٤٧٨. ديوان الأعشى، شرح وتعليق: د. محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز.
٤٧٩. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.
٤٨٠. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آغا بزرك الطهراني، دار الأضواء، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ.
٤٨١. ذم الكلام وأهله، عبد الله بن محمد الهروي، ت: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.
٤٨٢. ذيل تذكرة الحفاظ، محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٤٨٣. ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية.
٤٨٤. ذيل طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، ت: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان – الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م.
٤٨٥. رائد الشعر الحديث أحمد زكي أبو شادي، محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة.
٤٨٦. الربا وعلاقته بالممارسات المصرفية والبنوك الإسلامية، جمال البنا، دار الفكر الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٧ه-١٩٨٦م.
٤٨٧. رجال صحيح مسلم، أحمد بن علي، أبو بكر ابن مَنْجُويَه، ت: عبد الله الليثي، دار المعرفة- بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٧ه.

٤٨٨. الرد الشافي على مفتريات القذافي، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٧ه.

٤٨٩. الرد القويم على المجرم الأثيم، حمود بن عبد الله التويجري، الرئاسة العامة لإدارت البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٠٣ه.

٤٩٠. الرد الوافر، محمد بن عبد الله بن مجاهد القيسي، الشهير بابن ناصر الدين ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، ط: الأولى، ١٣٩٣ه.

٤٩١. الرد على الجهمية والزنادقة، أحمد بن محمد بن حنبل، ت: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات، ط: الأولى.

٤٩٢. الرد على الجهمية، محمد بن إسحاق بن مَنْدَه العبدي، ت: علي محمد ناصر الفقيهي، المكتبة الأثرية – باكستان.

٤٩٣. الرد على المنطقيين، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٤٩٤. الرد على كتاب: عذاب القبر والثعبان الأقرع، لأحمد صبحي منصور زعيم جماعة منكري السنة، د. عبد الغفار سليمان البنداري.

٤٩٥. الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، عثمان بن سعيد، أبو عمرو الداني، ت: دغش بن شبيب العجمي، دار الإمام أحمد – الكويت، ط: الأولى ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠ م.

٤٩٦. رسالة في تحريم نكاح المتعة، نصر بن إبراهيم بن نصر، أبو الفتح المعروف بابن أبي حافظ، ت: حماد بن محمد الأنصاري، دار طيبة، ط: الثانية.

٤٩٧. الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، ت: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي-مصر، ط: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

٤٩٨. رشيد رضا الإمام المجاهد، إبراهيم أحمد العدوى، المؤسسة المصرية العامة، الدار المصرية.
٤٩٩. رفع الإصر عن قضاة مصر، أحمد بن علي بن حجر، ت: د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
٥٠٠. رفع الملام عن الأئمة الأعلام، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، - السعودية، الرياض، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
٥٠١. روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
٥٠٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٥٠٣. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت.
٥٠٤. الرَّوضُ البَاسمْ في الذّبِّ عَنْ سُنَّةِ أبي القَاسِم- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ، محمد بن إبراهيم ابن الوزير، ت: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد.
٥٠٥. الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى، ت: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، ط: الثانية، ١٩٨٠م.
٥٠٦. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م.

٥٠٧. رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد عبدالحميد غراب، المنتدى الإسلامي، لندن ١٤١١هـ.

٥٠٨. رياض الجنة بتخريج أصول السنة، محمد بن عبد الله، الشهير بابن أبي زمنين، ت: عبد الله بن محمد البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية، ط: الأولى، ١٤١٥ه.

٥٠٩. رياض الجنة في الرد على المدرسة العقلية ومنكري السنة، سيد بن حسين العفاني، دار العفاني، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٦م.

٥١٠. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٥١١. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

٥١٢. زعماء الاصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

٥١٣. الزهد، أحمد بن محمد بن حنبل، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٥١٤. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى، المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.

٥١٥. زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً، صلاح الدين مقبول، مجمع البحوث الإسلامية، نيودلهي، ط: الأولى، ١٤١١ه- ١٩٩١م.

٥١٦. الزواج والطلاق المدني في القرآن، محمد أبو زيد، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ١٩٨٤م.

٥١٧. الزيدية نشأتها ومعتقداتها، القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، دار الفكر، دمشق- سورية، ط: الثالثة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٥١٨. سبل السلام، محمد بن إسماعيل، الكحلاني ثم الصنعاني، دار الحديث.

٥١٩. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، ت: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٥٢٠. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، مطبعة بولاق (الأميرية) — القاهرة، ١٢٨٥ هـ.

٥٢١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى، جـ ١ - ٤: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

٥٢٢. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

٥٢٣. السلطة في الإسلام العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ، عبد الجواد ياسين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: الأولى، ١٩٩٨م.

٥٢٤. السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية، ط: الثانية، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٥٢٥. السلوك في طبقات العلماء والملوك، محمد بن يوسف بن يعقوب الجُنْدي، ت: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد- صنعاء - ١٩٩٥م ط: الثانية.
٥٢٦. سنة الأولين، ابن قرناس، منشورات الجمل، العراق- ألمانيا، ط: الثانية، ٢٠٠٨م.
٥٢٧. السنة الرسولية والسنة النبوية، د. محمد شحرور، دار الساقي، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ٢٠١٢م.
٥٢٨. السُنَّة المطهرة والتحديات، نور الدين محمد عتر الحلبي، مجلة مركز بحوث السُنَّة والسيرة - قطر، العدد الثالث، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٥٢٩. السنة المفترى عليها، المستشار سالم على البهنساوي، دار الوفاء- المنصورة، دار البحوث العلمية- الكويت، ط: الثالثة، ١٤٠٩ه -١٩٨٩م.
٥٣٠. السنة النبوية الشريفة، للدكتور أحمد محمود كريمة، مجلة الأزهر الشريف، عدد ربيع الأول ١٤١٨هـ.
٥٣١. السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ومكانتها من حيث الاحتجاج والمرتبة والبيان والعمل، رقية بنت نصر الله نياز، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
٥٣٢. السنة النبوية المطهرة قسم من الوحي الإلهي المترل، محمد علي الصابوني، كتاب شهري يصدر عم رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٧ه.
٥٣٣. السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، د. عماد السيد الشربيني، دار اليقين، المنصورة- مصر، ط: الثانية، ١٤٢٩ه- ٢٠٠٨م.
٥٣٤. السنة النبوية في مواجهة أعدائها، د. طه الدسوقي الحبيشي.
٥٣٥. السنة النبوية في مواجهة التحديات، د. أيمن محمود مهدي، ط: الأولى، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م.

٥٣٦. السنة النبوية وبيانها للقرآن الكريم، محمود عبد ربه، دار خضر، بيروت، ١٤١٠هـ.
٥٣٧. السنة النبوية وحي من الله محفوظ، الحسين آيت سعيد، وورد.
٥٣٨. السنة النبوية وعلومها، د. أحمد عمر هاشم، مكتبة غريب، ط: الثانية.
٥٣٩. السنة النبوية، مكانتها، عوامل بقائها، تدوينها، د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي، دار الاعتصام بمصر.
٥٤٠. السنة باعتبارها مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي، محمود شريح، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية.
٥٤١. السنة بيانًا للقرآن، د. إبراهيم الخولي، الشركة العربية للطباعة، ١٩٩٣م.
٥٤٢. السنة حجيتها ومكانتها في التشريع، د. محمد لقمان السلفي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
٥٤٣. السنة في مواجهة الأباطيل، محمد طاهر بن حكيم غلام رسول، دعوة الحق (سلسلة شهرية تصدر مع مطلع كل شهر عربي- السَنَة الثانية: ١٤٠٢ هـ ربيع الأول العدد (١٢) [مطبوعات رابطة العالم الإسلامي].
٥٤٤. السنة والتشريع، د. موسى لاشين شاهين، مجلة الأزهر، ١٤١١هـ.
٥٤٥. السنة وبيان مكانتها في الإسلام، د. محمد بن سعيد رسلان، دار أضواء السلف، القاهرة- مصر، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
٥٤٦. السنة ودورها في الفقه الجديد، جمال البنا، دار الفكر الإسلامي.
٥٤٧. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي، دمشق – سوريا، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م.

٥٤٨. السنة، أحمد بن محمد الخَلَّال البغدادي الحنبلـــي، ت: د. عطيـــة الزهـــراني، دار الراية- الرياض، ط: الأولى، ١٤١٠هـــ - ١٩٨٩م.

٥٤٩. السنة، عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، ت: د. محمد بن سعيد القحطـــاني، دار ابن القيم- الدمام، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـــ - ١٩٨٦ م.

٥٥٠. السنة، محمد بن نصر المَرْوَزِي، ت: سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٨ه.

٥٥١. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي.

٥٥٢. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٥٥٣. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمـــد شاكر (جـــ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـــ ٣)، وإبراهيم عطوة عـــوض (جـــ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط: الثانيـــة، ١٣٩٥ هـــ - ١٩٧٥ م.

٥٥٤. سنن الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، ت: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـــ - ٢٠٠٤م.

٥٥٥. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، ت: محمد عبد القادر عطـــا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٤ هـــ - ٢٠٠٣ م.

٥٥٦. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب بن علي النسائي، ت: حسن عبد المنعم شـــلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـــ - ٢٠٠١ م.

٥٥٧. السيد رشيد رضا وإخاء أربعين سنة، الأمير شكيب أرسلان، مطبعة ابن زيدون- دمشق، ط: الأولى، ١٣٥٦ه- ١٩٧٣م.

٥٥٨. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م.

٥٥٩. سير السلف الصالحين، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، ت: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، دار الراية، الرياض.

٥٦٠. سيرة الإمام أحمد بن حنبل، صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل، ت: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة- الاسكندرية، ط: الثانية، ١٤٠٤هـ.

٥٦١. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد أبو شُهبة، دار القلم - دمشق، ط: الثامنة - ١٤٢٧ هـ.

٥٦٢. السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن علي الحجى، دار ابن كثير- دمشق، ط: الأولى - ١٤٢٠ هـ.

٥٦٣. سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، عبد الله ابن عبد الحكم، ت: أحمد عبيد، عالم الكتب - بيروت - لبنان، ط: السادسة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥٦٤. سيرة عمر بن عبد العزيز، عبد الرحمن ابن الجوزي، ت: طه عبد الرءوف سعد، دار ابن خلدون، إسكندرية، ط: الأولى، ١٤١٧ه -١٩٩٦م.

٥٦٥. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٥ه- ٢٠٠٤م.

٥٦٦. الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور محمد الجابري، عبد السلام البكاري، الصديق بوعلام، الدار العربية للعلوم ناشرون- بيروت، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
٥٦٧. الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٥٦٨. شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، محمود محمد مزروعة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
٥٦٩. شبهات القرآنيين، عثمان بن معلم محمود بن شيخ علي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
٥٧٠. شبهات النصارى وحجج الإسلام، محمد رشيد رضا، دار المنار، ١٣٦٧هـ.
٥٧١. شبهات حول أحاديث الرجم وردها، سعد المرصفي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، مؤسسة الريان، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.
٥٧٢. شبهات وشطحات منكري السنة النبوية، أبو إسلام أحمد عبد الله، بيت الحكمة، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٥٧٣. شبهة عرض السنة على القرآن، عرض ونقد، د. إسماعيل الميمني.
٥٧٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، ت: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
٥٧٥. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن اللالكائي، ت: أحمد ابن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة- السعودية، ط: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٥٧٦. شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد، ت: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الثالثة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٥٧٧. شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، محمد بن علي بن وهب، الشهير بابن دقيق العيد، ت: عبد العزيز السعيد، دار أطلس، ط: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٥٧٨. شرح التبصرة والتذكرة (ألفية العراقي)، عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ت: عبد اللطيف الهميم- ماهر ياسين فحل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٥٧٩. شرح الحموية لابن تيمية، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http: //www. islamweb. net

٥٨٠. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، ت: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٥٨١. شرح السنة، الحسن بن علي بن خلف البربهاري، ت: د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم - الدمام، ط: الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٥٨٢. شرح السنة، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، ت: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥٨٣. شرح الشفا، علي بن (سلطان) محمد، الملا القاري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١هـ.

٥٨٤. شرح الصدور بتحريم رفع القبور، محمد بن علي الشوكاني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط: الرابعة، ١٤٠٨هـ.

٥٨٥. شرح العقيدة الطحاوية، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، www. islamweb. net.

٥٨٦. شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علاء الدين ابن أبي العز الحنفي، ت: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٥٨٧. شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ت: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الخامسة، ١٤١٩هـ.

٥٨٨. شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هرّاس، ت: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة- الخبر، ط: الثالثة، ١٤١٥ هـ.

٥٨٩. شرح أَلْفِيَّةِ السُّيوطي في الحديث المسمى «إسعاف ذوي الوَطَر بشرح نظم الدُّرَر في علم الأثر»، الشيخ محمد بن علي بن آدم الأثيوبي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

٥٩٠. الشرح الكبير على متن المقنع، عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار.

٥٩١. شرح المعلقات التسع، منسوب لأبي عمرو الشيباني، ت: وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٥٩٢. الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط: الأولى، ١٤٢٢- ١٤٢٨هـ.

٥٩٣. شرح بلوغ المرام، عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير.

٥٩٤. شرح سنن ابن ماجه، السيوطي، عبدالغني، فخر الحسن الدهلوي، قديمي كتب خانة – كراتشي.

٥٩٥. شرح صحيح البخارى، علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- السعودية، الرياض، ط: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٥٩٦. شرح قواعد الأصول ومعاقد الفصول، د. سعد الشثري، عني به: عبد الناصر بن عبد القادر البشبيشي، كنوز أشبيليا، الرياض- السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٥٩٧. شرح مختصر الطحاوي، أبو بكر الجصاص، ت: د. عصمت الله عنايت الله محمد، وآخرون، شركة دار البشائر الإسلامية، بيروت، ودار السراج، المدينة، ط: ١٤٣١هـ.

٥٩٨. شرح مشكل الآثار، أحمد بن محمد بن سلامة، المعروف بالطحاوي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٥٩٩. شرح معاني الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، ت: محمد زهري النجار- محمد سيد جاد الحق، راجعه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٦٠٠. شرف أصحاب الحديث، أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي، ت: د. محمد سعيد خطي اوغلي، دار إحياء السنة النبوية- أنقرة.

٦٠١. الشريعة، محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ، ت: د. عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن- الرياض/ السعودية، ط: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٦٠٢. شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم، عبد المتعال محمد الجبري، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٦م.

٦٠٣. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، ت: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، خرجه أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي

– الهند، مكتبة الرشد، الرياض، الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

٦٠٤. شعر الخوارج، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ط: الثالثة، ١٩٧٤م.

٦٠٥. الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

٦٠٦. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٦٠٧. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، ت: د. حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

٦٠٨. شيخ المضيرة أبو هريرة، محمود أبو رية، مؤسسةالأعلمي، بيروت- لبنان، ط: الرابعة، ١٤١٣ه- ١٩٩٣م.

٦٠٩. الشيخ محمد أبو زهرة وآراؤه الاعتقادية(رسالة ماجستير)، فهد النمري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

٦١٠. الشيخ محمد عبده وآراؤه في العقيدة، حافظ محمد الجعبري، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٠٢ه- ١٩٨٢م.

٦١١. الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية، دار الشروق، بيروت القاهرة.

٦١٢. الشيعة والتشيع، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور- باكستان، ط: العاشرة، ١٤١٥ه -١٩٩٥م.

٦١٣. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس ابن زكرياء القزويني، محمد علي بيضون، ط: الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٦١٤. الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

٦١٥. صب العذاب على من سب الأصحاب، محمود شكري الآلوسي، ت: عبد الله البخاري، أضواء السلف، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٦١٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٦١٧. الصحبة والصحابة في تحقيق عدالة الصحابة، د. أحمد علي الإمام، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات- دبي، ط: الثانية.

٦١٨. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣م.

٦١٩. صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي– بيروت.

٦٢٠. صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

٦٢١. الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر- المدينة النبوية، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٦٢٢. الصحيح المسند من أسباب النزول، مُقْبلُ بنُ هَادِي الوادعِيّ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: الرابعة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

٦٢٣. الصراع بين التيارين الديني والعلماني، د. محمد كامل ضاهر، دار البيروني- بيروت، ط: الأولى، ١٤١٤ه-١٩٩٤.

٦٢٤. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، دار الندوة- لبنان، ط: الثانية، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

٦٢٥. صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم- دمشق، ط: الخامسة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٦٢٦. الصفات، علي بن عمر الدارقطني، ت: عبد الله الغنيمان، مكتبة الدار – المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤٠٢هـ.

٦٢٧. صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، ت: محمود فاخوري- د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة – بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩م.

٦٢٨. الصفدية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي، ت: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط: الثانية، ١٤٠٦هـ.

٦٢٩. الصلاة بين القرآن الكريم والمسلمين، د. أحمد صبحي منصور، الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ٢٠٠٨م.

٦٣٠. الصلة بين التشيع والاعتزال، محمد بن حامد الجدعاني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤١٩هـ.

٦٣١. الصلة بين التصوف والتشيع، د. كامل مصطفى الشيبي، دار الأندلس، بيروت- لبنان، ط: الثالثة، ١٩٨٢م.

٦٣٢. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، ت: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٦٣٣. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ت: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٦٣٤. ضحى الإسلام، أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.

٦٣٥. الضعفاء والمتروكون، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ت: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٦٣٦. الضعفاء، أحمد بن عبد الله، أبو نعيم الأصبهاني، ت: فاروق حمادة، دار الثقافة- الدار البيضاء، ط: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٤م.

٦٣٧. ضعيف الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض.

٦٣٨. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

٦٣٩. ضعيف سنن أبي داوود، محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس- الكويت، ط: الأولى - ١٤٢٣ هـ.

٦٤٠. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

٦٤١. ضوابط الرواية عند المحدثين، الصديق بشير، منشورات كلية الدعوة الإسلامية- طرابلس، ط:الأولى، ١٤٠١هـ.

٦٤٢. الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، سليمان بن سحمان، العسيري، النجدي، ت: عبد السلام بن برجس بن ناصر بن عبد الكريم، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الخامسة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٢م.

٦٤٣. طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٣ه.

٦٤٤. طبقات الحنابلة، محمد بن محمد ابن أبي يعلى، ت: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت.

٦٤٥. طبقات الزيدية الكبرى، إبراهيم بن القاسم الشهاري، ت: عبد السلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الأردن، ط: الأولى، ١٤٢١ه- ٢٠٠١م.

٦٤٦. طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ت: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر، ط: الثانية، ١٤١٣هـ.

٦٤٧. طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر، تقي الدين ابن قاضي شهبة، ت: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب- بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٧ هـ.

٦٤٨. طبقات الشافعيين، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، ت: د. أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٦٤٩. طبقات الصوفية، محمد بن الحسين بن محمد، أبو عبد الرحمن السلمي، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٦٥٠. طبقات الفقهاء الشافعية، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو ابن الصلاح، ت: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط: الأولى، ١٩٩٢م.

٦٥١. طبقات الفقهاء، إبراهيم بن علي الشيرازي، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور، ت: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٩٧٠م.

٦٥٢. الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، المعروف بابن سعد، ت: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط: الثانية، ١٤٠٨ه.

٦٥٣. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، ت: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم- السعودية، ط: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٦٥٤. طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: علي محمد عمر، مكتبة وهبة — القاهرة، ط: الأولى، ١٣٩٦ه.

٦٥٥. طبقات المفسرين، محمد بن علي، شمس الدين الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية — بيروت.

٦٥٦. طبقات النسابين، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار الرشد، الرياض، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦٥٧. طبقات خليفة بن خياط، خليفة بن خياط البصري، رواية: أبي عمران موسى بن زكريا بن يحيى التستري (ت ق ٣ هـ)، محمد بن أحمد بن محمد الأزدي (ت ق ٣ هـ)، ت: د. سهيل زكار، دار الفكر، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٦٥٨. طبقات صلحاء اليمن/ المعروف بتاريخ البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي السكسكي، ت: عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد — صنعاء.

٦٥٩. الطرق الحكمية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مكتبة دار البيان.

٦٦٠. طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط: الثانية، ١٣٩٤هـ.

٦٦١. طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول، عبد الرحمن السعدي، دار البصيرة، الإسكندرية- مصر.

٦٦٢. طه حسين في ميزان العلماء والأدباء، محمود مهدي الاستانبولي، المكتب الإسلامي، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٦٦٣. ظاهرة الاستشراق مناقشات في المفهوم والارتباطات، د. علي بن إبراهيم النملة، مكتبة التوبة، ط: الثانية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٦٦٤. ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، د. خالد بن عبد العزيز السيف، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة- المملكة العربية السعودية، ط: الثانية، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
٦٦٥. الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سورية، ط: الرابعة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٦٦٦. ظلام من الغرب، محمد الغزالي، نهضة مصر، ط: الأولى، ١٩٩٧م.
٦٦٧. العبر في خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت.
٦٦٨. عذاب القبر والثعبان الأقرع، أحمد صبحي منصور.
٦٦٩. العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ت: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط: الثانية، ١٤٢٦ هـ.
٦٧٠. العرش وما رُوِي فيه، محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ت: محمد بن خليفة بن علي التميمي، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٦٧١. العرش، محمد بن أحمد الذهبي، ت: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٦٧٢. العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر- الرياض، ط: الثانية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٦٧٣. العصريون معتزلة اليوم، يوسف كمال، دار الوفاء، المنصورة- مصر، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٦٧٤. عظمة القرآن، د. محمود أحمد الدوسري، دار ابن الجوزي، الدمام- السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ.

٦٧٥. عقائد الإمامية الإثني عشرية، الموسوي الزنجاني النجفي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان.

٦٧٦. عقائد الثلاث والسبعين فرقة، أبو محمد اليمني (من علماء القرن السادس الهجري)، ت: محمد بن عبد الله الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: الثانية، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٦٧٧. العقلية الليبرالية في رصف العقل ووصف النقل، عبد العزيز مرزوق الطريفي، دار الحجاز، الاسكندرية- مصر، ط: الأولى، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٦٧٨. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، ت: محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي- بيروت.

٦٧٩. عقيدة الألوهية، أحمد زكي أبو شادي، مطبعة التعاون- الاسكندرية.

٦٨٠. العقيدة الطحاوية، أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني،

٦٨١. العقيدة رواية أبي بكر الخلال، أحمد بن محمد بن حنبل، ت: عبد العزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة - دمشق، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٦٨٢. العقيدة والشريعة في الإسلام، المستشرق إجناس جولد تسيهر، ترجمة: د. محمد يوسف موسى، د. علي حسن عبد القادر، د. عبد العزيز عبد الحق، دار الكتب الحديثة-مصر، مكتبة المثنى- بغداد، ط: الثانية.

٦٨٣. العلاقة بين حاكمية الوحي واجتهاد العقل، دار الجامعات اليمنية، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٦٨٤. العلل الصغير، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، ت: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٦٨٥. علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، مكتبة الدعوة - شباب الأزهر.

٦٨٦. علم التفسير في كتابات المستشرقين، د. عبد الرزاق هرماس، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، العدد (٢٥)، شوال ١٤٢٣هـ.

٦٨٧. علم التفسير، د. محمد حسين الذهبي، دار المعارف، القاهرة- مصر.

٦٨٨. علم الله وحرية الإنسان، سامر إسلامبولي، الأهالي، دمشق، ط: الأولى، ١٩٩٤م.

٦٨٩. العلم، أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م.

٦٩٠. علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله البسام، دار العاصمة، الرياض، ط: الثانية، ١٤١٩هـ.

٦٩١. علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، دار الشواف، الرياض، ط: الرابعة.

٦٩٢. العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق- القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٦٩٣. العلمانية، جذورها، وأصولها، د. محمد علي البار، دار القلم- دمشق، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٦٩٤. العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، مصطفى باجو، المكتبة الإسلامية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
٦٩٥. العلمانيون والقرآن الكريم، د. أحمد إدريس الطعان، دار ابن حزم، الرياض- السعودية، ط: ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٦٩٦. العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، محمد بن أحمد الذهبي، ت: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض، ط: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٦٩٧. علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح- دمشق، ط: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٦٩٨. عمارة القبور، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ت: ماجد بن عبد العزيز الزيادي، المكتبة المكية.
٦٩٩. عمدة التفسير من الحافظ ابن كثير، أحمد محمد شاكر، دار الوفاء، المنصورة- مصر، ط: الثانية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٧٠٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٧٠١. العناية شرح الهداية، محمد بن محمد بن محمود، البابرتي، دار الفكر.
٧٠٢. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ، محمد بن إبراهيم بن علي بن الوزير، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
٧٠٣. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الثانية، ١٤١٥ هـ.

٧٠٤. العين والأثر في عقائد أهل الأثر، عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلي، ت: عصام رواس قلعجي، دار المأمون للتراث، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ.

٧٠٥. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أبو العباس ابن أبي أصيبعة ت: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة- بيروت.

٧٠٦. الغارة على التراث الإسلامي، جمال سلطان، مكتبة السنة، دار تراثية، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٠ه-١٩٩٠م.

٧٠٧. الغارة على العالم الإسلامي، ألفريد لوشاتليه، نقله إلى اللغة العربية: مُساعد اليافي، مُحبُّ الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، ط: الثانية، ١٣٨٧ هـ.

٧٠٨. غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد، أبو الخير ابن الجزري، بن يوسف، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.

٧٠٩. الغاية في شرح الهداية في علم الرواية، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت: أبو عائش عبد المنعم إبراهيم، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط: الأولى، ٢٠٠١م.

٧١٠. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري، ت: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه - بيروت، ط: الأولى - ١٤١٦ هـ.

٧١١. غرر التبيان في من لم يسم في القرآن، محمد بن إبراهيم ابن جماعة، ت: د. عبد الجواد خلف، دار قتيبة، ط: الأولى، ١٤١٠ه- ١٩٩٠م.

٧١٢. غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، ت: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ط: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

٧١٣. الغزو الفكري في التصور الإسلامي وكيفية مواجهته، د. أحمد عبد الرحيم السايح، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط: الأولى، ١٤٢١ه- ٢٠٠٠م.

٧١٤. الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، أبحاث مؤتمر الفقه الإسلامي المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام، الرياض- السعودية، ١٣٩٦هـ.

٧١٥. الغلو في الدين في العصر الحاضر، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٧١٦. غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة، خلف بن عبد الملك ابن بشكوال، ت: د. عز الدين علي السيد، محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ.

٧١٧. الفتاوى الحديثية، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، دار الفكر.

٧١٨. الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٧١٩. فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الأولى، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الإدارة العامة للطبع – الرياض.

٧٢٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٧٢١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

٧٢٢. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان القِنَّوجي، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٧٢٣. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد، أحمد عبد الرحمن البنا، الشهير بالساعاتي، دار إحياء التراث العربي، ط: الثانية.

٧٢٤. الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني،: محمد بن علي الشوكاني، ت: محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء – اليمن.

٧٢٥. فتح العزيز بشرح الوجيز، عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، دار الفكر.

٧٢٦. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، ط: الأولى،١٤١٤هـ.

٧٢٧. الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عبد الله مصطفى المراغي، نشره: محمد علي عثمان، ١٣٦٦ه-١٩٧٤م.

٧٢٨. فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت: علي حسين علي، مكتبة السنة – مصر، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٧٢٩. فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن، الرياض.

٧٣٠. فجر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط: العاشرة، ١٩٦٩م.

٧٣١. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ت: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة- مصر.

٧٣٢. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٧٣٣. الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البداية، سعد رستم، الأوائل، دمشق- سورية، ط: الثالثة، ٢٠٠٥م.

٧٣٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم، مكتبة الخانجي- القاهرة.

٧٣٥. فصول في أصول التفسير، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام- السعودية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٧٣٦. فضائل القرآن للقاسم بن سلام، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله، ت: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير (دمشق - بيروت)، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥ م.

٧٣٧. فضائل القرآن، جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدِ بنُ المُعْتَزِّ المُسْتَغْفِرِيُّ، ت: أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، ط: الأولى، ٢٠٠٨ م.

٧٣٨. الفضائيات العربية التنصيرية، أهدافها-وسائلها- سبل الوقاية منها، تركي بن خالد الظفيري، كتاب مجلة البيان، ط: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٧٣٩. فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، أبو القاسم البلخي، القاضي عبد الجبار، الحاكم الجشمي، ت: فؤاد سيد، الدار التونسية.

٧٤٠. فضل علم السلف على الخلف، ابن رجب الحنبلي، المكتبة المحمودية التجارية الكبرى، القاهرة-مصر.

٧٤١. الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ، أ. د. وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، دار الفكر - سوريَّة - دمشق، ط: الرَّابعة.

٧٤٢. فقه السنة، سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط: الثالثة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ م.

٧٤٣. فقه الفقهاء السبعة وأثره في فقه الإمام مالك، عبد الله بن صالح الرسيني، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز- مكة المكرمة، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٧٤٤. الفقيه و المتفقه، أحمد بن علي بن ثابت بن الخطيب، ت: عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي – السعودية، ط: الثانية، ١٤٢١هـ.

٧٤٥. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، د. محمد البهى، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، ط: الرابعة.

٧٤٦. الفكر الإسلامي، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، المؤسسة الوطنية- الجزائر، ١٩٩٣م.

٧٤٧. الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط: الثالثة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٧٤٨. فكر طه حسين في ضوء العقيدة الإسلامية، فاطمة بنت حميد الحسني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٧٤٩. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفتش، دار المعارف- مصر.

٧٥٠. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط: الثانية، ١٩٨٢م.

٧٥١. الفهرست، محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي، المعروف بابن النديم، ت: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان، ط: الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧٥٢. فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد، الملقب بصلاح الدين، ت: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط: الأولى.

٧٥٣. في السيرة النبوية (١) الوحي والقرآن والنبوة، هشام جعيط، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط: الثانية، ٢٠٠٠م.
٧٥٤. فيض الخاطر، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ط: الثالثة، ١٩٥٣م.
٧٥٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط: الأولى، ١٣٥٦ه.
٧٥٦. القاديانية —دراسة وتحليل، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط: السادسة عشرة، ١٤٠٤ه- ١٩٨٣م.
٧٥٧. القاديانية وموقف الإسلام منها، سامية جمال سمباوه، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٠٢- ١٤٠٣ه.
٧٥٨. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ت: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت — لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٧٥٩. القبورية في اليمن، أحمد بن حسين المعلم، مركز الكلمة الطيبة، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
٧٦٠. قراءة في وثائق البهائية، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، مركز الأهرام للترجمة- القاهرة، ط: الأولى، ١٤٠٦ه- ١٩٨٦م.
٧٦١. القرآن الكريم ومترلته بين السلف ومخالفيهم، محمد هشام طاهري، دار التوحيد، الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م.
٧٦٢. القرآن والتفسير العصري، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، القاهرة، دار المعارف، ط: الثانية.
٧٦٣. القرآن والنبيﷺ، د. عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط: الثالثة.
٧٦٤. القرآن وكفى مصدراً للتشريع، د. أحمد صبحي منصور.

٧٦٥. القرآن ونقض مطاعن الرهبان، د صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط: الأولى: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٧٦٦. القرآنيون وشبهاتهم حول السنة النبوية، خادم حسين إلهي بخش، مكتبة الصديق، الطائف- السعودية، ط: الأولى، ١٤٠٩ه- ١٩٨٩م.

٧٦٧. قره عين الأخيار لتكملة رد المحتار علي «الدر المختار شرح تنوير الأبصار» (مطبوع بآخر رد المحتار)، محمد بن (محمد أمين المعروف بابن عابدين)، دار الفكر، بيروت - لبنان.

٧٦٨. القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام، د. أسامة محمد حمزة، ط: الثانية، ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م.

٧٦٩. القصص القرآني(١)، د. محمد شحرور، دار الساقي، بيروت- لبنان، ط: الثانية، ٢٠١٢م.

٧٧٠. قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، د. فضل حسن عباس، دار البشير، عمان- الأردن، ط: الثانية، ١٤١٠ه- ١٩٨٩م.

٧٧١. القنوات الفضائية: المآخذ والإيجابيات، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي.

٧٧٢. قواطع الأدلة في الأصول، أبو مظفر منصور بن محمد السمعاني، ت: محمد حسن اسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٩م.

٧٧٣. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان.

٧٧٤. قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين الحربي، دار القاسم، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٧ه- ١٩٩٦م.

٧٧٥. قواعد التفسير، د. خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، ط، الأولى، ١٤١٧هـ.
٧٧٦. القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٧٧٧. قواعد العقائد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ت: موسى محمد علي، عالم الكتب- لبنان، ط: الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٧٧٨. القواعد النورانية الفقهية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
٧٧٩. قوت المغتذي على جامع الترمذي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، رسالة الدكتوراه- جامعة أم القرى، مكة المكرمة - ١٤٢٤ هـ.
٧٨٠. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.
٧٨١. الكافي في فقه الإمام أحمد، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.
٧٨٢. الكافي في نقض المتعة، يعقوب بدر القطامي، ط: الأولى، ١٤٢٨ه- ٢٠٠٧.
٧٨٣. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ت: علي أكبر الغفاري، ط: دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥ه-١٩٨٥م.
٧٨٤. الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، يوسف بن علي بن جبارة، أبو القاسم الهُذَلي اليشكري المغربي، ت: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما، ط: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٧٨٥. الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٧٨٦. الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني، ت: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، شارك في ت: عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية - بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٧٨٧. كتاب أصول الفقه، يوسف شاخت، ترجمة: إبراهيم خورشيد وزملاؤه، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ١٩٨١م.

٧٨٨. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، ط: الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٧٨٩. كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسى، أبو بكر بن مجاهد، شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الثانية، ١٤٠٠هـ.

٧٩٠. كتاب الضعفاء، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، مكتبة ابن عباس، ط: الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٧٩١. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٧٩٢. كتاب الفوائد (الغيلانيات)، محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدوَيْه البغدادي الشافعي البزَّاز، ت: حلمي كامل أسعد عبد الهادي، قدم له: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي- السعودية- الرياض، ط: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٧٩٣. كتاب القواعد، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن، المعروف، تقي الدين الحصيني، ت: د. عبد الرحمن بن عبد الله الشعلان، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض، السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٧٩٤. الكتاب المقدس الألف أنا الياء، بولس باسيم، المكتبة الشرقية، بيروت- لبنان، ط: الثالثة، ١٩٩٤م.

٧٩٥. كتاب المواقف، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، ت: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت، ط: الأولى، ١٩٩٧م.

٧٩٦. كتاب ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، ١٤٢٥هـ.

٧٩٧. كتاب ندوة: السنة النبوية بين ضوابط الفهم السديد ومتطلبات التجديد، (ندوة علمية دولية رابعة)، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي- الإمارات العربية المتحدة، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٧٩٨. الكتاب والقرآن، د. محمد شحرور، شركة المطبوعات، بيروت- لبنان، ط: العاشرة، ٢٠١١م.

٧٩٩. كتابة البحوث العلمية والأكاديمية المنهجية الحديثة، د. قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٨م-١٤٢٩هـ.

٨٠٠. كتابة الحديث النبوي في عهد النبي-ﷺ- بين النهي والإذن، حسناء بنت بكري نجار، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٨٠١. كتابة الحديث بين النهي والإذن، أحمد بن محمد حميد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٨٠٢. كتابة السنة النبوية في عهد النبي- ﷺ- والصحابة وأثرها في حفظ السنة، د. أحمد عمر هاشم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٨٠٣. الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لسان الدين بن الخطيب، ت: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٩٦٣م.

٨٠٤. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التهانوي، تقديم: د. رفيق العجم ت: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون– بيروت، ط: الأولى- ١٩٩٦م.

٨٠٥. كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتى الحنبلى، دار الكتب العلمية.

٨٠٦. كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد، علاء الدين البخاري الحنفي، دار الكتاب الإسلامي.

٨٠٧. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد العجلوني، المكتبة العصرية، ت: عبد الحميد بن أحمد هنداوي، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٨٠٨. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله، المشهور باسم حاجي خليفة، مكتبة المثنى - بغداد، ١٩٤١م.

٨٠٩. كشف المشكل من حديث الصحيحين، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض.

٨١٠. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢م.

٨١١. الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، ت: أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية - المدينة المنورة.

٨١٢. كلا ثم كلا، كلا لفقهاء التقليد، كلا لأدعياء التنوير، جمال البنا، دار الفكر الإسلامي- القاهرة.

٨١٣. الكلمَاتُ البَيِّنَاتُ في قَولِهِ تَعَالى: {وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ}، مرعي بن يوسف المقدسي الحنبلى، ت: د. عبد الحكيم الأنيس، المكتب الإسلامي، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٨١٤. كلمة الحق، أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة.

٨١٥. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ت: عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة- بيروت.

٨١٦. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي، ت: بكري حياني- صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط: الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٨١٧. الكنى والأسماء، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٨١٨. كواشف زيوف في المذاهب المعاصرة، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم- دمشق، ط: الثانية، ١٤١٢ه- ١٩٩١م.

٨١٩. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي، ت: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٨٢٠. الكواكب النيرات في معرفة من الرواة الثقات، بركات بن أحمد بن محمد الخطيب، زين الدين ابن الكيال، ت: عبد القيوم عبد رب النبي، دار المأمون - بيروت، ط: الأولى - ١٩٨١م.

٨٢١. كيف تخدم الإسلام من خلال الإنترنت، م. تركي بن أحمد العصيمي، دار المعارج، ١٤٢١ه.

٨٢٢. كيف تكتب بحثاً أو رسالة، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط: السادسة، ١٩٦٨م.

٨٢٣. لا حرج، قضية التيسير في الإسلام، جمال البنا، دار الفكر الإسلامي.

٨٢٤. لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد، المعروف بالخازن، ت: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – ١٤١٥ هـ.

٨٢٥. اللباب في شرح الكتاب، عبد الغني الدمشقي الميداني الحنفي، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان.

٨٢٦. اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، ت: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

٨٢٧. لبنات، عبد المجيد الشرفي، دار الجنوب للنشر، تونس ١٩٩٤م.

٨٢٨. لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، محمد بن محمد، أبو الفضل الأصفوني ثم المكيّ الشافعي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٨٢٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة– ١٤١٤ هـ.

٨٣٠. لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي، بيروت– لبنان، ط: الثانية، ١٣٩٠هـ –١٩٧١م.

٨٣١. لماذا الهجوم على تعدد الزوجات، أحمد الحصين، دار الضياء، السعودية، ط: الأولى، ١٤١٠ه–١٩٩٠م.

٨٣٢. لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، ط: التاسعة عشر، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٨٣٣. لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، عبد الملك الجويني، ت: فوقية حسين محمود، عالم الكتب – لبنان، ط: الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٨٣٤. لمعة الاعتقاد، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد- المملكة العربية السعودية، ط: الثانية، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٨٣٥. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط: الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

٨٣٦. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، مكتبة الإيمان، المنصورة- مصر.

٨٣٧. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط: الرابعة والعشرون، ٢٠٠٠م.

٨٣٨. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف، ط: الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٨٣٩. المبدع في شرح المقنع، إبراهيم بن محمد بن مفلح، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.

٨٤٠. المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابورىّ، ت: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية – دمشق، ١٩٨١م.

٨٤١. المبسوط، محمد بن أحمد السرخسي، دار المعرفة – بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٨٤٢. المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، د. محمد البهى، مطبعة الأزهر.

٨٤٣. مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور، عبد العزيز بن فيصل الراجحي، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٨٤٤. المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط: الثانية، ١٤٠٦ ه– ١٩٨٦م.

٨٤٥. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان، أبو حاتم، الدارمي، ت: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي – حلب، ط: الأولى، ١٣٩٦هـ.

٨٤٦. مجمع الأمثال، أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

٨٤٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٨٤٨. مجمل اعتقاد أئمة السلف، د. عبد الله التركي، وزارة الشؤون الإسلامية، ط: الثانية: ١٤١٧ه- ١٩٩٦م.

٨٤٩. مجمل الرغائب فيما للإمام أحمد بن حنبل من المناقب، زكي الدين عبد الله بن محمد الخزرجي الحنبلي، ت: إياد بن عبد اللطيف القيسي، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٧ه- ٢٠٠٦م.

٨٥٠. المجموع المنصوري (٢)، مجموع رسائل المنصور بالله عبد الله بن حمزة، ت: عبد السلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد، ط: الأولى، ١٤٢٢ه- ٢٠٠٢م.

٨٥١. المجموع شرح المهذب(مع تكملة السبكي والمطيعي)، يحيى بن شرف النووي، دار الفكر.

٨٥٢. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، دار القاسم، الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٠ه.

٨٥٣. مجموع فتاوى ورسائل، محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن - دار الثريا، ط: الأخيرة - ١٤١٣ هـ.

٨٥٤. محاسن التأويل، جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه — بيروت، ط: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٨٥٥. محاضرات في علوم القرآن، غانم بن قدوري بن حمد، دار عمار — عمان، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٨٥٦. محبة النبي-ﷺ- وطاعته بين الإنسان والجماد، د. خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القلم، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٨٥٧. المحبر، محمد بن حبيب بن أمية، ت: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٨٥٨. المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، ت: د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر - بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٤ه.

٨٥٩. المحدثون في مصر والأزهر، د. أحمد عمر هاشم، مكتبة غريب، ط: الثانية.

٨٦٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية — بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٨٦١. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، الدمام- المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م).

٨٦٢. المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الحراني، مجد الدين، مكتبة المعارف- الرياض، ط: الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤مـ.

٨٦٣. محطات في سبيل الحكمة الفارق بين السنة الشريفة وروايات الأحاديث، المهندس عدنان الرفاعي، المنهج العلمي، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ٢٠٠٩م- ١٤٢٩ه.

٨٦٤. المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٨٦٥. المحلى بالآثار، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، دار الفكر – بيروت.

٨٦٦. محمد والصحابة، خليل عبد الكريم، دار سينا.

٨٦٧. مختصر اصطلاحات الصوفية، محمد بن علي، المعروف بابن عربي.

٨٦٨. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي، ابن الموصلي، ت: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة – مصر، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٨٦٩. مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي، حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط: الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٨٧٠. مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، ط: الحادية عشرة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٨٧١. المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٨٧٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٨٧٣. المدخل إلى السنن الكبرى، أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، ت: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي-الكويت.

٨٧٤. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد القادر بن أحمد بن محمد بدران، ت: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة — بيروت، ط: الثانية، ١٤٠١ه.

٨٧٥. المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، د. محمد علي البار، دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت، ط: الأولى، ١٤١٠ه- ١٩٩٠م.

٨٧٦. المدرسة العصرانية في نزعتها المادية تعطيل للنصوص وفتنة للتغريب، محمد بن حامد الناصر، مكتبة الكوثر- الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٥ه- ٢٠٠٤م.

٨٧٧. المدهش، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، د. مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٨٧٨. مذاهب التفسير الإسلامي، إجنتس جولدتسيهر، ترجمة: د. عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي- مصر، مكتبة المثنى- بغداد، ١٣٧٤ه-١٩٥٥م.

٨٧٩. المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب ابن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية-جدة، ط: الأولى ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٨٨٠. مذاهب فكرية معاصرة، محمد بن قطب بن إبراهيم، دار الشروق، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٨٨١. مذكرة على العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن عثيمين، مدار الوطن للنشر- الرياض، ١٤٢٦ هـ.

٨٨٢. المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء، جمال البنا، دار الفكر الإسلامي- القاهرة، ١٩٩٨م.

٨٨٣. المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، سامر الإسلامبولي، الأوائل، دمشق- سورية، ط: الأولى، ١٩٩٩م.

٨٨٤. مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٨٥. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي الحنبلي، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ.

٨٨٦. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، الملا القاري، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٨٨٧. مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي، ت: د. يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط: الأولى.

٨٨٨. مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحدثين وروايات الأخباريين، أكرم ضياء العمري، مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحدثين وروايات الأخباريين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٨٨٩. المسالك والممالك، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢ م.

٨٩٠. المسائل العقدية المتعلقة بآدم عليه السلام، ألطاف الرحمن بن ثناء الله، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٢هـ-١٤٢٣هـ.

٨٩١. المستخرج على المستدرك للحاكم (أملاها العراقي في مجالس)، عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ت: محمد عبد المنعم رشاد، مكتبة السنة – القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ.

٨٩٢. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية– بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٨٩٣. المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به فى الدراسات العربية، جمع: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٩٧٨م.

٨٩٤. المستشرقون والحديث النبوي، د. محمد بهاء الدين، دار الفجر، دار النفائس، عمان- الأردن، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٨٩٥. المستشرقون والسنة، د. سعد المرصفي، مكتبة المنار- الكويت، مؤسسة الريان، بيروت- لبنان، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٨٩٦. المستشرقون والقرآن الكريم، محمد أمين عامر، دار الأمل، الأردن- أربد، ط: الأولى، ٢٠٠٤م.

٨٩٧. المستشرقون والقرآن، دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه، د. إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة- مصر، ط: الأولى، ٢٠٠٣م-١٤٢٣هـ.

٨٩٨. المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، د. عجيل جاسم النشمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ط: الأولى، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٨٩٩. المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، طارق يسري، مكتبة النافذة، ط: الأولى، ٢٠٠٦م، الجيزة- مصر.

٩٠٠. المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، ط: الثالثة، ١٩٦٤م.

٩٠١. المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٩٠٢. مستقبل الثقافة في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
٩٠٣. مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود، ت: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر – مصر، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٩٠٤. مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث- دمشق، ط: الأولى، ١٤٠٤ه –١٩٨٤م.
٩٠٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن الشيباني، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.
٩٠٦. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، المعروف بالبزار، ت: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
٩٠٧. مسند الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، ت: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، دار السقا، دمشق – سوريا، ط: الأولى، ١٩٩٦ م.
٩٠٨. مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، ت: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، السعودية، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.
٩٠٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٩١٠. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، أحمد بن عبد الله، أبو نعيم الأصبهاني، ت: محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٩١١. المسند، محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ، ١٤٠٠ هـ.

٩١٢. مسيلمة في مسجد توسان، د. طه الدسوقي حبيشي، مكتبة رشوان، مصر.

٩١٣. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى اليحصبي السبتي، المكتبة العتيقة ودار التراث.

٩١٤. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ت: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء - المنصورة، ط: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

٩١٥. مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، دار اليمامة، الرياض، ط: الأولى، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

٩١٦. مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: الثالثة، ١٩٨٥م.

٩١٧. مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن الحاج بن نبي، إشراف وتقديم: المحامي عمر مسقاوي، دار الفكر المعاصر- بيروت لبنان / دار الفكر-دمشق سورية، ط١: ١٩٨٨م، إعادة طبعه: ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.

٩١٨. مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، د. عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت- لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٠ه- ١٩٩٩م.

٩١٩. مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان علي حسن، دار الوطن- الرياض، ط: الأولى، ١٤١٣ه.

٩٢٠. مصارف الزكاة في الإسلام، حسن علي كوركولي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة–السعودية، ١٤٠٢هـ–١٤٠٣هـ.

٩٢١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.

٩٢٢. مصطلح الحديث، محمد بن صالح العثيمين، مكتبة العلم، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٩٢٣. مُصنف ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، ت: محمد عوامة.

٩٢٤. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى بن سعد، الرحيباني الحنبلي، المكتب الإسلامي، ط: الثانية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٩٢٥. مطلع البدور ومجمع البحور، أحمد بن صالح بن أبي الرجال، ت: عبد الرقيب مطهر محمد حجر، مركز أهل البيت، صعدة، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٩٢٦. مع رجال الفكر في القاهرة، مرتضي الرضوي، ط: الأولى، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٩٢٧. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد الحكمي، ت: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم- الدمام، ط: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

٩٢٨. المعارف، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: الثانية، ١٩٩٢ م.

٩٢٩. معالم أصول الدين، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي، ت: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي– لبنان.

٩٣٠. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، دار القلم، الدار الشامية – دمشق- بيروت، ط: الأولى – ١٤١١ هـ.

٩٣١. معالم التنزيل في تفسير القرآن(تفسير البغوي)، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.
٩٣٢. معالم السنن شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد الخطاب البستي، المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية– حلب، ط: الأولى ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م.
٩٣٣. معالم على طريق السنة، د. أحمد عمر هاشم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية– القاهرة.
٩٣٤. معالم مكة التأريخية والأثرية، عاتق بن غيث الحربي، دار مكة، ط: الأولى، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م.
٩٣٥. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ت: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
٩٣٦. معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان، ط: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
٩٣٧. المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، عواد بن عبد الله المعتق، مكتبة الرشد– الرياض، ط: الثانية، ١٤١٦ه– ١٩٩٥م.
٩٣٨. المعتمد في أصول الفقه، محمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري المعتزلي، ت: خليل الميس، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٣ه.
٩٣٩. المعجزة الكبرى (معجزة إحدى الكبر)، المهندس عدنان الرفاعي، دار الخير، دمشق–سورية، بيروت –لبنان، ط: الثانية، ٢٠٠٩م.
٩٤٠. مُعجَمُ أعلام الجزائِر– مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت– لبنان، ط: الثانية، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.

٩٤١. معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٩٤٢. معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى ٢٠٠٢م، كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ٢٠٠٣م- ١٤٢٣ه.

٩٤٣. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني، ت: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين — القاهرة.

٩٤٤. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، ط: الثانية، ١٩٩٥ م.

٩٤٥. المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، أعضاء ملتقى أهل الحديث.

٩٤٦. معجم الشيوخ، عبد الوهاب السبكي، تخريج: ابن سعد الصالحي الحنبلي، ت: د. بشار عواد- رائد يوسف العنبكي- مصطفى إسماعيل الأعظمي، دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى ٢٠٠٤م.

٩٤٧. معجم الصحابة، عبد الباقي بن قانع بن مرزوق، ت: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤١٨ه.

٩٤٨. معجم الصحابة، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، ت: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان- الكويت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

٩٤٩. المعجم الصغير، سليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني، ت: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، ط: الأولى، ١٤٠٥ — ١٩٨٥م.

٩٥٠. معجم العلماء العرب، باقر أمين الورد، راجعه: كوريس عواد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٩٥١. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٩٥٢. المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء الحديثة- القاهرة، ٢٠٠٧م.

٩٥٣. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط: الثانية. ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا ت: الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعي - الرياض/ ط: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).

٩٥٤. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٩٥٥. المعجم المختص (بالمحدثين)، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٩٥٦. معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبوِيَّةِ، عاتق بن غيث الحربي، دار مكة، مكة المكرمة، ط: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٩٥٧. معجم المؤلفين المعاصرين، محمد خير رمضان يوسف، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٩٥٨. معجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٩٥٩. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة.

٩٦٠. معجم ديوان الأدب، إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، ت: د. أحمد مختار عمر، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٩٦١. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي- حامد صادق قنيبي، دار النفائس، ط: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

٩٦٢. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، عالم الكتب، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٣ هـ.

٩٦٣. معجم مصطلحات علوم القرآن، أ. د. محمد بن عبد الرحمن الشايع، دار التدمرية، الرياض، السعودية، ط: الأول، ١٤٣٣ه- ٢٠١٢م.

٩٦٤. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٩٦٥. معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي، عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٦ه- ١٩٩٦م.

٩٦٦. معرفة أسامي أرداف النبي ﷺ، يحيى بن عبد الوهاب، ابن منده، ت: يحيى مختار غزاوي، المدينة للتوزيع – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٠ه.

٩٦٧. معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى، ت: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار- المدينة المنورة - السعودية، ط: الأولى، ١٤٠٥ه- ١٩٨٥م.

٩٦٨. معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، بتعاون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي -

باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، ط: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٩٦٩. معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد لأصبهاني، ت: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٩٧٠. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.

٩٧١. معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، المعروف بابن الصلاح، ت: نور الدين عتر، دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٩٧٢. معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، ت: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية — بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٩٧٣. المعين في طبقات المحدثين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: د. همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان - عمان — الأردن، ط: الأولى، ١٤٠٤ه.

٩٧٤. مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، محمود بن أحمد بن موسى، بدر الدين العينى، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

٩٧٥. المغرب، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن على، دار الكتاب العربي.

٩٧٦. المغني الوجيز، منذر الأسعد.

٩٧٧. المغني في الضعفاء، محمد بن أحمد الذهبي، ت: د. نور الدين عتر، إحياء التراث الإسلامي، قطر.

٩٧٨. المغني، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٩٧٩. مفاتيح التفسير، د. أحمد سعد الخطيب، دار التدمرية، الرياض- السعودية، ط: الأولى، ١٤٣١ه- ٢٠١٠م.

٩٨٠. مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسن الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٩٨١. مفاتيح للتعامل مع القرآن، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم – دمشق، ط: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٩٨٢. مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط: الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٩٨٣. مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٩٨٤. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت.

٩٨٥. مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، مكتبة الشعب، القاهرة، ط: ٣، ١٣٩٥ هـ.

٩٨٦. مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: د. مصطفى ديب البغا، مؤسسة علوم القرآن، دمشق – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢م.

٩٨٧. المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، دار الساقي، ط: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٩٨٨. مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين، د. محمود الطحان، مكتبة التراث، الكويت، ط: الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٩٨٩. مفهوم السنة غير الحديث، سامر إسلامبولي.

٩٩٠. مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠هـ.

٩٩١. مقارنة بين الغزالي وابن تيمية، د. محمد رشاد سالم، دار القلم، سوريا، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٩٩٢. مقاصد الشريعة، الطاهر بن عاشور، ت: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، ط: الثانية، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٩٩٣. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، هلموت ريتر،: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، ط: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٩٩٤. مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، د. مساعد الطيار، دار المحدث، شبكة تفسير والدراسات القرآنية، الرياض، ط: الأولى، رجب، ١٤٢٥هـ.

٩٩٥. المقالات والفرق، سعد بن عبد الله القمي، ط: طهران، ١٩٦٣م.

٩٩٦. مقام إبراهيم، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ت: علي حسن عبد الحميد، دار الراية، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.

٩٩٧. مقباس الهداية، عبد الله المامقاني، ت: محمد رضا المامقاني، ط: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط: الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٩٩٨. المقتنى في سرد الكنى، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: محمد صالح عبد العزيز المراد، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٩٩٩. المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع، مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

١٠٠٠. المقدمات الممهدات، محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

١٠٠١. مقدمة في أصول التفسير، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٠٠٢. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، ت: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين،: مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

١٠٠٣. المقنع في علوم الحديث، ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، ت: عبد الله بن يوسف الجديع، دار فواز للنشر – السعودية، ط: الأولى، ١٤١٣هـ.

١٠٠٤. مكانة السنة في الإسلام، محمد أبو زهو.

١٠٠٥. مكانة السنة في التشريع الإسلامي، د. محمد لقمان السلفي، دار الداعي، مركز العلامة ابن باز، ط: الثانية، ١٤٢٠ه- ١٩٩٩م.

١٠٠٦. الملخص الفقهي، د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٠٠٧. الملخص في شرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، دار العاصمة الرياض، ط: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٠٠٨. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة- بيروت، ١٤٠٤ه.

١٠٠٩. من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، دار الساقي، بيروت، لندن، ط: ١، ١٩٩٧م.

١٠١٠. من مصادر التاريخ الإسلامي، د. إسماعيل أحمد أدهم، مطبعة صلاح الدين الكبرى، ١٩٣٦م.

١٠١١. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط: الأولى، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

١٠١٢. منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، يحيى بن إبراهيم بن أحمد الأزدي السلماسي، ت: محمود بن عبد الرحمن قدح، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٠١٣. مناقب الإمام أحمد بن حنبل، عبد الرحمن بن الجوزي، ت: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مكتبة الخانجي- مصر، ط: الأولى، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

١٠١٤. مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، د. عبد الرحمن الزنيدي، دار إشبيليا، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.

١٠١٥. مناهج التأليف عند العلماء العرب، د. مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشرة، آب/ أغسطس، ٢٠٠٤م.

١٠١٦. مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، د. محمد الشيخ عليو، مكتبة دار المنهاج- الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٠١٧. مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

١٠١٨. مناهج المفسرين القسم الأول (التفسير في عصر الصحابة)، د. مصطفى مسلم، دار المسلم- الرياض، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.

١٠١٩. مناهج المفسرين، د. مساعد مسلم آل جعفر، محي هلال السرحان، دار المعرفة، ط: الأولى، ١٩٨٠م.

١٠٢٠. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة.

١٠٢١. المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، إِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّدِ الصَّرِيْفِيْنِيُّ، الحَنْبَلِيُّ، ت: خالد حيدر، دار الفكر، ١٤١٤هـ.

١٠٢٢. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

١٠٢٣. المنتقى شرح الموطإ، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ط: الأولى، ١٣٣٢ هـ.

١٠٢٤. المنتقى من السنن المسندة، عبد الله بن علي بن الجارود، ت: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتاب الثقافية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٨ ه– ١٩٨٨م.

١٠٢٥. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: محب الدين الخطيب.

١٠٢٦. منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبد العزيز بن حمد آل معمر، شركة فن الطباعة، ط: الأولى، ١٣٥٨ه-١٩٣٩م.

١٠٢٧. منزلة السنة في الإسلام، محمد ناصر الدين الألباني، الدار السلفية- الكويت، ط: الرابعة - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

١٠٢٨. منزلة السنة من الكتاب وأثرها في الفروع الفقهية، د. محمد سعيد منصور، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الأولى،١٤١٣هـ.

١٠٢٩. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٠٣٠. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.
١٠٣١. منهج ابن تيمية في مسألة التكفير، د. عبد المجيد المشعبي، أضواء السلف، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
١٠٣٢. منهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية في العصر الحديث (مصر نموذجاً)، د. أحمد قوشتي عبد الرحيم، مركز التأصيل، ط: الأولى، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
١٠٣٣. منهج البحث في الدراسات الإسلامية، د. فاروق حمادة، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
١٠٣٤. منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة، أحمد بن عبد الرحمن الصويان، كتاب المنتدى الإسلامي.
١٠٣٥. منهج الدفاع عن الحديث النبوي، د. أحمد عمر هاشم، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مركز السيرة والسنة، القاهرة، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.
١٠٣٦. المنهج السلفي، د. مفرح بن سليمان القوسي، دار الفضيلة- الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
١٠٣٧. منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولي، دار ماجد عسيري، جدة- السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
١٠٣٨. منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة الرشد، الرياض، ط: الخامسة، ١٤٢٢هـ.
١٠٣٩. منهج النقد في التفسير، د. إحسان الأمين، دار الهادي، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
١٠٤٠. منهج النقد في علوم الحديث، د. نور الدين عتر، دار الفكر- دمشق، ط: الثانية،

١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

١٠٤١. منهج حسن حنفي، دراسة تحليلية نقدية، د. فهد بن محمد القرشي، مطابع أضواء المنتدى، الرياض، ط: الأولى، ١٤٣٤هـ.

١٠٤٢. منهج شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في التفسير، مسعد بن مساعد الحسيني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٠٤٣. المنهج عند المستشرقين، د. عبد العظيم الديب، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (بجامعة قطر)، العدد السابع: ١٤٠٩.

١٠٤٤. منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، دراسة مقارنة، د. عزية علي طه، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط: الثانية ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٠٤٥. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي، ت: د. محمد محمد أمين، تقديم: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٠٤٦. المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ٢٠٠٥م- ١٤٢٦هـ.

١٠٤٧. المنية والأمل في شرح الملل والنحل، أحمد بن يحيى المرتضى، ت: د. محمد جواد مشكور، دار الندى، ط: الثانية، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٠٤٨. الْمُهَذَّبُ في عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ الْمُقَارَنِ، د. عبد الكريم بن علي النملة، مكتبة الرشد- الرياض، ط: الأولى: ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٠٤٩. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ.

١٠٥٠. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط: الأولى ١٤١٧هـ/

١٩٩٧م.

١٠٥١. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، محمد بن محمد بن عبد الرحمن، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي، دار الفكر، ط: الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٠٥٢. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، الحسن بن بشر الآمدي، ت: أ. د: ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى، ١٤١١ هـ-١٩٩١م.

١٠٥٣. المؤتَلِف والمختَلِف، علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، ت: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٠٥٤. المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية، الدوحة، محرم ١٤٠٠ه، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

١٠٥٥. موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧ هـ/٩٦ - ٩٧ م، أحمد معمور العسيري، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ-١٩٩٦م.

١٠٥٦. الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. ناصر القفاري، د. ناصر العقل، دار الصميعي، ط: الأولى، ١٤١٣ه-١٩٩٢م.

١٠٥٧. موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، سعدي أبو جيب، ط: الثانية، ١٤٠٤ه-١٩٨٣م.

١٠٥٨. الموسوعة العربية العالمية، لمجموعة من العلماء، تقديم الدكتور راشد المبارك، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.

١٠٥٩. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ط: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ)، الأجزاء ١ - ٢٣: ط: الثانية،

دارالسلاسل- الكويت، الأجزاء ٢٤- ٣٨: ط: الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر، الأجزاء ٣٩ – ٤٥: ط: الثانية، طبع الوزارة.

١٠٦٠. الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة، حسين بن عودة العوايشة، المكتبة الإسلامية (عمان – الأردن)، دار ابن حزم (بيروت – لبنان)، ط: الأولى، ١٤٢٣ – ١٤٢٩هـ.

١٠٦١. موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، ط: الثالثة، ١٩٩٣م.

١٠٦٢. موسوعة المكتشفين والمخترعين، د. موريس شربل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١١ه- ١٩٩١م.

١٠٦٣. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة، ط: الرابعة، ١٤٢٠هـ.

١٠٦٤. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ط: الأولى، دار الشروق، ١٩٩٩م.

١٠٦٥. موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس الأصبحي المدني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥ م.

١٠٦٦. موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها جذورهم ووسائلهم وأهدافهم قديمًا وحديثًا، محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني، مكتبة الصديق، ط: الأولى، ١٤١١هـ.

١٠٦٧. موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي، محمد إسماعيل السلفي، ١٣١٤- ١٣٨٧هـ، تعريب: صلاح الدين مقبول، الدار السلفية- الكويت. ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

١٠٦٨. موقف الصحابة من الفرقة، د. أسماء السويلم، دار الفضيلة، الرياض، ط: ١، ١٤٢٦هـ.

١٠٦٩. موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مصطفى صبري، دار أحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط: الثانية، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٠٧٠. موقف المدرسة العقلية الحديثة من السنة، الأمين الصادق الأمين، مكتبة الرشد- الرياض، شركة الرياض، ط: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١٠٧١. موقف المدرسة العقلية من السنة، دراسة تطبيقة على تفسير المنار، شفيق بن عبد الله شقير، المكتب الإسلامي- بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٠٧٢. موقف المستشرقين من الصحابة، د. سعد بن عبد الله الماجد، دار الهدي النبوي- مصر، دار الفضيلة- الرياض، ط: الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٠٧٣. الموقف المعاصر من المنهجَ السلفي في البلاد العربية، د. مفرح بن سليمان القوسي، دار الفضيلة، الرياض- السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٠٧٤. موقف المعتزلة من السنة ومواطن انحرافهم عنها، أبو لبابة حسين، دار اللواء، الرياض- السعودية، ط: الثانية، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٠٧٥. موقفنا من العلمانية، القومية، الإشتراكية، جمال البنا، دار الفكر الإسلامي، القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٠٧٦. مؤلفات ابن الجوزي، عبد الحميد العلوجي، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق- الكويت، ط: الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٠٧٧. مؤلفات الغزالي، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات- الكويت، ط: الثانية- ١٩٧٧م.

١٠٧٨. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م.

١٠٧٩. النبذ في أصول الفقه، وهو المسمى: النبذة الكافية في أحكام أصول الدين، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ت: محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٥ه.

١٠٨٠. النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

١٠٨١. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

١٠٨٢. نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، د. محمد شحرور، الأهالي، دمشق- سورية، ط: الأولى، ٢٠٠٠م.

١٠٨٣. نحو القرآن، د. محمد البهى، مكتبة وهبة، ط: الثانية، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م.

١٠٨٤. نحو منهج لتفسير القرآن، محمد الصادق عرجون، الدار السعودية، جدة، ط: الثالثة، ١٣٩٩م-١٩٧٩م.

١٠٨٥. النزعة المادية في العالم الإسلامي، عادل التل، دار البينة، ط: الأولى: ١٤١٥ه- ١٩٩٥م.

١٠٨٦. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٠٨٧. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، ت: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ط: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

١٠٨٨. نزهة الألباب في الألقاب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشد- الرياض، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١٠٨٩. النسخ في القرآن، مصطفى زيد، دار الفكر العربى، ط: الأولى.

١٠٩٠. نشأة التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية، د. محمود بسيوني فوده، مطبعة الأمانة- مصر، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٠٩١. نظرات شرعية في فكر منحرف، سليمان الخراشي، روافد، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٠٩٢. نظرات في الثقافة الإسلامية، عز الدين الخطيب وآخرون، دار الفرقان، عمان- الأردن، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٠٩٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٠٩٤. نظم العقيان في أعيان الأعيان، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: فيليب حتي، المكتبة العلمية – بيروت.

١٠٩٥. النفحة المسكية في الرحلة المكية، عبد الله بن حسين، أبو البركات السويدي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٤هـ.

١٠٩٦. نقد الرجال عند الشيعة الجعفرية، خالد ذويبي، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر- باتنه، الجزائر، ٢٠٠٦- ٢٠٠٧م.

١٠٩٧. نقد الفكر الاستشراقي، د. علي بن إبراهيم النملة، مطبعة سفير، ط: الأولى، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
١٠٩٨. نقد الفكر الديني، صادق جلال العظم، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط: التاسعة، ٢٠٠٣م.
١٠٩٩. نقد مراتب الإجماع، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١١٠٠. نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله -عز وجل- من التوحيد، عثمان بن سعيد الدارمي، ت: رشيد بن حسن الألمعي، مكتبة الرشد، ط: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١١٠١. نقض المنطق، شيخ الإسلام ابن تيمية، ت: محمد حمزة، سليمان الصنيع، مكتبة السنة المحمدية- القاهرة.
١١٠٢. نكاح المتعة دراسة وتحقيق، محمد عبد الرحمن الأهدل، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
١١٠٣. النكت الوفية بما في شرح الألفية، إبراهيم بن عمر البقاعي، ت: ماهر ياسين الفحل، مكتبة الرشد ناشرون، ط: الأولى، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
١١٠٤. النكت على كتاب ابن الصلاح، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: ربيع بن هادي عمير المدخلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
١١٠٥. النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، علي بن فَضَّال المُجَاشِعِي القيرواني، ت: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

١١٠٦. النكت والعيون (تفسير الماوردي)، علي بن محمد بن حبيب، الشهير بالماوردي، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

١١٠٧. نكث الهميان في نكت العميان، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١١٠٨. نهاية الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط، علاء الدين علي رضا، دار الحديث- القاهرة، ط: الأولى ١٩٨٨م.

١١٠٩. نهاية المطلب في دراية المذهب، عبد الملك بن عبد الله الجويني، ت: أ. د/ عبد العظيم محمود الدّيب، دار المنهاج، ط: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

١١١٠. النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١١١١. نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، د. فاطمة هدى نجا، دار الإيمان، طرابلس- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٣ه- ١٩٩٣م.

١١١٢. النور السافر عن أخبار القرن العاشر، محي الدين عبد القادر العَيْدَرُوس، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٥ه.

١١١٣. نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، ت: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١١١٤. نيل المراد في تشطير الهمزية والبردة وبانت سعاد، عبد القادر الرافعي الحنفي، مطبعة التوفيق، مصر، ١٣٢٣ه.

١١١٥. نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، محمد صديق خان القِنَّوجي، ت: محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣/٠١/٣٠.

١١١٦. هجر العلم ومعاقله في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوع، دار الفكر المعاصر، ط: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

١١١٧. الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي، د. محمد ياسين صديقي، ترجمة د. سمير إبراهيم، دار الصحوة، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١١١٨. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١١١٩. الهداية على مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، محفوظ بن أحمد بن الحسن، أبو الخطاب الكلوذاني، ت: عبد اللطيف هميم - ماهر ياسين الفحل، مؤسسة غراس، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.

١١٢٠. الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، أحمد بن محمد بن الحسين، أبو نصر البخاري الكلاباذي، ت: عبد الله الليثي، دار المعرفة–بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ.

١١٢١. الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد أبو زيد، مصطفى البابي الحلبي وأولاده- مصر، ١٣٤٩هـ.

١١٢٢. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد الباباني البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١م، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

١١٢٣. وا محمداه، د. سيد بن حسين العفاني، دار العفاني- القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

١١٢٤. الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب/ دار العلوم الانسانية – دمشق، ط: الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م.
١١٢٥. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
١١٢٦. وجهة الإسلام نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي، لعدة من المستشرقين: جب، ماسينيون، كامبقماير، لفتنانت كولونل، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، المطبعة الإسلامية- القاهرة.
١١٢٧. وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ١٤٢٠هـ.
١١٢٨. الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، مؤسسة قرطبة، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ١٩٨٧م.
١١٢٩. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.
١١٣٠. الوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة، أبو علي الحسن بن علي الأَهْوَازي، ت: دريد حسن أحمد، دار الغرب الإسلامى – بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠٢ م.
١١٣١. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، ت: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
١١٣٢. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد بن محمد أبو شُهبة، دار الفكر العربي.

١١٣٣. وصول الأخيار إلى أصول الأخبار، حسين بن عبد الصمد الحارثي، ت: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، ط قم: ٩٣.
١١٣٤. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله، أبو الحسن السمهودي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى – ١٤١٩هـ.
١١٣٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان، ت: إحسان عباس، دار صادر- بيروت.
١١٣٦. الوفيات، أحمد بن حسن بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني، ت: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
١١٣٧. يتمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، ت: د. مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
١١٣٨. يحيى بن شرف النووي، أحمد بن على الدمياطي، مكتبة الأنصار، ط: الأولى.
١١٣٩. اليهودية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط: الثامنة، ١٩٨٨م.

المجلات:

١١٤٠. صحيفة الأهرام، السبت، (١٤/ جمادي الآخرة/١٤٢٤هـ)، الموافق (٣/يوليو/٢٠٠٤م)، السنة ١٢٣، العدد ٣٨٤.
١١٤١. مجلة البحوث الإسلامية- مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
١١٤٢. مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، أعداد مختلفة.
١١٤٣. مجلة التأصيل للدراسات الفكرية، بحث: القراءة التأويلية عند حسن حنفي، د. فهد القرشي، العدد الثالث، السنة الثانية، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

١١٤٤. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بحث: سد الذرائع في مسائل العقيدة على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، عبد الله بن شاكر الجنيدي، السنة الرابعة والثلاثون العدد (١١٤)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢هـ.
١١٤٥. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، بحث: أضواء على مذاهب الذين رفضوا الاحتجاج بالسنة، د. عمر الأشقر، العدد: ٦، ديسمبر ١٩٨٦م.
١١٤٦. مجلة المجتمع، الكويت.
١١٤٧. مجلة المنار، مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا.
١١٤٨. مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، بحث: القرآنيون والسنة النبوية، محمد يوسف الشربجي، العدد الأول، (٢٠٠٧م).
١١٤٩. مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة.

مواقع الإنترنت:

١١٥٠. رابطة كتاب التجديد، http://altajdeed-league.org .
١١٥١. الشاملة المعرفة الموسوعة www. marefa. org
١١٥٢. شبكة نور الإسلام: www. islamlight. net .
١١٥٣. ملتقى أهل التفسير، www.tafsir.org
١١٥٤. الموسوعة العربية العالمية www. mawsoah. net،
١١٥٥. موقع الألوكة. www. majles. alukah. net
١١٥٦. موقع الدرر السنية: www.dorar.net
١١٥٧. موقع العربية: "www. alarabiya. net"
١١٥٨. موقع أهل القرآن(القرآنيين)، www. ahl-alquran. com/.
١١٥٩. موقع فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: www. binothaimeen. com
١١٦٠. موقع مدن محظورة، www.modon.net
١١٦١. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، http: //ar. wikipedia. org.

فهرس الموضوعات

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد. . .

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

ختم الله عزَّ وجلَّ بمحمد ﷺ النبوات، وأتم برسالته الرسالات، وجعل الله عزَّ وجلَّ محبته تعالى باتباع رسوله فقال عزَّ سلطانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١] وضمن الهداية لمن أطاعه ﷺ فقال: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧]، والآيات الدالة على اتباع النبي ﷺ في القرآن الكريم كثيرة، وعلى الرغم من ذلك شغب على هذا الأصل القطعي الثبوت بنص القرآن الكريم بعضٌ ممن في قلوبهم مرض في القديم والحديث، فرفضوا السنَّة النبوية واعتمدوا القرآن الكريم مصدراً للتشريع دون السنَّة قائلين إنها غير يقينية وأنها أخبار آحاد، واستبعدوا إلى جانب السنة كل المصادر الأخرى المشكلة للشريعة الإسلامية بمصدريها ـ القرآن والسنَّة ـ كالسيرة، والتفسير، والفقه، وفتاوى الأئمة من الصحابة، وأنكروا مصادر التشريع كالإجماع، والقياس، والاجتهاد؛ إضافة إلى إنكارهم لأمور أخرى تتعلق بالعقيدة، والشريعة. وهذه الطائفة سميت بالقرآنيين في العصر الحديث، وقد كانت البذرة الأولى لظهورهم حديثةُ عهد بالنبوة حين رآهم النبي ﷺ بعين الغيب التي كشفها الله تعالى له فقال ﷺ فيما أخرجه أبو داود بسنده عن الْمِقْدَام بن معديكرب عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «**ألا إني أوتِيتُ الْكِتاب ومِثْلَهُ معه، لا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ على أريكته يقول: عَلَيْكُم بهذا الْقُرْآنِ فما وجدتُم فيه من حَلالٍ فأحِلُّوهُ وما وَجَدْتُم فيه من حرام فَحَرِّمُوهُ، ألا لا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الأَهْلِيِّ ولا كُلُّ ذِي نابٍ من السَّبُعِ ولا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ إلا أن يَسْتَغْنِي عنها صَاحِبُها، ومَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أنْ**

يَقْرُوهُ فَإِنْ لم يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ»[1]. ولم يزل هذا الفكر الضال عبر العصور كلما سنحت له فرصة الظهور خرج على الناس بفحيح كفحيح[2] الأفعى ليُلبس على الناس دينهم عبر الوسائل المختلفة من منتديات أو وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي التي باتت من أوسع الوسائل لانتشار الكثير من الفكر السلبي الهادم للقيم والمشكك في المعتقدات.

وهذا الفكر المنحرف اتخذ لنفسه هذه التسمية «القرآنيون» ليوهم الناس بأنهم ملتزمون بالقرآن وأن غيرهم ممن أخذ الدين بجملته ـ القرآن والسنَّة ـ عزف عن القرآن واتخذ من كلام البشر شريعة ومنهجاً، وهذا خبث منهم وسوء طوية والإسلام منهم براء.

ويسر دار التفسير أن تقدم للقارئ الكريم هذا الكتاب الماتع «القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير دراسة نقدية» من إعداد الدكتور/ جمال بن محمد بن أحمد هاجر، الذي يفند شبه القرآنيين في هذا الوقت الذي يتعرض فيه الإسلام لهجمة شرسة من أعدائه، فظهر على وسائل الإعلام من يطعن في السنَّة وفي أئمتها الذين جمعوها وحرروها وحفظوها بقواعد التحديث التي أشاد بها العدو قبل الصديق من العلماء والمفكرين الغربيين والشرقيين، وهذا الكتاب المهم يكشف حقيقة هذه الطائفة وجناياتهم على التفسير، ويفند شبههم وأباطيلهم بطريقة علمية مبنية على القرآن الكريم نفسه، والسنَّة النبوية المطهرة، كما تبين جذورهم وتطورهم، وتقلب فكرهم المنحرف عبر الفرق والطوائف التي نشأت خلال تاريخ الإسلام وحتى وقتنا المعاصر.

أسأل الله العلي القدير أن يحفظ الإسلام بحفظه وأن يوفق علماء الأمة إلى صد تلك الهجمات بالحكمة والعلم والموعظة الحسنة، والذود عن حياضه بالحوار الذي يرد الضال ويدحر الحاقد وأن يستخدمنا في إعلاء كلمته سبحانه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مدير دار التفسير

د. صلاح بن سالم باعثمان

(١) أخرجه أبو داود، باب «في لزوم السنة» حديث رقم ٤٦٠٤، ج٤/ ٢٠٠، ط/دار الفكر، ت/محمد محي الدين عبد الحميد.

(٢) صوت الأفعى من فمها.